سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد

للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي

المتوفى سنة ٩٤٢ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوض

المجلد الخامس

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

سبل الهدى والرشاد

في سيرة خير العباد

للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي

المتوفى سنة ٩٤٢ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود　　الشيخ علي محمد معوض

الجزء الخامس

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب : ١١/٩٤٢٤ - تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨١٥٥٧٣ - ٨٦٨٠٥١
فاكس : ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢/٠٠ - ٦٠٢١٣٣/٩٦١١/٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم
الباب العشرون
في غزوة بني قُرَيْظَة

تقدّم في غزوة الخنْدق أنّهم ظَاهَرُوا قُرَيْشاً وأعانُوهم على حَرْبِ رسول الله - ﷺ - ونَقضُوا العهودَ والمواثيقَ التي كانت بَيْنَهم وبين رسول الله - ﷺ - فما أَجْدَى ذلك عنهم شيئاً وبَاءُوا بغضبٍ مِنَ الله ورسوله، والصَّفْقَة الخاسرَة في الدنيا والآخرة. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِم لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى الله المُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِياً عَزِيزاً وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم - أي أعانوهم - مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ - أي حصونهم - وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِم الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً. وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُم وَدِيَارَهُم وَأَمْوَالَهُم وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ الله عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَديراً﴾ [الأحزاب ٢٥: ٢٧].

قال محمد بن عمر عن شُيوخه: لما تَفَرَّقَ المشركون عن الخَنْدَق خافت بَنُو قُرَيْظَةَ خوفاً شديدا، وقالوا: محمد يَزْحَفُ إلينا، وكان رسولُ الله - ﷺ - لم يَأْمُر بِقتَالهمْ حتَّى جَاءَه جبْرِيل يَأْمُرُه به.

روى الإمَامُ أَحْمدُ والشَّيْخَان - مُخْتَصَراً - والبَيْهَقيُّ والْحَاكم في صحيحه مُطَوَّلاً عنْ عَائشَةَ، وأَبو نُعيم، والْبَيْهَقيُّ منْ وَجْهٍ آخر عَنْها، وابنُ عائذٍ عَنْ جابر بن عبد اللّه، وابنُ سَعْد عَنْ حُمَيْد بْن هلاَل، وابن جَرير عن عبد اللّه بن أَبِي أَوْفَى والبَيْهَقيُّ وابنُ سَعْدٍ عن الماجشُون، والبَيْهَقيُّ عن عُبَيد اللّه بْن كَعْب بن مالك، وسعيد بن جُبَيْر وابن سعدٍ عن يزيد بن الأَصَم، ومحمد بن عمر عن شُيُوخه: أَن رَسُولَ الله - ﷺ - لَمّا رَجَعَ عن الخَنْدق، والمسلمون وقَدْ عَضَّهُم الحصَارُ، فرجعوا مَجْهُودِين، فوضعوا السلاح، وَوَضَعَهُ رَسُولُ الله - ﷺ - وَدَخَلَ بيتَ عَائشة وَدَعَا بمَاءٍ فأَخذَ يَغْسل رَأْسه - قَالَ ابن عُقْبة قَدْ رَجَّلَ أَحد شِقَّيْه. قَالَ محمد بن عمر: غَسَلَ رَأْسَه واغْتَسَل، وَدَعَا بالمجْمَرَةِ ليَتَبَخَّر، وَقَدْ صَلَّى الظُّهرَ، قَالَتْ عائشةُ: فَسَلَّم عَلَيْنَا رَجُلٌ وَنَحْنُ في البيت. قَالَ محمد بن عمر: وَقَفَ مَوْضع الْجَنَائز، فَنادى عَذيرَكَ من محارب! فَقَامَ رَسُولُ الله - ﷺ - فَزعاً فَوثَبَ وَثْبَةً شَديدة، فخرج إِليه، وَقُمْتُ في أَثره أَنظر من خَلَلِ الباب، فَإذا هُوَ دحْيَةُ الكَلْبيُّ فيما كُنْتُ أَرى - وَهُو يَنْفُضُ الغُبَار عَنْ وَجْهه، وَهُوَ مُعْتَمٌّ، وَقَال ابن إِسحاق: مُعْتَجرٌ بعمامةٍ، قَالَ الماجشُون - كما رواه أَبو نعيم عنها، سَوْدَاءَ منْ اسْتَبْرَق، مُرْخٍ منْ عمامته بَيْنَ كتفَيْه، عَلَى بَغْلةٍ شَهْبَاءَ - وفي لفظٍ: فرس - عليها رحَالَة وَعَلَيْهَا قطيفة منْ ديباج - قَالَ الماجشُون: أَحمر - عَلَى ثَنَايَاه أَثَر الغُبَار، وفي روايةٍ: قَدْ عَصَّبَ رأْسَه الغبار، عليه لأْمته،

فاتكأ رَسُولُ الله - ﷺ - على عَرْف الدَّابَّة، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا أَسْرَعْتُم مَا حللتم، عَذيْرَكَ من مُحارب! عَفَا الله عَنْك، وَفي لفظ غَفَر الله لك، أَوقدْ وَضَعْتُم السِّلاحَ قَبل أَن نَضَعَه؟ فَقَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «نَعَم قَال: فَوَالله مَا وَضَعْنَاه، وفي لفظٍ: «مَا وَضَعَت الملائكةُ السِّلاح منذُ نَزَلَ بكَ العدوُّ. وَمَا رَجَعْنَا الآن إِلاَّ منْ طلب القوم حتَّى بلغنا حمراءَ الأَسد - يعني الأَحزاب - وقَدْ هَزَمَهُم الله تَعالى، وإِنَّ الله - تعالى - يأْمُرك بقتَال بني قُرَيْظَةَ، وَأَنا عَامدٌ إِلَيْهم بِمَنْ مَعي من الملائكة لِأُزَلْزِلَ بِهِم الحصون، فاخرُجْ بالنَّاس». قال حُميد بن هلال: فقال رَسُولُ الله - ﷺ - «فإِنَّ في أَصْحَابي جَهْداً فَلَوْ أَنْظَرْتَهُم أَيَّاماً قال جبريل: انْهَض إِليهم، فَوَالله لأَدُقَّنهم كَدَقِّ البَيْض عَلَى الصَّفَا لأُضعْضعنَّها، فَأَدْبَرَ جبريلُ وَمَن معه منَ المَلائكة حتَّى سَطَع الغبارُ في زُقَاق بَني غَنْم من الأَنْصَار. قَالَ أَنس - رضي الله عنه - فيما رواه البخاري: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى الغُبار سَاطِعاً في زُقَاقِ بني غَنْم - مَوْكب جبريل حين سارَ إِلى بني قريظة[١].. انتهى.

قالت عَائشةُ: فَرَجَعْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ قُلْتُ يَا رَسُولَ الله - مَنْ ذَاكَ الرَّجُل الَّذِي كُنْتَ تكلِّمه؟ قَالَ: «وَرَأَيْتِهِ»؟ قُلْتُ نعم، قَالَ؛ «لمن تَشَبَّهْتِ»؟ قُلْت: بِدِحْيَةَ بن خليفة الكلبي، قَالَ: «ذاكِ جبريلُ أَمَرَنِي أَنْ أَمضيَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَة».

قال قتادة فيما رواه ابنُ عائذ: إِن رَسُولَ الله - ﷺ بَعَثَ يومئذ مُنَادياً ينادى «يا خَيْلَ الله آرْكَبِي» وَأَمر رَسُولُ الله - ﷺ - بِلالاً فَأَذَّن في النَّاس: «مَنْ كَانَ سَامِعاً مُطيعا فَلاَ يُصَلِّين العَصْرَ إِلاَّ ببني قُرَيْظَة».

وروى الشيخان عن ابْنِ عُمَر، والبيهقيُّ عن عَائِشَةَ، والبيهقيُّ عن الزُّهْرِيّ وعن ابن عُقْبَة، والطَّبَرانيّ عن كعب بن مالك: أَنَّ رَسُولَ الله - ﷺ - قَالَ لأَصْحابه: «عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُصَلُّوا صَلاَةَ العَصْر». وَوَقَع فِي مُسْلِم في حديث آبن عُمَر صَلاَةَ الظُّهر فأَدرك بَعْضَهُم صَلاَةَ العَصْر، وفي لَفْظِ الظهر في الطَّريق، فَقَالَ بَعضُهم: لاَ نُصَلِّيها حَتَّى نَأْتِي بَنِي قُرَيْظَة، إِنَّا لَفِي عَزِيمَةِ رَسُول الله - ﷺ - وَمَا عَلَيْنَا منْ إِثم، فَصَلَّوْا العصرَ ببني قُريظة حين وَصَلُوهَا بَعْدَ غروب الشمس. وَقَالَ بَعْضُهُم: بَلْ نُصَلِّي؛ لَمْ يُرِدْ منَّا أَنْ نَدَعَ الصَّلاةَ، فَصَلُّوا، فَذُكرَ ذَلكَ لرَسُولِ الله - ﷺ - فَلَمْ يُعَنِّف وَاحداً منَ الفريقين، وَدَعَا رَسُولُ الله - ﷺ - عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالب فَدَفَعَ إِلَيْه لوَاءه، وَكَانَ اللِّواء عَلَى حَاله لَمْ يُحَلَّ منْ مَرْجِعه منَ الخَنْدَق، فابْتَدَرَهُ النَّاس[٢].

---

(١) انظر البخاري ٤٧٠/٧ (٤١١٧).

(٢) أخرجه البخاري ٤٧١/١ (٤١١٨) وأخرج عبد الرزاق في المصنف (٩٧٣٧) والبيهقي في دلائل النبوة ٨/٤ وآبن كثير في البداية ١١٧/٤، وآنظر مجمع الزوائد ١٤٣/٦.

ذكر مسيرة رسول الله ـ صَلى الله عليه وسلم ـ إلى بني قريظة

قَالَ مُحَمَّد بن عمر، وَابنُ سَعْد، وابن هشام، والْبَلاَذُري: فَاسْتَعْمَل رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ عَلَى المدينة ابنَ أُمِّ مَكْتُوم.

قَالَ محمد بن عمر: خَرَجَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ إلَيْهِم لسَبع بقين مِنْ ذِي القعدة، ولَبِسَ رَسُول الله ـ ﷺ ـ السِّلاَحَ والدِّرع(١) وَالمِغْفَرَ وَالْبَيْضَةَ وَأَخَذَ قَنَاةً بِيَدِهِ، وَتَقَلَّدَ التُّرس، وَرَكِبَ فَرَسه اللُّحيف(٢)، وَحَفَّ به أَصْحَابُه، قَدْ لَبِسُوا السِّلاح وَرَكِبُوا الخَيل، وَكَانت الخَيْلُ سِتَّةً وثَلاثين فَرَساً وَسَارَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ في أَصْحَابه، والْخَيْلُ وَالرَّجَّالَة حَوْله قَالَ ابْنُ سَعْد: وَكَان مَعَه ـ ﷺ ثَلاثَة آلاف، قُلْت: كذا ذكر محمد ابن عمر: أن رَسُولَ الله ـ ﷺ. رَكِبَ فَرَساً. وَرَوى الطَّبراني في الأَوسط بسَنَدٍ رجَالُه ثقَاتٌ عن أَبي رافع، وَابنُ سعد عن البيهقي وغيره والطبرانيُّ عن ابن عباس: أَنَّ رَسولَ الله ـ ﷺ ـ: لَمَّا أَتَى بَني قريظة رَكبَ عَلَى حمَارٍ عُرْي يُقَالُ لَهُ يَعْفُور، والنَّاس حوله(٣).

وروى الحَاكمُ، والبيهقيُّ وَأَبُو نُعَيْم عَنْ عائشةَ وابن إسحاق عن...... ومحمد ابن عمر عن شيوخه: أَنَّ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ مَرَّ بنَفَرٍ منْ بَني النَّجار بالصَّوْرَيْن فيهم حَارثَة بْنُ النُّعْمَان قد صَفُّوا عليهم السِّلاح فقال: «هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحد؟» قَالُوا: نَعَمْ، دحْيَةُ الكلبي مر على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من استبرق وأمرنا بحمل السلاح سلاَحنَا فأخذنا وصفَفْنا، وَقَالَ لَنَا: هذا رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ يطلع عَليْكم الآن، قالَ حَارثَة بْنُ النُّعْمان: وكنا صفَّين، فَقَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ: «ذَاكَ جبْريلُ بعثَ إِلَى بَني قُرَيْظَةَ ليُزَلْزلَ بهِمْ حُصُونَهُمْ ويقْذف الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِم»(٤).

وسَبَقَ عَلِيٌّ في نَفَرٍ منَ المُهَاجِرين وَالأَنْصَار فيهمْ أَبُو قَتَادَة ـ إِلَى بَني قُرَيْظَةَ.

روى مُحَمَّدُ بْنُ عمَر عَنْ أَبي قَتَادة قَال: انْتَهَيْنَا إِلَى بني قُرَيْظَة، فَلَمَّا رَأَوْنَا أَيْقَنُوا بِالشَّرِّ، وَغَرزَ عَلِيٌّ الرَّايةَ عنْدَ أَصْلِ الحصْن، فاسْتَقْبَلُونَا في صَيَاصيهم يَشْتُمون رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ وَأَزْوَاجه. قَالَ أَبُو قَتَادة: وَسَكَتْنَا، وَقُلْنَا: السَّيفُ بَيْنَنَا وبينكم، وَانْتَهَى رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ إِلَى

---

(١) الدِّرع: قميص من حلقات من الحديد متشابكة يلبس وقاية من السلاح، يذكر ويؤنث، انظر المعجم الوسيط ٢٨٠/١.

(٢) قال في النهاية: كان اسم فرسه ـ ﷺ ـ اللحيف لطول ذنبه، فعيل بمعنى مفعول، كأنه يلحف الأرض بذنبه أي يغطيها به، انظر النهاية ٢٣٨/٤.

(٣) الطبراني في الأوسط وقال الهيثمي ١٤٤/٦ رجاله ثقات.

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٩٧٣٧) والبيهقي في الدلائل ٩/٤ وابن كثير في البداية ١١٨/٤ والحاكم ١١٨/٤، ٣٤/٣، ٣٥ وأبو نعيم في الدلائل (٤٣٧).

بَني قُرَيظة، فَنَزَلَ قَرِيباً مِنْ حِصْنِهِمْ عَلَى بِئْرِ أُنَّا بِأَسْفل حَرَّةِ بَني قُرَيْظة، فَلَمَّا رَآه عَلِيٌّ - رضي الله عنه - رَجَعَ إِلَى رَسُولِ الله - ﷺ - وَأَمَرَني أَنْ أَلْزَمَ اللِّواءَ، فلزمته، وَكَرِهَ أَنْ يَسْمَعَ رسولُ الله - ﷺ - أَذَاهُم وَشَتْمَهم. فَقَالَ لرَسُولِ الله - ﷺ: «لاَ عَلَيْكَ أَلا تَدْنو منْ هَولاء الأَخَابيث؛ فإِنَّ الله - تعالى - كَافيك اليهود. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله - ﷺ: «لِمَ تَأْمُرني بِالرُّجُوع؟ فكتمه مَا سَمِع، فَقَال: «أَظُنُّكَ سَمِعْتَ مِنْهُم لِي أَذَى» فَقَالَ: نَعَم يَا رَسُولَ الله. قال: «لو رَأَوني لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً». فَسَارَ رسول الله - ﷺ - إِليهم، وتَقَدَّمه أُسَيْد بن الحُضَير - فقال: يَا أَعداءَ الله: لا نبرَحُ عن حِصْنِكُمْ حَتَّى تموتوا جُوعاً، إِنمَا أَنتم بِمَنْزِلَةِ ثَعْلَبٍ في جُحْرٍ، فقالوا: يابن الحُضَير: نَحْنُ مواليك دون الخَزْرَج، وخاروا، فقال: لاَ عَهْدَ بيْنِي وبينكم ولا إِلاًّ وذمة، وَدَنَا رسول الله - ﷺ. وتَرَّسْنَا عنه، ونادَى بأعلى صَوته نَفَراً منْ أَشْرَافهم، حتى أَسْمَعَهم فَقَال: «أَجِيبُوا يَا إِخْوَةَ القِرَدَة والخَنَازِير وَعَبَدَةَ الطَّاغُوت هَلْ أَخْزَاكُم الله وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَه؟ أَتشْتُمُونني؟! فَجَعَلُوا يَحلِفُون مَا فَعَلْنَا، وَيَقُولُون: يا أَبَا القَاسم مَا كُنْتَ جَهُولاً، وفي لفظ مَا كُنْتَ فَاحِشاً. وَٱجْتمَع الْمسْلِمُون عِنْدَ رسولِ الله - ﷺ - عشاءً، وَبَعثَ سعدُ بنُ عبادة - رضي الله عنه - بِأَحْمَال تَمْرٍ لرسُولِ الله - ﷺ - والمسلمين. فَكَانَ طَعَامَهُم، وَقَالَ رَسُولُ الله - ﷺ يومئذ «نِعْمَ الطَّعَامُ التَّمر».

ذكر محاصرة المسلمين لبني قريظة

غَدا رَسُولُ الله - ﷺ - سَحَرا، وقَدَّم الرماةَ وَعبَّأَ أَصْحَابه فَأَحاطوا بِحُصُون يَهود، ورموهم بالنَّبْل والحِجَارَة، وَهُمْ يَرْمُون مِنْ حصُونِهم حَتَّى أَمْسَوْا، فباتوا حَوْل الحُصُون، وجَعَلَ المسلمون يَعْتَقِبُون، يَعْقُبُ بَعْضُهم بَعْضاً، فَمَا بَرِحَ رَسُولُ الله - ﷺ - يُرَاميهم حَتَّى أَيْقَنُوا بالهَلكة، وَتَرَكُوا رَمْيَ المسلمين، وقالوا: دَعُونَا نكلمكم، فَقَالَ رَسُولُ الله - ﷺ: «نعم» فَأَنْزَلُوا نبَّاش بن قيس، فكلمَّ رسولَ الله - ﷺ على أَن يَنْزِلُوا عَلَى مَا نَزَلَت عليه بَنُو النَّضِير مِنَ الأَمْوَالِ وَالحلْقَة وتَحْقِنَ دِمَاءنَا، ونَخْرُجَ مِنَ بِلاَدِكَ بالنِّسَاء والذَّراري، وَلَنَا مَا حَمَلَتِ الإِبلُ إِلاَّ الحَلْقَة، فَأَبى رسُولُ الله - ﷺ - فَقَالَ: تَحْقِنُ دمَاءنَا وَتُسَلِّمُ لنا النِّسَاءَ والذُّرِيَّةَ وَلاَ حَاجَةَ لَنَا فيما حَمَلَتِ الإِبل، فَأَبى رَسُولُ الله - ﷺ - إِلاَّ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حكْمِه، وعاد نَبَّاش إِلَيْهم بذلك.

ذكر اعتراف كعب بن أسد كبير بني قريظة وغيره بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

فَلَمَّا عَادَ نَبَّاشُ إِلى قَوْمِهِ، وَأَخْبَرَهُم الخَبر، قَالَ كَعْبُ بنُ أَسَد: يَا مَعْشَر بَني قُرَيظة، والله قَدْ نَزَلَ بِكُم مِنَ الأَمْرِ مَا تَرَوْن وَإِنِّي عَارِضٌ عَلَيْكُم خِلاَلاً ثَلاثاً، فَخُذُوا مَا شِئْتُمْ مِنْهَا، قَالُوا: وَمَا هي؟ قَال: نُتَابِعُ هَذَا الرَّجُل وَنُصَدِّقُه. فَوَالله لَقَدْ تَبَيَّنَ لكُم أَنَّه نَبِيٌّ مُرسَل، وَأَنَّهُ الَّذِي تَجِدُونَه في

كِتَابِكُمْ فَتَأْمَنُون بِه عَلَى دِمَائِكم وَأَمْوَالكم وَنِسَائِكُم، وَالله إنكم لتعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّداً نَبي، وَمَا مَنَعَنَا مِنَ الدُّخُول مَعَه إلاَّ الحسد للعرب حَيْثُ لَمْ يَكُنْ نَبياً منْ بَني إِسْرَائيل، فَهُوَ حَيْثُ جَعَلَه الله،، وَلَقَدْ كُنتُ كَارِهاً لنَقْض العَهْد والعَقْد وَلَكِنَّ البَلاَء والشؤم منْ هَذَا الجَالِس - يَعْني حُييّ بن أَخْطَب - وَلَقَد كان حُييٌّ بْنُ أَخْطَب دَخَلَ مَعَهُم في حصْنهِم حين رَجعتْ عَنْهُم قُرَيش وَغَطَفَان، وَفَاء لكعب بن أَسَد، بِمَا كَانَ عَاهَدَه عَلَيه - أَتَذْكُرُونَ مَا قَالَ لَكُمْ ابن جَوّاس حيْن قَدم عليكم: تركت الخَمْرَ والخميرَ والتمير، وَأُجِئْتُ إِلى السِّقَاء والتَّمْرِ والشَّعِير، قَالُوا: وَمَا ذَاك؟ قَالَ: إِنَّه يخرج بِهَذِه القَرْية نَبيٌّ، فَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا حيٌّ أَتْبَعْه وأَنْصره، وَإِنْ خَرَجَ بَعْدِي، فاياكم أَنْ تُخْدَعوا عنه، واتَّبِعُوه، فَكونُوا أَنْصارَه وَأَوْلِيَاءه، وَقَدْ آمَنْتُم بِالكتَابَين، كِلَيْهِمَا الأَوَّل والآخر، وَأَقرِئُوهُ مِنِّي السَّلاَم، وَأَخْبِرُوه أَنِّي مُصَدِّقٌ به. قَالَ كَعْب: فَتَعَالَوْا فلْنُتَابِعْه وَنُصَدِّقه، فَقَالُوا: لاَ نُفَارِقُ حُكْمَ التَّوراة أَبَداً، وَلاَ نَستَبْدِلُ بِه غيْرَه، قَال: فإذا أَبَيْتُمْ عَلَيَّ هَذِه فَهَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ أَبْنَاءنَا وَنِسَاءنَا، ثُمَّ نَخْرُج إِلى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابه رجَالاً مُصْلتينَ السُّيُوف وَلَمْ نَتْرك وَرَاءنَا ثقَلاً حَتَّى يَحْكُمَ الله بَيْنَنَا وبَيْنَ محمد، فَإِنْ نَهْلك نَهْلك، وَلَمْ نَتْرُك وَرَاءنَا نَسْلاً نَخْشَى عَلَيْه، إِنْ نَظْهَر فَلَعَمْري لَنَجِدنَّ النِّسَاء والأَبْنَاء. قَالُوا: أَنَقْتُل هَؤلاء المَسَاكين؟! فَمَا خَيْرُ العَيْش بَعْدهُم؟ قَالَ: فَإِنْ أَبَيْتُمْ عَلَّى هذه فإِن اللَّيْلَةَ لَيْلَة السَّبْت، وَأَنَّه عَسَى وَأَنْ يَكُونَ محمدٌ وأَصحابُه قَدْ أَمِنُوا فيْهَا فَانْزِلُوا، لَعَلَّنَا نُصيبُ منْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابه غرّة، قَالُوا: نُفْسدُ سَبْتَنَا ونُحدثُ فيه ما لم يُحدثْ فيه مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِلاَّ مَن قَدْ عَلِمْتَ فَأَصَابَه مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْك مِنَ المَسْخ! فَقَالَ: ما بَاتَ رَجُلٌ منكم مُنْذُ وَلَدَتْه أُمُّه لَيْلَةً واحِدَةً مِنَ الدّهرِ حَازِماً، فَقَال ثَعْلَبَة وأسيد ابْنَا سَعْيَة، وأَسَدُ بنُ عُبَيْد ابن عمّهم، وهم نفرٌ من هذيل لَيْسُوا مِنْ بَني قُرَيْظَةَ، وَلاَ النَّضِير، نَسَبهم فَوْق ذَلِكَ وَهُم بَنُو عَمِّ القَوْم: يَا مَعْشَرَ بَني قُرَيْظَةَ، والله إِنكم لَتَعْلَمُون أَنَّه رسولُ الله، وَأَنَّ صِفته عِنْدَنَا، وَحَدَّثَنَا بِهَا عُلَمَاؤُنا وَعُلَمَاء بَني النَّضير، هَذَا أَولهم: يَعْني حُيَيَّ بْنَ أَخْطَب مع جُبَير بن الهَيبَان - أنه أَصدقُ النَّاس عنْدَنا، هو خَبَّرنَا بصفته عنْدَ مَوْته. قَالُوا: لا نُفَارِقُ التَّوراة. فَلَمَّا رأَى هَولاء النَّفَرُ إِبَاءهُم نَزلُوا تلْكَ الليلة الَّتي في صبحها نزلت بنو قُرَيْظَة فَأَسلموا وَأَمِنُوا على أَنفسهم وَأَهليهم وَأَموالهم.

وقال عمرو بن سُعْدَى: يَا مَعْشَرَ يَهُود، إنكم قَدْ حَالَفْتُم مُحَمَّداً عَلَى مَا حَالَفْتُمُوه عليه، فَنَقَضْتُم عَهْدَه الذي كَانَ بينكم وبينه، فَلَمْ أَدْخُل فيه، وَلَمْ أَشركم في غدركم، فَإِنْ أبيتم أن تدخُلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزْيَةَ فَوَالله مَا أَدري يَقْبلها أَمْ لا، قَالُوا: فَنَحْن لا نُقرُّ للعربِ بِخرج في رقَابِنَا يَأْخذونه، القَتْلُ خَيْرٌ مِنْ ذَلِك، قَالَ: فَإِنّي بريء منكم. وخَرَجَ في تِلْكَ اللَّيْلَة مع ابني سَعْيَة، فَمَرَّ بحَرَسِ رَسُولِ الله - ﷺ - وعليهم محمد بن مَسْلَمَة، فَقَال محمد: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عَمْرُو بْنُ سُعْدَى، قَالَ مُحَمَّد: مُرَّ اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمنِي إِقَالَةَ عثَرَات الكرام، وَخَلَّى

سبيله، وَخَرَج حَتَّى أَتى مَسْجد رسول الله - ﷺ - فَبَاتَ به حَتَّى أَصْبَح فلما أَصبح غدا فلم يدْر أَنَّى هُوَ حَتَّى السَّاعة فذكر شأْنه لرسول الله - ﷺ -. فَقَال: «ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاه الله بِوَفَائِه»(١).

ذكر طلب يهود أبي لبابة وما وقع له ونزول توبته

قَالَ أَهْلُ المغازي وَجَدَّ رَسُولُ الله - ﷺ - في حِصَارِهِم، فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِم الحِصَارُ أَرْسَلُوا إِلى رسول الله - ﷺ - لَيْلَةَ السَّبت أَن آبعث إِلَيْنَا أَبا لُبَابة بن عبد المنذر(٢) فنستشيره في أَمْرنا فَأَرسله إِليهم رَسُولُ الله - ﷺ - فلما رَأَوْهُ قَامَ إِليه الرِّجال وبَهَش إِليه النِّسَاء والصِّبْيانُ يَبْكُون في وَجْهِه، فرقَّ لَهُم، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ أَسَد: يَا أَبَا لُبَابة، إِنَّا قَدْ آخْتَرْنَاكَ عَلَى غَيْرِك، إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ أَبى إِلاَّ أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حكمه أَفترى أَن ننزل على حكمه؟ قَال نَعم، وَأَشَارَ بِيَده إِلَى حَلْقه أَي أَنه الذَّبح. قَالَ أَبو لُبَابَة: فَوَالله مَا زَالَتْ قَدَمَاي عَنْ مَكَانهمَا حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي قَدْ خُنْتُ الله وَرَسُوله. فَنَدِمْتُ وآسْتَرْجَعْت فَنَزَلْتُ وَإِنَّ لحيَتي لمبْتَلَّةٌ منَ الدُّموع، والنَّاسُ يَنْتَظرُون رُجُوعي إِلَيْهِم حَتَّى أَخَذْتُ منْ وَرَاءِ الحصْنِ طَرِيْقاً أُخْرَى، حتى جِئْتُ إِلَى المَسْجِد، وَلَمْ آت رَسُولَ الله - ﷺ - فَارْتَبَطْتُ وَكَانَ آرْتِبَاطي عَلَى الأَسطُوانَةِ المخلقة الَّتي يُقَالُ لَهَا أُسْطوانة التَّوْبَة، وَقُلْتُ لاَ أَبرحُ مِنْ مَكَاني حَتَّى أَموت أَو يَتُوبَ الله عَلَيّ مِمَّا صَنَعْت، وَعَاهَدتُ الله تَعَالى بأَلا أَطَأَ أَرْضَ بَني قُرَيْظَة أَبَداً وَلاَ أَرَى فِي بَلَد خُنْتُ الله تَعَالى ورسوله - ﷺ - فيه أَبَداً، وَبَلَغ رَسُولَ الله - ﷺ - ذهَابِي وَمَا صنَعْتُ، فَقَال: «دَعُوه حَتَّى يُحدِثَ الله تَعَالَى - فيه مَا شاء، لَوْ كَانَ جَاءني اسْتَغْفَرتُ له، فَإِذَا لَم يَأْتِني وَذَهَب، فَدَعُوه». وَأَنْزَلَ الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الأنفال ٢٧] قَالَ أَبُو لُبابة: فَكُنْتُ فِي أَمْر عَظِيم، في حَرٍّ شَديد عدَّة لَيَالٍ لاَ آكُلُ فيهنَّ وَلاَ أَشْرَب، وَقُلْتُ: لاَ أَزَالُ هَكَذَا حَتَّى أُفَارقَ الدُّنْيا، أَو يَتُوبَ الله عَلَيَّ. وَأَذْكرُ رُؤْيا رَأَيْتهَا فِي النَّوم ونَحْنُ مُحَاصِرُونَ بني قُرَيْظَة. كَأَنِّي في حَمْأَةٍ آسنَة، فَلَمْ أَخْرُجْ منْها حَتَّى كدْتُ أَمُوتُ منْ ريحهَا، ثُمَّ أَرى نَهْراً جَارياً فَأُرَاني اغْتَسَلْتُ فيه حَتَّى اسْتَنْقَيْتُ وَأُرَاني أَجِدُ ريحاً طَيِّبَةً فَآسْتَعْبَرتهَا أَبَا بَكْر فَقَالَ: لَتَدْخلَنَّ فِي أَمْرٍ تَغْتَمُّ له، ثُمَّ يُفْرَجُ عنْدَئذ، فكنت أَذْكرُ قَوْلَ أَبي بَكْرٍ وَأَنَا مُرْتَبِطٌ، فَأَرْجُو أَن يُنْزِلَ الله تَعَالَى - تَوْبَتي. قَالَ: فَلَمْ أَزَل كَذَلك حَتَّى مَا أَسْمَعَ الصَّوتَ منَ الجَهْد - وَرَسُولُ الله - ﷺ - يَنْظرُ إِليَّ.

قَالَ ابن هشَام: أَقَامَ مُرْتَبِطاً ستَّ لَيَالٍ تَأْتيه آمرَأَتهُ كلَّ صَلاَةٍ فَتحلُّه حَتَّى يَتَوضَّأَ ويصلي ثُمَّ يَرْتَبِط.

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في البداية ١٢١/٤.

(٢) أبو لبابة، الأنصاري المدني، اسمه بشير، وقيل رفاعة بن عبد المنذر، صحابي مشهور، وكان أحد النقباء، وعاش إلى خلافة علي، ووهم من سماه مروان. التقريب ٤٦٧/٢.

وَقَالَ ابن عُقْبَة: زَعَمُوا أَنَّه آرتبط قَرِيباً مِنْ عِشْرِينَ لَيْلَة. قَالَ في البِدَاية: وَهَذَا أَشْبَهُ الأَقَاوِيل، وَقَالَ ابنُ إِسْحَاق: أَقَامَ مُرْتَبِطاً خَمْساً وَعِشْرِين لَيْلَةً. قَالَ أَبُو عمر: روى ابن وهب عَنْ مَالك عَنْ عبْد اللّه بن أَبي بكر أَن أَبَا لُبَابَة آرْتَبَطَ بِسِلْسَلَة رَبُوض والرَّبُوضُ الثَّقِيلَةُ - بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَة حَتَّى ذَهَبَ سَمْعُه فَمَا يَكَادُ يَسْمَع، ويَكَادُ يَذْهَبُ بَصَره. وَكَانَتْ آبنته تَحُلُّهُ إِذا حَضَرَت الصَّلاةُ أَو أَرَادَ أَن يَذْهب لحاجته فإِذا فَرَغَ أَعَادَت الرباط. والظَّاهر أَنَّ زَوْجَته كَانت تُبَاشِرُ حَلَّهُ مَرَّةً وَآبنته مَرَّة.

وَأَنْزَلَ الله تَعَالى - في تَوْبَة أَبي لُبَابة ﴿وَآخَرُونَ آعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَملاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى الله أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة ١٠٢]

قَالَ ابنُ إِسْحَاق: حَدَّثَني يزيد بن عبد اللّه بن قُسَيْط: إِن تَوْبَةَ أَبي لُبَابة نزلت على رَسُولِ الله - ﷺ من السحر وَهُوَ في بَيْت أُمِّ سلمة، قَالَت أُمُّ سَلَمَة: فَسَمِعْتُ رَسُولَ الله - ﷺ مِنَ السَّحر وَهُو يَضْحكُ، قَالت: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مِمَّ تَضْحَكُ؟ أَضْحَكَ الله سِنَّك؛ قَال: «تيبَ عَلَى أَبِي لبَابَة» قَالَت: فَقُلْتُ أَفَلاَ أُبَشِّرُهُ يَا رَسُولَ الله؟ قَال: بَلَى إِنْ شِئْت» قَالَ: فَقَامَت عَلَى بَابِ حُجْرَتهَا - وَذَلكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهن الحجاب - فَقَالَتْ: يَا أَبَا لُبَابة، أَبْشِرْ فَقَدْ تَابَ الله عَلَيْكَ قَالَت: فَسَارَ النَّاسُ إِلَيْه ليُطْلقُوه، فَقَالَ: لاَ والله حَتَّى يكونَ رَسُولُ الله - ﷺ - هُوَ الَّذي يُطْلقُني بيده. فَلَمَّا مَرّ عليه خَارِجاً إِلى صَلاَة الصُّبْح أَطْلَقَه. قَالَ السُّهَيْلِيُّ وَرَوى حَمَّاد بن سلمة عَنْ علي بن زيد عن علي بن الحسين - رضوان الله عليهم أَجمعين - قال: إِن فاطمة - رضي الله عنها. جاءت تَحُلّه فقال إِنّي حَلَفْتُ أَلا يَحُلَّني إِلا رسول الله - ﷺ - فقال النبي - ﷺ: «إِنَّ فَاطمَة بِضْعَةٌ منِّي» قلت: علي بن زيد هو ابن جدعان ضعيف، وعلي بن الحسين روايته مرسلة - قَالَ أَبو لُبَابة: يا رسولَ الله إِنَّ منْ تَوْبتي أَنْ أَهْجُرَ دَارَ قَوْمِي الَّتي أَصَبْتُ فيها الذنب، وَأَن أَنخلع منْ مَالي كلّه صَدَقَةً إِلى الله وَإِلَى رسوله. قَالَ: «يجزئك الثُّلث يَا أَبا لُبابة»(١).

ذكر نزول بني قريظة على حكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورده الأمر إِلى سعد بن معاذ - رضي الله عنه -

فَلَمَّا جَهَدهم الحِصَارُ، نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُول الله - ﷺ - فَأَمَرَ رَسُولُ الله - ﷺ بأَسراهم فكُتِّفوا رِبَاطا، وَجَعَلَ عَلَى كِتَافِهِم محمد بنَ مَسْلَمة، وَنُحُّوا نَاحِيةً، وَأَخرَجُوا النِّسَاء والذُّرِّية مِنَ الحُصُون فَكَانوا ناحية وَآستَعْمَلَ عليهم عَبْدَ اللّه بن سَلام، وَجُمعَتْ أَمتعتُهم وَمَا

(١) اخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٧٤٥) والطبري ٩/٤٦ وابن حبان ذكره الهيثمي في الموارد ص (٢١٤) حديث (٨٤١).

وُجِدَ في حُصُونهم منَ الحلْقَة والأَثَاث وَالثِّيَاب، وَوَجَدُوا فيها أَلْفاً وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع، وَأَلْفَي رُمْح، وأَلفاً وخمسمائة تُرْس وحجَفة(١) وَأَثَاثَا كثيراً، وآنية كثيرة، وَخَمْراً، وَجِرَاراً، وسكرا فَهُرِيقَ ذَلكَ كله. وَلَمْ يُخَمِّسه وَوَجَدَ مِن الجِمَال النَّوَاضِح عِدَّةَ، وَمِنَ المَاشيةِ شَيْئاً كَثيراً، فجمع هذا كله.

وَتَنَحَّى رسول الله - ﷺ - وَجلَسَ وَتَوَاثبت الأَوْسُ إلى رَسُولِ الله - ﷺ - فَقَالوا: يا رَسُولَ الله حُلَفَاؤُنَا دَونَ الخزرج، وَقَدْ رأَيتَ ما صنعتَ بَبَني قَيْنُقَاع بِالأَمْس حلفاء ابن أُبَيّ وهبتَ له ثلاثمائة حَاسِر، وأَربعمائة دارع. وَقَدْ نَدِمَ حُلفَاؤُنَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَقْضِهِم العهد فَهَبْهُم لَنَا، ورَسُولُ الله - ﷺ - سَاكتٌ لاَ يَتَكَلَّم حَتَّى أَكْثَرُوا عَلَيْه وأَلَحُّوا وَنَطَقَتْ الأَوس كلُّها، فَقَالَ رَسُولُ الله - ﷺ: «أَما تَرْضَوْنَ أَنْ يكونَ الحكمُ فيهم إلى رجل منكم»؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «فَذَلِكَ إلى سَعْد بن مُعَاذ»(٢).

وَقَالَ آبْنُ عُقْبَة: فَقَالَ رَسُولُ الله - ﷺ: «اخْتَارُوا مَنْ شِئْتم منْ أَصْحابي» فَاخْتَارُوا سَعْدَ بْنَ مُعَاذ، فَرَضِي بذَلِك رَسُولُ الله - ﷺ - وَسَعْدٌ يومئذٍ في المسجد بالمدينة، في خيمة كُعَيْبَة بنت سُعَيْد - بالتَّصْغير فيهما - الأَسْلَمِيّة، وكَانَتْ تُدَاوِي الجَرْحى وتَلُمُّ الشَّعَث، وتقوم عَلَى الضَّائع الَّذِي لاَ أَحَدَ له، وَكَانَ لَهَا خيمةٌ في المسجد، وَكَانَ رَسُولِ الله - ﷺ - جعل سَعْدَ بن مُعَاذٍ فيها لِيَعُودَه مِنْ قريب فَلَمَّا جَعَلَ رَسُولُ الله - ﷺ - الحكْمَ إلى سَعْدٍ خَرَجَت الأَوْسُ حَتَّى جاءُوه فَحَمَلُوه عَلَى حِمَارٍ بأَعرابي بشَنَدَة مِنْ ليف وَعَلَى الحمار قطيفة فَوْقَ الشَّنَدَة، وخطامه مِنْ ليف، وَكَانَ رجُلاً جَسيماً، فَخَرَجُوا حَوْلَه يَقُولُون: يَا أَبَا عمرو، إنَّ رَسُولَ الله - ﷺ - قَدْ وَلاَّكَ أَمْرَ مَوَاليك لتُحْسنَ فيهم، فَأَحْسنْ فَقَدْ رأَيتَ ابنَ أُبَيّ وَمَا صَنَعَ في حُلَفَائه، وأَكثروا منْ هذا وشبْهِه، وَهُوَ لاَ يَتكلم، حَتَّى إذا أَكثروا عليه قال سعد: قد آنَ لسعدٍ أَلاَّ تَأْخُذَه في الله لومةُ لائم، فقال الضَّحَّاك بن خليفة بن ثعلبة بن عَدِيّ بن كعب بن عبد الأَشْهَل الأَنْصَارِي: وَاقَوْمَاه! وَقَالَ غيرُهُ منْهُم نَحْوَ ذلك ثُمَّ رَجع الضَّحَّاكُ إلى الأَوسِ فَنَعَى لهم رِجَالَ بني قُرَيْظَة قَبْلَ أَنْ يَصلَ إلَيْهِم سعد؛ عنْ كَلِمَتِهِ الَّتِي سَمِعَ مِنْه، وأَقْبَلَ سعدٌ إلى رسُولِ الله - ﷺ والنَّاسُ حَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ جُلُوسٌ، فَلَمَّا طلع سَعْدُ بن مُعَاذ - وفي الصَّحِيحَيْن - فَلَمَّا دَنَا مِنَ المَسْجد: أَي الذي كان فيه رَسُولُ الله - ﷺ - أَعَدَّه بِبَنِي قُرَيْظَة أَيام حِصَارِهِم للصلاة، قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ: «قُومُوا إلى سَيِّدكُم» وفي لفظ «خَيْرِكم» فَأَمَّا المهاجرون مِنْ قريش فَإنَّمَا يقولون: إنَّما أَراد الأَنْصار، وأَمَّا الأَنْصارُ فَيَقُولُون: قَدْ عمَّمَ بها رَسُولُ الله - ﷺ -

(١) الحجفة: الترس من جلود بلا خشب ولا رباط من عصب، انظر المعجم الوسيط ١٥٨/١.
(٢) اخرجه البخاري ٤٧٥/٧ (٤١٢١).

المسلمين، وَعِنْدَ الإمام أحمد «قُومُوا إِلى سَيِّدكم» فَأنزلوه، وَكَانَ رجال من بني عبد الأَشهل يقولون: قُمْنَا له عَلى أَرجلنا صَفَّيْن، يُحَيِّيه كلُّ رجُلٍ منَّا حتَّى آنتهى إِلى رَسُولِ الله - ﷺ.[١]

وفي حديث جَابِرٍ - رضي الله عنه: عِنْدَ ابن عائذ، فقال رسولُ الله - ﷺ: - احكمْ فيهم يا سعد، فقال: اللَّهُ ورسولُه أَحق بالحكم. قال: «قَد أَمَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَحْكُمَ فيهم». وَقَالَت الأَوسُ الّذين بَقُوا عند رسولِ الله - ﷺ: يا أَبا عمرو: إِنَّ رسولَ الله - ﷺ - قد وَلاك الحُكم في أَمْرِ مَوَاليك فَأَحْسِن فيهم، وآذكر بَلاءِهم عنْدَك، فَقَالَ سَعْد: أَتَرضَوْن حُكمي لبني قُرَيْظَة؟ قالوا: نعم، قد رضينا بِحُكْمك، وَأَنْتَ غائبٌ عنا، اختياراً منا لك، ورَجَاء أَنْ تمُنَّ علينا كما فعل غيْرُك بِحُلَفَائه بني قَيْنُقَاع، وأَثرنا عندك أَثَرُنا، وأَحوج ما كنا اليوم إِلى مُجَازَاتك. فقال سعد: ما آلوكم جهداً، فقالُوا: مَا يَعْني بِقَوْلِهِ هَذَا؟ ثم قال سعد: عليكم عهدُ الله وميثاقُه؛ أَنّ الحكم فيهم ما حكَمت؟ قالوا: نعم، ثم قَالَ سَعْد لِلنَّاحية الَّتي فيها رسولُ الله - ﷺ - وهو مُعْرِضٌ عنها إِجْلالاً لرسولِ الله - ﷺ - وَعَلَى مَنْ هاهنا مثل ذلك؟ فقالَ رسولُ الله - ﷺ - ومنْ معه: «نعم» قَالَ سَعْد: فَإِنِّي أَحكمُ فيهم أَنْ يُقتَل كلُّ مَنْ جَرَت عَلَيه المُوسَى، وتُسْبَى النِّسَاء والذُّرِّية، وتُقَسَّم الأَموال وتكون الدِّيارُ للمهاجرين دون الأَنصار. فقالت الأَنصار. إِخواننا كنَّا معهم، فَقَالَ: أَحْبَبتُ أَنْ يَسْتَغْنُوا عنكم» فقال رسولُ الله - ﷺ -: لقد حكَمْتَ فيهم بِحُكْمِ الله الَّذِي حَكَم بِهِ من فوق سَبْع سَمَوات[٢].

وذكر ابن إِسحاق في غير رِوايَة البَكَّائِي: أَنَّ رَسُولَ الله - ﷺ - قَالَ في حُكْم سَعْد: «بِذَلِكَ طَرَقَني المَلَكُ سَحَراً»، وَكَانَ سعدُ بنُ مُعَاذ في الليلة التي في صبيحتها نَزَلَتْ بنو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْم رَسُولِ الله - ﷺ - قَدْ دَعَا فَقَال: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئاً فأَبقني لَهَا فَإِنَّه لاَ قَوْمَ أَحَبُّ إِليَّ أَن أُقَاتِلَهُم مِنْ قَوْمٍ كَذَّبوا رَسُولَك آذوه وَأَخْرَجُوه، وَإِنْ كَانَت الحربُ قَدْ وَضَعَتْ أَوْزَارَهَا عَنَّا وَعَنْهُم فَآجْعَلْها لي شَهَادَة، ولاَ تُمتني حَتَّى تُقر عيني مِنْ بَنِي قُرَيْظَة، فَأَقَرَّ الله تَعَالَى عَيْنَه مِنْهُم[٣].

ذكر قتلهم وأخذ أموالهم وسبي ذراريهم

فلما حَكَم سعدُ، بما حَكَمَ، وآنْصَرَفَ رسولُ الله - ﷺ - يوم الخميس لتسعٍ ليالٍ كما

(١) انظر التخريج السابقة وانظر احمد ٢٢/٣ وابن أبي شيبة ٤٢٥/١٤ والبيهقي في دلائل النبوة ١٨/٤ ومسلم في الجهاد باب ٢٢ رقم (٦٤) وأبو داود (٥٢١٥) والترمذي ٨٥٦ والطبراني في الكبير ٦/٦ وانظر المجمع ١٣٨/٦ وابن أبي شيبة ٤٢٥/١٤ وابن سعد ٤/٢/٣.

(٢) وأخرجه ابن سعد ٤/٢/٣،٥ وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ٩٧/١ ومن حديث أبي سعيد البخاري ١٦٥/٦ (٣٠٤٣) ومسلم ١٣٨٨/٣ (١٧٦٩/٦٤) والبخاري (١٢٣/٧).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧٨/٣، والقرطبي في التفسير ٣٩٥/٧.

ذكر محمد بن عمر وابن سعد، وجزم به الدّمياطي، وقيل لخمسٍ ـ كما جُزم به في الإشارة ـ خَلَوْن من ذي الحجة، وأَمَرَ بِهِم فأُدْخِلُوا المدينة، وأَمر رسولُ الله ـ ﷺ ـ بالسَّبْي فَسِيقُوا إلى دَار أُسَامَة بْنِ زَيْد، والنّساء والذُّرِّية إلى دَارِ رَمْلَة بِنْتِ الحَارِث، ويُقَال حُبسُوا جميعاً في دار رمْلَة، وأمر لهم رسول الله ـ ﷺ ـ بأحمال تَمْر فنثرت لهم، فَبَاتُوا يَكْدِمُونَهَا كدْم الحُمُر، وَأَمَرَ بالسّلاَح والأَثَاث والمتاع والثياب فحمل إلى دار ابنة الحارث وبالإبل والغنم ترعى هناك في الشَّجر، فَلَما أَصبح رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ غَدَا إلى السُّوق، فَأَمَرَ بأُخدود فخُدَّت فِي السُّوق مَا بَيْنَ مَوضِع دَارِ أَبِي الجَهْمِ العدوي إِلَى أَحْجَار الزَّيت، فكان أَصحابه هناك يَحْفرون، وَجَلَسَ رسول الله ـ ﷺ ـ ومعه علية أَصحابه وَدعَا برجَالِ بني قُرَيْظَة، فَكَانُوا يخرجُون أَرْسالاً، تُضْرَبُ أَعْنَاقُهُم في تِلْكَ الخَنَادِق، فقالوا لكعب بن أَسد ـ وهم يُذْهَبُ بِهِمْ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ أَرْسَالاً: يَا كَعْبُ، ما ترى محمداً يَصْنَع بنا؟ قال: ما يَسُوءُكُم، ويلكم! على كل حالٍ لاَ تَعْقِلُون!! أَلاَ تَرَوْنَ الدَّاعِي لا ينزِع، وَأَنَّه مَنْ ذَهَبَ منكم لاَ يَرْجع؟ هو والله السَّيف، قَدْ دَعَوْتُكم إلى غَيْرِ هَذَا فَأَبَيْتُم عَلَيّ قالوا: لَيْسَ هذا بحين عِتَاب، لولا أَنَّا كَرِهْنَا أَن نُزرى برأْيِك مَا دخلنا في نَقْض العَهْد الَّذي كان بَيْنَنَا وبَيْنَ مُحمَّد، قَالَ حُيَيّ بن أَخطب: آتركوا ما تَرَوْنَ من التَّلاَوُم، فإنه لا يُردُّ عنكم شَيْئاً، وآصْبِرُوا للسيف، وكان الذين يلون قَتْلَهُم عليّ ابن أَبِي طالب والزبير بن العوام وَجَاء سَعْدُ بنُ عُبَادة والحُبَابُ بْنُ المُنْذر، فَقَالا: يا رسول الله، إِن الأَوْس قد كَرِهَتْ قَتْلَ بني قُرَيْظَةَ لمَكَانِ حلفهم، فقال سعدُ بنُ مُعَاذ: ما كرِهَه من الأَوْس أَحدٌ فيه خَيْرٌ، فَمَنْ كَرِهَهُ فَلاَ أَرضاه الله. فقام أُسَيْدُ بن الحُضَيْر ـ رضي الله عنه ـ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله: لا تُبْقِين دَاراً مِنْ دُورِ الأَوْسِ إِلاَّ فَرِّقْتَهُم فيها، فَمَنْ سَخِطَ فلا يُرْغِمُ الله إِلاَّ أَنْفَه، فَابْعَثْ إلى دَاري أَوَّل دورهم، فَفَرَّقَهُمْ فِي دِور الأَوس فَقَتَلُوهم، ثُمَّ أُتي بِحُيَيّ بْن أَخْطَب[١] مَجْمُوعَةً يَدَاه إلى عُنُقِه، عَلَيْه حُلَّة شُقْحِيَّة. وقال ابن إسحاق: فُقَاحِيَّة قَدْ لَبِسها للقتل، ثُمَّ عمد إليها فشقّها أَنْمُلَةً أَنْمُلَةً لِئلاً يَسْلُبَه أَيَّاها أَحَدٌ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ حين طلع: «أَلَمْ يُمكِّن الله مِنْك يَا عَدُوَّ الله: قال بلى والله، أَمَا وَالله مَا لُمْتُ نَفْسِي في عَدَاوَتك، وَلَقَد آلتَمَسْتُ العزَّ في مكانه فَأَبَى الله إلاَّ أَنْ يُمكِّنَك. وَلَقَدْ قَلْقَلْتُ كُل مُقَلْقِل، ولكنه من يَخْذُل الله يُخْذَل. ثم أَقْبَلَ على النَّاس فقال: أَيُّها النَّاس، لاَ بَأْسَ بأَمْرِ الله، قَدَرٌ وَكِتَابٌ ومَلْحَمَةٌ كتبت على بني إسرائيل! ثُمَّ جَلَسَ فضُرِبَتْ عُنُقُه، وَأُتِي بنبَّاش بن قيس وقَدْ جابذ الذي جاء به حَتَّى قَاتَله فدَقَّ الذي جاء به أَنْفَه فَأَرْعَفَه. فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ للذي جَاء به «لـم صنعتَ هذا به. أَمَا كَانَ فِي السَّيْف كفاية؟» فَقَالَ: يَا

---

(١) حيي بن أخطب النضري: جاهلي. من الأشداء العتاة. كان ينعت بسيد الحاضر والبادي. أدرك الإسلام وآذى المسلمين. فأسروه يوم قريظة. ثم قتلوه. توفي سنة ٥هـ، الأعلام ٢٩٢/٢.

رَسُولَ الله، جَابَذَني لأَن يهرب، فَقَالَ نَبَّاش: كَذَبَ والتَّوراة يَا أَبَا القاسم، لَوْ خلاَّني مَا تأَخرت عَنْ مَوْطنٍ قُتِلَ فيه قَوْمِي حَتَّى أَكُونَ كَأَحَدِهِم، فَقَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ: «أَحْسِنُوا إِسَارَهُم وَقَيِّلُوهُم وَآسقُوهُم، حَتَّى يُبْرِدُوا، فَتَقْتُلُوا مَنْ بَقِي، لا تَجْمَعُوا عَلَيْهِم حَرَّ الشَّمْسِ وحَرَّ السِّلاَحِ» وَكَان يَوْماً صَائِفاً، فَقَيَّلُوهُم وَسَقَوهُم، فَلَمَا أَبْرِدُوا رَاحَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ فقتل مَنْ بقي، وأُتِي رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ بِكَعْبِ بْنِ أَسَد، فَقَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ: «كعب»؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِم قَالَ: مَا أنْتَفَعْتُمْ بنُصْح ابْنِ جوَّاس لكُم، وكَان مُصَدِّقاً بي، أَمَا أَمَرَكم باتْباعي، وَإِنْ رَأَيْتُمُوني أَنْ تُقْرُوني منْه السَّلام»؟ قال: بَلَى والتَّوراة يا أَبا القَاسم، ولَوْلاَ أَنْ تُعَيِّرَني يَهُودُ بالجزع من السَّيف لاَتَّبعْتُكَ ولكنـي عَلَى ديـن يَهُـود، قَـالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ «قَدِّمْه فاضْرب عُنُقَه» فَأَمَرَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ بِقَتْلِ كلٍّ من أَنْبَتَ منْهم.

وروى ابن إِسحاق، والإِمام أَحمد، وأَبو داودَ، والترمذي في صحيحه، والنسائي عن عطية القُرَظِيِّ قال: كنْتُ غُلاَماً فَوَجَدُوني لَمْ أُنْبت، فَخَلَّوا سبيلي(١).

وروى الطبراني عَنْ أَسْلم الأَنْصاري قَالَ: جَعَلَني رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ على أَسَارى قُرَيْظَة، فكنت أَنْظُر إِلى فرج الغلام فَإِنْ رأَيْتُه أَنْبَتَ ضربت عنُقَه، وأَنْ لم أَرَه جعلته في مغانم المُسْلمين(٢).

وَكان رِفاعةُ بن شمْوال القُرَظيُّ رَجلاً قَدْ بَلَغ، فَلاَذَ بِسَلْمَى بنْتَ قيس أُم المنْذر، أُخت سَليط بن قيس، وكانت إِحدى خَالاَت النبي ـ ﷺ ـ قَدْ صلَّت القبلَتَين مَعَ رَسُول الله ـ ﷺ ـ وَبَايعْته مع بَيْعة النِّسَاء، فقالت: يا نبيَّ الله، بِأَبي أَنتَ وَأُمِّي، هَبْ لي رِفَاعة، فَإِنَّه زَعَمَ أَنه سَيُصَلِّي، وَيَأْكلُ لحمَ الجَمَل، فَوَهَبَهُ لَهَا فاستحيته فَأَسلم بعد.

وَلم يزل ذلك الدأب حتَّى فرغ منهم رسول الله ـ ﷺ ـ فَقُتِلُوا إِلى أَن غَابَ الشَّفق، ثُمَّ رَدَّ عليهم التُّرَاب في الخندق، كُلُّ ذَلكَ بِعَيْنِ سَعْد بن مُعَاذ فَآسْتَجابَ الله دَعْوتهُ وَأَقَرَّ عيْنَه ـ رضي الله عنه

وَلَم يُقْتَلْ مِن نسائهم إِلاَّ امْرَأَةٌ واحدَة منْ بني النَّضير يُقَالُ لها نُبَاتة تَحْتَ رجل من بَني قُرَيْظَة يُقَالُ لهُ الحَكَم، وَكَان يُحبُّهَا وتُحبّه، فَلَمَّا آشْتَدَّ عَلَيْهِم الحِصَارُ بَكَتْ إِلَيْه وقَالَتْ إِنَّك لمُفَارِقي، فَقَالَ: هو والتَّوراة، مَا تَرَيْن فَأَنْتِ آمرأَةٌ، فَدَلِّي عَلَيْهِمْ هَذِه الرَّحَى، فإِنَّا لم نَقْتُلْ مِنهم أَحَداً بعد، وَأَنْتِ آمرأَة، وَإِنْ يَظْهَرْ محمدٌ عَلَيْنَا فإِنَّه لاَ يَقْتُل النِّسَاء، وَإِنَّما كَرِهَ أَنْ تُسْبَى؛ فَأَحبَّ

---

(١) أَخرجه أحمد ٣٨٣/٤ والدارمي ٢٢٣/٢ وأبو داود ٥٦١/٤ (٤٤٠٤) والترمذي ١٤٥/٤ (١٥٨٤) وقال حسن صحيح والنسائي ١٥٥/٦ وآبن ماجه ٨٤٩/٢ (٢٥٤١).

(٢) الطبراني في الصغير والأوسط قال الهيثمي ١٤٤/٦ فيه جماعة لم أعرفهم.

أَن تُقْتَل، وَكَانت في حِصْن الزُّبير بن بَاطَا فَدَلَّتْ رَحًى منْ فَوْقِ الحِصْن، وَكان المُسْلِمُون رُبَّمَا جَلَسُوا تحتَ الحصْنِ يَسْتَظِلُّون في فَيْئِه، فَأَطْلَعَتْ الرَّحَى فلَمَّا رَآها القَوْمُ آنفَضُّوا، وَتُدْرِكُ خَلاَّدَ بن سُويد فَتَشْدَخُ رَأْسَه، فَحَذِرَ المسْلِمُون أَهْلَ الحصن، فَلَمَّا كَانَ اليومُ الَّذي أَمَرَ بهِمْ رَسُول الله - ﷺ - أَنْ يُقْتَلُوا فيه دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَة - رضي الله عَنْهَا - فَجَعَلَتْ تَضْحَك ظَهْراً لبَطْن، وَهيَ تَقول: سَرَاةُ بَني قرَيْظَة يُقْتَلُون إذْ سَمعَتْ صَوْتَ قَائِلٍ يا «نباتة»، قالت أَنَا والله الَّتي أُدْعَى، قالت عَائشَة وَلمَ؟ قَالَتْ: قَتَلَني زَوْجي، وَكَانَتْ جَارِيَة حُلْوَةَ الكلام فَقَالَتْ عَائشَةُ: وَكَيْفَ قَتَلكِ زوجُك؟ قَالت: في حصْن الزّبير بن باطا فَأَمَرَني فَدَلَّيْتُ رَحًى عَلَى أَصْحَابِ محمد فَشَدَخْتُ رَأْسَ رَجُلٍ منْهم فمَات، وأَنَا أُقْتَل به، فانْطُلقَ بِهَا، فَأَمَرَ بِهَا رسُولُ الله - ﷺ - فَقُتلَت، بِخَلاَّد بن سُويد. فَكَانَتْ عَائشَةُ تَقُولُ: لاَ أَنْسَى طيبَ نَفْس نُبَاتَة، وَكَثْرَة ضَحكهَا، وَقَدْ عرفتْ أَنَّهَا تُقْتَل.

وروى أَبُو داود قصَّتها مختصرة.

ذكر خبر ثابت بن قيس ومَنّ الزبير بن باطا

كَانَ الزُّبَيرُ بنُ باطا منَّ عَلَى ثابت بن قَيْس بن شَمَّاس[1] يَوْمَ بُعاث، فأَتى ثابتٌ الزّبيرَ فَقَال: يَا أَبَا عبد الرَّحْمٰن هَلْ تَعْرِفني؟ قَال: وَهَلْ يجهلُ مِثلَكَ مِثْلي؟ قَالَ ثَابت: إنَّ لَكَ عِنْدِي يَداً، وَقَدَرْتُ أَن أَجْزِيَكَ بِهَا، قَالَ الزُّبير: إنَّ الكريم يجزي الكريم وَأَحْوَجُ ما كنتُ إِلَيْكَ اليومَ، فَأَتى ثَابتٌ لِرَسُول الله - ﷺ - فَقَال: يَا رَسُول الله: إنه كان للزُّبير عندي يَدُ خير جَزَّ ناصيتي يَوْم بُعَاث، فقال: أَذكر هذه النِّعْمَة عندك، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَجزيه بِهَا، فهَبْه لي، فَقَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «هو لك» فأَتاه ثابت فَقَال: «إنَّ رَسُولَ الله - ﷺ - قَدْ وَهَبَكَ لِي، قَالَ الزُّبير: شَيخ كبير لاَ أَهْلَ لي وَلاَ مَال بيثرب مَا أَصْنَع بالحياة؟ فَأَتى ثَابِتٌ لِرَسُول الله - ﷺ - فَقالَ يَا رَسُولَ الله: اعْطِني مَالَه وأَهْلَه، فَقَالَ رسولُ الله - ﷺ: «هو لك» فرجع إِلى الزُّبير، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله - ﷺ - قَدْ أَعْطَاني وَلَدَك وَأَهلَكَ وَمَالَك، فَقَالَ الزبير: يا ثابت أَما أَنت فقد كافَأْتني وَقَدْ قضيتَ الَّذي عَلَيْك يا ثابت: مَا فُعِلَ بالَّذي كَأَن وجهه مرآة صِينيَّةٌ تَتَرَاءى عَذَارَى الحي في وجهه؛ كَعْب بْن أَسَد؟ قال: قُتِل، قال: فَمَا فَعَلَ المجلسان؟ يعني بني كَعْب بن قُرَيْظَة وبني عمرو بن قُرَيْظَة. قَالَ: قُتِلُوا، قال: يا ثابت: مَا في العيش خَيْرٌ بَعْدَ هَؤلاء، أَرْجِعُ إِلى دارٍ قَدْ كانوا حُلُولاً فيها فأَخلد فيها بعدهم؟ لاَ حَاجَةَ لي في ذلك، ولكن يَا ثَابت انْظُر إِلى آمرأَتي

(١) ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي الخطيب من كبار الصحابة وصح في (م) أنه من أهل الجنة. انفرد له البخاري بحديث. وعنه ابنه إسماعيل ومحمد بن قيس وأنس شهد أُحداً وما بعدها، وقتل يوم اليمامة ونفذت وصيته بعد موته بمنام رآه خالد بن الوليد. له عند (خ) حديث واحد. الخلاصة ١/١٥٠.

وَوَلدي فإِنهم جزعوا من الموت فاطلب إِلى صَاحبك فيهم أَن يُطلقهم، وَأَنْ يَرُدَّ أَمْوالَهم، فَطَلَبَ ثَابت مِنَ النبي ـ ﷺ ـ أَهْلَ الزُّبير وَمَالَه وولده، فَرَدَّ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ أَهْلَه وَمَاله إِلاَّ السِّلاح. قَالَ الزُّبير: يَا ثَابت أَسْأَلك بيدي عِنْدَكَ إِلاَّ أَلْحَقْتَنِي بِالقَوْم فَمَا أَنَا بِصَائِرٍ لله فَتْلَة دَلْو نَاضِح حَتَّى أَلْقَى الأَحِبَّة، قال ابن إِسحاق: فقدَّمهُ ثَابت فضُربت عُنُقه، وقال محمد بن عمر: قَال ثَابت: ما كنتُ لأَقتُلَك، قَالَ الزُّبير: لاَ أُبالي مَنْ قَتَلَني، فَقَتله الزُّبَيْر بنُ العَوَّام. ولَمَّا بَلَغَ أَبَا بكر الصِّديقَ قَوْلُه: «أَلْقَى الأَحِبَّة» قَالَ: يلقاهم والله في نَارِ جَهَنَّم خالداً مُخَلَّدا!

ذكر اصطفاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ريحانة بنت زيد النضرية لنفسه

كَانَتْ رَيْحَانة بنت زيد بن عمرو بن خُنَافَة منْ بني النضير مُتَزَوِّجةً في بَني قُرَيْظَة، إِصْطَفَاهَا رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ لنفسه، وكانت جميلة، فَعَرَضَ عليها رسُولُ الله ـ ﷺ ـ الإِسْلاَمَ فَأَبَتْ إِلاَّ اليهوديَّة، فَعَزَلَهَا رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ وَوَجدَ فِي نَفْسه فَأَرْسَلَ إِلَى ابن سَعيَّة، فَذَكَرَ لَهُ ذلك، فَقَال ٱبْنُ سَعيَّة: فِدَاكَ أَبي وَأُمِّي هي تُسْلم؟ فَخَرَجَ حَتَّى جَاءهَا، فَجَعَلَ يَقُولُ لَهَا: لاَ تَتَّبعي قَوْمَك، فَقَدْ رأَيت مَا أَدْخَلَ عَلَيْهِم حُيَيٌّ بنُ أَخطب، فَأَسْلمي يَصْطَفيك رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ لنفسه، فأَجابت إِلى ذلك، فبينا رسول الله ـ ﷺ ـ في أَصْحَابه، إِذ سمع وَقْعَ نَعْلَيْن فَقَال: «إِنَّ هَاتَيْنِ لنعلا ابن سَعيَّة يبشرني بإِسلام رَيْحَانة»، فجاءه، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ أَسلمتْ رَيْحَانة، فَسُرَّ بذَلِك رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ.(١) وسَيأتي في ترجمتها نبذة مِنْ أَخْبَارِهَا وَتَحْرير نسبها.

ذكر قسم المغنم وبيعه

لَمَّا اجْتَمَعت المغانم أَمَرَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ بالمتاع فبيع فيمن يُريدُ، وبيع السَّبْيُ وقُسِّمَت النَّخْلُ أَسْهُماً، وَكَانَت الخيلُ ستَّةً وَثلاثين فَرَساً، فَأَسْهِمَ للْفَرَس بسَهْمَيْن، وَلصَاحبه سَهْم، وَللرَّاجلِ سَهْم. وَقَاد رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ ثَلاَثَة أَفْراسٍ فَلَمْ يَضْرِبْ إِلاَّ سَهْماً واحداً. وَأَسْهَمَ لخلاَّد بن سُوَيْد وَقَدْ قُتل تَحْتَ الحصْن، وَأَسْهَمَ لأَبي سِنَان بن مِحْصَنٍ؛ مَات ورَسولُ الله ـ ﷺ ـ يُحاصرهم. وَكَان يُقَاتِلُ مَعَ المسلمين، وكان المُسْلِمُونَ ثَلاَثَة آلاف، وكانت سُهْمَان الخيل والرجال على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهماً، للفرس سهمان، ولصاحبه سهم وكان السَّبي أَلفاً مِنَ النِّسَاء والصِّبيان، فأَخرج رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ خُمُسَه قَبْلَ بَيْع المَغْنَم، فَجزَّأَ السَّبْي خمسة أَجزاء، فَأَخَذ خُمساً، وكان يَعْتقُ منه وَيَهب منه، ويُخْدِم منه

(١) أخرجه ابن عساكر كما في تهذيب تاريخ دمشق ٣١٢/١ وابن كثير في البداية ٣٠٥/٥.

مَنْ أَرَادَ وَكَذَلِكَ النخلُ عُزل خُمسُه، وَكُلُّ ذلِكَ يُسهم عليه خَمْسَة أَجزاء، ويكتبُ في سَهْمٍ منها لله ثم يخرج السهم، فَحَيْثُ صار سهمه أَخذه وَلَمْ يَتَخَيَّر، وَصَارَ الخُمسُ إِلى مَحْمِية بن جَزْء الزُّبَيْدي، ثم فَضَّ أَرْبَعَة أَسهم على الناس وأَحذى رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ النِّساء اللاَّئي حَضَرْن القِتَال وَلَمْ يُسْهِم لَهُنَّ، وَهُنَّ صَفِيةٍ بنت عبد المطلب، وأم عمارة نسيبة، وأم سَلِيط، وأم العلاء الأَنْصَارِيَّة، والسُّمَيْراء بنت قيس، وأم سعد بن معاذ، وَكَبْشَة بنت رافع.

وَلَمَّا بيعت السَّبايا وَالذُّرية، بَعَثَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ بطائِفة ـ قال محمد بن عمر ـ إِلى الشَّام مع سعد بن عبادة ببيعهم ويَشْتَري بِهِمْ سِلاَحاً وَخَيْلاً.

وقال ابنُ إِسحاق وَغَيْرُه: بَعَثَ سعد بن زيد الأَنْصَاري الأَشْهَلي بِسَبايَا مِنْ بَنِي قُرَيْظَة إِلى نَجْد، فَابْتَاعَ لَهُم بِهَا خَيْلاً وَسِلاَحاً، وَاشْتَرَى عُثْمَانُ بن عفان وَعَبْدُ الرَّحمن ابن عوف ـ رضي الله عنهما ـ طَائِفَةً فَاقْتسما، فَسَهَمَه عثمان بِمَالٍ كثير، وَجَعَلَ عثمان على كل من اشتراه من سبيهم شَيْئاً موفيا، فَكَانَ يُوجد عِنْدَ العَجَائز المالُ وَلاَ يُوجَدُ عنْدَ الشَّوَاب فربح عُثْمَان مَالا كثيراً، وَذَلِكَ أَنَّ عثمان صَارَ في سهمه العَجَائِز، وَيُقَال لَمَّا قَسَّمَ جَعَلَ الشَّوَابَّ عَلَى حِدَةٍ والعَجَائِزَ عَلَى حدَة، ثُمَّ خَيَّرَ عبدُ الرحمن عثمانَ، فَأَخَذَ العَجَائِز.

قال ابن أَبي سَبْرَة: وإِنما لم يؤخذ ما جاءت به العجائز فيكون في الغنيمة لأَنه لم يُوجد مَعَهُن إِلا بعد شهر أَو شهرين، فَمن جاء منهن بالَّذِي وُقِّت لَهُنَّ عُتِق، فَلَمْ يَتَعَرَّض لهن، واشْتَرَى أَبو الشَّحْم اليهودي امرأَتين مع كل وَاحِدةٍ مِنْهُنَّ ثَلاَثَة أَطْفَال بمائةٍ وخمسين دِيْنَاراً، وَجَعَلَ يَقُول: أَلَسْتُم على دين يهود؟ فَتَقُولُ المَرْأَتَانِ: لاَ نُفَارِقُ دين قَوْمِنا حَتَّى نَمُوت عليه، وَهُنَّ يَبْكِين.

ونهى رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ أَنْ يُفرق في القَسْم والبَيْع بَيْنَ النِّساء والذُّرية وَقَالَ: «لا يُفَارقُ بَيْنَ الأمّ وَوَلَدِها حَتَّى يَبْلغ». قيل يَا رَسُولَ الله وَمَا بلوغه؟ قال: «تحيضُ الجَارِيةُ وَيَحْتَلِم الغُلاَم»[١] وَكَانَت الأم وأولادها الصِّغَارُ تُبَاع مِنَ المُشْرِكين منَ العَرَب ومن يَهُود. وَإِذَا كَانَ الوَلَدُ صَغيراً لَيْسَ مَعَه أُمٌّ لم يُبع منَ المشركين وَلاَ منَ اليَهُود إِلاَّ مِنَ المسلمين.

واسْتُشْهدَ يَومَ بَنِي قُرَيْظَةَ خَلاَّدُ بنُ سُويد، ومنذرُ بن محمد.

ذكر بعض ما قيل من الأشعار في هذه الغزوة

رَوَى البخاري والنَّسائي عَن البراء بن عَازب ـ رضي الله عنه ـ أَنَّ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ قَالَ

(١) أنظر التلخيص للحافظ ابن حجر (١٦/٣).

لِحَسَّانَ يومَ قُرَيْظَةَ: اهجهم أَوْ هَاجِهِم وَجبْرِيل مَعَك.[١]

وروى ابن مردويه عَنْ جابر - رضي الله عنه، قَال: لما كان يَوْمُ الأَحْزَاب، وردَّهُم اللّهُ بغيظهم. قَالَ النَّبيُّ - ﷺ - «مَنْ يَحْمِي أَعْرَاضَ المسلمين؟» فَقَامَ كَعْب، وابنُ رَوَاحة، وَحسَّان، فقال لِحَسَّان: «اهجُهُم أَنْتَ فإِنَّه سَيُعينُكَ عليهم رُوحُ القُدُس» ، فَقَالَ حَسَّان - رضي الله عنه:

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ مَا أَسَاهَا ... وَمَا وَجَدَتْ لِذُلٍّ مِنْ نَصِيرِ
أَصَابَهُمُ بَلاَءٌ كَانَ فِيهِ ... سِوَى مَا قَدْ أَصَابَ بَنِي النَّضِيرِ
غَدَاةَ أَتَاهُمُ يَهْوِي إِلَيْهِمْ ... رَسُولُ اللّهِ كَالقَمَرِ المُنِيرِ
لَهُ خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَعَادَى ... بِفُرْسَانٍ عَلَيْهَا كَالصُّقُورِ
تَرَكْنَاهُمْ وَمَا ظَفِرُوا بِشَيءٍ ... دِمَاؤُهُمْ عَلَيْهِمْ كَالعَبِيرِ
فَهُمْ صَرْعَى تَحُومُ الطَّيْرُ فِيهِمْ ... كَذَاكَ يُدَانُ ذُو العَنَدِ الفَجُورِ
فَأَنْذِرْ مِثْلَهَا نُصْحاً قُرَيْشاً ... مِنَ الرَّحْمنِ إِنْ قَبِلَتْ نَذِيرِي

وقال أيضاً:

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ مَا أَسَاهَا ... وَحَلَّ بِحِصْنِهَا ذُلٌّ ذَلِيلُ
وَسَعْدٌ كَانَ أَنْذَرَهُمْ بِنُصْحٍ ... بِأَنَّ إِلهَكُمْ رَبٌّ جَلِيلُ
فَمَا بَرِحُوا بِنَقْضِ العَهْدِ حَتَّى ... فَلاَهُمْ فِي بِلاَدِهِمُ الرَّسُولُ
أَحَاطَ بِحِصْنِهِمْ مِنَّا صُفُوفٌ ... لَهُ مِن حَرِّ وَقْعَتِهِمْ صَلِيلُ

وَقَال أَيضاً:

تَفَاقَدَ مَعْشَرٌ نَصَرُوا قُرَيْشاً ... وَلَيْسَ لَهُمْ بِبَلْدَتِهِمْ نَصِيرُ
هُمْ أُوتُوا الكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ ... وَهُمْ عُمْيٌ عَنِ التَّوْرَاةِ بُورُ
كَفَرْتُمْ بِالقُرَانِ وَقَدْ أُتِيتُمْ ... بِتَصْدِيقِ الَّذِي قَالَ النَّذِيرُ
فَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ ... حَرِيقٌ بِالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

وَقَال أَيْضاً

لَقَدْ سَجَمَتْ[٢] مِنْ دَمْعِ عَيْنَيَّ عَبْرَةٌ ... وَحُقَّ لِعَيْنِي أَنْ تَفِيضَ عَلَى سَعْدِ
قَتِيلٌ ثَوَى فِي مَعْرَكٍ فُجِعَتْ بِهِ ... عُيُونٌ ذَوَارِي الدَّمْعِ دَائِمَةُ الوَجْدِ

---

(١) أخرجه البخاري ٢٣٦/٤، ١٤٤/٥، ٤٥/٨٢ ومسلم في الفضائل (١٥٣، ١٥٧) وأحمد ٣٠٢/٤ والطبراني في الكبير ٤٨/٤ والبيهقي ٢٣٧/١٠ والطحاوي في معاني الآثار ٢٩٨/٤.

(٢) سجمت فاضت، أنظر المعجم الوسيط ٤١٩/١.

عَلَى مِلَّةِ الرَّحْمٰنِ وَارِثُ جَنَّةٍ مَعَ الشُّهَدَاء وَفْدُهَا أَكْرَمُ الوَعْدِ
فَإِنْ تَكُ قَدْ وَدَّعْتَنَا وَتَرَكْتَنَا وَأَمْسَيْتَ فِي غَبْرَاء مُظْلِمَةِ اللَّحْدِ
فَأَنْتَ الَّذِي يَا سَعْدُ أُبْتَ بِمَشْهَدٍ كَرِيمٍ وَأَثْوابِ المَكَارِمِ وَالحَمْدِ
بِحُكْمِكَ فِي حَيَّيْ قُرَيْظَةَ بِالَّذِي قَضَى الله فِيهِمْ مَا قَضَيْتَ عَلَى عَمْدِ
فَوَافَقَ حُكْمَ الله حُكْمُكَ فِيهِمُ وَلَمْ تَعْفُ إِذْ ذُكِّرْتَ مَا كَان مِنَ عَهْدِ
فَإِنْ كَانَ رَيْبُ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ فِي الأُلَى شَرَوْا هَذِهِ الدُّنْيَا بِجَنَّاتِهَا الخُلْدِ
فَنِعْمَ مَصِيرُ الصَّادِقِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى الله يَوْماً لِلْوَجَاهَةِ وَالقَصْدِ

وقال أيضا يبكي سعدَ بنَ معاذ ورجالاً من أصحاب رسول الله - ﷺ:

أَلاَ يَا لَقَوْمِي هَلْ لِمَا حُمَّ دَافِعُ وهَلْ مَا مَضَى مِنْ صَالِحِ العَيْشِ رَاجِعُ
تَذَكَّرْتُ عَصْراً قَدْ مَضَى فَتَهَافَتَتْ بَنَاتُ الحَشَا وَانْهَلَّ مِنِّي المَدَامِعُ
صَبَابَةُ وَجْدٍ ذَكَّرَتْنِي أُخُوَّةً وَقَتْلَى مَضَى فِيهَا طُفَيْلٌ وَرَافِعُ
وَسَعْدٌ فَأَضْحَوْا فِي الجِنَانِ وَأَوْحَشَتْ مَنَازِلُهُمْ فَالأَرْضُ مِنْهُمْ بَلاَقِع[١]
وَفَوْا يَوْمَ بَدْرٍ لِلرَّسُولِ وَفَوقَهُمْ ظِلاَلُ المَنَايَا وَالسُّيُوفُ اللَّوَامِعُ
دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقٍّ وَكُلُّهُمْ مُطِيعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ
فَمَا نَكَلُوا حَتَّى تَوَالَوْا جَمَاعَةً وَلاَ يَقْطَعُ الآجَالَ إِلاَّ المَصَارِعُ
لأَنَّهُمُ يَرْجُونَ مِنْهُ شَفَاعَةً إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلاَّ النَّبِيُّونَ شَافِعُ
فَذَلِكَ يَا خَيْرَ العِبَادِ بَلاَؤُنَا إِجَابَتُنَا لله وَالمَوْتُ نَاقِعُ
لَنَا القَدَمُ الأُولَى إِلَيْكَ وَخَلْفَنَا لأَوَّلِنَا فِي مِلَّةِ اللّهِ تَابِعُ
وَنَعْلَمُ أَنَّ المُلْكَ لِلّهِ وَحْدَهُ وَأَنَّ قَضَاءَ اللّهِ لاَ بُدَّ وَاقِعُ

تنبيهات

الأَوَّلُ: قُرَيْظَةَ بضم القاف وفتح الراء وسكون التحتية وبالظاء المعجمة المشالة فتاء تأنيث، قال السمعاني هو اسم رَجُلٍ نَزَل أَولاده قَلعَةً حَصِينَةً بقرب المدينة فنسبت إليهم. وقريظة والنضير أَخَوَانِ مِنْ أَوْلاَدِ هَارون - عليه الصَّلاة والسَّلام.

الثَّانِي: روى البخاري في جميع الروايات عَنْ شيخه عبد اللّه بن محمد بن أَسْمَاء قَال: حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَة بن أَسْمَاء عَنْ نافع عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رَسُولُ الله

(١) بَلاَقِع: جمع بَلْقَع وهو الخالي من كل مكان، أنظر المعجم الوسيط ٦٩/١.

- ﷺ: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»[١]. إلخ. وَوَافَق البُخَارِي على لفظ العَصْر من طريق جويرية الإِسمَاعِيليّ، وَأَبُو نُعَيم مِنْ طريق أَبي حَفْص السلمي عن جويرية وَأَصحاب المغازي. وَرَوَاهُ الطبرانيّ، والبيهقي في الدَّلائل بإِسْنَادٍ صحيح إلى الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مَالك عن عَمِّه عبيد الله بن كعب. ورواه الطبراني أَيْضاً مِنْ هَذَا الوجه مَوْصُولاً بذكر كعب بن مَالك والبيهقي عَنْ عَائِشة - رضي الله عنها - ورواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أَسماء بسنده وَقَال: «لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الظُّهْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»[٢]. وَوَافقه ابن سعد، وأَبو يَعْلَى، وابن حِبَّان، وأَبُو نُعَيْم من غير طريق أَبي حفص السابق، قَالَ الحافظ: ولم أَره عن جويرية - مِنْ غَيْرِ طريق أَبي حَفْصٍ السلمي إِلاَّ بلفظ الظهر، وجمع بينهما بِٱحْتِمَالِ أَنْ يكون بَعْضُهُم قَبْلَ الأَمْرِ كَانَ صَلَّى الظُّهر، وَبَعْضُهُم لَمْ يُصَلِّها. فقيل لِمَنْ لَمْ يُصَلِّها، لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الظُّهرَ، وَلِمَنْ صَلاَّهَا لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ. أَوْ أَن طائفةً منهم راحت بعد طائِفة، فقيل لِلطَّائفة الأُولى الظُّهر، والتي بعدها العصر.

قال الحافظ: وَهُوَ جمع لاَ بأس به، لكن يُبْعده ٱتّحاد مخرج الحديث، لأَنَّه عند الشيخين كما بيناه بإِسنادٍ وَاحِدٍ مِنْ مَبدئه إِلى مُنْتَهَاه، فيبعد أَنْ يكونَ كلٌّ مِنْ رِجَالِ إِسْنَادِه حَدَّثَ به. على الوجهين إِذ لو كان كذلك لحمله واحدٌ منهم عن بعض رواته، وسبق الكلام على ذلك، ثم قال: هذا كلُّه من حيث حديث ابن عمر، أَما بالنظر إِلى حديث غيره فالاحتمالان المتقدمان في كونه قال «الظُّهْرَ» لِطَائِفَةٍ متجه فيحتمل أَن رواية «الظهر» هي التي سمعها ابن عمر، ورواية «العصر» هي التي سَمِعَها كعبُ بن مالك، وعائِشَةُ - رضي الله عنهما - وقيل في وَجْه الجمع أَيْضاً أَن يكون - ﷺ - قال لأَهل القُوَّة، أَو لمن كان منزله قريباً «لا يُصَلِّيَن أَحَدٌ الظُّهْرَ» وقال لغيرهم: «لاَ يُصَلِّيَن أَحَدٌ العَصْرَ».

الثَّالِثُ: أَغْرَبَ ابن التين فادّعى أَن الذين صلوا «العَصْر» صَلُّوا على ظُهُورِ دوابهم، وٱستند إِلى أَن النزول إِلى الصلاة يُنَافِي مقصودَ الإِسْراعِ في الوُصُول. قال: فأَما الذين لم يُصَلُّوها عَمِلُوا بالدليل الخَاصّ وهو الأَمر بالإِسراع فترَكُوا عُمُومَ إِيْقَاع «العصر» في وقتها إِلى أَن فات، والذين صلُّوا جَمَعُوا بين دَلِيلَيْ وَجُوب الصَّلاة وَوُجوب الإِسراع فصَلُّوا رُكْبَاناً، لأَنهم لو صلُّوا نُزُولاً لكان مُضاداً لما أُمروا به من الإِسراع، ولا يُظَن ذلك بهم مع ثُقُوبِ أَفْهَامِهِم قال الحافظ: وفيه نظر؛ لانه لم يأمرهم بترك النُّزُول، فلعلهم فهموا أَن المراد بأَمرهم أَلا يُصَلُّوا العصر إِلاَّ في بني قُرَيْظَةَ المبالغة في الأَمر بالإِسراع، فبادَرُوا إِلى ٱمتثال أَمره وخصوا وقت

---

(١) أخرجه البخاري في صلاة الخوف حديث (٩٤٦).

(٢) مسلم في الجهاد باب ٢٣ رقم (٦٩) وابن سعد ٥٤/١/٢ والبيهقي في دلائل النبوة ٦/٤.

الصلاة من ذلك لما تقرر عندهم من تأكيد أَمرها فلا يمتنع أَن ينزلوا فيصلوا، ولا يكونُ في ذلك مضادةٌ لما أُمروا به. ودَعْوَى أَنهم صلُّوا رُكْبَاناً يحتاج إِلى دليل، ولم أَرَه صَريحاً في شيء من طُرُق هذه القصة.

الرَّابِعُ: يُسْتَفَادُ مِنْ حَدِيث ابْنِ عُمَر، وَكَعْب بن مالك، وعائشة ترك تَعْنيف مَنْ بَذَل وُسْعَه وآجتهد، فيؤخذ منه عدم تأثيمه، وحاصل ما وقع في القِصَّةِ أَن بعض الصحابة حملوا النَّهي عَلَى حَقِيقَتِه، ولم يبالوا بخروج الوقت تَرْجِيحاً لِلنَّهي الثَّانِي عَلَى الأَول، وهُوَ تَرْك تَأْخِير الصَّلاَة عَلَى وَقْتِهَا وَآسْتَدَلُّوا بِجَوَاز التَّأْخِيرِ لِمَنْ آشْتَغَلَ بِأَمْرِ الحَرْبِ، وَلاَسِيَّمَا الزَّمَانُ زَمَان التشريع، والبعضُ الآخَر حَمَلُوا النَّهْيَ على غير الحقيقة وأَنه كناية عن الحثِّ والاستعجال والإِسْراع إِلى بني قُرَيْظَةَ: وقال في «زاد المعاد» ما حاصله: كل من الفريقين مأْجورٌ بقصده إِلا أَنَّ من صلى حاز الفضيلتين: امتثال الأَمر في الإِسراع، وآمتثال الأَمر في المحافظة على الوقت ولا سيَّمَا في هذه القصة بعينها من الحث على المحافظة عليها، وأَن مَنْ فاتته حبط عمله، وإِنما لم يُعَنِّف الذين أَخروها لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الأَمر، ولأَنهم آجتهدوا فأَخروا آمتثالا للأَمر، لكنهم لم يَصِلُوا إِلى أَن يكونوا في أَصوب من اجتهاد الطائفة الأُخرى.

الخَامِسُ: قال السهيلي: قوله «من فوق سَبْع سموات» معناه أَنَّ الحكم نزل من فوق. قال: ومثله قولُ زينب بنت جحش، رضي الله عنها ـ : زَوَّجَنِي الله تعالى مِن نَبِيِّه مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَات، أَيْ أَنْزَلَ تزويجها مِنْ فَوْق، قَالَ: وَلاَ يَسْتَحِيلُ وصفه ـ تعالى ـ بالفَوْق، عَلَى المَعْنَى الَّذِي يَلِيق بِجَلاَلَه لاَ عَلَى المَعْنَى الَّذي يَسْبقُ إِلى الوَهْم مِنَ التَّحْديدِ الَّذِي يُفْضِي إِلى التَّشْبِيه.

السَّادِسُ: اخْتُلِفَ في مُدَّة الحِصَار فَقَالَ ابْنُ عُقْبَةَ: بضع عشرة لَيْلَة، وَقَالَ ابْنُ سَعْد: خمس عشرة لَيْلَةً، وَرَوَى آبْنُ سَعْدٍ عَنْ عَلْقَمَةَ بن وَقَّاص خمساً وَعِشْرِين لَيْلَة: وَرَوَاهُ ابْن إِسْحَاق عَنْ أَبيه عَنْ مَعْبد بن كعب، وَرَوَاهُ الإِمَام أَحْمَدِ والطبراني عَنْ عَائشَةَ ـ رضي الله عنها.

السَّابِعُ: اختُلف في عدد من قُتلَ من بني قُرَيْظَةَ: فعند ابن إِسحاق: أَنهم كانوا ستمائة، وَبه جَزَمَ أَبُو عُمَر في ترجمة سعد بن مُعَاذ، وعند ابن عائذ من مُرْسَل قتادة: كانوا سبعمائة. وقال السُّهَيْلي: المكْثرُ يَقُول: إِنَّهُمْ مَا بَيْنَ الثمانمائة إِلى التسعمائة، وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حِبَّان بإِسنادٍ صحيح أَنهم كانوا أَربعمائة مقاتل، فيحتمل في طريق الجمع، أَن يقال إِن الباقين كانوا أَتباعاً، وقد حكى ابن إِسحاق أَنه قيل: إِنَّهم كانوا تسعمائة.

الثَّامِنُ: في شرح غريب القصة.

«رَجَّلَ رَأْسَه» بفتح الراء والجيم المشددة: سَرَّحه.

المِجْمَرة ـ بكسر الميم الأُولى: المبْخَرَة.

عَذِيرَك - بفتح العَيْن المُهْمَلَة وَكَسْر الذَّال المُعجَمة وَسُكُون التَّحْتيَّة وَفَتْح الرَّاء أي هَات مَنْ يعذرك، فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِل.

دِحْيَة - بكسر الدَّال المهملة وفتحها: وهو الريش.

إِثْرَه - بكسر الهمزة وسكون الثاء المثلثة ويجوز فتحها، وحكى تثليث الهمزة.

الاعْتِجَار بالعمامة: هو أن يلفها على الرأس، ويرد طرفها على وجهه ولا يَعْمَل منها شيئاً تحت ذقنه.

أُرَى - بضم الهمزة: أظن.

الرِّحَالَةُ - بكسر الراء وتخفيف الحاء المهملة: سَرْج مِنْ جُلُودٍ ليس فيه خَشَب، كَانُوا يَتَّخِذُونَه لِلرَّكْضِ الشَّدِيد، والجمع الرَّحَائِل.

الَّلأْمة - بالهمزة: الدِّرع، وقيل: السلاح. ولأْمة الحرب آلته، وقد يترك الهمز للتخفيف.

الإِسْتَبْرَق: ضربٌ من الديباج غليظ.

الدِّيْبَاج: فارسيٌّ معرّب، وقد تكسر الدال وقد تفتح.

القطيفة: كساء له خَمْل

الماجِشُون - بكسر الجيم وضم الشين المعجمة: ومعناه الورد.

الثَّنَايَا - جمع ثنية: وهي الثَّنى.

حمراء الأَسد: تقدمت في غزوتها.

الجَهْد: المشقَّة والتَّعَب.

الصَّفَا - بالقصر: الحِجَارَةُ، وَيُقَالُ: الحِجَارةُ المُلْس.

لأُضَعْضِعَنَّها: لأُحركنَّها وأُزلزلنها.

ساطعاً: مرتفعاً.

الزُّقَاق - بضم الزاي وتخفيف القاف وبَعْدَ الأَلِفِ قَاف أُخْرَى.

بَنِي غَنْم - بغين مُعْجَمَة مفتوحة وسكون النُّون: بَطْنٌ من الخزرج مِنْ وَلِدِ غَنْم بْنِ مَالِك بن النجار.

كأَني أَنظر إِلى الغُبار: أَي أَنه مُستَحْضِرٌ القصة حتَّى كأَنه ينظر إِليها مُشَخَّصة له بعد تلك المدّة الطويلة.

موكِبُ جبريل - بتثليث الباء؛ الفَتح بتقدير انظر، والجرُّ بَدَل مِنَ الغُبَار، والضَّمُ خَبر

مُبتَدأ مَحْذُوف تَقْدِيرُه هَذَا مَوْكب جِبْرِيل. والموكب: نَوْعٌ مِنَ السَّيْر، وَجَمَاعَة الفرسان أَو جماعة يسيرون وكان السير برفق.

يَا خَيْلَ الله اركَبي» فيه حذف مضاف تقديره: يا فرسان خيل الله اركبي.

شرح غريب ذكر مسير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

لواء الجيش: عَلَمُه، وهو دون الراية.

ابتدره الناس: سارعوا إِليه.

المِغْفَرُ ـ بكسر الميم: ما يلبُس تحت البَيْضَة.

القَنَاةُ: الرُّمح.

اللُّحَيْف: بالضم: يأْتي الكلام عليه في خيله ـ صلى اللّٰه عليه وسلم.

البَهِي ـ بفتح الباء وكسر الهاء وتشديد الياء: لقبُ عبد اللّٰه بن يسار لبهائه.

يَعْفُور: يأْتي الكلام عليه في حُمُرِهِ ـ صلى اللّٰه عليه وسلم

الصَّوْران ـ تثنية صَوْر ـ بالفتح ثم السكون. اسم للنخل المجتمع الصغار موضع في أَقصى بقيع الغَرْقد مما يلي طريق بني قُرَيْظَةَ.

يقذف الرعب: يرميه ويجعله في قلوبهم.

الصَّيَاصيّ: الحُصُون.

بئرأَنَا ـ بالضَّم وتخفيف النون كَهُنَا، وقيل بالفتح وبالتَّشديد كَحَتَّى وقيل كحتى لكن بالموحدة بدل النون، وقيل غير ذلك.

الحَرَّة: أَرض ذات حجارة سود نخرة كأَنها أَحرقت بالنار

الأَخابِيثُ: جمع أَخبث.

أُسَيْد ـ بضم الهمزة وآخره دال مهملة.

الحُضَيْر ـ بضم الحاء المهملة

الجُحر ـ بضم الجيم: الثقب.

خَارُوا: ضَعُفُوا وجَبُنُوا.

«الطاغوت»: ما عُبِدَ مِنْ دُونِ الله.

* * *

شرح غريب ذكر محاصرة المسلمين لبني قريظة

«النَّبْل»: السِّهام.

يَتَعَاقَبُون: يتناوبون.

الحلْقَة ـ بفتح الحاء وسكون اللاَّم: السلاح كله.

إلاَّ أَنْ ينزلُوا على حكمه: على قَضَائه فيهم.

شرح غريب ذكر اعتراف كعب بن أسد بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

خِلالاً ـ بكسر الخَاء المُعْجمة، وتخفيف اللاَّم: أي خِصَالاً، جمع خَلَّة بفتح المعجمة وتشديد اللاَّم.

إِسْرَائيل: يعقوب.

حُيَيّ ـ بضم الحاء المهملة وتكسر وتحتيتين ثانيهما مشددة.

أَخْطَبْ ـ بفتح الهمزة فخاء معجمة ساكنة، فطاء مهملة فموحدة.

«عَلَيّ هذه» ـ بتشديد التحتية.

وهذه: اسم إشارة، محلها النصب مفعول أَبَيْتم.

جَوَّاس ـ بجِيم فواو مُشَدَّدة فأَلف فسين مهملة.

النَّسْل: الولد.

لَعَمْري ـ بفتح اللاَّم والعين: أي وحياتي.

غِرَّةً ـ بكسر الغين المعجمة وتشديد الرَّاء: الغَفْلَة.

مُصْلِتِيْنَ ـ جمع مُصْلِتْ بِكَسْر اللاَّم، وبالصَّاد المهملة الساكنة: أي مُجَرِّدين السيوف من أَغمادها.

أُسَيْد ـ بفتح الهمزة وكسر المهملة، وقيل إنه بضمِّ الهمزة وبفتح السين.

سَعْيَة ـ بسين فَعين ساكنة مهملتين فتحتية مفتوحة، فتاء تأْنيث.

الهَيِّبَان ـ بفتح الهاء وكسر التحتية المشدّدة بعدها موحدة.

هَدْل ـ بفتح الهاء وإِسكان الدال المهملة وباللام.

الخَرْج ـ بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء بعدها جيم والخراج: ما يُؤدَّى كل سنة.

شرح غريب ذكر طلبهم أبا لبابة - رضي الله عنه -

جَهشَت إليه - بفتح الجيم والهاء: أَسرعت متباكية.

الأَصطوانة:

العمد - بالدال ويجوز فتح العين والميم ويكون مفرداً وجمعاً. ويجوز ضم العين والميم أيضاً: والمراد هنا: سوارى المسجد.

المُخَلَّقَةِ: التي طُلِيَتْ بالخَلُوق وزن رَسُول، وهو ما يُتَخَلَّقُ به من الطِّيب. وقيل: هو مائع فيه صفرة.

أرى - بفتح الهمزة.

حَمْأَة: طين أَسود.

آسِنَة: مُتغيِّرة.

رَبُوض - بفتح الراء وتخفيف الموحدة المضمومة وبعد الواو ضاد معجمة: أَي عظيمة غليظة.

قُسيْط: تصغير قسط.

ثار الناس: نهضوا.

بَضْعَةٌ مِنِّي - بفتح الموحدة وسكون الضاد المعجمة: قِطْعَةٌ مِنِّي.

أَطأَ - بهمز آخره.

أَنْخَلِع من مالي: أَخرج منه لله.

شرح غريب ذكر نزول بني قُريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

جَهَدَهم: اشتد عليهم.

كُتِّفُوا: بالبناء للمفعول.

الأَثاث - بفتح الهمزة: متاع البيت، الواحد، أَثاثة، وقيل: لاَ وَاحدَ له مِنْ لفظه.

الجِرَارُ - بكسر الجيم وتخفيف الراء: جمع جَرّة.

السَّكَر - بفتح السين المهملة والكاف: نبيذُ التمر، وفي التنزيل (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً) [النحل ٦٧]

أُهْرِيقَ - بضمِّ الهمزة وفتح الهاء وتسكن.

حلفاؤنَا: أَراد الذين حالفناهم على المناصرة.

قَيْنُقَاع: تقدم ضبطها في غزوتها.

الحَاسِرُ - بالحاء والسين المهملتين: الذي لا دِرْعَ عليه.

دارع: صاحب درع.

أَلَحُّوا عليه: تمادَوْا على قولهم.

الشَّعْث: التَّفَرُّق والانتشار.

الضَّائع: الذي ليس له من يقوم بأَمره، وفي لَفْظ الضَّيْعة: بفتح الضاد المعجمة، وسكون التحتية، وفتح العين المهملة، وتاء تأْنيث، أَي تُرِك وضُيِّع، وهو أَيضاً: مصدر ضاع الشيء ضَيْعَةً وضياعاً، وأَضعتُهم: تركتهم.

أَعرابي: منسوب إِلى الأَعراب، وهم سكان بالبادية.

الشَّنَذَة - بشين معجمة، فنون، فذال معجمة مفتوحات، تشبه الإِكاف يُجْعَل لمقدمته حِنوٌ وهو بالكسر واحِد أَحناء. السَّرج والقَتَب، وحِنوُ كل شيء اعوجابه.

الخِطَام - بكسر الخاء المعجمة: مَا تُقَادُ بِهِ الدَّابَّة.

آن - بالفتح والمدّ: قرُبَ وَدَنَا.

الَّلائم: العاذل.

النَّعي: خبر الموت.

تَمُنّ عَلَيْنَا: تُنْعم.

مَا آلوكم جُهداً: أَي ما أَدع جهداً ولا أَقصِّر في ذلك.

الجُهد: الطَّاقة.

المُوسَى: آلَةُ الحديد التي يُحْلَق بها.

تُشبَى النِّساء، السَّبْيُ: النَّهب وأَخْذُ الناس عبيداً وإِماء.

أَرْقِعَة: أَي السَّموات، قال ابن دُرَيْد: كذا جاء على لفظ التَّذْكير على معنى السَّقْف قال ابن الأَعرابي: سَمُّوها «الرقيع» لأَنَّهَا مَرْقُوعَة بالنُّجُوم.

المِلِك - بكسر اللام.

وَضَعَت الحَرْب أَوزارها: الأَوزار: هنا السلام وآلة الحرب وهو كناية عن الانقضاء، وفيه حذف، أَي حتى يَضَعَ أَهلُ الحرب أَثْقَالهم، فأَسند الفِعْلَ إِلى الحرب مجازا.

شرح غريب ذكر قتلهم

فَسِيقُوا: من السَّوق بالفتح، وهو الإِسراع.

الكَدْمُ: القضّ.

الحُمُر: الحمير.

غَدَا ـ سَار غُدْوَة، أَي أَول النَّهَار.

الأُخْدُود: شقّ في الأَرض مستطيل.

أَحْجَارُ الزَّيْت: مكان بالمدينة الشريفة.

أَرْسَالاً ـ بفتح الهمزة: أَي طائفة بعد طَائِفة.

عِلْيَةُ أَصْحَابه: أَشرافهم.

يُذْهَبُ بهم ـ بضم أَوَّله وفتح ثالثه.

لاَ يَنْزِع: لا يَرْجع.

أَزْرَى بِه: قصَّر في حقه.

الحُبَاب ـ بحاء مهملة وموحدتين. وزن غراب.

الحُلَّة: إِزار ورداء، وأَصل تسميتهما بها إِذا كان الثوبان جديدين لَمَّا يُحَل طَيُّهما، فقيل له حُلَّة بهذا الاسم، ثم استمر عليها.

شُقْحِيَّة بضَم الشين المعجمة، من شقح البُسْرُ إِذا تَلَوَّن.

فُقَاحِيَّة ـ بفَاء مضمومة، فقاف، فحاء مهملة، فتحتية مشدَّدة، نسب إِلى الفُقَاح، وهو الزّهر إِذا انْشَقَّتْ أَكمامه.

عَمَدَ إِليها: قصد.

الأُنملة: طرف الإِصبع.

التَمَس بمثناة فوقية فميم فسين مهملة: طَلَبَ.

قَلْقَلْتُ: حرّكْتُ.

من يَخْذُل الله يُخْذَل بفَتح الهاء من الاسم الكريم قالهُ السُّهيلي. والضم الظاهر كما في نسخ صحيحة من السيرة.

المَلْحَمَةُ: القتالُ وموضعهُ أَيْضاً.

جابذه: لغة في جاذبه، وقيل: مقلوب منه. إِذا جره إِليه.

الإِسار ـ بالكسر: القَيْد

قَيِّلوهم: من القَيْلُولَة.

تُبْرِدُوا: تكسر شدة الحر.

الجَزَع ـ بفتحتين: نقيضُ الصَّبر.

لم أُنْبتْ ـ بضمّ الهمزة وسكون النون وكَسْر الموحدة.

لاَذَ به: استجار.

سَلْمَى بفتح السين المهملة: إحدى خالات النبي ـ ﷺ؛ أي خالات جَدِّه عبد المطلب، لأَن أُمه من بني عَدِيّ بن النَّجَار من الأَنصار.

الدَّأَب ـ بالسكون والتحريك: العادة والتأَني.

بنانة ـ بموحدة ونونين بينهما أَلف؛ نقله النَّوَوِيّ في مُبْهَماته عن الخطيب. وقال في المورد: رأَيته بِخَط الحافظ السَّلَفي بثاء مثَلّثة، فموحدة، فأَلف، ففوقية، قلتُ: وكذا رأَيته في نسخةٍ من العيون صحيحة جداً قُرئت على مصنفها مَرَّات، وقرئت على الحافظ ابن حجر وغيره من المُتْقِنِين.

الزَّبير بن بَاطَا ـ بفتح الزّاي، وأَبوه؛ بموحدة، فأَلف، فطاء مهملة فأَلف مقصورة.

شَدَخه: كسره.

انْطُلِقَ بِهِ ـ بالبناء للمفعول.

شرح غريب ذكر خبر ثابت بن قيس ـ رضي الله عنه ـ

مَنَّ عليه ـ بفتح الميم وتشديد النون.

بُعَاث ـ تَقَدَّمَ الكلام عليه في أَبواب إسلام الأَنصار.

لهُ عِنْدِي يد: نعمة أَنْعَمَها عليَّ.

جَزَّ ـ بفتح الجيم وتشديد الزاي.

مِرآة ـ بكسر الميم، وإسْكان الراء فهمزة مفتوحة ممدودة فتاء تأْنيث.

صِينيَّةٌ: منْسُوبة إلى الصين.

العَذَارَى: جمع عَذْراء، سُمّيتْ البكر لذلك لضيقها.

الحيّ: القبيلة

البَادِي: خلاف الحاضر.

المَحْلُ: الجَدْب.

مُقَدِّمتنا ـ بكسر الدال المهملة المشددة؛ مقدمَةُ الحرب: أَوله.

عَزَّال ـ بعين مهلمة مفتوحة فزاي مُشَدَّدة فألف فلام.

سِمْوَال ـ بسين مهملة مكسورة وتفتح، فميم وآخرهُ لام.

المَجْلِس ـ بكسر اللاَّم: موضع الجُلُوس، وبفتح: المصدر.

فَتَلةُ دَلْوِ نَاضِح ـ قال ابن إِسحاق: بالفاء والفَوْقِيَّة أَي مقدار ما يأْخذ الرَّجُلُ الدَّلو التي خرجت من البِئْرِ فَيَصُبّها في الحوض، ثُمَّ يَفْتِلها أَي يردها إِلى موضعها. وقال ابنُ هشام: إِنما هو بالقاف والموحدة، وقَابِل الدَّلو: هو الذي يأْخذها من المسقى، ولفظ الخبر عند أَبي عبيد: فلست صابراً عنهم إِفْرَاغَةَ دَلْو.

ما أُبَالي: ما أَهتم ولا أَكترث.

شرح غريب ذكر اصطفائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ رَيحانة رضي الله عنها ـ

خُنَافَة: بالخاء والنون.

وَجَدَ في نَفْسه: غضب ولم يُظْهِر ذلك.

شَرح غريب قسم المغنم

قاد ثلاثة أَفْرَاس: جَنَّبَها.

مِحْصَن ـ بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين ثم نون.

السُّهْمَان ـ بالضم والأَسهم والسهام: النَّصيب.

الرِّثَّة ـ بكسر الراء وتشديد الثاء المثلثة: وهي متاع البيت الدون.

أَحْذَى بحاء مهملة فذال معجمة: أَعْطَى.

سَهَمَهُ ـ فعل ماض: أَي غلبه.

مَحْمِيَة ـ بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الميم الثانية وتخفيف التحتية.

جَزْء ـ بجيم مفتوحة فزاي ساكنة فهمزة.

سَبْرة ـ بفتح السين المهملة وسكون الموحدة.

شرح غريب قصيدتي حسان ـ رضي الله عنه ـ

ما أَساها: أَرَاد ما ساءها، فقلب، والعرب تفعل ذلك في بعض الأَفعال، يقولون: رأَى

وأَرى في معنى واحد على جهة القلب.

الـمُجَنَّبَة: التي تجنب، أَي تقاد.

تعادى: تجري وتسرع.

العَبِير: هنا الزَّعْفَران.

تَحُوم - بحاء مُهملة: تستدبر.

يُدَان - بضم التحتية: يُجْزى.

العَنَد - بفتح العين المهملة والنون والدال المهملة: الخروج عن الحق.

الفَجُور: بفتح الفاء من الفُجور وخفضه على الجواد وقد كان يجوز فيه الرفع على الإقواء في القوافي. وكذلك من رواه «الفخور».

نذيري هنا مصدر. قال تعالى: ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك ١٧] أَي إِنْذَارِي.

تَفَاقَد: فَقَد بعضُهُم بَعْضاً، وهو دُعاء عليهم.

بور: ضُلاَّل، أَو هَلْكى من البَوَار: وهو الهلاك.

السَّراةُ - بفتح السين المهملة: الخِيَارُ.

البويرة: موضع بيني قُرَيْظَةَ. وتقدم الكلام عليها في غزوة بني النَّضِير.

الطَّوَائف: النواحي.

السَّعير: النّار الـمُلْتَهبة.

النُّزه: بضم النون: البُعْد، يقال فلان يُنَزِّهُ نفسه عن الأَقذار أَي يباعد نفسه عنها.

يَضِير - بالضاد المعجمة: بمعنى يَضُر. يقال: ضَارَّه بمعنى ضرّه، ومن رَوَاهُ بالصَّاد المهملة فمعناه تشقق وتقطع.

الباب الحادي والعشرون

في غزوة بني لِحْيَان بني هذيل بن مدركة بناحية عُسْفان

وَجَدَ رسولُ الله - ﷺ - على عاصم بن ثابت، وخُبَيْب بن عَدِيّ وأَصحابهما المقتولين بالرَّجيع الآتي ذكره في السَّرَايا والبُعُوث. وَجداً شديدا، فأَظهر أَنه يُريد الشَّام، ليُصِيبَ مِنَ القوم غِرَّة، فَعَسْكَر من ناحية الجُرُف، وخرج في مائتي رَجُل، ومعهم عشرون فرساً.

قال محمد بن عمر، وابن سعد، وابن هشام: واستخلف على المدينة ابن أُم مكتوم. فخرج من المدينة فسلك على غراب ثم على مَحِيص ثم على البَتْرَاء، ثم صَفَّقَ ذات اليسار، فخرج على يَيْن ثم على صُخَيْرَات الثمام، ثم آستقام به الطريق على السَّيَالَة، فَأَغَذَّ السَّيْرَ سريعاً حتى نزل بطن غُرَان وبينها وبين عُسْفَان خمسةَ أَميال حيثُ كان مُصَابُ أَصحابه فَتَرَحَّم عليهم، وَدَعَا لهم فسمِعَتْ به بنو لِحْيَان فهربُوا في رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على أَحد، فأَقام يوماً أَو يومين، فبعث السرايا في كل ناحية، فلم يقدروا على أَحد. فلمَّا أَخطأَه من غِرّتهم ما أَراد، قال: «لو أَنَّا هَبَطْنَا عُسْفَان لَرَأَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنَّا قد جِئْنَا مَكَّة» فهبط في أَصحابه حتى نزلوا عُسْفَان. قالَ ابن إِسحاق: ثم بعث فَارِسَيْن، وقال ابن عمر، وابن سعد: بَعَثَ أَبا بكر - رضي الله عنه - في عشرةِ فَوَارِس لتسمع به قريش فَيَذْعَرهم، فأَتوا كُرَاع الغَمِيم، ثم رَجَعُوا ولم يلقوا أَحداً وراح رسولُ الله - ﷺ - قَافِلاً قال جابر فيما رَوَاهُ ابن سعد: سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقولُ حين رَجَع: «آيِبُون تائِبُون - إِن شَاء الله تعالى - لِرَبِّنَا حَامِدُون» وفي رواية «لِرَبِّنَا عَابِدُون، أَعُوذُ بالله مِنْ وَعْثَاء السَّفر، وكآبةِ المُنْقَلَبِ، وسُوء المنظر في الأَهْل والمَالِ»(١). زاد محمد بن عمر: «اللَّهم بَلِّغنا بَلاَغاً صَالحاً يبلغُ إِلى خَيْرٍ مَغْفِرتك ورضوانك» قالوا: وهذا أَول ما قال هذا الدُّعاء. وغاب صلى اللّه عليه وسلم عن المدينة أَربع عشرة ليلة، وقال كعب بن مالك - رضي الله عنه - في هذه الغزوة:

لَوَ آنَّ بَنِي لِحْيَانَ كَانُوا تَنَاظَرُوا ... لَقُوا عُصَباً فِي دَارِهِمْ ذَاتَ مَصْدَقِ
لَقُوا سَرَعَانَ يَمْلأُ السِّرْبَ رَوْعُهُ ... أَمَامَ طَحُونٍ كَالمَجَرَّةِ فَيْلَقِ
وَلكِنَّهُمْ كَانُوا وِبَاراً تَتَبَّعَتْ ... شِعَابَ حِجَازٍ غَيْرِ ذِي مُتَنَفَّقِ

تنبيهات

الأَوَّلُ: اختلفوا في أَي شهر وفي أَي سنةٍ كانت هذه الغزوة فقال ابن سعد: كانت هذه

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٢٤٠)، وابن سعد ٥٧/١/٢ وابن أبي شيبة ٥١٩/١٢ والبيهقي في السنن الكبرى ٢٥٩/٥.

الغزوة لهلال ربيع الأَول سنة ست، وصحح شيخه محمد بن عمر: أَنها في سنة ستٍّ في رجب، وقال ابن إِسحاق في رواية البكائي، وسلمة بن الفضل: على رأْس ستة أَشهر في جمادى الأُولى وقال في رواية يونس كما ذكره الحاكم: في شعبان، وقال ابن حزم: الصحيح أَنها في السَّنة الخامسة، وذكرها بعضهم أَنها في السنة الرابعة، وجزم الذهبي في تاريخ الإِسلام وغيره من العلماء: بأَنها في السادسة، وصححه في البداية.

الثَّانِي: في بيان غريب ما سبق

لِحْيَان ـ بكسر اللاَّم وسكون المهملة: نسبة إِلى لِحْيَان بن هُذَيل بن مُدْرِكَة بن الياس بن مُضَر.

هُذَيل ـ بضم الهاء وفتح الذال المعجمة وباللام.

عُسْفَان ـ بضم العين المهملة وسكون السين المهملة وبالفاء والنون.

غِرَّة: غَفْلة.

وَجَد على عاصم: حَزِن.

خُبَيْب ـ بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة.

الرَّجِيع ـ بفتح الراء وكسر الجيم وزن رضيع: من ناحية الشام على ثلاثة أَمْيَال من المدينة.

الجُرُف ـ بضم الجيم والراء وبالفاء: موضع قرب مكة، وآخر قرب المدينة واليمن واليمامة.

غُرَاب ـ بلفظ الطائر المعروف: جبل شأمي المدينة.

مَحِيْص بفتح الميم وكسر الحاء وبالصَّاد المهملتين كقَلِيل: موضع بالمدينة. البَتْرَاء: تأْنيث أَبتر.

صفَّق ـ بتشديد الفاء: عَدَل.

يَيْن ـ بتحتانيتين الأُولى مفتوحة والثانية ساكنة وآخره نون. وضبطه الصغاني بفتحهما: وادٍ من أَودية المدينة.

صُخَيْرَات ـ بضم الصاد المهملة وبالخاء المعجمة المفتوحة وسكون التحتية جمع صُخَيْرة بالتصغير.

الثُّمَام ـ بثاء مثلثة مضمومة، ورواه المغاربة بالمثناة الفوقية.

السَّيَالة ـ كسحابة: مكان على ثلاثين ميلاً من المدينة.

أَغَذَّ السَّير يُغُذُّهُ إِغْذَاذاً ـ بغين وذال معجمتين: أي أسرع.

غُرَان ـ بضم الغين المعجمة وتخفيف الراء وآخره نون: وادي الأَزرق.

يَذعَرهم: يخوفهم.

قافلاً: راجعاً.

آيبون: راجعون

وعْثَاء السَّفر ـ بالمثلثة: مشقته.

الكآبة: الحزن.

تَنَاظَرُوا: أَي انتظر بعضُهم بعضا.

العُصَب ـ بضم العين وفتح الصاد المهملتين: وآخره موحدة: الجماعات.

السَّرَعَان ـ بفتح السّين والراء المهملتين؛ أَول القوم.

السَّرْب ـ بسين مهملة مفتوحة فراء ساكنة: الطريق، وبكسر السين: النَّفْس.

الرَّوْعُ: الفزع.

طَحُون: كثيفة تطحن كل ما تمر به.

المَجَرَّة ـ هنا مَجَرَّة السماء؛ وهي البياض المستطيل بين النجوم.

الفَيْلَق: الكتيبة الشديدة.

الوِبَار: جمع وَبْر، دويبة على قدر الهِرّ تشبه بها العرب الضّعَفاء.

الشِّعَاب: جمع شعب وهو المنخفض بين الجبلين.

الحِجَان ـ بحاء مهملة فجيم فأَلف فنون: المعوج، والأَحْجَنُ: المعوج، ومن رواه الحِجاز بالزاي عنى أَرض مكة وما يليها، ومن رواه حجار بالراء فهو جمع حجر.

غير ذي متفق: أَي ليس له باب يخرج منه، وأَصله من النَّافِقَاء، وهو أَحد أَبواب جحرة اليربوع إِذا أَخذ عليه من باب الجُحْرِ خرج عليه.

الباب الثانـي والعشرون

فـي غزوة الحديبية

والسبب في ذلك ما رواه الفريابي، وعبد بن حُميد وابن جرير، والبيهقيّ عن مجاهد، وعبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة، وابن جرير عن ابن زيد، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا: أُرِي رسولُ الله - ﷺ - أَنَّه دخل مكة هو وأَصحابُه آمنين مُحَلِّقين رؤوسهم ومقصرين، وأَنه دَخَل البيْتَ، وأَخذ مِفْتَاحه وعَرَّف مع المُعَرِّفين.

قال ابن سعد، ومحمد بن عمر، وغيرهما: وآستَنْفَرَ رسولُ الله - ﷺ - العَرَبَ ومن حَوْله من أَهْل البَوادِي من الأَعراب، ليَخْرُجُوا معه وهو يَخْشى من قريش للذي صنعوا أَنْ يَعْرِضُوا له بحربٍ أَو يَصُدُّوهُ عن البيت. فأَبطأَ عليه كثيرٌ من الأَعراب.

قال محمد بن عمر: وَقَدِمَ عليه بُسْر - بضم الموحدة وسكون المهملة. وأَعْجَمَها ابن إِسحاق، وكسر الموحدة - ابن سفيان بن عمرو الخُزَاعي في ليالٍ بقيت من شوال مُسْلِماً، فقال له رسولُ الله - ﷺ - «يا بُسْر لاَ تَبْرَحْ حَتَّى تَخْرجَ مَعَنا، فإِنَّا إِنْ شاء الله مُعْتَمِرُون»، فأَقام وآبْتَاعَ لرسول الله - ﷺ - بدنا فكان يبعث بها إِلى ذي الجَدْر حتَّى حضر خروجه، فأَمر بها فَجُلِبَتْ إِلى المدينة، وسلَّمها إِلى نَاجِيَة بن جُنْدُب الأَسلمي فقدّمها إِلى ذي الحُلَيفة.

وآستخلف على المدينة - قال محمد بن عمر، وابن سعد -: ابْنَ أُم مكتوم. وقال ابن هشام: ومن تبعه: نُمَيْلة - بالنون تصغير نملة - بن عبد اللّه اللَّيْثي، وقال البلاذري بعد أَن ذكر ابن أُم مكتوم ويقال: أَبُو رهْم كُلْثُوم بن الحُصَيْن قال: وقَوْمٌ يقولون: آستخلفهُم جميعاً وكان ابن أُم مَكْتُوم على الصَّلاة.

ذكر خروجه - صلى الله عليه وسلم -

روى عبد الرزّاق، والإِمام أَحمد، وعبد بن حميد، والبخاري وأَبو داود، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر عن معمر عن محمد بن مسلم بن شهاب الزّهري، وابن إِسحاق عن الزهريّ عن عُروَة بن الزبير عن المِسْوَر - بِكَسْرِ الميم وسكون السين المهملة - ابن مَخْرَمة - بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة، ومَرْوان بن الحكم: أَنهما حدثاه ومحمد بن عمر عن شيوخه، يزيدُ بعضُهم على بَعْض - قال محمد بن عمر: دَخَلَ رسولُ الله - ﷺ - بَيْتَه فآغتسل، ولبِسَ ثَوْبَيْن من نَسْج صُحَار، وركب راحلته القَصْواء من عند بابه، وخرج بأُم سَلَمة معه، وأُم عمارة وأُم منيع أَسماء بنت عمرو، وأُم عامر الأَشهلية، وخرج بمن معه من المهاجرين والأَنصار، ومن لَحِقَ به من العَرَب لاَ يَشُكُّونَ فِي الفتح لِلرؤْيَا المذكورة، وليس معهم سلاح إِلا

السُّيُوف في القُرُب، وساق قَوْمٌ الهَدْيَ فَسَارَ رسول الله - ﷺ - يوم الاثنين لهلال ذي القعدة حتى نزل ذا الحُلَيْفَة فصلى الظهر، ثم دَعَا بالبُدْن - وهي سبعون - فَجُلِّلَت، ثم أَشْعَرَ منها عِدَّة وهي موجهات إلى القِبْلة في الشِّق الأيمن، ثم أَمَرَ نَاجيَة بن جُنْدب فأشعر ما بَقِيَ وقلّدهن نَعْلا نَعْلا، وأشعر المسلمون بُدْنَهُمْ وقلدوها، وكان معهم مائتا فرس، وبعث - ﷺ - بُسْرَ بن سفيان عَيْناً له، وقدم عبَّاد بن بِشر طليعة في عشرين فارساً، ويُقَال جعل أميرهم سعد بن زيد الأشهلي(١).

ذكر إحرامه - صلى الله عليه وسلم -

ثم صلى رسول الله - ﷺ - ركعتين، وركب من باب المسجد بذي الحُلَيْفَة، فلما آنبعثت به راحلته مُسْتَقْبِلَةَ القبلة أَحْرَم بالعُمْرَة؛ ليَأْمَن النَّاس حَرْبه، وليعلم الناس أَنَّه إِنَّما خَرَجَ زائراً لهذا البيت، ومُعَظِّماً لَه. ولفظ تلبية «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لبَّيْك لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ والنِّعْمَةَ لَكَ، والمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ». وأَحرم غالبُ أصحابه، وأُم المؤمنين أُم سَلَمة بإِحرامه، ومنهم من لم يُحْرِم إِلاَّ «بالجُحْفَة» وسلك طريق البيداء ومَرَّ فيما بين مكة والمدينة بالأعراب من بني بكر، ومُزَيْنَة، وجُهَيْنَة فآستنفرهم، فتشاغلوا بأَموالهم، وقالوا فيما بينهم: يريدُ محمَّدٌ يغزو بنا إِلى قوم مُعَدِّين في الكُرَاع والسّلاح، وإِنَّما محمد، وأَصحابه أَكلة جَزُور، لن يرجع محمدٌ وأَصحابُه من سفرهم هذا أَبداً، قومٌ لا سلاح معهم ولا عَدَد.

ثم قدَّم رسولُ الله - ﷺ - نَاجيةَ بن جُنْدب بالهَدْي مع فتيانٍ من أَسْلَم، ومعهم هَدْيُ المسلمين، ولقي طائِفةً من بني نَهْد فدعاهم إِلى الإِسلام فأَبَوا، وأَهدوا له لَبَناً من نَعَمِهم، فقال: «لاَ أَقْبَلُ هَدِيَّةَ مُشْرِك» فآبتاعه المسلمون منهم، وآبْتَاعُوا منهم ثلاثة أَضُبٍّ فأَكل قوم أَحِلَّةٌ وسأَل المُحْرِمُون رسولَ الله - ﷺ - عنها فقال: «كُلُوا فكل صيد البَرِّ لكم حَلاَل في الإِحرام تأْكلونه إِلاَّ مَا صِدْتُم أَوْ صِيدَ لكم». وعطب من نَاجية بن جُنْدُب بعيرٌ من الهَدْي، فجاء بالأَبْوَاء إِلى رسول الله - ﷺ - وأَخبره، فقال: «انْحَرْه وآصبغ قَلاَئِدَه في دمه، وَلاَ تأْكُل أَنْتَ وَلاَ أَحد منْ أَهل رُفْقَتِكَ منه، وخَلِّ بَيْنَ النَّاسِ وبينه»(٢).

ذكر حديث أبي قتادة والصعب بن جثامة وبعض من اهدى له

روى الإمام مالك والسُّتَّة عن أَبي قَتَادة رضي الله عنه - قال: كنت يوماً جَالِساً مع رِجَالٍ من أَصحاب النَّبي - ﷺ - أَمامنا، والقومُ مُحْرِمون وأَنا غير مُحْرِم عام الحُدَيْبِيَةِ، فأَبصروا حماراً

(١) أخرجه البخاري ٥٠٩/٧ (٤١٥٧، ٤١٥٨).
(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٨٧/٤.

وَحْشِياً - وأَنا مشغول أَخْصِفُ نعلى - فلم يؤذنوني، وأَحبُوا لَوْ أَنّي أَبصرته، وفي رواية فرأَيت أَصحابي يتراءَون شيئاً، وفي رواية: يضحكُ بعضهم إِلى بعض، فنظرت فإِذَا حمارٌ وحْشِيٌّ فقمت إِلى فرسي فأَسْرَجْته، ثم ركبت ونسيتُ السَّوْط والرُّمْح، فقلتُ لهم: ناولوني السَّوط والرّمح، قالوا: والله لا نعينك عليه، فغضبتُ فنزلتُ فأَخذتُهما، ثم ركبت فشدَدْت على الحمار فعقَرْتُه، ثم جِئْتُ به وقد مات فوقعوا فيه يأْكلونه، ثم إِنَّهم شكُّوا فِي أَكلهم إِيَّاه وهم حُرُم، فرُحْنَا وَخَبَأْتُ لرسول الله - ﷺ - العَضُد معي، فأَدركنا رسول الله - ﷺ - فسأَلناه عن ذلك فقال لهم: هل منكم أَحَدٌ أَمَرَه أَن يحمل عليه أَو أَشار إِليه؟ قالوا: لا، فقال: «كُلُوا مَا بَقِي مِنْ لَحمه إِنَّما هي طُعْمَةٌ أَطعمكموها الله، هُوَ حَلاَل، هَلْ مَعَكم منه شيء؟ فقلت نعم، فَنَاوَلْتُه العَضُد فأَكلها وهو مُحْرِم[1]. وروى الإِمام مالك والشيخان والترمذي والنسائي عن الصعب بن جَثَّامَة - رضي الله عنه - أَنه أَهْدَى لرسول الله - ﷺ - حماراً وحْشياً وهو بالأَبواء أَو بودَّان فردّه عليه، فلما رأَى ما في وجهه قال: إِنَّا لـم نَرُدَّه عليك إِلا أَنَّا حُرُم[2].

وأَهدى له إِيمَاء بن رَحْضَة الغفاري مع ابنه خُفَاف بن إِيمَاء - رضي الله عنه - مائة شاة وبعيرين يحملان لَبَنًا، فقال: «بَارَكَ الله فيكم» وفَرَّق ذلك رسول الله - ﷺ - وأَهدى له بعضُ الأَعراب من ودّان مَعيشاً وعتْراً وضَغَابِيس[3] فجعل يأْكل الضَّغَابِيس والعتْر وأَعجبه، وأَدخل على أُم سلمة منه، وجعل رسولُ الله - ﷺ - يعجبه هذه الهدية، ويُري أَصحابه أَنَّهَا طَرِيفة.

ذكر أمره كعب بن عجرة بحلق رأسه لعذرٍ

روى الإِمام أَحمد، وعبد بن حُمَيْد، والشيخان والترمذيّ، وابن جرير، والطبراني عن كعب بن عُجْرَة[4] - رضي الله تعالى عنه - قال: «كُنَّا مَعَ رَسُول الله - ﷺ - بالحُدَيْبِيَة وَنَحْن مُحْرِمُون - قَدْ حَصَرَنَا المُشْرِكُون، وكانت لي وَفْرَةٌ فجعلت الهَوَامُّ تَسَّاقَط على وَجْهِي، فَمَرَّ بي رسولُ الله - ﷺ - فقال: «أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّ رَأْسك»؟ قلت: نعم، قال: «مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ الجهد بَلَغَ بِكَ هَذَا»!! فأَمرني أَن أَحلق، وأَنزل الله - تعالى - هذه الآية: ﴿**فَمَنْ كَانَ منْكُمْ مَرِيضاً أَوْ به أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُك**﴾ [البقرة٩٦] فقال رسول الله

(١) البخاري ٢٩/٤ (١٨٢٤) ومسلم ٨٥٤/٢ (١١٩٦/٦٠).

(٢) أَخرجه البخاري ٣١/٤ (١٨٢٥) (٢٥٧٣)، ومسلم ٨٥٠/٢ (١١٩٣/٥٠).

(٣) الضغابيس جمع ضغبوس وهو صغار القثاء، انظر ترتيب القاموس ٢٨/٣.

(٤) كعب بن عجرة بن أمية بن عدي بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن عوف ابن غنم بن سواد بن مرة بن أرشة بن عامر بن عُبَيْلة بن قسيل بن فَرَان بن بَليّ بن عَمْرو ابن الحارث بن قُضَاعة القُضَاعِي البَلَوِي حليف القَوَاقِل أبو محمد المدني. روى سبعة وأربعين حديثاً اتفقا على حديثين، وانفرد (م) بمثلهما. وعنه بنوه محمد، وإسحاق، وعبد الملك. قال خليفة: مات سنة إحدى وخمسين. الخلاصة ٣٦٥/٢، ٣٦٦.

- ﷺ -: «صُمْ ثَلاَثَة أَيام، أَو تَصَدَّق بفرق بين ستة مساكين أَو آنسك مَا تَيَسَّرَ لَكَ».

وَلَمَّا بَلَغَ رسولُ الله - ﷺ - الجُحْفَةَ أَمَرَ بشجرة فَقُمَّ ما تحتها، فخطب النَّاسَ فقال: «إِني كائن لكم فَرطاً، وقد تركتُ فيكم مَا إِنْ أَخَذْتُمْ به لم تَضلُّوا أَبداً، كِتَابَ الله وَسُنَّةَ نبيّه» - ﷺ -(١).

ذكر بلوغ خبر خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المشركين

روى الخرائطي في الهواتف عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لـمَّا تَوَجّه رسولُ الله - ﷺ - يريدُ مكة عامَ الحُدَيْبِيَة، قَدِمَ عليه بِشْر - بكسر الموحدة والمعجمة - بن سُفيان العتْكي، فقال له: «يا بِشْر هَلْ عِنْدَك عِلْمٌ أَن أَهل مَكَّة عَلِمُوا بمسيري؟» فقال بأَبي أَنت وأُمي يا رسول الله إِني لأَطوف بالبيت في ليلة كذا وقريش في أَنديتها، إِذ صَرَخَ صَارِخٌ من أَعلى جَبَل أَبي قُبَيْس - ليلة أَمر رسول الله - ﷺ بالمسير بصوت أَسمع أَهل مكة:

هيوا لِصَاحِبِكُمْ مِثْلِي صَحَابَتُهُ ... سِيرُوا إِلَيْهِ وَكُونُوا مَعْشَراً كُرَمَا
بَعْدَ الطَّوَافِ وَبَعْدَ السَّعْيِ فِي مَهَلٍ ... وَأَنْ يَحُوزَهُمْ مِنْ مَكَّةَ الحَرَمَا
شَاهَتْ وُجُوهُكُمْ مِنْ مَعْشَرٍ تُكَلٍ ... لاَ يُنْصَرُونَ إِذَا مَا حَارَبُوا صَنَمَا

فَآرتجت مكة، وآجتمع المشركون، وتعاقدوا أَلاَّ يدخلِ عليهم بمكة في عامهم هذا، فبلغ رسولَ الله - ﷺ - فقال: «هذا الهَاتِفُ سَلْفَعُ. شيطانُ الأَصنام يُوشِك أَن يقتله الله - تعالى - إِن شاء الله عز وجل» فبينما هُمْ كذلك إِذْ سَمِعُوا من أَعلى الجبل صَوْتاً وهو يقول:

شَاهَتْ وُجُوهُ رِجَالٍ خالَفُوا صَنَمَا ... وَخَابَ سَعْيُهُمُ مَا قَصَّرَ الهِمَمَا
إِنِّـي قَتَلْتُ عَدُوَّ الله سَلْفَعَةَ ... شَيْطَانَ أَوْثَانِكُمْ سُحْقاً لِمَنْ ظَلَمَا
وَقَدْ أَتَاكُمْ رَسُولُ الله فِي نَفَرٍ ... وَكُلُّهُمُ مُحرِمٌ لاَ يَسْفِكُونَ دَمَا

قالوا: ولما بَلَغَ المشركين خروجُ رسول الله - ﷺ - رَاعَهُم ذلك فآجتمعوا وتشاوروا فقالوا: أَيريد محمد أَن يدخلها علينا في جنوده معتمراً فتسمع العربُ أَنَّه قد دخل علينا عَنْوَةً، وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا؟! والله لا كان هذا أَبداً ومنَّا عَيْنٌ تطرف.

ثم قدَّموا خالد بن الوليد في مائتي فارس إِلى كُرَاع الغَمِيم، وآستَنْفَرُوا من أَطاعهم من الأَحَابيش، وأَجْلَبت ثقيف معهم وخرجوا إِلى بَلْدَح، وضربُوا بها القِبَاب والأَبْنية، ومعهم النساء والصِّبْيَان، فعسكروا هُنَاك، وأَجمعوا على مَنع رسول الله - ﷺ - من دُخول مكة وَمُحَارَبَته، ووضعوا العُيُون على الجبال، وهم عشرة أَنفس يُوحي بعضُهم إِلى بعض الصوت الخفي فعل

(١) أخرجه البخاري ١٢/٤ (١٨١٤، ١٨١٥)، ومسلم ٨٦١/٢ (١٢٠١/٨٣).

محمدٌ كذا وكذا، حتى ينتهي إلى قُرَيْش ببَلْدَح ورجع بشر بن سفيان[١] الذي بعثه عَيْناً له من مَكَّة وقد علم خبر مكَّة والقوم، فَلَقِي رسول الله - ﷺ - بِغَدِيرِ الأَشْطَاط[٢] وراء عُسْفَان فقال: يا رسول الله!! هذه قريش سمعتْ بمسيرك، فخرجُوا ومعهم العُوذُ المَطَافِيل، قد لبسوا جُلُودَ النُّمور، وقد نَزَلُوا بذي طُوًى يُعَاهِدُونَ الله لا تَدْخُلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قَدَّمَهَا إلى كُرَاع الغَمِيم، فقال رسولُ الله - ﷺ: «يَا وَيْحَ قُرَيْش لَقَدْ أَكَلَتْهُم الحَرْب، مَاذَا عَلَيْهِم لَوْ خَلُّوا بَيْنِي وبَيْنَ سَائِر العرب، فإن هُمْ أَصَابُونِي كَانَ ذَلِكَ الَّذِي أَرَادُوا، وإِنْ أَظهرني الله تَعَالى عليهم دَخَلُوا في الإِسْلاَم وَافِرِين وإنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِم قُوَّة، فَمَا تَظُن قُرَيْش؟ فَوالله لا أَزال أُجَاهِدُهُم عَلى الَّذِي بَعَثَنِي الله تعالى بِهِ حَتَّى يُظْهِرَه الله - تعالى - أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِه السَّالفَة».

ذكر مشاورته - صلى الله عليه وسلم - وصلاته صلاة الخوف

ثم قام رسولُ الله - ﷺ - في المسلمين فحمد الله وأَثنى عليه بما هُو أَهله، ثم قال: «أَمَّا بعد: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِين أَشيرُوا عَليَّ أَتَرَوْن أَن نَمِيلَ إِلى ذَرَارى هَؤُلاء الَّذين أَعَانُوهم فَنُصِيبَهُم» وقال: «فإن قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورين مَحْرُوبين وَإِنْ يأْتُونَا تكن عُنُقاً. وفي لفظ: عَيْناً - قَطَعَهَا الله، أَم ترون أَن نَؤُمَّ البَيْتَ فَمَنْ صَدَّنَا عنه قَاتَلْنَاه؟» فقال أَبو بَكْرٍ - رضي الله عنه -: الله ورسوله أَعلم، يَا رَسُولَ الله إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِين ولم نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَد، ونرى أَن نَمْضِي لِوَجْهِنَا، فَمَنْ صَدَّنَا عن البَيْتِ قَاتَلْنَاه، ووافقه على ذَلِكَ أُسَيْد بن الحُضَيْر.

وروى ابن أَبي شيبة عن هشام بن عُرْوَة عن أَبيه ومحمد بن عمر عن شيوخه. أَن المِقْدَاد بن الأَسود - رضي الله عنه - قال بعد كلام أَبي بكر: إِنَّا والله يَا رَسُولَ الله لاَ نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالت بنو إِسْرَائيل لنبيها: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون ولكن آذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُون» انتهى.

---

(١) (بشر) بن سفيان العتكي.. ذكر الخرائطي في الهواتف من طريق عبد الله بن العلاء عن الزهري عن عبد الله بن الحارث عن أبيه عن ابن عباس قال لما توجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد مكة في عام الحديبية قدم عليه بشر بن سفيان العتكي فسلم عليه فقال له يابشر هل عندك علم أن أهل مكة علموا بمسيري فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني لأطوف بالبيت في ليلة كذا وسمى الليلة التي أنشؤا لها السفر وقريش في أنديتها إذ صرخ صارخ في أعلى أبي قبيس بصوت أسمع قاصيهم ودانيهم يقول

سيروا فصاحبكم قد سار نحوكم   سيروا إليه وكونوا معشراً كرما

فذكر أبياتاً فارتجت مكة واجتمعوا عند الكعبة فتحالفوا وتعاقدوا أن لا تدخلها عليهم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا شيطان الأصنام يوشك أن يقتله الله ثم ذكر إرساله إلى مكة يتجسس أخبارهم وذكر بقية القصة، الإصابة ١٥٦/١.

(٢) غدير الأشطاط: آسم موضع قريب من عسفان، انظر مراصد الإطلاع ٨١/١.

فقال رسولُ الله - ﷺ - «فسِيروا على آسم الله».

ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى رَسُولِ الله - ﷺ - وأَصحابه ؛صف خيله فيما بين رسول الله ﷺ وبين القبلة - فأمر رسول الله - ﷺ - عَبّاد بن بشر - رضي الله عنه - فتقدَّم في خَيْله، فقام بإزائِه، فصفَّ أَصحابه، وحانت صلاة الظُّهر، فأَذَّن بلال، وأَقام، فآستقبل رسولُ الله - ﷺ القبلة - وصفَّ النَّاسَ خلفه، فركع بهم ركعة وسجد، ثم سَلَّم، فقامُوا عَلَى مَا كَانوا عليه من التَّعبئة. فقال خالد بن الوليد: قد كَانُوا على غِرَّةٍ لو حَمَلْنَا عليهم أَصَبْنَا منهم ولكن تأْتي الساعة صلاةٌ أُخرى هي أَحب إليهم من أَنفسهم وأَبْنَائِهم، فنزل جبريل بين الظهر والعصر بهذه الآية: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِم فَأَقَمْتَ لَهُم الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنهُم مَعَك ولْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُم وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَك وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُم وأَسْلِحَتَهُم وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُم فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً، وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُم مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ الله أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾ [النساء ١٠٢] فحانت صلاةُ العَصْر، فصلَّى رسولُ الله - ﷺ - صَلاَةَ الخَوْفِ، وستأْتي كيفيتها في أَبواب صلواته - ﷺ.

ذكر مسير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الحديبية من غير طريق خالد بن الوليد وما وقع في ذلك من الآيات

روى البَزَّار بسندٍ رجالُهُ ثِقاتٌ عن أَبي سعيد الخُدْرِي - رضي الله عنه - مُخْتصراً، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا: لمّا أَمسى رسولُ الله - ﷺ - قال: «تَيَامَنُوا في هَذَا العَصَل وفي رواية اسلكوا ذَات اليمين بَيْنَ ظهور الحَمْض؛ فإن خالد بن الوليد بالغَمِيم في خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طليعة» كَرِهَ رسولُ الله - ﷺ - أَن يَلْقَاه وكان بهم رَحِيماً، فقال: «تيَامَنُوا فأَيكم يَعْرِفُ «ثَنِيَّة ذات الحنظل»؟ فقال بُرَيْدة بن الحُصَيْب: بحاء مضمومةٍ فصاد مفتوحة مهملتين فتحتية فموحدة مهملتين فتحتية - الأَسلمي: أَنا يا رسول الله عالمٌ بها، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «آسْلُكْ أَمَامَنا» فأَخذ بُرَيْدة في العَصَل - قِبَلَ جبال سَرَاوِع قِبَلَ المغرب، فوالله ما شعر بهم خالد حتَّى إِذَا هم بِقَتَرة الجيش، فآنْطَلَق يركُضُ نَذِيراً لقريش، فَسَلَكَ بُرَيْدَةُ بهم طريقاً وَعِراً أَجْرَل(١) بيْنَ شِعَاب، وسار قليلاً تُنَكِّبه الحجارةُ وتُعَلِّقُه الشجر، وصار حتى كأَنه لم يعرفهما قط. قال: فوالله إِني كنت أَسلكها في الجمعةِ مِرَاراً، فنزل حمزةُ بن عمرو الأَسْلمي، فسار بهم قليلاً، ثم سقط في خَمَر الشجر فلا يدري أَيْنَ يتوجّه، فنزل عمرُو بن عَبْدِنُهْم الأَسلمي فآنطلق

---

(١) أجرل: الجرل الحجارة وقيل الشجر مع الحجارة، آنظر لسان العرب ٦٠٣/١.

أَمَامَهم حتى نَظَرَ رسولُ الله - ﷺ - إلى الثنية، فقال: هذه ثنية ذات الحنظل؟» فقال عمرو: نَعَمْ يا رسولَ الله، فلما وقف به على رأسها تحدر به، قال عمرو: فوالله إن كان لَتَهُمُّني نفسي وحدها إنما كانت مثل الشِّرَاك فاتسعت لي حين بَرَزْت، فكانت فِجَاجاً لاَجِبة ولقد كان الناس تلك الليلة يسيرون جميعاً مُعْطِفِين من سَعَتِهَا يتحدثون، وأَضاءت تلك الليلة حتى كأنَّا في قمر(١).

وروى مسلم عن جابر مُختصراً، وأبو نعيم عن أبي سعيد، وابن إسحاق عن الزُّهري، ومحمد بن عمر عن شيوخه.

قال أَبو سَعيد: خَرَجْنَا مع رسول الله - ﷺ - عَامَ الحُدَيْبِيَة حتى إذَا كُنَّا بعُسْفَان سِرْنَا من آخر اللَّيل حتى أَقبلنا على «عَقَبَة ذات الحنظل» قال جابر: فقالَ رسُولُ الله - ﷺ -: منْ يصعَدُ ثنيّة المِرار فإنّه يُحَط عنه ما حُطّ عن بني إسرائيل، فكان أَوّل مَنْ صَعَدَ خيل من الخزرج، ثم تبادر النَّاسُ بعد. وقال أبو سعيد فَقَالَ رسُول الله - ﷺ -: «مَثَلُ هذه الثَّنِيّة الليلة كمثل الباب الذي قال الله تعالى لبني إسْرائيل ﴿وَٱدْخُلُوا ٱلبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ [البقرة ٥٨] وقال ابن إسحاق: إنّ المسلمين لما أَن خرجوا من الأَرض الصَّعْبة وأفضوا إلى أَرض سَهْلة، قال رسول الله - ﷺ -: «قُولُوا نَسْتَغْفِر الله ونَتُوبُ إليه». فقالوا ذلك، فقال: «والله إنها لَلْحِطَّةُ الَّتي عُرِضَت على بَنِي إسْرَائيل فلم يَقُولوها» قال أَبو سعيد: ثم قال رسول الله - ﷺ - «لا يجوز هذه الثَّنِيّة اللَّيلَة أَحَدٌ إلا غُفِرَ لَهُ» فلـمَّا هَبَطْنَا نُزلَنَا فقلت يا رسول الله نَخْشَى أَن ترى قريشٌ نيراننا، فقال: لن يروكم، فلما أَصْبَحْنَا صلى بنا صلاة الصبح، ثم قال: «والذي نَفْسِي بِيَدِه لقد غُفِرَ للرَّكْبِ أَجْمَعِين إلاَّ رُويكباً واحداً على جَمَلٍ أَحمر التقت عليه رِحَالُ القوْمِ ليس منهم، وقال جابر: قال رسول الله - ﷺ - «كلكم مَغْفُورٌ له إلا صَاحبَ الجمل الأَحمر». قال أَبو سَعيد: فَطُلِبَ في العسكر فإذا هو عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، والرَّجُلُ من بني ضَمْرة من أَهل سيف البحر يظن أنه من أَصحاب رَسُول الله - ﷺ - فقيل لسعيد: إن رسول الله - ﷺ قال: كذا وكذا، فقال له سعيد: ويْحَكَ!! اذهبْ إلى رسول الله - ﷺ يستغفر لك(٢).

وقال جابر: فقُلْنَا له: تَعَال يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ الله - ﷺ - فقال: والله لأَن أَجِدَ ضَالَّتي أَحب إليّ من أَنْ يَسْتَغْفِرَ لي صَاحبُكم. وقال أَبو سعيد: فقال بعيري والله أَهم من أَن يَسْتَغْفر

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١٦٥/٤.

(٢) مسلم في صفات المنافقين رقم (١٢) والبيهقي في دلائل النبوة ١٠٩/٤ وذكر ابن كثير في التفسير ٣١٨/٧ وصاحب الجمل المنافق الجدُّ بْنُ قيس.

لي، إذا هو قد أَضَل بعيرا له، فانطلق يطلب بعيرَهُ بعد أَن استبرأ العسكر وطلبه فيهم، فبينَا هُوَ في جِبَال شُراوِعٍ إذ زلقت به نعله فتردَّى فمات، فما عُلِمَ به حتى أكلته السباع، قال أبو سعيد: فقال رسولُ الله - ﷺ - يومئذ: «سَيَأْتِيكُم أَهْلُ اليَمَن كَأَنَّهم قطَعُ السَّحَاب. هُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ.

ذكر نزول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحديبية وما وقع في ذلك من الآيات

قال مِسْوَرُ بن مَخْرَمة، ومروان بن الحكم: إن رسولَ الله - ﷺ سار فَلَمَّا دَنَا من الحُدَيْبِيَة وقعت يَدَا راحلَتِه على ثَنِيَّةٍ تُهْبِطُ في غائِط القوم، فَبَرَكَت به راحلتُه، فقال، وفي رواية: فَقَالَ الناس «حَلْ حَلْ» فَأَبت أَن تنبعث وأَلَحَّتْ، فقال المسلمون: خَلأَت القَصْواء، فقال رسول الله - ﷺ: «ما خلأَت القصواء وماذاك لها بِعادَة، وفي لفظ: بِخُلُق، ولكن حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ عن مَكة» ثم قال: «والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لاَ يَسْأَلُونِي اليَوْمَ خُطَّةً فيها تَعْظِيمُ حُرُمَاتِ الله تعالى إلاَّ أَعْطَيْتُهُم إِيَّاهَا» ثم زجرها فقامت، فَوَلَّى راجعاً عَوْدَه على بَدْئه. وفي رواية فعدل عنهم حتى نزل بِأَقصى الحديبية على ثمد[1] من ثماد الحديبية ظَنُون [2] قليل الماء يَتَبَرَّضُ[3] النَّاسُ مَاءه تَبَرُّضاً، فلم يُلْبِثْهُ النَّاسُ حتى نَزَحُوه، فاشتكى الناسُ إلى رسُولِ الله - ﷺ - قِلَّة الماء، وفي لفظ «العَطَش» فانتزَع سَهْماً من كِنَانَته فأَمر به فَغُرِزَ في الماء فجاشت بالرَّواء حتَّى صَدَرُوا عنها بِعَطَن[4] قال المِسْوَرُ: وإنهم ليغترفون بآنيتهم جُلُوساً على شَفِير البئر.

قال محمد بن عمر: والذي نزل بالسَّهم ناجية بن الأَعجم - رجلٌ من أَسلم، ويقال: ناجية بن جُندب وهو سائِقُ بُدْنِ رسول الله - ﷺ - وقد روى أَن جَارِيَةً مِنَ الأَنصار قالت لناجية وهو في القَلِيب:

يَا أَيُّهَا المَاتِحُ دَلْوِي دُونَكَا   إِنِي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا
يُثْنُونَ خَيْراً وَيُمَجِّدُونَكَا

فقال ناجية وهو في القليب:

قَدْ عَلِمَتْ جَارِيَةٌ يَمَانِيَهْ   أَنِّي أَنَا المَاتِحُ وَٱسْمِي نَاجِيَهْ

(١) ثمد الماء ثمداً: قَلّ، أنظر المعجم الوسيط ١/١٠٠.
(٢) الظَّنُونُ: البئر لا يدري فيها ماء أم لا، أنظر الصحاح ٦/٢١٦٠.
(٣) تَبَرَّضُ: يقال: يَتَبَرَّضُ الماء من العين إذا خرج وهو قليل، أنظر الصحاح ٣/١٠٦٦.
(٤) العطن: مَبرك الإبل، أنظر المعجم الوسيط ٢/٦١٥.

وَطَعْنَةٍ ذَاتِ رَشَاشٍ وَاهِيَهْ طَعَنْتُهَا تَحْتَ صُدُورِ العَادِيَهْ

قال محمد بن عمر: حدثني الهَيْثَم بن واقد عن عطاء بن مروان عن أَبيه قال: حدثني أَربعة عَشَرَ رَجُلاً ممَّن أَسلم منْ أَصحاب رسول الله - ﷺ - أَنه ناجية بنُ الأَعجم، يقول: دعاني رسول الله - ﷺ - حين شُكي إِليه قِلَّةُ الماء فأَخْرَجَ سَهْمَا من كِنَانَتِه، ودفعه إِلَيَّ، وَدَعَا بِدَلْوٍ من ماء البئر فجئته به، فتوضأ فَمَضْمَضَ فَاه، ثم مَجَّ في الدّلو - والنَّاس في حرٍّ شديد - وإِنما هي بئر واحدة قد سبق المشركون إِلى بَلْدَح فغلبوا على مياهه فقال: «انزل بالدَّلو فَصُبَّها في البئر وأَثِرْ مَاءهَا بالسّهم» ففعلت، فوالذي بَعَثَه بالحق مَا كِدْت أَخرجُ حتى يغمرني وَفَارَت كما تَفورُ القِدْر، حتى طَمّت وآستوت بشفِيرها، يَغْتَرِفون من جانبها حتى نَهِلُوا من آخِرِهم. وعلى الماء يومئذ نَفَرٌ من المنافقين، منهم عبد اللّه بن أبيّ، فقال أَوْس بن خَوَلَى: وَيْحَكَ يا أَبا الحُبَاب!! أَمَا آن لك أَن تبصر ما أَنت عليه؟ أَبَعْدَ هذا شيء؟ فقال: إِني قد رأَيتُ مِثْلَ هذا. فقال أَوْس: قبَّحك الله وقبح رأيك فأَقبل ابنُ أُبَي يريدُ رسولَ الله - ﷺ فقال «يا أَبا الحُبَاب: أَنّى رَأَيتَ مثلما رأَيْتَ اليوم»؟ فقال: ما رأَيتُ مثله قط. قال: «فَلِمَ قُلْتَه»؟ فقال آبن أُبَيّ: يَا رسولَ الله اسْتَغْفَر لي، فقال آبنُه عبد اللّه بن عبد اللّه - رضي الله عنه - يا رسول الله اسْتَغْفِرْ لَه، فآسْتَغْفَرَ له(١).

وروى ابن اسحاق، ومحمد بن عمر، عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال: أنا نزلت بالسَّهم. والله أَعلم.

قصة أُخرى: روى الإِمام أَحمد، والبخاريّ، والطبراني، والحاكم في الإِكليل، وأَبو نُعيم عن البراء بن عازب، ومسلم عن سَلَمة بن الأَكْوع، وأَبو نُعيم عن ابن عباس، والبيهقيّ عن عُرْوَة، قال البراء: كنا مع رسولِ الله - ﷺ - بالحُدَيْبِيَة أَربع عشرة مائة، والحُدَيْبِيَة: بئر فقدمناها وعليها خَمْسُون شاة ما ترويها فتبرضها فلم نترك فيها قطرة، قال ابن عبَّاس: وكان الحرُّ شديدا، فشكى النَّاسُ العَطَش، فَبَلَغَ ذلك النبيَّ - عليه الصلاة والسلام - فأَتاه فَجَلَسَ على شَفِيرِهَا، ثم دَعَا «بِإناء» وفي لفظ «بِدَلْوٍ» فتوضأ في الدّلْوِ، ثم مَضْمَض ودَعَا، ثم صَبَّه فيها، فتركناها غير بعيد ثم إِنها أَصْدَرَتْنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرَكَائِبَنَا. قال البراء: ولقد رأَيت آخرنا أَخرج بثوب خَشْيَة الغَرق حتى جَرَت نَهراً(٢).

وقال ابن عباس وعُرْوَة فَفَارَتْ بالماء حتى جعلوا يَغْتَرِفُون بِأَيديهم منْها وهُم جُلوس على شفيرها.

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٧٧/٦ وابن كثير ١٢٥/٣.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٥/٧ (٤١٥٠).

قصة أُخرى: روى البخاري في المغازي وفي الأَشْرِبَةِ، عن جابر بن عبد اللّه، عن سَلَمَة ابن الأَكوع - رضي الله عنهما - قالا: عَطِشَ الناسُ يومَ الحُدَيْبِيَة ورسولُ الله - ﷺ - بَيْنَ يديه رَكْوَة، وقال جابر في رواية: وقد حضر العصر، وليس مَعنا ماء غير فَضْلة، فجُعِلَ في إِنَاء فَأُتي به رسول الله - ﷺ - فتَوَضأ منها، ثم أَقْبَل الناسُ نَحْوَهُ، فقال رسول الله - ﷺ -: «ما لكم؟» قالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ماء نتوضَّأُ به، ولا نشربُ إلا مَا في رَكْوَتِك فأفرغتها في قَدح، ووضَعَ رسولُ الله - ﷺ - يَدَه فِي القَدَح، فجعل الماء يَفُورُ من بَيْنِ أَصَابعه كأَمثال العُيُون، فشربْنَا وتوضَّأْنا، فقال سالم بن أَبي الجَعْد: فقُلتُ لجابر: كَمْ كنتم يَوْمِئِذٍ؟ قال: لو كُنَّا مائة أَلف لَكَفَانا، كُنَّا خمس عشرة مائة.(١)

ذكر نزول المطر في تلك الأيام وما قاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صبيحة المطر

روى الشيخان وأَبو عوانة، والبيهقيّ عن زيد بن خالد - رضي الله عنه - قال: خَرَجْنَا مع رسول الله - ﷺ - عام الحُدَيْبِيَة فأَصابنا مطرٌ ذاتَ ليلة، فصلى بِنَا النبيُّ - ﷺ - الصُّبْحَ، ثم أَقبل عَلَيْنَا بوجْهه، فقال: أَتدرون مَاذَا قَالَ رَبُّكم؟ قُلْنَا: الله ورسوله أَعلم: قال: قَال الله عز وجل: «أَصْبَحَ منْ عبَادي مُؤْمِنٌ وَكَافر، فأَما المُؤْمِن مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا برحمة الله وبفَضْلِ الله فَهُو مُؤْمِنٌ بي وَكَافِرٌ بِالكَوَاكِب، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَجْم كَذَا - وفي روَاية: بنَوْء كَذَا وَكَذَا - فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالكَوَاكِب كَافِرٌ بي».(٢)

قال محمد بن عمر: وكان ابن أُبيّ بن سَلُول قال: هذا نَوْء الخَرِيف مُطِرْنا بالشِّعْري.

وروى ابن سَعْد عن أَبي المليح عن أَبيه قال: أَصابنا يوم الحُدَيْبِيَة مَطرٌ لم يَبُلّ أَسَافِلَ نِعالنا، فنادى مُنَادِي رسول الله - ﷺ - أَن صَلُّوا في رِحَالِكُم.

وأَهدى عمرو بن سالم وبُشر بن سُفيان الخزاعِيَّان - رضي الله عنهما - بالحُدَيْبِيَة لِرَسُولِ الله - ﷺ - غَنَماً وجَزُوراً، وأَهدى عَمْرُو بنُ سالم لسعد بْنِ عُبَادة - رضي الله عنه - جُزُراً - وكان صديقاً له - فجاء سَعْدٌ بالجُزُر إِلى رسول الله - ﷺ - وأَخْبَرَه أَن عَمْراً أَهْدَاها له، فقال: «وعَمْرو قد أَهْدى لنا ما ترى، فبارك الله في عمرو» ثم أَمر بالجُزُر تُنْحر وتُقْسَم في أَصحابه، وفرَّق الغنم فيهم من آخرها وشرك فيها فدخل على أُم سَلَمة من لَحْم الجَزُور كنحو ما دخل على رَجُلٍ من القوم، وشرك رسولُ الله - ﷺ - في شَاتِه، فَدَخل على أُمّ سلمة بعضُها، وأَمر - ﷺ - لِلَّذِي جَاء بالهدية بكسوة.

---

(١) أخرجه البخاري في المصدر السابقة (٤١٥٢).

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٩/٥ (٤١٤٧) واخرجه مسلم في الإيمان (١٢٥) والبيهقي في دلائل النبوة ١٣١/٤.

ذكر قدوم بديل بن ورقاء الخزاعي ورسل قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما آطمأن رسولُ الله - ﷺ - بالحُدَيْبِيَة: جاءه بُدَيْل بن وَرْقَاء - وأسلم بعد ذلك - في رجالٍ من خُزَاعة، منهم: عمرو بن سالم، وخراش بن أُميّة وخارجة بن كُرْز، ويزيد بن أُميّة وكانوا عَيْبَة نُصْحٍ لرسول الله - ﷺ - بتهامة، منهم المُسلم ومنهم الموادع. لا يُخْفُون عنه بتهامة شيئاً. فلمَّا قدمُوا على رسولِ الله - ﷺ - سَلَّمُوا، فقال بُدَيْل بنُ وَرْقَاء: جئناك من عند قَوْمِك، كعب بن لُؤي، وعامر بن لؤي، قد آسْتَنْفَرُوا لك الأَحابيش ومن أَطَاعَهم، قد نزلوا أَعْداد مياه الحُدَيْبِيَة، معهم العُوذُ المطافيل والنساء والصبيان، يُقْسِمُون بالله لا يُخَلُّون بينك وبين البيت حتى تَبِيدَ خضراؤهم، فقال رسول الله - ﷺ -: «إنَّا لم نأْت لقتالِ أَحَدٍ، إنما جِئْنَا لنَطُوفَ بِهَذا البَيْت، فَمَنْ صَدَّنا عَنْه قَاتَلْنَاه، إنَّ قُرَيْشاً قَدْ أَضَرَّتْ بِهِم الحَرْب ونهكتهم فإنْ شَاءوا مَادَدْتُهُم مُدَّةً يأْمَنُون فيهَا، ويُخَلُّونَ فيْمَا بَيْنَنَا وبَيْنَ النَّاس، - والنَّاسُ أَكْثَر مِنْهُم - فإن أَصَابُوني فَذَلكَ الَّذِي أَرَادُوا وَإِنْ ظَهَرَ أَمْري عَلَى النَّاسِ كَانُوا بَيْنَ أَنْ يَدْخلوا فِيْمَا دَخَلَ فيه النَّاس أَو يقاتلوا وقد جَمُّو، وإنْ هُمْ أَبَوْ فَوَاللهِ لأَجْهَدَن على أَمري هذا حتى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي ولَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ تعالى أَمْرَه».

فوعى بُدَيْلُ مقالَةَ رسُولِ الله وقال: سَأُبَلِّغهم ما تقُول، وعاد ورَكْبُه إِلى قُرَيش، فقال ناسٌ منْهم: هذا بُدَيْل وأَصحابه، وإِنَّما يريدون أَن يستخبروكم فلا تسأَلوهم عن حرْف واحدٍ، فلما رأَى بُدَيْل أَنَّهم لا يستخبرونه قال: إنَّا جئْنا مِنْ عِنْد محمد، أتحبُّون أَن نخبركم عنه؟ فقال عِكْرَمَةُ بنُ أَبي جهل، والحَكَمُ بنُ العاص - وأسلما بعد ذلك - مالنا حاجةٌ بأَن تُخبرونا عنه، ولكن أَخبروه عنَّا أَنه لا يدخلها علينا عَامَه هذا أَبَداً حتى لا يبْقى منَّا رجلٌ، فأَشارَ عليهم عُروَةُ بنُ مسعود الثَّقفي - وأَسلم بعد ذلك - بأَن يستمعُوا كلاَمَ بُدْيل فإِن أَعجبهم قبلوه وإِلا تركوه، فقال صَفوانُ ابنُ أُميَّة والحارثُ بنُ هشام - وأَسلما بعد ذلك - أَخْبِرُونَا بالذي رأَيتم وسمعتم، فقال بُديل لهم: إنكم تعْجَلُون على مُحَمَّدٍ - ﷺ - إنّه لم يأت لِقِتالٍ إِنما جاء معتمراً وأَخبرهم بمقالة النبي - عليه الصلاة والسلام - فقال عُرْوة: يا معشر قريش أَتَتَّهِمُونني؟ قالوا: لا. قال: أَلَسْتُم بالوالد! قالوا: بلى. قال: أَلست بالولد؟ قالوا: بلى وكان عُروة لِسُبَيْعَة بنت عبد شمس القرشية. قال: «أَلَسْتُمْ تعلمون أَني آستَنْفَرْتُ أَهل عُكَاظ لنصركم فلمَّا تَبَلَّحُوا عَليَّ نفرتُ إِليكم بنفسي وولدي ومنْ أَطاعني؟ قالوا: قد فَعَلْتَ، ما أَنْتَ عندنا بِمُتَّهَم. قال: إِني لكم ناصح، وعليكم شفيق، لا أَدَّخِر عنكم نُصْحاً، فإن بُدَيْلاً قد جاءكم خُطة رُشْد لا يردُّها أَحدٌ أَبداً إِلا أَحدٌ شَرٌّ منها. فاقبلوها منه، وآبعثوني حتَّى آتيكم بِمِصْدَاقِهَا من عنده، وأَنظر إِلى مَنْ

معه، وأكون لكم عيناً آتيكم بخبره، فبعثته قريشٌ إلى رسول الله - ﷺ - فجاء رسولَ الله - ﷺ - فقال: يا محمد، تركتُ كعبَ ابنَ لُؤي وعامرَ بنَ لؤي على أعداد مياه الحُدَيْبِيَة، معهم العُوذُ المَطَافِيل قد آستَنْفَروا لك الأحابيش ومن أطاعهم، قد لبسوا جُلُودَ النُّمُور، وهم يُقْسمون بالله لا يُخَلُّون بينك وبين البيت حتى تَجْتَاحهم، وإنما أنت ومن قاتلهم بَيْنَ أحد أمرين أن تَجْتَاحَ قَوْمَك ولم يُسْمع برجلٍ آجْتَاح قَوْمَه وأَهْلَه قبْلَك. أو بَيْن أَنْ يَخْذُلَك من ترى مَعَك، وإنّي والله لا أرى معك وُجُوهاً وإنِّي لا أرى إلا أَوْبَاشاً، وفي رواية: فإني لأرى أشوابا[1] من الناس، لا أعرفُ وُجوهَهُم ولاَ أَنْسَابهم، وخَلِيْقاً أن يفِرُّوا ويَدَعُوك. وفي رواية: وكأني بهم لَوْ قَدْ لقيتَ قُرَيْشاً أَسْلَمُوك فَتُؤْخَذَ أسيرا، فأيّ شيءٍ أشدّ عليك من هذا؟ فَغَضِبَ أبو بكر - وكان قاعدا خلْفَ رسول الله - ﷺ - فقال: أمْصُ بَظْر اللاَّت، أنَحْنُ نَخْذُلُه أو نفِرُّ عنه؟! فقال عُروةُ: منْ ذا؟ قالوا: أبا بكر. فقال عُرْوة: أما والله لوْلاَ يَدٌ لَكَ عنْدي لم أَجْزك بها لأُجِيبَنَّك.

وكان عُرْوَةُ قد آستعانَ في حَمْل دية فأعانه الرجُلُ بالفريضتين والثلاث، وأعانه أبو بكر بِعشر فرائض فكانت هذه يَدُ أبي بكر عند عُرْوَة، وطفقَ عُروة كُلّما كلّم رسولَ الله - ﷺ - مسَّ لحْيَةَ رسولِ الله - ﷺ - والمغيرةُ ابنُ شُعْبَة قائمٌ على رأس رسُولِ الله - ﷺ - بالسّيف، - على وَجْهه المغْفَرُ - لمَّا قدم عُروةُ لبسها، فطفِقَ المغيرةُ كلَّما أَهْوَى عُرْوةُ بيده ليمسّ لحْيَة النّبيّ - عليه الصلاة والسلام - يقرعُ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيف ويَقُول: أكْفُفْ يَدَك عن مسِّ لحية رسول الله - ﷺ - قَبْلَ ألاّ تصِل إليك، فإنَّه لا يَنْبَغِي لمشرك أن يمسّه. فلما أكْثَرَ عليه غَضِبَ عُرْوَة وقال: وَيْحك!! ما أفظّك وأغلظك! وقال: ليت شِعْري!! منْ هذا الذي آذاني من بين أصحابك؟ والله لا أحسب فيكم ألأَم منه ولا أَشرَّ منزلة. فتبسّمَ رسولُ الله - ﷺ - وقال: «هذا آبن أخيك المُغيرةُ بن شعبة» فقال عروة: وأنت بذلك يا غُدَر، والله ما غَسَلْتُ عنك غدْرَتَك بعُكَاظَ إلاَّ أمس، لقد أورَثْتَنا العَدَاوَة من ثقيف إلى آخر الدّهر - وسَيَأتي في ترجمة المُغِيرَة بيان هذه الغَدْرة.

وجعل عُروةُ يَرْمُق أَصحابَ النبي - ﷺ - بعينه، فوالله مَا يَتَنَخّم رسولُ الله - ﷺ - نخَامةً إلاَّ وقعت في كفِ رجلٍ منهم فَدَلَكَ بها وَجْهَه وجِلْدَه، وإذا أمرهم بأمرِ ابْتَدرُوا أمره، وإذَا توضّأ كادوا يَقْتَتِلُوا على وَضُوئِه، ولا يسقُطُ شيء من شَعْرِه إلا أخذوه، وإذَا تكلم خَفَضُوا أَصواتهم عنده، وما يُحِدُّون النظر إليه؛ تعظيماً له.

فلما فَرَغ عُرْوَةُ من كلام رسول الله - ﷺ - وردَّ عليه رسولُ الله - ﷺ - مثلَ ما قال لِبُدَيْل بن وَرْقَاء وكما عرض عليهم من المدة. فأتى عُروة قريشاً، فقال: يا قومُ إني وفدتُ إلى

---

(١) الأوشاب الأوباش، والأخلاط من الناس، أنظر المعجم الوسيط ١٠٤٥/٢.

الملوك: كسرى وقيصر والنجاشي وإني والله ما رأيتُ مَلِكاً قط أطوع فيما بين ظَهْرَانَيْه من محمد في أصحابه، والله إن رأيتُ مَلِكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصحابُه ما يُعَظِّمُ أَصحابُ محمد محمداً، وليس بملك والله ما تَنَخَّمَ نُخَامَةً إلا وقعت في كفِّ رجلٍ منهم فَدَلَكَ بها وجْهَه وجِلْدَه، وإذا أمرهم بأمرٍ ابتدروا أَمره، وإذا توضَّأ كادُوا يَقْتَتِلُون على وَضُوئه أيّهم يظفر منه بشيء، ولا يَسْقُطُ شيء من شَعْرِه إلاَّ أخذوه، وإذا تكلمّ خَفَضُوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون النظر إليه تعظيماً له، ولا يتكلَّم رجلٌ منهم حتى يستأذِن، فإن هو أَذِنَ لهُ تكلم، وإن لم يأذن له سكت، وقد عَرَضَ عليكم خُطَّةَ رُشْدٍ فاقبلوها، قد حَرَزْتُ القومَ، واعلموا أنكم إن أردتم منهم السيف بَذَلُوه لكم، وقد رأيت قَوماً لا يبالون ما يُصَنَعُ بهم إذا منعتم صاحبهم، والله لقد رأيتُ معه نساء ما كُنَّ ليسلمنه أبداً على حال، فَرَوْا رأيكم فأتوه يا قوم، واقبلوا ما عَرضَ عليكم، فإني لكم ناصح، مع أني أخاف أن لا تُنْصَرُوا على رَجُلٍ أَتَى زائِراً لهذا البيت مُعَظِّماً له، معه الهدى يَنْحَرهُ وينصرف، فقالت قريش: لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور، أوَغيرك تكلم بهذا؟ ولكن نردّه عامنا هذا، ويرجعُ إلى قابل، فقال: ما أَراكم تُصيبكم قارعة. فانصرف هُوَ ومن تبعه إلى الطَّائف.

فقام الحُلَيس وهو بمهملتين ـ مُصغّر ـ ابن علقمة الكناني وكان من رؤوس الأَحابيش ولا أعلم له إسلاما فقال: دَعوني آتيه. فقالوا: آئته. فلما أشرف على رسول الله ـ ﷺ ـ قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «هَذَا فُلاَنٌ مِنْ قَوْم يُعَظِّمُونَ البُدْن وفي لفظِ «الهدى، ويَتَأَلَّهُون، فَابْعَثُوهَا لَه» فبُعِثَت له، فلما رأى الهَدْي يَسِيلُ عليه من عُرض الوادي عليها قلائِدها، قد أكلت أوبارها من طول الحبس، تُرَجِّع الحنين، واستقبله الناسُ يُلَبُّون قد أقاموا نصْفَ شهر، وقد تَفِلُوا وشَعِثُوا، صاح وقال: سبحان الله «ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت أبى الله أن تحج لخم وجذام وكندة وحمير ويمنع ابن عبد المطلب، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت هلكت قريشٌ وربِّ الكعبة. إنَّ القوم إنما أتوا عُمَّاراً، فقالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ «أَجَلْ يَا أَخَا بَنِي كِنَانَة».

وذكر ابن إسحاق ومحمد بن عمر، وابن سعد: أنه لم يصل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ لَمَّا رأَى ذلك إعْظاماً لِمَا رأى فيُحْتَمَلُ أَنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ خاطبه مِنْ بُعد، فرجع إلى قريش فقال: إني رأيتُ ما لا يحلُّ منعه، رأيت الهَدْي في قلائده قد أكل أوباره معكوفاً عن مَحِلِّه والرِّجَال قد تَفِلُوا وقَمِلُوا أن يطوفوا بهذا البيت، والله ما على هذا حَالفناكُم، ولا عاقَدْناكم، على أن تَصُدوا عن البيت مَنْ جَاءهُ معظِّماً لحُرْمَته مؤدِّياً لحقه. وساق الهدى معكوفاً أَنْ يبلغ مَحِلَّه. والذي نفسي بيده لَتُخَلُّنَّ بينه وبين ما جاء له، أَوْ لأنْفِرَنَّ بالأَحابيش نفرة رَجُلٍ واحد. فقالوا: كُفَّ عنا يا حُليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به، وفي لفظِ اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك، كُلُّ ما رأيتَ من محمدٍ مكيدة.

فقام مِكْرَز بكسر الميم، وسكون الكاف، وفتح الراء، بعدها زايٌ، ابن حَفْص. فقال: دعوني آته. فلمَّا طَلَعَ ورآه رسولُ الله - ﷺ - قال: «هذا رَجُلٌ غادرٌ» وفي لفظ «فاجر» فَلَمَا آنتهى إلى رسول الله - ﷺ - كلَّمَهُ بنحو مَا كَلَّم به بُدَيْلا وعُرْوَة، فَرَجَعَ إلى أَصحابه فأخبرهم بما رَدَّ عليه رسول الله - ﷺ.

ذكر إرساله - صلى الله عليه وسلم - خراش بن أمية وبعده عثمان بن عفان إلى قريش

قال محمد بن إسحاق ومحمد بن عمر وغيرهما: بعث رسول الله - ﷺ - إلى قريش خِرَاشَ بن أُميَّة على جَمَل لرسولِ الله - ﷺ - يُقَالُ له الثَّعْلَبُ، ليُبَلِّغَ عنه أَشرافَهم بما جَاء له، فَعَقَرَ عِكْرِمَةُ بنُ أَبي جَهْلٍ - وأَسْلَمَ بَعْدَ ذلك - الجملَ، وأَرادُوا قَتْلَهُ فمنعه الأَحَابيشُ، فخلُّوا سبيلَه حتى أَتَى رسولِ الله - ﷺ - ولم يكد فأَخْبرَ رسولَ الله - ﷺ - بِمَا لَقِيَ.

ورَوَى البيهقيُّ عن عُرْوَة قال: لمّا نَزَلَ رسولُ الله - ﷺ - الحُدَيْبِيَة فَزِعتْ قُرِيشٌ لنُزُولِهِ إليهم، فأَحَبَّ أَن يَبْعَثَ إِليهم رَجُلاً من أَصحابِه، فَدعَا عُمَر بنَ الخطاب ليبْعَثَهُ إِلى قريش، فقال: يا رسولُ الله إِنِّي أَخافُ قُرَيْشاً عَلَى نَفْسي وقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتي لَهَا، وَلَيْسَ بِهَا مِنْ بَني عَدِيٍّ مَن يمنعُني، وإِن أَحْبَبْتَ يَا رَسُولَ الله دَخَلْتُ عَلَيْهم. فلم يقل له رسولُ الله - ﷺ - شيئاً، فقال عُمَرُ: يا رسول الله ولكني أَدُلُّكَ على رجل أَعزَّ بمكة مِنيّ، وأَكْثَرَ عَشِيرةً وأَمْنَع، وأَنه يبلغ لك ما أَردت، عثمان بن عفّان. فَدَعَا رسولُ الله - ﷺ - عُثْمَانَ فقال: «آذْهَب إِلى قُرَيْش وأَخبِرْهُم أَنَّا لَمْ نَأْتِ لِقِتَال وإِنَّمَا جِئْنَا عُمَّاراً، وآدْعُهُم إِلى الإِسلام». وأَمَرَهُ أَن يأْتي رِجالاً بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات فيَدْخُلَ عليهم ويبشِّرَهُم بالفتح، ويخبرَهُم أَنَّ الله تعالى - وشيكاً أَن يُظْهِرَ دينَه بمكَّةَ حتى لا يُسْتَخْفَى فيها بالإِيمان. فانطلقَ عثمانُ إِلى قريش فَمَرَّ عليهم ببَلْدَح فقالوا: أَينَ تريدُ؟ فقال: بَعَثَني رسولُ الله - ﷺ - إِليكم لأَدْعُوَكم إِلى الإِسلام، وإِلى الله جلَّ ثناؤُه، وتدخلون في الدِّين كافة، فإِن الله - تعالى - مُظْهِرٌ دِينَه ومُعِزٌّ نَبِيَّهُ، وأخرى: تكفون ويكون الذي يلي هذا الأَمر منه غيركُم، فإِن ظُفِرَ برسول الله - ﷺ - فذلك ما أَردتم، وإِن ظَفِرَ كنتم بالخيار بين أَن تدخلوا فيما دَخَلَ فيه الناسُ، أَو تُقَاتِلوا وأَنتم وافرون جَامُّون. إِن الحرب قد نَهَكَتْكُم وَأَذْهَبَتْ الأَمَاثِلَ منكم. وأُخرى إِنَّ رسولَ الله - ﷺ - يُخْبِرُكم أَنَّه لم يَأْتِ لِقِتَالِ أَحدٍ، إِنَّمَا جاء مُعْتَمِراً، مَعَهُ الهَدْي، عليه القلائِدُ يَنْحَرُهُ وَيَنْصَرِفُ.(١)

فقالوا: قَدْ سَمِعْنَا مَا تَقُولُ، ولاَ كَانَ هذَا أَبَداً، ولاَ دَخَلَهَا عَلَيْنا عَنْوَة، فَآرْجع إِلى صَاحِبِكَ فأَخْبِرْهُ أَنَّه لاَ يَصلُ إِلينا.

---

(١) اخرجه ابن سعد ٧٠/١/٢ والبيهقي في الدلائل ١٣٣/٤.

ولَقيَهُ أَبَانُ بنُ سَعيد(١) ـ وأَسلم بعد ذلك، فَرَحَّبَ به أَبَانُ وأَجَارَهُ، وقال: لا تَقْصر عن حاجتك، ثم نَزَل عن فَرَسٍ كان عليه فحمل عثمانَ علَى السَّرج وَرَدفَ وَرَاءهُ وقال:

أَقْـبِـلْ وَأَدْبِـرْ لاَ تَـخَـفْ أَحَـداً بَـنُـو سَـعِـيـدٍ أَعِـزَّةُ الـحَـرَم

فَدَخل بِهِ مكّةَ، فَأَتَى عثمانُ أَشْرَافَ قُرَيْش ـ رَجُلاً رَجُلاً ـ فجعَلُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ: إنّ مُحَمَّداً لاَ يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا أَبَداً، ودَخَلَ عَلَى قَوْمٍ مؤمنين مِن رِجالٍ ونساءٍ مُسْتَضْعَفِين بمكة فقال: إنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: قد أُظِلُّكم حتى لا يُسْتَخْفَى بمكة اليوم بالإيمان، فَفَرِحُوا بذلك، وقالوا: اقْرَأْ عَلَى رسول الله ـ ﷺ ـ السّلامَ.

ولَـمَّا فَرَغَ عثمانُ من رسالةِ رسول الله ـ ﷺ ـ إلى قريش قالوا له: إن شِئْتَ أَن تَطُوفَ بالبَيْتِ فَطُفْ، فقال: ما كُنْتُ لأَفْعَلَ حتى يَطُوفَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ وأَقام عثمانُ بمكة ثلاثاً يَدْعُو قُرَيْشاً.

وقال المسلمون ـ وهم بالحُدَيْبِيَة، قبل أَن يَرْجِعَ عثمانُ ـ: خَلَصَ عُثمانُ مِن بَيْنِنَا إلى البَيْتِ فَطَافَ بِهِ، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «ما أَظنُّه طافَ بالبَيْت ونحن مَحْصُورُون»، وقالوا: وما يمنعه يا رسول الله وقَدْ خَلُص إليه قال: «ذلك ظَنِيّ به أَلاَّ يَطُوفَ بالكَعْبَة حتى نَطُوف»، وعِنْد ابن جرير وابن أَبي حاتم عن سلمة بن الأَكْوع ـ مرفوعاً ـ «لو مكث كذا كذا سنَةً ما طافَ حتى أَطوف» فَلَمّا رجعَ عثمانُ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ قال المسلمون له: اشْتَفَيْتَ من البيت يا أَبا عبد الله!! فقال عثمان: بئس ما ظننتم بي! فوالذي نفسي بيده لو مكثتُ مقيماً بها سنةً ورسولُ الله ـ ﷺ ـ مقيم بالحديبية ما طُفْتُ حتى يَطُوفَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ ولقد دَعَتْنِي قريشٌ إلى أَن أَطُوفَ بالبَيْتِ فأَبَيْتُ. فقالوا: كان رسولُ الله ـ ﷺ ـ أَعْلَمَنَا وأَحْسَنَنَا ظَناً.

وكان رسولُ الله ـ ﷺ ـ يأمر أَصحابَه بالحراسة باللّيل، فكانوا ثلاثة يتناوبون الحراسة: أَوْسُ بن خَوْلِيّ ـ بفتح الخاء المعجمة والواو ـ وعبّاد بن بِشر، ومحمد بن مَسْلَمَة ـ رضي الله عنهم ـ وكان محمد بن مَسْلَمَة على حَرَسِ رسولِ الله ـ ﷺ ـ ليلةً من الليالي، وعثمانُ بنُ عفّان بمكة. وقد كانت قريش بَعثت ليلا خمسين رجلا، عليهم مِكْرَزُ بنُ حَفْص، وأَمَرُوهُم أَن يطوفُوا بالنّبي ـ ﷺ ـ رجاء أَن يُصِيبُوا منهم أَحداً، أَو يُصِيبُوا منهم غِرَّةً، فأَخذهم محمدُ بن

(١) أبَان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي.. قال البخاري وأبو حاتم الرازي وابن حبان له صحبة وكان أبوه من أكابر قريش وله أولاد نجباء أسلم منهم قديماً خالد وعمرو فقال فيهما أبان الابيات المشهورة التي أولها.

ألا ليت ميتاً بالظُّريبة شاهدٌ لما يفتري في الدين عمرو وخالد

الإصابة ١/١٠.

مَسْلَمة، فجاء بهم رسولَ الله - ﷺ - وأَفْلَتَ مِكْرَزُ فَخَبَّر أَصْحابَه وظهر قولُ النبيّ - ﷺ - كما تقدم أنه رَجُلٌ غَادِرٌ، وكان رجالٌ من المسلمين قد دخلوا مكَّة بإذنِ رسولِ الله - ﷺ - وهم: كُرْزُ بنُ جابر الفِهْري، وعبدُ اللّه بنُ سُهَيْلِ بن عَمْرو بنُ عبد شمس، وعبدُ اللّه بن حُذَافَةَ السّهمي، وأبو الرّوم بن عُمَيْر العَبْدَريّ، وعَيَّاش بن أبي ربيعة، وهشام ابن العاص بن وائِل، وأبو حَاطِب بنُ عَمرو من عبد شمس وعُمَيْرُ بنُ وَهْب الجُمحِيُّ وحاطِبُ بنُ أَبي بَلْتَعَة، وعبدُ اللّه بنُ أَبي أُميَّة. قد دخلوا مكة في أمان عثمان، وقيل: سِراً، فَعُلِمَ بهم فأُخِذُوا، وبَلَغ قريشاً حَبْسُ أَصحابهم الذين مَسَكَهُم محمدُ بنُ مَسْلَمَة، فجاء جَمْعٌ مِنْ قريش إلى النبيّ - ﷺ - وأَصحابِه حتى تَرَامَوْا بالنَّبْلِ والحجارة، وأَسَر المسلمون مِنَ المشركين - أيضاً - اثني عشر فارساً، وقُتِلَ من المسلمين ابنُ زَنِيم - وقد أَطلع الثَّنِية من الحُدَيْبِيَة - فرماهُ المشركون فقتلوه، وبعثت قريشٌ سُهَيْلَ بن عمرو وحُوَيْطبَ بنَ عبد العُزّى - وأَسلما بعد ذلك، ومِكْرَزَ بنَ حَفْص، فلمّا جاء سُهَيْلٌ ورآه النبيّ - ﷺ - قال لأَصحابه: سَهُلَ أَمْرُكم فقال سُهَيْلٌ: يا محمد إنّ الذي كان من حَبْسِ أَصحابِك وما كان من قِتَالِ مَنْ قاتَلَكَ لَمْ يَكُنْ مِن رأي ذَوِي رأْيِنَا بل كُنّا لَهُ كارهين حين بَلَغَنَا، ولم نَعْلَمْ به، وكان مِن سُفَهَائِنَا، فابْعَثْ إلينا بأَصحابنا الذين أَسَرْتَ أَوَّل مَرَّةٍ، والذين أَسَرْتَ آخِرَ مَرَّةٍ. فقال رسولُ الله - ﷺ -: «إنّي غيرُ مُرْسِلهم حتّى تُرْسِلُوا أَصحابي»، فقالوا: أَنْصَفْتَنَا، فَبَعَثَ سُهَيْلٌ ومَنْ مَعَه إلى قُرَيْش بالشُّيَيْم - بشين معجمة مُصَغّر - بنِ عبدِ مَنَاف التَّيْمِيّ، فَبَعَثُوا بِمَن كان عندهم: وهم عثمان والعشرة السابق ذكرهم - رضي الله عنهم - وأَرسل رسولُ الله - ﷺ - أَصحابَهم الذين أَسرهم، وقَبْلَ وصول عثمان ومن معه بَلَغَ رسولَ الله - ﷺ - أَن عثمان ومن معه قد قُتِلُوا، فكان ذلك حين دَعا إلى البيعة.

ذكر مبايعته - صلى الله عليه وسلم - بيعة الرضوان وفضل مَن بايع

قالوا: لَمَّا بلغَ رسولَ الله - ﷺ - أَنَّ عثمانَ قَد قُتِلَ دَعَا النَّاسَ إلى البَيْعَة، وقال: «لا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ القَوْمَ» وأَتَى رسولُ الله - ﷺ - مَنَازِلَ بني مازن بن النجار، وقد نزلت في ناحية من الحُدَيْبِيَة، فجلس في رحالهم تحت شجرة خضراء ثم قال: «إنّ الله - تعالى - أَمَرَني بالبَيْعَة» فأَقبل الناس يبايعونه حتى تداكوا فما بَقِيَ لبني مازن متاعٌ إلا وطىء، ثم لبِسوا السِّلاح وهو معهم قليل، وقامت أُم عمارة إلى عمود كانت تستظل به فأَخذته بيدها وشدّت سكيناً في وسطها

وروى ابن جرير وابن أَبي حاتم عن سَلَمَة بن الأَكوع والبيهقيّ عن عُرْوَة، وابنُ إسحاق عن الزُّهْرِيّ، ومحمدُ بنُ عمرَ عن شيوخه، قال سلمةُ: بَيْنَا نحنُ قائِلون إذ نادى منادِي رسول الله - ﷺ -: «أَيها النّاس البيْعة البيْعَة، نَزَلَ روحُ القُدُسِ فاَخرجوا على اسم الله» قال

سلمة: «فَسِرْنا إلى رسول الله - ﷺ - وهو تحت شجرة سَمُرَة فبايعناه[١]. وفي صحيح مسلم عنه قال: فبايعتَه أوَّلَ الناس، ثم بايع وبايع حتى إذا كان في وسط من الناس قال: «بَايعْ يا سَلَمة» قال: قلتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يا رسولَ الله في أوّلِ الناس[٢] قال: «وأيْضاً» قال: ورآني رسولُ الله - ﷺ - عَزِلا فأعطاني حَجَفَةً - أو دَرَقَةً - ثم بايع حتى إذا كان في آخر النّاس قال: «ألَا تبايعني يا سَلَمة؟» قال: قلت: يا رسول الله قد بايَعْتُك في أوّل الناس، وفي وسط الناس، قال: «وأيضاً» فبايعْته الثالثة، ثم قال لي: «يا سلمة أين حَجَفَتُكَ - أو دَرَقَتُك - التي أعْطَيْتُك؟» قال: قلت: يا رسول الله، لقيني عمّي عامر عزلا فأعطيته إياها، قال: فَضَحكَ رسولُ الله - ﷺ - وقال: إنك كالذي قال الأول: اللهم ابغني حبيباً هو أحب إليّ من نفسي، وفي صحيح البخاري عنه قال: بايعت رسول الله - ﷺ - تحت الشجرة، قيل: على أي شيء كنتم تبايعون قال: على الموت[٣]. وفي صحيح البخاري عن نافع قال: إن ابن عمر أسلم قبل أبيه، وليس كذلك، ولكن عُمَرَ يومَ الحُدَيْبِيَة أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل منَ الأنصار يأتي به ليقاتل عليه ورسولُ الله - ﷺ - يبايع عند الشجرة وعمرُ لا يدري بذلك، فبايَعُه عبد اللّه، ثم ذَهَب إلى الفرس فجاء به إلى عمر وعمر يستلئم للقتال فأخبره أنّ رسولَ الله - ﷺ - يبايعُ تحتَ الشجرة، قال: فانطلق فذهب معه حتى بَايَع رسولَ الله - ﷺ - فهي التي يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر[٤].

وفيه أيضاً عن نافع عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبيّ - ﷺ - يوم الحُدَيْبِيَة تفرّقُوا في ظلال الشجر فإذا الناس مُحْدقُون بالنبيّ - ﷺ - فقال عمر: يا عبد اللّه انظر ما شأن الناس أحدقوا برسول الله - ﷺ - فذهب فوجدهم يُبايعونه فبايع، ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع[٥].

وروى الطَبراني عن عطاء بن أبي رباح قال: قلت لابن عمر: أشَهِدْتَ بيعةَ الرِضوان مع رسولِ الله - ﷺ؟ قال: نعم. قلت: فما كان عليه؟ قال: قميص من قطن، وجبّة محشوة، ورداء وسيف، ورأيتُ النعمان بنَ مُقَرّن - بميم مضمومة فقاف مفتوحة فراء مشددة مكسورة - المازنيّ قائم على رأسه، قد رفع أغصان الشجرة عن رأسه يبايعونه.

وفي صحيح مسلم عن جابر قال: بايَعْنَا رسولَ الله - ﷺ - وعمر آخذ بيده تحت شجرة - وهي سَمُرَة - فبايعناهُ غير الجَدّ بن قيس الأنصاري اختفى تحت بطن بعيره. وعند ابن إسحاق

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ١٣٦/٤.

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد ١٤٣٤/٣ (١٣٢) وأحمد ٥٤/٤، والبيهقي في الدلائل ١٣٨/٤.

(٣) أخرجه البخاري (٤١٦٩) والبيهقي ١٣٨/٤.

(٤) أخرجه البخاري ٥٢١/٧ (٤١٨٦).

(٥) البخاري (٤١٨٧) واحمد في المسند ٣٢٤/٥.

عن جابر بن عبد اللّه: فكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته قد خبأ إليها يستتر بها من الناس بايعناه على ألا نفرّ، ولم نبايعه على الموت(١).

وفيه - أيضاً - عنه: لقد رأيتني يوم الشجرة والنبيّ - ﷺ - يبايع الناس وأنا رافع غصن من أغصانها عن رأسه ولم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ألا نفرّ.

وروى الطبرانيّ عن ابن عمر، والبيهقيُّ عن الشعبي، وابن منده عن زر بن حبيش قالوا: لمّا دعا رسولُ الله - ﷺ - الناسَ إلى البيعة كان أولَ من انتهى إليه أبو سنَان الأسدي، فقال: ابسط يَدَك أُبايعك، فقال رسول الله - ﷺ - «عَلاَمَ تبايعني» قال: على ما في نفسك. زاد ابنُ عمر: فقال النبي: وما في نفسي؟ قال: أَضْرِبُ بسيفي بين يديك حتى يُظْهِرَكَ الله أو أُقْتَل. فبايعهُ، وبايعه الناسُ على بيعة أبي سنان(٢).

وروى البيهقي عن أنس وابنُ إسحاق عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لما أُمر رسولُ الله - ﷺ - ببيعة الرّضوان كان بعث عثمان - رسولُ الله - ﷺ - إلى أهل مكة، فبايع الناس، فقال رسول الله - ﷺ - «اللّهُم إنّ عثمانَ في حاجتك وحاجة رسولك، فضرَبَ بإحدَى يديه على الأُخرى، فكانت يد رسول الله - ﷺ - لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم(٣).

وروى البخاريّ وابنُ مردويه عن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقتُ حاجاً فمررتُ بقَوْمٍ يُصَلّون فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذه الشجرة حيثُ بايَعَ رسولُ الله - ﷺ - بيعة الرضوان. فأتيتُ سعيد بْنَ المُسَيَّب فأخبرته، فقال سعيد: حدَّثني أبي أنه كان فيمن بايع رسولَ الله - ﷺ - تحت الشجرة، فلمّا خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها، فقال سعيد: إنَّ أصحاب محمد لم يَعلموها وعلِمتموها أنتم، فأنتم أعلم.(٤)

وروى ابنُ سعد بسند جيّد عن نافع قال: خرج قومٌ من أُصحاب رسول الله - ﷺ - بعد ذلك بأعوام فما عَرَفَ أَحدٌ منهم الشجرةَ، واختلفوا فيها. قال ابن عمر: كانت رحمة من الله.

وروى ابن أبي شيبة في المصنف وابنُ سعد عن نافع قال: بلغ عمرَ بنَ الخطاب أن ناساً يأتون الشجرة التي بُويع تحتها فيصلُّون عندها فَتوعَّدَهُم، ثم أمر فَقُطعَت.

وروى البخاريّ وابن مردويه عن قتادة قال: قلتُ لسعيد بن المُسَيَّب: كم كان الذين

---

(١) اخرجه مسلم ١٤٨٣/٣ (٦٧، ٢٦٧/٦٩، ١٨٥٦).

(٢) اخرجه ابن أبي شيبة ٨٧/١٤، ٦٠٠ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٧٤/٦.

(٣) أخرجه الدولابي من الكنى ١٣٣/١، والطبراني في الكبير ٤١/١ وابن أبي شيبة ٤٦/١٢ والحاكم ٩٨/٣ وانظر الدر المنثور ٧٤/٦.

(٤) أخرجه البخاري ٥١٢/٧ (٤١٦٣).

شَهِدُوا بيعةَ الرِّضْوَان؟ قال: خمس عشرة مائة، قلتُ فإنّ جابرَ بنَ عبد اللّه قال: أَربع عشرة مائة، قال: يرحمه الله تَوَهَّم، هو حدَّثني أَنهم كانوا خمس عشرة مائة(١).

وروى الشيخان، وابنُ جرير عن عبد اللّه بن أَبي أَوْفَى قال: كان أَصحاب الشجرة أَلفاً وثلاثمائة، وكانت أَسْلَمُ ثُمُنَ المهاجرين(٢).

أَفادَ الواقديُّ أَنّ أَسْلَم كانت في الحُدَيْبِيَة مائة رجل.

وروى سعيد بن منْصُور والشيخان عن جابر بن عبد اللّه قال: كنّا يومَ الحُدَيْبِيَة أَلفاً وأَربعمائة فقال لنا رسول الله ـ ﷺ ـ «أَنتم خير أَهل الأَرض»(٣).

وروى الإمام أَحمد، وأَبو داود، والترمذيّ عن جابر بن عبد اللّه، ومسلمٌ عن أم مُبَشِّر ـ رضي الله عنهما ـ أَن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا يدخل النار أَحدٌ بايع تحت الشجرة»(٤)

وروى الإمام أَحمد بسندٍ ـ رجاله ثقات ـ عن أَبي سعيد الخُدْري ـ رضي الله عنه ـ قال: لمّا كان يوم الحُدَيْبِيَة قال لنا رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا تُوقِدُوا ناراً باللَّيْلِ» فلمَّا كان بعد ذلك قال: «أَوقدوا واَصطنعوا فإنه لا يدرك قومٌ بعدكُم صَاعَكُم ولا مُدَّكُم»(٥).

فلمَّا نظر سُهَيْلُ بن عمرو وحُوَيْطبُ بنُ عبد العُزَّى، ومِكْرَزُ بنُ حَفْص، ومن كان معهم من عُيُون قريش مِنْ سُرْعَة النّاس إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب اشتَدَّ رُعْبُهم وخوفُهُم، وأَسرعوا إلى القضية.

ثم أَتى رسولَ الله ـ ﷺ ـ أَن الذي ذُكِرَ من أَمر عثمان باطل».

ذكر الهدنة وكيف جرى الصلح يوم الحديبية

روى ابن إسحاق وأَبو عبيد وعبدُ الرزّاق والإمام أَحمد وعبد بن حميد والبخاري وأَبو داود والنسائي وابن جرير وابن مردويه، ومحمدُ بنُ عمر عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان بن الحَكم، والشيخان عن سَهْيل بن حُنيْف أَن عثمان لمّا قَدم من مكة هو ومن معه رجع سُهَيْلُ بن عمرو وحُوَيْطبُ ومِكْرَزُ إلى قريش فأَخبروهم بما رأَوا من سرعة أَصحاب النبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري ٥٠٧/٧ (٤١٥٣).

(٢) البخاري في المصدر السابق (٤١٥٥) ومسلم ١٤٨٥/٣ (١٨٥٧/٧٥).

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٧/٧ (٤١٥٤)، وأخرجه مسلم ١٤٨٤/٣ (١٨٥٦/٧١).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٥٣) والترمذي (٣٨٦٠) وأحمد ٣٥٠/٣ وابن المبارك في الزهد (٤٩٨) وابن سعد ٧٣/١/٢ ومسلم في الفضائل باب ٣٧ (١٦٣).

(٥) أخرجه أحمد ٢٦/٣ والحاكم ٣٦/٣ وابن أبي شيبة ٤٨١/٨، ٤٤٣/١٤ وأبو نُعيم في تاريخ اصفهان ١٦٩/٢.

إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب اشتدّ رعبهم، فقال أهل الرأي منهم: ليس خيرٌ من أن نصالح محمدا على أن يَنْصرِفَ عنّا عامَه هذا، ولا يخلص إلى البيت حتى يسمع من سمع بمسيره من العرب أنّا قد صددناه، ويرجع قابلا فيقيم ثلاثاً وينحر هَدْيَه وينصرف، ويقيم ببلدنا ولا يدخل علينا، فأجمعوا على ذلك. فلما أجمعت قريشٌ على الصلح والموادعة بعثوا سُهَيْل بن عمرو وحُوَيْطِبَ ومِكْرَزَ وقالوا لسهيل: ائتِ محمدا فَصَالحه وليكن في صلحك ألاَّ يدخل عامَه هذا، فوالله لا تحدَّثُ العَرَبُ أنه دخل علينا عَنْوةَ فأَتى سهيلٌ رَسُولَ الله - ﷺ - فلما رآه رسولُ الله - ﷺ - قال: «قَدْ أَرَادَ القَوْمُ الصُّلْحَ حينَ بَعَثُوا هَذَا» وفي لفظ: فقال رسول الله - ﷺ -: «سَهُل أَمركم» وجلس رسول الله - ﷺ - متربعاً، وكان عَبّاد بن بِشْر وسَلَمَة بن أَسْلم بن حَرِيش على رأسِهِ - وهما مُقَنَّعَان في الحديد - فبرك سُهَيْلٌ على ركبتيه فكلم رسولَ الله - ﷺ - فأَطالَ الكلامَ وتراجعا، وآرتفعت الأَصوات وآنخفضت، وقال عَبّاد بن بشْر لسُهَيل: اخفضْ منْ صَوْتك عند رسولِ الله - ﷺ - والمسلمون حول رسول الله - ﷺ - جلوسٌ، فجرى بين رسول الله - ﷺ - وبين سُهَيْلٍ القولُ حتى وقع الصُّلحُ على أَن تُوضَعَ الحربُ بينهما عشر سنين، وأَن يأْمَنَ الناسُ بعضهم بعضا، وأَن يرجع رسول الله - ﷺ - عامَه هذا، فإذا كان العامُ المقبلُ قدمها فخلّوا بينه وبين مكة، فأَقام فيها ثلاثاً فلا يدخلها إلا بسلاح الراكب والسيوف في القُرُب لا يدخلها بغيره، وأَنَّه مَنْ أَتَى محمداً من قريش بغير إِذن وَلِيّه - وإن كان على دين محمد - ردّه إلى وليّه، وأَنه من أَتى قريشاً ممن اتَّبع محمدا لم يَرُدوه عليه، وأَن بينهم وبين رسول الله - ﷺ - عيبة مكفوفة، وأَنه لا إِسْلاَل[1] ولا إِغلال، وأَنه من أَحَبَّ أَن يَدْخُلَ في عَقْد محمد وعَهْدِه دخل فيه، ومن أَحبَّ أَن يدخُل في عَقْدِ قريش وعهدهم دخل، فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عَقْد قريش وعهدهم.

فكَرِهَ المسلمون هذه الشروط وآمتعضُوا منها، وأَبى سُهيل إلاّ ذلك فلما آصطلحوا ولم يَبْقَ إلاّ الكتاب وَثَبَ عمرُ بنُ الخطاب إلى رسول الله - ﷺ - فقالَ: يا رسُولَ الله أَلسْتَ نَبِيَّ الله حَقاً؟ قال: بلى. قال: أَلسْنَا على الحقّ وهم على الباطل؟ قال: بلى، قال: أَلَيْسَ قتلاَنَا في الجنَّة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: عَلامَ نُعْطي الدَّنِيَّةَ في دِيْنِنَا؟ ونرجع ولم يَحْكُم الله بيننا وبينهم؟ فقالَ رسُول الله - ﷺ -: «إني عبدُ الله ورسوله ولستُ أَعْصيه ولن يُضَيِّعَني وهو ناصري» قال: أَو ليس كُنْتَ تحدثُنا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفَ حَقاً؟ قال: «بلى، أَفأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتيه العَامَ؟ قال: لا: قال: «فإنَّكَ آتيه ومُطَوِّفٌ به»، فذهب عُمَرُ إلى أَبي بكر مُتَغَيِّظاً ولم يصْبِرْ،

---

(١) الإسلال: السرقة، آنظر المعجم الوسيط ١/٤٤٨.

فقال: يَا أَبَا بَكْر: أَلَيْسَ هَذَا نَبيَّ الله حَقاً؟ قال: بلى. قال: أَلَسْنَا على الحَقِّ وهُم عَلَى البَاطل؟ أَليس قَتْلاَنَا فِي الجَنَّة وقَتْلاَهُم في النَّارِ؟ قال: بَلَى. قال: فَعَلاَمَ نُعْطي الدَّنيَّة فِي دِيْنِنَا ونَرْجع ولـم يَحْكُم الله بَيْنَنَا وبينهم؟ قال: أَيُّهَا الرَّجل إِنَّهُ رسولُ الله ولَيْسَ يَعْصي رَبَّه، وهُوَ نَاصِرُه فَاَسْتَمْسكْ بغَرْزِه حتى تَمُوت، فَوَالله إِنَّه لَعَلَى الحق. وفي لفظ فإِنَّه رسولُ الله. فقال عمر: وأَنا أَشهدُ أَنَّه رسولُ الله، قال: أَو لَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّه سَنَأْتي البَيْتَ ونَطُوفُ به؟ قال: بلى، أَفأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تأتيه العام؟ قال: لا. قَالَ: فإِنَّكَ آتيه وَمُطَوِّفٌ به. فَلَقيَ عُمَرُ منْ هذه الشُّرُوط أَمْراً عظيماً[١]. وقال كما في الصحيح: والله ما شَكَكْتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلاَّ يَوْمِئِذ، وَجَعَلَ يَرُدُّ على رَسُولِ الله - ﷺ - الكلامَ فقال أَبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه -: أَلاَ تَسْمَعُ يا آبن الخطاب رسول الله - ﷺ - يقولُ مَا يَقُول، تَعَوَّذْ بالله من الشَّيْطَان واتَّهِم رأيك، قال عمر: فجعلت أَتعوذ بالله من الشيطان حياء فما أَصابني شيء قط مثل ذلك اليوم وعمِلْتُ بِذَلِكَ أَعَمالاً - أَي صَالِحَة - لتكفر عني ما مضى من التوقف في آمتثال الأَمر آبتداء كما عند ابن إِسحاق وابن عمر الأَسلمي. قال عمر: فما زِلْتُ أَتَصَدَّق وأَصُوم وأُصَلِّي وأَعْتِقُ مِنَ الَّذِي صَنَعْتُ يومئِذٍ مَخَافَةَ كَلاَمِي الَّذِي تكلمت به حتَّى رَجَوْتُ أَن يكون خيراً.

وروى البزار عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: اتهموا الرأي على الدين فلقد رَأَيْتُني أَرُدُّ أَمْرَ رَسُولِ الله - ﷺ - برأيي، وما أَلوت على الحق، قال: فرضي رسول الله - ﷺ - وأَبَيْتُ حَتَّى قال: «يا عُمَر تَرَاني رَضِيتُ وتأْبَى»[٢].

فقال سُهيل: هَاتِ؛ اكْتُبْ بَيْنَنَا وبَيْنَكَ كتَاباً، فَدَعا رسولُ الله - ﷺ - عَلِيّاً - كما في حديث البراء عند البُخَاري فِي كِتَابِ الصُّلْح وكتاب الجزية، ورواه إِسحاق بن راهويه من حديث المِسْوَر ومروان، وأَحمد، والنّسائي، والبَيْهقي والحاكم - وصَحّحَه عن عبد اللّه بن مُغَفَّل[٣]، فقال له رسول الله - ﷺ -: «اكْتُبْ بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم»، فَقَالَ سُهَيْل - وأَسْلَمَ بعد ذلك - أَمَّا الرَّحْمٰن الرَّحيم فَوَالله ما أَدْرِي مَا هُو، ولكن اكْتُبْ بآسْمِكَ اللَّهُم كمَا كُنْتَ تَكْتب اكْتُبْ في قَضِيَّتِنا مَا نَعْرف. فَقَالَ المُسلِمُون: والله لا نكتبها إِلاَّ بِسم الله الرَّحْمن الرَّحِيم. فَقَالَ النَّبِيُّ - صلَّى الله عليه وسلم - «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله - ﷺ» فقال سُهَيْل: والله لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ الله مَا صَدَدْنَاكَ عَن

---

(١) البخاري ٢٦/٤، ١٢٥، أخرجه مسلم ١٤١٢/٣ (١٧٨٥/٩٤) والطبراني في الكبير ١٠٩/٦ وابن سعد ٢٠/١/١، وانظر المجمع ٣١٢/٣، ٦٧/٥.

(٢) أخرجه الدولابي في الكنى ٦٩/٢.

(٣) عبد اللّه بن مغفل: بمعجمة وفاء ثقيلة، ابن عبيد بن نَهم: بفتح النون وسكون الهاء، أبو عبد الرحمن المزني، صحابي، بايع تحت الشجرة، ونزل البصرة، مات سنة سبع وخمسين، وقيل بعد ذلك، التقريب ٤٥٣/١.

البَيْتِ، وَلاَ قَاتَلْنَاكَ، اكْتُبْ في قَضِيَّتِنَا مَا نَعْرِف، اكْتُبْ مُحَمَّدَ بن عبد اللّه. فَقَالَ رَسُولُ الله - ﷺ - لِعَلِيٍّ امحه، فَقَالَ علي: مَا أَنَا بالَّذِي «أَمحاه» وفي لفظ «أَمحاك» وفي حديث محمد ابن كَعْب القُرَظِيِّ: فجعل عَلِيٌّ يَتَلَكَّأُ، وأَبَى أَنْ يَكْتُب إلاَّ محمدٌ رسول الله، فَقَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: اكْتُبْ فإِنَّ لَكَ مِثْلَهَا تُعْطِيْهَا وَأَنْت مضطهد[(١)] انتهى.

وَذَكَرَ محمد بن عمر أَن أُسَيْدَ بْنَ الحُضَيْر وسَعْدَ بْنَ عُبَادة أَخَذَا بِيَدِ علي ومنعاه أَن يكتب إلاَّ «محمد رسول الله»، وإِلاَّ فَالسَّيْفُ بَيْنَنَا وَبيْنَهم، فَآرْتَفَعتِ الأَصْوَات، فَجَعَل رسولُ الله - ﷺ - يُخفضهم ويُومئ بِيَده إِليهم: اسْكُتُوا. فقال: أَرِنيه، فأَراهُ إِيَّاه فَمَحَاهُ رسولُ الله - ﷺ - بيده وقال: اكْتُبْ محمدُ بنُ عبد اللّه. قال الزهري: وذلك لِقَوْلِهِ - ﷺ - لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُون بِهَا حُرُمَاتِ الله إلاَّ أَعْطَيْتُهم إِيَّاهَا، فَقَالَ رسولُ الله - ﷺ - لسهيل عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ البَيْتِ، فَنَطُوفَ، فَقَالَ سهيل: لاَ وَالله لا تَحَدَّثُ العربُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَة، وَلكِنْ لَكَ من العَامِ المُقْبِل، فكتب. فَقَالَ سُهيل: عَلَى أَنَّه لاَ يَأْتِيك مِنَّا أَحَدٌ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّه - وإِنْ كَانَ عَلَى دِيْنِك إِلاَّ سَدَدْتَه إِلَيْنَا فَقَالَ المسلِمُون: سُبْحَانَ الله، أَيُكْتَبُ هذا؟ كيْفَ يرد إِلى المشركين وقد جاء مسلماً، فقال رسول الله - ﷺ -: نعم إِنه مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهم فأَبعده الله، وَمَنْ جَاء مِنْهُم إِلَيْنَا سَيَجْعَلُ الله لَهُ فَرَجاً وَمَخْرَجاً»[(٢)].

وفي حديث عبد اللّه بن مُغَفَّل عند الإِمام أَحمد، والنسائي، والحاكم بعد أَن ذَكَرَ نحو ما تَقَدَّم، قال فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِك إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا ثَلاَثُونَ شَاباً عَلَيْهِمُ السِّلاَح فثاروا إِلى وُجُوهِنَا، فَدَعَا عليهم رسولُ الله - ﷺ - فَأَخَذَ الله بأَسْمَاعِهم - ولَفْظُ الحَاكِم بأَبْصَارِهم - فَقُمْنَا إِلَيْهم فَأَخَذناهم، فَقَالَ لَهُم رسولُ الله - ﷺ - «هَلْ جِئْتُمْ فِي عَهْد أَحد وَهَلْ جَعَلَ لَكُم أَحَدٌ أَمَاناً»؟ فقالوا: لاَ. فَخَلَّى سبِيْلَهم فَأَنْزَلَ الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذي كَفَّ أَيْدِيَهُم عَنْكُم﴾ [سورة الفتح ٢٤][(٣)].

وروى ابن أَبي شَيْبَة، والإِمام أَحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، والثلاثة عن أَنس قال: لَمَّا كَان يومُ «الحُدَيْبِيَة» هَبَطَ عَلَى رسول الله - ﷺ - وأَصحابِهِ ثَمَانُونَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ في

(١) أخرجه البخاري ٣٥٧/٥ (٢٦٩٩)، وأحمد ٣٢٨/٤، ٨٦/٤، ٥، ٣٣٠٢٣ والبيهقي ٢٢٠/٩، ٢٢٧ وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٢٠)، والطبري في التفسير ٥٩/٢٦، ٦٣ وابن كثير في التفسير ٣٢٤/٧ وانظر المجمع ١٤٥/٦، ١٤٦.

(٢) انظر التخريج السابق وأخرجه أبو داود في الجهاد باب (١٦٧) واحمد ٣٢٩/٤، ٣٣٠ والسيوطي في الدُّر المنثور ٧٦/٦.

(٣) أخرجه أحمد ٨٧/٤ والبيهقي ٣١٩/٦ والحاكم في المستدرك ٤٦١/٢ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٨/٧ وانظر الدر المنثور ٧٨/٦.

السِّلاَح مِنْ قِبَلِ جَبَلِ التَّنْعِيم يُرِيدُون غِرَّةَ رسول الله - ﷺ - فَدَعَا عليهم، فَأُخِذُوا فعفا عنهم[١].

وروى عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة قال: ذُكِرَ لنا أَنَّ رَجُلاً من أَصحابِ رسول الله - ﷺ - يُقَالُ له ابن زُنَيْم اطلع الثنية «يوم الحديبية» فَرَمَاهُ المُشْرِكُون فَقَتَلُوه، فبَعَثَ نبيُّ الله - ﷺ - خيْلاً، فأتوا بآثني عشر فَارِساً، فقَالَ لهم رسول الله - ﷺ - «هَلْ لَكُم عَهْدٌ أَوْ ذِمَّةٌ»؟ قَالُوا: لاَ. فأَرسلهم[٢].

وروى الإمام أحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، عن سلمة بن الأكوع. رضي الله عنه قال: إنَّ المشركين من أَهل مكة أَرسلونا في الصُّلح فلما آصطلحنا واخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْض أَتيت شجرةً فآضْطَجَعْتُ فِي ظِلِّها، فَأَتَانِي أَربعةٌ من مُشركي أَهْلِ مكة، فَجَعَلُوا يَقَعُون في رسول الله - ﷺ - فأَبغضهم وتحوَّلْتُ إلى شجرة أُخْرى، فَعَلَّقُوا سلاَحَهم وآضطجعوا، فبينما هُم كذلك إِذْ نَادَى منادٍ منْ أسفل الوادي ياَلَلْمُهاجِرين، قُتِلَ ابن زُنَيْم فآخترَطْتُ سيفي فآشْتَدَدْت على أُولئك الأَربعة وهُم رُقُود، فأَخذت سلاَحَهم، وجَعَلْتهُ في يَدِي، ثم قلْت: والَّذِي كرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ - ﷺ - لاَ يَرفَعُ أَحدٌ منكم رأْسَهُ إِلاَّ ضَرَبْتُ الَّذِي فِي عَيْنَيه، ثم جِئْتُ بِهِم أَسُوقُهم إلى رَسُول الله - ﷺ - وجَاء عَمِّي عَامر برجلٍ من العَبَلاَت يقال له مِكْرَز مِنَ المُشركين يقُوده حتَّى وقفْنَاه على رسول الله - ﷺ - فقال: دعوهم يكون لهم بدء الفجور وثنياه فعفا عنهم رسول الله - ﷺ - وأَنْزَلَ الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُم عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِم﴾ [الفتح ٢٤] فَبَيْنَمَا النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَبُو جَنْدَل - بالجيم والنُّون وزن جَعْفَر - بن سُهيل ابن عمرو يَرْسُفُ فِي قُيُوده قد خَرَجَ مِنْ أَسْفَل مَكَّةَ حتى رَمَى بِنَفْسه بَيْنَ أَظْهُرِ المُسْلمين، وَكَانَ أَبُوه سُهيل قد أَوْثَقَه في الحَدِيْد وسَجَنَه، فخرج من السِّجن وآجْتَنَبَ الطَّرِيْقَ وَرَكِبَ الجبَال حتَّى أَتى «الحُدَيْبِيَة - فقام إليه المُسْلِمُون يُرَحِّبُونَ به ويُهَنِّئُونَه، فلما رآه أَبُوه سُهيل قام إليه فَضَرَب وجهه بغصن شوك وأَخذ بتلبيبه ثم قال: «يا محمد، هَذَا أَوَّلُ ما أُقَاضِيكَ عَلَيه أَن تَرُدَّه، فَقَالَ رسولُ الله - ﷺ - «إِنَّا لَمْ نَقْض الكِتَابَ بَعْد» قَالَ فَوَالله إِذاً لا أُصالِحُكَ عَلَى شيءٍ أَبداً. قال: «فَأَجِزْه لِي» قال: مَا أَنَا بِمُجِيزُه لَكَ. قال: «بَلَى فَآفْعَل». قال: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ. فقال مِكْرَز وحُوَيْطِبُ: بلى قد أَجَزْنَاهُ لَكَ. فأَخذاه فأَدخلاه فُسْطَاطاً فأَجازاه وكفَّ عنه أَبوه. فقال أَبو جَنْدل أَي معاشر المسلمين أُرَدُّ إِلى المُشركين وقَدْ جِئْتُ مُسْلماً؟ أَلاَ

(١) أخرجه مسلم ١٤٤٢/٣ (١٣٣/١٨٠٨)، وأحمد ١٢٤/٣ والغرة هي الغفلة أي يريدون أن يصادفوا منه ومن أصحابه غفلة عن التأهب لهم ليتمكنوا من غدرهم والفتك بهم.

(٢) أخرجه الطبري ٥٩/٢٦ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٧٦/٦.

تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيت؟ وكان قد عُذِّبَ عَذَاباً شَدِيْداً، فرفع رسولُ الله ـ ﷺ ـ صوته وقال: يا أَبَا جَنْدَل، اصْبِرْ وَٱحْتَسِبْ فإنَّ الله جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ المُسْتَضْعَفِينَ فرجاً ومَخْرَجاً، إنَّا قَدْ عَقَدْنَا مَعَ القَوْمِ صُلْحاً وأَعْطَيْنَاهُم وأَعْطُونا عَلَى ذَلِكَ عَهْداً، وإنَّا لاَ نَغْدِرُ» ومشى عمر بن الخطاب إلى جَنْبِ أَبِي جَنْدَل، وقال له: اصْبِرْ وَٱحْتَسِبْ فَإِنَّمَا هُمُ المُشْرِكُون وإِنَّمَا دَمُ أَحَدِهِمْ دم كلب، وجَعَلَ عُمَرُ يُدْني قَائِم السَّيْف منه. قال عمر: رَجَوْتُ أن يأْخُذَ السَّيْفَ فَيَضْرِبَ به أَبَاه. قال فَضَنَّ الرَّجُلُ بأَبيه.(١)

وقد كان أَصحابُ رسول الله ـ ﷺ ـ قد خَرَجُوا وَهُمْ لاَ يَشُكُّونَ فِي الفَتْحِ لرؤيا رسول الله ـ ﷺ ـ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا رَأَوْا من الصُّلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله ـ ﷺ ـ في نفسه دَخَل على الناس من ذلك أَمْرٌ عظيم حتَّى كَادُوا يَهْلِكُون. فَزَادَهُم أَمْرُ أَبي جَنْدَلٍ علَى مَا بهمْ، ونفذت القضية وشَهِدَ على الصلح رجالٌ من المُسْلِمين ورِجَالٌ من المُشْرِكين: أَبو بكر وعمرُ، وعبدُ الرحمن ابنُ عَوْف، وعبدُ اللّه بن سُهيل بن عمرو، وسَعْدُ بنُ أَبي وَقَّاص، ومَحْمُود بن مَسْلَمَة وعَليُّ بن أَبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ ومِكْرز بن حفص وهو مشرك.

فلما فَرَغ من قَضِيَّة الكتاب قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «قُومُوا فَٱنْحَرُوا ثمَّ ٱحْلقوا» فوالله مَا قَامَ رَجُلٌ منهم، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَٱشْتَدَّ ذلك عَلَيه، فَدَخَلَ على أُمِّ سَلَمة فقال: «هَلَكَ المُسْلِمُون، أَمَرْتهم أَن يَنْحَروا ويَحْلِقوا فَلَمْ يَفْعَلُوا». وفي رواية: «أَلا تَرَيْنَ إِلى النّاس آمُرُهُمْ بالأَمرِ فَلاَ يَفْعَلونَه ـ وَهُمْ يَسْمَعُون كَلاَمي وينظرُون وَجْهي». فقالت: يا رسولَ الله؛ لا تَلمْهم فإنَّهم قد دخلهم أَمْر عَظِيم مِمَّا أَدْخَلْتَ على نَفْسِك من المَشَقَّة في أَمْرِ الصُّلح، ورُجُوعهُم بِغَيْرِ فَتْح يا نبي الله اخْرُجْ وَلاَ تكلِّم أَحَداً كَلِمَةً حتَّى تنحر بُدْنك وتدعو حالقكَ فيَحْلِقَك فجلى الله ـ تعالى ـ عن الناس بأُم سلمة ـ فَقَامَ رسُولُ الله ـ ﷺ ـ وٱضْطبع(٢) بثوبه، فخرج فأَخذ الحَرْبَة ويَمَّمَ هَدْيَه وأَهْوَى بالحربة إلى البُدْن رَافِعاً صَوْتَه «بِسْمِ اللّهِ واللّهُ أَكْبَر» ونحر، فَتَوَاثَبَ المسلمُونَ إلى الهَدْي وازدحموا عليه يَنْحَرونَه حتى كاد بعضهم يقع على بعض، وأَشرك رسول الله ـ ﷺ ـ بين أَصْحَابِه فِي الهَدْي، فَنَحَرَ البَدَنَة عن سَبْعَة، وكان هَدْيُ رسول الله ـ ﷺ ـ سبعين بَدَنَة، وكان الهَدْيُ دُون الجبال التي تَطْلعُ على وَادي الثَّنيَّة، فلما صَدَّه المشركون رَدَّ وجوه البُدْن(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣٣٠/٤ والبيهقي في دلائل النبوة ٣٣١/٥.

(٢) اضطبع: أخذ الإزار أو البرد فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن ويلقي طرفيه على كتفه الأيسر من جهتي صدره وظهره، انظر النهاية ٧٣/٣.

(٣) أخرجه البخاري ٢٥٧/٣ وابو داود في الجهاد باب ١٦٧ واحمد ٣٣١/٤ والبيهقي في الدلائل ١٠٦/٤ وعبد الرزاق (٩٧٢٠) والطبري ٦٣/٢٦ وابن أبي شيبة ٤٥٠/١٤.

قال ابن عباس: لما صُدَّت عن البَيْتِ حَنَّتْ كما تَحِنُّ إِلَى أَوْلاَدِهَا. رواه الإمام أحمد والبيهقي(١). فَنَحَرَ رَسُولُ الله - ﷺ - بُدْنَه حيث حبسوه وهي الحديبية، وشرد جمل أَبي جهل من الهَدْي وهو يرعى وقد قلد وأشعر. وكان نجيباً مهرياً في رأسه بَرَة من فضة، أهداه ليغيظ بذلك المشركين، فمر من الحديبية حتى آنتهي إِلى دَارِ أَبِي جَهْل بمكة، وخرج في أثره عمرو بن عَنَمة بن عديٍّ الأنصاري، فَأَبَى سُفَهَاء مكَّةَ أَن يُعْطوه حتَّى أمرهم سُهَيل بن عمرو بدفعه إليه، قيل: وَدَفَعُوا فيه عِدَّة نِيَاق، فَقَالَ رَسُولُ الله - ﷺ «لَوْلاَ أَنْ سَمَّيْنَاهُ فِي الهَدْي فَعَلْنَا»، ونحره عن سَبْعَة، ونحر طلحة بن عبيد اللّه، وعبدُ الرحمن بن عَوْف، وعثمان بن عفان، بُدْنَات سَاقوها.

وروى ابن سعد عن أَبي سُفْيَان عن جَابر قال: نَحَرَ رَسُولُ الله - ﷺ - سَبْعِينَ بَدَنَة عَامَ الحُدَيْبِيَة، البَدَنَةُ عن سَبْعَة، وكنَّا يومئذٍ أَلْفاً وأَربعمائة، ومن لم يضح أكثر ممن ضحى، وكان رسول الله - ﷺ - مضطرباً في الحل وإنَّما يُصَلِّي في الحرم. وبَعَثَ رسُولُ الله - ﷺ - من هَدْيه بعشرين بَدَنَة لِتُنْحَرَ عَنْه عند «المَروة» مع رَجُلٍ من أَسْلم، فلمَّا فرغ رسولُ الله - ﷺ - مِنْ نَحر البُدْن دَخَلَ قبة له من أَدَم حمراء وَدَعَا بخِرَاش - بمعجمتين - بن أُمَيَّة بن الفضل الكعبي، فَحَلَقَ رأسه ورمى شَعْرَهُ على شجرةٍ كَانَتْ إِلى جَنْبِه من سَمُرَة خضراء، فجعل الناسُ يأْخذونَ الشَّعْر من فَوْق الشَّجرة فيتحاصونه، وأَخَذَتْ أُمُّ عمارة طَاقَاتٍ من شَعْره فكانت تَغْسِلُهَا للمريض وتَسْقِيه فيبرأ، وجَعَلَ بعضُهُم يَحْلِق بَعْضاً حتَّى كَادَ بَعْضُهُم يقتل بَعْضاً غَمّاً.

وَحَلَقَ بَعْضُ المسلمين وَقَصَّرَ بَعْض، فأَخرج رسول الله - ﷺ - رأسه من قبته وهو يقول: رحم الله المحلقين، قيل: يا رسول الله والمقصرين قال: «رَحِمَ الله المحَلِّقِين ثَلاثاً». ثُمَّ قَالَ و «المقصرين»(٢).

وروى ابن أَبِي شَيْبَة عن ابنِ عبَّاس أَنهم قالوا: يا رسول الله مَا بَالُ المُحَلِّقِيْن ظاهرت عليهم الترحيم؟ قال: لأَنَّهُم لم يَشُكُّوا(٣). ورواه البيهقي موقوفاً.

وبعثَ الله تعالى رِيْحاً عَاصِفةً فآحتملت أَشْعارَهُم فأَلْقَتْهَا فِي الحرم كما رواه ابنُ سَعْدٍ عن مجمع بن يَعْقُوب عن أَبيه، وأَقَامَ رسولُ الله - ﷺ - «بالحُدَيْبِيَة تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْماً»، ويقال عشرين ليلة، ذكره محمد بن عمر، وابن سَعْد. قال ابن عائذ: وأَقَامَ رسُولُ الله - ﷺ - في غَزْوته هذه شَهْراً ونصفاً.

---

(١) أَخرجه البيهقي في الدلائل ١٥٢/٤.

(٢) أخرجه الحاكم ٢٣٠/٤ والبيهقي ٢٣٦/٥ والدعاء لِلْمُحَلِّقِينَ متفق عليه من حديث آبن عمر البخاري ٥٦١/٣ (١٧٢٧) ومسلم ٩٤٥/٢ (١٣٠١/٣١٧).

(٣) أَخرجه البيهقي في الدلائل ١٥١/٤.

ذكر رجوع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

روى مُسْلم عن سلمة بن الأَكوع، والبيهقي عن ابن عباس، وابن سعد، والبيهقي، والحاكم عن أَبي عمرة الأَنصاري، والبزار، والطبراني، والبيهقي عن أَبي خنيس الغفَاري، ومحمد بن عمر عن شيوخه، يزيدُ بعضُهم على بَعْض: أَنَّ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ لما آنْصَرَفَ من «الحديبية» نزل بمَرِّ «الظَّهْرَان» ثم نزل «بعُسْفَان» وأَرْمَلُوا من الزّاد، فشكا النَّاسُ إِلى رَسُولِ الله ـ ﷺ ـ أنهم قَدْ بَلَغُوا من الجوعِ الجَهْد، وفي الناس ظَهْر، فقالوا: ننحَرهُ يا رسولَ الله، ونَدْهِن مِنْ شُحُومه ونتَّخذ من جُلُوده أَحْذِية فأَذنَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ فأُخْبِرَ بذلك عمرُ ابن الخطاب فجاء إِلى رَسُولِ الله ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله لا تَفْعَل، فإن يكن فِي النَّاس بقيَّةُ ظَهْرٍ يكن أَمْثَل، كيف بِنَا إذا نَحنُ لقينا العدُوَّ غَداً جيَاعاً رجالاً؟! ولكن إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَدْعُوَ النَّاسَ بِبَقَايَا أَزْوَادِهم فتجمَعهَا ثُمَّ تَدْعُو فيها بالبركة فإِنَّ الله سَيُبَلِّغُنَا بدَعْوَتِك، وَدَعَا رسولُ الله ـ ﷺ ـ النَّاسَ بِبَقَايَا أَزوادِهِمْ وَبَسَطَ نِطْعاً فَجَعَلَ النَّاسُ يجيئون بالحفنة من الطَّعَام وَفَوْقَ ذَلِكَ، فكان أَعْلاَهُم مَنْ جَاء بصاع تَمْر، فآجتمع زَادُ القَوْمِ على النِّطْع، قال سلمة: فتطاولت لأُحرِّزكم هُو فحررته كربضة عَنْز ونحن أَربع عشرة مائة، فقام رسولُ الله ـ ﷺ ـ فَدَعَا بما شَاء الله أَنْ يَدْعُو، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبعُوا، ثم حَشَوا أَوْعِيَتَهُم، وبَقِيَ مِثله، فضحك رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُه، وقال: «أَشهد أَن لاَ إِله إِلاَّ الله وأَنِّي رَسُولُ الله، والله لاَ يَلْقَى الله ـ تَعَالَى ـ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ بِهِمَا إِلاَّ حُجِبَ مِنَ النَّار».

ثم أَذَّنَ رَسولُ الله ـ ﷺ ـ في الرَّحيل، فلما آرتحلوا أُمْطروا ما شَاءوا وهم صَائِفُون، فَنَزَل رسولُ الله ـ ﷺ ـ وَنَزَلُوا، فَشَرِبُوا مِنْ مَاءِ السَّمَاء.

ثم قَامَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ فَخَطَبَهُم، فجاء ثلاثةُ نَفَرٍ فجلس آثْنَان مَعَ النبي ـ ﷺ ـ وَذَهَبَ وَاحِدٌ مُعْرِضاً، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «أَلاَ أُخْبِرُكُم عن الثَّلاثَة؟ قالوا: بَلَى يَارَسُولَ الله. قال: أَما وَاحِدٌ فاستحيا فاستحيا الله مِنْه، وأَمَّا الآخر فَتَابَ فَتَابَ الله عليه، أَمَّا الثَّالث فَأَعْرَضَ. فَأَعْرَضَ الله عنه».

وروى البيهقي عن عُرْوَة قال: قفلَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ راجعاً فَقَالَ رجُلٌ من أَصْحابِ رسُولِ الله ـ ﷺ ـ مَا هَذَا بِفَتْح، لقد صُدِدْنَا عن البَيْت وَصُدَّ هَدْيُنَا. وَرَدَّ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ رَجُلَيْنِ من المُؤْمِنِين كَانَا خَرَجَا إِليه، فبلغ ذَلِكَ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ فَقَالَ: «بِئْسَ الكلام، بَلْ هُو أَعْظَم الفَتْح، قَدْ رَضِي المشركون أَن يدفعوكم بالراح عن بلادهم. ويسأَلوكم القَضِيَّة، ويَرغَبُون إِليكم في الأَمان؛ ولقد رأَوا مِنْكُمْ مَا كَرِهُوا، وأَظْفَرَكُمْ الله ـ تعالى ـ عَلَيْهِم وَرَدَّكُم سَالِمين مَأْجُورين فَهُو أَعْظَم الفتح، أَنَسِيتُم يَوْمَ أُحُد؟؟ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ، وأَنَا

أَدْعُوكُم فِي أُخْرَاكُم!! أَنَسِيتُم يَوْمَ الأَحْزَاب؟ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِر وتَظُنُّونَ بِالله الظُّنُونَا!! فقال المسلمون: صدق الله ورسُولُه، فهو أَعْظَمُ الفُتُوح، والله يَا نَبِيَّ الله مَا فَكَّرنَا فِيمَا فَكَّرت فيه، ولأَنْتَ أَعْلَمُ بالله وبالأُمور منا.

ذكر نزول سورة الفتح ومرجع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما ظهر في ذلك من الآيات

روى الإِمام أَحمد، والبخاري، والترمذي، والنسائي، وابن حِبَّان وابن مَرْدويه عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: كُنَّا مع رَسُولِ الله ـ ﷺ ـ في سفر يعني «الحديبية» فَسَأَلْتُه عَنْ شَيء ثَلاثَ مَرَّات، فلم يَرُدَّ عَليَّ، فقلتُ في نَفْسِي: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا ابن الخَطَّاب، نَزَرْت رسولَ الله ـ ﷺ ـ ثلاث مرات فَلَمْ يَرُدَّ عليك، فحركْتُ بَعِيري، ثم تَقَدَّمْتُ أَمامَ النَّاس، وخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِيَّ القُرآن، فَمَا نَشِبْتُ أَن سَمِعْتُ صَارخاً يَصْرُخُ بي، فرجعتُ وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّهُ نَزَلَ فِيَّ شيء، فَقَالَ النبيُّ ـ ﷺ ـ «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَة سُورَةٌ هِي أَحب إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح ١، ٢].

وروى ابنُ أَبي شَيْبَة والإِمام أَحمد، وابن سعد، وأَبو داود، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم ـ وَصححه ـ وابن مَرْدَويه، والبيهقي في الدَّلاَئِل، عن مُجَمِّع بن جَارِيَةَ الأَنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال: شَهِدْنَا «الحديبية» مع رسُولِ الله ـ ﷺ ـ فَلَمَّا انْصَرَفْنَا عَنْهَا إِلى كُرَاع الغَميم إِذا الناس يوجِفون الأَباعر، فقال الناسُ بعضُهم لِبَعْض: ما للنَّاسِ؟ قالوا: أُوحِيَ إِلَى رَسُولِ الله ـ ﷺ ـ فَخَرَجْنَا مع الناس نوجف، فإِذَا رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ على رَاحِلَته عند «كُرَاع الغميم» فَاجتمع النَّاسُ إِليه فقرأَ عليهم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ الفتح (١) فقال رجُلٌ من أَصْحَابِ النبي ـ ﷺ ـ أَوَهو فتح؟ فقال: «أَي والَّذِي نَفْسِي بيَده إِنَّه فتح» زاد ابن سَعْد: فلما نزل بها جِبْرِيلُ قال: ليهنئك يا رسول الله، فلما هَنَّأَه جبريل هنَّأَهُ النَّاس(١).

وروى عبد الرازق والإِمام أَحمد، وابن أَبي شَيْبَة، وعبد بن حُميد، والشيخان والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم عن أَنس ـ رضي الله عنه ـ قال: لما رجعنا من «الحديبية» قال رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ ضُحَى آية هي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَميعاً»

---

(١) أخرجه احمد في المسند ٤٢٠/٣ واخرجه ابو داود في الجهاد باب فيمن أسهم له سهما وذكره الحافظ بن كثير في التفسير ٣٠٨/٧ والبيهقي في الدلائل ١٥٥/٤.

ثلاثاً ـ قُلْنَا ـ وفي لَفْظٍ قَالُوا ـ هنِيئاً مَرِيئاً لك يا رسول الله قد بين الله لك مَاذَا يَفْعَل بِك، فماذا يفعلُ بنا؟ فنزلت، وفي لفظٍ فنزلت عليه: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [الفتح ٥] حتّى بلغ ﴿فَوْزاً عَظِيماً﴾[1].

وروى ابنُ أَبي شَيْبَة، والإمام أَحمد، والبخاري في تارِيخه، وأَبو داود والنسائي، وابن جرير، وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «أَقْبَلْنَا مِنَ الحُدَيْبِيَة» مع رسول الله ـ ﷺ ـ فَبَيْنَا نَحْنُ نسير إِذْ أَتَاهُ الوحي، وكَانَ إِذَا أَتَاهُ اشْتَدَّ عَلَيْهِ، فَسُرِّيَ عَنْه وَبِهِ من السُّرُور مَا شاء الله، فَأَخْبَرنا أَنَّه أُنْزِلَ عليه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾[2].

وروى البيهقي من طريق المسعودي عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أَبي علقمة عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: لـمَّا أَقْبَلَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ من «الحديبية» جَعَلَتْ ناقتُه تَثْقُل فأَنزل الله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ فأَدركنا رسولُ الله ـ ﷺ ـ من السُّرور ما شاء، فَأَخبرنا أَنها أُنْزِلَتْ عليه، فَبَيْنَا نَحْنُ ذَات ليلة إِذْ عَرَّس بِنَا، فقال رسُولُ الله ـ ﷺ ـ «من يَحْرُسُنَا»؟ فقلتُ أَنَا يا رسُولَ الله، فقال: «إِنَّك تنام» ثُمَّ قال: «مَنْ يَحْرُسُنَا» فقلتُ: أَنَا. فقال: أَنت، فحرستهُم، حتَّى إِذَا كان وَجْهُ الصبْح أَدْرَكَنِي قوْلُ رَسُولِ الله ـ ﷺ ـ إِنَّكَ تنام، فما آستَيْقظتُ إِلاَّ بالشمس، فلما آسْتَيْقَظْنَا قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «إِنَّ الله لَوْ شَاء أَن لا تناموا عنها لا تناموا، ولكنّه أَرَادَ أَن يكون ذلك لِـمَنْ بعدكم»، ثم قام فصنع كما كان يصنع، ثم قال: «هكذا لِـمَنْ نَامَ أَو نَسِيَ مِنْ أُمّتي» ثم ذهب القومُ في طلبهم رواحلهم فجاءوا بهن غير راحلة رسول الله ـ ﷺ ـ قال: فقال لي رسولُ الله ـ ﷺ ـ «اذهَبْ هَاهُنَا» ووجّهني وَجها فذهبتُ حيث وجّهنِي فوجدتُ زِمَامَهَا قد التَوَى بشجرة ما كانت تحلها الأَيدي. قال البيهقي: كذا قال المسعودي عن جامع بن شدَّاد: إِن ذلك كان حين أَقبلوا من الحُدَيْبِية[3]، ثم روى من طريق شعبة ـ وناهيك به عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أَبي علقمة عن ابن مسعود قال: أَقبلنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ من غزوة تَبُوك قال البيهقي: يحتمل أَن يكون مراد المسعوديّ بذكر الحُدَيْبِيَة تاريخ نزول السّورة حين أَقْبَلُوا من الحُدَيْبِيَة فقط، ثم ذكر معه حديث النّوم عن الصّلاة، وحديث الراحلة، وكانا في غزوةِ تَبُوك قلت لم يَنفردْ المسعوديّ بذلك، قال ابن أَبي شَيْبَة في المصنَّف: حدثنا منذر عن شعبة عن جامع بن شداد به، ولا مانع من التعدد.

---

(١) أَخرجه ابن حبان ذكره الهيثمي في الموارد ص (٤٣٦) (١٧٦٠)، والبيهقي ٢١٧/٥ وأَحمد ١٥٢/٤، والحاكم ٤/ ٤٦٠ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٧١/٦ والخطيب في التاريخ ٣١٩/٣، البيهقي في الدلائل ١٥٥/٤.

(٢) أَخرجه البخاري في التفسير ٥٨٢/٨ (٤٨٣٣)، والبيهقي في الدلائل ١٥٥/٤.

(٣) أَخرجه البيهقي في الدلائل ١٥٥/٤.

ذكر قدوم أبي بصير على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورده إليهم وما حصل له ولأصحابه من الفرج

رَوَى عبدُ الرزاق والإمام أَحمد وعبدُ بنُ حُمَيْد والبُخَارِيُّ وأَبو داود والنسائيُّ عن المِسْوَر بن مَخْرَمة، والبيهقيُّ عن ابن شهاب الزُّهْريّ(١). أَنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ لَمَّا قدِمَ المدينة من الحُدَيْبِيَة أَتاه أَبو بَصِير عُتْبَةُ ـ بضم العين المهملة ـ ابن أَسِيد ـ بوزن أَمير ـ بن جارية ـ بجيم ـ الثقفي، حليف بني زُهْرة ـ مُسْلِماً قد أَفلت من قومه ـ فسارَ على قدميه سعْياً، فكتب الأَخْنَس بن شَرِيق، وأَزْهَرُ بنُ عبد عَوْف الزُّهْرِيّ إِلى رسولِ الله ـ ﷺ ـ كتاباً وبعثا خُنَيْسَ ـ بمعجمة ونون وآخره مهملة ـ مُصَغَّر ـ ابن جابر من بني عامر بن لُؤَيّ، استأْجراه ببَكْر بن لَبُون، وحملاه على بعير، وكتبا يذكران الصّلحَ الذي بينهم، وأَن يَردّوا إِليهم أَبا بصير، فخرج العامريُّ ومعه مولًى له يقالُ له كَوثَرُ دليلا، فقدما بعد أَبي بصير بثلاثة أَيام فقرأَ أُبَيُّ بنُ كَعْب الكتاب على رسول الله ـ ﷺ ـ فإذا فيه: قد عرفتَ ما شَارَطْنَاك عليه، وأَشهدنا بينك وبيننا مِنْ ردِّ مَنْ قدِمَ عليك مِنْ أَصحابنا فابْعَثْ إِلينا بِصَاحبنا. فأَمر رسول الله ـ ﷺ ـ أَبا بصير أَن يرجع معهما، ودفعه إِليهما فقال: يا رسولَ الله تَردُّني إِلى المشركين يفتنونني في ديني؟ فقال: «يَا أَبَا بَصِير إِنَّا قَدْ أَعْطَيْنَا هَؤُلاَءِ القَوْمَ مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَلاَ يَصْلُحُ لَنَا فِي دِينِنَا الغَدْرَ وَإِنَّ الله ـ تَعالَى جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ المسْلِمِينَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً»، فقال: يا رسولَ الله تَرُدُّني إِلى المشركين؟!! قالَ: «انْطَلِقْ يَا أَبَا بَصِيرِ، فإِنَّ الله سَيَجْعَلُ لَكَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً» فخرج معهما، وجعل المسلمون يُسِرُّون إِلى أَبي بصير: يا أَبا بصير أَبْشر فإِن الله جاعلٌ لَكَ فَرَجاً ومخرجاً، والرّجُلُ يكونَ خَيْراً من أَلف رجل، فَافْعَلْ وافْعَلْ: يأْمرونه بقتل اللذين معه، وقال له عمَرُ: أَنت رَجُل، ومعك السيف، فأَنتهيا به عند صلاة الظهر بذي الحُلَيْفَة، فصَلَى أَبُو بَصِيرِ في مسجدها ركعتين؛ صلاة المسافر، ومعه زادٌ له من تَمْر يحمله؛ يأْكل منه. ودعا العامري وصاحبه ليأْكلا معه فقدما سُفْرَة فيها كِسَرٌ فأَكلوا جميعاً وقد علّق العامِريُّ سيفه في الجدار وتحادثا. ولفظ عروة: فَسَلَّ العامريُّ سيفه ثمّ هزّه فقال: لأَضربَنَّ بسيفي هذا في الأَوْسِ والخَزْرَج يَوْماً إِلى الليل. فقال له أَبو بصير: أَصَارِمٌ سيفُك هذا؟ قال: نعم، قال: ناولنيه أَنظر إِليه إِن شئت، فناوله إِيَّاه، فلَمَّا قبض عليه ضَربه به حتى بَرَدَ. قال ابن عقبة: ويقال بل تناول أَبو بصير السَّيْفَ بِفيهِ وصاحبهُ نائمٌ، فقطع إِساره ثمّ ضَربه به حتَّى بَرد، وطلب الآخر فجمز مَذْعُوراً مستخفيا، وفي لفظ: وخرج كوثرُ هَارِبا يعدو نحو المدينة وهو عَاضٌّ على أَسفل ثوبه قد بدا طرفُ ذكره،

(١) أخرجه البخاري ٣٢٩/٥ في الشروط وأبو داود في الجهاد باب ١٦٧ وأحمد ٣٣١/٤ والبيهقي في الدلائل ١٠٧/٤ وفي السنن ٢٢١/٩ وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٢٠) وانظر البداية والنهاية ١٧٦/٤.

والحَصَى يطيرُ مِنْ تَحْتِ قَدَميه مِنْ شِدَّةِ عَدْوِه، وأَبو بَصِيرٍ في أَثَره، فَأَعجزه وأَتَى رسولَ الله ـ ﷺ ـ وهو جالس في أَصحابه بعد العصر، فقال رَسولُ الله ـ ﷺ ـ حين رآه: «لقَدْ رأَى هذا ذُعْراً فلما آنتهى إِلى رسولِ الله ـ ﷺ قال: «وَيْحَكَ مالكَ» قال: قتل والله صاحِبُكُم صَاحِبِي وَأَفْلَت مِنْه ولم أَكَد، وَإِني لمقتول. وَآستغاث برسول الله ـ ﷺ ـ فَأَمَّنَه، وأَقبل أَبو بصير فَأَناخ بعير العامريّ. ودخل متوشّحاً سيفه. فقال: يا رسول الله قد وَفَت ذِمَّتُكَ وَأَدَّى الله عنك، وقد أَسلمتني بيد العدو، وقد آمتنعت بديني مِنْ أَنْ أُفْتَن، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «وَيل أُمّه مِسْعَرُ حَرْب[1]» وفي لفظ «مِحَشّ حَرْب، لَوْ كَانَ مَعَه رِجالٌ» وفي لفظ له أَحد قال عُرْوَة ومحمد بن عمر: وَقَدّمَ سَلَبَ العامِرِيِّ لرسول الله ـ ﷺ ـ لِيخَمِسه، فقال: «إِني إِذا خمستُه رَأَوْنِي لَمْ أُوفِ لَهُمْ بالَّذِي عَاهَدْتُهُم عَلَيْه، ولَكِنْ شأْنك بسَلَب صَاحِبك، وآذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ» وفي الصحيح أَن أَبا بصير لما سمع قولَ رسول الله ـ ﷺ ـ «وَيْلُ آمِّهِ مِسْعَر حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ أَحدٌ» عَرَف أَنَّه سيرده، فخرج أَبو بصير ومعه خَمسةٌ كانوا قدموا معه مسلمين مِنْ مكة حين قدم على رسول الله ـ ﷺ ـ فلم يكن طلبهم أَحدٌ حتى قدموا سِيفَ البحرِ، وَلَـمَّا بلَغَ سُهَيْل بن عمرو قَتْلُ أَبو بصيرِ العامِرِيَّ اشتدّ عليه وقال: ما صَالَحْنَا محمداً على هذا. فقالت قريشٌ: قد برئ محمدٌ منه قد أَمكن صاحبكم منه فقتله بالطريق، فما على محمد في هذا؟ فأَسند سُهَيْلٌ ظَهْرَهُ إِلى الكَعْبةِ وقال: والله لا أُؤَخِّرُ ظَهْرِي حتَّى يُودَى هذا الرجل، قال أَبو سفيان بن حرب: إِنَّ هذا لَهُوَ السَّفَه، والله لا يُودَى ثلاثا ـ وأَنَّى قريش تديه وإِنما بَعَثَهُ بنو زُهْرَة؟ فقال الأَخْنَس بن شريق: والله ما نديه، ما قتلناه ولا أَمرنا بقتله، قتله رجلٌ مخالف فأَرسلوا إِلى محمد يديه. فقال أَبو سُفيان بن حرب: لا، ما على محمد دِيَةٌ ولا غُرْمٌ قد برئ محمدٌ. ما كان على محمدٍ أَكثر مما صنع، فلم تخرج له دِيَة فأَقام أَبو بصير وَأَصحابُه بِسِيْف البحر، وقال ابن شهاب: بين العِيص وذي المَرْوَةِ من أَرض جُهَيْنَة على طريق عَيَرات قُرَيش.

قال محمد بنُ عمر: لما خرج أَبو بصير لم يَكُن معه إِلاَّ كَفٌّ تَمْرٍ فأَكله ثلاثة أَيام، وأَصاب حِيتَاناً قَدْ أَلقاها البحر بالسَّاحل فأَكلها، وبلغ المسلمين الذين قد حُبِسُوا بمكَّة خبرُ أَبي بصير، فتسللوا إِليه.

قال محمد بنُ عمر: كان عمر بنُ الخطاب هو الذي كَتَب إِليهم بقول رسول الله ـ ﷺ ـ لأَبي بصير «وَيْلُ أُمّهِ مِحَش حَرْبٍ لو كان له رجال» وأَخبرهم أَنه بالسّاحل، وآنفَلَت أَبو جَنْدَل بنُ سُهَيْل بن عَمْرو الذي رَدّهُ رسولُ الله ـ ﷺ ـ إِلى المشركين بالحُدَيْبِيَة، فَخَرَج هو وسبعون رَاكِباً مِمَّنْ أَسلموا فلحقوا بأَبي بصير، وكرهوا أَن يقدمُوا على رسول الله ـ ﷺ ـ في

(١) مِسْعَرُ حرب أي موقدها، انظر المعجم الوسيط ٤٣٢/١.

هُدْنَةِ المشركين، وكَرِهُوا الثواء بين ظَهراني قومهم، فنزلوا مع أَبي بصير، ولَمَّا قدم أَبو جَنْدَل على أَبي بصير سَلمَ لهُ الأَمرَ؛ لكونه قُرَشِياً فكَان أَبو جَنْدَل يؤُمُّهم، وآجتمع إِلى أَبي جنْدَل - حين سَمِعَ بقدومه - نَاسٌ من بني غِفَار وأَسْلَمَ وجُهَيْنَة، وطَوائِف من النَّاس حتى بَلَغُوا ثلاثمائة مقاتل - كما عند البَيْهَقيّ عن ابن شهاب - لا تَمُرُّ بهم عير لقريش إِلاَّ أَخذوها وقتلوا مَن فيها، وضيَّقُوا على قريش، فلا يظفرون بأَحدٍ منهم إِلاَّ قتلوه.

ومما قاله أَبو جَنْدل بنُ سُهَيْل في تلك الأَيام:

أَبْلِغْ قُرَيْشاً عَنْ أَبِي جَنْدَلِ ... أَنَّا بِذِي الـمَرْوَةِ فِي السَّاحِلِ
فِي مَعْشرٍ تَخْفُقُ رَايَاتُهُمْ ... بالبِيضِ فِيهَا والقَنَا الذَّابِلِ
يَأْبَوْنَ أَنْ تَبْقَى لَهُمْ رُفْقَةٌ ... مِنْ بَعْدِ إِسْلاَمِهِم الوَاصِلِ
أَوْ يَجْعَلَ الله لَهُمْ مَخْرَجاً ... وَالحَقُّ لاَ يُغْلَبُ بِالبَاطِلِ
فَيَسْلَمُ المَرْءِ بِإِسْلاَمِهِ ... وَيُقْتَلُ المَرْءِ وَلَمْ يَأْتَلِ

فَأَرسلت قريشٌ إِلى رسول الله - ﷺ - أَبَا سُفيَان بن حرب يسأَلونه ويتضرعون إِليه أَن يبعث إِلى أَبي بصير وأَبي جَنْدَل ومن معهم، وقالوا من خَرج منَّا إِليك فأَمسِكْه فَهُوَ لَكَ حلالٌ غيرُ حرجٍ أَنت فيه. وقال: فإِن هؤلاء الرّكب قد فَتَحُوا عَلَيْنا بَاباً لا يصلح إِقراره، فكتب رسولُ الله - ﷺ - إِلى أَبي بَصِير وأَبي جَنْدَل يأْمرهما أَن يَقْدُما عليه، ويأْمر من معهما مِمَّن آتَّبَعَهُمَا من المسلمين أَن يَرْجِعُوا إِلى بلادهم وأَهليهم فلا يتعرضوا لأَحد مرَّ بهم مِنْ قريش وعِيَراتها، فَقَدمَ كتابُ رسول الله - ﷺ - على أَبي بصير وهو يَمُوت. فجعل يقرؤه، ومَاتَ وهو في يَدَيْهِ، فَدَفَنَهُ أَبو جَنْدَل مَكَانَه، وجعل عند قَبْرِه مسجداً.

وقدم أَبو جندل على رسول الله ﷺ ومعه ناس من أَصحابه ورجع سائرهم إِلى أَهليهم، وأَمِنَت بعد ذلك عِيَراتُ قريش.

قال عُرْوَةُ: فَلَمَّا كان ذلك من أَمرِهم عَلِمَ الذين كانوا أَشاروا على رسول الله - ﷺ - أَن يمنع أَبَا جَنْدَل من أَبيه بعد القضيَّة أَنَّ طاعَةَ رسولِ الله - ﷺ - خَيْرٌ لهم فيما أَحَبُّوا وفيما كرهوا من رأى مَنْ ظنّ أَن له قوّة هي أَفضل مما خصّ الله تعالى به رسُولَه من الفوز والكرامة - ﷺ - ولَـمَّا دَخَلَ رسولُ الله - ﷺ - عام القضية وحلق رأْسَه قال: «هذا الَّذِي وَعَدْتكُم».

ولَـمَّا كانَ يوم الفتح أَخذ المفتاح وقال: «آدْعُوا لي عمرَ بنَ الخطاب. فقال: «هَذَا الَّذِي قُلْتُ لَكُم».

ولـمَّا كان في حِجَّةِ الوداع وقَفَ بعرفة وقال: «أَي عمر هذا الذي قُلْتُ لكم إِني رسول الله - ﷺ - والله مَا كَان فَتْحٌ في الإِسلام أَعظم مِن صُلْح الحُدَيْبِيَة، وكان الناس قَصُرَ

رأيُهُم عمّا كان، وكان أَبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يقول: ما كانَ فَتْحٌ في الإِسلام أَعْظمَ مِن صُلْحِ الحدَيبِيَة، وكان النّاسُ قصر رَأْيُهم عمّا كانَ بَيْنَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ وبَيْنَ رَبِّهِ، والعِبَادُ يَعْجَلُون، والله ـ تعالى ـ لا يَعْجَلُ لِعَجَلَةِ العبد حتى يبلغ الأُمور ما أَراد، لقد رَأَيْتُ سُهَيْل بنَ عمرو في حِجَّةِ الوداع قائماً عند المنحر يُقَرِّبُ لرسول الله ـ ﷺ ـ بُدْنَه ورسولُ الله ـ ﷺ يَنْحَرُها بيده، ودعا الحلاّق فَحَلَقَ رَأْسَه فانْظُر إِلى سُهَيْلٍ يلقط من شَعْرِهِ، وأَراه يَضَعُه على عَيْنَيه، وأذكرُ آمتناعه أَن يُقِرَّ يومَ الحُدَيْبِيَة بأَنْ يُكْتَبَ: «بسم الله الرحمن الرحيم» فَحَمِدْتُ الله ـ تعالى ـ الذي هَدَاهُ للإِسلام.

ذكر ما أنزل الله سبحانه وتعالى في شأن غزوة الحديبية: قال الله سبحانه وتعالى «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً»

بيِّناً وظَاهِراً، وهذا إِخبارٌ عن صلح الحُدَيْبِيَة، وسمّاهُ فَتْحاً لأَنه كانَ بعد ظُهُورِهِ على المشركين حَتَّى سَأَلُوهُ الصُّلْحَ، وتسبب عنه فتح مكة، وَفَرَغ به ـ ﷺ ـ لسائر العرب فغَزَاهم، وفَتَحَ مواضعَ.

ورَوَى البخاريّ عن أَنس ـ رضي الله عنه ـ في الآية قال: الفتحُ صلحُ الحُدَيْبِيَة(١).

وَرَوَى أَيضاً عن البراء رضي الله عنه ـ قال: تَعُدُّونَ أَنتم الفتحَ فتحَ مكة، وقد كان فتحُ مكَّة فتحاً، ونحن نعُدّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرّضوان يومَ الحُدَيْبِيَة.

قال الحافظ رحمه الله يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ وهذا موضع وقع فيه آختلافٌ قديم: والتحقيق: أَنه يختلف بآختلاف المُراد من الآيات. فقوله ـ تعالى: ﴿إِنا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ المرادُ بالفتح هنا الحُدَيْبِيَة؛ لأَنها كانت مَبْدَأَ الفتح المُبين على المسلمين لما تَرَتَّبَ على الصلح الذي وقَعَ من الأَمن ورفع الحرب وتمكُّنِ مَنْ كان يَخْشَى الدخولَ في الإِسلام والوصول إِلى المدينة من ذلك، كما وقع لخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص وغيرهما، ثم تبعت الأَسباب بعضها بعضا، إِلى أَن كمل الفتح.

قال الزُّهْرِيّ: لم يكن في الإِسلام فتحٌ قبل فتح الحُدَيْبِيَة أَعظم منه إِنما كان الكفر حيث القتال، فلَمَّا أَمِنَ الناسُ كلُّهم، كَلَّم بعضُهم بَعضاً، وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، ولم يُكَلَّم أَحدٌ بالإِسلام يعقِلُ شيئاً إِلاّ بَادَرَ إِلى الدخول فيه، فلقد دَخَل في تينك السَّنَتَيْن مثل مَنْ كان دَخَل في الإِسلام قبل ذلك أَو أَكثر.

---

(١) البخاري ٨/٤٤٧ (٤٨٣٤).

قال ابن هشام: ويدل عليه أنه ـ ﷺ ـ خرج في الحديبية في ألف وأربعمائة، ثم خرج بعد سنتين إلى فتح مكّة في عشرة آلاف انتهى.

وأما قولُه ـ تعالى ـ في هذه السّورة: ﴿وأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ فالمرادُ به فتح خَيْبَر على الصحيح؛ لأَنها وقعت فيها المغانم الكثيرة، وقسمت خَيْبَر على أَهل الحُدَيْبِيَة، وأَما قوله ـ تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ فالمرادُ به الحُدَيْبِيَة، وأَما قولهُ ـ تعالى: ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ الله والفَتْحُ﴾ وقوله ـ ﷺ «لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ»[1] فالمرادُ به فتحُ مكّة باتّفاق، فبهذا يرتفع الإِشكال وتجتمع الأَقوالُ بعَوْنِ الله.

وقال في موضع آخر: ومما ظهر من مصلحة الصلح المذكور غير ما ذكرهُ الزُّهْرِي، أَنه كان مقدمة بين يَدَي الفتح الأَعظم الذي دَخَلَ الناسُ عقَبَه في دين الله أَفواجا؛ فكانت الهدنة معناها كذلك، ولَمَّا كانت قصة الحُدَيْبِيَة مقدمةً للفتح سُمِيّت فَتْحاً؛ لأَنَّ الفتحَ في اللغةِ فتحُ مُغْلَقٍ، والصُّلْحُ كانَ مُغْلَقاً حتَّى فَتَحهُ الله ـ تعالى. وكان من أَسباب فتحه صدّ المسلمين عن البيت، فكان في الصورة الظاهرة ضَيْماً للمسلمين، وفي الصورة الباطنةِ عِزاً لهم؛ فإِن الناس لأَجل الأَمن الذي وقع بينهم آختلط بعضُهم ببعض من غير نكير، وأَسمع المسلمونَ المشركين القرآن ونَاظَرُوهُم على الإِسلام جهرة آمنين، وكانوا قبل لا يتكلمون عندهم بذلك إِلاّ خفية. وظَهَرَ مَنْ كان يُخفى إِسلامه، فَذلَّ المشركون مِنْ حيث أَرادُوا العزَّة، وقُهِرُوا مِنْ حيث أَرادُوا الغَلَبَة، ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ اللام للعلة الغائيّة، جعل الغفران علة للفتح من حيث أَنّه سَبَبٌ عن جهاد الكُفّار والسّعي في إِعلاء الدين، وإِزاحة الشِّرْك وتكميل النُّفُوس النَّاقصة قَهْراً؛ ليصيرَ ذلك بالتَّدْرِيج آخْتِيَاراً، وتخليص الضَّعَفَةِ من أَيدي الظَّلمة، وتَقَدَّم الكلامُ على هذه الآية في أَواخر تنبيهات المِعْرَاج، ويأْتي له تَتِمةٌ في الخصائص ﴿ويُتِمَّ﴾ بالفتح المذكور ﴿نِعْمَتَهُ﴾ إنعامه بإِعلاء الدين وضم المُلْكِ إِلى النُّبوّة ﴿عَلَيْكَ ويَهْدِيَكَ﴾ في تبليغ الرسالة وإِقامة مراسيم الديانة ﴿صِراطاً﴾ طريقاً ﴿مُسْتَقِيماً﴾ يُثَبِّتُكَ عليه، وهو دين الإِسلام ﴿ويَنْصُرَكَ﴾ الله ﴿به نَصْراً عَزِيزاً﴾ ذا عِز لاَ ذُلَّ مَعَه ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الثَّبَات والطُّمأْنينة ﴿فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ﴾ حتى يثبتوا، حتى لا تقلق النفوس وتدحض الأَقدام ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً﴾ يقيناً ﴿مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ يقينهم برسوخ العقيدة وآطمئنان النفس عليها، أَو أَنزل فيه السّكون إِلى ما جاء به رسولُ الله ـ ﷺ ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً﴾ بالشرائع ﴿مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ بالله واليوم الآخر ﴿ولله جُنُودُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ فلو أَراد نصرَ دينه بغيركم لَفَعَلَ ﴿وَكَانَ الله عَلِيماً﴾ بخلقه ﴿حَكِيماً﴾ في صنعه، أَي لم يزل مُتَّصفاً بذلك، ثم ذكر ـ تعالى ـ القصة في

(١) أخرجه من حديث ابن عباس البخاري ٣/٦ (٢٧٨٣) ومسلم ٢/٩٨٦ (١٣٥٣/٤٤٥).

رسول الله - ﷺ - وفي أَصحابه حتى أنتهى إِلى ذكر البيعة فقال عزَّ وجَلَّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بيعة الرضوان بالحُدَيْبِيَة ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ أَي ما يبايعون أَحداً إلا الله، أي ليست تلك المبايعة مع رسول الله - ﷺ - بل مع الله - تعالى - وكما رُوعِيَتِ المُشَاكَلَةُ بين قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ وبين قوله ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُون اللهَ﴾ بنى عليها قولَه ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ على سبيل الإِستعارة التخييلية تتميما لمعنى المشاكلة، وهو كالترشيح للاستعارة، أَي إِذا كان الله - تعالى - مُبَايِعاً، ولا بُدّ للمبايع - كما تقرَرّ وآشْتَهَر - من الصّفقة لليد فتخيّل اليد لتأْكيدِ المُشاكلةِ، وإِلاَّ، فَجَلَّ جَنَابُه الأَقْدَسُ عن الجارحة، والمعنى أَنّ الله تعالى - مُطَّلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ نَقَض البيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ﴾ يرجعُ وبال نقضِهِ على نفسه ﴿وَمَنْ أَوْفَى﴾ ثبت ﴿بِمَا عَاهَدَ عَلَيْه اللهَ﴾ في مبايعته ﴿فَسَنُؤْتِيه﴾ بالفوقية والنون ﴿أَجْراً عَظِيماً﴾ وهو الجنة، ثم ذكر تعالى ما المنافقون يَعْتَلُّون به إِذا لَقوا رسولَ الله - ﷺ - فقالَ تبارك وتعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُون﴾ من الأَعراب حول المدينة، الذين خلَّفهم الله - تعالى - عن صحبتك لَمَّا طلبتهم لِيَخْرُجُوا معك إِلى مكة، خَوْفاً من تَعَرُّضِ قريش لك عام الحُدَيْبِية إِذا رجعتَ منها ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن الخروج معك ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ الله - تعالى - مِن ترك الخُروج مَعَك، قال سبحانه وتعالى مكذباً لهم ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ أَي من طلب الاستغفار والاعتذار ﴿مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فهم كاذبون في آعتذارهم ﴿قُلْ فَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النّفي، أَي لا أَحد ﴿يَمْلِكُ لَكُم مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً﴾ بفتح الضّاد - ما يَضرّكم كقتل، وخلل في المال والأَهل وعقوبة عن التخلف - وبضمها - أَي [الهزال وسوء الحال] ﴿أَوْ أَرَاد بِكُمْ نَفْعاً﴾ ما يضاد ذلك؛ لأَنهم ظنُّوا أَنَّ تخلفهم عن رسول الله - ﷺ - يدفع عنهم الضّرر، ويعجّل لهم النَّفع بالسلامة في أَنفسهم وأَموالهم، فأَخبرهم تبارك وتعالى أَنه إِن إِرادَ بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أَحدٌ على دفعه ﴿بَلْ﴾ هنا وفيما يأْتي للانتقال من غرض إِلى آخر ﴿كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً﴾ أَي ظننتم أَن العدو يستأْصلهم فلا يرجعون، ﴿وَزُيِّنَ ذَلِكَ﴾ عَدَمَ الانقلاب ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فتمكنَّ فيها ﴿وظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ هذا وغيره ﴿وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً﴾ بواو وراء جمع بائر أَي هالِكين عند الله - تعالى - بهذا الظَّن ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ باللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ أَعددنا وهيَّئنا ﴿لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً﴾ ناراً شديدة ﴿وَللهِ مُلْكُ السَّمَواتِ والأَرْضِ﴾ يديرهُ كيف يشاء ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاء ويُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إِذْ لا وُجُوبَ عليه ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ ولم يزل مُتَّصِفاً بذلك، ثم ذكر أَن النبي - ﷺ - وأَصحابَه إِذا انطلقوا إِلى مغانم لِيَأْخذوها الْتَمَسَ المخلَّفون الخروجَ لِعَرَضٍ مِنَ الدّنيا، فقال تباركَ وتعالى ﴿سَيَقُولُ لكَ المخَلَّفُونَ﴾ المذكورون ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ

﴿لِتَأْخُذُوهَا﴾ هي مغانم خَيْبَر؛ فإنه ـ ﷺ ـ لَمَّا رجع من الحُدَيْبِيَة أقامَ بالمدينة مدة ثم غزا خَيْبَر بمن شَهِدَ الحُدَيْبِيَة ففتحها، وغَنِمَ أموالاً كثيرة فخصّها بهم ﴿ذَرُونَا﴾ اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لنأخذ منها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَن يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللهِ﴾ وقرأ حمزة والكسائيّ بكسر الكاف، وهو جمع كَلاَم ـ أي مواعيده بغنائم خَيْبَر أَهْلَ الحُدَيْبِيَة خاصةً ﴿قُل لَن تَتَّبِعُونَا﴾ نفي بمعنى النهي ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِن قَبْلُ﴾ أي مِنْ قبل عودنا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أَنْ نُصِيبَ معكم من الغنائم فقُلْتُم ذلك ﴿بَلْ كَانُوا لاَ يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون من الدين ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾ منهم ﴿قُل لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾ المذكورين آختِبَاراً ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ﴾ أَصحاب ﴿شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ﴾ حالٌ مُقَدَّرَةٌ ـ هي المدعو إليها في المعنى ﴿أَوْ﴾ هم ﴿يُسْلِمُونَ﴾ فلا يقاتلون ﴿فَإِن تُطِيعُوا﴾ إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْراً حَسَناً﴾ هو الغنيمة في الدنيا، والجنة في الآخرة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِن قَبْلُ﴾ عن الحُدَيْبِيَة ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ مؤلما ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ﴾ إِثمٌ في تركِ الجهاد ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بالياء والنون ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ فَصَّلَ الوَعْدَ وأَجْمَلَ الوعيد مبالغةً في الوعد لِسَبْقِ رحمته ثم جمل ذلك بالتكرار على سبيل التّعميم فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ﴾ كذلك ﴿عَذَاباً أَلِيماً﴾ إذ الترهيبُ هنا أنفعُ من التّرغيب.

ثم ذكر ـ تعالى ـ مَنْ بايَعَ تَحْتَ الشجرة فقال عَزَّ وجَلَّ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحُدَيْبِيَة ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ هي سَمُرَة كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن سلمة، أو سِدْرَة كما رواهُ مسلم عن جابر ﴿فَعَلِمَ﴾ الله تعالى ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة وسكونَ النفس بالتشجيع ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ثم ذكر ما أثابهم عن ذلك فقال: ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ هو فتحُ خَيْبَر بعد آنصرافهم من الحُدَيْبِيَة ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من يهود خَيْبر، وكانت خَيْبَرُ ذات عقار وأموال، فقسّمها رسولُ الله ـ ﷺ ـ بينهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً﴾ غالبا ﴿حَكِيماً﴾ أيْ لم يزل مُتَّصِفاً بذلك ﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ من الفتوحات التي تُفْتَحُ لكم إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ غنيمة خيبر، ثمَّ ذكَّرهم نعمته عليهم بِكَفِّ أيدي العدوّ عنهم فقال تعالى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾ في عيالكم لمَّا خرجْتُمْ وهمَّت بهم اليهود، فقذفَ الله ـ عزّ وجل ـ في قلوبهم الرُّعب، وقِيلَ: كَفُّ أَيدي أَهلِ مكّة بالصلح ﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الكفَّة أَو الغنيمة المعجلة ـ عَطْفاً عَلَى مُقَدَّرٍ أي لِتَشْكُرُوه ﴿آيَةً﴾ علامة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يُعرفُون بها أَنهم من الله ـ تعالى ـ بمكان، أَوْ صِدْقَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ في وَعْدِهِم فَتْحَ خَيْبَر حين رجوعِهِ مِنَ الحُدَيْبِيَة ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾ أي طريقَ التّوكل عليه، وتفويض الأمر إليه ـ تعالى ـ ﴿وَأُخْرَى﴾ صِفَة مَغَانِم،

فَيقَدَّرُ مبتدأ ﴿لَـمْ تَقْدِرُوا عَلَـيْهَا﴾ بعد، لما كان فيها من الجولة، والمراد: فارس والرّوم ﴿قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا﴾ علم أنها ستكون لكم ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَـى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾ لأن قدرته دائمة لا تختصّ بشيءٍ دون شيءٍ ﴿وَلَوْ قَاتَلَـكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالـحُدَيْبِيَة ولـم يُصَالِحُوا ﴿لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ﴾ لانهَزَمُوا ﴿ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِـياً﴾ يحرسهـم ﴿وَلا نَصِيراً﴾ ينصرهـم ﴿سُنَّةَ اللهِ﴾ مَصْدَرٌ مؤكِّدٌ بمضمون الجُملة قبله من هزيمة الكافرين ونصرِ المؤمنين، أي سَنَّ الله ـ تعالى ـ ذلك سُنَّة ﴿الَّتِـي قَدْ خَـلَتْ﴾ مضت في الأُمم كما قال ـ تعالى ـ ﴿لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِـي﴾ [المجادلة ٢١] ﴿مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ تغييرا منه ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ بالـحُدَيْبِيَة ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فإن ثمانين طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم غِرَّة فأُخِذُوا، فأُتي بهم رسول الله ـ ﷺ ـ فَعفَا عنهم، وخلَّى سبيلهم، فكان ذلك سبب الصّلح ﴿وَكَانَ اللهُ بِـمَا تَعْمَلُونَ﴾ من مقاتلتهم، وقرأ أبو عَمْرو بالتحتية ﴿بَصِيراً﴾ فيجازيهم عليه ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الـمَسْجِدِ الـحَرَامِ﴾ عن الوصول إليه ﴿والهَدْيَ مَعْكُوفا﴾ عليكم، معكوفا: مَحْبُوساً، حَالٌ ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال ﴿وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾ موجودون بمكة مع الكفار ﴿لَـمْ تعلـمُوهُمْ﴾ بصفة الإيمان ﴿أَنْ تَطَئُوهُمْ﴾ تقتلوهم مع الكفار لو أُذن لكم في الفتح، بدل اشتمال ﴿فتصيبكم منهم﴾ من جهتهم ﴿مَعَرَّةٌ﴾ مكروه؛ بوجوب الدِّية، أو الكفارة بقتلهم، أو التأسف عليهم، أو غير ذلك ﴿بِغَيْرِ عِلْـمٍ﴾ منكم به، وضمائر الغيبة به للصنفين بتغليب الذكور، وجواب لولا محذوف أي لأُذِنَ لكم في الفتح لكِنْ لَمْ يؤذن فيه حينئذ ﴿لِيُدْخِـلَ اللهُ فِـي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كالمؤمنين المذكورين ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ تميزوا عن الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة حينئذ بأن نَأْذَنَ لكم في فتحها ﴿عَذَاباً أَلِـيماً﴾ مؤلـماً ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ متعلق بعذّبنا ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل ﴿فِـي قُلوبِهِمُ الـحَمِيَّةَ﴾ الأنفة من الشيء ﴿حَمِيَّةَ الـجَاهِلِيَّةِ﴾ بدَلٌ من حميّة، وهي صدّهم رسولَ الله ـ ﷺ ـ وأصحابَه عن المسجد الحرام ﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَـى رَسُولِهِ وَعَلَـى الـمُؤْمِنِـينَ﴾ فصالحوهم، على أن هذا يعود مِنْ قَابِلٍ، ولـم يلحقهم من الحميَّة مَا لَحِقَ الكفَّارَ حتَّى يقاتلوهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِـمَةَ التَّقْوَى﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأضِيفت إلى التقوى لأنها سببها ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾ من الكفار ﴿وَأَهْلَهَا﴾ عطفُ تفسير ﴿وَكَان اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ أي لـم يزل مُتَّصِفاً بذلك؛ ومن معلومه تعالى أن المؤمنين أهلها ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرؤيا بالـحقِّ﴾ رأى رسولُ الله ـ ﷺ ـ في النوم عامَ الحُدَيْبِيَة قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين ويحلقون رؤوسهم ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه فَفَرِحُوا، فلَّما خرجوا معه وصدَّهم الكفَّارُ بالـحُدَيْبِيَة ورجعوا، وشقّ عليهم ذلك، وراب بعض المنافقين

نزلت، وقوله تعالى: ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلقٌ بصَدَقَ، أَو حال من الرُّؤيَا، وما بعدها تفسير لها ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ﴾ أي جميع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ شعورها، وهما حالان مقدرتان ﴿لاَ تَخَافُونَ﴾ حالٌ مُؤكدة أو استئناف: أي لا تخافون بعد ذلك ﴿فَعَلِمَ﴾ في الصلح ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الصلاح ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي الدخول ﴿فَتْحاً قَرِيباً﴾ هو فتح خَيْبَر، وتحقَّقت الرُّؤيا في العام القابل، ويأتي الكلام على تفسير بقيَّة السّورة في الخصائص إن شاء الله تعالى.

تنبيهات

الأول: الحُدَيْبِيَة: بحاء مهملة مضمومة، فدال مهملة مفتوحة فموحدة مكسورة فتحتية مَفْتُوحة. قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ وأَهل اللغة وبعض أَهل الحديث ـ رحمهم الله ـ التَّحْتِيَّة مخففة. وقال أَكثر أَهل الحديث مُشَددة. قال النووي ـ رحمه الله ـ فهما وَجْهَان مشهوران.

وقال في المطالع: ضبطنا التخفيف عن المُتقِنين وأَما عامة الفُقَهاء والمُحَدِّثين فيشدِّدُونَها. وقال البكري ـ رحمه الله ـ أَهلُ العراق يُشَدِّدُون، وأَهْلُ الحجازِ يخَففون.

وقال النحاس ـ رحمه الله ـ سأَلت كلَّ مَنْ لقيتُ مِمَّن أَثِقُ بعلمه عن «الحديبية» فلم يختلفوا عن قراءتها مخففة.

قال أَحمد بن يحيى(١) ـ رحمه الله ـ لا يجوزُ فِيهَا غيره، ونصّ في البارع على التخفيف. وحكى التَّشْدِيدَ ابن سيده ـ رحمه الله ـ في المحْكَم، قال في تهذيب المطالع: ولم أَره لغيره، وأَشار بعضُهم إِلى أَنَّ التثقيل لم يُسْمَع حتى يَصح، ووجهُهُ أَن التَّثْقِيل إِنما يكون في المنسوب، نحو الإِسْكندريَّة فإِنها منسوبة إِلى الاسكندر وأَمَّا الحُديبية فلا تعقلُ فيها النِّسْبَة، وياء النسبة في غير مَنْسُوب قليلة، ومع قلته موقوف على السماع. والقياسُ أَن يكون أَصلها حَدْبَاء بزيادة «أَلفِ للإِلحاق ببنات الأَربعة، فلما صغرت انقلبت الأَلفُ ياء»، وقيل: حُدَيْبَة، وشهد لصحة هذا أَقوالهم لُيَيْلَة بالتّصغير، ولَمْ يَرِدْ لَها مُكَبَّر فَقَدَّره الأَئِمة ليلة لأَن المُصَغَّر فرعُ المُكَبَّر، ويمتنعُ وجودُ فرعٍ بدون أَصْلِه.

قال المحب الطبري ـ رحمه الله ـ: هي قريبة من مكة أَكثرها في الحرم.

وفي صحيح البخاري عن البراء «الحديبية» بِئْر. قال الحافظ ـ رحمه الله ـ يُشِيرُ إِلى أَنَّ

---

(١) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في النحو واللغة. كان راوية للشعر، محدثاً، مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة. ولد ومات في بغداد. وأصيب في أواخر أيامه بصمم فصدمته فرس فسقط في هوة، فتوفي على الأثر سنة ٢٩١هـ من كتبه «الفصيح» و«قواعد الشعر» و«شرح ديوان زهير»، انظر الأعلام ٢٦٧/١.

المكان المعروف بالحُدَيْبِيَة سمي ببئرٍ كانت هنالك، هذا آسمها، ثم عُرِفَ المكانُ كُلُّه بذلك، وَبَيْنَها وبين مكة نحو مرحلة واحدة، وبين المدينةِ تِسْعُ مَرَاحل

الثاني: قَالُوا: كانت سَنَةَ ستٍّ، قاله الجمهور، في ذي القِعْدة، وقال هِشَامُ ابْنُ عُرْوَةَ عن أَبيه ـ رحمهما الله ـ في شوال، وشَذَّ بذَلِكَ هِشَامُ عن الجمهور. وقد وافق أبو الأسود عن عُرْوَة الجمهور. وفي البخاري عن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: مَا آعْتَمَرَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ إلاَّ فِي ذِي القِعدَة، وفيه عن أَنَسٍ ـ رضي الله عنه ـ آعْتَمَرَ رَسولُ الله ـ ﷺ ـ أَرْبَعَ عُمَرٍ كُلهُن فِي ذِي القِعْدَة، فذكر منها عُمْرَةَ الحُديبية(١).

الثالث: آخْتَلَفَت الروايات في عِدَّةِ مَن كَان مع رسول الله ـ ﷺ ـ فيها، فَفِي رِوَايَةِ عبد العزيز الأفاقي عن الزُّهْرِي في حديث المِسْوَر، ومروان: ألف وثمانمائة.

وفي رواية إِسْرَائيلَ عن أَبي إِسْحَاقَ عن البراء: كُنَّا أربع عشرة مائة.

وفي رواية زهير بن معاوية عن أبي إِسْحَاق كانوا أَلفاً وأَربعمائة أَو أَكثر.

وفي رواية لسالم بن أَبِي الجَعْد عن جابر: أَنَّهم كانوا خَمْسَ عَشْرة مائة، وكذلك رواية سَعِيدِ بنِ المُسَيَّب عنه، وكذلك رواية ابن أَبي شَيْبَة عن مُجَمّع بن جارية.

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ والجمْعُ بين هذا الاختلاف أَنهم كانوا أَكثر من أَلف وأَربعمائة، فَمَنْ قال أَلف وخمسمائة جبر الكسر، ومن قال ألف وأربعمائة أَلغاه. ويؤيده قول البراء في رواية عنه: كُنَّا أَلفاً وأَربعمائة أَو أَكثر، وآعتمد على هذا الجمع النووي ـ رحمه الله. وأَما البيهقي ـ رحمه الله ـ فَمَالَ إِلى التَّرْجيح، وقال: إِن رِوَايَةَ مَنْ قال أَلفاً وأَربعمائة أَرجح، ثم روى مِنْ طريق أَبي الزبير ومن طريق سفيان بن عمر بن دينار، كِلاَهُمَا عَن جابر كذلك.

ومن رواية مَعْقِل بن يَسَار عن سَلَمَةَ بِن الأَكوع، والبراء بن عازِب ومِنْ طريق قَتَادَة عن سَعِيدِ بنِ المُسَيَّب عن أَبيه، ومعظم هذه الطرق عن مسلم.

ووقع عند ابن سعد ـ رحمه الله ـ في حديث مَعْقِل بن يَسَارٍ: زُهَاءَ أَلف وأَربعمائة، وهو أَيْضاً في عدم التحْدِيد.

وأَما قولُ عبد اللّه بن أَبي أَوفى ـ رحمه الله ـ: كُنَّا أَلفاً وثلثمائة كما رواه البخاري، فَيُمْكن حَمْلُه على ما آطَّلَعَ عليه، وآطلع غيْرَه على زيادة أُنَاسٍ لم يَطَّلِعْ هو عليهم، والزيادة مِنَ الثِّقَة مقبولة. أَو العَدَد الَّذِي ذَكَرهُ عَدَد المُقَاتِلة. والزِّيَادَةُ عليها من الأَتْبَاع ومن الخَدَمِ والنِّسَاءِ والصِّبْيَان الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُم.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٣٩/٧ (٤١٤٨) ومسلم ٩١٦/٢ (١٢٥٣/٢١٧) وسيأتي في هَدْيِه ـ ﷺ ـ في الحج.

وأَمَّا قَوْلُ ابن إِسْحاقٍ - رحمه الله - إِنَّهُم كانُوا سبعمائة فَلَمْ يُوَافِقه أَحد عَلَيه؛ لأَنه قَالَهُ آسْتِنْباطاً من قَوْلِ جابر - رضي الله عنه -: نحرنا البَدَنَةَ عن عَشْرَةٍ، وكَانُوا نَحَرُوا سَبْعِينَ بَدَنَة. وهذا لاَ يَدُلُّ على أَنَّهُم لـم ينحروا غير البُدْن، مَعَ أَنَّ بَعْضَهُم لـم يكن أَحْرَمَ أَصْلاً. وقال ابنُ القَيِّم: مَا ذَكَرَه آبنُ إِسْحاق غَلَطٌ بَيِّن، وآسْتَدَلَّ به مِنْ أَنَّهم نَحَرُوا سَبْعين بدنة، والبدنة جاء إِجزاؤها عن سبعة وعن عشرة، وهذا لا يدل على ما قاله فإِنَّه قَدْ صَرَّحَ أَن البَدَنَة في هذه العُمْرَة عن سَبْعَة، فلو كانت السَّبْعُونَ عَنْ جَمِيعِهِمْ كانوا أَربعمائة وتسعين رجلاً، وقد قَالَ فِي تَمَامِ الحَدِيثِ بعَيْنه: إِنَّهم كَانُوا أَلْفاً وأَربعمائة.

وأَمَّا مَا وقَعَ فـي حَدِيثِ المِسْوَر ومَرْوَان عن البُخَاري أَنهم خرجُوا مع رسول الله - ﷺ - بضع عشرة مائة، فَيُجْمَعُ أَيْضاً بأَنَّ الَّذِين بَايَعُوا كَانُوا كما تقدم. وأَمَّا الَّذِينَ زَادُوا على ذَلِكَ فَكَانُوا غَائبين عنها، كَمَنْ تَوَجَّه مع عثمان - رضي الله عنه - إِلى مَكَة، على أَنَّ لَفْظَ البِضْع يَصْدُق على الخمس والأَربع، فلا تخالف.

وَجَزَمَ ابنُ عقبة بأَنَّهم كَانُوا أَلْفاً وستمائة، وفي حديث سَلَمة بن الأَكوع عند ابن أَبي شَيْبَةَ أَلْفاً وسَبْعمَائة. وحكى ابنُ سَعْد: أَنهم كانوا أَلْفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين. وهذا إِنْ ثَبَتَ تَحْرِيرٌ بالغ.

وزاد ابن مَرْدَويه عن آبن عبَّاس، وفيه ردٌّ على ابن دِحْية، حيْثُ زَعَمَ أَنَّ سَبَبَ الاختلاف في عددهم، أَنَّ الَّذِي ذَكَرَ عَدَدَهُم لـم يَقْصِد التَّحْديد، وإِنما ذكره بالحَدْسِ والتَّخمِين.

الرابع: في أَخْذِهِ - ﷺ - ذَاتَ اليَمِين عَنْ خَالِدٍ وجَيْشِه، جواز الاسْتِتَارِ عَنْ طلائع المشركين ومُفَاجَأَتهم بِالجَيْش طَلَباً لِغِرَّتهم.

الخامس: في آستشارته - ﷺ - أَصْحَابَه، استحباب مشوُرَةِ الإِمام رَعِيَّتَه وَجَيْشه استِخْراجاً لِوَجْه الرأْي، وآستطابة لِنُفُوسِهم، وأَن يخَصِّصَ بِهِ بَعْضُهم دُونَ البعض.

السادس: في قوله - ﷺ -: مَا خَلأَت وَمَا ذَاكَ لَهَا بخُلُق، جَوَازُ الحُكْم عَلَى الشَّيء بِمَا عُرِفَ من عَادَته، وإِن جَازَ أَنْ يَطْرأَ عليه، وإِذَا وَقَعَ مِنْ شَخْصٍ هَفْوَة لاَ يُعْهَدُ مِثْلُهَا مِنْه لا تنسب إِليه وَيُردُّ على مَنْ نسبه إِليها مِمَّن، لا يَعْرِفُ صورة حَاله، لأَن خَلأَ القصواء لوْلاَ خَارِقُ العَادَةِ لَكَانَ مَا ظَنَّه الصَّحَابَةُ جَمِيعاً صَحِيحاً، ولـم يُعَاتبهم النبيُّ - ﷺ - بِعُذْرِهم في ظَنِّهم.

السابع: قوله - ﷺ - حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ: أَي حبسها الله عَزَّ وَجَلَّ عن دخول مكة كما حَبَسَ الفيلَ عن دُخُولها، وقصة الفيل مشهورة، وتقدَّمت الإِشارة إِلَيْهَا. ومناسبةُ ذكرها أَن الصَّحَابَة لو دَخَلُوا مَكَّةَ علي تِلْكَ الصُّورَةِ وصدَّتْهُمْ قريشٌ عن ذلك لَوَقَعَ بَيْنَهم قِتَال قَدْ يُفْضِي إِلى سَفْكِ الدِّمَاء ونَهْبِ الأَمْوَال، كما لو قُدِّرَ دُخُولُ الفيل وأَصْحَابه مكة، لكن سَبَق في عِلْمِ

الله ـ تعالى ـ في المَوْضِعَيْنِ أَنَّه سَيَدْخُل في الإِسْلاَمِ خَلْقٌ منهم، وسَيَخْرُجُ من أَصْلاَبهم ناسٌ يُسْلِمُون ويُجَاهِدُون. وكان بمكة في الحُدَيْبِيَة جمعٌ كثيرٌ مُؤمنون مِنَ المُسْتَضْعَفِين من الرِّجَالِ والنِّسَاء والوِلْدَان، فَلَوْ طَرَقَ الصحابةُ مَكَّةَ لَمَا أُمِنَ أَنْ يُصَابَ مِنْهُم نَاسٌ بِغَيْرِ عَمْد كما أَشَارَ إِلى ذَلِكَ تَبَارَكَ وتعالى ـ في قوله: ﴿وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُؤْمِنَاتٌ﴾ [الفتح ٢٥] الآية.

الثامن: اسْتَبْعَد المهلبُ جَوَازَ إِطْلاَقِ حَابِسِ الفِيل عَلَى الله عز وجل، وقال: المرادُ حَبَسَهَا أَمر الله سبحانه وتعالى. وتُعقِّبَ بأَنه يَجُوزُ إِطلاقُ ذلك في حقِّ الله ـ تعالى ـ فيقال: حَبَسَهَا الله حَابِسُ الفيل، وإِنما الذي يمكن أَن يُمْنَع تَسْمِيَتُه ـ تَعَالى ـ حَابس الفِيل ونحوه، كما أَجاب به بن المنير، وهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى الصَّحيح من أَنَّ الأَسْماء تَوْقِيفِيَّة.

وقد تَوَسَّطَ الغَزاليُّ وطائِفَةٌ فَقَالُوا: مَحَلُّ المَنْع مَالَمْ يَرِد نص بما يُشْتَقُّ منه بشَرْطِ أَلاَّ يكون ذلك الاسْمُ المُشْتَقُّ منه مُشْعِراً بنَقص، فيجوزُ تَسْمِيَتُهُ بالواقي ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَه﴾ [غافر ٩] ولاَ يَجُوزُ تَسْمِيَتُهُ البَنَّاء وإِنْ وَرَدَ في قوله تعالى: ﴿والسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات ٤٧]

التاسع: في قوله ـ ﷺ ـ: «حَبَسَهَا حَابِسُ الفيل» جَوَازُ التَّشْبِيه من الجِهة العَامَّة، وإِن آخْتَلَفت الجِهَةُ الخاصَّة، لأَن أَصْحَابَ الفِيل كَانُوا عَلَى بَاطِلٍ مَحْض، وأَصْحَاب هَذِه النَّاقة كانُوا على حَقٍّ محض، ولكن جَاز التَّشْبِيهُ من جِهَة إِرَادَةِ الله ـ تعالى ـ مَنْع الحَرم مُطْلَقاً، أَما مِنْ أَهْل البَاطِلِ فَوَاضِح، وأَمَّا مِنْ أَهْل الحَقِّ فَلِلْمَعْنَى الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْره في الرابع.

العاشر: قولُه ـ ﷺ ـ: «والَّذِي نَفْسِي بيَده لاَ يَسْأَلُوني اليَوْمَ خُطَّةً... إِلى آخره». قال السُّهيلي رحمه الله: لَمْ يَقَعْ في شيء من طُرُقِ الحديث، أَنه قالَ إِنْ شَاء الله ـ تعالى ـ مع أَنَّه مأمورٌ في ذَلِكَ في كُلِّ حَال.

قال: والجوابُ عن ذَلِكَ أَنه كَانَ أَمْراً واجِباً حَتْماً، فلا يُحْتَاج مَعَه للاسْتِثْنَاء، وتعقب بأَنَّه ـ تعالى ـ قَالَ في هذه القِصَّة ﴿لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾ فَقَالَ: إِنْ شَاء الله، مَعَ تَحْقِيق وقُوعِ ذَلِكَ تعليماً وإِرْشَاداً، فالأَولى أَن يُحْمَلَ على أَنَّ الاسْتِثْنَاء سَقَطَ مِنَ الراوي، أَو كَانَت القِصَّةُ قَبْلَ نزول الأَمر بذلك، ولا يُعَارِضُه كون الكَهْف مَكِّيةً، إِذْ لاَ مَانع من أَن يَتَأَخَّرَ نُزولُ بَعْضِ السُّورة، وفي قوله ـ ﷺ ـ «وَالَّذِي نَفْسِي بَيَده» الخ تأْكيدُ القَوْلِ باليمين ليكونَ أَدْعَى إِلى القَبُول. وقد حُفِظَ عن رسول الله ـ ﷺ ـ الحَلِف في أَكْثَر مِنَ ثَمَانِين موضعاً، كما سيأْتي بَسطُ ذَلِك في بابه.

الحادي عشر: في حديث البراء في شفير بئر الحديبية أَنَّه ـ ﷺ ـ تَوضَّأَ فَمَضْمَضَ

وَدَعَا ثم صَبَّه فيها، وفي حديث المِسْوَر، ومَرْوَان أن رسولَ الله ـ ﷺ ـ آنتزع سَهْماً مِنْ كِنَانَتِه ثُمَّ أمرهم أَنْ يَجْعَلُوهُ فيها، ويمكن الجمعُ بأَنَّ الأَمرَين وَقَعَا مَعاً، ويُؤَيِّدُ ذلك مَا رَوَاهُ محمَّدُ بنُ عُمر من طريق أَوْس بن خَولى أَنَّه ـ ﷺ ـ توضَأَ في الدَّلْو ثُمَّ أَفْرَغه فِيهَا وآنْتَزَعَ السَّهْمَ ثُمَّ وضَعَهُ فِيها، وهكذا ذكر أَبو الأَسْود عن عُرْوَة أنه ـ ﷺ ـ تَمَضْمَضَ في الدَّلْو وصَبَّه في البئر، ونزع سَهْماً مِنْ كِنَانَتِه فَأَلْقَاهُ فِيهَا ففارت.

الثانـي عشر: آخْتُلِفَ في النَّازِلِ بِالسَّهم، فعند ابن إِسْحَاق عَنْ رِجَال مِنْ أَسْلَم: أنَّه نَاجيَة بْنَ جُنْدُب. قال ابنُ إِسْحَاق: وَزَعَمَ بَعْض أَهْلِ العِلْمِ أَنَّه البَرَاء بن عَازِب.

وروى مُحَمَّدُ بن عمر عن خالد بن عبادة الغَفَارِيُّ قَالَ: أَنَا الَّذِي نَزَلْتُ بالسَّهْم، ويمكن الجَمْعُ بأَنَّهم تَعَاونُوا عَلَى ذلك.

الثالث عشر: في حَدِيثِ جَابِر ـ رضي الله عنه ـ أَنَّ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ بالحُدَيْبِيَة رِكْوَة فَتَوَضَّأَ فِيهَا ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحوهُ فَقَالَ «مَالَكُم؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله: لَيسَ عِنْدَنَا مَا نَتوضَّأُ وَلاَ نَشْرَب إلا مَا فِي رِكْوَتِك. قَالَ: فَوَضَعَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ يَدَهُ في الرِّكْوَة، فجعل الماء يفورُ مِنْ بَيْنَ أَصَابعِه كَأَمْثَال العُيُون، قَالَ: فَشَرِبْنَا وتوضَّأْنا.

وجَمَعَ ابنُ حِبَّان بَيْنَ حَدِيثِ جَابِر هَذَا وبين مَا تقدم بأَنَّ ذلك وَقَعَ مَرَّتَيْن في وقتين، وقال مَا تقدَّمَ فِي حَدِيث البَرَاء والمسْوَر وَمَرْوَان غير مَا فِي حَدِيث جَابر، وَكَانَ حَدِيثُه قَبْل قصَّة البِئر، وقال فِي مَوْضعٍ آخر في حديث جابر في الأَشربة مَنْ كتاب البخاريّ أَنَّ نَبْعَ الماء كَان حين حضرت صَلاةُ العَصْرِ عِنْد إِرَادَةِ الوضوءِ، وحديث البراء كان لإِرَادَةِ ما هو أَعَمّ من ذلك، ويحتمل أَنَّ الماء آنفجر من أَصَابعه ويَده في الرِّكوة وتَوضَّأَ كلهُم وَشَرِبُوا، وَأَمَرَ حينئذٍ بِصَب الماء الَّذِي في الرِّكوة في البئر فَتَكَاثَر الماء فِيهَا.

الرابع عشر: آقتَصَر بديل بن ورقاء على قوله: تَرَكتُ كَعْبَ بن لُؤَيّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيّ؛ لكون قريش الذين كانوا بِمكَّة أَجمع تَرْجعُ أَنْسابُهم إِلَيْهما، وَبَقِيَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنُو سَامَة بن لُؤَيّ، وَلَمْ يكُن بمَكَّةَ منهم أَحد، وكذلك قُرَيْشُ الظَّوَاهر، وتَقَدَّمَ بَيَانَهُم في من اسمه القريشي.

قال هشام بن الكلبي: بنو عامر بن لُؤَيّ وكعب بن لُؤَيّ هما الصريحان لاَشَكَّ فيهما، بِخِلاَفِ سَامَة وَعُوف؛ أَي فَفِيهِمَا خِلاَف، قال: وَهُم قُرَيْشُ البِطاح، بِخِلاَف قُرَيش الظَّوَاهر وفي موالاة رسول الله ـ ﷺ.

الـخامس عشر: قوله ـ ﷺ ـ «إِنْ أَظْهَر فإن شاءوا» إلخ إِنَّمَا رَدَّدَ ـ ﷺ ـ الأَمْرَ مَعَ أَنَّهُ جَازِمٌ بأَنَّ الله سَيَنْصُرُهُ ويُظْهِرهُ؛ لوَعْدِه ـ تعالى ـ لَهُ بِذَلِكَ عَلَى طَرِيق التَّنَزُّل مَعَ الخصم وَفَرَض الأَمْرَ عَلَى مَا زَعَمَ الخَصم، وَلِهَذِه النكتة حَذَفَ القَسَمَ الأَوَّلَ وَهُوَ التَّصْرِيح بِظُهُورِ غَيْرِهُ، وقوله

ـ ﷺ ـ بعد ذلك «ولينْفِذَنَّ الله أَمْرَه» ـ بضمِّ أَوَّلِهِ وَكَسْرِ الفَاء؛ أَيْ لَيُمْضِيَنَّ الله ـ تعالى ـ أَمْرَهُ فِي نَصْرِ دِينِهِ، وحسن الإتيان بِهَذَا الجزم بعد ذَلك التَّرديد للتنبيه على أَنَّه لـم يُورِدْه إِلاَّ عَلَى سبيل الفَرْض، ووقع التصريح بذكر القَسَم الأَول في رواية ابن إسحاق كما في القصة، فالظَّاهر أَنَّ الحَذْف وقع من بعض الرُّواة.

السادس عشر: قَوْلُ عُرْوَةَ لقريش أَلستُم بالوالدِ وأَلسْتُ بالوَلد هُوَ الصَّواب، ووقع لبعض رُوَاةِ الصَّحيح عَكسُ ذلك، وَزَعَم أَن كلّ واحدٍ منكم كالولد، وقيل: معناه أَنْتُم حَي قَدْ وَلَدَنِي، لكون أُمِّي مِنْكُم، وهذا هو الصحيح، لأَنه كَانَ لِسُبَيْعَةَ بنْت عَبْد شَمْس.

السابع عشر: في قِيام المغيرة على رسول الله ـ ﷺ ـ بالسَّيْف، جَوَازُ القِيَامَ على رأْس الأَمين لَهُ بِقَصْدِ الحِرَاسَةِ، وَنَحْوَها من تَرْهِيبِ العَدُوِّ وَلاَ يُعَارِضُه النَّهْيُ عَن القِيَام عَلَى رأْسِ الجالِسِ، لأَن مَحَلَّه إِذَا كَانَ عَلَى وَجْهِ العَظَمَة والكبْر.

الثامن عشر: كَانَتْ عَادَةُ العَرَبِ أَنْ يَتَنَاول الرجل لحية من يكلمه وَلاَ سِيَّمَا عند المُلاَطَفَة، وفي الغَالِب إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ النظير، بالنظير لَكِنْ كَانَ الرَّسُولُ ـ ﷺ ـ يُغْضِي لِعُرْوَةَ عن ذَلِكَ اسْتِمَالَةً لَهُ وتَأْلِيفاً له، والمغيرةُ يَمْنعه إجْلالاً لِرَسُولِ الله ـ ﷺ ـ وتعظيما.

التاسع عشر: في تعظيم الصحابة رضوانُ الله عَلَيْهِم ـ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ مَا ذِكْرُه يعد إِشارة منهم إِلَى الرَّدِّ على ما خَشِيَهُ عُرْوَةُ مِنْ فِرَارهم، وَكَأَنَّهُم قَالُوا بِلِسَانِ حَالِهِم: مَنْ يُحِبُّ إِمَامَه هَذِهِ المَحَبَّة ويُعَظِّمُه هَذَا التَّعظيم كيفَ يُظَنُّ بِهِ أَنَّه يَفِرُّ عنه وَيُسْلِمُه لعَدُوِّه بل هُمْ أَشَدُّ اغْتِبَاطاً بِهِ وَبِدِينِه ونَصْرِهِ مِنَ القَبَائل التي يُرَاعِي بَعْضُها بَعضاً بمجرد الرحم.

العشرون: اسْتشكل قَوْلُه ـ ﷺ ـ في مِكْرَز هَذَا رَجُلٌ فَاجِر أَو غَادِر مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ فِي قِصَّةِ الحُدَيْبِيَة فُجُور ظاهِر، بَلْ فيها ما يُشْعِرُ بِخِلاَف ذَلك كَمَا سَبَقَ فِي القِصَّة، وفي إِجَازَتِهِ أَبَا جنْدَل لأَجل رسول الله ـ ﷺ ـ لَمَّا امتنع سُهَيْلُ بْنُ عَمْرو ـ رضي الله عنه ـ قبل إِسلامه، وَأُجيب: قال محمد بنُ عمر في مَغَازيه في غزوة «بدر» إِنَّ عُتْبَة بن ربيعة قال لقريش: كَيف نخرج من مكة وبَنُو كِنَانة خَلْفَنَا لاَنأْمنهم عَلَى ذَرَارِينَا؟ قَالَ: وَذَلِكَ أَنَّ حَفْص بن الأَخيف ـ بخَاء مُعْجَمَة فَتَحْتِيَة وَبِالفَاء ـ والد مِكْرَز كان لَهُ وَلَدٌ وَضِيءٌ فَقَتَلَه رَجُلٌ مِنْ بني بَكْر ابْن عَبْدِ مَنَاة بدَمٍ لَهُم، كَانَ فِي قُرَيْش، فتكَلَّمَتْ قُرَيْش في ذَلِكَ، ثُمَّ اصْطَلَحُوا، فَعَدَا مِكْرَزُ بْنُ حَفْص بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى عَامِر بْن يَزِيد، سيِّدُ بَنِي بَكْرٍ غِرَّةً فَقَتَلَه، فنفرت مِنْ ذَلِكَ كِنَانَة، فجاءت وَقْعَةُ بَدْرٍ في أَثْنَاء ذَلِكَ، وَكَانَ مِكْرَز مَعْرُوفاً بالغَدْر وتقدَّم فِي القِصَّةِ أَنه أَرَادَ أَنْ يُبَيِّت للمُسْلِمِينَ بالحُدَيْبِيَة، فَكَأَنَّه ـ ﷺ ـ أَشَارَ إِلى هذا.

الحادي والعشرون: في صحيح مسلم عَنْ سَلَمَة بن الأَكْوَع ـ رضي الله عَنْه: أَنَّهُ أَول من بايع.

وروى الطَّبَرَانيُّ وغيره كما في القِصَّةِ عن الشَّعْبِي [ورواه] ابن مندة عن ذر بن حبيش ـ رحمهما الله ـ أَن أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ أبو سنانٍ الأَسدي، والجمع [ممكن] بينهما.

الثانـي والعشرون: في حديثِ سَلَمة بن الأَكوع ـ رضي الله عنه ـ أَنهم بَايَعُوا رسولَ الله ـ ﷺ ـ على الموت، وفي حَديث جَابِرٍ وغَيْره: على أَنَّهم لا يَفِرُّوا، وَقَالَ الحافظ: لاَ تَنَافي بَيْنَهُمَا؛ لأَن المُراد بالمُبَايَعَةِ عَلَى المَوْت أَلاَّ يفِرُّوا وَلَو مَاتُوا، وليْسَ المُرَادُ أَن يَقَعَ المَوْتُ وَلاَ بُدّ، وهو الَّذي أَنكره نافع وَعَدَلَ إِلَى قَوْلِهِم، بَلْ بَايَعَهُم عَلَى النَّصْر، أَيْ عَلَى الثَّبَات، وَعَدَمِ الفِرَار، سَوَاء أَفْضَى ذَلِكَ إِلى المَوْتِ أَمْ لاَ. وَقَالَ فِي مَوْضِعِ آخر: مَنْ أَطْلَق أَن بَيْعَته كَانَتْ عَلَى المَوْتِ أَرَادَ لاَزِمَهَا لأَنَّهُ إِذا بَايَعَ عَلَى أَلاَّ يَفِرُّوا لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَثْبت، وَالَّذِي يَثْبتُ إِمَّا أَنْ يَغْلب وَإِمَّا أَنْ يُؤْسَر، والذي يُؤْسَر إِمَّا أَنْ يَنْجُو وإِما أَنْ يموت، وَلَمَّا كَانَ المَوْتُ لاَ يُؤْمَنُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَطْلَقَهُ الرَّاوي، وحاصِلُه أَنَّ أَحَدَهما حَكَى صُورَةَ البَيْعَةِ وَالآخر حَكَى ما تؤول إِليه.

الثالث والعشرون: مِنَ الصحابةِ رضي الله عنهم مَنْ بَايَعَ مَرَّتين، وهو عبدُ الله بن عُمَرَ، وقد آخْتُلِفَ في سببِ مبايعته قَبْلَ أَبيه رضي الله عنهما، كما تَقَدَّم في القصة عن نافع عنه. وجمع بأَنه بعثه يُحضر الفَرَسَ ورأَى الناسَ مجتمعين فقال أَنْظُر ما شأْنهم فغدا يكشفُ حالَهم فوجَدَهُم يُبَايِعُونَ فَبَايَعَ وتَوَجَّهَ إِلى الفَرَسِ فَأَحْضَرَهَا، وأَعادَ حِينئذٍ الجواب على أَبيه فخرجَ وخرجَ معهُ فبايع عُمَرُ وبايع ابنُ عمرَ مرة أُخرى.

الرابع والعشرون: من الصحابة رضي الله عنهم من بايعَ ثلاثَ مراتٍ، وهو سَلَمَة ابن الأَكْوَع رضي الله عنه ـ طَلَبَ ذلك منه رسول الله ـ ﷺ ـ مع علمِه بأَنهُ بايعَ قبل.

قَال المهلبُ: أَرادَ ﷺ أَنْ يُؤَكِّدَ بيعتهُ لسَلَمة لعلمه بِشَجَاعتهِ وغَنائِهِ في الإِسلام وشهرتِه بالثَبَاتِ، فلذلك أَمَرَه بتكريرِ المبايعةِ ليكونَ له في ذلك فضيلة.

قال الحافظ: ويحتملُ أَن يكونَ سلمةُ لما بَدَر إِلى المبايعة ثم قعدَ قريباً، واستمرّ الناسُ يبايعون إِلى أَن خفوا، أَرادَ ﷺ منه أَن يبايع لتتوالى المبايعة معه ولا يقع فيها تخلُّل، لأَن العادة في مبدإِ كل أَمرٍ أَن يكثر من يباشره فيتوالى، فإِذا تناهى قد يقع بين من سيجيءُ آخرا تَخَلُّل وَلاَ يَلْزَم مِنْ ذَلِكَ اخْتِصَاصُ سَلَمَةَ بِمَا ذَكَرَه، والوَاقِع أَنَّ الَّذِي أَشَارَ إِليه المهلبُ مِنْ حَال سَلَمَةَ في الشجاعة وَغَيْرِهَا لَمْ يكن ظَهَرَ بَعْد» لأنه إِنَّمَا وَقَعَ مِنْهُ بعد ذلك في غزوة ذِي قرد كما سيأْتي، حَيْثُ آسْتَعَادَ الصرح الَّذِي كَانَ المشركون أَغارُوا عَلَيه، فاسْتَلَب ثِيَابَهُمْ، وَكَانَ آخرُ أَمْرِهِ أَنْ أَسْهَمَ لَهُ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ سَهْمَ الفَارِس والرَّاجل.

فالأولى أَن يقال تَفرَّسَ فيه رسولُ الله - ﷺ - ذَلِكَ فبايعه مرتين، وأَشَارَ إِلى أَنه سيقوم في الحَرْبِ مَقَامَ رجلين فَكَانَ كَذَلِكَ.

قُلْتُ: وَلَمْ يَسْتَحْضِرْ الحَافِظُ ما وَقَعَ عِند مسلم: أَنه - ﷺ - بَايَعه ثَلاَثَ مَرَّات، وَلَوْ اسْتَحْضَرَهُ لَوَجَّهَه.

الخامس والعشرون: الحكمة في قَطْعِ عُمَرَ الشَّجَرَة في إِخفاء مَكَانِهَا أَنَّه لاَ يحصُلُ بها آفتتان لِمَا وَقَعَ تَحْتَها مِنَ الخَيْرِ، فَلَوْ بَقِيَت لَمَا أَمِنَ مِنْ تعظِيم الجُهَّال لَها حَتَّى رُبَّمَا أَفْضَى بِهِمْ أَنَّ لَهَا قُوَّة نفع وَضُرّ كَمَا نَراه الآن شَاهِداً فيما دُونَها، وإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ عُمَرُ بقَوْلِه: «كانت رحمةً مِن الله»، أَي كان إِخْفَاوهَا بَعْدَ ذَلِكَ رحمةً من الله تعالى، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يكون مَعْنَى قوله «رحمة من الله» أَي كَانَت الشجرةُ مَوْضِعَ رَحْمَته ومحل رِضْوَانه لانْزاله الرضى على المؤمنين عِنْدَهَا. وقولُ المُسَيَّب والدُ سَعيد أُنسيناها، وفي لفظِ نسيناهَا، أَي نَسِينَا موضعها بدليل قوله: فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهَا.

وفي رواية عند الإِسماعيلي فعمي عَلَيْنَا مكانها. وقولُ المُسَيَّب وابن عمر: أَنهما لم يعلما مكانها، لا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ مَعْرِفَتِها أَصْلاً، فَقَدْ قال جابر كما في الصحيح: لَوْ كُنْتُ أَبصر اليَوْمَ لأَريتكم مكان الشجرة، فهذا يَدُلُّ عَلَى أَنَّه كَانَ يَضْبِطُ مَكَانَهَا بِعَيْنِه، وإِذَا كَانَ في آخر عمره بعد الزمان الطويل يَضْبِطُ مَوْضعها، ففيه دِلالةٌ عَلَى أَنَّهُ كانَ يعرفُها بِعينها، قبلَ أَن يَقْطَعَها عُمَرُ - رضي الله عنه.

السادس والعشرون: جزم آبن إِسْحَاق وابن سَعدٍ والجمهور بأَن مدَّةَ الصُّلْح عشر سنين، وَرَوَاهُ الحَاكِم عَنْ عَلِيّ - رضي الله عنه - وَوَقَعَ في مغازي ابن عائِذ في حديث ابن عباس وغيره أَنَّهَا كَانَتْ سنتين، وَكَذَا وقع عند ابن عُقْبة، ويجمع بأَنَّ الَّذِي قَالَه ابن إِسحاق هي المدة الَّتي وَقَعَ الصُّلْحُ فِيها حَتَّى وَقَعَ نَقْضُه عَلَى يَدِ قُرَيْش كما سَيأْتي بَيَانه في غزوة الفتح.

وأَمَّا مَا وَقَعَ في كامل ابن عَدِيّ ومُسْتدْرَك الحاكم، والأَوْسَط للطَّبَرَاني من حديث ابن عمر أَنَّ مُدَّةَ الصُّلْح كَانَتْ أَربع سنين، فَهُو مع ضَعْفِ إِسْنَادِه مُنكر مُخالِفٌ لِلصَّحيح.

السابع والعشرون: الذي كتب كتابَ الصُّلْح بينَ رسُول الله - ﷺ - وبَيْنَ سُهَيل، عليُّ بن أَبي طالب - رضي الله عنه - كما رَوَاه البُخَاري في كِتَابِ الصلح عن البراء بن عَازِب - رضي الله عنهما -، وعمر بن شَبَّة من حَدِيثِ سَلَمَة بن الأَكوع، وإِسْحَاق بن رَاهويه عن الزُّهري. وَرَوَى عُمَرُ بنُ شبة عن عَمْرو بن سُهيل بن عمرو عن أَبيه قال: الكتاب عندنا كَتَبَهُ محمد بن مَسْلَمة، ويُجْمَع بأَن أَصل كتاب الصلح؛ بخَطِّ علي - رضي الله عنه - كما في الصَّحيح، ونَسَخَ مثله محمد بن مسلمة لسهيل بن عمرو، وقال الحافظ: ومن الأَوْهَام مَاذَكرَهُ

عُمَر بن شَبَّة بَعْدَ أَن رَوى أَن اسم كاتب الكتاب بين المسلمين وقريش علي بن أَبِي طَالِب مِنْ طُرُق، ثُمَّ رَوَى مِنْ طَرِيقِ آخر أَنَّ آسْمَ الكَاتِب محمد بن مَسْلَمَة، ثم قَالَ: حَدَّثَنَا يزيد بن عائشة يزيد بن عبيد اللّه بن محمد التيمي قال: كان اسم هشام بن عكرمة بغيضاً، وهو الذي كتب الصحيفة فَشُلَّت يَدُه فَسَمَّاه رسولُ الله - ﷺ - هِشَاماً.

قَالَ الحافظ: وهو غَلط فاحِش، فإِنَّ الصَّحِيفة الَّتِي كَتَبَها هِشَام بن عِكْرِمَة هي التي اتَّفَقَتْ عليها قُرَيش لما حَصَرُوا بني هاشم وبني عبد المطلب في الشِّعْب، وذلك بمكة قَبْلَ الهجْرة - أَيْ كَمَا سبق، فَتَوَهَّمَ عُمَرُ بن شَبَّة أَن المراد بالصحيفة كتاب القصة التي وَقَعَتْ بالحُدَيْبِيَة، وليستْ كذلك، بل بينهما نحو عشر سنين.

الثامن والعشرون: وقع في بعض طرق حديث البراء بعد أَن ذكر آمتناع علي - رضي الله عنه - مِنْ مَحْوِ «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله - ﷺ» فأَخذ رسولُ الله - ﷺ - الكتابَ وليس يُحْسِنُ يكتب فكتب «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد اللّه» إِلى آخره، وسيأْتي الكلام على ذلك في الخَصَائص إِن شاء الله تعالى.

التاسع والعشرون: آمتناع عليٍّ - رضي الله عنه - من مَحْوِ لَفظ «رسول الله ﷺ» من بَابِ الأَدَب المُسْتَحَبّ، لأَنَّه لم يفهم من النبيِّ - ﷺ - تَحْتِيم مَحْو عَليٍّ بنفسه، ولهذا لم ينكر عليه، ولو تَحَتَّم مَحْوُه بنفسه لم يَجُزْ لعليّ تركه، ولمَا أَقرَّهُ النبيُّ - ﷺ - على المخالفة. وفي قوله - ﷺ - «فإِنَّ لَكَ مِثْلَهَا - تعظيما - وَأَنْتَ مُضْطَهَدٌ»: أَي مقهور، معجزة ظاهرة لِمَا وقع لِعَلِيٍّ - رضي الله عنه - في التحكيم كما سيأْتي في ترجمته.

الثلاثون: قال الخطَّابي - رحمه الله - تعالى: تأَوّل العلماء ما وقع في قصَّة أَبِي جَنْدَل على وَجْهَيْن.

أَحدهما: أَن الله - تعالى - قد أَباح «التَّقِيَّة» إِذا خاف الهلاك، ورخصّ له أَن يتكلم بالكُفْر مع إِضْمَار الإِيمان إِن [كان] يمكنه التورية، فلم يكن رَدُّه إِليهم إِسْلاَماً لأَبي جَنْدَل إِلى الهلاك مع وُجودِ السَّبِيل إِلى الخَلاَص من الموت بالتَّقِيَّة.

والوجه الثاني: أَنَّه إِنما ردّه إِلى أَبيه، والغالب أَنَّ أَباه لا يبلغُ به الهلاك، وإِنْ عذَّبه أَو سجنه فله مندُوحة بالتَّقْية أَيْضاً، وأَمَّا مَا يخاف عليه من الفتنة فإِن ذلك امتحان من الله - تعالى - يَبْتَلِي بِه صَبْرَ عباده المؤمنين.

الحادي والثلاثون: آخْتَلَفَ العلماء رحمهم الله، هل يجوز الصلح مع المشركين على أَن يرد إِليهم من جاء مُسْلِماً من عِندِهم إِلى بلاد المسلمين أَم لا؟ فقيل: نعم، على ما دلَّت عليه قصَّة أَبي جَنْدَل وأَبي بصير. وقيل: لا. وإِن الذي وقع في القِصَّة: منسوخ، وإِن ناسخه «أَنا

بريءٍ من مسلم بين المشركين» وهو قولُ الحنفية، وعند الشّافِعية ضابط جواز الرّد أَن يكون المسلم بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب

الثاني والثلاثون: قال النَّوَوِيُّ - رحمه الله - وافق النبي - ﷺ - في رَدِّ مَنْ جَاء من المشركين في تَرْك كتابته بسم الله الرحمن الرحيم وكتب بآسمك اللّهم، وفي تَرْكِ كتابة رسول الله - ﷺ - وفي رَدِّ مَنْ جاء منهم إلى المسلمين دُونَ مَنْ جاء من المسلمين إليهم وإنما وافقهم في هذه الامور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع أنه لا مفسدة في هذه الأمور، أما البسملة وباسمك اللهم فمعناها واحد، وكذلك قوله: «محمد بن عبد اللّه» هو أيضاً رسول الله - ﷺ - وليس في ترك وصف الله تعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينْفى ذلك ولا في تَرْك وصفه - ﷺ - هنا بالرسالة لا ينفيها، ولا مفسدة فيما طلبوه، وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أَن يكتبوا ما لا يَحلُّ من تعظيم آلِهَتهم ونحو ذلك، وإنما شَرْطُ رَدِّ من جاءنا منهم ومَنْع من ذهب إليهم فقد بيَّن النبي - ﷺ - في هذا الحديث الحكمة فيه بقوله: «منْ ذَهَبَ مِنَّا إليهم فأَبْعَدَهُ الله، وَمَنْ جَاءنَا مِنْهُم سَيَجعَلُ الله لَهُ فَرَجاً وَمَخْرَجًا». ثم كان كما قال - ﷺ - فجعل الله للذين جاؤُونا منهم وردُّهم إليهم فَرَجاً ومخرجا. ثم كان كما قال - ﷺ.

الثالث والثلاثون: في إتيان عُمَرَ أَبا بكر رضي الله عنهما وإجابة أَبي بكر لعمر بمثل ما أَجاب به رسولُ الله - ﷺ - دلالة على أنه أَكمل الصحابة وأَعرفهم بأَحوال رسول الله - ﷺ - وأَعلمهم بأُمور الدّين وأَشدهم موافقة لأَمر الله - تعالى - وسبق في باب إرادة الصِّديق الهجرة قبل رسول الله - ﷺ - وردُّ ابن الدغنة له، وقوله لقريش، إن مثله لا يخرج، ووصفه بنظير مَا وَصَفَتْ به خديجةُ - رضي الله عنها - رسولَ الله - ﷺ - من كونه يصلُ الرَّحِمَ ويحملُ الكَلَّ ويُعينُ على نوائب الحق وغير ذلك. فلما كانت صفاتهما متشابهةً من الابتداء، آستمر ذلك إلى الانتهاء، ولم يذكر عمرُ أنه راجع أَحداً بعد رسول الله - ﷺ - غَيْرَ أَبي بكر، وذلك لجلالة قَدْرِه وسَعَةِ علْمه عِنْده.

الرابع والثلاثون: قول عُمَرَ - رضي الله عنه - فَعَملتُ لذلك أَعمالاً، قال بعضُ الشراح - رحمهم الله: أَي من الذّهاب والمجيء والسؤال والجواب، لم يكن ذلك شَكّاً من عمر، بل طلباً من كشف ما خَفِي عليه، وَحثاً على إِذْلاَلِ الكُفَّار، لما عُرف من قوَّته في نُصْرة الدّين. انتهى.

قال الحافظ: وتفسير الأَعمال بما ذُكر مردود، بل المراد الأَعمالُ الصالحةُ ليكفر عنه ما مضى من التَّوقُّف في الامتثال ابتداء. وقد ورد عن عُمَرَ التَّصريحُ بمراده بقوله: «أَعمالا

لأتقى»، ورواية ابن إسحاق: فكان عمرُ يقولُ: مازلت أَتصدقُ وأَصومُ وأُصلي وأَعتق مِنَ الذي صنعتُ يَوْمَئِذ مخافة كلامي الذي تكلمتُ به. وعند الواقدي من حديث ابن عباس: قال عمر: لقد أَعتقتُ بسبب ذلك رقَاباً وصمتُ دهراً، وأَما قوله: ولـم يكن شَكٌ، فإنْ أَراد نفْيَ الشَّكِّ فواضح، وقد وقع في رواية ابن إسحاق أَنَّ أَبا بكر لمَّا قال له الزَمْ غَرْزَه فإنه رسولُ الله - ﷺ -، قال عمر: أنا أشهد أنه رسول الله، وإن أراد نفي الشك في وجود المصلحة وعدمها فمَردودٌ، وقد قال السُّهَيْلي - رحمه الله - هذا الشَّكُّ ما لا يستمر صاحبه عليه، وإنما هو من باب الوسوسة، كذا قال الحافظ. والذي يظهر أَنه تَوَقّف معه ليقفَ على الحكمة في القصة، وتنكشفَ عنه الشبهة، ونظيره قصته في الصلاة على عبد اللّه بن أُبيّ، وإن كان في الأَول لم يطابق اجتهاده الحكم، بخلاف الثَّانية، وهي هذه القصة، وإنما عمل الأَعمال المذكورة لهذه، وإلا فجميع ما صدر منه كان معذوراً فيه، بل هو مأْجورٌ، لأَنه مجتهد فيه.

الخامس والثلاثون: إنَّمَا توقَّفَ المسلمون في النَّحْر والحلْق بعد الأَمر بهما، لاحتمال أَن يكون الأَمر بذلك للنَّدْب، أَو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور، وتخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، ويسوغ لهم ذلك، لأَنه كان زمان وقوع التشريع. ويحتمل أَن يكونوا أَبهتهم صورة الحال فأستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذُّل عند أَنفسهم مع ظهور قوّتهم واقتدارهم - في آعتقادهم - على بلوغ غرضهم وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، وأَخَّروا الامتثال لاعتقادهم أَن الأَمر المطلق لا يَقْضِي الفَوْر، ويحتمل مجموع هذه الأُمور لمجموعهم كما سبق في القصة من كلام أُم سلمة - رضي الله عنها - في قولها «لا تلمهم» إلخ.

السادس والثلاثون: في كلامه - ﷺ - لأُمّ سَلَمة في توقف الناس عن آمتثال أَمره، جوازُ مشاورة الأَمر المرأَة الفاضلة، وفضل أُم سلمة ووفور عقلها، حتى قال إمامُ الحرمين: لا نعلمُ آمرأَةً أَشارت برأَي فأَصابت إلا أُم سلمة، كذا قال وقد آستدرك بعضُهم عليه بنت شعيب في أَمر موسى.

السابع والثلاثون: لا يُعَدُّ ما وقع من أَبي بصير من قَتْلِهِ الرَّجُلَ الذي جاء في طلبه غدْراً لأَنه لم يكن في جملة من دخل في المعاقدة التي بين النبي - ﷺ - وبين قريش، إلا أَنه إذ ذَاكَ كان محبوساً بمكة، لكنه لَمَّا خشي أَنَّ المشركَ يُعِيده إلى المشركين دَرَأَ عن نفسه بقتله، ودافع عن دينه بذلك، ولـم يُنْكِر عليه رسول الله - ﷺ - ذلك.

الثامن والثلاثون: في حديث المِسْوَر، ومروان بعد ذكر قصة أَبي بصير، فأَنزل الله - تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ [الفتح ٢٤] ظاهره أَنها نزلت في

شأن أَبي بصير، وفيه نظر، والمشهور في سبب نزولها ما رواه مسلم من حديث سلمة بن الأَكوع، ومن حديث أَنس بن مالك، وأَحمد، والنسائي بِسَنَدٍ صحيح من حديث عبد اللّه بن مغفل أَنها أُنْزِلَتْ بسبب القوم الذين أَرادوا من قريش أَن يأْخذوا من المسلمين غِرَّة فظفر المسلمون بهم، فَعَفَا عنهم رسول الله ـ ﷺ ـ وقيل في سبب نزولها غير ذلك.

التاسع والثلاثون: قال البلاذُري ـ رحمه الله ـ قال العلماء: والمصلحةُ المترتبة على إتْمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائِده الظاهرة التي كانت عَاقِبَتُها فَتْحَ مَكَّة وإِسلام أَهلها كلهم ودخول النَّاس في دين الله أَفواجا، وذلك أَنهم قبل الصُّلح لم يكونوا يختلطون، ولا يَتَظَاهر عندهم أَمر رسول الله ـ ﷺ ـ كما، هو ولا يخلون بمن يُعْلِمُهم بها مُفصَّلة، فلما حصل صُلحُ الحديبية آختلطوا بالمسلمين وجاءوا إِلى المدينة، وذهب المسلمون إِلى مكة وَخلوا بأَهلهم وأَصدقائهم وغيرهم ممن يَشتنصحونهم، وسمعوا منهم أَقْوال النبي ـ ﷺ ـ مفصلَّةً بجزئياتها، ومعجزاته الظَّاهِرة، وأَعلام نبوته المتظاهرة، وحسن سيرته، وجميل طريقته، وعاينوا بأنفسهم كثيراً من ذلك، فمالت نفوسهم إِلى الإِيمان حتَّى بدر خلْقٌ منهم إِلى الإِسلام قبل فتح مكة فأَسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة، وآزداد الآخرون ميلاً إِلى الإِسلام، فلما كان يومُ الفتح أَسلموا كُلُّهم لِمَا كَانَ تَمَهَّدَ لَهُم من الميل، وكانت العربُ في البوادي ينتظرون بِإسلامهم إِسلام قريش فلما أَسلمت قريش أَسلمت العرب في البوادي.

الأربعون: في بيان غريب ما سبق

المعرفين: الواقفين بعرفة.

استنفروا: آستنجدوا وآستنصروا.

يَعْرِضُوا له بحرب ـ بفتح التحتية وكسر الرَّاء.

فأَبطأَ عليه: بفتح الهمزة أَوله وآخره.

ذو الجَدْر: فتح الجيم وسكون الدَّال المهملة: سرح على ستة أَميالٍ من المدينة. بناحية فيها كانت فيه لقاح رسول الله ـ ﷺ.

ذُو الحُلَيْفَة ـ بضمِّ الحاء المهملة، وفتح اللاَّم، وسكون التحتية بعدها فاء.

صُحار ـ بصاد مضمومة فحاء مهملتين فأَلف: قرية باليمن.

قَلَّدَ بُدْنهُ: علق في عنقها قطعة من حَبْلٍ ليُعْلَم أَنه هدْي فيكفّ الناس عنها.

أَشْعَرها ـ بالشين المعجمة: وَخزَ سنامها حتى يسيل الدم فيعلم أَنه هَدْيٌ.

البَيْداء: الشَّرف الَّذي قُدَّام ذِي الحُلَيْفَة في طريق مكة.

الأَبواء: بفتح الهمزة وسكون الموحدة وبالمد: قرية من عمل الفرْع.

القلائد: جمع قلادة.

جَثَّامة: بفتح الجيم وتشديد الثَّاء المثلثة.

إِيماء: بكسر أَوله وسكون التحتية وبالمد.

رَحْضَة: براء مفتوحة فحاء مهملة تفتح وتسكن فضادٌ معجمة مفتوحة.

خُفاف ـ بخاء معجمة مضمومة وفاءين الأُولى مخففة.

العِتْر: بكسر العين المهملة وسكون الفوقية وبالراء: نبت ينبت مُتَفَرِّقاً فإِذا قطع أَصله خَرَجَ منه شيء شبه اللبن، وهو المرزجوش.

الضَّغَابيس ـ بضاد فغين معجمة فأَلف فموحدة: وهو صغار القثاء وقيل: هو نبت ينبت في أُصول الثمام يصلق بالخل والزيت ويؤكل. والثمَام: بالثاء المثلثة.

الهوام: جمع هامَّة بالتشديد، يطلق على ما يدبُّ من الحيوان كالقمل ونحوه.

الجُحْفَة ـ بجيم مضمومة، فحاء مهملة، ففاء، فتاء تأْنيث: تقدم الكلام عليها في غزوة [بدر]

قُمَّ بالبناء للمفعول؛ أَي كُنِسَ.

الفَرَط ـ بفتحتين؛ المتقدم في طلب الماء.

شَاهتْ وُجُوهُهُم: قَبحتْ

تُكَل ـ بضم الفوقية وفتح الكاف: أَي يتكل بعضكم على بعض.

آرتجت مكة: اضطربت.

راعهم: أَفزعهم.

عَنْوَة ـ بفتح العين المهملة، وسكون النون، وفتح الواو: أَخذ الشيء قهراً وكذا إِذَا أَخذ صلحاً فهو من الأَضداد، والمراد هنا الأَول.

عَيْنٌ تَطْرِف: تنظر وتتحرك.

كُرَاع ـ بكاف مضمومة فراء مخففة فأَلف فَعَيْن مهملة: وهو طرف الغَميم بغين معجمة مفتوحة؛ وهو واد بين رابغ والجُحْفَة؛ وكُرَاع كل شيء طرفه.

الأَحابيش: بحاء مهملة، فأَلف، فموحدة مكسورة فتحتية فشين معجمة: واحدهَا

أُحْبُوش بضمتين؛ وهم: بَنُو الهُون بن خُزَيْمة بن مُدْركة، وبَنو الحرث وبنو عبد مناة ابن كنانة، وبنو المصطلق من خزاعة، وتقدم الكلام على ذلك مبسوطاً في غزوة بدر.

أَجْلَبْتَ: استَحْثَثْتَ الناس لطلب العدو.

بَلْدَح ـ بموحدة مفتوحة، فلام ساكنة، فدال مفتوحة، فحاء مهملتين: وهو واد في طريق التنعيم إلى مكة.

غَدِير: بغين معجمة مفتوحة، فدال مهملة مكسورة.

الأَشْطَاط ـ بشين معجمة، وطَاءَيْن مهملتين: جمع شَط وهو جانب الوادي، ووقع في بعض نسخ الصحيح لأَبي ذر الهروي بإعجام الطاءين.

عُسْفَان ـ بعين مضمومة، فسين ساكنة مهملتين، ففاء: قرية بينها وبين مكة ثلاثة مراحل.

العُوذُ ـ بعين مهملة مضمومة فواو ساكنة، فذال معجمة: جمع عائذ: وهي الناقة ذات اللَّبن.

المطافيل: الأُمهات الَّلاتي معهن أَطفالهن؛ يريد أَنهم خَرَجُوا بذوات الأَلبان ليتزوَّدُوا أَلبانها، ولا يرجعوا حتى يمنعوه، أَو كَنَّى بذلك عن النساء معهن الأَطفال، والمراد خرجوا معهم نساؤهم وأَولادهم لإِرادة طول المقام، وليكون أَدعى إلى عدم الفرار.

قال ابن فارس ـ رحمه الله ـ: كل أُنثى وضعت فهي إلى سبعة أَيام عائِذ، والجمع عُوذ، كأَنها سميت بذلك لأَنها تعوذ ولدها وتلتزم الشغل به، وقال السُّهيلي: سُميت بذلك وإِن كان الولد هو الذي يعوذ بها لأَنها تعطف عليه بالشفقة والحُنُوّ، كما قالوا تجارة رابحة وإِن كانت مَرْبوحاً فيها.

لبسوا جُلُود النمور: كناية على شِدَّة الحِقْد والغضب، تشبيهاً بأَخلاق النمور، وقيل: هو مثل يُكْنى به عن إِظهار العداوة والتنكير، ويقال للرجل الذي يظهر العداوة لبس لي جلد نمر.

ذي طوى ـ بتثليث الطاء المهملة والفتح: أَشهرُ وادٍ بمكة.

ويح: كلمةٌ تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها.

وافرين: كاملين.

تَنْفَرِدُ هذه السَّالِفَة ـ بسينٍ مهملة، ولامٍ مكسورةٍ بعدها فاء: صفحة العنق؛ كنَّى بذلك عن القتل؛ لأَن القتيل تنفرد مقدمة عنقه. وقال الداودي الشارح: المراد الموت، أَي حتَّى أَموت ويُحتمل أَن يكون أَراد أَنه يُقاتل حتى ينفرد وحده في مُقاتلتهم.

وقال ابن المنير ـ رحمه الله ـ لَعَلَّه ـ ﷺ نَبَّه بالأدنى على الأَعلى؛ أَيْ أن لي من القوة بالله ـ تعالى ـ والحَوْل به ما يقتضي أَني أُقاتل عن دينه، لو انفردت فكيف لا أُقاتل عن دينه مع وُجودِ المسلمين وكثرتهم؟.

شرح غريب ذكر مشاورته ـ صلى الله عليه وسلم

مَوْتُورين ـ بالفَوْقية: اسم مفعول، جمع موتور، وهو الذي قُتِل له قتيل فلم يُدْرِك بدمه.

مَحْرُوبِين ـ بحاء مهملة، فراء فواو فموحدة: مسلوبين مَنْهُوبين، يُقَالُ حَرَبَه إِذا أَخذ ماله وتركه بلا شيء

نؤُمُّ ـ بنون فَهَمْزة: نقصد.

تكن عُنُقاً ـ بضم العين المهملة والنون، وفي لفظ «عيناً قطعها الله». قال في المطالع: وكلاهما صحيح، والعنق أَوْجَه لِذِكْر القطع معه، أَي أَهلك الله ـ تعالى ـ جماعة منهم. والعُنُق: الشيء الكثير، ولقوله: «عينا» وجه أَيْضاً؛ أَي كفَى الله ـ تعالى ـ منهم مَنْ كان يرصدنا ويتجسس على أخبارنا. والعَيْنُ: الجاسوس، وتبعه على ذلك في التَّقْريب ـ وما ذكرناه هو الوجه، بخلاف ما قدّره الكرماني وتبعه شيخنا أَبو الفضل ابن الخطيب القَسْطَلاَّني ـ رحمهما الله ـ وقد ذكر في القصة أَن العين الذي أَرسله رسولُ الله ـ ﷺ ـ كان مُسْلِماً وهو بُسْر ـ بضم الموحدة وسكون المهملة ـ ابن سُفْيان الخزاعي.

الغِرَّة ـ بكسر الغين المعجمة: الغفلة.

حانت الصلاة: دخل وقتها.

شرح غريب ذكر مسيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الحديبية

العَصَل ـ بفتح العين والصاد المهملتين: جمع عَصْلَة؛ وهي شجرة إِذا أَكَلَ منها البعير سلحته.

ظهْرَى كذا: بينه ووسطه.

الحَمْض ـ بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وبالضاد المعجمة: ما ملح وأَمرَّ من النبات كالأَثل والطرفاء، وذكر في الإِملاء أَنه هنا اسم موضع، فالله أَعلم.

الطليعة: القوم يُبْعثون أَمام الجيش يتعرفون طلع العدو، وبالكسر، أَي خبره، والجمع طلائع.

أَجْرَل ـ بفتح الهمزة وسُكون الجيم وفتح الراء وآخره لام: أَي كثير الحجارة. والجَرَل: ـ بفتح الجيم والراء: الحجارة. ويُروى بدال مهملة عِوَضاً عن اللام؛ أَي ليس به نبات.

الشِّعَاب ـ بكسر الشين المعجمة: جمع شِعْب بكسرها أيضاً: ما انفرج بين جبلين.

تنكبه الحجارة: تصيبه.

حَار ـ بِحَاء مهملة: لم يدر وجه الصَّواب.

ثنيّه ذات الحنظل: ثنية في شعبٍ ما بين مكة وجدة.

سراوع: جمع سَرْوَعة ـ بفتح السين المهملة، وسكون الراء، وفتح العين المهملة ـ وهي الرابية من الرمل كذا في النهاية. وفي مصنف ابن أَبي شيبة عن هشام بن عُروة عن أَبيه فأخذ بهم بين سَرْوَعَتَيْن؛ أَي بين شجرتين، هذا لفظه، فالله أَعلم.

قِبَلَ المغرب: بكسر القاف: ناحيته.

ما شعر: ما علم.

قَتَرةُ الجيش: بفتح القاف والفوقية: الغبار الأَسود الذي تثيره حوافر الدَّواب.

وَعِرٌ ـ بكسر العين: أَي غليظ حزن يصعب الصعود إِليه.

الشِّراك للنعل: سيرها الذي على ظهر القدم.

الفِجَاج: بِكسر الفاء: جمع فَجّ: الطريق الواضح الواسع.

لأَحِبَة ـ بالحاء المهملة والموحدة واضحة.

ثنية المُرَار: بضم الميم على المشهور، وبعضهم يكسرها، وتخفيف الراء: طريق في الجبل يُشرف على الحديبية، وليست الثنيّة التي أَسفل مكة.

قولوا حِطَّة ـ بكسر الحاء وفتح الطاء المشددة المهملتين؛ أَي حُطَّ عَنَّا ذُنوبنا، ويُرْوَى بِإِعجام الحاء وضمها؛ أَي الخصلة والفضيلة.

سِيف البحر ـ بكسر السين: ساحله.

استبرأَ العسكر: تأَمَّلَه وفَتَّشَه.

شرح غريب ذكر نزول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالحديبية

الغائط: هنا المطمئن الواسع من الأَرض، والجمع غيطان وأَغواط وغوط.

حَلْ حَلْ ـ بفتح الحاء المهملة وسكون اللام: كلمة تقال للناقة إِذا تركت السَّير. قال الخطَّابي ـ رحمه الله ـ إِن قلت «حل» واحدة فبالسكُون وإِن أَعدتها نَوَّنْتَ الأُولى وسَكَّنْتَ الثانية. وحكى غيره السكون فيهما والتنوين كنظيره في نخ نخ، يقال: حلحلت فلاناً إِذا أَزعجته عن موضعه.

أَلَحَّت ـ بتشديد الحاء المهملة: تمادت على عدم القيام، وهو من الإلحاح، وهو الإصرار على الشيء.

خلأت: الخلأ ـ بخاء معجمة والمد؛ للإبل كالحِرَان للخيل. قال ابن قتيبة: لا يكون الخلأُ إلاَّ للنُّوق خاصة. وقال ابن فارس: لا يُقالُ للجمل خَلَأَ ولكن أَلَحَّ.

القَصْوَاء: بقاف مفتوحة فصاد مهملة وبالمد، وبعض رواة الصحيح كحُبْلَى وغلط.

بخُلُق ـ بضم الخاء المعجمة، واللام والقاف: أَي بعادة.

خُطَّة: بضم الخاء المعجمة: أَي خصلة يعظمون فيها حرمات الله تعالى. ومعنى قوله يعظم حرمات الله تعالى في هذه القصة تَرْكُ القتال في الحَرَم والجنوح إلى المُسَالمة والكف عن إراقة الدماء.

أَعطيتهم إياها: أَجبتهم إليها.

وَثَبَت ـ بالمثلثة: قَامَتْ.

عَوْدُهُ على بَدْئِه: أَي لم يقطع ذهابه حتى وصله برجوعه.

الثَّمَد ـ بثاء مثلثة فميم مفتوحتين فدال مهملة: حفيْرة فيها ماء قليل، يُقَال ماء مثمود قليل الماء.

الظَّنُون: الذي تَتَوَهَّمُه، ولست منه على ثقة فَعِيل بمعنى مَفْعُول. وقيل: هو البئر التي يظن أَن فيها ماء وقوله قليل الماء تأْكيد لرفع توهم أَن يُراد لغةُ من يقول: إن الثمد: الماء الكثير. وقيل: الثمد ما يظهر في الشتاء، ويذهب في الصيف.

يَتَبَرَّضُهُ النّاس ـ بالموحدة المشددة والضاد المعجمة: يأْخذونه قليلا قليلا. والبَرْضُ ـ بالفتح والسكون: اليسير من العطاء. وقال صاحب العين: هو جمع الماء بالكفَّين.

لم يُلْبثْه الناس ـ بتحتية مضْمُومَة فلام ساكنة فمثلثة: من الإلباث. وقال ابن التين: بفتح اللام وكسر الموحدة المثقلة؛ أَي لم يتركوه أَن يُقيم.

نَزَحوه ـ بنون فزاي فحاء مهملة، وفي لفظٍ نزفوه بالفاء بدل الحاء: ومعناهما واحد، وهو أَخذ الماء شيئاً بعد شيء.

صدَرُوا: رجعوا.

بعطن: أَي رَوَوْا ورَويت إبلهم حتى بركت؛ وعَطَن الإبل: مباركها حَوْلَ الماء لتعاد للشرب، وقد يكون عند غير الماء.

القَلِيب ـ بفتح القاف وكسر اللام ـ عند العرب: البئر العادية القديمة مطوية كانت أَو غير مطوية.

شفير البِئْرِ: حَرْفُها.

تَجيش ـ بفتح الفوقية وكسر الجيم وآخره شين معجمة: تفور.

الرِّي: بكسر الراء وفتحها.

المَائِح ـ بالتحتية، والحاء المهملة: الذي انحدر في الركية يملأ الدلو وذلك حين يقلّ ماؤها، ولا يمكن أَن يستسقى منها إِلا بالاغتراف باليد.

ومن كلامهم المائح أَعرف باست الماتح: وهو الذي يستسقى بالدَّلوِ، فالنقط من أَسفل لمن يكون أَسفل ومن فوق لمن يكون فوق.

يُمجِّدُ كَونكَ: يشرفونك، والتمجيد: التشريف.

الرَّشاش ـ براء مفتوحة فشينين معجمتين.

واهية: مسترخية واسعة الشق.

العادية: القوم الذين يعْدون ويسرعون الجري.

طَمت: بفتح الطاء المهملة: ارتفع ماؤها.

نهلوا: رووا.

الركائِب: المطي، الواحدة راحلة من غير لفظها.

آن الشيء ـ بالمد: قرب.

الرَّكْوَة ـ بفتح الراء: إِناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء، والجمع رِكَاء وَرَكَوَات بالتحريك.

شرح غريب نزول المطر في تلك الأيام

النَّوْء: سقوط نجم من المنازل في الغرب مع الفجر. وطلوع رقيبه من الشرق، كانوا يعتقدون أَنه لابد عند ذلك من مطر، أَو ريح، فمنهم من يجعله للطالع لأَنه ناء، ومنهم من ينسبه للغارب، فنفى النبي ـ ﷺ ـ ذلك عنه، وكَفَّر مَنْ اعتقد أَن النجم فاعل ذلك، ومن جعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة، قال في النهاية: فَمَنْ أَسند ذلك إِلى العادة التي يجوز انخرامها فقد كَرِهَه قومٌ وجوَّزه آخرون.

الخَريف ـ بالخاء المعجمة: الفصل الذي تخترف فيه الثمار، أَي تقطع.

الشِّعْري ـ بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة: كوكب معروف ليس في لسماء كوكب يقطعها عرضاً غيره.

الجَزُور: بفتح الجيم من الإبل خاصَّة، يقع على الذكر والأُنثى؛ والجمع جُزُرٌ

شرح غريب ذكر قدوم بديل بن ورقاء ورسل قريش

بُديْل: بضم الموحدة وفتح المهملة والتصغير.

ورقاء: بفتح الواو وبالقاف.

خُزَاعَة: بضم الخاء المعجمة وبالزاي.

عَيْبَة ـ بفتح العين المهملة وسكون التحتية بعدها موحده: ما يوضع فيه الثياب لحفظها؛ أَي أَنهم موضع النصح له والأَمانة على سِرِّه، كأَنه شبه الصَّدْر الذي هو مستودع السِّر بالعيبة التي هي مستودع الثياب.

نُصْح ـ بضم النون، وحكى ابن التين فتحها.

تِهَامَة ـ بكسر الفوقية: وهي مكة وما حولها، وأَصلها من التهم؛ وهو شدة الحرّ وركود الرِّيح.

الأَعْدَاد ـ بالفتح جمع عِدّ بالكسر والتشديد وهو الماء الذي لا ٱنقطاع له.

تَبيد: تهلك خضراؤهم بخاء فضاد معجمتين: معظم قريش أَو جماعتهم.

نَهِكَتْهم الحرب ـ بفتح النون وكسر الهاء: أَي بلغت بهم حتى أَضعفتهم، إما أَضعفت قواهم، وإِما أَضعفت أَموالهم.

مادَدْتُهم جعلت بَيْني وَبَيْنَهُم مدَّةً بترك الحرب بيني وبينهم. قوله: فإِن ظهر أَمري، وقوله فإِن شاؤوا شرط بعد شرط، والتقدير: فإِن ظهر غيرهم من الكفار عَلَيَّ كفاهم المؤونة، وإِن أَظْهَر أَنا عَلَى غيرهم فإِن شاؤوا أَطاعوني وإِلاَّ فقد جَمُّوا ـ بفتح الجيم وتشديد الميم المضمومة؛ أَي قَوُوا واستراحوا.

لَيُنْفِذَنَّ ـ بضم التحتية وسكون النون وكسر الفاء وبالذال المعجمة: فعل مضارع مؤكد بالنون، استنفرت أَهل عكاظ: دعوتهم إِلى نصركم، وعُكَاظ بعين مهملة مضمومة فكاف مخففة فأَلف فظاء معجمة مُشَالة: سوق بقرب عرفات.

بَلَّحُوا: بموحدة فلام مشددة مفتوحتين فمهملة مضمومة: امتنعوا من الإِجابة، وانبلح: امتنع من الإِجابة.

أَسيتكم ـ بهمزة مفتوحة: يقال أَسيه بمالي مؤاساة؛ أَي جعلته أَسوتي فيه.

تجتاحهم ـ بجيم وحاء مهملة: تهلكهم بالكلية.

أَوباش: بتقديم الواو: الأَخلاط من السّفلة؛ وهم أَخصّ من قوله في رواية أَشواب بتقديم الشين المعجمة على الواو، وهم الأَخلاط مِنْ أَنواع شتى.

خليقاً ـ بالخاء المعجمة والقاف: حقيقاً وَزْناً ومعنًى، ويُقَالُ خليقٌ للواحد والجمع.

يَدَعُوك: يتركوك.

آمصص ـ بأَلف وصل ومهملتين، الأُولى مفتوحة، زاد في التقريب ويجوز ضمها: فعل أَمر.

البَظْر ـ بفتح الموحدة وسكون الظّاء المعجمة المُشَالَة: قِطْعة تبقى بعد الخِتان في فرج المرأَة.

واللات: اسم أَحد الأَصنام التي كانت قريشٌ وثَقِيفٌ يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك، لكن بلفظ الأَمر، فأَراد أَبو بكر المبالغة في سَبِّ عُرْوَة بإِقامة مَنْ كان يَعْبُدُ مَقَامَ أُمّه، وحَمَلَه على ذلك ما أَغضبه من نِسْبة المسلمين إِلى الفرار، وفيه جواز النطق بما يستشنع من الأَلفاظ لإِرادة زجر مِنْ بَدَا منه ما يَستحِقّ به ذلك.

أَمَا ـ بفتح الهمزة وتخفيف الميم: حرف استفتاح.

المِغْفَر: بكسر الميم، وسكون الغين المعجمة.

اَلفَظّ ـ بالفاء وتشديد الظاء المعجمة المشالة: الشديد الخُلُق بضمتين.

الغليظ: السّيِّىء القَوْل.

اليد: النعمة والإِحسان.

لم أُجزك بها: لم أُكافئك بها.

طَفِق ـ بفتح الطاء، وكسر الفاء: جعل.

أَهوى بيده: مَدَّها.

نعل السيف: ما يكون أَسفل القراب من فضة أَو غيرها.

غُدَر ـ بغين معجمة ـ وزن عمر، ومعدول عن غادر: مبالغة في وصفه بالغدر؛ وهو تركُ الوفاء.

يَرْمُق ـ بضم الميم: يلحظ.

يُحِدُّون بضم أَوله وكسر المهملة: يدعون.

وَضُوءه ـ هنا بالفتح: الماء.

كسرى: بكسر الكاف وبفتحها.

يتَألَّهُون: يعظِّمُون أَمر الإله، وقيل التألُّه: التعبُّد.

آبْعَثُوها له: أثيروها دفعة واحدة.

عُرْضِ الوَادِي ـ بضمِّ العين المهملة وسكون الرَّاء، وبالضَّادِ المعجمة: جانبه وناحيته، وقيل: عُرْضُ كلّ شيء: وسطُه، وليس المرادُ ضّد الطول؛ ذاكَ بفتح العين.

تَفِلوا ـ بالمثنَّاة الفوقيّة وكسر الفاء: تغيّرت رائحتهم.

الشّعَث ـ بالشين المعجمة، والعين المهملة المفتوحتين وبالثاء المثلثّة: الانتشار والتفرّق للشعر.

لَخْم: بفتح اللاَّمِ وسكون الخاء المعجمة.

وجُذَام: بجيم مضمومة، فذال معجمة.

كندة: بكسر الكاف

حِمْيَر ـ بكسر الحاء المهملة وسكونِ الميم وفتح التحتية وبالراء: أَسماء قبائل.

أَجل ـ كنَعَم وَزْناً ومعنًى.

معكوف: محبوس.

شرح غريب ذكر إرساله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خراش بن أمية، وبعده عثمان، ومبايعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيعة الرضوان، وذكر الهدنة، وكيف جرى الصلح

الثَّعْلَبُ ـ بلفظ اسم الحيوان المعروف.

عَقرَ الدابّة: ضرب قوائمها.

وَشِيكاً ـ بالشِّين المعجمة والتَّحتيَّة: قريباً.

كافة: جميعاً.

الأَماثِلُ: الخِيار من قومهم.

وافِرُون: كثيرون.

جَامُّونَ ـ بتشديد الميم: مُسْتَرِيحُون كثيرون

المُنَاجَزَةُ في الحرب: المبادرةُ والمقاتلة.

مازن ـ بكسر الزّاي: أَبو قبيلة.

البَيْعَة البَيْعَة: بنصبها على الإِغراء.

روح القُدُس: جبريل ـ ﷺ ـ وتقدم الكلام على ذلك في ترجمته في أَبواب المعراج.

ثُرْنَا ـ بالمثلثة: نهضنا.

سَمُرة ـ بفتح المهملة وضمّ الميم: من شجر الطَّلْح، وهو نوع من العَضَاه

الحَجَفَة ـ بحاء فجيم ففاء مفتوحات: التُّرس الصغير يطارق بين جلدين

الدَّرَقة: الحَجَفَة.

عَزِلاً ـ بكر الزّاي مع فتح العين، وبضمّها: أَي لا سلاح معه يقاتل به فيعتزل الحرب.

أَبْغِني: أَعْطِنِي.

محْدقُون به: مُحيطون ناظرون إِليه بأَحداقهم.

الجَدّ بن قيس: بفتح الجيم وتشديد الدّال المهملة.

ضبأَ إِليها ـ بفتح الضاد المعجمة والموحدة مهموز: اختبأَ بها.

اصْطَنِعُوا ـ بصاد ساكنة فطاء مفتوحة مهملتين، فنون مكسورة، فعين مهملة: اتّخِذُوا صَنيعاً؛ يعني اتخذوا طَعَاماً تُنفقونَه في سبيل الله.

لن يدرِكَ قومٌ بعدكم صَاعَكم ولا مُدَّكم؛ الصَّاع: أَربعة أَمداد، والمد: ربع صاع وهو رطل وثلث بالعراقي عند الشّافعي وأَهل الحجاز، ورطلان عند أَبي حنيفة وأَهل العراق؛ أَي ما يبلغ ثواب صاع أَحدكم ولا مُدّه في الثواب إِذا تصدَّق به.

تشميرهم إِلى الحرب: إِسراعهم إِليه.

القضية(1)...

الهُدنة ـ بضم أَوّله وسكون ثانيه وبضمه أَيضاً: الصلح والموادعة بين المتحاربين.

مقنّعان في الحديد ـ بتشديد النون: عليهما بيضُه.

العَنْوَة ـ بفتح العين المهملة وسكون النون: أَخذ الشيء قهراً.

عَيْبَة مكفوفة ـ بفتح العين المهملة وسكون التحتية: أَي أَمر مطويّ في صدورٍ سليمة، وهو إِشارة إِلى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أَسباب الحرب وغيرها، والمحافظة على العهد الذي وقع بينهم.

---

(1) بياض في الأُصول بمقدار كلمتين؛ ولعل المراد «الصلح» أو «الموادعة».

لا إِغلال ـ بغين معجمة: لا خيانة، تقول أَغل الرجلُ إِذا خان، وأَما في الغنيمة فيقال غلّ نير ألف.

ولا إِسلال: لا سَرِقَة، من السلة وهي السرقة، والمراد أَن يأْمن بعضُهم من بعض في نفوسهم وأَموالهم سِراً وجهراً، وقيل: الإِسلال من سلّ السّيوف، والإِغلال من لبس الدرع. وَهَّاه أَبو عبيد.

امَّعَضُوا ـ بميم مشددة فعين مهملة فضاد معجمة، ولبعض رُواةِ الصحيح آمْتَعَضُوا ـ بإِظهار الفوقية: أَي شقّ عليهم.

الدَنِيّة ـ بدال مهملة مفتوحة فنون مكسورة فتحتية مشددة: الخصلة المذمومة، والأَصل فيه الهمز وقد يخفف.

أَوَلَسْنا ـ بفتح الواو، والاستفهام للإِنكار، وكذا ما بعده.

الغَرْز ـ بفتح الغين المعجمة فراء ساكنة فزاي: ركاب كور البعير إِذا كان من جلد أَو خشب.

يتلكأَ: يبطئ.

هَاتِ: فعل أَمر من باب رَامَى يُرَامى.

مُضْطَهَد: بميم مضمومة فضاد معجمة ساكنة فطاء مهملة.

لا تَحدَّث العربُ ـ بفتح الفوقية، وتشديد الدَّال المهملة المفتوحة حذف منه إِحدى التائين. ضُغْطة ـ بضم الضاد، وسكون الغين المعجمتين، فطاء مهملة: مقهور.

التَّنْعِيمُ ـ على لفظ المصدر، من نعمته تنعيما: مكان على ثلاثة أَميال من مكة من جهة المدينة.

الغِرّة ـ بالكسر: الغفلة.

زُنَيم: بضم الزّاي وفتح النون.

اخترط السيفَ: آستلّه.

العَبَلات ـ بفتح المهملة والموحدة: وهم من قريش أَمية الصغرى، نسبوا إِلى أمهم عبلة بنت عُبَيْد.

بَدْء الفجور ـ بفتح الموحدة، وسكون الدَّال المهملة وبالهمز: ابتداؤه وأَوله وسكون النون فتحتية، أَي عودة ثانية، وفي رواية ثناه بكسر المثلثة.

ثُنياه - بضم الثاء المثلثة وإسقاط التحتية.

أَبو جَنْدَل - بالجيم: وزن جعفر.

يَرسُف في قيوده - بفتح التحتية وضم السين المهملة وبالفاء: يمشي مشياً بطيئاً بسبب القيد.

لم نقض الكِتَابَ بَعْد: لم نفرغ من كتابته.

أَجزه لي - بالجيم والزّاي: امض لي فعلي ولا أَردّه عليك أَو استثنه من القضية، ووقع في الجمع للحميدي بالراء، ورجّح أَبو الفرج الزّاي.

ضَنَّ بأَبيه - بالضَّاد المعجمة، والنُّون المشددة: بخل، أَي لم يسمح بقتله.

التَّأَم - بهمزة مفتوحة: انسد.

يَمَّم هدْيه: قصده.

شرد جمل: نَدَّ ونَفَر.

النّجيب: الفاضل من كل حيوان.

المَهْرِيّ - بفتح الميم وسكون الهاء: نسبة إِلى بني مَهْرَة كتَمْرة: قبيلة مِنْ قضاعَة سمّوا باسم أَبيهم مَهْرة بن حيدان، وبلدٍ بعمان، وَالإِبل المَهْرِيّة تُنْسَب إِلى أَحدهما.

البُرَة - بضم الموحدة وتخفيف الراء المخففة: حلقة تجعل في أَنف البَعير ليذل، وأَكثر ما تكون من صُفْر، فإِن كانت من شَعر فهي خزامه، وإِن كانت من خشب خشاش بخاء وشينين معجمات.

مضطرباً في الحل؛ أَي كانت قُبَّتُه مضروبة في الحل، وكانت صلاته في الحرم لقرب الحُدَيْبيَةِ من الحرم.

اضْطَبَع بثوبه: أَدخله تحت إِبطه اليمنى وأَلقاه على عاتقه الأَيسر.

شرح غريب ذكر رجوعه - صلى الله عليه وسلم - ونزول سورة الفتح

مَرّ - بفتح الميم وتشديد الرّاء، مضاف إِلى الظَّهران، بالظَّاء المعجمة المُشَالَة المفتوحة، وبين مَرّ والبيت الشريف ستة عشر ميلاً.

أَرْمَلُوا من الزَّاد - بالرّاء: نَفَذَ زادهم.

النطع: المتخذ من الأَديم معروف، وفيه أَربع لغات. فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها.

ربضة عَنْز: قدرها رابضة؛ أي باركة.

النّواجذ ـ بالنون والجيم المكسورة وبالذال المعجمة: جمع ناجذ، وهو السنّ بين ضّرس والناب، وأَواخر الأَضراس. والمراد هنا الأَنياب.

الجهد: المشقة.

يدْفعوكم بالرَّاح ـ بالحاء المهملة والراء: جمع راحة وهي الكفّ.

لا يُلوُون على أَحَدٍ: لا يَلْتَفِتُونَ إِليه، ولا يَعْطِفُون عليه.

ثكلته أُمه: كلمة تقولها العرب للإِنكار، ولا يريدون حقيقتها.

نزَّرت ـ بنون فزاي مشدّدة فراء: أَلْححت.

نشب ـ بنون فشين معجمة فموحدة: لبث.

يرجفون الأَباعر: يحثونها على الإِسراع في السير.

هنيئاً: طيبا.

مَرياً: سائغاً.

عَرَّسْنَا ـ بعين فراء مشددة فسين مهملات فنون: نَزَلْنَا ليلا، أَو آخر الليل.

شرح غريب ذكر قدوم أبي بصير ـ رضي الله عنه ـ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم

أَبو بَصِير ـ بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون التحتية فراء.

البَكرُ مِنَ الإِبل ـ بالفتح: وهو الفتى من الدّواب خلاف المُسِنّ، كالشاب من الناس.

حتى بَرَدَ ـ بموحدة فراء مفتوحتين فدال مهملة: خمدت حواسّهُ، وهي كناية على الموت؛ لأَن الميِّتَ تسكن حركته. وأَصل البرد السكون.

الإِسَار: وزن كتاب: القيد بفتح القاف.

جَمَزَ ـ بالجيم والزاي ـ أَسرع.

الذُّعْر ـ بضم الذال المعجمة وسكون المهملة: الخوف.

وَيْلُ آمِّه ـ بضم اللاَّم ووصل الهمزة وكسر الميم المشددة: وهي كلمة ذمّ تقولها العرب في المدح ولا يقصدون معنى ما فيها من الذّمّ؛ لأَنّ الوَيْلَ الهلاكُ، فهو كقولهم: لامُّهِ الوَيْلُ قال الفّراء: أَصل وَيْل وَيْ لفلان، أَي حُزْنٌ له: فكثر الاستعمال، فأَلحقوا بها اللام، فصارت كأَنها منها، وأَعربوها، وتبعه ابنُ مالك، إِلاّ أَنه قال تبعاً للخليل إِن وي كلمة تعجب، وهي من أَسماء الأَفعال، واللام بعدها مَكسُورة، ويجوز ضمّها إِتباعاً للهمزة، وحُذفت الهمزة تخفيفاً.

مِسْعَرَ حربٍ ـ بكسرِ الميم، وسُكُون السِّين، وفتح العين المهملتين وبالنَّصب على التمييز، وأَصله من مِسْعَر حرب. أَي مُسْعِرُها، قال الخطابي: كأَنَّه يصِفُه بالإِقدام في الحرب، والتَّسْعِيرِ لنارها.

مِحَشّ ـ بحاء مهملة وشين معجمة: وهو بمعنى مِسْعَر حرب.: وهو العود الذي تُحَرَّكُ به النَّار.

العِيص ـ بكسر العين المهملة، وسكون التحتية، وبالصاد المهملة: موضع قرب المدينة على ساحل البحر.

ذو المَروَة: موضع في أَرض جُهَيْنَة مِمَا يلي سِيف البحر بين مكة والمدينة.

الثواء ـ بثاء مثلثة مفتوحة وبالمد: الإِقامة.

صناديد قريش: عظماؤها.

المعشر ـ واحد المعاشر: وهي الجماعات من الناس.

تخْفِق ـ بخاء معجمة ساكنة ففاء مكسورة وبالقاف: تضرب.

أَيمانهم ـ بفتح الهمزة.

القَنَا ـ بفتح القاف وبالقصر: جمع قناة: الرمح.

الذَّابِلُ ـ بذالٍ معجمة، فأَلف فموحدة، أَشار إِلى أَن رماحهم رقاق.

لم يَأْتَل: لم يحلف.

الباب الثالث والعشرون

في غزوة ذي قرد ـ وهي الغابة

والسَّبَبُ فيها إغارة عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيفة الفَزَاري في خيل غَطَفَان على لِقَاح رسول الله ـ ﷺ.

روى الشيخان، والبيهقيُّ عن يزيد بن أَبي عبيد، ومسلم وابنِ سعد، والبيهقيُّ عن إِياس بن سلمة بن الأَكوع كلاهما عن سلمة ـ رضي الله عنه. وابن إِسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبدُ اللّه بن أبي بكر ومَن لايُتَّهم عن عبد اللّه بن كعب بن مالك، ومحمدٌ بن عمر عن شيوخه، وابنُ سعد عن رجاله، أَن لِقَاحَ رسول الله ـ ﷺ ـ كانت عشرين لِقْحَة وكانت ترعى البيضاء ودون البيضاء إِلى الجبل، وهو طريق خيبر، فأَجدب ما هنالك فقرّبوها إِلى الغابة تصيب من أَثلها وطرفائها وتغدو في الشجر، وكان الرّاعي يؤوب بلبنها كل ليلة عند المغرب[1].

قال محمد بن عمر: وكان أَبو ذَرّ قد آستأْذن رسول الله ـ ﷺ ـ إِلى لِقَاحه، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ «إِني أَخاف عليك من هذه الضاحية أَن تغير عليك». ونحن لا نأْمن مِنْ عُيَيْنَةَ بن حِصْن وذَوِيه وهي في طرف من أَطرافهم، فأَلحّ عليه، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لكأَني بك قد قُتِل ابنُك وأُخِذَت آمرأَتك، وجئت تتوكأ على عصاك» فكان أَبو ذَرّ يقول: عجباً لي، إِنّ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لكأَني بك» وأَنا أُلِحُّ عليه، فَكَان ـ والله ـ ما قال رسول الله ـ ﷺ ـ قال أَبو ذَرٌ: والله إِنّي لَفِي منزلنا، ولقاحُ رسولِ الله ـ ﷺ ـ قد رُوِّحَت وعُطِّفَت وحُلِبَت عَتَمَتُها، ونمنا، فلما كان الليل أَحْدَقَ بنا عُيَيْنَةُ بن حِصْن في أَربعين فارساً، فصاحوا بنا وهم قيام فأَشرف لهم ابني فقتلوه، وكانت معه آمرأَته وثلاثة نفر فنجَوْا، وتنحيت عنهم، وشغلهم عني إِطلاقُ عُقُل اللِّقاح، ثم صاحوا في أَدبارها، فكان آخر العهد بها، ولمّا قدمتُ على رَسُولِ الله ـ ﷺ ـ وأَخبرته تبسَّمَ.

وقال سلمة بن الأَكوع: خرجت قبل أَن يؤذن بالأُولى، وكانت لِقَاحُ رسول الله ـ ﷺ ـ بذي قَرَد، فبعث رسولُ الله ـ ﷺ ـ بظَهْره مع رَبَاح ـ بفتح الراء وبالموحدة ـ غلامُ رسُولِ الله ـ ﷺ ـ وأَنا معه، وخرجت بفرس طلحة أُنَدِّيه مع الظَّهْر، فلقيتُ غلاماً لعبد الرحمن بن عوف كان في إِبلٍ لعبد الرحمن بن عوف فأَخطئوا مَكَانَهَا، وآهتدوا لِلقَاح رسولِ الله ـ ﷺ ـ فأَخبرني أَن لِقَاح رسولِ الله ـ ﷺ ـ قد أَغَار عليها عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ في أَربعين فارساً من غطفان.

(١) أخرجه البخاري ٥٢٦/٧ (٤١٩٤) ومسلم ١٤٣٢/٣ (١٨٠٦/١٣١) والبيهقي في الدلائل ١٨٠/٤.

قال محمد بن عمر وابنُ سعد: ليلة الأَربعاء، قال سلمة: فقلتُ: يا رَبَاح اَقْعد على هذا الفرس، فالحق بطلحة، وأَخبر رسول الله ـ ﷺ ـ أَن قد أُغير على سَرْحِه، وقمت على تلّ بناحية سلع، فجعلتُ وجهي مِنْ قِبَلِ المدينة، ثم ناديت ثلاث مرات يا صباحاه أَسمع ما بين لابَتَيْها ثم انبعثَ القومُ ومعي سيفي ونَبْلِي، فجعلتُ أَردّهم، وفي لفظ: أَرميهم، وأَعقر بهم، وذلك حين يكثر الشجر، فإذا رجع إِليَّ فارسٌ جلستُ له في أَصل شجرة، ثم رميتُ، فلا يُقْبل عليَّ فارس إِلا عقرت به، فجعلت أَرميهم وأَنا أَقول:

أَنَـــا ابــــنُ الأَكْــــوع والــيــومُ يــومُ الــرُّضَّــع

فأَلحق رجلا فأَرميه وهو على رحله فيقع سهمي في الرحل حتى انتظمت كتفه فقلت: خذها وأَنا ابن الأَكوع واليوم يوم الرضع فإذا كنت بالشجر أَحرقتهم بالنَّبْل، وإِذا تضايقت الثَّنايا علوت الجبل فرميتهم بالحجارة، فما زال ذلك شأني وشأنهم أَتبعهم وأَرتجز حتَّى ما خَلَقَ الله ـ تعالى ـ شيئاً من ظَهْر رسول الله ـ ﷺ ـ إِلا خلفْتُه وراء ظهري واستنقذته من أَيديهم.

قال ثم لم أَزل أَرميهم حتى أَلقوا أَكثر من ثلاثين رُمُحاً، وأَكثر من ثلاثين بُرْدَةً يستخِفُّون منها، ولا يُلْقُون من ذلك شيئاً إِلا جعلتُ عليه الحجارة، وجمعتهُ على طريق رسول الله ـ ﷺ ـ حتى إِذا اشتدَ الضحى أَتاهم عُيَيْنةُ بن بدر الفزاري مُمداً لهم. وهم في ثَنِيَّة ضيقه، ثم عَلَوْتُ الجبل، فأَنا فوقهم. فقال عُيَيْنة: ما هذا الذي أَرى؟ قالوا: لقينا من هذا البَرْحُ[1] ما فَارَقَنَا بِسَحَر حتى الآن، وأَخذ كل شيء في أَيدينا وجعله وراء ظهره، فقال عُيَيْنَةَ: لولا أَن هذا يَرَى أَن وراءه طلباً لقد ترككم، وقال: لِيَقُم إِليه نفرٌ منكم، فقام إِليَّ أَربعة منهم فصَعدوا في الجبل، فلما أَسْمَعْتَهُمُ الصوتَ قلتُ لهم: أَتعرفونني؟ فقالوا: ومن أَنت، قلت: أَنا ابن الأَكْوَع؛ والذي أَكرمَ وجْهَ محمد ـ ﷺ ـ لا يطلبني رجلٌ منكم فيدركني، ولا أَطلبه فيفوتني. فقال رجلٌ منهم: إِني أَظن فرجعوا.

ذكر حث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في طلب العدو وتقديمه جماعة أمامه

قال ابن إِسحاق: وبلغ رسول الله ـ ﷺ ـ صياحُ ابن الأَكْوَع يَصرخ بالمدينة «الفزع الفزع». فترامت الخيولُ إِلى رسول الله ـ ﷺ ـ فكان أَولّ من انتهى إِلى رسول الله ـ ﷺ ـ من الفرسان المِقْدَادُ بنُ عمرو، وهو الذي يُقَالُ له ابن الأَسود حليفُ بني زُهْرَة، زاد محمدُ بنُ عمر ـ نَقْلاً عن عمارة بن غزية، وابن سعد ـ فَنُودِيَ «يا خَيْلَ الله آرْكَبِي»، وكان أَوّل مَا نُودِي

(١) البرْح: الشّدة والأذى، آنظر المعجم الوسيط ٤٧/١.

بها - كذا قال، وزاد ابنُ عائذ عن قتادة: أَنّ أَوَّل ما نُودي «يا خيلَ الله آركبي» في غزوة بني قُرَيْظَة، وهي قبل هذه عندهم.

قال محمد بن عمر: وكان المقداد يقول: لمّا كانت ليلة السّرْح جَعَلَتْ فَرَسِي سَبْحَةُ لا تَقَرُّ ضَرْباً ضَرْباً بيدها، وصَهيلاً، فأقول: والله إنّ لها لشأناً، فأَنظر إلى آريِّها[1] فإذا هو مملوء علفا؛ فأقول: عَطْشَى فأَعرض عليها الماء فما تريده. فلما طلع الفجر أسرجتها ولبستُ سلاحي، ثم خرجتُ حتّى أُصلّي مع رسول الله - ﷺ - الصبح، فلم أَرَ شيئاً، وَدخَلَ رسولُ الله - ﷺ - بيته، ورجعت إلى بيتي، والفرسُ لا تَقِرّ، فوضعت سرجَهَا والسّلاح واضطجَعْتُ، فأتاني آتٍ فقال: إنّ الخيلَ قد صيح بها، فخرجت.

قال ابن إسحاق: ثم كان أَوّل فارس وقف على رسول الله - ﷺ - بعد المِقْداد من الأَنصار عبّاد بتشديد الموحدة ابن بِشْر - بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة، وسعْد بسكون العين - بن زيد، وأُسَيد - بضم أَوّله وفتح ثانيه - ابن ظُهَيْر - وهن - تصغير ظهر - بظاء معجمة مشالة، ومُحْرز[2] بضم الميم وسكون الحاء المهملة فراء مكسورة فزاي ابن نضلة بالنون وسكون الضاد المعجمة، وربيعة بن أَكثم بالثاء المثلثة، وعكاشة بتشديد الكاف وتخفيفها ابن محصن بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وأَبو عيّاش بالتحتية والشين المعجمة الزُّرَقي، وأَبو قتادة فلما آجتمعوا إلى رسول الله - ﷺ - أَمَّرَ عليهم سعد بن زيد، ثمّ قال: «اخْرُج في طَلَب القومِ حتّى «أَلْحَقكَ بالناس».

وقال محمدُ بن عمر، وابنُ سعد: عقد رسولُ الله - ﷺ - للمِقْداد لواءً في رُمْحِه، وقال: «أَمْضِ حتّى تلحقك الخيولُ، وأَنا على أَثرك» قالا: والثّبْتُ عندنا أَنَّ رسول الله - ﷺ - أَمَّرَ على هذه السّرية سعدَ ابنَ زيد الأَشْهَلِيّ، ولكن الناس نسبوها للمِقْدَاد؛ لقول حسّان.. غداة فوارس المقداد. فعاتبه سعدُ بن زيد فقال: اضطرني الوزن إلى المِقْدَاد.

قال ابنُ إسحاق: وقد قالَ رسولُ الله - ﷺ - فيما بلغني عن رجلٍ من بني زُرَيق - لأَبي عيّاش: «يا أَبا عياش لو أَعطيتَ هذا الفرس رجلا هو أَفرس منك فلحق بالقوم»[3]، قال أَبو عياش فقلت يا رسولَ الله أَنا أَفرسُ النّاس، وضربت الفرس، فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحني، فعجبت أَن رسول الله - ﷺ - يقول: «لَوْ أَعْطَيْتَه أَفْرَس مِنْك» وأَنا أَقول: أَنا أَفرس

(١) آريها: الآرى الحبل الذي تشد به الدّابة إلى مَحْبِسِها، انظر الصحاح ٢٢٦٧/٦.

(٢) محرز بن نضلة بن عبد الله بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الاسدي أبو نضلة ويعرف بالأخرم.. ذكره موسى بن عقبة وابن اسحق وغيرهما فيمن شهد بدرا. انظر الإصابة ٤٨/٦.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٣٢/٧ وانظر المجمع ١٤٣/٦.

الناس، فزعم رجالٌ من بني زريقٍ أَن رسول الله ـ ﷺ ـ لما أَعطى فرس أَبي عيّاش مُعَاذَ بن ماعص وكان ثامنا، أَو عائِذ ـ بالتحتية والمعجمة ابن ماعص بعين مكسورة فصاد مهملتين. وذكر الطبري أَن معاذ بن ماعص وأَخاه قُتِلا يوم بئر معونة شهيدين كما سيأْتي في السرايا، وبعض النَّاسِ يعد سَلَمَة بن الأَكوع أَحد الثمانية ويسقط أُسَيْد بن ظُهَير ـ والله أَعلم أَي ذلك كان، فخرج الفرسان حتَّى تلاحقوا، وكان أَوّل من لحق بالقوم مُحرز بن نَضْلَة، وكان يقال له الأَخرم بخاء معجمة ساكنة وراء، ويقال له قُمير ـ بضم القاف وفتح الميم.

وإِنَّ الفَزَعَ لَمَّا كَانَ جَالَ فَرَسٌ لمحمود بن مسلمة في الحائط حين سمع صاهلة الخيل وكان فرساً صنيعاً جامحاً، فقال نساء من نساء بني عبد الأَشهل ـ حين رأَين الفرس يجول في الحائط بجذع نَخْلٍ هو مَرْبُوط به: يا قمير هل لك في أَن تركب هذا الفرس؟ فإِنه كما تَرَى، ثم تلحق بِرَسُولِ الله ـ ﷺ ـ وبالمسلمين؟ قال: نعم، فأَعْطَيْتَهُ إِيَّاه، فخرج عليه، فلم يلبث أَن بَذَّ الخيلَ بجماحه حتى أَدرك القوم، فوقف بين أَيديهم، ثم قال: قِفُوا يا معشر بَنِي اللُّكِيعَة حتَّى يلحق بكم مَنْ وراءكم مِن أَدباركم من المهاجرين والأَنصار، فحمل عليه رجل منهم فقتله، وجال الفرس فلم يُقْدَر عليه حتى وقف على آرِيَّة في بني عبد الأَشهل.

قال سَلَمَةُ بنُ الأَكوع: فما برحتُ من مكاني حتَّى رأَيتُ فَوَارِسَ رسُولِ الله ﷺ ـ يتخلَّلُون الشَّجر، فإِذا أَوّلهم الأَخرم الأَسدي، وعلى أَثره أَبو قَتَادة، وعلى أَثره المقدادُ بن الأَسود الكندي، فولى المشركون مدبرين، قال سلمة: فنزلت من الجبل، وأَخذت بعنانِ فرس الأَخرم، وقلت: يا أَخرم احذرهم لا يقتطعوك حتَّى يلحق رسولُ الله ـ ﷺ ـ وأَصحابه، قال: يا سلمة، إِنْ كنْتَ تُؤمنُ بالله واليوم الآخر، وتعلم أَنَّ الجنَّةَ حقٌّ والنَّار حق، فلا تَحُل بيني وبين الشَّهادة. فخَلَّيْتُه، فالتقى هو وعبد الرحمن بن عُيَيْنَة فعقر بعبد الرحمن فرسُهُ، وطعنه عبد الرحمن فقتله. وتحوّل على فرسه، ولحق أَبُو قتادة فارسُ رسول الله ـ ﷺ ـ بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين، فعقر بأَبي قتادة، وقتله أَبو قتادة، وتحول أَبو قتادة إِلى الفرس.

وروى محمد بن عمر عن صالح بن كيسان، قال مُحرِز بن نضلة قبلَ أَن يَلْقَى العدوّ بيوم: رأَيت السَّماءَ فُرِجَت لي حتى دخلتُ في السماء الدنيا، حتى انتهيت إِلى السماء السابعة، ثم انتهيت إِلى سدرة المُنْتَهَى، فقيل لي: هذا منزلك، فعرضتها على أَبي بكر الصّديق ـ وكان من أَعبر النَّاس ـ فقال: أَبشر بالشهادة. فقتل بعد ذلك بيوم.

قال سلمة: ثم خرجت أَعدو في أَثَرِ القوْمِ فوالذي أَكرم وجهه حتى ما أَرى من ورائي من أَصحابِ رسول الله ـ ﷺ ـ ولا غبارهم شيئاً، ويَعْرِضُون قبل غيبوبة الشمس إِلى شِعْبٍ فيه ماء يقال له ذو قَرَد، فأَرادوا أَن يشربوا منه فأَبصرُوني أَعدو وراءَهُم فعطفوا عنه، وأَسْنَدُوا في

الثنية «ثَنِيَّة ذِي بِئر» وغربت الشّمس، وأَلْحَقُ رجلاً فأَرميه وقلت:

خُـذْهَـا وَأَنَـا ابْـنُ الأَكْـوَعِ   وَالْـيَـوْمُ يَـوْمُ الـرُّضَّـعِ

قال: فقال يا ثكل أم الأَكوع بُكْرَةً فقلت: نعم أي عدو نفسه.

وكان الذي رميته بُكْرَة، فأَتبعته بسهم آخر فعَلِقَ به سهمان، وخلَّفوا فرسين، فجئت بهما أَسوقهما إِلى رسُولِ الله - ﷺ.

قال ابن إِسحاق: ولمَّا تلاحقت الخيل قتل أَبو قتادة حُبَيْبَ بن عُيَيْنَة بن حِصن وغشاه ببرده، ثم لحق بالناس، وقال محمد بن عمر، وابن سعد: وقتل المقداد بن عمْرو حُبَيْب بن بن عيينة بن حصن. وقرفة بن مالك بن حذيفة بن بدر، فالله أَعلم. وأَدرك عُكَّاشة بن حِصن أَوْبَاراً، وابنه عمرو بنَ أَوْبَار وهما على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعاً، واستنقذوا بعض اللِقَّاح.

وروى البيهقيُّ عن عَبْد اللّه بن أَبي قتادة: أَن أَبا قتادة اشترى فرسه من دوابّ دخلت المدينة. فلقيه مَسْعَدَة الفزَاري فقال: يا أَبا قتادة، ما هذا الفرس؟ فقال أَبو قتادة: فرس أَردت أَن أَربطها مع رَسُولِ الله - ﷺ - فقال ما أَهون قتلكم وأَشد حربكم، قال أَبو قتادة: أَمَا إِني أَسأَل الله - تعالى - أَن يلقينيك وأَنا عليها فقال أمين وكان أَبو قتادة ذات يوم يعلف فرسه تمراً في طرف بردته إِذ رفعت رأْسها وأَصرت أَذنيها؟ فقال: أَحلف بالله لقد أَحسّت بريح خيل: فقالت له أُمّه: والله يا بني ما كنا نرام في الجاهلية، فكيف حين جاء الله بمحمد - صلَّى الله عليه وسلم - ثم رفعت الفرسُ أَيضاً رأْسها، وأَصرت أُذنيها، فقال: أَحلف بالله لقد أَحست بريح خيل. فوضع سرجها فأَسرجها، وأَخذ بسلاحه، ثم نهض حتى أَتى مكاناً يقال له الزَّوراء فلقيه رجلٌ من أَصحابه، فقال له: يا أَبا قتادة، تُشَوِّط دابتك، وقد أُخِذَت اللقاح. وقد ذهب النبيُّ في طلبها وأَصحابه؟! فقال: أَينَ؟ فأَشار إِليه نحو الثنيّة. فإِذَا بالنبي - ﷺ - في نفر من أَصحابه جلوسٌ عند ذِباب، فَقَمَعَ دَابَّتَه، ثم خَلاَّها، فمرَّ بالنَّبي - ﷺ - فقال له: «امْضِ يا أَبا قَتَادة صَحِبَكَ الله» قال أَبو قَتَادَة: فخرجتُ فإِذا بإِنسانٍ يحاكيني فلم ننشب أَن هجمنا على العسكر، فقال لي: يا أَبا قتادة ما تقول؟؟ أَمَّا القوم فلا طَاقَةَ لنا بهم، فقال له أَبو قتادة: تقولُ: إِني واقف حتَّى يأْتي رسول الله - ﷺ - أُريد أَن تشدّ في ناحية وأَشدُّ في ناحية، فوثب أَبو قَتَادة فشَقَّ القومَ. فَرَموه بسهم، فوقع في جبهته، قال أَبو قتادة: فنزعت قِدْحي، وأَظنُّ أَني قد نزعتُ الحديدة. ومضيتُ على وَجْهي فلم أَنشب أَن طَلَعَ عليَّ فارسٌ على فرس فاره وعليه مغفر له فأَثبتني ولم أَثبته. قال: لقد أَلقانيك الله يا أَبا قتادةً وكشف عن وجهه وأَداة كليلة. على وجهه فإِذا هو مَسْعَدَة الفَزَاريّ، فقال: أَيّما أَحبّ إِليك مجالدة أَو مطاعَنَة أَو مصارعة؟ قال: فقلتُ: ذَاكَ

إليك، قال فقال: صراعٌ، فأَجال رجله على دابته، وأَجلتُ رجلي على دابتي، وعقلت دابّتي وسلاحي إلى شجرة، وعقل دابته وسلاحه إلى شجرة، ثمّ تواثبنا، فلم أنْشب أَن رزقني الله ـ تعالى ـ الظَّفَر عليه، فإذا أنا على صدره، فوالله إني لمن أَهَمِّ الناس من رجل متأبط قد هممت أَن أقوم فآخذ سيفي، ويقوم فيأْخذ سيفه، وإنَّا بين عسكرين لا آمن أن يهجم على أَحدهما، إذَا بشيء مسَّ رأْسي، فإذَا نحنُ قد تعالجنا، حتَّى بلغنا سلاح مَشعدة فضربتُ بيدي إلى سيفه، فلمَّا رأى أَنّ السَّيْفَ وقع بيدي قال: يا أَبا قتادة، آستحيني، قلت: لاَ، والله أَو تَردَ أُمُّك الهاوية.

قال: فَمَنْ للصِّبْيَة؟ قلت: النَّار. قال: ثُمَّ قَتَلْتُه وأَدرجته في بُرْدي، ثم أَخذتُ ثيابه فلبستها، ثم أَخذت سلاحه، ثم استويْتُ على فرسه، وكانت فرسي نَفَرَت حين تعالجنا فرجَعَت إلى العسكر، قال: فعرقبوها.

قال: ثم مضَيْت على وجهي فلم أَنشب أَنَا حتى أَشرفْت على ابن أَخيه وهو في سبعة عشر فارساً، قال فأَلَحْتُ إليهم فوقفوا، فَلَمَّا أَن دنوت منهم حملتُ عليهم حملة وطعنتُ ابنَ أَخيه طعنة دققتُ عنقه، وآنكشفَ مَنْ كان معه. وحبستُ اللِّقاح برمْحِي(١).

ذكر خروج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لطلب العدو

قال محمد بن عمر، وابنُ سعد:

خرج رسولُ الله ـ ﷺ ـ غداة الأَربعاء راكِباً مُقَنَّعًا في الحديد.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أُم مكتوم.

قال: وخلف سَعْدَ بنَ عُبَادة ـ رضي الله عنه ـ في ثلاثمائة من قومه يحرسُونَ المدينة.

قال ابن إسحاق: ولَمَّا مَرّ رسولُ الله ـ ﷺ ـ والمسلمُونَ بِحُبَيْبِ مُسجًّى ببُرْدِ أَبي قَتَادة آسْتَرْجَعُوا، وقالوا: قُتِلَ أَبو قَتَادة؛ فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «ليس بأَبي قَتَادَة، وَلَكِنَّه قتيلٌ لأَبِي قَتَادَة، وَضَعَ عليه بُرْدَهُ لِتَعْرِفُوا أَنَّه صَاحِبُه»(٢).

قال ابنُ سعد قال سلمة لحقنا رسول الله ـ ﷺ ـ والخيول عشاء قال أَبو قتادة ـ رضي الله عنه ـ في حديثه السَّابق: وأَقبل رسولُ الله ـ ﷺ ـ ومَن معه من أَصحابه، فلمَّا نظر إليهم العسكرُ فروا قال: فلما انتهوا إلى موضع المعسكر إذا بفرس أَبي قتادة قد عرقبت فقال رجلٌ من أَصحابه: يا رسولَ الله!! قد عُرْقِبَت فرسُ أَبي قتادة، قال: فوقف عليها رسولُ الله ـ ﷺ فقال: «ويح أُمك، رُبَّ عَدوٍ لَكِ في الحرب» مرتين. ثم أَقبل رسولُ الله ـ ﷺ ـ وأَصحابه حتّى إذا

(١) أَخرجه البيهقي في الدلائل ١٩١/٤.

(٢) أَخرجه الطبراني في الكبير ٣١/٧ وانظر المجمع ١٤٣/٦ والبداية والنهاية ١٥١/٤.

آنتهوا إلى الموضع الَّذِي تَعَالَجْنَا فيه إذا هُم بأَبي قتادة ـ فيما يَرَوْن مُسَجًّى في ثيابه، فقالَ رجلٌ من الصَّحَابة: يا رسولَ الله؛ قد آسْتُشْهِدَ أَبُو قَتَادَة، قال، فقالَ رسولُ الله ـ ﷺ: «رَحِمَ الله أَبَا قَتَادَة، وَالَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَا أَكْرَمَنِي بِهِ إِنَّ أَبَا قَتَادَةَ على آثار القَوْمِ يَرْتَجِز». فدخلهم الشَّيْطَان أَنهم ينظرون إلى فرسي قد عُرْقِبَت، وينظرون إليه مُسَجى عليه ثيابي(١).

قال: فخرج عُمر بنُ الخطَّابِ وأَبو بكرٍ ـ رضي الله عنهما ـ يَسْعَيَان حتى كشف الثَّوْبَ، فإِذَا وجهُ مَسْعَدَةَ، فقالا: الله أكبر، صدَق الله ورسولُهُ، مسعدة يا رسولَ الله. فَكبّر الناس، ولم ينشب أَن طَلَعَ عليهم أَبُو قَتَادة يحوش اللُّقَاح، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ «أَفْلَحَ وَجْهُكَ يَا أَبَا قَتَادَة، أَبُو قَتَادَةَ سَيِّدُ الفرسان، بَارَكَ الله فِيكَ يَا أَبَا قَتَادَة»(٢).

قال: قلت: بأَبي أَنْتَ وأُمي يا رسول الله، سَهْمٌ أَصَابَنِي، والَّذِي أَكرمَك بما أَكرمَك، وفي ولدك وفي ولد ولدك ـ وأَحسب عكرمة قال وفي ولد ولد ولدك. ما هذا بوجهك يا أَبا قتادة؟ قد ظننتُ أَنِّي قد نزعته، قال: «آدْنُ مِنِّي يا أَبا قتادة» قال: فدنوت منه. قال: فنزع النّصل نزعا رفيقا، ثم بزق فيه رسولُ الله ـ ﷺ ـ ووضع راحته عليه، فوالذي أَكرم محمداً ـ ﷺ ـ بالنبوة ما ضَرَبَ عليَّ ساعةً قط، ولا قَرَحَ قط عليَّ.

وروى محمد بن عمر وابنُ سعد عن أَبي قتادة قال: لَمَّا أَدركني رسولُ الله ـ ﷺ ـ قال: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ في شَعْرِه وَبَشَرِه، وقال: أَفلح وجهك، قلتُ: ووجْهُكَ يَا رسولَ الله، قال: «قتلتَ مَسْعَدة»؟ قلت: نعم، وذكر نحو ما تَقدّم قال: فمات أَبو قَتَادَةَ وهو ابن سبعين سنة وكأَنه ابن خمس عشرة سنة.

وذهب الصَّرِيخُ إلى بني عمرو بن عَوْف، فجاءت الإِمْدَاد، فلم تزل الخيلُ تأْتي والرجالُ على أَقدامهم والإِبل، والقومُ يَعْتَقِبُونَ البعيرَ والحمارَ حتى آنتهوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ بذي قَرَد.

قال ابنُ إِسحاق: واستنقذوا عشر لِقاح زاد ـ فيها جمل لأَبي جهل، وأَفلت القومُ بعشر.

وكانت رايةُ رسولِ لله ـ ﷺ ـ العُقَابُ، يحملها سعدُ بن زَيْد، وكان شِعَارهُم أَمِتْ أَمِت.

وصلَّى رسول الله ـ ﷺ ـ يومئذٍ صلاةَ الخوف، وسيأْتي بيانُهَا في أَبْواب صَلاَتِهِ ـ ﷺ صلاة الخوف.

---

(١) أَخرجه البيهقي في الدلائل ١٩٣/٤.
(٢) آنظر الشفاء ٦٢٨/١.

وقال سلمة: ولحقني عَمِّي بِسَطِيحَة فيها مِذْقة من لبن، وسطيحة فيها ماء فتوضأْت وشربت.

وروى ابن سعد عنه قال: لَحِقَنَا رسولُ الله - ﷺ - والخيول عشاء انتهى.

قال سلمة: فأَتيتُ رسولَ الله - ﷺ - وهو على الماء الذي أَجليتهم عنه، فإذا رسولُ الله - ﷺ - قد أَخذ تلك الإبل، وكلّ ما قد استنقذته من المشركين، وكل رمح وبردة، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل التي آستنقذت من القوم، وشوى لرسول الله - ﷺ - من سِنَامِها وكَبِدِها فقلتُ: يا رسولَ الله!! قد حميت القوم الماء، وهم عِطَاش خلفي، فانتخب من القوم مائة رجل فأَتبع القومَ فلا يبقى مُخْبرٌ إلا قَتَلْتُه. فضحك رسولُ الله - ﷺ - حتى بدَت نَواجِذُه في ضوء النّار، وقال: «يا سلمة أَتُرَاكَ كُنْتُ فاعلا؟» قلت: نعم. والذي أَكرمك. فقال: «ملكتَ فأَسْجح، إنهم ليُغْبَقُون»[1] وفي لفظ لَيُقْرون في أَرض غطفان»، فجاء رجل من غطفان وقال: نَحَرَ لهم فلانٌ جَزُورا، فلما كشطوا جلدها رَأَوا غبارا، قالوا: أَتاكم القومُ، فخرجوا هاربين.

قال ابن إسحاق: وقسّم رسُولُ الله - ﷺ - في أَصحابه في كل مائة جزورا.

وأَقامَ - ﷺ - بذي قَرَد يوماً وليلةً يَتَحَسَّبُ الخبر.

وفي حديث سلمة أَنهم كانوا خمسمائة.

قال ابن إسحاق، ومحمد بن عمر، وابن سعد: ويقال سبعمائة، وبعث سعدُ بنُ عُبَادة - رضي الله عنه - بأَحمالِ تَمْرٍ، وبعشر جزائِر فوافتْ رسولَ الله - ﷺ - بذي قَرَد، قال سلمة: فلمَّا أَصبحنا قال رسولُ الله - ﷺ - «خَيْرُ فُرْسَانِنَا اليَوْمَ أَبُو قَتَادَة، وَخَيْرُ رَجّالَتِنَا سَلَمَة»[2].

ثم أَعطاني رسولُ الله - ﷺ - سهمَ الفارس والراجل فجمعهما لي جميعاً، ثم أَردفني رسولُ الله - ﷺ - وراءه على العَضباء راجعين إلى المدينة، فلما كان بينها وبينه قريبٌ من ضَحْوَة، وفي القوم رجلٌ من الأَنصار كان لا يُسْبَق، فجعل يُنَادي: هل مَنْ يُسابق؟ إليّ رجلٌ يسَابِقُ إلى المدينة، فَعَلَ ذلك مِرَاراً، وأَنا وراء رسول الله - ﷺ - مُرْدِفِي، قلت له: أَما تكرم كريما، ولا تهاب شريفا؟ قال: لا، إلاَّ رسول الله - ﷺ - قلتُ: يا رسولَ الله، بأَبي أَنت وأُمِي خَلِّني فلأُسابق الرَّجُل، قال: «إن شِئْت» قلتُ: أَذهبْ، فَطَفر عن راحلته، وثنيت رجلي، فطفرت عن الناقة، ثم ارتبطت عليه شرفا أَو شرفين، يعني استبقيتُ نفسي، ثمَّ عدوْتُ حتَّى أَلحقه، فأَصُكُّ بين كتفيه بيدي، وقلت: سَبَقْتُكَ والله، فضحك وقال: والله إن أَظن؛ فسبقته حتى قدمنا المدينة، فلم نلبث إلا ثلاثا حتى خرجنا إلى خَيْبَر.

---

(١) الغَبَوْق ما يشرب بالعشي، انظر المعجم الوسيط ٦٤٩/٢.

(٢) ذكره ابن عساكر في تهذيب دمشق ٢٣٢/٦٠.

قال محمد بن عمر وابن سعد: ورجع رسولُ الله - ﷺ - إلى المدينة يوم الاثنين، وقد غاب خمس ليال.

وروى الزّبَيرُ بن بكارٍ عن محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمي قال: مر رسولُ الله - ﷺ - في غَزوَةِ ذِي قَرَد على مَاء يقالُ له بيسان، فسأَل عنه، فقيل: اسمُه يا رسولَ الله بيسان - وهو مالح - فقال: «بل هو نُعْمَان وهو طيب» فَغَيَّرَ رسولُ الله - ﷺ - الاسم - وغَير الله عز وجَل الماء، فآشتراه طلحة، فتصدّق به

ذكر قدوم امرأة أبي ذر على ناقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

روى الإمام أَحمد، ومسلمٌ وأَبو داود عن عمران بن حُصَين - رضي الله عنهما - فذكر الحديث، وفيه «فكانت المرأَة في الوثاق، وكان القومُ يُريحُونَ نُعَمَهم بين يدي بيوتهم. فآنفلتت ذاتَ ليلة من الوثاق، فأَتت الإبل، فجعلت إذا دنت من البعير رَغَا فتتركه، حتى آنتهت إلى العضبَاء فلم تَرغ، قال: وهي ناقةٌ مدربة، فقعدت في عَجُزها، ثم زَجَرَتها فآنطلقت، وقد رأَوها فطلبوها فأَعجزتهم، قال: ونَذَرَت إن نَـجَّاها الله - عزّ وجل - لِتنحرنها، فلما قدمت المدينة رآها الناس، فقالُوا: العَضبَاء ناقةُ رسولِ الله - ﷺ - فقالت: إنّها نَذَرَت إن نجاها الله عليها لتنحرّنها، فأَتوا رسولَ الله - ﷺ - فذكروا ذلك له فقال: «سُبْحَانَ الله، بِئْسَ مَا جَزَتهَا نَذَرَت إن نَجَّاها الله لَتَنحَرَنَّهَا، لاَ وَفَاء لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ وَلاَ فيما لا يَمْلِكُ ابن آدم». زاد ابن إسحاق من مُرْسَلِ الحسن «إنما هي ناقة من إبلي، إرجعي إلى أَهلك على بركة الله»[(1)].

وقدِمَ ابنُ أَخي عُيَيْنَة بلَقْحة رسولِ الله - ﷺ - السَّمْرَاء فبشرته بها سَلْمَى، فخرج - ﷺ مستبشراً، وإذا رأْسها بيد ابنِ أَخي عُيَيْنَة، فلما رآها رسولُ الله - ﷺ - عرفها، ثم قال: أَيْمَ بربك فقال: يا رسولَ الله أَهديْتُ لك هذه اللقحة، فتبسّم رسولُ الله - ﷺ - وقبضها منه، ثم أَقام عنده يوماً أَو يومين، ثم أَمر له رسولُ الله - ﷺ - بِثَلاَثِ أَواقٍ من فِضَّة، فجعل يَتَسَخَّطُ، قالت سلمى: فقلت: يا رسولَ الله أَتُثِيبه على ناقةٍ من إبلك؟ فقالَ رسولُ الله - ﷺ»: نعم وهو يَتَسَخَّط عليّ».

ثم صلّى رسولُ الله - ﷺ - الظهر، ثم صَعِدَ المنبرَ فحمدَ الله وأَثنى عليه، ثم قال: «إنَّ الرَّجُلَ لَيُهْدِي إليَّ النَّاقَةَ مِنْ إبلي أَعْرِفُها كَمَا أَعْرِفُ بَعْض أَهْلِي، ثُمَّ أُثيبه عليها فَيَظَلُّ يَتَسَخَّطُ

---

(١) أبو داود ٨٠٧/٣ (٣٥٣٧) والترمذي ٧٣٠/٥ (٣٩٤٥)، وأخرجه الطبراني في الكبير ١٨/١١ وأنظر المجمع ٤/ ١٤٨ والحميدي (١٠٥١، ١٠٥٣) وعبد الرزاق في المصنف (١٩٩٢٠) وأحمد ٢٩٢/٢ وآس حبان ذكره الهيثمي في الموارد (١١٤٥، ١١٤٦) والنسائي ٢٨٠/٦.

عَليّ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَن لا أَقْبَلَ هَدِيَّةً إِلاَّ من قُرَشِيّ أَوْ أَنْصَارِيّ أَوْ ثَقَفِيّ أَوْ دَوْسِيّ».

ذكر من قتل في هذه الغزوة

فمن المسلمين مُحْرِزُ بن نَضلة، أَحد بني أَسد بن خُزَيْمَة، وابن وقّاص بن مُجَزِّز - بميم مضمومة فجيم فزايين معجمتين، الأُولى مشددة مكسورة المدْلَجِيّ - فيما نقل ابن هشام عن غير واحد من أَهل العلم.

ومن الكفار مَسْعَدة بن حَكَمة - بفتحتين، وأُوثار - بضم الهمزة وبالثاء المثلثة عند محمد بن عمر، وابن سعد، وبالموحدة عند ابن إسحاق، وقال ابن عُقبة: أَوْبَار - بفتح الهمزة وسكون الواو فموحدة والله أَعلم.

وآبنه عمْرُو بن أَوبار، وحُبيْبٌ بن عُيَيْنة، وقِرفة بن مالك بن حُذَيْفة بن بدر، ووقع عند ابن عقبة: وقِرفة آمرأَةَ مَسْعدة.

ذكر بعض ما قيل من الشعر في غزوة ذي قرد

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

لَوْلاَ الَّذِي لاَقَتْ ومَسَّ نُسُورَهَا ... بِجَنُوبِ سَايَةَ أَمْسِ فِي التَّقْوَادِ
لَلَقِينَكُمْ يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ ... حَامِي الحَقِيقَةِ مَاجِدِ الأَجْدَادِ
وَلَسَرَّ أَوْلاَدَ اللَّقِيطَةِ أَنَّنَا ... سِلْمٌ غَدَاةَ فَوَارِسِ المِقْدَادِ
كُنَّا ثَمَانِيَةً وَكَانُوا جَحْفَلاً ... لَجِباً فَشُكُّوا بِالرِّمَاحِ بَدَادِ
كُنَّا مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ... وَيُقَدِّمُونَ عِنَانَ كُلِّ جَوَادِ
كَلاَّ وَرَبُّ الرَّاقِصَاتِ إِلى مِنًى ... يَقْطَعْنَ عُرْضَ مَخَارِمِ الأَطْوَادِ
حَتَّى نَبِيلَ الخَيْلَ في عَرَصَاتِكُمْ ... وَنَؤُوبَ بِالمَلَكَاتِ وَالأَوْلاَدِ
رَهْواً بِكُلِّ مُقَلِّصٍ وَطِمِرَّةٍ ... فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ عَطَفْنَ وَوَادِ
أَفْنَى دَوَابِرَهَا وَلاَحَ مُتُونَهَا ... يَوْمٌ تُقَادُ بِهِ وَيَوْمُ طِرَادِ
وَكَذَا الرِّعَانُ جِيَادُنَا مَلْبُونَةٌ ... وَالحَرْبُ مُشْعَلَةٌ بِرِيحِ غَوَادِ
وَسُيُوفُنَا بِيضُ الحَدَائِدِ تَجْتَلِي ... جُنَنَ الحَدِيدِ وَهَامَةَ المُرْتَادِ
أَخَذَ الإِلهُ عَلَيْهِمُ بِحَرَامِهِ ... أَيام ذي قَرَدٍ وجوهَ عِبَادِ

فلما قالها حسّان بنُ ثابت غضب عليه سعدُ بن زيد، وحلف أَن لا يكلمه أَبداً، ثم قال: آنطَلَقَ إِلى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد، فاعتذر إِليه حسّان، وقال: ماذاك أَردت ولكن الرّوي وافق اسمَ المقداد، وقال أَبياتاً يُرْضِي بها سعدا

إِذَا أَرَدتُّمُ الأَشَدَّ الجَلْدَا أَوْ ذَا غَنَاء فَعَلَيْكُمْ سَعَدَا
سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ لاَ يُهَدُّ هَدًّا

فلم يقبل منه سعد ولم يُغْنِ شيئا.

وقال كعبُ بن مالك في يوم ذي قَرَد للفوارس:

أَتَحْسَبُ أَوْلاَدُ اللَّقِيطَةِ أَنَّنَا عَلَى الخَيْلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الفَوَارِسِ
وَإِنَّا أُنَاسٌ لاَ نَرَى القَتْلَ سُبَّةً وَلاَ نَنْثَنِي عِنْدَ الرِّمَاحِ المَدَاعِسِ
وَإِنَّا لَنُقْرِي الضَّيْفَ مِنْ قَمَعِ الذُّرَى وَنَضْرِبُ رَأْسَ الأَبْلَجِ المُتَشَاوِسِ
نَرُدُّ كُمَاةَ المُعْلَمِينَ إِذَا انْتَخَوْا بِضَرْبٍ يُسَلِّي نَخْوَةَ المُتَقَاعِسِ
بِكُلِّ فَتًى حامِي الحَقِيقَةِ مَاجِدٍ كَرِيمٍ كَسِرْحَانِ الغَضَاةِ مُخَالِسِ
يَذُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَتِلاَدِهِمْ بِبِيضٍ تَقُدُّ الهَامَ تَحْتَ القَوَانِسِ
فَسَائِلْ بَنِي بَدْرٍ إِذَا مَا لَقِيتَهُمْ بِمَا فَعَلَ الإِخْوَانُ يَوْمَ التَّمَارُسِ
إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْدُقُوا مَنْ لَقِيتُمْ وَلاَ تَكْتُمُوا أَخْبَارَكُمْ فِي المَجَالِسِ
وَقُولُوا زَلَلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ بِهِ وَحَرٌ فِي الصَّدْرِ مَا لَمْ يُمَارِسِ

قال ابن إسحاق:

وقال شدّاد بنُ عارض الجُشَمِيُّ في يوم ذي قَرَدٍ، يعني لِعُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وكان عُيَيْنَةُ يكنى بِأَبِي مَالِكٍ:

فَهَلاَّ كَرَرْتَ أَبَا مَالِكٍ وَخَيْلُكَ مُدْبِرَةٌ تُقْتَلُ
ذَكَرْتَ الإِيَابَ إِلَى عَسْجَدٍ وَهَيْهَاتَ قَدْ بَعُدَ المُقْفَلُ
وَطَمَّنْتَ نَفْسَكَ ذَا مَيْعَةٍ مِسَحَّ النِّضَالِ إِذَا يُرْسَلُ
إِذَا قَبَّضَتْهُ إِلَيْكَ الشِّمَا لُ جَاشَ كَمَا اضْطَرَمَ المِرْجَلُ
فَلَمَّا عَرَفْتُمْ عِبَادَ الإِلَـ ـهِ لَمْ يُنْظِرِ الآخِرَ الأَوَّلُ
عَرَفْتُمْ فَوَارِسَ قَدْ عُوِّدُوا طِرَادَ الكُمَاةِ إِذَا أَسْهَلُوا
إِذَا طَرَدُوا الخَيْلَ تَشْقَى بِهِمْ فِضَاحاً وَإِنْ يُطْرَدُوا يَنْزِلُوا
فَيَعْتَصِمُوا فِي سَوَاءِ المُقَا مِ بِالبِيضِ أَخْلَصَهَا الصَّيْقَلُ

تنبيهات

الأول: ذو قَرَد ـ بفتح القاف والراء، وحُكِي الضَّم فيها، وحُكِيَ ضم أوله وفتح ثانيه. قال الحازميّ ـ رحمه الله ـ: الأَوَّل ضبطُ أصحاب الحديث، والضّم عن أهل اللغة، وقال

البَلاذُرِيّ ـ رحمه الله ـ الصَّواب الأَول.: وهي عَلَى نحو بريد مما يلي بلاد غَطَفَان، وقيل على مسافة يوم، قال السهيلي: والقَرَدُ في اللغة الصّوف.

الثاني: قال البخاريّ في صحيحه في غزوة ذي قَرَد: كانت قبل خَيْبَر بثلاث، وذكرها بعد الحُدَيْبِيَة قبْل خَيْبَر.

قال الحافظُ: ويؤيد ذلك ما رَوَاهُ الإمام أَحمد ومسلمُ مِنْ حديث إياس بن سلمة بن الأَكوع عن أَبيه فذكر قصة الحُدَيْبِيَة، ثم قصة ذي قَرَد، وقال في آخرها: فرجعنا ـ أَي من الغزوة ـ إلى المدينة، فَوَالله ما لَبِثْنا بالمدينة إلاَّ ثلاث ليال حتى خرجنا إِلى خَيْبَر.

وأَما ابن إِسحاق، ومحمد بن عمر وابن سعد فقالوا: كانت غزوة ذي قَرَد في سنة ستّ قبل الحُدَيْبِيَة.

قال محمد بن عمر وابن سعد في ربيع الأَوّل.

وقيل في جمادى الأُولى.

وقال ابن إِسحاق في شعبان فيها، فإنه قال: كانت غزوة بني لحْيَان في شعبان سنة ست، فلمّا رجع رسولُ الله ـ ﷺ ـ إلى المدينة لم يُقِمْ إلاَّ لَيَالِي حتى أَغارَ عُيَيْنَة بنُ حِصْن على لِقَاحِهِ ـ ﷺ ـ قال ابن كثير: وما ذكره البُخاريّ أَشبه بما ذكره ابن إِسحاق.

وقال أَبو العباس القرطبي ـ وهو شيخ صاحب التذكرة والتفسير ـ تبعاً لأَبي عمر ـ رحمهم الله: لا يختلفُ أَهل السّيَر أَنّ غزوة ذي قَرَد كانت قبل الحُدَيْبِيَة، يكون ما وقع في حديث سلمة وَهْمٌ مِنْ بَعْضِ الرّواة.

قال: ويحتمل أَن يجمع بأَنْ يقال يحْتَمَلُ أَن يكون ـ ﷺ ـ أَغْزَى سَرِيّةً فيهم سلمة بن الأَكْوَع إِلى خَيْبَر قبل فتحها، فأَخبر سلمة عن نفسه وعمَّن خَرَجَ معه، يعني حيث قال: خرجنا إِلى خَيْبَر قال: ويؤيده أَن ابن إِسحاق ذكر أَنّ رسول الله ـ ﷺ ـ أَغزى إِليها عبدَ اللّه بن رَوَاحَة قبل فتحها مرّتين. انتهى.

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ تعالى: وسِياقُ الحديثَ يأَبى هذا الجمع؛ فإن فيه بعدَ قوله: خَرَجْنَا إِلى خَيْبَر مع رسول الله ـ ﷺ ـ فجَعَل عمّي يَرْتَجِزُ بالقوم، وفيه قول النبي ـ ﷺ ـ من السّائِق وفيه مبارزة عمه لمرحب وقتل عامر، وغير ذلك مِمَّا وقع في غزوة خَيْبَر حيث خرج إِليها رسولُ الله ـ ﷺ ـ فعلى هذا ما في الصحيح أَصَحُّ مما ذكره أَهل السّيَر.

قال الحافظ: ويحتمل في طريق الجمع أَن تَكُونَ إِغارة عُيَيْنَة بنِ حِصن على اللِّقَاح وقعت مرَّتَيْن؛ الأُولى التي ذكرها ابن إِسحاق وهي قبل الحُدَيْبِيَة، والثانية بعد الحُدَيْبِيَة قبلَ الخروج إِلى خَيْبَر.

وكان رأسُ الذين أغاروا عبدَ الرحمن بن عُيَيْنَة كما في سياق سلمة عند مسلم، ويؤيّدهُ أنّ الحَاكِمَ ذكر في الإكليل أنَّ الخروج إلى ذي قَرَد تكرَّر، ففي الأُولى خرج إليها زيدُ بن حَارِثة قَبْل أُحُد، وفي الثانية خرج إليها النّبيّ - ﷺ - في ربيع الآخر سنة خمس، والثَّالثة هذه المُخْتَلَفُ فيها - انتهى. فإذا ثبت هذا قوي الجمعُ، الذي ذَكَرْتُه، والله أَعلم.

الثالث: في حديث سلمة عند مسلم: أَن عبدَ الرحمن بنَ عُيَيْنَة بن حِصن أَغار على اللِّقاح، وفي حديثه عند الطَّبراني أَنّه عُيَيْنَة بنُ حِصن، ولفظ ابن عقبة: أَنه عُيَيْنَة بنُ بدر، ويقال إن مسعدة كان رئيساً للقوم في هذه الغزوة، ولا مُنَافَاة بين ماذُكر؛ فإنَّ كُلاً منهما كان رئيساً فيهم، وكان حاضراً.

الرابع: حديث سلمة - رضي الله عنه - أَنه استنقذ جميع ظَهْر رسول الله - ﷺ - وعبارة بن عقبة: استنقذوا السّرح. والذي ذكره ابنُ إسحاق، وابنُ عمر، وابنُ سعد وغيرهم أَنه استنقذ من اللِّقاح عَشْرة فقط، وما في حديث سلمة - رضي الله عنه - هو المعتمد، لصحة سنده.

الخامس: في حديث سلمة - رضي الله عنه - أَنّ رسولَ الله - ﷺ - ركبَ في رجوعه إلى المدينة العضْبَاء، وأَرْدَف سلمة وراءه، وفي حديث عِمْرَانَ بنَ حُصَيْن السّابق: إن امرأَة أَبي ذرّ أَخذتها من العدو وركبتها.

السادس: في بيان غريب ما سبق:

حِصْن - بكسر الحاء الفَزَاريّ - بفاء مفتوحة فزاي فأَلف فَرَاء: قبيلةٌ من غَطَفَان.

غَطَفان: بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة المشالة، وبالفاء.

اللِّقَاح - بكسر اللام، وتخفيف القاف فمهملة: ذواتُ اللَّبن من الإبل، واحدها لَقْحة - بكسر اللام وفتحها، واللَّقُوح: الحلوب.

عُيَيْنَة - بضم العين المهملة وكسرها.

البَيْضَاء - تأْنيث أَبيض: اسم موضع عند الجبل.

الغابة - بالغين المعجمة، والموحدة: مال من أَموال عوالي المدينة.

الأَثل: شجر عظيم لا ثَمَرَ له، الواحدةُ أَثلة.

الطَّرْفاء: شجر من شجر البادية وشطوط الأَنهار، واحدتها طَرَفة بفتح الطاء والرّاء مثل قصبة وقصباء.

يثوب: يرجع.

الضاحية: الناحية البارزة.

ذويه: أَصحابه.

أَحْدَق به ـ بهمزة مفتوحة فحاء مهملة ساكنة فدال مهملة فقاف: أَطاف.

قبل أَن يُؤَذَّن بالأُولى: يعني صلاة الصّبح.

الظَّهْرُ: الرِّكَاب التي تحملُ الأَثْقَال في السَّفر.

أُندِّية ـ بضم أَوّله وبالنّون وتشديد الدّال المهملة؛ والتَّنْدِية أَن يورد الماء ساعة، ثم يرد إِلى المراعي ساعة ثم الماء، كذا قال أَبو عبيد والأَصمعي وقال ابن قُتَيْبَة: إِنما هو أَبَدِّيه ـ بالموحدة؛ أَي أخرجه إِلى البدو، وأَنكر الأَوّل. وقال: ولا يكون إِلا للإِبل خاصة وقال الأَصمعي التندية تكون للإِبل والخيل، أَو هو الصحيح وهذا الحديث يشهد له. وخطَّأَ الأَزهري ابن قُتَيْبَة وصَوَّبَ الأَوَّل.

السَّرْح ـ بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملات: المال السَّائِم المُرْسَلُ في المرعى.

سَلْع بفتح السّين المهملة، وسكون اللاَّم، وبالعين المهلمة: جبلٌ بالمدينة

يا صَبَاحَاه: كلمة تقال عند آسْتِنْفَارِ مَنْ كان غافلاً عن عدوِّهِ؛ لأَنهم أَكثر ما يغيرون عند الصّباح، ويسمّون يَوْمَ الغَارَة يَوْمَ الصَّبَاح.

اللّبتان: تثنية لابَة: وهي الحَرَّةُ؛ وهي الأَرض ذات الحجارة السّود.

أُرَدِّيهم ـ بضم الهمزة، وفتح الرَّاء، وتشديد الدَّال المهملة: يرميهم.

أَعقر بهم: أَقتلُ دوابهم.

الأَكْوَعُ ـ بهمزة مفتوحة، فكاف ساكنة، فواو مفتوحة، فعين مهملة العظيم الكَاع: الكوعُ؛ وهو طرَفُ الزند مِمَّا يلي الرّسْغ؛ والكوع طرفه الذي يلي الابهام، والكاع طرفه الذي يلي الخنصر وهو الكرسوع والكوع أَخفاهما وأَشدهما، دَرْمةً؛ والدَّرَم أَن لا يظهر للعظم حَجْمٌ.

اليومُ يومُ الرُّضَّعِ ـ بالرفع فيهما، وينصَب الأَول ويرفع الثاني على جعل الأَوّل ظَرْفاً. قال: وهو جائز إِذا كان الظَّرفُ واسعاً ولم يضق عن الثاني.

الرُّضَّع ـ بضمِّ الرَّاء كَرُكَّع، ورضاع: وهو اللئيم. قال السُّهَيْليّ: قال أَهل اللُّغَة: يقالُ في اللؤم ـ رَضَع ـ بالفتح ـ يَرْضُع بالضَّمِّ رضاعةً لا غير. وَرَضِعَ الصَّبِيُّ ثَدْيَ أُمِّه يَرْضَعُ بالفتح ـ رَضَاعاً مثل سَمِعَ. يسمع سماعا؛ والمعنى اليومُ يومُ هلاكِ اللئام، والأَصل فيه أَن شخصاً كان

شديد البخل، فكان إذا أَراد حلب ناقته آرتضع من ثديها لئلا يحلبها، فيسمعُ جيرانُه ومَنْ يمرُّ به صوتَ الحلْب فيطلبون منه اللَّبن. وقيل: بل صنع ذلك لئلاً يتبددَ من اللَّبن شيئاً إِذَا حلب في الإِناء، ويبقى في الإِناء شيء إِذَا شربه، فقالوا في المثل: «أَلأَم من راضع». وقيل غير ذلك.

الثنايا: جمع ثنية، وهي العقبة المسلوكة.

البَرْح ـ بفتح الموحدة وسكون الراء: المشدة والأَذى.

ذكر حث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في طلب العدو، وشرح غريبه

الفَزَعَ الفَزَعَ: منصوبان بفعل محذوف.

يَا خَيْلَ الله آرْكَبِي: على حذف مضاف؛ أَي يا فرسان خيل الله.

الأَرْيّ ـ بفتح الهمزة وسكون الراء، وتشديد التحتية: مربط الدابة، وقيل: معلفها. قال في العين: وقال الأَصمعي: هو حبل مربوطٌ في الأَرض ويبرز طرفه يربط به الدابة، وأَصله مِنَ الحبس والإِقامة؛ من قولهم: تأَرَّى بالمكان: أَقام به.

الحَائِطُ: البستان المحوط عليه.

فَرَساً صَنِيعاً ـ بفتح الصاد المهملة وكسر النون فتحتية ساكنة فعين مهملة، فعيل بمعنى مفعول، يُقال منه صنعت فرسي صُنْعاً، وصنعة: إذا أَحسنت القيام عليه، فهو صَنِيعٌ.

جَامًّا ـ بجيم وميم مشدَّدة: مرتاحاً له مدة لم يُركب.

بَذَّ الخَيْلَ ـ بفتح الموحدة وتشديد الذَّال المعجمة: سبقها. بجَمَاحِهِ: بفتح الجيم.

اللكيعة ـ بفتح اللام، وكسر الكاف، فتحتية ساكنة، فعين مهملة مفتوحة؛ اللئيمة.

من أَدباركم: مِنْ ورائكم.

جال الفرس ـ بالجيم: نَفَر من مكانه

يقتطعوك: يحول بيننا وبينك.

ثكلته أُمه: فقدته.

أَكْوَعُه، وفي لفظ: أَكوعي، برفع العين في الأَوّل لفظاً، وفي الثاني تقديرا؛ أَي أَنت الأَكوع الذي كنت بُكْرَةَ هذا النهار، ولهذا قال: نعم. لأَنه كان أَول ما لحق بهم صَاحَ بِهِم: أَنا آبن الأَكوع، فلما لحق بهم آخر النهار ـ وقال هذا القول قالوا: أَنت الذي كنت معنا بُكْرَة؟ قَال: نعم.

انتظمهما: نَفَذَ رُمْحُه أَو سَهْمُه فيهما.

الجُرء ـ بضم الجيم، وسكون الراء، وبالهمزة والجَرَاءة. بفتحتين، وبالمد ـ على

الشيء: الهجوم، والإِسراع بالهجوم عليه من غَيْر توقف.

أَصرت أُذنيها: جمعتهما.

الزَّوْرَاء: بفتح الزّاي وبالمد: موضع عند سوق المدينة قرب المسجد.

الشَّوْطُ ـ بالشين المعجمة والطاء المهملة: مسافة يعدوها الفرسُ كالميدان ونحوه.

ذُبَاب ـ بذال معجمة تضم وتكسر وموحدتين: جبل بالمدينة.

قمع دابّته: ذَلَّلَها.

يحاكيني: يُساويني في المشي.

فنشب ـ بنون فشين معجمة فموحدة: لبث.

القِدْح: بكسر القاف وسكون الدَّال وبالحاء المهملتين: السهم.

الفَارِه ـ بفاء وراء مكسورة: الخفيف النشيط.

كليلة: محيطة من جميع جوانبه.

المِغْفَر ـ بكسر الميم، وسكون الغين المعجمة، وفتح الفاء وبالراء: زَرَدٌ يُنْسجُ من الدُّروع على قدر الرأْس يُجْعَلُ تحت القَلَنْسُوَة.

أَثبتني: عرفني.

المجالدة: المُضَاربة بالسيوف.

المُطَاعَنَةُ: المضاربة بالرماح.

مُتَأَبِّطٌ: أَخذ شيئاً تحت إِبِطِه.

أَلحَثُ ـ بتخفيف الحاء المهملة: أَشرت.

شرح غريب ذكر خروج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لطلب العدو

المُقَنَّع ـ بضم الميم، وفتح القاف، وفتح النون المشددة، وبالعين المهملة: الذي لِبِسَ بيضة.

عَدْو: جَرْي.

يَجُوسُ: أَصل الجوس شِدَّة الاختلاط ومداركة الضرب.

الصَّرِيخ: بالمهملة، وبالخاء المعجمة: الاستغاثة.

الأَمْدَادُ ـ جمع مَدَدْ؛ وهم الأَعوان والأَنصار.

الشعار ـ بكسر الشين المعجمة: العَلاَمَة في الحرب.

أَمِتْ أَمِتْ: أمر بالإماتة؛ وتقدم بيانه في غزوتي بدر وأُحد.

السَّطِيحَةُ: المزادَةُ التي تكون من أَديمين، قُوبِلَ أَحدهما بالآخر فسطح عليه، وهي من أَواني المياه.

المَذْقة ـ بفتح الميم، وسكون الذال المعجمة القليل من لبن ممزوج بماء (أَجليتهم عنه) بفتح الهمزة وسكون الجيم طردتهم (حميت القوم الماء) منعتهم من الشرب (النواجذ) جمع ناجذ بالذال المعجمة. السن بين الأَضراس؛ والمراد هنا الأَنياب.

العَضْبَاء: ناقة النبي ـ ﷺ.

عدا: عدوا على الرجلين.

أَسْجِحْ ـ بقطع الهمزة، وسكون السين المهملة، وكسر الجيم، وبالحاء المهملة: أَرْفُقْ وسَهِّلْ وآعف وآسمح؛ والإِسْجَاحُ: حسن العفو.

يُغْبَقُون ـ بتحتِيَّةٍ مضمومة، فغين معجمة ساكنة، فموحدة مفتوحة؛ الغبوق: الشرب بالعَشِيّ، أَي يسقون اللبن بالعَشِيّ.

يُقْرَون ـ بضم التحتية، وسكون القاف، وفتح الراء يُضَيَّفُون.

يتحسَّبُ ـ بفتح الحاء والسين المشددة المهملتين فموحدة يتعرَّف ويستخبر.

طفرت ـ بالطاء والراء المهملتين بينهما فاء: وثبت ونفرت.

رَبَطْتُ نفسي: حبستها عن الجري.

الشرف: ما آرتفع عن الأَرض.

أَصُكّ بين كتفيه: أَضرب.

شرح غريب شعر حسان ـ رضي الله عنه ـ

النسور ـ بنون، فسين مهملة: جمع نسر، وهو هنا ما يكون في بطن حافر الدابة كأَنها نواة أَو حصاة، وأَضمر ذكر الخيل وإِن لم يتقدم لها ذكر، لأَن الكلام يدل عليها، وفي الفرس عشرون عضواً كل عضو منهما، سمي باسم طائر.

ساية ـ بسين مهملة، فأَلف فتحتية؛ اسم قرية جامعة من عمل الفرع بها أَكثر من سبعين عينا.

التَّقْوَاد ـ بفوقية مفتوحة مشددة، فقاف ساكنة، وآخره دال مهملة؛ أَي جَرّها بالمِقْوَد من أَمام. والسَّوق: من خلف.

المدجج ـ بضم الميم، وفتح الدال، وفتح الجيم الأُولى وتشديدها وتكسر: الكامل السلاح.

الحامي: المانع.

الحقيقة: بحاء مهملة، وقافين بينهما تحتية: ما يحقُّ على الرجل أَن يحميه.

الماجد: الشريف.

بنو اللَّقِيطَة: هم المُلْتَقَطُون الذين لا يُعرف آباؤهم.

السَلِم ـ بفتح السين المهملة، وكسرها: الصلح.

الجَحْفَل ـ بجيم مفتوحة، فحاء مهملة ساكنة، ففاء مفتوحة، فلام؛ الجيش الكثير.

اللَّجِب ـ بفتح الهمزة واللام الثانية: وكسر الجيم، وبالموحدة: الكثير الأَصوات.

شُكُّوا: بشين معجمة، فكاف مشددة، والشَّك ـ بالفتح هنا الطعن، ورُوي باللاَّم، وهو الطرد.

بَدَاد ـ بموحدة مفتوحة فدالين مهملتين من التَّبدُّد؛ وهو التَّفَرُّق؛ بُني على الكسر، وهو في موضع نصب، كأَنتصاب المصدر في قولك: مشيت القهقرى، وقعَدْتُ القُرْفُصَاء، كأَنه قال: طعنوا الطَّعنَة التي يُقال لها بَدَاد.

الجواد: من الخيل السريع.

الرَّقِصَات. هنا الإِبل؛ والرَّقْصُ والرَّقَصَانُ؛ ضرب من مشيها.

المَخَارِم ـ بالخاء المعجمة جمع مَخْرم: وهو ما بين الجبلين.

الأَطْوَاد: الجبال المرتَفِعة.

نُبِيل الخيل، من لفظ التبول؛ أَي نجعلها تَبُول.

نَؤُوب: بفتح الفوقية، وبالهمزة: نرجع.

المَلَكَاتِ: النساء اللاَّتي أَملكن.

الرَّهْوُ: بفتح الراء المشي في سكون.

المُقَلَّص: المشمر.

طِمِرَّة فرس: وَثَّابَة سريعة.

المُعْتَرك: موضع الحرب.

رِواد: مَنْ رواه بفتح الراء فَمَعناه: سريعات، مِنْ رَدَى الفرسُ يُرْدِي: أَسرع؛ أَي تُرْدِي بفرسانها؛ أَي تسرع. ومَنْ رواه بكسر الراء فهو من المشي الرُّويد؛ وهو الذي فيه فتور.

دَوَابرَها: أَواخرها.

لاَحَ: غَيَّر وأَضْعَف.

متونُها: ظهورها.

الطِّرَاد: مطاردة الأَبطال بعضهم بعضاً.

الجياد: جمع جواد، تقدم.

مَلْبُونَةٌ: تسقي اللّبن.

مُشْعَلَةٌ: موقدة.

غَوَادٍ ـ جمع غادية.

تَجْتلي ـ بفوقية مفتوحة، فجيم معجمة ساكنة، فموحدة، فلام مكسورة؛ تَقْطَع.

الجُنَنُ ـ بضم الجيم، ونونين جمع جُنَّة كذلك السلاح.

الهامة: الرأْس.

المُرْتَاد: الطالب للحرب هنا.

الأَسْدَادِ: جمع سَدّ، بفتح السين: ما يسد به على الإِنسان فيمنعه عن وجهه.

عِبَاد ـ بكسر المهملة: أَحد جمع عبد.

شرح غريب قصيدة كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ

نَنْثَنِي: نرجع.

المَدَاعِس: المطاعن، واحدها مدعس، يقال دعسه بالرمح إِذا طعنه.

القُمُع ـ بقاف، فميم مضمومتين فعين مهملة جمع قمعة؛ وهي أَعلى سنام البعير.

الذُّرَى ـ بضم الذال المعجمة، وفتح الراء: الأَسنمة.

الأَبْلَخ ـ بفتح الهمزة، وسكون الموحدة، وبالخاء المعجمة: المتكبر.

المتشَاوس ـ بفوقية فشين معجمة، وآخره سين مهملة: الذي ينظر بمؤخر عينه نظر متكبر.

المُعْلِمين ـ بسكون العين، وكسر اللام.

الكُمَاة ـ بضم الكاف: الشجعان.

انتخوا: تكبروا.

يُسَلِّي ـ بضم أَوله، وفتح ثانيه، وتشديد اللام.

النَّخْوة ـ بفتح النون، وسكون الخاء المعجمة: العظمة والتكبر.

المتقاعِس: الذي لا يلين ولا ينقاد.

السِّرْحَان: الذئب.

الغَضَاةُ: شجرة، وجمعها غَضًى: ويقال: أَخبث الذئاب ذئاب الغضى.

المخالس: الذي يخطف الشيء سرعة على غفلة.

يذودون: يمنعون ويدفعون.

الأَحساب: جمع حَسَب بفتحتين: ما يعدُّ من المآثر.

التِّلاد: بكسر الفوقية: المال القديم.

تَقُدُّ: تقطع.

القَوَانِس ـ بالقاف: أَعالي بيض الحديد، واحدها قونس.

التَّمَارُسُ: المضاربة في الحرب والمقاربة

المخالب ـ بميم فخاء معجمة مفتوحتين: جمع مِخْلب ـ بكسر الميم؛ ظُفر كل سَبُع من الماشي والطائِر، أَو هو لما يصيد من الطير، والظفر لما لا يصيد.

الخادِر: الأَسد في خِدْره؛ وهي الأَجمة.

الوَحَرُ: بالحاء والراء المهملتين: الحقد.

شرح غريب قصيدة شداد بن عارض الحشمي ـ رضي الله عنه ـ

الإِيَاب: الرجوع.

عَسْجَد: بلفظ اسم الذهب: اسم موضع.

وهيهات: اسم فعل بمعنى بَعُدَ.

المَقْفَل: الرجوع.

ذو مَيْعَة: فرسٌ ذو نشاط.

المِسَحّ ـ بكسر الميم، وفتح السين، والحاء المشددة، المهملتين؛ الكثير الجري.

الفَضَاء ـ بالفاء المعجمة: المتسع من الأَرض.

جاش ـ بالجيم، والشين المعجمة: تحرك وغَلَى.

اضْطَرَمَ: ويروى بالباء؛ أَي في جريه، وبالموحدة؛ أَي تَحَرك.

المرجل: بكسر الميم: القِدْر.

لم ينظر: لم ينتظر.

أَسْهَلُوا: أَخذوا في سهل الأَرض.

الفِضَاح: الفاضحة ـ بالفاء، والضاد المعجمة والمهملة.

الصيقلُ: الذي يزيل ما على السلاح من الصدأ.

الباب الرابع والعشرون

في غزوة خيبر

قال ابن عقبة، وابن إسحاق: ولمَّا قَدِم رسولُ الله - ﷺ - المدينة من الحُديْبيَة - زاد بن إسحاق في ذي الحجة - مكث بها عشرين ليلة أَوْ قريباً منها، ثم خرج غادياً إلى خيبر - زاد بن إسحاق في المحرم - وكان الله - عزَّ وجلَّ - وعده إيَّاها وهو بالحُدَيبيَة، فنزلت عليه سورة لفتح فيما بين مكة والمدينة، فأعطاه الله - تعالى - فيها خيبر: ﴿وَعَدَكُم الله مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُم هَذِه﴾ [الفتح ٢٠] - خيبر.

قال محمد بن عمر: أَمر رسولُ الله - ﷺ - أَصحابَه بالخروج فجدُّوا في ذلك، وآستَنْفَرَ مَنْ حوْلَه مِمَّن شهد الحُدَيْبية يغزون معه، وَجَاءهُ المُخَلَّفُون عنه في غزوة الحُدَيْبيَة ليخرجوا معه رجاء الغنيمة، فقال: «لا تَخْرُجوا مَعِي إلاَّ رَاغِبِينَ في الجِهَاد، فَأَمَّا الغَنِيمَةُ فَلاَ».

قال أَنس - رضي الله عنه -: وقال رسول الله - ﷺ - لأَبي طلحة - رضي الله عنه - حين أَراد الخروج إلى خيبر: «الْتَمِسُوا إِلَيَّ غُلاَماً مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمني» فخرج أَبو طلحة مُرْدفي وأَنا غُلاَم، قَدْ رَاهَقْت، فكان رسول الله - ﷺ - إذا نزل خَدَمْتُه - ، فسمعته كثيراً ما يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن الهَمِّ والحزن وَالعَجْز وَالكَسَلِ وَالبُخْل وَالجُبْنِ وضلع الدَّيْن وَغَلَبَة الرِّجَال» رواه سعيد بن منْصُور.(١)

وآستخلَفَ رسولُ الله - ﷺ - على المدينة. قال ابن هشام: نُميلة أَيْ بضم النون، وفتح الميم، وسكون التحتية، ابن عبد اللّه الليثي. - كذا قال والصحيح سِباع - بكسر السين بن عُرْفُطة - بعين مهملة مضمومة فراء ساكنة ففاء مضمومة، فطاء مهملة كما رواه الإمام أَحمد، والبخاري في التاريخ الصغير، وابن خزيمة، والطحاوي، والحاكم، والبيهقي عن أَبي هريرة - رضي الله عنهم(٢).

وأَخرج معه أُم المؤمنين أُم سلمة - رضي الله عنها.

ولـمَّا تجهز رسولُ الله - ﷺ - والناس شق على يهود المدينة الَّذين هم مُوادِعُوا رسول الله - ﷺ - وعرفوا أَنَّه إنْ دَخَل خيبر أَهلك أَهْلَ خيبر، كما أَهلَكَ بني قَيْنُقَاع، والنَّضِير وقُرَيْظَة. وَلَـمْ يَبْق أَحدٌ من يهود المدينة له على أَحدٍ من المسلمين حقٌّ إلا لزمه.

وروى محمد بن عمر عن شيوخه، وأَحمد، والطبراني عن آبن أَبي حَدْرَد بمهملات

---

(١) أَخرجه البخاري ١١/١٧٧ (٦٣٦٣)، وأحمد في المسند ١٥٩/٣ والنسائي ٢٧٤/٨، والبيهقي ١٢٥/٩.

(٢) أَخرجه البخاري في التاريخ الصغير ٤٣/١، والبيهقي في الدلائل ١٩٨/٤.

وزن جعفر - بسندٍ صحيح أنه كان لأَبي الشَّحْم اليهودي خمسة دراهم، ولفظ الطبراني: أَربعة دراهم في شعير أَخذه لأَهله فلزمه. فقال: أَجِّلْنِي فإني أَرجو أَن أَقدم عليك فأَقضيك حقَّك إن شاء الله، قد وعد الله - تعالى - نبيَّه أَن يُغْنِمَهُ خيبر، فقال أَبو الشَّحْم حسداً وبَغْياً: أَتَحْسَبُون أَنَّ قِتال خيابر مثل ما تَلقُون من الأَعراب، فيها - والتَّوراة - عشرةُ آلاف مُقاتل، وترافعا إلى رسول الله - ﷺ - فقال رسول الله - ﷺ: «أَعْطِه حَقَّه» قال عبد اللّه: والذي بعثك بالحق ما أَقدر عليها قال: أَعطه حقه. قال وكان رسول الله - ﷺ - إذا قال ثلاثاً لم يراجع. قال عبد اللّه: فخرجت فبعتُ أَحدا ثوْبي بثلاثة دراهم، وطلبت بقية حَقِّه فدفعت إليه ولبست ثوبي الآخر. وأَعطاني ابن أَسلم بن حريش بفتح الحاء وكسر الراء وبالشين المعجمة ثوباً آخر(١).

ولفظُ الطَّبراني: فخرج به آبن أَبي حَدْرَد إلى السُّوق وعلى رأْسه عصابة وهو يأْتزر بمئزر، فنزع العمامة عن رأْسه فأْتزرَ بها، ونزع البردة فقال: اشترِ منِّي هذه، فباعها منه بالدراهم فمرتّ عجوز فقالت: مالك يا صاحِبَ رسول الله - ﷺ - فأَخبرها، فقالت: هَاذُونَك هذا البرد، فَطَرَحَتْه عليه، فخرجت في ثوبين مع المسلمين، ونفلني الله - تعالى - من خيبر، وَغنمتُ آمرأَةً بينها وبين أَبي الشحم قرابةٌ، فبعتها منه.

وجاء أَبو عَبس - بموحدة - ابن جَبْر - بفتح الجيم وسكون الموحدة، فقال يا رسُولَ الله ما عندي نفقةٌ ولا زادٌ ولا ثوبٌ أَخرجُ فيه، فأَعطاه رسولُ الله - ﷺ - شقة سُنْبُلاَنِيَّة: جنس من الغليظ شبيه بالكرباس. قال سلمة: خرجنا مع النبي - ﷺ - إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأَكوع أَلا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعراً فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا اتَّقَيْنَا ... وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا

وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا ... إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا

وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فقال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ هَذَا السَّائِقُ؟ قالوا: عامر بن الأَكوع قال: «يرْحَمُه الله» وفي رواية «غَفَرَ لَكَ رَبك». قال: وما آستَغْفَرَ رَسولُ الله - ﷺ - لإنسانٍ يَخُصُّه إلاَّ آسْتُشْهِد. فقال عُمَرُ - وهو على جملٍ: وجَبَتْ يا رسول الله: لولا أَمتَعْتَنا بِعَامر(٢).

---

(١) أَخرجه أحمد في المسند ٤٢٣/٣ والطبراني في الصغير (٢٣٤) وانظر المجمع ١٢٩/٤ وقال رجاله ثقات إلا أن محمد بن أبي يحيى لم أجد له رواية عن الصحابة فيكون مرسلاً صحيحاً.

(٢) أَخرجه البخاري ٥٣٠/٧ (٤١٩٦) واخرجه مسلم ١٤٢٧/٣ (١٢٣/١٨٠٢)، والبيهقي في الدلائل ٢٠١/٤.

روى الحارث بن أَبي أُسامة عن أَبي أُمامة، والبيهقي عن ثوبان - رضي الله عنهما - أَن رسول الله - ﷺ - قال في غزوة خيبر: «مَنْ كَانَ مُضْعِفاً أَو مُصَعِّباً فَلْيَرْجع». وأَمر بلالاً فنادى بذلك، فرجع ناسٌ، وفي القوم رجُلٌ على صعب، فمر من اللَّيل على سواد فَنَفَرَ به فصرعه فلما جاؤوا به رسول الله - ﷺ - قال: «مَا شَأْنُ صَاحِبِكُم؟» فأَخبروه، فقال: «يا بلال، ما كنت أَذَّنْتَ فِي النَّاس، مَنْ كَانَ مُضْعِفاً أَوْ مُصَعِّباً فَلْيَرْجِعْ»؟ قال: نعم. فأَبى أَن يصلي عليه. زاد البيهقي، وأَمر بلالاً فنادى في الناس «الجنة لا تحل لعاص» ثلاثاً[1].

قال محمد بن عمر: وبَيْنَا رسولُ الله - ﷺ - في الطريق في ليلةٍ مُقْمرة إِذْ أَبصر رجلا يسيرُ أَمامه عليه شيء يبرق في القمر كأَنه في شمس وعليه بيضة فقال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ هَذَا»؟ فقيل: أَبو عَبس بن جبر فقال رسول الله - ﷺ - «أَدركوه قال: فأَدركوني فحبسوني، فأَخذني ما تقدم وما تأَخر، فظننت أَنَّه قد أُنْزِلَ فِيَّ أَمْرٌ من السَّماء، فجعلتُ أَتذكَّرُ ما فعلتُ حتى لحقني رسول الله - ﷺ - فقال: «مَا لَكَ تَقْدُمُ النَّاسَ لاَ تَسِيرُ مَعَهُم»؟ قلتُ: يا رسول الله: إِنَّ ناقتي نَجِيبة، قال: فأَين الشُّقَيْقَة التي كسوتك» قلت يا رسول الله: بعْتُها بثمانية دَرَاهم، فتزودتُ بدرهمين وتركتُ لأَهلي دِرْهمين، وآبْتَعْتُ هذه البردة بأَربعةِ دَرَاهم. فتبسَّم رسول الله - ﷺ - ثم قال: «أَنت والله يا أَبا عَبْس وأَصحابك من الفقراء والَّذي نَفْسِي بِيَده، لَئِن سَلِمْتُم وعِشْتُمْ قَلِيْلاً ليكثرنَّ زادُكم، وليكثرنَّ ما تتركون لأَهْلِيكم ولتكثرنَّ دَرَاهِمُكُم وَعَبيدُكم وَمَا ذَلِكَ لَكُمْ بِخَيْرٍ». قال أَبو عَبْس: فكان والله كما قال رسول الله - ﷺ -.

قال سُويد بن النُّعمان - رضي الله عنه -: إِن رسولَ الله - ﷺ - لمَّا وصل إِلى الصَّهْبَاء - وهي أَدنى خيبر - صلَّى العَصْر، ثمَّ دعا بالأَزواد، فلم يؤت إِلاَّ بالسويق، فأَمر به فَثُرِّي فأَكل رسولُ الله - ﷺ - وأَكلنا معه، ثم قام إِلى المغْرب فَمَضْمَضَ ومضمضنا ثم صلَّى ولم يتوضأْ. رواه البخاري،[2] والبيهقي. زاد محمد بن عمر: ثم صلى بالناس العشاء، ثم دعا بالأَدلاء فجاء حُسَيْل بن خارجة وعبد اللّه بن نعيم الأَشجعي فقال رسول الله - ﷺ - لحُسَيْل: يا حُسَيْل: امْضِ أَمَامَنَا حتى تأْخذ بنا صدور الأَودية حتى تأْتي خيبر من بينها وبين الشام، فأَحول بينهم وبين الشام وبين حُلَفائِهم من غَطَفَان» فقال حُسَيْل: أَنا أَسلكُ بك، فأَنتهى به إِلى موضع له طُرُق، فقال: يا رسولَ الله إِن لها طُرُقاً تُؤتى منها كلها. فقال رسولُ الله - ﷺ - «سَمِّهَا لِي» وكان رسولُ الله - ﷺ - يُحبُّ الفأْل الحسن والاسم الحسن، ويكره الطِّيَرَة، والاسم القبيح، فقال: لها طريقٌ يُقَال لَها حَزَن، وطريق يقال لها: شاش، وطريقٌ يُقالُ لها حاطب، فقالَ

(١) الطبراني في الكبير ٢٢٧/٧.
(٢) أخرجه البخاري ٥٢٩/٧ (٤١٩٥).

رسولُ الله ـ ﷺ ـ «لاَ تَسْلُكها». قال: لَمْ يَبْقَ إِلا طريقٌ واحد يقال له: مَرْحَب، فقال رسول الله ـ ﷺ «اَسْلُكها».

ذكر دعاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أشرف على خيبر

روى ابن إسحاق عن أَبي مُعَتِّب بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ وهو بغين معجمة، وثاء مثلثة عند ابن إسحاق، وبعين مهملة مفتوحة ففوقية مشدَّدة فموحدة عند الأَمير، ومحمد بن عمر عن شيوخه، قالوا: إن رسول الله ـ ﷺ ـ لمَّا أَشرف على خيبر، قال لأَصحابه: «قِفُوا» فوقفوا. فقال: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْع وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبَّ الأَرَضِيْنَ السَّبْعَ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِين وَمَا أَضْلَلْن، وَرَبَّ الرِّيَاح وَمَا أَذْرَيْنَ فإنا نَسْأَلك مِنْ خَيْرِ هَذِه القَرْيَة وَخَيْر أَهْلِها، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيْها، أَقْدِمُوا بِسْمِ الله». وكان يقولها لكل قرية يريد دخولها. وَرَوَاه النسائي وابن حِبَّان عن صُهيب(١).

ذكر وصول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى خيبر

قال محمد بن عمر: ثم سار رسول الله ـ ﷺ ـ حتَّى انتهى إلى المنزلة؛ وهي سوق لخيبر، صارت في سَهْم زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ فعرَّس رسول الله ـ ﷺ ـ بها ساعة من الليل، وكانت يهودُ لا يَظنُّون قبل ذلك أَنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يغزوهم لمنعتهم وسِلاَحِهم وَعَدَدِهِم، فلما أَحسُّوا بِخُروج رسُولِ الله ـ ﷺ ـ إليهم قامُوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً، ثم يقولون: محمدٌ يغزونا هيهات هيهات!! وكان ذلك شأْنهم، فلما نزلَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ بسَاحتهم لم يتحركوا تلك الليلة ولم يصِحْ لهم دِيْك حتى طلعت الشمس، فأَصبحوا وأَفئدتهم تخفق وفتحوا حُصُونَهم غَادِين معهم المَسَاحي، والكرازين والمكاتل، فلمَّا نظروا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ولَّوا هاربين إلى حصونهم.

وروى الإمام الشافعي، وابن إسحاق، والشيخان من طرق عن أَنس ـ رضي الله عنه ـ قال: سار رسول الله ـ ﷺ ـ إلى خيبر، فانتهى إليها ليلاً، وكان رسولُ الله ـ ﷺ ـ إذا طرق قوماً بليل لم يُغِرْ عليهم حتى يُصبح، فإذا سمع أَذَانا أَمْسَك، وإن لم يسمع أَذاناً أَغار عليهم حتى يُصْبِح، فصلينا الصُّبح عند خيبر بغلس، فلم نسمع أَذانا، فلما أَصبح ركب رَسولُ الله ـ ﷺ ـ وركب معه المسلمون وأَنا رديفُ أَبي طلحة، فأَجرى نَبيّ الله ـ ﷺ ـ فانحسر عن فخذ رسول الله ـ ﷺ ـ فإني لأَرى بياضَ فَخِذِ رسولِ الله ـ ﷺ ـ وإنَّ قدمي لتمسُّ قَدَمَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (٢٥٦٥) والبخاري في التاريخ الكبير ٤٧٢/٦ والطبراني في الكبير ٣٩/٨، والبيهقي في الدلائل ٢٠٤/٤ وابن السني (٥١٨).

وخرج أَهلُ القرية إِلى مَزَارِعِهم بمكاتلهم ومَسَاحيهم، فَلَمَّا رأَوا رسولَ الله ـ ﷺ ـ قالوا: محمَّدٌ والخميس. فأَدبروا هرباً. فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ ورفع يديه: «الله أَكْبر، خربت خيبر، إِنَّا إِذَا نَزَلْنا بساحةِ قوم فساء صَباحُ المُنْذَرين»(١).

وروى الترمذي وابن ماجه والبيهقيُّ، بسندٍ ضعيف عن أَنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسولُ الله ـ ﷺ ـ يومَ خيبر على حمارٍ مَخْطُوم برَسَن من ليف، وتحته إِكاف من ليف(٢).

قال ابن كثير: الذي ثبت في الصحيح؛ أَن رسولَ الله ـ ﷺ ـ جرى في زقاق خَيبر حتى آنحسر الإِزار عن فخذه فالظاهر أَنه كان يومئذ على فرسٍ لا على حمار، قال: ولعلَّ هذا الحديث ـ إِنْ كان صحيحاً ـ محمولٌ على أَنه ركبه في بعض الأَيام، وهو مُحَاصِرُهَا.

قال محمد بن عمر ـ رحمه الله ـ وجاء الحُبَاب ـ بضم الحاء المهملة، وموحدتين ابن المنذر ـ رضي الله عنه ـ فقال: يا رسول الله إِنك نزلت منزلك هذا، فإِن كان من أَمرٍ أُمِرْتَ به فلا نتكلم، وإِن كان الرأْي تكلَّمنا. فقال ـ ﷺ ـ «هُوَ الرَّأْي» فقال: يا رسول الله. دَنَوْتَ من الحُصون، ونزلْتَ بين ظَهْرَي النخل، والنَّزّ معَ أَنّ أَهل النّطاة لي بهم معرفة، ليس قوم أَبعدَ مدى سهمٍ منهم، ولا أَعدَل رمية منهم، وهم مرتفعون علينا، ينالنا نبلُهم، ولا نأْمن من بياتهم، يدخلون في خَمَر النخل فتحوَّل يا رسول الله ـ ﷺ ـ إِلى موضع بَرِيءِ من النزّ ومن الوباء نجعل الحرة بيننا وبينهم حتى لا تنالنا نبالهم ونأْمن من بياتهم ونرتفع من النزّ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «أَشَرتَ بِالرَّأْي، وَلَكِنْ نُقَاتِلهم هَذَا اليَوم»(٣).

ودعا رسول الله ـ ﷺ ـ محمد بن مَسْلَمَة ـ رضي الله عنه ـ فقال: انْظُرْ لَنَا مَنْزلا بعيدا مِن حصونهم بريئاً من الوباء، نأْمنُ فيه مِنْ بَيَاتِهم، فطاف محمد حتى أَتى الرَّجيع، ثم رجع إِلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله وجدتُ لك منزلاً، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «عَلَى بَرَكَة الله»(٤).

ذكر ابتدائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأهل النطاة

صفَّ رسولُ الله ـ ﷺ ـ أَصحابه ووعظهم وأَنهاهم عن القتال حتى يأْذن لهم، فعمد رجلٌ من أَشجع فحمل على يهودي وحمل عليه اليهودي فقتله، فقال الناسُ: آسْتُشْهِدَ فلان،

---

(١) أخرجه البخاري ٨٩/٢ (٦١٠، ٢٩٩١)، ومسلم ١٤٢٦/٣ (١٢٠/ ١٣٦٥).

(٢) أخرجه الترمذي ٣٣٧/٣ (١٠١٧) وابن ماجه (٤١٧٨)، الحاكم في المستدرك ٤٦٦/٢ والبيهقي في الدلائل ٤/ ٢٠٤، وانظر الدر المنثور ١١١/٦.

(٣) اخرجه ابن سعد في الطبقات ١٠٩/٢/٣.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٢٩١).

فقال رسولُ الله - ﷺ -: «أَبَعْد ما نهيت عن القتال؟. قالوا: نعم. فأمر رسولُ الله - ﷺ - مُنادِياً فنادى في النَّاس «لا تحل الجنة لعاص».

وروى الطبراني في الصغير عن جابر - رضي الله عنه - أَن رسولَ الله - ﷺ - قال يومئذ: «لا تَتَمَنَّوا لِقَاء العَدُوّ، وَاسْأَلُوا الله تَعَالَى العَافِيَة، فإنكم لاَ تَدْرُونَ مَا تُبْتَلون بِه مِنْهم، فإذَا لَقِيتُمُوهُم فَقُولُوا: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا وربهُم، وَنَوَاصِينَا وَنَوَاصِيهِم بِيَدِك، وإنمَا تَقْتُلهُم أَنْتَ، ثُمَّ الزَمُوا الأَرض جُلُوساً، فإذا غشوكُم فَانْهَضُوا، وَكَبِّرُوا»، وذكر الحديث[(١)].

قال ابن إسحاق، ومحمد بن عمر، وابن سعد: وفرّق رسولُ الله - ﷺ - الرايات، ولم تكن الرَّايات إلاَّ يوم خيبر، وإنما كانت الألوية.

وكانت رايةُ رسُول الله - ﷺ - سوداء من بُرْد لعائِشة - رضي الله عنها - تُدعى العُقَاب، ولواؤه أَبيض، دفعه إلى عَلِيِّ بْنِ أَبي طالب - رضي الله عنه - ودَفَع رايةً إلى الحُبَاب بن المنذر، وراية إلى سعد بن عُبَادة، وكان شعارهم «يَا مَنصورُ أَمِتْ»[(٢)].

وأَذِنَ رسولُ الله - ﷺ - في القتال، وحثَّهم على الصَّبر، وأَوّل حصنٍ حاصره حصن ناعم بالنُّون، والعين المهملة، وقاتل - ﷺ - يوْمَهُ ذلك أَشدَّ القتال، وقاتله أَهلُ النَّطَاة أَشد القتال، وتَرّس جماعةٌ من أَصحابِ رسولِ الله - ﷺ - يومئذ، وعليه - كما قال محمد بن عمر - دِرْعَان وبَيْضة ومِغْفَر، وهو على فرسٍ يقال له الظَّرِب، وفي يده قناةٌ وتُرس.

وتقدَّم في حديث أَنس: أَنه كان على حمار فيحتمل أَنَّه كان عليه في الطريق، ثم رَكِبَ الفرس حال القتال. والله أَعلم.

فقَالَ الحُبابُ: يا رسول الله لو تحولت؟ فقال: «إذا أَمْسَيْنَا - إنْ شاء الله - تحوَّلْنَا».

وجعلت نبل يَهُود تُخَالِط العسكَر وتجاوزه، والمسلمون يَلْتَقِطُون نَبْلَهم ثم يردُّونها عليهم. فلَمَا أَمسى رسولُ الله - ﷺ - تحوّل إلى الرَّجيع وأَمَرَ النَّاسَ فتحوّلُوا، فكان رسولُ الله - ﷺ - يغدُو بالمسلمين على راياتهم حتَّى فتح الله الحصنَ عليهم.

ذكر أخذ الحمى المسلمين ورفعها عنهم ببركته - صلى الله عليه وسلم -

وروى البَيْهَقِي عن طريق عاصم الأَحول عن أَبي عثمان الفهري وعن أَبي قلابة وأَبي نعيم، والبيهقي عن عبد الرحمن بن المرقع - رضي الله عنه - ومحمد بن عمر عن شيوخه

(١) بنحوه أَخرجه مسلم في الجهاد باب ٦ رقم (٢٠)، وهو عند البخاري بنحوه أيضاً في الصحيح حديث (٧٢٣٧)، والدارمي ٢١٦/٢ وعبد الرزاق (٩٥١٣) (٩٥١٨) وأبو داود في الجهاد باب ٩٧.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلا ئل ٤٨/٤ وذكره ابن حجر في المطالب (٤٢٠٢) والواقدي في المغازي ٤٠٧/١.

ـ رحمهم الله تعالى ـ أَن المسلمين لمّا قدِمُوا خَيْبَرَ أكلوا الثَّمَرَة الخضراء وهي وَبيئَةٌ وخيمةٌ، فأَكلوا من تلك الثمرة. فأَهمدتهم الحُمَّى، فشكوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «قَرِّسوا المَاء في الشِّنَان، فإذا كان بين الأَذَانين فآحْدرُوا المَاء عليكم حَدْراً، وآذكُرُوا اسْمَ الله ـ تَعَالى» ففعلوا فكأَنَّما نشطوا من العقل[1].

ذكر فتحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حصن الصعب بن معاذ بن النطاة وما وقع في ذلك من الآيات

لم يكن بخيبر حصن أَكثر طعاماً ووَدكاً وماشية ومتاعاً منه، وكان فيه خمسمائة مقاتل، وكان الناس قدْ أَقاموا أَيّاماً يُقَاتِلُون ليس عندهم طعامٌ إلاَّ العُلَق.

وروى محمد بن عمر عن أَبي اليسر كعب بن عمر ـ رضي الله عنه ـ: أَنّهم حاصروا حِصْن الصَّعْب بن مُعاذ ثلاثة أَيام، وكان حصناً منيعاً، وأَقبلت غَنَمٌ لِرَجُلٍ من يهود ترتع وراء حصنهم، فقالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ «منْ رَجُل يطعِمُنَا من هذه الغنم»؟ فقلتُ: أَنا يا رسول الله فخرجت أَسعى مثل الظَّبي، وفي لفظٍ: مثل الظَّليم، فلمّا نظر إليّ رسولُ الله ـ ﷺ ـ مُوَلِّياً قال: «اللهم مَتِّعْنَا به» فأَدركْتُ الغَنَم ـ وقد دخل أَوَّلُها الحصنَ ـ فأَخَذْتُ شاتَيْن من آخرها فاحْتضنتهما تحت يدي، ثم أَقبلت أَعدُو كأَنْ ليس معي شيء، حتى آنتهَيْتُ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأَمَرَ بهما فَذُبِحتا، ثم قَسَّمهما، فما بقي أَحدٌ من العسكر الذين معه مُحَاصِرين الحصن إلاَّ أَكل منهما، فقيل لأَبي اليَسَر: كم كانوا؟ قال: كانوا عدداً كثيراً.

وروى ابن إسحاق عن بعض مِنْ أَسْلم، ومحمدُ بن عمر ـ رحمه الله ـ عن معتِّب ـ بكسر الفوقية المشددة ـ الأَسلمي ـ رضي الله عنه ـ واللَّفظ له، قال: أَصابَتْنَا معْشَرَ أَسْلَم مجاعةٌ حين قَدِمْنَا خَيْبَر، وأَقمنا عشْرَةَ أَيام على حِصْن النَّطَاة لا نفتح شيئاً فيه طعام، فأَجمعت أَسْلَم أَن أَرْسَلوا أَسماء بنَ حارثة ـ بالحاء المهملة والثاء المثلثة، فقالوا ائت رسول الله ـ ﷺ ـ فقُل له: إن أَسْلَم يقرئونك السّلام، ويقولون: إنا قَدْ جُهِدْنَا من الجوع والضعف، فقال بُرَيْدَةُ بنُ الحُصَيْب ـ بضم الحَاء، وفتح الصاد المهملتين: والله إنْ رأَيتُ كاليوم قط من بين العرب يصْنعون هذا، فقال زيد بن حارثة أَخو أَسماء: والله إني لأَرجو أَن يكون هذا البعث إلى رسول الله ـ ﷺ ـ مفتاحَ الخير فجاءه أَسماء فقال: يا رسول الله إنّ أَسْلم تقرأُ عليك السّلام، وتقول إنّا قد جُهِدْنَا من الجوع والضَّعْف، فآدْعُ الله لنا فدعا لهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ ثم قال:

(١) أخرجه آبن أبي شيبة ٧/٤٥٤.

«والله ما بيدي ما أُقَوِّيهم به، قد عَلِمْتُ حالَهُم، وأَنّهم ليست لهم قوة، ثم قال: «اللهم فآفتح عليهم أَعظم حِصْنٍ فيها، أَكثرها طعاماً، وأَكثرها وَدَكاً».

ودفع اللّواء إلى الحُبَاب بن المُنْذِر ـ رضي الله عنه ـ وَنَدَبَ النّاس، فما رجعنا حتى فتح الله علينا حِصْن الصّعب بن مُعاذ.

قالت أُمّ مُطَاع الأَسلمية ـ رضي الله عنها ـ لقد رأَيتُ أَسْلَم حين شكَوْا إِلى رسول الله ـ ﷺ ـ ما شَكَوا من شدّةِ الحال، فندب رسولُ الله ـ ﷺ ـ الناسَ فنهضوا، فرأَيتُ أَسلم أَوَّل من آنتهى إِلى حِصن الصّعب بن مُعاذ، فما غابت الشمسُ من ذلك اليوم حتى فتح الله ـ تعالى ـ وما بخيبر حِصْنٌ أَكثر طعاماً ووَدَكاً منه، وكان عليه قتالٌ شديد.

بَرَزَ رَجُلٌ مِن يهود يقالُ به يُوشَع، يدعو إِلى البراز، فبرز له الحُبابُ بن المُنْذر، فاختلفا ضرباتٍ فقتله الحُبابُ، وبرز له آخر يقال له الزّيال، فبرز له عمَارةُ بن عُقْبة الغِفَارِيّ، فبادَرَه الغفاري فضربه ضربةً على هامته وهو يقول: خُذْهَا وأَنا الغلامُ الغفاريّ، فقال الناس «بَطَل جهاده»، فبلغ رسولَ الله ـ ﷺ ـ ذلك فقال: ما بأْسٌ به يُؤْجر وَيُحْمَد».

وروى محمد بن عمر عن محمد بن مسلمة ـ رضي الله عنه ـ قال: رأَيتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ رَمَى بسهمٍ فما أَخطأَ رجلاً منهم، وتبسَّمَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ إِليّ، وآنفرجوا ودخلوا الحصنَ.

وروى محمد بن عمر عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أَنهم وجَدُوا في حِصْن الصَّعب من الطَّعَام ما لم يكونوا يَظُنُّون أَنه هُنَاك من الشّعير والتّمر والسَّمْن والعَسَل والزَّيت والوَدَك.

ونادى مُنَادِي رسولِ الله ـ ﷺ ـ: كُلُوا وآعلفوا ولا تحملوا، يقول: لا تَخْرُجُوا به إِلى بلادكم.

ذكر محاصرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ حصن الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ الذي صار في سهمه بعد

رَوَى البيهقيُّ عن محمد بن عمر قال: لـمّا تحولت يهودُ مِنْ حِصْن نَاعِم وحِصْن الصّعْب بن مُعاذ إِلى قُلّة الزُّبَيْر حاصرهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ وهو حِصْنٌ في رأْس قُلةٍ، فأَقام محاصرهم ثلاثة أَيام، فجاء يهوديٌّ يدعى غزال فقال: يَا أَبا القاسم تؤمنني على أَن أَدلك على ما تستريح به من أَهل النَّطَاة وتخرج إِلى أَهل الشّق؛ فإِن أَهل الشّق قد هلكوا رُعباً منك؟ فأَمّنه رسولُ الله ـ ﷺ ـ على أَهله وماله، فقال اليهودي: إِنك لو أَقمت شهراً ما بالوا؛ لهم دبُولٌ

تحت الأَرض يخرجون بالليل فيشربون منها، ثم يرجعون إِلى قلعتهم فيمتنعون منك، فإِن قطعت عنهم شِرْبَهُم أَصْحرُوا لك، فسار رسول الله - ﷺ - إِلى دُبُولهم فقطعها، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا وقاتلوا أَشد قتال(١).

وقتل من المسلمين يومئذ نفر، وأُصيب من اليهود في ذلك اليوم عشرة، وٱفتتحه رسولُ الله - ﷺ - وكان هذا آخر حُصُون النَّطَاة.

فلما فرغ رسول الله - ﷺ - من النّطاة تحوّل إِلى الشَّق.

ذكر انتقاله - صلى الله عليه وسلم - إلى محاصرة حصون الشق وفتحها

روى البيهقيُّ عن محمد بن عمر - رحمه الله - عن شيوخه - رحمهم الله - قالوا: لما تحوّل رسولُ الله - ﷺ - إِلى الشّق وبه حصون ذوات عدد، فكان أَوّل حِصْن بدَأَ به حِصْن أُبيّ، فقام رسُول الله - ﷺ - على قلعة يقال لها سَمْوان فقاتل عليها أَهل الحصن، قتالاً شديداً، وخرج رجلٌ من يهود يُقال له غزول، فدعا إِلى البراز، فبرز له الحُبَاب بنُ المنذر، فاقتتلا فٱختلفا ضربات، ثم حمل عَليه الحُباب، فقطع يده اليمنى من نصف الذراع، فوقع السيف من يد غزول، فبادر رَاجعاً منهزماً إِلى الحصن، فتبعه الحُبَاب، فقطع عُرْقُوبَه، فوقع فَذَفَّفَ عليه، فخرج آخر، فصاح: مَن يبارز؟ فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش، فَقَتَلَ الجحشيَّ، وقام مكانه يدعو إِلى البراز، فبرز له أَبو دُجانة، وقد عصبَ رأْسه بعصابته الحمراء، فوق المِغْفَر، يختالُ في مشيته، فبدره أَبُو دُجانة - رضي الله عنه - فضربه فقطع رجله ثم ذَفَّف عليه، وأَخذ سلبه، درعه وسيفه، فجاء به إِلى رسول الله - ﷺ - فنفله رسولُ الله - ﷺ - ذلك، وأَحجم اليهود عن البراز، فكبّر المسلمون، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه، يقدمُهُم أَبُو دُجانة، فوجدوا فيه أَثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً، وهرب من كان فيه من المقاتلة، وتقحَّمُوا الجُدُرَ كأَنهم الظباء حتى صاروا إِلى حصن النِّزال بالشَّق، وجعل يأْتي مَن بقي من فلِّ النَّطاة إِلى حصن النِّزال، فغلَّقُوه، وٱمتنعوا فيه أَشدَّ الامتناع، وزحف رسولُ الله - ﷺ - إِليهم في أَصحابه، فقاتلهم، فكانوا أَشد أَهل الشّق رَمْياً للمسلمين بالنَّبل والحجارة، ورسولُ الله - ﷺ - معهم حتى أَصابت النَّبْلُ ثِيَابَ رسولِ الله - ﷺ - وعَلِقَت به، فأَخذَ رسولُ الله - ﷺ - النَّبْلَ فجمعها، ثم أَخذ لهم كَفاً مِن حصى فَحَصَب به حِصْنَهُم، فرجفَ الحصنُ بهم، ثم سَاخَ في الأَرض، حتَّى جاء المسلمون فأَخذوا أَهله أَخذاً(٢).

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٢٤/٤ والواقدي في المغازي ٦٤٦/٢.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٢٤/٤ والواقدي ٦٦٦/٢.

ذكر انتقاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى حصون الكتيبة وبعثه السرايا لوجع رأسه وما وقع في ذلك من الآيات

لما فتح رسولُ الله ـ ﷺ ـ حُصُونَ النَّطَاة، والشَّق آنهزمَ من سَلِم منهم إلى حصون الكتيبة، وأعظم حصونها القَمُوص، وكان حصناً منيعاً.

ذكر موسى بن عُقْبَة: أن رسولَ الله ـ ﷺ ـ حاصره قريباً من عشرين ليلة، وكانت أرضاً وخمة.

وروى الشَّيخان عن سهل بن سَعْد، والبُخَارِيُّ وابن أَبي أُسامة، وأبو نعيم عن سلمة بن الأَكوع، وأبو نعيم، والبيهقيُّ عن عبد اللّه بن بُرَيْدَة عن أَبيه. وأبو نعيم عن ابن عمر، وسعد بن أبي وقَّاص، وأبي سعيد الخُدْرِيّ، وعمران بن حُصَين، وجابر بن عبد اللّه، وأبو ليلى، ومسلمٌ، والبيهقيُّ عن أبي هُرَيْرَة، والإمامُ أحمد وأبو يَعْلَى والبيهقيُّ عن عليٍّ ـ رضي الله عنهم ـ قال بُرَيْدَة ـ رضي الله عنه ـ: كان رسولُ الله ـ ﷺ ـ تأخذه الشَّقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل خيبر أَخذته الشَّقِيقَة فلم يخرج إلى الناس، فأرسلَ أبَا بكرٍ ـ رضي الله عنه ـ فأخذ رايةَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديدا، ثم رجع، ولم يكن فَتْحٌ. وقد جهد، ثم أرسل عمرَ ـ رضي الله عنه ـ فأخذ رايةَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول، ثم رجع، ولم يكن فتح. وفي حديث عن علي عند البيهقي: أنّ الغلبةَ كانت لليهود في اليومين[1]. انتهى.

فأُخبر رسولُ الله ـ ﷺ ـ بذلك فقال: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يَفْتَحُ اللّهُ عَلَيْهِ، ليس بِفَرارٍ، يُحِبُّ الله ورسوله، يأخذها عَنْوَةً» وفي لفظ «يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيْه» قال بُرَيْدَةُ: فبتْنَا طَيِّبة أنفسنا أَن يفتح غداً، وبات النَّاسُ يدُوكون ليلتهم أيّهم يُعْطَاهَا، فلما أَصبح الناس غدوا على رسول الله ـ ﷺ ـ كلهم يرجو أن يُعْطَاهَا، قال أبو هريرة قال عُمرُ: فما أحببت الإمارة قطّ حتى كان يومئذ[2].

قال بُرَيْدَةُ: فما منَّا رجلٌ له مِنْ رسولِ الله ـ ﷺ ـ منزلة إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرّجل، حتى تَطَاوَلْتُ أَنَالَهَا، ورفعتُ رأسي لمنزلة كانت لي منه، وليس مِنّةً.

وفي حديث سَلَمَة؛ وجَابِر: وكان عليٌّ تخلف عن رسولِ الله ـ ﷺ ـ لِرمدٍ شديد كان به لا يُبْصر، فلما سارَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ قال: لا، أنا أتخلفُ عن رسول الله ـ ﷺ ـ!! فخرج

(١) البيهقي في الدلائل ٢٠٩/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٥٤٤/٧ (٤٢٠٩) (٤٢١٠) والبيهقي في الدلائل ٢٠٥/٤.

فَلَحِقَ برسولِ الله - ﷺ - قال بُرَيْدَةُ: وجاء عليٌّ - رضي الله عنه - حتى أَناخ قريباً، وهو رمد، قد عصبَ عينيه بِشِقِّ بُرد قِطرِي، قال بُرَيْدَة: فما أَصبح رسولُ الله - ﷺ - صلَّى الغداة، ثُمَّ دعا باللِّواء، وقام قائماً. قال ابن شهاب: فوعظ الناس، ثم قال: «أَين علي»؟ قالوا: يشتكي عينيه، قال: «فأَرسلوا إِليه» قال سلمة: فجئتُ به أَقوده، قالوا كلهم: فأُتي به رسول الله - ﷺ - فقال له رسولُ الله - ﷺ - «مالكَ؟» قال: رَمِدتُ حتى لا أبصر ما قُدَّامي. قال: «آدْنُ منِّي» وفي حديث عليٍّ عند الحاكم: فوضع رأسي عند حجره، ثم بَزَق في أَلية يده فدلك بها عيني، قالوا: فبرأ كأَن لم يكن به وجَع قط، فما وجعهما علي حتى مضى لسبيله، ودعا له وأَعطاه الراية، قال سهل فقال علي: يا رسول الله أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: «اَنْفُذْ على رِسْلِك حتى تنزل بساحتهم. ثم آدعهم إِلى الإِسلام، وأَخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى - وحق رسوله. فوالله لأَن يَهْدِيَ الله بكَ رَجُلاً واحداً خيرٌ لك من أَن يكون لك حُمْرُ النَّعم» وقال أَبو هريرة: إِن رسول الله - ﷺ - قال لعلي: «آذهب فقاتلهم حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت» قال: علامَ أُقاتل الناس؟ قال: «قاتِلْهُم حتى يَشهدوا أَن لا إِله إِلا الله وأَنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، فإِذا فَعَلُوا ذلك فقد مَنَعُوا منك دمَاءهم وأَموالَهُم إِلاَّ بِحَقِّها، وحِسَابُهُم على الله» فخرجوا، فخرج بها والله يأْيح يهرول هرولة. حتى ركزها تحت الحِصْن فاطَّلَع يهوديّ من رأس الحِصْن فقال: من أَنتَ؟ قال: عليٌّ، فقال اليهودي غلبتهم والذي أُنزل التوراة على موسى، فما رجع حتى فتح الله تعالى على يدَيْه.

قال أَبو نعيم: فيه دلالة على أَن فتح علي لحصنهم مقدم في كتبهم بتوجيه من الله وجهه إِليهم، ويكون فتح الله - تعالى - على يديه.

ذكر قتل علي - رضي الله عنه - الحارث وأخاه مرحباً، وعامراً وياسراً فرسان يهود وسبعانها

رَوى محمد بن عمر عن جابر - رضي الله عنه - قال: أَوَّلُ من خرج من حصون خَيْبَر - مبارزاً - الحارثُ أَخو مرْحب في عَادِيتِه فقتله عليٌّ - رضي الله عنه - ورجع أَصحاب الحَارثِ إِلى الحِصْن، وبَرَزَ عامِرٌ، وكان رَجُلاً جَسِيماً طويلاً، فقالَ رسولُ الله - ﷺ - حين برزَ وطلع عامِر «أَتَرَوْنَه خمسةَ أَذرع؟» وهو يدعو إِلى البراز، فخرج إِليه عليُّ بن أَبي طالب - رضي الله عنه - فضربه ضربات، كل ذلك لا يصنع شيئاً، حتى ضَرَب ساقيه فَبَرَك، ثم ذفَّفَ عليه، وأَخذ سلاحه.

قال ابن إِسحاق: ثم برزَ ياسرٌ وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي يَاسِرْ   شَاكِي السِّلاَحِ بَطَلٌ مُغَاوِرْ

إِذَا الـلُّـيُـوثُ أَقْـبَـلَـتْ تُـبَـادِرْ وَأَحْـجَـمَـتْ عَنْ صَـوْلَـةِ الـمُـسَـاوِرْ

إِنَّ حُسَامِي فِيهِ مَوْتٌ حَاضِرْ

قال محمد بن عمر: وكان من أَشِدَّائِهِم، وكان معه حَرِبَة يَحُوس النَّاس بها حَوْساً، فبرز له عليٌّ بنِ أَبي طالب، فقال له الزُّبَيْرُ بن العوّام: أَقسمتُ أَلا خَلَّيْتَ بيني وبينه، ففعل، فَقَالَت صفيَّةُ لمَّا خرج إِليه الزُّبَيْرُ ـ رضي الله عنها ـ: يا رسول الله يَقْتُلُ ٱبْني؟ فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ «بَلْ ٱبْنُكَ يَقْتُلُه ـ إِن شاء الله» فخرج إِليه الزُّبَيْر وهو يقول:

قَـدْ عَـلِـمَـتْ خَـيْـبَـرُ أَنِّـي زَبَّـارْ قَـرْمٌ لِـقَـرْمٍ غَـيْـرِ نِـكْـسٍ فَـرَّارْ

ابْنُ حُمَاةِ الـمَجْدِ، ٱبْنُ الأَخْيَارْ يَـاسِـرُ لاَ يـغْـرُرْكَ جَـمْـعُ الـكُـفَّـارْ

فَجَمْعُهُمْ مِثْلُ السَّرَابِ الخَتَّارْ

ثمّ التقيا فقتلهُ الزُّبَيْر، قال ابن إِسحاق: وذكر أَن علياً هو الذي قتل ياسراً.

قال محمد بن عمر: وقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ للزّبير لما قتل ياسرا فداك عم وخال ثم قال: «لكل نبي حواري وحواريّ الزبير ابن عمتي».

حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم، والبيهقيّ أَن مَرْحَباً ـ وهو بفتح الميم، والحاء المهملة، وسكون الرَّاء ـ بينهما ـ وبالموحدة ـ خَرَجَ وهو يَخْطُر بسَيْفِهِ، وفي حديث ابن بُرَيْدة عن أَبيه: خرج مرحب وعليه مِغْفَرٌ مُعَصْفَر يماني وحَجَرٌ قد ثقبه مثل البيضة على رأْسِه، وهو يرتجزُ ويقول:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبْ شَـاكِي الـسِّلاَحِ بَـطَـلٌ مُـجَـرَّبْ

إِذَا اللُّيُوثُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبْ

قال سلَمةُ: فبرزَ له عامِرٌ وهو يقول:

قَـدْ عَـلِـمَـتْ خَـيْـبَـرُ أَنِّـي عَـامِـرُ شَـاكِـي الـسِّـلاَحِ بَـطَـلٌ مُـغَـامِـرُ

قال: فاختلفا ضَرْبَتَيْنِ، فوقع سيفُ مَرْحَب في تُرْسِ عامر، فذهب عامر يَسْفُل له، وكان سيفه فيه قِصَر، فَرَجَع سيفُهُ على نَفْسِهِ، فقطعَ أَكْحَلَهُ، وفي رواية عين رُكْبَتِهِ، وكانت فيها نفسه، قال بُرَيْدَةُ: فَبَرَزَ مَرْحَب وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبْ شَـاكِي الـسِّلاَحِ بَـطَـلٌ مُـجَـرَّبْ

إِذَا الـلُّـيُـوثُ أَقْـبَـلَـتْ تَـلَـهَّـبْ وَأَحْـجَـمَـتْ عَنْ صَوْلَـةِ الـمُـغَـلَّـبْ

فَبرَزَ له علي بنُ أَبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وعليه جُبَّة أَرجوان حمراء قد أَخرج خَملها، وهو يقول:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ   كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ المَنْظَرَهْ
أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَه

فَضَرَب مَرْحَباً ففلق رأسهُ، وكان الفتح.

وفي حديث بُرَيْدَة، فاختلفا ضَرْبَتَيْن، فَبَدَرَهُ عليٌّ - رضي الله عنه - بضربة فقدالحجر والمغفر ورأسه ووقع في الأَضْراس وسمع أَهل العسكر صوت ضربته وقامَ النَّاسُ مع عليٍّ حتى أَخَذَ المدينة.

وروى الإِمام أَحمد عن علي - رضي الله عنه - قال: لما قتلتُ مَرْحَباً، جئْتُ برأْسِهِ إلى رسولِ الله - ﷺ.

ذكر من زعم من أهل المغازي وغيرهم أن محمد بن مسلمة - رضي الله عنه - هو الذي قتل مرحباً

روى البيهقيّ عن عُرْوَة، وعن موسى بن عُقْبة، وعن الزُّهريّ، وعن ابن إِسحاق، وعن محمد بن عمر عن شيوخه، قالوا: واللفظ لابن إِسحاق قال: حدثني عبد اللّه بن سَهْل بن عبد الرحمن بن سهل أَخو بني حارثة عن جابر بن عبد اللّه - رضي الله عنه - قال: خرج مَرْحَبُ اليهودي من حِصْن خيبر، وقد جمع سلاحه يقول من يبارز ويرتجز

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ   شَاكِي السِّلاَحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
أَطْعَنُ أَحْيَاناً وَحِيناً أَضْرِبُ   إِذَا اللُّيُوثُ أَقْبَلَتْ تَحَرَّبُ
إِنَّ حِمَايَ لِلْحِمَى لاَ يُقْرَبُ

فأَجابه كَعْبُ بنُ مالك فقال:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي كَعْبُ   مُفَرِّجُ الغُمَّى جَرِيءٌ صُلْبُ
إِذَا شُبَّتِ الحَرْبُ تَلَتْهَا الحَرْبُ   مَعِي حُسَامٌ كَالعَقِيقِ عَضْبُ
نَطَأُكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصَّعْبُ   نُعْطِي الجَزَاءَ أَوْ يَفِيءَ النَّهْبُ
بِكَفِّ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَتْبُ

قال ابن هشام: وأَنشدني أَبو زيد - رحمه الله:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي كَعْبُ   وَأَنَّنِي مَتَى تُشَبُّ الحَرْبُ
مَاضٍ عَلَى الهَوْلِ جَرِيءٌ صُلْبُ   مَعِي حُسَامٌ كَالعَقِيقِ عَضْبُ
بِكَفِّ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَتْبُ   نَدُكُّكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصَّعْبُ

قال: ومرحب بن عميرة.

قال جابر: فقالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ لِهَذا؟» قال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتُور الثائر، قُتِل أَخي بالأَمس، قال: «فَقُمْ إليه، اللَّهُمَّ أَعِنْهُ عَلَيْه» قال: فلمَّا دنا أَحدُهُمَا مِنْ صَاحبه، دخلتْ بينهما شجرة عُمْريَّة من شجر العُشَر، فجعل أَحدُهما يلوذ بها من صاحبه، فكلما لاذ منه بها اقتطع صاحبُه مادونه منها، حتى برز كلُّ واحد منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرَّجُلِ القائم، ما فيها فنن، ثمّ حمل مَرْحَبٌ على محمد بن مسلمة فضربه، فاتَّقاهُ بالدَّرقَة، فوقع سيفهُ فيها، فَعضَّت به فأَمْسَكَتْه، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله. والله أَعلم.

قلت: جزم جماعة من أَصحاب المغازي: بأَن محمد بن مَسْلَمة هو الذي قتل مَرْحَباً.

ولكن ثَبَتَ في صحيح مسلم كما تقدم عن سَلَمة بن الأَكوع أَنَّ عَلِياً ـ رضي الله عنه ـ هو الذي قتل مَرْحَباً.

ووَرَدَ ذلك في حديث بُرَيْدة بن الحُصَيب، وأَبي نافع مولى رسول الله ـ ﷺ ـ وعلى تقدير صحة ما ذكره جابرٌ، وجزم به جماعة، فَمَا في صحيح مُسْلِم مُقَدَّمٌ عليه من وجهين: أَحدهما أَنه أَصحّ إِسناداً، الثاني. أَن جابراً لَمْ يشهد خَيْبَر كما ذكره ابن إِسحاق، ومحمد بن عمر، وغيرهما، وقد شهدها سَلَمَةُ وبُرَيْدَةُ، وأَبو رافع ـ رضي الله عنهم ـ وهم أَعلم ممن لم يشهدها، وما قيل من أَن محمد بن مَسْلَمة ضربَ ساقي مَرْحَب فقطعهما ولم يجهز عليه، ومربه علي فأَجهز عليه، يأباه حديثُ سلمة وأَبي رافع، والله أَعلم. وصحّحَ أَبو عمر ـ رحمه الله ـ أَنَّ عليا ـ رضي الله عنه ـ هو الذي قتل مَرْحَبا، وقال ابنُ الأَثير: إِنه الصَّحيح.

ذكر قلع علي ـ رضي الله عنه ـ باب خيبر

قال ابن إِسحاق: حدثني عبد اللّه بن حسن عن بعض أَهله، عن أَبي رافع مَوْلى رسول الله ـ ﷺ ـ قال: خرجْنا مع عليّ بن أَبي طالب ـ رضي الله عنه ـ حين بعثه رسولُ الله ـ ﷺ ـ برايته؛ فلما دنَا من الحِصْن خَرَج إِليه أَهْلُه فقاتلهم، فضربه رجلٌ من يهود، فطرح تُرْسَهُ من يدِهِ فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل؛ حتى فتح الله ـ تعالى ـ عليه، ثمّ أَلقَاهُ من يده حين فَرَغَ، فلقد رأَيْتُني في نفرٍ سبعة أَنا ثامنهم، نَجْهَد على أَن نَقْلِب ذلك الباب، فما نقلبه.

وروى البيهقي من طريقين عن المطلب بن زياد، عن ليث بن أَبي سليم، عن أَبي جعفر محمد بن علي ـ رضي الله عنه ـ عن آبائه، قال: حدثني جابرُ بن عبد اللّه ـ رضي الله عنهما ـ: أَنّ علياً ـ رضي الله عنه ـ حَمَل الباب يوم خيبر، حتى صعد عليه المسلمون

فافتتحوها، وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا ـ رجالُه ثقاتٌ إلا ليثُ بن أبي سليم ـ وهو ضعيف[(١)].

قال البيهقي: ورُوِيَ من وجه آخر ضعيف عن جابر قال: آجتمع عليه سبعون رَجُلاً، وكان أجهدهم أن أعادوا الباب، قلتُ: رواه الحاكم.

ذكر إسلام العبد الأسود وما وقع في ذلك من الآيات

روى البيهقيُّ عن جابر بن عبد اللّه، والبيهقيُّ عن أنس ـ رضي الله عنهم ـ والبيهقيُّ عن عُرْوَة، وعن موسى بن عُقْبة: أَنَّ عبْداً حَبَشِياً لِرَجُل من أهل خَيْبَر كان يرعى غنماً لهم، لما رآهم قد أخذوا السِّلاحَ واستعدوا لقتالِ رسول الله ـ ﷺ ـ سألهم: ما تريدون؟ قالُوا: نقاتل هذا الرَّجل، الَّذي يزعمُ أنه نبيٌّ. فوقع في نفسه ذكر النبي ـ ﷺ ـ فخرج بغنمه ليرعاها، فأخذه المسلمون، فجاءوا به لرسول الله ـ ﷺ ـ وفي لفْظِ ابْنِ عُقْبَة: أنه عمد بغنمه إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فكلمه رسولُ الله ـ ﷺ ـ ما شاء الله أن يكلِّمه، فقال الرّجل: ماذا تَقُول، وماذا تَدْعُو إليه؟ قال: «أَدعوك إلَى الإسْلاَم وَأَن تَشْهَدَ أَنْ لاَ إله إلاَّ الله، وَأَنِّي رَسُولُ الله، وأن لاَ تَعبد إلاَّ الله». قال العبد: وماذا يكون لي إن شَهِدْتُ بذلك، وآمنت بالله تعالى؟ قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ «لَكَ الجَنَّةُ إن آمَنْتَ على ذلك» فأسلم العبدُ، وقال: يا رسولَ الله إني رجلٌ أسودُ اللون قبيحُ الوجه، مُنْتِنُ الرِّيح، لاَ مَالَ لي، فإن قاتلتُ هؤلاء حتَّى أُقتل، أدخل الجنة؟ قال: «نعم». قال: يا رسول الله إنّ هذه الغنم عندي أمانة فكيف بها؟ فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ «أخرجها من العسكر، وآرمها بالحصباء فإن الله ـ عز وجلّ ـ سيؤدي عنك أمانتك» ففعل، وأعجب رسول الله ـ ﷺ ـ كلمته، فَخَرَجَتِ الغنم تشتد مجتمعة كَأَنَّ سائقاً يسوقُها حتَّى دخلت كلُّ شاة إلى أهلها، فعرف اليهوديُّ أنّ غُلاَمه قد أسلم، ثم تقدَّم العبد الأسود إلى الصفّ، فقاتل فأصابه سهمٌ فقتله، ولم يُصَلِّ لله ـ تعالى ـ سجدة قطّ، فآحتمَلهُ المسلمون إلى عسكرهم، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ «أَدْخِلُوه الفُسْطَاط»، وفي لفظ «الخباء» فأدخلوه خباء رسول الله ـ ﷺ ـ حتَّى إذا فرغ رسولُ الله ـ ﷺ ـ دخل عليه، ثم خرج فقال «لَقَدْ حَسُنَ إسلامُ صَاحِبِكُم، لقد دَخَلْتُ عليه، وإنَّ عِنْدَه لَزَوْجتين له من الحُورِ العين»[(٢)].

وفي حديث أنس: فأتى عليه رسول الله ـ ﷺ ـ وهو مقتول، فقال: «لَقَدْ حَسَّنَ الله وجهك، وطيبَّ ريحَك، وكثر مَالَك، لقد رأيتُ زَوْجَتَيْه مِنَ الحُورِ العين يَنْزِعَان جُبَّته يَدْخُلاَنِ فيمَا بَيْنَ جِلْدِه وَجُبَّتِهِ».

(١) البيهقي في الدلائل ٢١٢/٤ وابن هشام ٢٩٠/٣ وابن كثير ١٨٩/٤، وفيه جهالة وآنقطاع ظاهر.
(٢) البيهقي في الدلائل ٢٢/٤ وابن كثير ١٩٠/٤ وابن هشام ٣٤٤/٢.

وعند ابن إسحاق «ينفضان التُّراب عن وَجْهِه، ويقولان: «تَرَّبَ الله وجهَ من تَرَّبك وَقَتَل مَن قتلك».

ذكر نهيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أكل لحوم الحمر الإنسية وغيرها مما يذكر

روى الشيخان عن عبد الله بن أَبي أَوْفى ـ رضي الله عنه ـ قال: أَصابتنا مجاعةٌ ليالي خَيْبَر، فلمَّا كان يوم خَيْبَر وقعنا في الحُمُر الإنسية، فانتحرْنَاها، فلما غَلَتِ القُدُور، ونَادَى مُنَادِي رسول الله ـ ﷺ ـ: أَن أَكْفِئوا القدور، ولا تأكلوا من لحوم الحُمُر شيئاً(١).

وعن أَنس ـ رضي الله عنه ـ قال: لمَّا كان يوم خَيْبَر، جاء فقال: يا رسول الله، فَنِيَتْ الحُمُر، فأَمر أَبا طلحة فنادى «إنَّ الله ورسوله يَنْهاكُم عن لحوم الحُمُر» رواه عثمان بن سعيد الدّارميّ بسندٍ صحيح.(٢)

وعن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نهى رسولُ الله ـ ﷺ ـ يوم خَيْبَر عن بيع الغنائم حتَّى تُقْسَم، وعن الحَبالى أَن تُوطَأَ حتى يَضَعْنَ ما فِي بطونهنّ، قال: «لا تسق زرع غيرك»، وعن لحوم الحُمُر الأَهلية، وعن كل ذي ناب من السباع ـ رواه الدارقطني(٣).

وعن أَبي ثعلبة الخُشَنيّ ـ رضي الله عنه ـ قال: غزَوْتُ مع رسولِ الله ـ ﷺ ـ خَيْبَر، والناسُ جياعٌ، فأَصبنا بها حُمُراً إنسيَّةً فَذَبَحْنَاهَا، فأُخبِرَ النبيّ ـ ﷺ ـ فأَمر عبد الرحمن بن عَوْف فنادَى في الناس (إنّ لحوم الحُمُر لا تَحِل لمَنْ يشهد أَني رسول الله) رواه الإمام أَحمد، والشيخان(٤).

وعن سلمة ـ رضي الله عنه ـ قال: أَتينا خيبر فحاصرناها حتى أَصابتنا مَخْصمةٌ شديدة: يعني الجوع الشديد، ثم إنّ الله ـ تعالى ـ فتحها علينا. فلمَّا أَمسى الناسُ مَسَاء اليومِ الَّذي فُتِحَتْ عليهم، أَوقدوا نيراناً كثيرةً، فقالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ «ما هذه النيران؟ على أَيِّ شيء توقدون؟» قالوا: على لحم، قال: «على أَي لحم»؟ قالوا: لحم حُمُرٍ إِنسيَّة، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «أَهرقوها، واكسروا الدّنان» فقال رجل: أَو نهريقوها ونغسلها؟ قال «أَو ذاك» رواه الشَّيخان، والبيهقيّ(٥).

---

(١) أخرجه البخاري ٥٥٠/٧ (٤٢٢١، ٤٢٢٣، ٤٢٢٥، ٤٢٢٦، ٥٥٢٥).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٨٧٢٥) والطبراني في الكبير ٣١٦/٥ وانظر التمهيد لابن عبد البر ١٢٧/١٠.

(٣) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٥٦/٢ وانظر التلخيص الكبير ٧/٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٥٣/٩ (٥٥٢٧) ومسلم ١٥٣٨/٣ (١٩٣٦/٢٣).

(٥) أخرجه البخاري (٦٣٣١) ومسلم ١٥٤٠/٣ (١٨٠٢/٣٣)، وأحمد ٣٨٣/٤ والبيهقي في الدلائل ٢٠٠/٤.

ورَوَى محمد بن عمر - رحمه الله - تعالى - عن شيوخه: أَن عدة الحمر التي ذبحوها، كانت عشرين أَو ثلاثين، كذا رواهُ على الشَّك.

ذكر فتحه - صلى الله عليه وسلم - الوطيح والسلالم وكانا آخر حصون خيبر فتحاً

قال ابنُ إِسحاق: وتَدَنَّى رسولُ الله - ﷺ - بالأَموال يأخذها مالاً مالاً، ويَفْتَحُها حِصْناً حِصناً، حتَّى آنتهوا إِلى ذينك الحصنين، وجعلُوا لا يطلعون من حصنهم حتى همَّ رسولُ الله - ﷺ - أَن ينصب عليهم المَنْجنيق، لما رأَى من تغليقهم، وأَنه لا يبرز منهم أَحد، فلما أَيقنُوا بالهلكة - وقد حصرهم رسولُ الله - ﷺ - أَربعة عشر يوماً - سأَلوا رسولَ الله - ﷺ - الصّلْحَ، فأَرسل كنانةُ بنُ أَبي الحُقَيْق إِلى رسول الله - ﷺ - رجلاً من اليهود يقال له شماخ يقول (أَنْزِلُ فأكلمك؟ فقال رسولُ الله - ﷺ -: «نعم» فنزل كنانة بن أَبي الحُقَيْق، فصالح رسولَ الله - ﷺ - على حقن دماء مَن في حصونهم من المقاتلة، وترك الذريَّة لهم، ويخرجون من خَيْبَر وأَرضها بذراريهم، ويُخَلُّون بين رسول الله - ﷺ - وبين ما كان لهم من مال وأَرض، وعلى الصّفراء والبيضاء والكُرَاع والحَلْقة، وعلى البَزِّ إِلاَّ ثَوْباً على ظهر إِنسان، فقال رسولُ الله - ﷺ - «وبَرِئَت مِنْكُمْ ذِمَّةُ الله وذمّةُ رَسُولِهِ إِنْ كَتَمْتُمُوني شَيْئاً» فصالحوه على ذلك، فأَرسل رسول الله - ﷺ - إِلى الأَموال فقبضها الأَوّل فالأَوّل، ووجد في ذينك الحصنين مائة دِرْع وأَربعمائة سيف، وأَلْفَ رُمحٍ، وخمسمائة قوس عربيّة بجعابها[1].

ذكر سؤال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حلي حيي بن أخطب وماله اللذين حملهما لما أجلي عن المدينة، وما وقع في ذلك من الآيات

قال محمد بن عمر: كان الحَلْي في أَوّل الأَمر في مَسْك حَمَل، فلما كثر، جعلوه في مَسْك ثَوْر، ثم في مَسْك جَمَل، وكان ذلك الحَلْي يكون عند الأَكابر من آل أَبي الحُقَيْق وكانوا يُعِيرُونَه العرب.

وروى ابنُ سعد والبيهقيُّ عن ابن عمر، وابنُ سعد - بسند رجالهُ ثقاتٌ - عن محمد بن عبد الرحمن بن أَبي لَيْلَى - وهو صدوق سيء الحفظ - عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أَن رسول الله - ﷺ - لما ظهر على أَهل خَيْبَر صالحهم على أَن يخرجوا بأَنفسهم وأَهليهم، وللنبي - ﷺ - الصفراء والبيضاء والحَلْقة والسّلاح، ويخرجهم، وشَرَطُوا للنبي - ﷺ - أَن لا يكتموه شيئاً؛ فإِن فعلوا فلا ذمّة لهم[2].

(١) البيهقي في الدلائل ٤/٢٠٤.

(٢) البيهقي في الدلائل ٤/٢٢٩.

قال ابن عباس: فأُتي بكنانة، والربيع، وكان كنانة زوج صفية، والربيع أخوه أَو ابن عمه، فقال لهما رسولُ الله - ﷺ - «أَين آنيتكما التي كنتم تُعِيرُونها أَهل مكة؟».

وقال ابن عمر: قال رسولُ الله - ﷺ - لعمّ حُيَي «ما فعل مَسْك حُيَي الذي جاء به من النضير؟» فقال: وقال ابن عباس: قالا: «هربنا، فلم نزل تضعُنا أَرضٌ وترفعنا أُخرى، فذهب في نفقتنا كلُّ شيء.

وقال ابن عمر: أَذْهَبَتْه النّفقات والحروب، فقال «العهدُ قريبٌ، والمال أَكثر من ذلك».

وقال ابنُ عبّاس: فقال لهما رسول الله - ﷺ -: «إِنكما إِن تكتماني شيئاً فاَطلعت عليه استحللتُ به دماءكما وذراريكما». فقالا: نعم.

وقال عُرْوَة ومحمد بن عمر فيما رواه البيهقيّ عنهما: فأَخبر الله عزّ وجلّ رسولَه - ﷺ - بموضع الكنز، فقال لكنانة «إِنك لمغتر بأَمر السماء».

قال ابن عباس: فدعا رسولُ الله - ﷺ - رجلاً من الأَنصار فقال: «اذهب إِلى قراح كذا وكذا، ثم ائتِ النخلَ فاَنظر نخلةً عن يمينك، أَو عن يسارك مرفوعةً فأْتني بما فيها» فجاءه بالآنيَة والأَموال، فقومت بعشرة آلاف دينار، فضرب أَعناقهما، وسبي أَهليهما بالنّكث الذي نكثاه.

وقال ابن إِسحاق: أُتي رسولُ الله - ﷺ - بكنانَةَ بن الرَّبيع، وكان عنده كنزُ بني النضير، فسأَله عنه فجحد أَن يكون يعلم مكانه، فأُتي رسولُ الله - ﷺ - برجلٍ من يهود، قال ابن عُقْبَة: اسمه ثَعْلَبَة وكان في عقله شيء، فقال لرسولِ الله - ﷺ - إِني رأَيتُ كنانة يُطِيفُ بهذه الخَرِبَة كلّ غداة، فقال رسولُ الله - ﷺ - لكنانة: «أَرأَيتَ إِنْ وَجَدْنَاه عِنْدَكَ، أَقْتُلك؟» قال: نعم، فأَمر رسولُ الله - ﷺ - بالخَرِبَة فَحُفِرَت، وأُخرج منها بعض كنزهم، ثم سأَله عما بقي، فأَبى أَن يؤدِّيَه، فأَمر رسولُ الله - ﷺ - الزّبَيْر بن العَوام، فقال: «عَذِّبْه حتى تستأْصل ما عنده» فكان الزّبير - رضي الله عنه - يقدحُ بِزَنْدِهِ في صدره حتى أَشرف على نفسه، ثم دفعه رسولُ الله - ﷺ - إِلى محمدِ بن مسلمة، فضرب عُنقه بأَخيه محمود بن مسلمة.

ذكر إرادته - صلى الله عليه وسلم - إجلاء يهود خيبر عنها كما وقع شرطهم، ثم إقراره إياهم يعملون فيها ما أقرهم الله وإخراج عمر ابن الخطاب لهم لما نكثوا العهد

روى البخاريّ والبيهقي عن ابن عمر، والبيهقيُّ عن عُرْوَة وعن موسى بن عُقْبة: أَنّ خَيْبَرَ لمّا فتحها رسولُ الله - ﷺ - سأَلت يهودُ رسولَ الله - ﷺ - أَن يُقِرَّهم فيها على نصف ما

خَرَج منها من التَّمر، وقالُوا: دعنا يا محمد نكون في هذه الأَرض. نصلحها، ونقوم عليها، ولم يكن لرسول الله - ﷺ - ولا لأَصحابه غِلْمان يقومون عليها، وكانوا لاَ يفرغون أَن يقوموا عليها، فأَعطاهم رسولُ الله - ﷺ - خيبر على أَنّ لهم الشّطر من كلّ زرع ونخل وشيء ما بَدَا لرسول الله - ﷺ -، وفي لفظٍ، قالَ رسولُ الله - ﷺ «نقركم فيها على ذلك ما شئنا، وفي لفظ «ما أَقركم الله»[(١)].

وكان عبدُ اللّه بن رواحةَ يأْتيهم كلَّ عامَ فيخرصها عليهم، ثم يضمنهم الشطر، فشكوا إِلى رسولِ الله - ﷺ - شدة خرص ابنَ رواحة، وأَرادوا أَن يَرْشُوا ابن رواحة، فقال: يا أَعداء الله، تُطعموني السُّحْتَ؟ والله لقد جئتكم من عند أَحبّ النّاس إِليّ، ولأَنتم أَبغضُ إِليّ من عِدَّتكم من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إِيّاكم وحبيّ إِياه على أَن لا أَعدل عليكم فقالُوا: بهذا قامت السَّموات والأَرض، فأَقاموا بأَرضهم على ذلك.

فلمّا كان زمان عمر، غشّوا المسلمين، وأَلقوا عبْدَ اللّه بن عمر من فوق بيت فَفَدَعُوا يديه، ويقال بل سحروه باللّيل وهو نائم على فراشه، فكوع حتى أَصبح كأَنه في وثاق، وجاء أَصحابه، فأَصلحوا من يديه، فقام عمر خطيباً في النّاس، فقال: إِنَّ رسولَ الله - ﷺ - عامل يَهُودَ خيبر على أَموالها، وقال: نقركم ما أَقركم الله، وإِن عبد اللّه بن عمر خرج إِلى ماله هناك فعُدِيَ عليه من الليل، فَفُدِعَت يداه، وليس لنا هناك عدو غيرهم، وهم تهمتنا، وقد رأَيت إِجلاءهم. فمن كان له سهم بخيبر فليحضر حتى نقسمها، فلما أَجمع على ذلك، قال رئيسهُم، وهو أَحد بني الحُقَيْق: لا تخرجنا ودعنا نكون فيها كما أَقَرّنا أَبو القاسم وأَبو بكر، فقال عمر لرئيسهم: أَتراني سقط عنّي قولُ رسولِ الله - ﷺ - «كَيفَ بك، إِذَا آرقَضَّت بك راحلتك تَؤُم الشَّامَ يَوْماً، ثم يوما؟» وفي رواية: أَظننت أَنّي نسيتُ قولَ رسولِ الله - ﷺ - «كيف بك إِذَا خرجت من خيبر يَعْدُو بك قلوصك ليلة بعد ليلة» فقال: تلك هُزَيْلَة من أَبي القاسم، قال: كَذَبْتَ، وأَجلاهم عمر، وأَعْطاهم قيمةَ مالهم من التمر: مالاً، وإِبلاً، وعروضاً من أَقتابٍ وحبال، وغير ذلك، وسيأْتي في أَبواب الوفاة النبوية قوله - صلّى الله عليه وسلم -: «أَخرجوا اليهود من جزيرة العرب»[(٢)].

ذكر قصة الشاة المسمومة وما وقع في ذلك من الآيات

روى الشيخان عن أَنس، والإِمامُ أَحمدُ، وابنُ سعد، وأَبو نعيم عن ابن عباس، والدارميُّ، والبيهقيُّ عن جابر، والبيهقيُّ بسندٍ صحيح - عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك، والطَّبرانيُّ

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٧/٥ (٢٧٣٠)، والبيهقي في الدلائل ٢٣٤/٤.

(٢) أخرجه البخاري ١٧٠/٦ (٣٠٥٣) (٣١٦٨، ٤٤٣١) ومسلم ١٢٥٧/٣ (٢٠/١٦٣٧).

عنه عن أَبيه، والبزار والحاكم، وأَبو نعيم عن أَبي سعيد، والبيهقيّ عن أَبي هُرَيرة - رضي الله عنهم - والبيهقيُّ عن ابن شهاب - رحمه الله تعالى -: أَنَّ رسولَ الله - ﷺ - لما آفتتح خيبر، وقتل من قتل، وآطمأَن الناسُ، أَهدت زينب آبنة الحارث امرأَة سَلاَم بن مِشْكَم، وهي ابنة أَخي مَرْحَب - لصَفِيّة امرأَته شاة مَصْلِيّة، وقد سأَلت: أَيّ عُضْوِ الشَّاة أَحبُّ إِلى رسول الله - ﷺ -؟ فقيل لها الذراع، فأَكثرت فيها من السّم، ثم سمَّت سائِر الشاة، فدخل رسولُ الله - ﷺ - على صفية ومعه بِشْرُ بنُ البراء بن مَعْرُور - بمهملات - فقدّمت إِليه الشَّاةَ المَصْلِيَّة، فتناول رسولُ الله - ﷺ - الكتف، وفي لفظٍ: الذِّراع، وآنتهس منها فلاكها رسولُ الله - ﷺ - وتناول بشرُ ابن البراء عظماً، فانتهس منه[١].

قال ابن إِسحاق، فأَما بِشْر فأَساغها، وأَما رسولُ الله - ﷺ - فلَفَظَها، وقال ابنُ شهاب: فلما استرط رسولُ الله - ﷺ - لقمته آسترط بشرُ بن البراء ما في فيه فقال رسولُ الله - ﷺ - آرفعوا ما في أَيديكم، فإِنّ كتف هذه الشَّاة تخبرني أَني نُعيت فيها.

قال ابن شهاب: فقال بشرُ بنُ البراء: والذي أَكرمك لقد وجدتُ ذلك في أُكلتي التي أَكلت فما منعني أَن أَلفظها إِلا أَني أَعظمت أَن أَنغصك طعامك، فلمّا سغت ما في فيك لم أَكن لأَرغب بنفسي عن نفسك ورجوت أَلا تكون اسْتَرطّتها، وفيها نعي. فلم يقم بشرٌ من مكانه حتى عاد لونه كالطَّيْلَسان، وماطله وجعه حتى كان لا يتحول إِلا أَن حُوِّل. قال الزهري قال جابر: واحتجم رسول الله - ﷺ - على كاهله يومئذ، حجمه أَبو هند مولى بني بياضَة بالقرن والشفرة، وبقي رسول الله - ﷺ - بعد ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه.

فقال: «مازلتُ أَجدُ من الأُكلة التي أَكلتُ من الشَّاة يوم خَيْبَر عِوَادا حتى كان هذا وآنقطع أَبْهَرِي» فتوفي رسولُ الله - ﷺ - شهيدا بلفظ ابن شهاب.

وذكر محمد بن عمر: أَنه أَلقى من لحم تِلْكَ الشَّاة لكلبٍ فما تبعت يدَهُ رجلهُ حَتَّى مات.

وقال الصحابة السابق ذكرهم - رضي الله عنهم - إِنَّ رسولَ الله - ﷺ - أَرسل إِلى اليهودية، فقال: «أَسممتِ هذه الشاة؟» فقالت: من أَخبرك؟ قال: «أَخْبرتْنِي هَذِهِ الَّتِي في يَدَيَّ وهي الذراع، قالت: نعم، قال: «مَا حَمَلَكِ على ما صنعتِ؟» قالت: بلغتَ من قومي ما لم

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٢/٥ (٢٦١٧) ومسلم ١٧٢١/٤ (٤٥/٢١٩٠)، وأحمد ٤٥١/٢، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢٥٩/٤، وأخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (٣١٦٩، ٤٢٤٩، ٥٧٧٧) وأبو داود في الديات (٦)، وابن ماجه في الطبراني (٤٥) والدارمي في المقدمة ١١، وانظر المغازي للواقدي ٦٧٧/٢ والسيرة لابن هشام ٢٩٣/٣ وشرح المواهب ٢٣٩/٢ وابن كثير في البداية ٢٠٨/٤ والسيرة ٣٩٤/٣.

يَخفَ عليك. فقلتُ: إن كان ملكاً استرحنا منه، وإن كان نبياً فسيُخبَرُ، فتجاوز - وفي لفظٍ - فعفا عنها رسولُ الله - ﷺ - وَمَاتَ بشرٌ من أُكلته الَّتي أَكل ولـم يُعَاقِبْهَا.

وذكر محمد بن عمر: أَنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال لها: «ما حملك على هذا؟» قالت: قَتلتَ أَبي وعمِّي وزوْجي وأَخي - فأَبوها الحارث وعمها يسار وأَخوها رحب وزوجها سَلاَم بن مِشْكَم.

وعن أَبي سَلَمة عن جَابر - رضي الله عنه - أَن رسولَ الله - ﷺ - لـما مات بِشْرُ بن البَرَاء أَمر باليهودية فَقُتِلَت. رواه أَبو داود، ووقع عند البزار من حديث أَبي سعيد الخُدريِّ: أَن رسولَ الله - ﷺ - بعد سؤاله للمرأَة اليهودية واعترافها - بسطَ يَدَهُ إِلى الشَّاة وقال لأَصحابه: «كُلُوا باسم الله» قال: فأَكلنا وذكرنا اسْمَ الله، فلم يُضَرَّ أَحد منا.

قال الحافظ عماد الدين بن كثير: وفيه نَكَارَةٌ وغرابة شديدة. قلت: وذكر محمد بن عمر: أَنَّ رسولَ الله - ﷺ - أَمر بلحم الشّاةِ فأُحْرق.

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - ومن معه من الأشعريين من أرض الحبشة

رَوَى الشيخان، والإِسماعيلي، وابن سعد، وابن حبان، وابن منده عن أَبي موسى الأَشعري - رضي الله عنه - قال: لـما بَلَغَنا مَخْرَجُ النبي - ﷺ - ونحن باليمن، فخرجْنا مُهَاجِرين إِليه أَنا وإِخوان لي، أَنا أَصغرهم، أَحدهم أَبو رُهم - بضم الراء، وسكون الهاء - والآخر أَبو بُرْدَة؛ إِما قال: في بِضْع، وإِما قال: في ثلاثة أَو آثنين وخمسين رجلا من قومي فركبنا سفينة - قال ابن منده: حتى جئنا مكة - ثم خرجنا في برٍّ حتى أَتينا الـمدينة - فأَلقتنا سفينتنا إِلى النجاشي بالحبشة: فوافقنا جعفر بن أَبي طالب وأَصحابه عنده، فقال جعفر: إِنّ رسولَ الله - ﷺ - بعثنا، وأَمرنا بالإِقامة، فأَقيموا معنا، فأَقمنا معه حتى قدِمْنَا جميعاً فوافقنا رسول الله - ﷺ - حين فتح خيبر قال: فأَسْهَمَ لنا، وما قَسَم لأَحدٍ غاب عن فتح خيبر شيئاً إِلا من شَهِدَ معه، إِلا أَصحاب سفينتنا مع جعفر وأَصحابه، قسم لهم معنا، وذكر البيهقي - رحمه الله - أَنَّ رسولَ الله - ﷺ - سأَل الصحابة أَن يشركوهم ففعلوا ذلك[1]، انتهى.

قال: فكان أُناس يقولون لنا: «يعني أَصحاب» السفينة: سبقناكم بالهجرة.

ودخلت أَسماء - بنت عُمَيْس - بعين وسين مهملتين، وبالتصغير - وهي مِمَّن قَدِمَ معنا

(١) أخرجه البخاري ٥٥٣/٧ (٤٢٣٠)، أخرجه مسلم ١٩٤٦/٣، ١٩٤٧ حديث (٢٥٠٢/١٦٩)، والبيهقي في الدلائل ٢٤٤/٤، وانظر السيرة لابن هشام ٣٥٩/٢ والمغازي للواقدي ٦٨٣/٢، والبداية ٢٠٥/٤.

يومئذ ـ على حفصة زوج رسول الله ـ ﷺ ـ زائِرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه، فدخل عُمر على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء ـ رضي الله عنهم ـ من هذه؟ فقالت: أسماء بنت عميس فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، نحن أحقُّ برسولِ الله ـ ﷺ ـ قال: فغضبت وقالت: كلاَّ والله يا عمر، كنتم مع رسول الله ـ ﷺ ـ يُطْعِمُ جِيَاعَكُم، ويُعَلِّمُ جاهلكم، وكنا في دار، أو أرض البُعَداء البُغَضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله، وأيم الله لا أَطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلتَ لرسولِ الله ـ ﷺ ـ وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد علي ذلك، فلما جاء رسولُ الله ـ ﷺ ـ قالت: يا نبي الله!! إن رجالاً يفخرون علينا، ويزعمون أنّا لسنا من المهاجرين الأوّلين، فقال: «مَنْ يَقُولُ ذلكَ؟» قلتُ: إنّ عمر قال كذا وكذا، فقال رسول الله ـ ﷺ: «ما قُلْتِ لَهُ؟» قالت: قلتُ له كذا وكذا، قال: «ليس بأحَقّ لي منكم، له ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهلَ السفينة ـ هجرتان» قالت: فلقد رأيتُ أبا موسى وأصحابه يأتوني أرْسالاً يسألوني عن هذا الحديث، مَا مِنَ الدنيا شيء هُمْ أفرح، ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ قال أبو بُرَيْدَة: قالت أسماء: ولقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني، وقال لكم الهجرةُ مرتين.

وروى البيهقيّ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: لما قدم رسولُ الله ـ ﷺ ـ من خيبر، وقدِمَ جعفرُ من الحبشة، تلقّاهُ رسول الله ـ ﷺ ـ فَقَبَّل جبهته، ثم قال: «والله ما أدري بأيّهما أفرحُ، بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر[1]».

وروى البيهقيّ، بسندٍ فيه من لا يُعرف حالهُ ـ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: لما قدم جعفر بن أبي طالب تلقّاهُ رسولُ الله ـ ﷺ ـ فلما نظرَ جعفر إلى رسول الله ـ ﷺ ـ «حَجَل» قال أحَدُ رُوَاتِه: يعني مشى على رِجْلٍ واحدة إعظاماً منه لرسول الله ـ ﷺ ـ فَقَبَّلَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ بين عَيْنَيْه[2].

ذكر قدوم أبي هريرة وطائفة من أوس على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بخيبر

روى الإمام أحمد، والبخاريُّ في التاريخ، وفي مجمع الزوائد للهيثمي في أول خيبر عن خزيمة، والطحاويُّ، والحاكمُ، والبيهقيُّ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قدمنا المدينة، ونحن ثمانون بَيْتاً من أوْس، فصلينا الصبحَ خلف سَبّاع بن عُرْفُطَة الغفاريّ، فقرأ في الركعة الأولى بسورة: «مَرْيَم»، وفي الآخرة «ويْلٌ للمطَفِّفِين» فلَمّا قرأ ﴿إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٤٦/٤ وابن كثير في البداية ٣٠٦/٤.

(٢) أنظر المصدرين السابقين.

يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين ٢] قلت: تركت عميّ بالسّراة له مِكْيَلاَن، إذا آكتال آكتال بالأوفى، وإذا كَال كَال بالناقص، فلما فرغنا من صلاتنا، قال قائلٌ: رسول الله - ﷺ - بخيبر، وهو قادِمٌ عليكم، فقلت: لا أسمع به في مكان أبداً إلا جئته، فزوّدنا سَبَّاع بن عُرْفُطة، وحملنا حتى جئنا خيبر فنجد رسول الله - ﷺ - قد فتح النَّطَاة، وهو محاصر الكَتيبة، فأقمنا حتى فتح الله علينا(١).

وفي رواية فقدمنا على رسول الله - ﷺ - وقد فتح خيبر، وكلَّم المسلمين فأشركنا في سُهْمَانهم.

ورَوَى البخاريّ، وأبو داود عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قدمتُ المدينة ورسولُ الله - ﷺ - بخيبر حين آفتتحها، فسألتهُ أن يُسْهِم لي، قال: فتكلَّم بعضُ وَلَدِ سعيد بْنِ العاص فقال: لا تُسْهِم له يا رسولَ الله، قال: فقلتُ: هذا والله هو قاتل ابن قَوْقَل، فقال: وأظنه أبان بن سعيد بن العاص سميا عجبا لِوبْر تَدَلَّى علينا من قَدوم ضأن يعيرني بقتل آمرئ مُسلم أكرمه الله على يدَيّ. ولم يهنى على يدَيْه(٢).

وروى البخاريّ، وأبو داود عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بعث رسولُ الله - ﷺ - أباناً على سَرِيّة من المدِينَة، قِبَلَ نَجْد، قال أبو هُرَيْرَةَ: فقَدِمَ أبانٌ وأصحابه على رسول الله - ﷺ - بخَيْبَرَ بعد ما آفتتحها، وإنَّ حُزُمَ خَيْلِهِم لَلِيفٌ، فقال: يا رسول الله أرضخ لنا فقال أبو هريرة: يا رسول الله لا تقسم لهم، فقال أبان وأنت بهذا يا وبْرُ تحدّر من رأس خالٍ - وفي لفظ - فَانٍ، فقال رسول الله - ﷺ -: «يا أبان آجلِس» فلم يقسم لهم(٣).

ذكر قدوم عيينة بن حصن وبني فزارة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيبر بعد فتحها وما وقع في ذلك من الآيات

رَوَى البيهقيُّ عن موسى بن عُقْبَةَ عن الزُّهْرِيّ - رحمهما الله - تعالى - : أنَّ بَنِي فَزَارة مِمَّن قَدِمَ على أهل خَيْبَر لِيُعِينُوهم فراسلهم رسول الله - ﷺ - أن لا يعينوهم وسألهم أن يخرجوا عنهم ولكم من خَيْبَر كذا وكذا، فأبوا عليه، فلما أن فتح الله خَيْبَر أتاه من كان هناك من بني فَزارَة، فقالوا: حظنا والذي وعَدْتَنا، فقال رسولُ الله - ﷺ - «حظكم - أو قال «لكم ذو الرّقيبَة» جبل من جبال خيبر - فقالوا: إذاً نقاتلك، فقال: «موعدكم جَنَفَا». فلما أن سمعوا ذلك من رسول الله - ﷺ - خرجوا هاربين(٤).

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٤٧/٤، وذكره الهيثمي في المجمع ١٥٨/٦.
(٢) أخرجه البخاري ٥٦١/٧ (٤٢٣٧)، والبيهقي في الدلائل ٢٤٧/٤ وانظر البداية والنهاية ٢٠٨/٤.
(٣) البخاري ٥٦١/٧ (٤٢٣٨).
(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٤٨/٤.

وروى البيهقيُّ عن محمد بن عمر عن شيوخه، قالوا: كان أَبو شُيَيْم المُزَنِيّ - رضي الله عنه قد أَسْلم فحسن إِسلامه يُحَدِّث وَيَقُول: لما نَفَرْنَا إِلى أَهلنا مع عُيَيْنَة بن حِصْن فرجع بنا عُيَيْنَة، فلما كان دون خَيْبَر عرّسْنَا من الليل، ففزعنا، فقال عُيَيْنَةُ: أَبشروا، إِني رأَيتُ الليلة في النوم أَني أُعْطِيتُ ذُو الرُّقيبة - جبلاً بِخَيْبَر - قد والله أَخذتُ بِرَقَبَةِ محمد - ﷺ - فلما أَن قَدِمْنَا خَيْبَر - قَدِمَ عُيَيْنَة، فوجدْنا رسولَ الله - ﷺ - قد فتح خيبر، فقال عُيَيْنَة: يا محمد! أَعطني مما غَنِمْتَ مِن حلفائي؛ فإِني قد خرجتُ عنك وعن قِتالَك، فقال رسول الله - ﷺ - «كذبت ولكن الصِّياح الذي سَمِعْتَ أَنْفَرَك إِلى أَهلك قال: أَحْذني يا محمد؟ قال: «لك ذو الرُّقَيبة» قال عُيَيْنَةُ: وما ذُو الرُّقَيبة؟ قال «الجبل الذي رأَيت في منامِك أَنَّك أَخذته» فانصرف عُيَيْنَةُ، فلما رجع إِلى أَهله جاءه الحارث بن عوف، وقال: أَلم أَقل لك تُوضِع في غير شيء، فالله، لَيَظْهرَنّ محمدٌ على ما بين المشرق والمغرب، يهود كانوا يخبروننا بهذا أَشهد لسمعت أَبا رافع سلام بن مِشْكم يقول: إِنَّا لنحسد محمداً على النُّبوة، حيث خَرَجَت من بني هَارُون، وهو نَبيٌّ مُرْسَلٌ، ويهود لا تطاوعني على هذا، ولنا منه ذِبحان واحدِ بيثرب وآخر بخيابر(١).

ذكر مصالحة أهل فدك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

لما أَقبلَ رسولُ الله - ﷺ - إِلى خَيْبَر فَدَنَا منها بعث مُحَيِّصَةَ بن مسعود الحارثي إِلى فَدَك يدعوهم إِلى الإِسلام ويخوفهم أَن يغزوهم كما غزا أَهل خَيْبَر. ويحل بساحتهم، قال مُحَيِّصَةُ فجئتهم فأَقمت عندهم يومين، فجعلوا يتربَّصُون ويقولون بالنَّطَاة عَامِر وياسر والحارث، وسيد اليهود مَرْحب، ما نَرَى محمداً بقرب حراهِم، إِن بها عشرة آلاف مقاتل، قال محيّصةُ: فلما رأَيت خُبْثَهم أَردت أَن أَرجع، فقالوا: نحن نرسلُ معك رجالاً منَّا يأْخذون لَنَا الصُّلحَ، ويظنُّون أَن يهود تمتنع، فلم يزالوا كذلك حتى جاءهم قتلُ أَهل حصن ناعم، وأَهلُ النجدة منهم، ففتَّ ذلك أَعضادهم، فقدم رجل من رؤسائهم يقال له نُون بن يُوشع في نفر من يهود، فصالَحُوا رسولَ الله - ﷺ - على أَن يحقن دماءهم ويجليهم، ويُخَلُّوا بينه وبين الأَموال، ففعل رسول الله - ﷺ - ويُقَال: عرضوا على رسول الله - ﷺ - أَن يخرجوا مِنْ بِلاَدهم، ولا يكونُ للنبيّ - ﷺ عليهم من الأَموال شيء، فإِذا كان أَوانُ جُذاذها جاءوا فجذُّوها، فأَبى رسول الله - ﷺ - أَنْ يقبل ذلك، وقال لهم مُحيِّصةُ: ما لكم منعةٌ ولا حُصُون ولا رِجال، ولو بعث إِليكم رسولُ الله - ﷺ - مائة رجل لساقوكم إِليه، فوقع الصُّلح بينهم بأَن لهم نِصْفَ الأَرضين بتربتها، ولرسول الله - ﷺ - نِصْفها، فقبل رسولُ الله - ﷺ - ذلك، يقول محمد بن عمر: وهذا أَثبت القولين، وأَقرهم رسولُ الله - ﷺ - على ذلك، ولم يأْتهم، فلمَّا كان عمرُ بنُ

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٤/٢٤٩ والمغازي للواقدي ٢/٦٧٥.

الخطاب وأَجلى يهودَ خيبر بعث إِليهم من يُقَوِّمُ أَرضهم، فبعث أَبا الهيثم مالك بن التَّيِّهان ـ بفتح الفوقية وكسر التحتية المشدَّدة، وبالنون، وفَرْوَة بن عمرو بن جَبَّار ـ بتشديد الموحدة بن صخر، وزيد بن ثابت، فَقَوَّمُوهَا لهم؛ النخل والأَرض، فأَخذها عمر، ودفع إِليهم نصف قيمة النخل بتربتها، فبلغ ذلك خمسين أَلف درهم أَو يزيد، وكان ذلك المال جاء من العراق، وأَجلاهم إِلى الشام.

ذكر المراهنة التي كانت بين قريش في أن أهل خيبر يغلبون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

روى البيهقي عن عُروة، وعن موسى بن عقبة، وعن محمد بن عمر عن عبد اللّه بن أَبي بكر بن حزم ـ رحمهم الله تعالى ـ قالوا ـ : واللفظ لمحمد بن عمر ـ: كان حُوَيْطب ـ بضم الحاء المهملة، وسكون التحتية، وكسر الطاء المهملة ـ ابن عبد العُزَّى ـ رضي الله عنه ـ يقول: آنصرفت من صُلْحِ الحُدَيْبِيَة، وأَنا مشتَيْقِن أَن محمَّدا ـ ﷺ ـ سيظهر على الخلْق، وتأْبى حميَّةُ الشيطان إِلاَّ لزوم ديني، فقدم علينا عبَّاس ـ بالموحدة المشددة ـ ابن مِرْدَاس ـ بكسر الميم ـ السلمي يُخبرنا أَنَّ محمَّداً ـ ﷺ ـ قد سار إِلى خيابر، وأَن خيابر قد جمعت لرسول الله ـ ﷺ ـ فمُحَمَّدٌ لا يُفْلِت إِلى أَن قال عبَّاس بن مِرْداس: من شاء بايعته إِن محمدا لاَ يُفْلِت قلتُ: أَنا أُخاطرك، فقال صفوان بن أُمية: أَنا معك يا عباس، وقال نَوْفَل بن معاوية الدِّيْلَمي أَنا مَعَكَ يا عبَّاس، وضَوَى إِليَّ نفر من قريس فتخاطرنا مائة بعير أَخماساً إِلى مائة بعير، أَقولُ أَنا وحِزْبي: يظهرُ محمد ـ ﷺ ـ ويقولُ عباس وحزبه: تظهر غَطَفَان، وجاء الخَبر بظهورِ رسولِ الله ـ ﷺ ـ فأَخذ حُوَيْطِبُ وحزبه الرَّهْن.

ذكر استئذان الحجاج بن علاط ـ رضي الله عنه ـ من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد فتح خيبر أن يذهب إلى مكة لأخذ ماله قبل وصول الخبر إليها

روى الإِمام أَحمد عن أَنس ـ رضي الله عنه ـ والبيهقيُّ عن ابن إِسحاق، ومحمد ابن عمر عن شيوخه، قالوا: كان الحجاج بن عِلاَط بكسر العين المهملة، وتخفيف اللاَّم، السُّلَمي بضم السِّين، خرج يُغير في بعض غاراته، فَذُكِرَ له أَن رسول الله ـ ﷺ ـ بِخَيْبَر، فأَسْلَم، وحضر مع رسولِ الله ـ ﷺ ـ وكانت أُمُّ شيبة آبنةَ عُميرِ بن هاشم ـ أُختُ مُصْعَب بن عُمير العَبْدَرِيّ ـ آمرأَته، وكان الحجَّاج مكثرا، له مالٌ كثيرٌ، وله معادن الذهب التي بأَرض بني سُلَيْم ـ بضم السين، فقال: يا رسول الله، إِئْذَنْ لي، فأَذهب فآخذ مالي عند آمرأَتي، فإِن علمتْ بإِسلامي لم آخذ منه شيئاً، وَمَالٌ لي متفرق في تجَّارِ أَهل مكة، فأَذن له رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول

الله، إِنّه لاَ بُدَّ لي من أَن أَقول، قال «قُلْ» قال الحجاج: فخرجتُ فلما آنتهيتُ إِلى الحرم، هبطتُ فوجَدتهم بالثنية البيضاء، وَإِذا بها رجالٌ من قريش يتسمَّعُون الأَخبار قد بلغهم أَنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قد سار إِلى خيبر، وعرفوا أَنها قرية الحِجَاز أَنفةً ومنعةً وريفا ورجالاً وسِلاَحاً، فهم يتحسَّبُون الأَخبار، مع ما كان بينهم من الرِّهَان، فلمَّا رأَوني قالوا: الحجاج بن عِلاَط عنْدَهُ ـ والله ـ الخبر ـ ولم يكونوا عَلِمُوا بِإِسلامي ـ يا حجاج، إِنَّه قد بلغنا أَن القاطع قد سار إِلى خيبر بَلَدِ يهود، وريف الحجاز، فقلتُ: بلغني أنه قد سار إِليها وعندي من الخبر ما يسرُّكُم فَالتبطوا بِجَانِبيْ راحلتي، يقولون: إِيه يا حجاج؟! فقلت: لم يَلْق محمدٌ وأَصحابُه قوماً يُحْسِنُون القتال غير أَهل خيابر، كانوا قد ساروا في العرب يجمعون له الجُمُوع، وجمعوا لَهُ عشْرة آلافٍ فَهُزِمَ هزيمةً لم يُسمع بمثلها قط، وأُسِرَ مُحَمَّدٌ أَسراً، فقالوا: لاَ نَقْتُلُه حتَّى نبعثَ به إِلى مكة فنقتله بين أَظهرهم بمن قَتَل منَّا ومنهم، ولهذا فإِنهم يرجعون إِليكم يطلبُون الأَمان في عشائِرهم، ويرجعون إِلى ما كانوا عليه، فلا تقبلوا منهم، وقد صنعوا بكم ما صنعوا، قال: فَصَاحُوا بمكة، وقالوا: قد جاءكم الخبر، هذا محمدٌ إِنما تنتظرون أَن يُقْدَمَ به عليْكم فَيُقْتَلَ بين أَظهركم، وقلت: أَعِيْنُونِي علَى جَمْعِ مَالي على غرمائي فإِني أُريد أَن أَقدمَ فأُصيبَ من غنائم محمَّد وأَصحابه، قبل أَن تسبقني التُّجار إِلى مَا هُنَاك، فقاموا فجمعوا إِليّ مالي كأَحَثِّ جمع سمعتُ به، وجِئتُ صاحبتي فقلْتُ لها: مالي، لَعَلِّي ألْحَقُ بِخَيْبَرَ فأُصيب من البيع قبل أَن يسبقني التُّجار.

وفشا ذلك بمكَّة، وأَظهر المشركون الفرح والسرور، وآنكسر منْ كان بمكة من المسلمون، وسمع بذلك العباس بن عبد المطلب، فقعد وجعل لا يستطيعُ أَن يقوم فأَشفق أَن يدخل داره فيؤذى وعلم أَنه يؤذى عند ذلك فأَمر بباب داره أَن يفتح وهو مستلق فَدعا بِقُثم، فجعل يرتجز ويرفع صوته لئِلا يشمت به الأَعداء، وحضر باب العباس بين مَغِيظٍ ومحزون، وبين شامت، وبين مسلم ومسلمة مقهورين بظهور الكُفْر، والبَغْي، فلمَّا رأَى المسلمون العباسَ طَيِّبَةً نفسُه، طابت أَنفسهم، وآشتدت مُنتهم[1]، فَدَعا غلاماً لهُ يقالُ له أَبو زبيبة، بلفظِ واحدةِ زَبيبِ العِنَب، ولم أَجد له ذكراً في الإِصابة، فقال: اذهب إِلى الحجاج فقل له: يقول لك العباس: الله أَعلى وأَجلّ من أَن يكون الذي جئتَ به حقاً، فقال له الحجاج: اقرأْ على أَبي الفضل السَّلاَم، وقل له: لِيَخْلُ لي في بعض بُيُوته؛ لآتيه بالخبر على ما يسره، واكتُم عنِّي، وأَقبل أَبو زبيبة يبشر العباسَ، فقال: أَبشر يا أَبا الفضل، فوثب العباس فَرِحاً كأَن لم يمسَّه شيء، ودخل عليه أَبو زبيبة، وآعتنقه العباس، وأَعْتَقَه، وأَخبره بالذي قاله.

---

(١) المنَّة: القوة، آنظر المعجم الوسيط ٨٩٦/٢.

فقال العباس: لله عليَّ عتقُ عَشْرِ رِقاب، فلما كان ظُهْراً، جاءه الحجاج، فَنَاشَدَهُ الله: لتكْتُمنَّ على ثلاثة أيام، ويقال: يوماً وليلة، فوافقه العباس على ذلك، فقال: إني قَدْ أَسلمت، ولي مالٌ عند آمرأتي، ودَيْنٌ على الناس، ولو علِمُوا بإسلامي لم يدفعوه إليّ وتركتُ رسولَ الله - ﷺ - وقد فتح خيبر، وجرت سهام الله - تعالى - ورسوله - ﷺ - فيها وآنْتَشَلَ ما فيها، وتركْته عروساً بآبنة مليكهم حُيَيّ بن أخطب، وقُتِلَ ابنُ أَبي الحُقَيْق فلما أَمسى الحجاج من يومه خرج وطالت على العباس تلك الليالي، ويقالُ: إنما آنتظره العباس يوماً وليلةً، فلما كان بعد ثلاث، والناس يموجُون في شأْن ما تبايعوا عليه، عمَد العباسُ إلى حُلَّةٍ فلبسها، وتخلَّق بخلوقٍ، وأَخذ بيده قضيباً، ثم أَقبل يخْطُر، حتَّى وقف على باب الحجاج بن عِلاَط فقرعه، فقالت زوجته: أَلاَ تدخل يا أَبا الفضل؟ قال: فأَين زوجك؟ قالت: ذهب يوم كذا وكذا، وقالت: لا يحزنك الله يا أَبا الفضل، لقد شَقَّ علينا الَّذِي بَلَغَك، قال: أَجل، لا يحزنني الله، لم يكن بحمد الله إلاّ ما أَحْبَبْنَا، فتح الله على رسُولِهِ خَيبر، وجرت فيها سهام الله ورسوله، وآصطفى رسولُ الله - ﷺ - صَفِيَّة لنفسه، فإن كانت لَكِ حاجة في زَوْجك فآلحقي به، قالت: أَظنُّك والله صَادِقاً.

ثم ذهب حتى أَتَى مجلس قريش وهم يقولون إذا مرّ بهم: لا يصيبُك إلا خير يا أَبا الفضل!! هذا والله التجلد لحرّ المصيبة؛ قال: كلاَّ والله الَّذِي حَلَفْتُم به، لم يُصِبْني إلا خير بحمد الله، أَخْبَرَني الحجاجُ بنُ عِلاط أَن خيبر فتحها الله على رسوله، وجرى فيها سهامُ الله وسهامُ رسوله، فردَّ الله - تعالى - الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين، وخرج المسلمون من كان دَخَلَ في بيته مكتئباً حتى أَتوا العباسَ فأَخْبرهم الخبر، فَسُرَّ المسلمون. وقال المشركون [يالعباد الله] انفلت عدوُّ الله، - يعني الحجاج أَمَا والله لَوْ علمنا لكان لنا وله شأْن، ولم ينشبوا أَن جاءهم الخبر بذلك.

ذكر مغانم خيبر ومقاسمها على طريق الاختصار

عن أَبي هريرة - رضي الله عنه - قال: خرجنا مع رسولِ الله - ﷺ - عام خيبر، فلم يغنم ذَهَباً ولا فضة إلا الإبل والبقر والمتاع والحوائط. وفي روايةٍ إلا الأَموال والثياب والمتاع. رواه مالك والشيخان، وأَبو داود، والنسائي(١). وقال ابن إسحاق: وكانت المقاسم على أَموال خيبر على الشَّق ونَطَاة والكَتِيبَة، وكانت الشَّق، ونطاة في سُهمان المسلمين، وكانت الكَتيبةُ خُمُسَ الله، وسَهْمَ النبي - ﷺ - وسهمَ ذوي القُربى واليتامى والمساكين، وطُعْمَ أَزواج

(١) أخرجه البخاري ٥٥٧/٧ (٤٢٣٤).

النبي - ﷺ - وطُعْمَ رجالٍ مَشَوْا بَيْنَ رسول الله - ﷺ - وبين أَهل فَدَك بالصُّلح؛ منهم مُحَيِّصةُ بن مسعود، أَعطاه رسولُ الله - ﷺ - منها ثلاثين وِسْقاً من شعير، وثلاثين وسْقاً من تمر، وقُسِّمت خيبرُ على أَهل الحُدَيْبِيَة، منْ شَهِدَ خيبر ومن غاب عنها، ولم يغبْ عنها إلاَّ جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام - رضي الله عنهما - فَقَسَمَ له رسولُ الله - ﷺ - كسهم من حَضَرَها، وكان وادياها - وادي السُّريرة، ووادي خاصٍ، وهما اللذان قُسِّمت عليهما خيبر.

وكانت نَطَاة والشّق ثمانية عشر سَهْماً، نَطَاةُ من ذلك خمسةُ أَسهم، والشّق ثَلاَثَةَ عَشَرَ سهما، وقُسِّمَت الشّق ونَطاة على أَلفِ سهم وثمانمائة سهم، وكانت عدَّةُ الَّذين قُسِّمت عليهم خيبر من أَصحاب رسول الله - ﷺ - أَلف سهم وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم، للرجال أَربع عشرة مائة، والخيل مائتا فرس، فكان لكل فرس سهمان، ولفارسه سهم، وكان لكلِّ رَاجلٍ سهم، وكان لكل سَهْم رأْسٌ جمعَ إِليه مائة رجل، فكانت ثمانية عشر سَهْماً، جمع.

فَكَانَ عليٌّ بن أَبي طالب - رضي الله عنه - رأْساً، والزُّبير بن العوّام رأْساً، وسَرد ذكر ذلك ابنُ إِسحاق. ثم قال: ثم قَسَّمَ رسولُ الله - ﷺ - الكَتِيبةَ؛ وهي وادي خاص بين قرابته وبين نسائه وبين رجالٍ مُسْلمين ونساءٍ أَعطاهم منها، ثم ذكر كيفيَّة القسمة.

وروى أَبو داود عن سهل بن أَبي حَثْمة - بخاء معجمة، فثاء مثلثة ساكنة - رضي الله عنه - قال: قسم رسولُ الله - ﷺ - خيبر نصفين، نصْفاً لنوائبه وخاصَّته، ونصفاً بين المسلمين، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهما(١).

رُوي أَيضاً عن بُشير - بضم الموحدة - بن يسار - رحمه الله - تعالى عن رجال من أَصحاب رسول الله - ﷺ - رضي الله عنهم: أَن رسول الله - ﷺ - لما ظهر على خيبر قسّمها على سِتَّةٍ وثلاثين سهماً، جمع كلُّ سهم مائة سهم، فكان لرسولِ الله - ﷺ - وللمسلمين النّصْف من ذلك، وعزَلَ النصْفَ الباقي لمن نزل به من الوفود والأُمور ونوائب الناس، زاد في رواية أُخرى عنه مرسلةً بَيَّنَ فيها نصف النوائب: الوطِيح والكَتِيبة وما حيز معهما زاد في رواية والسلالم، وعزل النصف الآخر الشق والنطاة وما حيز معهما، وكان سهم رسولِ الله - ﷺ - فيما حيز معهما كسهم أَحدهم(٢).

قال ابن إِسحاق - رحمه الله - تعالى - : وكان المتوليّ للقسمة بخيبر جَبَّار - بفتح الجيم، وتشديد الموحدة وبالراء المهملة - ابن صخر الأَنصاري من بني سَلِمَة - بكسر اللاَّم،

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٠١٠)، والتمهيد لابن عبد البر ٤٥٠/٦.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠١٢).

وزيد بن ثابت من بني النَّجّار، وكانا حاسبين قاسمين.

وقال ابن سعد ـ رحمه الله ـ تعالى ـ أَمر رسولُ الله ـ ﷺ ـ بالغنائم فجمعت، وآستعمل عليها فَرْوَة بن عمرو البياضي، ثم أَمر بذلك فجزئ خمسة أَجزاء، وكتب في سهم منها، الله، وسائر السُّهمَان أَغفال، وكان أَوَّل ما خرج سهم رسول الله ـ ﷺ ـ لم يتحيّز في الأَخماس، فأَمر ببيع الأَربعة الأَخماس فيمن يريد، فباعها فَرْوَة، وقسّم ذلك بين أَصحابه وكان الذي وَلِي إِحصاء الناس، زيد ابن ثابت فأَحصاهم أَلفاً وأَربعمائة، والخيلَ مائتي فرس، وكانت السُّهمان على ثمانية عشر سهماً، لكل مائة سهم، وللخيل أَربعمائة سهم، وكان الخُمسُ الذي صار لرسول الله ـ ﷺ ـ يُعطي منه ما أَراه الله من السلاح والكُسوة، وأَعطى منه أَهل بيته، ورجالاً من بني المطلب، ونساء، واليتيمَ والسائلَ.

ثم ذكر قدوم الدَّوْسيين والأَشعريين وآصحاب السفينتين، وأَخذهم من غنائم خيبر، ولم يبين كيف أَخذوا.

قال في العيون: وإِذا كانت القسمة على أَلف وثمانمائة سهم وأَهل الحُدَيْبِيَة أَلفٌ وأَربعمائة، والخيل مائتي فرس بأَربعمائة سهم، فما الذي أَخذه هؤلاء المذكورون؟

وما ذكرهُ ابن إِسحاق من أَن المقاسم كانت على الشَّق، والنَّطَاة والكَتيبَة أَشبه؛ فإِنّ هذه المواضع الثلاثة مفتوحة بالسيف عَنوة من غير صُلْح، وأَما الوَطِيحُ والسُّلاَلم فَقَدْ يكون ذلك هو الذي آصطفاه رسولُ الله ـ ﷺ ـ لما ينوب المسلمين، ويُترجح حينئذ قولُ موسى بن عُقْبة ومن قال بقوله: إِنّ بعض خيبر كان صُلْحاً، ويكون أَخْذُ الأَشعريين وَمَنْ ذُكِرَ معهم من ذلك، ويكون مشاورة رسول الله ـ ﷺ ـ أَهل الحديبية في إِعطائهم ليست استنزالا لهم عن شيء من حقهم، وإِنما هي المشورة العامة، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران ١٥٩].

روى الشيخان عن عبد اللّه بن مُغَفَّل ـ بضم الميم، وفتح الغين المعجمة، والفاء المشددة، وباللام ـ رضي الله عنه ـ قال أَصبت جِرَاباً، وفي لفظ: دُلِّي جرابٌ من شحم يوم خيبر فآلتزمته، وقلت: لا أُعطي أَحداً منه شيئاً، فالتفتُّ فإِذا رسولُ الله ـ ﷺ ـ فآستحيَيْتُ منه، وحملته على عُنُقي إِلى رَحْلِي وأَصحابي فلقيني صاحبُ المغانم الَّذي جُعِلَ عليها، فأَخذ بناحيته وقال: هَلُمَّ حتَّى نقسمه بين المسلمين، قلت: لا والله لا أُعطيك، فَجعل يُجَاذبني الجرابَ، فرآنا رسولُ الله ـ ﷺ ـ نصنعُ ذلك، فتبسّم ضَاحِكاً، ثم قال لصاحِبِ المغانم: «لا أَبالك، خَلِّ بينه وبينه» فأَرسله، فأَنطلقتُ به إِلى رحْلي وأَصحابي، فأَكلناه(١).

(١) أخرجه البخاري ٢٥٥/٦ (٣١٥٣) ومسلم ١٣٩٣/٣ (١٧٧٢/٧٢).

قال ابن إسحاق: وأعطى رسولُ الله ـ ﷺ ـ ابن لُقَيم ـ بضم اللامِّ، قال الحاكم: واسمه عيسى العبسي ـ بموحدة ـ حين آفتتح خيبر ما بها من دَجاجة وداجن.

ذكر إهداء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النساء والعبيد من المغانم

قال ابن إسحاق: وشهد خيبر مع رسول الله ـ ﷺ ـ من نساء المُسلمين فَرَضَخَ لهن(١) من الفيءِ، ولم يضرب لهن بسهم.

روى ابن إسحاق، والإمام أحمد، وأبو داود، كلاهما من طريقه عن آمرأة من غِفَار قالت: أتيتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ في نِسْوةٍ من بَنِي غفَارٍ ـ بكسر الغين المعجمة ـ فقلن: يا رسولَ الله قد أردنا الخروج معك إلى وجهك هذا ـ وهو يسير إلى خَيْبَر ـ فنداويَ الجرحى، ونُعينُ المسلمين ما آستطعنا، فقال: «عَلَى بَرَكَةِ الله تَعَالَى». قالت: فخرجْنَا معه، وذكرت الحديث(٢).

قالت: فلمَّا فتح رسولُ الله ـ ﷺ ـ خيبر رضخ لنا من الفيءِ.

وعن عبد اللّه بن أُنَيْس(٣) ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجْتُ مع رسول الله ـ ﷺ ـ إلى خَيْبَر ومعي زوجتي ـ وهي حُبْلَى، فنفستْ في الطريق، فأخبرتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ فقال: انْقَعْ لَهَا تَمْراً، فإذا أنعم بَلَّهُ فَامْرُثْهُ لِتَشْرَبه». ففعلتُ فما رَأَتْ شيئاً تكرهه، فلمَّا فتحنا خيبر أحذى النساء ولم يُسْهِم لهن، فأحْذَى زوجتي وولدي الذي وُلِد. رواه محمد بن عمر(٤).

وروى أبو داود عن عُمير مولى أبي اللَّحْم ـ بالموحدة بلفظ آسم الفاعل ـ رضي الله عنه ـ قال شَهِدْتُ خَيْبَر مع سادتي فكلموا فيَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ فأمر بي فقلِّدْتُ سَيْفاً ـ فإذا أنا أجُرُّه، فأُخْبِرَ أني مملوك، فأمر لي بشيء من خُرْثِيِّ المتاع(٥).

ذكر من استشهد بخيبر من المسلمين

أَسلم الحبشي الراعي، ذكره أبو عمر وآعترضه ابن الأثير بأنه ليس في شيء من السياقات أن آسمه أَسلم، قال الحافظ: وهو آعتراض متجه، قلتُ: قد جزم ابن إسحاق في السيرة برواية ابن هشام بأن آسمه أَسلم الأسود الرّاعي، تقدم أن آسمه أَسلم. وقال محمد بن عمر: آسمه يسار.

---

(١) الرضخ: العطية القليلة، انظر النهاية ٢/٢٢٨.

(٢) أحمد ٦/٣٨٠ والبيهقي ٢/٤٠٧ وابن سعد ٨/٢١٤ وانظر البداية والنهاية ٤/٢٠٤.

(٣) عبد اللّه بن أنيس الجهني، أبو يحيى المدني، حليف الأنصار، صحابي، شهد العقبة وأحداً، ومات بالشام في خلافة معاوية، سنة أربع وخمسين، ووهم من قال سنة ثمانين. بخ م ع التقريب ١/٤٠٢.

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل ٤/٢٤٣ وابن كثير في البداية ٤/٢٠٥.

(٥) أخرجه أبو داود ٣/٧٥ (٢٧٣٠).

أُنَيْف - تصغير أَنف - بن حبيب بن عمرو بن عوف.

أُنيف - كالذي قبله بن واثلة بالمثلثة، أَو التحتية.

أَوس بن جبير - بالجيم - الأَنصاري من بني عمرو بن عوف، قُتِل على حصن ناعم، أَورده ابن شاهين، وتبعه أَبو موسى: أَوس بن حبيب الأَنصاري. ذكره أَبو عمر، وقيل هو الذي قبله.

أَوس بن فايذ - بالتحتيَّة والذَّال المعجمة الأَنصاري، ذكره أَبو عمر: أَوس بن فايد - بالفاء والدال المهملة، أَو ابن فاتك أَو الفاكه من بني عمرو بن عوف.

أَوس بن قتادة الأَنصاري.

بِشْر - بكسر الموحدة وسكون المعجمة ابن البراء بتخفيف الراء - ابن مَعْرُور، بفتح الميم، وسكون العين المهملة، وضم الراء الأُولى.

ثابت بن إِثْلة - بكسر الهمزة، وسكون الثاء المثلثة، وزاد أَبو عمر وَاواً في أَوَّلِهِ، ولم يوافقوه.

ثَقْف - بثاء مثلثة - مفتوحة، فقاف ساكنة ففاء، وقال محمد بن عمر ثقاف بن عمرو بن شُمَيط الأَسدي.

الحارث بن حاطب، ذكره ابن إِسحاق، ومحمد بن عمر، وابن سعد، وقالا: شهد بدراً، ولم يتعرض له أَبو عمر، ولا الذهبي، ولا الحافظ: لكونه آسْتُشْهِدَ بخيبر. وهو أَخو ثعلبة بن حاطب بن عمر بن عبيد الأَنصاري الأَوسي.

ربيعة بن أَكثم بن سَخْبَرَة - بفتح السين المهملة، وسكون الخاء المعجمة، وبالموحدة ابن عمرو الأَسدي، قُتِلَ بالنَّطَاة، قتله الحارث اليهودي.

رِفَاعة بن مَسْروح - بمهملات - الأَسدي حليف بني عبد شمس، قتله الحارث اليهودي.

سليم بن ثابت بن وقش الأَنصاري الأَشهلي، ذكَرهُ ابن الكلبي، وأَبو جعفر بن جرير الطَّبَرِيُّ.

طَلْحَة: ذكره آبن إِسحاق، ولم ينسبه، ولم يقف كثيرٌ من الحفَّاظ على نسبه، ولم يذكره محمد بن عمر ولا ابن سعد، وقال أَبو ذر في الإِملاء: هو طلحة بن يحيى بن سحاق بن مليل.

قال أَبو علي الغساني - رحمه الله - لم يخبر ابن إِسحاق باسم طلحة هذا، قلت: ولم أَر طلحة بن يحيى بن إِسحاق هذا ذكراً في الإِصابة للحافظ، ولا في الكاشف للذهبي.

عامر بن الأَكوع، واسم الأَكوع: سِنَان بن عبد اللّه بن قشير الأَسلمي المعروف بابن الأَكوع عم سلمة بن عمرو بن الأَكوع، روى الشيخان، والبيهقي عن سلمة بن الأَكوع ـ رضي الله عنه ـ قال: لما تَصَافَّ القومُ يَوْمَ خيبر، وكان سيفُ عامر فيه قِصَرٌ، فتناول به ساق يهودِي ليضربه فَرجع ذباب سيفه، فأَصاب عَيْنَ ركبته فمات منه، فلما قفلوا سمعتُ نفراً من أَصحاب محمد رسول الله ـ ﷺ ـ يقولون: بطل عمل عامر، قَتَلَ نفسه، فأَتيتُ رسول الله ـ ﷺ ـ وأَنا أَبكي فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: لـمَّا رآني شَاحِباً: مالكَ؟ قلتُ: فداكَ أَبي وأُمي؛ زعموا أَن عامراً حَبِطَ عمله. قال: «مَنْ قَالَ؟» قلتُ: فلانٌ وفلانٌ، وأُسَيْدُ بنُ الـحُضير الأَنصاري فقال: «كَذَبَ مَنْ قَالَه، إِنَّ له لأَجْرَيْن» وجمع بين أُصبعيه «إِنَّه لـجاهِدٌ مُجَاهِدٌ، قلَّ عَرَبيٌّ مشى ـ وفي لفظ نشأَ بها مثله» ووقع في حديث؛ أَنه عمّ سَلَمة بن عمرو بن الأَكوع، وفي حديث آخر أَنه أَخوه، ولا تنافي بينهما، لأَنه عمّه وأَخوه في الرضاعة.

عبد اللّه بن أَبي أُمية بن وهب الأَسدي بالحلف، قُتِلَ بالنَّطاة، وذكره محمد بن عمر، وابن سعد ولم يذكره ابن إِسحاق.

عبد اللّه بن هُبَيْب ـ بموحدتين ـ مصغر ـ ابن أُهَيْب؛ ويقال: وُهَيْب بن سُحيم اللَّيثي حليف بني أَسد، ذكره ابن إِسحاق في رواية البكائي، وجرير بن حازم، ويونس بن بكير، لكن عنده عبد اللّه بن فلان بن وهب، وكذا سمّاه أَبو عمر وجماعة وذكر محمد بن عمر: أَنه آستُشْهِدَ هو وأَخوه عبد الرحمن بأُحُد قال الحافظ: والأَوّل أَوْلَى.

عَدِيّ بن مُرّة بن سُراقة البلوي بفتح الموحدة واللام ـ حليف الأَنصار طعن بين ثدييه بحربة فمات منها ـ ذكره محمد بن عمر، وابن سعد، وأَبو عمر.

عروة بن مرة بن سراقة الأَوسي: ذكره أَبو عمر.

عمارة بن عقبة بن حارثة الغِفَاريّ، رُمِيَ بسهم ذكره ابن إِسحاق، ومحمد بن عمر، وابن سعد، وأَبو عمر، وتعقّبه الحافظ في كونه آستشهد بخيبر بِكلامٍ يدلُّ على أَنه لم يراجع السّيرة في هذا المحل، ولا شكَّ في صحة ما ذكره أَبو عمر.

فُضَيْل بن النُّعمان الأَنصاري السَّلمي ـ بفتح السين، ذكره ابن إِسحاق في رواية يُونس وابن سَلَمة وزياد، وجزم بذلك محمدٌ بن عمر، وابن سعد هنا، وقال ابن سعد في موضع آخر: كذا وجدناه في غزوة خَيْبَر، وطلبناه في نسب بني سَلَمة فلم نجده، ولا أَحسبه إِلاَّ وهْماً، وإِنما أَراد الطُّفَيْل بن النعمان بن خنساء بن سنان، والطُّفيل ذكره ابن عقبة فيمن شهد خيبر.

بشر بن المنذر بن زَنْبَر ـ بزاي، ونون موحدة وزن جَعْفَر ـ بن زيد بن أُمية الأَنصاري، ذكره ابن إِسحاق.

مَحْمُود بن مَسْلَمة[١]: قُتِلَ عِنْدَ حِصْنِ نَاعم، أُلقيت عليه صخرة، قيل أَلقاها عليه مرْحب، وقيل: كنانة بن الرَّبيع، ولعلهما آشتركا في الفعل.

وَمِدْعَم الأَسود[٢] مولى رسول الله - ﷺ - قتل بخيبر - وهو الذي غلَّ الشملة يومئذ، وجاء الحديث أَنها تشتعل عليه نارا.

مرة بن سُراقة الأَنصاري[٣]، ذكره أَبو عمر، وتعَقبه ابنُ الأَثير بأَن الذي ذكروا أَنه شهد خيبر آبنه عروة بن مرَّة. قال الحافظ: ولا مانع من الجمع، قلت: ويؤيِّد كلام ابن الأَثير أَن أَبا عمر لم يذكره في الدرّ، بل ذكر آبنه عُرْوة.

مسعود بن ربيعة[٤] - ويقال: ربيع بن عمرو القَارِيّ بالتشديد ممن آستشهد بخيبر.

مسعود بن سعد بن قيس الأَنصاري الزُّرقي: ذكره ابن إِسحاق، ومحمد بن عمر، وابن سعد، ونقل أَبو نُعيم عن ابن عمارة أَنه ذكره فيهم، وخالفه الواقدِيّ - اهـ. نقله الحافظ وأَقرّه. والذي في مغازي الواقدي أَنه آسْتُشْهِدَ بخيبر، وأَنَّ مرحباً قتله، فالله أَعلم.

يسار: اسم الأَسود الراعي؛ ذكره محمد بن عمر، وابن سعد وسمّاه ابن إِسحاق، أَسلم.

أَبو سُفْيان بن الحارث، كذا في نسخة سقيمة عن الزهري نقلاً عن رواية يونس عن ابن إِسحاق، ولم أَره في الإِصابة.

أَبو ضَيَّاح - بضاد مفتوحة، فتحتية مشدّدة، فأَلف، فحاء مهملة - الأَنصاري، آسمه النّعمان، وتقدم في البدريين رجلٌ من أَشجع ذكره محمد بن عمر، وابن سعد. وروى النسائي والبيهقي عن شدّاد بن الهاد - رضي الله عنه - أَن رجلا من الأَعراب جاء إِلى رسول الله - ﷺ - فآمن واتّبعه، فقال: أُهاجِرُ معك، فأَوْصى به النبي - ﷺ - بعض أَصحابه، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسولُ الله - ﷺ - شيئاً قسّمه لهم، وقَسَمَ له، فأَعطى أَصحابَه ما قسم

---

(١) محمود بن مسلمة بن سلمة الأنصاري ذكروه في الصحابة واستشهد في حياة النبي - ﷺ. وذكر ذلك موسى بن عقبة في المغازي وقال: آبن سعد شهد محمود أحدا والخندق والحديبية وخيبر وقتل يومئذ شهيداً أدلى عليه مَرْحب رحى فأصابت رأسه فهشمت البيضة رأسه، الإصابة ٦٧/٦.

(٢) مدعم الأسود مولى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم.. كان مولدا من حسمى أهداه رفاعة بن زيد الجذامي لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم. الإصابة ٧٤/٦.

(٣) مرة بن سراقة الأنصاري.. ذكر أبو عمر انه استشهد بحنين وتعقبه ابن الاثير بأن الذي ذكروا أنه شهد حنينا عروة بن مرة قلت ولا مانع من الجمع، قال الحافظ انظر الإصابة ٨١/٦.

(٤) مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن عائذة بن ثيع بن مليح بن الهون وهو القارة بن خزيمة بن مدركة القاري.. ويقال مسعود بن عامر بن ربيعة بن عمير بن سعد ابن مخلد بن غالب وهذا قول ابن الكلبي وأفاد ان من ذريته محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، الإصابة ٨٩/٦.

له، وكان يرعى ظَهْرَهُم، فلما جاء دَفَعُوهُ إليه، فقال: ما هذا؟ فقالوا قَسْمٌ قسمه لك رسولُ الله - ﷺ - فخذه، فجاء به رسول الله - ﷺ - فقال: ما هذا؟ قال: «قسم قسمته لك» قال: ما على هذا أتبعك، ولكن اتبعتك على أن أُرْمَى ههنا، وأشار إلى حَلْقِه - بسهم - فأموت، فأدخل الجنة. فقال: «إن تَصْدُق الله يَصْدُقْك» ثم نهضوا إلى قتال العدو، فأُتي به رسول الله - ﷺ - يُحْمَلُ وقد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبيُّ - ﷺ -: «هو هو» قالوا: نعم. قال: «صَدَقَ الله فَصَدَقَه» فكفَّنه النبي - ﷺ - في جُبّته، ثم قدمه. فصلَّى عليه، وكان مما ظهر من صلاته: **«اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ وابن عَبْدِكَ خَرَجَ مُهَاجِراً فِي سَبِيلِك، قُتِلَ شَهِيداً، أَنَا عَلَيْه شَهِيد»**.

وقتل من يهود ثلاثة وتسعون رجلاً.

ذكر انصراف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن خيبر وتوجهه إلى وادي القرى

قال أبو هريرة: نزلناها أصيلاً مع مغرب الشَّمس، رواه ابن إسحاق.

قال البلاذُري: قالوا: أتى رسولُ الله - ﷺ - مُنْصَرَفَه من خيبر وَادِي القُرى فَدَعا أهلَها إلى الإسلام، فامتنعوا من ذلك وقاتلوا، ففتحها رسولُ الله - ﷺ - عَنوةً، وغَنَّمه الله أموال أهلها، وأصاب المسلمون منهم أثاثاً ومتاعاً، فخمَّس رسول الله - ﷺ - ذلك، وتركت الأرض، والنخل في أيدي يهود، وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهلَ خيبر.

قال محمد بن عمر: لما انصرفَ رسولُ الله - ﷺ - عَنْ خيبر، وأتى الصَّهْبَاء سلك على بِرْمَة، حتى انتهى إلى وادي القُرى، يريد مَنْ بها من يَهُود، وكان أبو هريرة - رضي الله عنه - يحدث فيقول: - خرجنا مع رسول الله - ﷺ - من خيبر إلى وادي القُرى، وكان رِفاعة بن زيد بن وهب الجُذامي قد وَهَبَ لرسول الله - ﷺ عبداً أسود يقال له مِدْعَم - بميم مكسورة فدال ساكنة فَعَين مفتوحة مهملتين، وكان يُرَحِّل لرسول الله - ﷺ - فلمَّا نزلنا بوادي القُرى انتهينا إلى يهود، وقد ضوى إليها ناسٌ من العَرَب، فبينما مِدْعَم يَحُطُّ رَحْلَ رسولِ الله - ﷺ - وقد استَقْبَلَتْنا يهودُ بالرَّمي حيث نَزَلْنَا، ولم نكن على تعبئة، وهي يصيحون في أطامهم، فيقبل سَهْمٌ عائرٌ فأصاب مِدْعَما فقتله، فقال الناسُ: هنيئاً له الجنة، فقال: رسولُ الله - ﷺ - كَلاَّ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَده إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَها يَوْمَ خَيْبَر مِنَ الغَنَائِم لَمْ يُصِبْهَا المَقْسِمُ تَشْتَعِلُ عَلَيْه نَاراً». فلما سمع الناسُ بذلك جاء رجلٌ إلى رسول الله - ﷺ - بِشِرَاكٍ أَو شِرَاكَيْن، فقال رسولُ الله - ﷺ -: **«شِرَاكٌ مِنْ نَار أَوْ شِرَاكان مِنْ نَار»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري ١١/٥٩٢ (٦٧٠٧) ومسلم ١/١٠٨ (١٨٣/١١٥).

وعبّأَ رسولُ الله - ﷺ - أَصحابه للقتال، وصفَّهم، وَدَفَعَ لواءه إِلى سَعْد بن عبادة، وَرَايَة إِلى الحُبَابِ بنِ المُنْذِر، ورايةً إِلى سهْل بن حُنَيْف - بضم الحاء المهملة وفتح النون، وسكون التحتية، ورايةً إِلى عبّاد - بتشديد الموحدة، وبالدَّال المهملة - ابن بشر.

ثم دعاهم رسول الله - ﷺ - إِلى الإِسلام وأَخبرهم أَنهم إِن أَسلموا أَحرزوا أَموالهم، وَحَقَنُوا دِماءهم، وحسابُهم على الله - تعالى.

فبرز رجلٌ منهم، فبرز له الزُّبير بن العوام فقتله، ثم بَرَزَ آخر، فبرز له الزُّبير فقتله، ثم بَرَزَ آخر، فبرز إِليه عَلِيٌّ بن أَبي طالب - رضي الله عنه - فقتله، ثم برز آخر فبرز إِليه أَبُو دُجَانة فقتله، ثم بَرَزَ آخر فبرز له أَبُو دُجَانَة فقتله، حتى قتل منهم رسولُ الله - ﷺ - أَحَدَ عَشَرَ رجلاً كُلمَّا قُتِلَ رجلٌ دعامَنْ بَقِيَ إِلى الإِسلام.

ولقد كانت الصَّلاةُ تحْضُر يومئذٍ فيصلي رسولُ الله - ﷺ - بأَصحابه، ثم يعودُ فيدعوهم إِلى الله ورسوله، فقاتلهم حتى أَمسوا، وغدا عليهم فلم ترتفع الشَّمْسُ حتى أَعطوا بأَيديهم، وفتحها رسولُ الله - ﷺ - عَنْوة، وغنَّمه الله - تعالى أَموالهم، وأَصابوا أَثاثاً ومتاعاً كثيراً، وأَقَامَ رسولُ الله - ﷺ - بوادي القُرى أَربعة أَيام، وقسم ما أَصاب على أَصحابه بوادي القرى، وترك الأَرض والنخيل بأَيدي يهود، وعاملهم عليها.

قال البلاذُري: وَوَلاَّهَا رسولُ الله - ﷺ - عمرو بن سعيد بن العاص، وأَقطع رسولُ الله - ﷺ - جمرة - بالجيم - ابن هوذة - بفتح الهاء، والذَّال المعجمة - العُذْرِيُّ رمية بسوطه من وادي القُرى.

ذكر نومهم عن الصلاة حين انصرفوا من خيبر وما ظهر في ذلك الطريق من الآيات

روى مسلم، وأَبو داود عن أَبي هريرة. وأَبو داود عن ابن مسعود، وابن إِسحاق عن سعيد بن المسيب، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا: أنصرَف رسولُ الله - ﷺ - من وادي القُرى راجعاً بعد أَن فرغ من خيبر ووادي القُرى، فلما كان قريباً من المدينة سَرَى رسول الله - ﷺ ليلته حتى إِذا كان قُبَيْل الصُّبْح بقليلٍ نزل وعرَّس، وَقَالَ: أَلاَ رجل صالح حافظ لعينه يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام؟ قال بلال: يا رسولَ الله أَنا أَحفظه عليك، فنزل رسولُ الله - ﷺ - وَقَامَ بلال يُصَلِّي ما شاء الله أَن يُصَلِّي. ثم آستند إِلى بعيره، وآستقبل الفجر يرقبه، فغلبتْهُ عيْنُه، فنام، فلم يستيقظ رسولُ الله - ﷺ - ولا أَحدٌ من أَصحابه حتَّى ضربتهم الشمس[1].

---

(١) أخرجه مسلم ٤٧١/١ (٣٠٩/٦٨٠)، وأبو داود في الصلاة باب (١١) والترمذي في التفسير، وآبن ماجه في الصلاة (١٠) ومالك في الموطأ (٢٥).

وكان رسولُ الله - ﷺ - أول أَصحابه هَبَّ، فقال: «ما صَنَعْتَ بِنَا يَا بِلاَل»؟ قَالَ: يَا رسولَ الله، أَخذ بنفسي الَّذي أَخذ بِنَفْسك، قال: «صَدَقْتَ» ثم آقتاد رسولُ الله - ﷺ - بَعيره غَيْر كثير، ثم أَناخ وأَناخ الناس فتوضَّأَ، وتوضأَ النَّاسُ، وأَمر بلالاً فأَقام الصَّلاةَ، فلما فَرَغ، قال: ﴿إِذَا نَسِيتُم الصَّلاَةَ فَصَلُّوهَا إِذَا ذَكَرْتُمُوهَا فَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَ يَقُول: وأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ [طه ١٤].

ذكر رجوع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة مؤيداً منصوراً

روى الأَئمة السِّتَّةُ عن أَبي موسى الأَشعري - رضي الله عنه - قال: أَشرف الناسُ على وادٍ، فرَفَعُوا أَصواتهم بالتكبير: «الله أَكبر الله أَكبر، لا إِله إِلا الله» فقال رسولُ الله - ﷺ - «اربعوا على أَنْفُسِكُم إِنَّكُم لاَ تَدْعُون أَصَم وَلاَ غَائِباً، إِنكُم تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً، وَهُوَ مَعَكُمْ» وأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ الله - ﷺ - فسمعني وأَنا أَقُول لا حول ولا قوَّة إِلاَّ بالله العلي العظيم، فقال: «يا عَبْدَ اللّه بن قَيْس» قلت: لبيك يا رسول الله فداك أَبي وأُمي، قال: «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزِ الجَنَّة؟» قلت: بلى يا رسول الله، فداك أَبي وأُمي، قال: «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بالله»(١).

ولما آنتهى رسولُ الله - ﷺ - إِلى الجُرُف ليلاً، نهى أَن يَطْرُقَ الرجل أَهْلَه لَيْلاً، فذهب رجلٌ فطرق أَهْلَهُ، فرأَى ما يكره فخلى سبيله ولم يَهْجُر، وضَنَّ بزوجته أَن يفارقها، وكان له منها أَولاد، وكان يُحبها، فعصى رسولَ الله - ﷺ - ورأَى ما يكره.

ولما نظر رسولُ الله - ﷺ - إِلى جبل أُحُد، قال: هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّه، اللَّهُمَّ إِني أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لاَبَتَي المَدِينَة»(٢).

ذكر رد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الأنصار ما منحوه للمهاجرين

روى الشيخان، والحافظ، ويعقوب بن سفيان عن أَنسٍ - رضي الله عنه - قال: لما قدم المهاجرون من مكة إِلى المدينة قَدِمُوا وليس بأَيديهم شيء، وكان الأَنصارُ أَهلَ أَرضٍ وَعَقَار، فقاسمهم الأَنصار على أَن أَعطوهم أَنصاف ثمار أَموالهم كل عام، ويكفوهم العمل والمؤنة، وكانت أُم أَنس أَعطت رسولَ الله - ﷺ - أَعذاقاً لها، فأَعطاهن رسولُ الله - ﷺ - أُمَّ أَيمن مولاته أُم أُسامة بن زيد، فلمَّا فرغ رسولُ الله - ﷺ - من أَهل خيبر، وآنصرف إِلى المدينة، ردَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠٥)، وأخرجه مسلم في الذكور والدعاء (٤٤) وأحمد ٤٠٢/٤، والبيهقي ١٨٤/٢ وآبن أبي عاصم ٢٧٤/١، والطبري ١٤٧/٨ وابن السني (٥١٢) وعبد الرزاق (٩٢٤٤) وانظر البداية ٢١٣/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٨٣/٦ (٢٨٨٩) (٢٨٩٣) (٤٠٨٤) (٧٣٣٣) ومسلم ٩٩٣/٢ (١٣٦٥/٤٦٢).

المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا قد منحوهم من ثمارهم، وردَّ رسولُ الله - ﷺ - إلى أُمّي أعْذَاقَها.

وفي رواية: فسألتُ رسولَ الله - ﷺ - فأعطانيهن، فجاءت أمُّ أيمن فجعلت الثوب في عنقي، وجعلتْ تقول: كلا والله الَّذي لا إله إلاَّ هو لا يعطيكهن وقد أعطانيهن، فقال رسول الله - ﷺ - «يا أم أيمن اتْرُكِي وَلَكِ كَذَا وكَذَا» وهي تقول: كلاَّ - والله الذي لا إله إلاَّ هو، فجعل يقول: لَكِ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِ كَذَا» وهي تقول: كلاَّ والله الذي لا إله إلاَّ هو حتى أعطاها عشرة أمثالها أو قريباً من عشرة أمثالها(١).

ذكر بعض ما قيل من الشعر في غزوة خيبر

قال كعب بن مالك - رضي الله عنه:

وَنَحْنُ وَرَدْنَا خَيْبَراً وَفُرُوضَهُ ... بِكُلِّ فَتًى عَارِي الأَشَاجِعِ مِذْوَدِ
جَوَادٌ لَدَى الغَايَاتِ لاَوَاهِنِ القُوَى ... جَرِيءٍ عَلَى الأَعْدَاءِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
عَظِيمُ رَمَادِ القِدْرِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ ... ضَرُوبٌ بِنَصْلِ المَشْرَفِيِّ المُهَنَّدِ
يَرَى القَتْلَ مَدْحاً إِنْ أَصَابَ شَهَادَةً ... مِنَ الله يَرْجُوهَا وَفَوْزاً بِأَحْمَدِ
يَذُودُ وَيَحْمِي عَنْ ذِمَارِ مُحَمَّدٍ ... وَيَدْفَعُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ وَبِاليَدِ
وَيَنْصُرُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَرِيبُهُ ... يَجُودُ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدِ
يُصَدِّقُ بِالأَنْبَاءِ بِالغَيْبِ مُخْلِصاً ... يُرِيدُ بِذَاكَ العِزَّ والفَوْزَ فِي غَدِ

وقال حسان - رضي الله - تعالى - عنه:

بِئْسَ مَا قَاتَلَتْ خَيَابِرُ عَمَّا ... جَمَّعُوا مِنْ مَزَارِعٍ وَنَخِيلِ
كَرِهُوا المَوْتَ فَاسْتُبِيحَ حِمَاهُمْ ... وَأَقَرُّوا فِعْلَ اللَّئِيمِ الذَّلِيلِ
أَمِنَ المَوْتِ تَهْرَبُونَ فَإِنَّ الْـ ... مَوْتَ مَوْتُ الهُزَالِ غَيْرُ جَمِيلِ

تنبيهات

الأول: خيبر - بخاء معجمة، فتحتية، فموحدة، وزنُ جعفر: وهي اسم ولاية تشتمل على حُصُونٍ ومزارع، ونخل كثير، على ثلاثة أيام من المدينة على يسار حَاجِّ الشَّام. والخيبر بِلِسان اليهود: الحصن، ولذا سُمِّيت خيابر أيضاً - بفتح الخاء، قاله ابن القيم مما ذكر ابن إسحاق، وقال ابن عقبة ومحمد بن عمر وأبو سعد النيسابوري في الشرف: أنها بجبلة - بفتح الجيم والموحدة ابن جوال بفتح الجيم وتشديد الواو، بعدها ألف ولام، وقيل: سُمِّيت بأول

---

(١) أخرجه البخاري ٤٧٤/٧ (٤١٢٠)، مسلم ١٣٩١/٣ (٧٠/١٧٧١) (٧١)، والبيهقي الدلائل ٢٨٨/٤.

من نزلها، وهو خيبر أَخو يثرب آبنا قَانِية بن مهلايل بن آدم بن عبيل، وهو أَخو عاد.

وذكر جماعة من الأَئمة: أَنَّ بعضها فتح صلحاً، وبعضها فتح عَنْوةً. وبه يجمع بين الرِّوايات المختلفة في ذلك.

وروى عن الإِمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ أَن الكَتِيبَة أَربعون أَلف عذق. ولابن زَبَالة حديث «ميلان في ميل من خيبر مقدس، وحديث «خيبر مقدسة، والسوارقية[1] مؤتفكة، وحديث «نعم القرية في سنيّات الدجال خيبر» وتوصف خيبر بكثرة التمر.

قال حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه:

وَإِنَّا وَمَنْ يُهْدِي القَصَائِدَ نَحْوَنَا   كَمُسْتَبْضِعٍ تَمْراً إِلَى أَهْلِ خَيْبَرِ

وروى البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال: لما فُتِحَتْ خيبر: قُلْنَا: الآن نشبع من التمر. وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: ما شبعنا من التَّمر حتَّى فُتِحتْ خيبر، وتُوصف خيبر بكثرة الحُمَّى، قدم خيبر أَعرابي بعياله فقال:

قُلْتُ لِحَمِيِّ خَيْبَرِ آسْتَفْرِي   هَاكِ عِيَالِي فَأَجْهِدِي وَجِدِّي

وَبَاكِرِي بِصَالِـدٍ وَوَرْدِ   أَعَانَكِ الله عَلَى ذا الجُنْدِ

فحُمَّ ومات، وبقي عياله.

قال أَبو عبيد البكري ـ رحمه الله ـ في معجمه وفي الشِّق عين تُسمى الحَمَّة، وهي الَّتِي سَمَّاها رسولُ الله ـ ﷺ ـ قسمة الملائكة، يذهب ثلثا مائها في فَلَج والثلث الآخر في «فلج» والمسلك واحد وقد اعتبرت منذ زمان رسول الله ـ ﷺ ـ إِلى اليوم يطرح فيها ثلاث خشبات أَو ثلاث تمرات فتذهب آثنتان في الفَلَج الذي له ثلثا مائها، وواحدة في الفَلْج الثاني، ولا يقدر أَحد أَن يأْخذ من ذلك الفلج أَكثر من الثلث، ومن قام في الفَلْج الذي يأْخذ الثلثين لِيَرُدّ الماء إِلى الفلج الثاني غلبه الماء وفاض، ولم يرجع إِلى الفلج الثاني شيء يزيد على قدر الثلث وتشتمل خيبر على حصون كثيرة، ذُكر منها في القصّة كثير.

الثاني: آختلف في أَي سنةٍ كانت غزوتها: قال ابن إِسحاق: خرج رسولُ الله ـ ﷺ ـ في بقية المحرَّم سنة سبع، فأَقام يُحاصرها بضع عشرة ليلة إِلى أَن فتحها في صفر.

وقال يُونس بن بكير في المغازي عن آبن إِسحاق من حديث المِسْوَر ومروان، قالا: «آنصرف رسولُ الله ـ ﷺ ـ من الحُدَيْبِيَة، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة»

---

(١) السَّوَارِقية بفتح أوله وضمه؛ وبعد الراء قاف، وياء النسبة. ويقال: السُّوَيرقية بلفظ التصغير: قرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بين مكة والمدينة، وهي نجديّة بها مزارع ونخل كثير. مراصد الاطلاع ٧٥١/٢.

فأعطاه الله فيها خيبر بقوله: ﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرة تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الفتح ٢٠] ويعني خيبر، فقدِمَ المدينةَ في ذي الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم.

وذكر ابن عُقْبَة عن ابن شهاب أنه ـ ﷺ ـ أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها ثم خرج إلى خيبر.

وعنْدَ ابن عائِذ عن ابن عباس: أقام بعد الرجوع من الحديبية عشر ليال.

وعند سليمان التيمي خمسةَ عشر يوماً.

قال الإمام مالك رحمه الله ـ تعالى ـ: كان فتح خيبر سنة ست.

والجمهور ـ كما في زاد المعاد: أنها في السابعة، وقال الحافظ: إنه الراجح قالا: ويمكن الجمع بأن مَنْ أطلق سنة ست بناه على ابتداء السَّنة من شهر الهجرة الحقيقي، وهو ربيع الأول.

وابن حزم ـ رحمه الله ـ يرى أنه مِنْ شهر ربيع الأول.

الثالث: قال الحافظ: نقل الحاكم عن الواقدي، وكذا ذكره ابن سعد أنها كانت في جُمَادى الأُولى. فالذي رأيته في مغازي الواقدي: أنها كانت في صفر، وقيل: في ربيع الأول، وأغرب من ذلك ما رواه ابن سعد، وابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخُدْري ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجنا إلى خيبر لثمان عشرةَ من رمضان، الحديث. وإسناده حسن، إلا أنه خطأٌ، ولعلها كانَتْ إلى حنين فتصحفت، وتوجيهه بأن غزوة حُنيْن كانت ناشِئَةً عن غزوةِ الفتح، وغزوةُ الفتح خرجَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ فيْهَا ـ في رمضان جَزْماً، وذكر الشيخ أبو حامد ـ رحمه الله ـ تعالى، في التعليق: أنها كانت سنة خمس، وهو وَهْمٌ، ولعله انتقال من الخَنْدَق إلى خيبر، وأجاب بعضهم بأنه أسقط سنة المقدم أي وقطع النظر عن سنة الغزوة.

الرابع: قول عامر: اللَّهُمَّ لولا أنت ما اهتدينا؛ قال الحافظ في هذا: القِسْم زحاف الخَزْم بالمعجمتين، وهو زيادةُ سببٍ خفيف، وفي الصحيح في الجهاد عن البراء بن عازب: أنه مِنْ شعر عبد الله بن رَوَاحة، فيحتمل أن يكون هو وعامر تواردًا على ما توارد عليه بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر واستعان عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة.

الخامس: استشكل قول عامر: «فداءً» بأنه لا يقال في حق الله ـ تعالى، إذ معنى «فِدَاء» نفديك بأنفسنا، فحذف متعلق الفعل للشهرة، وإنما يتصور الفداء لمن يجوز عليه الفَنَاء، وأُجيب عن ذلك بأنها كلمة لا يراد ظاهرها، بل المراد بها المحبة والتعظيم، مع قطع النَّظر عن ظاهر اللَّفظ، وقيل: المخاطَبُ بهذا الشعر النبيّ ـ ﷺ ـ والمعنى؛ لا تؤاخذنا بتقصيرنا في

حَقِّك ونصرك، وعلى هذا فقوله: «اللَّهم» لم يقصد به الدعاء، وإنما اُفْتُتِح بها الكلام، والمخاطب بقوله: لولا أَنت النبي - ﷺ - ويعكر عليه قوله بعد ذلك: فأَنزلن سكينة علينا: وثبت الأَقدام إن لاقينا، فإنه دُعَاء لله، ويحتمل أَن يكون المعنى؛ فاسأَل ربك أَن ينزل ويثبت.

السادس: في بيان الروايات التي وردت في هذا الرجز ومعانيها.

وما اتَّقَيْنَا بتشديد الفوقية بعدها قاف، أَي؛ ما تركنا من الأَوامر، «ومَا» ظرفية، وللأَصيلي والنسفي من رواية الصحيح بهمزة قطع، فموحدة ساكنة؛ أَي ما خلفنا وراءنا مما كسبناه من الآثام، أَو ما أَبْقَينا وراءنا من الذنوب، فلم نَتُب منه وللقابِسي: مَالَقِينا بلامٍ وكسْرِ القاف؛ أَي ما وجدنا من المَنَاهي. ووقع في الأَدب ما اقْتَفَيْنَا بقافٍ ساكنة، ففوقية، وفاء مفتوحتين، فتحتية ساكنة، أَي اتَّبَعْنَا من الخطايا، من قَفَوْت الأَثر إذا تبعته، وكذا عند مسلم، وهو أَشهر الروايات في هذا الرجز.

أَلْقِيَن سكينةً علينا. وفي رواية النسفي و «أَلْقي» بحذف النون، وبزيادة أَلف ولام في السكينة بغير تنوين، وليس بموزون

السكينةُ: الوقار، والتثبت.

أَتينا: بفوقية: أَي جئنا إِذا دعينا إِلى القتال أَو الحق، ورُوي بالموحدة أَي إِذا دعينا إِلى غير الحق امتنعنا

وبالصياح عَوَّلوا علينا: أَي قصدونا بالدعاء والصوت العالي، واسْتَعَانُوا علينا، يقالُ: عولتُ على فلان وعولت بفلانٍ.

السابع: أُختُلِف في فتح خيبر، هل كان عَنْوةً أَو صلحاً، وفي حديث عبد العزيز بن صُهَيب عند البخاري في الصلاة: التصريح بأَنه كان عَنْوَة، وبه جزم أَبو عمر، وردَّ على من قال فُتِحَتْ صُلْحاً، قال: وإنما دَخَلَتِ الشُّبْهةُ على من قال فُتِحتْ صلْحاً؛ بالحصنين اللذين أَسلمهما أَهلهما لحقْنِ دِمَائهم، وهو ضربٌ مِنَ الصلح، لكنه لم يقع ذلك إلاَّ بِحِصَار، وقتال، قال الحافظ - رحمه الله تعالى: والذي يظهر أَنَّ الشبهة في ذلك قولُ ابن عمر: إن النبيَّ - ﷺ - قاتل أَهلَ خيبر، فغلب على النخل فَصالحوه على أَن يَجْلُوا منها وله الصفراء والبيضاء والحَلْقة، ولهم مَا حَمَلَتْ رِكابُهم، على أَلا يكتموا ولا يغيبوا الحديث. وفي آخره: فسبى نساءهم وذرَاريهم، وقسَّم أَموالهم للنكث الذي نكثوا، وأَراد أَن يجليهم، فقالوا: دَعْنَا في هذه الأَرض نصلحها.. الحديث، ورواه أَبو داود والبيهقي وغيرهما، وكذلك أَخرجه أَبو الأَسود في المغازي عن عروة. فعلى هذا كان وقع الصلح، ثم حصل النقض منهم فزال أَمر الصلح، ثم مَنَّ عليهم بترك القتل وإبقائهم عُمَّالاً بالأَرض، ليس لهم فيها ملك، ولذلك

أجلاهم عمر، فلو كانوا صُولحوا على أَرضهم لم يجلوا منها.

وجنح غَيْرُ واحِدٍ من العلماء إلى أَن بعضها فُتح عَنْوَة، وبعضها فُتح صلحاً، وليس بنا ضرورة إلى بَسْطِ الكلام على ذلك.

الثامن: زعم الأُصَيْليُّ - رحمه الله تعالى - أَنَّ حديث نومهم عن الصلاة إنَّما كان بِحُنَيْن لا بخيبر، وأَن ذِكْرَ خيبر خطأ، ورد عليه أَبو الوليد البَاجِي، وأَبو عمر فأَجادا.

التاسع: آختُلِفَ في إسلام زينب بنت الحارث التي أَهدت الشَّاة المسمُومة وفي قَتْلِهَا؛ أَما إسْلاَمُهَا؛ فروى عبد الرَّزَّاق في مصنَّفه عن معمر عن الزُّهرِيِّ أَنها أَسلمت، وأَن رسولَ الله - ﷺ - تركها. قال معمر: والناسُ يقولون قَتَلَها. وجزم بإسلامها سليمان التيمي في مغازيه ولفظه بعد قولها: «وإن كُنْتَ كاذباً أَرحتُ النَّاسَ مِنْك، وقد آستبان لي أَنَّك صادق، وأَنا أُشهدك وَمَنْ حَضَرَكَ أَنِّي على دينك، وأَن لا إله إلا الله، وأَن محمداً عبده ورسوله، قال: وآنصرف عنها حين أَسلمت.

وأَما قتلها وتركها، فروى البيهقي عن أَبي هريرة - رضي الله عنه - أَنه - ﷺ - ما عرض لها؛ وعن جابر قال: فلم يُعَاقِبْها رسولُ الله - ﷺ -، وروى ابن سعد عن شيخه محمد بن عمر بأَسانيد له مُتَعدِّدَة هذه القصة، وفي آخرها فدفعها إلى أَولياء بشر بن البراء فقتلوها قال محمد بن عمر: وهو أَثبت وروى أَبو داود من طريق الزُّهْري عن جابر نحو رواية معمر عنه، والزهري لم يسمع من جابر، ورواه أَيضاً عن أَبي هُرَيْرَة.

قال البيهقي - رحمه الله - يحتمل أَن يكون تركها أَولاً، ثم لـمَّا مَات بشرُ بنُ البراء من الأَكْلَةِ قَتَلَهَا، وبذلك أَجاب السُّهَيْلي - رحمه الله تعالى - وزاد: أَنه تركها، لأَنه كان لا ينتقم لنفسه، ثم قتلها بِبِشْر قِصَاصاً.

قال الحافظ - رحمه الله تعالى -: يحتمل أَن يكون تركها أَولاً، ثم لَـمَّا مات بشرُ لكونها أَسلمت، وإنما أَخَّرَ قَتْلَهَا حتى مات بشر لأَنَّ بموته يتحقق وُجُوبُ القصاص بشرطه.

وروى أَبو سعد النَّيْسَابُوري: أَنَّه - ﷺ - قتلها وصلبها، فالله أَعلم

العاشر: وقع في سنن أَبي داود أَنها أُخت مَرْحَب، وبه جزم السُّهَيْليُّ، وعند البيهقي في الدلائل: بنت أَخي مرحب، وبه جزم الزُّهْرِي كما في مغازي مُوسى بن عقبة

الحادي عشر: إن قيل ما الجمعُ بين قوله - تعالى: ﴿والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس﴾ [المائدة ٦٧] وبين حديث الشاة المسمومة المصلية بالسُّم الصادر من اليهودية؟ والجواب: أَن الآية نزلت عَامَ تَبُوك، والسُّم كان بخيبر، قبل ذلك.

الثاني عشر: آختلف في مدَّة إقامته - ﷺ - بأرض خيبر، فروى الطبراني في الأوسط عن آبن عباس - رضي الله عنه - أن رسولَ الله - ﷺ - أقام بخيبر ستة أشهر، يجمع بين الصَّلاتين. وروى البيهقي عنه: أربعين يَوْماً، وسَنَدُه ضعيف.

وقال ابن إسحاق...

الثالث عشر: في بيان غريب ما سبق.

اسْتَنْفَرَ: استنجد واستنصر.

عسكر: جَمَعَ عسكره: أَيْ جَيْشه.

ثَنِيَّة الوداع: تقدَّم الكلامُ عليها مَبْسوطاً في دخوله - ﷺ - المدينة. في أبواب الهجرة.

الزُّغَابة - بالزاي والغين المعجمتين وبالموحدة كسحابة، وضبطه أبو عبيد البكري - رحمه الله تعالى - بالضم: مجتمع السيول بأرض العقيق، غربي مشهد حمزة، وهو أعلى إضَم، ووهم مَنْ قال إنه لا يُعْرَف، وإنما المعروف الغابة.

نَقَمَى - بنون فقاف فميم مفتوحات فألف تأنيث: اسم وادٍ بالمدينة كجمزى ونسكى، ويُزَوَى - بضم أوله وثانيه: اسم وادٍ بها.

المُشَلَّلُ - بضم الميم، وفتح الشين المعجمة، واللام الأُولى وتشديدها: ثنيةٌ تشرف على قديد.

الوطاة: الأرض السهلة.

راهق - بالراء والقاف: قارب.

الجُبْن - بضم الجيم، وسكون الموحدة، وتضم أيْضاً: صفة الجبان.

ضلع الدَّين، قال القاضي - بفتح الضاد المعجمة، واللام. شدته، وثقل حمله.

قينقاع، والنضير، وَقُرَيْظَة: تقدم الكلام عنها في غزوتها.

سُنْبُلاَنِيَّة - بضم السين المهملة، والموحدة بينهما نون؛ أي سابغة من الطول؛ يقال ثوب سُنْبُلاَني، وسَنْبَلَ ثوبَه إذا أسبله من خلْفه، أو أمامه، وقال اليعمري: منسوبة إلى موضع من المواضع. قلت: سنبلاني محلة، بأصبهان، والمراد هنا الأول.

الكِرْبَاس - بالكسر: الثوب الخشن.

عِضْر - بمهملات فالكسر: فالسكون، أو بفتحتين: جبل بقرب المدينة من جهة خيبر، ومن الغرائب قول ابن الأثير مع ذكر ذلك أنه بين المدينة ووادي الفُرْع.

حَدْوُ الإِبل: سَوْقُها بالشِّعْر.

الصَّهْبَاء ـ بفتح الصَّاد المهملة وسكون الهاء وبالمد: موضع قرب المدينة.

أَدْنى خيبر: أَسفلها.

هنيهَاتِك ـ جمع هُنَيْهَة؛ وهي تصغير هَنَة كما قالوا في تصغير سنة سنيهة، والهنة: كناية عن كل شيء لا يعرف آسمه، أَو يعرف فيكنى عنه، كذا في الصحيح بالتصغير، وفي أُخرى هُنَيَّاتك، وفي السيرة: هناتك جمع هنة؛ أَي من أَخبارك وأَشعارك، فكنَّى عن ذلك كله، والمراد هنا الحُدَاء للإِبل.

وَجَبَتْ: أَي الجنة.

لولا: حرف عَرْضٍ بمعنى هلا.

أَمتعتنا ـ بفتح أَوله: أَبقيته لنا لنستمتع: أَي بشجاعته، والتمتع: الترفه إِلى مدة.

على بَكْرٍ ـ بفتح الموحَّدة: الفتيُّ من الإِبل.

السويق ـ بفتح السين، وكسر الواو؛ قمح أَو شعير يُقْلى ثم يطحن.

ثرى السويق: بله.

الرجيع ـ بالجيم كأَمير، وادٍ قرب خيبر.

غَطَفَان ـ بغين معجمة، فطاء مهملة، ففاء مفتوحات.

الفَأْل. والطِّيَرَةُ: يأْتي بيانهما في باب محبته ـ ﷺ ـ الفأْلَ الحسنَ.

شرح غريب ذكر إرادة غطفان مساعدة يهود، ودعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لما أشرف على خيبر

قوله: مُظَاهِرِين: مُعَاونين.

المنْقَلَة ـ بميم مفتوحة، فنون ساكنة، فقاف مفتوحة، فلام: المَرْحَلَةُ من مراحل السَّفر.

خالفوا إِليهم: جاءوا إِلى أَهلهم بعد خروج قومهم.

تُبْلَوْنَ ـ بضم الفوقية، وسكون الموحدة، وفتح اللام.

غَشُوكم ـ بفتح الغين، وضمّ الشين المعجمة.

النبأ: الخبر.

أَظْلَلْن ـ بظاء معجمة مُشالة؛ من الظل.

أَقْلَلْن: حملن.

أَضللن ـ بضاد معجمة ساقطة: من الإِضْلاَل، ضد الإِرشاد.

ذَرَيْن ـ بذال معجمة: حَمَلْن، وقال: أَزْرَين لمزاوجة أَضللن.

شرح غريب ذكر دعاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أشرف على خيبر

قولهُ: عرَّسَ: بعين، فراء مشدَّدة، فسين مهملات مفتوحات، نزل ليلا، أَو آخره.

مَنَعَتهُم: قُوَّتهم وعددهم؛ بفتح العين.

هيهات: اسم فعل ماض بمعنى بَعُد.

الساحة: الموضع المتسع أَمام الدار، وقال الأَزهري: هو فضاء بين دُور الحيّ.

الأَفْئِدة: جمع فؤاد؛ وهو القلب.

غدا إِلى كذا: سار إِليه صباحاً.

المَسَاحِي بمهملتين، جمع مِسْحَاة: وهي من آلة الحرث، والميم زائدة، لأَنه من السَّحْو، وهو الكشف والإِزالة.

الكرازِن: جمع كَرْزَن ـ بفتح الكاف والزَّاي وبكسرهما وبالنون ويقال بالميم عوضاً عن النون: وهو الفأس.

المَكَاتِل ـ جمع مِكْتَل، بكسر الميم، وفتح الفوقية: القُفَّةُ الكبيرة التي يحمل فيها التراب وغيره، سميت بذلك لتكتل الشيء فيها، وهو تلاصق بعضه ببعض.

لم يُغِرْ ـ بضم التحتية، وكسر الغين المعجمة: أَي لم يسرع في الهجوم عليهم.

انْحَسَرَ ـ انكشفَ.

محمد ـ ﷺ ـ خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو أَو هذا محمد.

الخميس ـ بلفظ اسم أَحد الأَيام يروى ـ بضم السين وبفتحها على أَنه مفعول معه، وسُمِّيَ الجيشُ خميساً لأَنه ينقسم خمسةَ أَقسام؛ لأَنَّ له ساقَةً، ومقدمةً، وجناحين، وقلباً، لامن أَجل تخميس الغنيمة لأَن في تخميسها سنة الإِسلام، وقد كان الجيشُ يُسمَّى خميساً في الجاهلية.

النَّزُّ ـ بفتح النون، وتشديد الزاي: السائِل من المائع.

النَّطَاةُ ـ بنون فطاء مهملة بوزن: حصاة.

الخَمَرُ ـ بخاء معجمة ـ فميم مفتوحتين فراء، مَا وَارَاكَ من شجرٍ أَو بناء أَوْ غَيْرِه.

البريء ـ بفتح الموحدة، وكسر الراء المخففة، وبالمد: السالم.

الرجيع ـ بالراء، والجيم والعين المهملتين وزن أَمير، واد قُرْب خيبر، وهو غير الذي توجه إليه عاصِمُ حِمَى الدَّبْر.

شرح غريب ذكر ابتداء القتال واخذ الحمى المسلمين

قوله: من أَشْجَع ـ بشين معجمة، فجيم، فعين مهملة.

الشعار ـ بكسر الشين المعجمة، وبالعين المهملة: العلامة التي كانوا يتعارفون بها في الحرب يا منصور أَمِتْ: أَمر بالموت، والمراد به التفاؤل بالنصر بعد الأَمر بالإِماتة مع حصول الغرض. بالشعار، فإِنهم جعلوا هذه الكلمة علامة يتعارفون بها لأَجل ظلمة الليل.

تَرَّسَ ـ بفوقية، فراء مشددة فسين مهملة.

نَاعِم ـ بالنون، والعين المهملة كصاحب: حصن من حصون خيبر.

أَهْمَدَتْهُم: أَذهبت قوتهم.

قَرِّسوا ـ بفتح القاف وكسر الرَّاء المشددة، وضم السين المهملة فعل أَمر؛ أَي: برِّدوا، يومٌ قارس البرد.

شِنَان ـ بكسر الشين المعجمة: الأَسقية.

أَحدروا ـ بالحاء، والدال المهملتين: صبوا الماء.

نشطوا ـ بنون مضمومة: خلصوا، وليس إِسقاط الهمزة من أَوله بلحن بل لغة صرح بها في البارع:

العُقُل ـ بضمتين: جمع عِقَال.

شرح غريب ذكر فتحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حصن الصعب

الصعبُ: ضد السهل.

الوَدَك ـ بفتح الواو، والدال المهملة: دسم اللحم ودهنه

العلقة من العيش ـ بضم العين المهملة: القليل منه.

الظُّبِيُّ ـ جمع ظَبْي: حيوان معروف.

الظَّلِيمُ ـ بفتح الظاء المعجمة المشالة، وكسر اللاَّم: الذَّكر من النَّعَام.

احتضَنَ الشَّيء: جعله تحت حضنه، وهو ما تحت الإِبط إِلى الخاصرة.

المعشر: جماعة الرجل، دون النساء.

جُهِدنا ـ بالبناء للمفعُول: حصل لنا جَهْدٌ ومشقة.

غَنَاء ـ بفتح الغين المعجمة، وتخفيف النون، وبالمد: الكفاية.

البَرَاز ـ بفتح الموحدة، والراء؛ الأَرض الواسعة الفضاء.

الغفاري ـ بكسر الغين المعجمة.

الزَّيال: بزاي معجمة وياء وألف ثم لام.

بادره: سارع إِلى قتله.

على هامته: رأسه.

ذُبَابُ السَّيْف ـ بضم الذال المعجمة وبالموحدتين: طرفه.

الدُّعْموص ـ بِضَمِّ الدَّال، وسكون العين وآخره صَاد: دُوَيْبَةٌ تغوص في الماء.

شرح غريب ذكر محاصرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ حصن الزبير بن العوام وحصون الشق

الشق ـ بفتح الشين المعجمة، أَعْرَفُ مِنْ كَسْرِهَا، وبالقاف المشددة عند أَهل اللغة.

قوله قلة الزّبير: هي القلعة التي صارت إِليه من قسمة الغنائم.

الرّعب: الخوف.

الدُّبول: جمع دَبْل، نهيراتٌ وقنوات وجداول.

أَصحروا: خرجوا إِلى الصحراء.

أُبَيّ بضم الهمزة وفتح الباء مُصغر سَمْوان.

ذَففَ عليه ـ بدال، رُوِيَ إِعجامُها وإِهمالها: أَي أَجهز عليه، وحزَّ رَقَبَتَهُ.

أَبو دُجانة ـ بضم الدال المهملة: وتخفيف الجيم وبالنون سماك بن خرشه

يختال: يمشي مشية المتكبر.

الأَثاث ـ بثاءين مثلثتين: المتاع.

الجدر: جمع جدار، وهو الحائط.

ساخ في الأَرض ـ بالخاء المعجمة: آنخسف فيها.

شرح غريب انتقاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إِلى حصون الكتيبة

قوله: الكَتيبةُ: بكافٍ مفتوحة، ففوقية، وقال أَبو عُبَيْدَة: بثاء مثلَّثة مكسورة فتحتية ساكنة فموحدة، وقيل: إِنها بالتصغير.

القَمُوص بالقاف والصاد المهملة كصبور. وقيل: بغين فضاد معجمتين.

الوَخَم - بفتح الواو، والخاء المعجمة: الوباء.

الشَّقِيقَةُ: وَجَعٌ يأْخذ نصف الرأْس والوجه.

نهض: تحرك.

الفتح: النصر.

قد جهد: أَصابه جهد؛ وهو المشقة.

الأَرمد: الذي أَصابه الرّمد في عينيه، وهو وجع فيها.

الفَرّار - بفتح الفاء والرّاء المشددة: الهَرّاب.

تَفَل: بَصَقَ.

العَنْوَة - بفتح العين المهملة: أَخذ الشيء قهراً.

بات الناسُ يَدُوكُون - بتحتية، فدال مهملة مضمومة؛ أَي باتوا في اختلاط واختلاف، والدوكة: الاختلاط.

غدوا عليه - بالمعجمة: أَتوا صباحاً.

تطاولتُ لها: رفعتُ عنقي كي يراني.

ثَم: بفتح المثلثة.

أَناخ: برك براحلته.

شِقّ بُرْد - بكسر الشين المعجمة: قطعةٌ منه.

قِطْرى - بكسر القاف، وسكون الطاء المهملة: نوع من البُرُود فيه حمرة، ولها أَعلام، فيها بعض الخشونة، وقيل: هي حُلَلٌ تحمل من قبل البحرين، قال الأَزهري: في أَعراض البحرين قرية يقال لها قطر، وأَحسبُ الثياب القطرية تنسب إِليها، فكسروا القاف للنسبة، وَخَفَّفُوا.

بَرَأَ - بفتح الراء، والهمزة، بوزن ضَرَبَ، ويجوز كسر الراء، بوزن عَلِم: خلص من وجعه.

مضى لسبيله: مات.

أُنْفُذ - بضم الهمزة، والفاء، بينهما نون ساكنة، وإِعجام الذال،: امض. على رسلك - بكسر الراء: على هيئتك.

حُمْر - بضم الحاء المهملة، وسكون الميم: النَّعَمَ بفتح النون، والعين المهملة؛ الحُمْر

من ألوان الإبل المحمودة، قيل: المراد خير لك من أن تكون لك فتصدق بها، وقيل: بل تقتنيها وتملكها، وكانت مما يتفاخر به

علام؛ «على» حرف الجر، دخل على «ما» الاستفهامية فحُذفت ألفها لدخوله.

يَأْنِحُ - بتحتية، فألف، فنون مكسورة، فحاء مهملة: أي به نفس شديد من الإعياء في العدو.

يهرول: يسرع؛ والهرولة: فوق المشي ودون الجري.

غلبتُم - بالبناء للمفعول.

الرَّضْم - بفتح الراء، وسكون الضاد المعجمة، ويجوز تحريكها: الحجارة المجتمعة

شرح غريب ذكر قتل علي رضي الله عنه - الحارث وأخاه مرحباً وعامراً وياسراً الخ

قوله في عاديته...

جسيما: عظيم الجسم.

شاك السلاح - بشين معجمة، وأصله شائك بحذف الهمزة، ومن رواه شاك أو شاكي فإنه أخذ الهمزة إلى آخر الكلمة وقلبها ياء.

الحِمَى - بكسر الحاء، وفتح الميم المخففة: كل ما حميته ومنعته.

المساوِر: المعاجل خصمه.

يحوس الناس بحاء وسين مهملتين يجهضهم عن أثقالهم، أي يبلغ في النكاية فيهم، وأصل الحَوْس شدة الاختلاط، ومداركة الضرب.

زبّار: أراد زُبَيْر.

القَرْم - بفتح القاف: السيد، وأصله الفحل من الإبل الذي أقرم؛ أي تُرِكَ من الركوب والعمل ووضع للفِحلة.

النِّكْس - بكسر النون: الرجل الضعيف.

الحَوَاري: الناصر والمعين.

الليوث: جمع ليث؛ الأسد.

تلهب أصله: تتلهب.

مغامر: يقتحم المهالك.

يَسْفُل له - بفتح التحتية، وسكون السين المهملة، وضم الفاء، أَي يضربه في أَسافله.

الأَكحل: عرق.

عين الركبة: طرفهما الأَعلى.

الأُرْجُوان - بضم الهمزة، والجيم: اللون الأَحمر.

وقول علي - رضي الله عنه -:

* أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ *

قال ثابت بن قاسم - رحمهما الله - تعالى - في تسميته بذلك ثلاثة أَقوال؛ أَحدها أَن اسمه في الكتب المتقدمة أَسد، والأَسد هو الحيدرة، الثاني أَن أُمه فاطمة بنت أَسد - رضي الله عنها - حين ولدته، كان أَبوه غائباً، فسمته باسم أَبيها، فقدم أَبوه فسمّاهُ عليًا، الثالث: أَنه كان لُقِّبَ في صغره بحيدرة؛ لأَن الحيدرة الممتلئ لحماً مع عظم بطن، وكذلك كان علي - رضي الله عنه - وذكره الشيخ كمالُ الدين الدّميري - رحمه الله - تعالى - في شرح المنهاج».

مُجَرَّب - بفتح الراء: اسم مفعول.

أَكيلهم: أَجزيهم بالياء.

السندرة: شجرة يصنع منها مكاييل عظيمة.

الخَمْلُ - بفتح الخاء المعجمة، وسكون اللام: الهدب.

أَقبلت تحرّب: تغضب، يقال حرّب الرجل إِذا غضب، وحربته: إِذا أَغضبته.

الغُمّى: الكرب.

جريء - بالجيم، والهمزة: شجاع مقدام.

صُلْب: شديد.

شَبّت الحرب: أَوقدت، وهيجت.

العَقِيق - هنا جمع عقيقة، وهي شعاع البرق، شبّه السيف به.

عَضْبُ - بعين مهملة، فضاد معجمة: قاطع.

الجزا - بالقصر والمد: الجزية التي تؤخذ.

يفيئ: يرجع.

النَّهْبُ: ما انتهب من الأَموال.

ليس فيه عَتْب: ليس فيه ما يلامُ عليه.

ندككم: نطويكم ونلصقكم بالأَرض.

حِمْير - بكسر الحاء المهملة، وسكون الميم، وفتح التحتية.

الموتور - بالفوقية: الذي قتل له قتيل فلم يؤخذ ثأْره.

الثائِرُ - بالثاء المثلثة: الطَّالِبُ بالثأْر، وهو طلب الدم.

عُمْرِية - بعين مهملة مضمومة، فميم ساكنة، فراء مكسورة: أَي قديمة، التي أَتى عليها عمرٌ طويل.

العُشَر - بعين مهملة مضمومة فشين معجمة مفتوحة: شجر له صمغ، وهو من العضاة، وثمرته نفاخة كنفاخة القثاء الأَصفر، الواحدة عشيرة، والجمع عُشَر، وعُشَرات - بضم العين، وفتح الشين.

يلوذُ: يستتر.

الفَنَن - بفتح الفاء، والنون الأُولى: الغصن.

ورأيتُني - بضم التاء: رأَيت نفسي.

شرح غريب ذكر إسلام العبد الأسود ونهيه - صلى الله عليه وسلم - عن لحوم الحمر الإنسية

قوله عمد إِليه: قصد.

حَفْنة - بفتح الحاء المهملة، وسكون الفاء: ملء الكفين.

خرجت تشتد: تعدو.

سُجِّيَ - بسين مهملة، والجيم، بالبناء للمفعول: غُطِّيَ.

الحُمُر - بضم الحاء، والميم: الحمير الأَهْلِيَّةُ.

الإِنسية - بكسر الهمزة، وسكون النون وفتحها: وهي التي تأْلف البيوت؛ الإِنسية منسوبة إِلى الإِنس.

أُكفِئَت القدور؛ قال ابن التين: صوابه فكفئت، قال الأَصمعي: كفأْت الإِناء قلبته، ولا يقال أَكفأْته، ويحتمل أَن يكون المراد أميلت حتَّى أَمَالَ ما فيها، قال الكسائي: أَكفأْتُ الإِناء: أَملته.

الخُشَني - بضم الخاء، وفتح الشين المعجمتين.

المخمصة: المجاعة.

أَهْرِيقُوهَا؛ يقال هراق الماء يهريقه ـ بفتح الهاء: صبّه، والأَصل الإِراقة، وأَهرق يهرق ساكناً، وأَهراق يهريق كاشطَاع يسطيع، كأَنَّ الهاء عوض من حركة الياء.

الدِنَّان ـ بكسر الدال المهملة الخوابي؛ جمع دَنٍّ ـ بفتحها.

شرح غريب فتحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الوطيح والسُّلالم

قوله. حاز ماله: ضمه إِلى ملكه.

الوطيح ـ بواو مفتوحة، فطاء مكسورة، فتحتية ساكنة، فحاء مهملة

السُّلالِمُ ـ بسينٍ مهملة مضمومة، وقيل بفتحها، وكسر اللام التي قبل الميم، ويقال فيه السلاليم.

تَدَنَّى ـ بفوقية، فدال مهملة، فنون مشددة مفتوحات معتل: أَي أَخذه مالا مالاً وحصناً حصناً.

الأَدنى فالأَدنى: أَي الأَقرب.

المنجنيق ـ بفتح الميم، وتكسر: آلة من آلات الحصار يُرمى بها.

كِنَانة بكسر الكاف، ونونين.

حُيَيّ ـ بحاء مضمومة، فتحتية مفتوحة، فأُخرى مشددة.

أَخطب: بالخاء المعجمة فالطاء المهملة وبالموحدة.

الحقَيق ـ بضم الحاء المهملة، وفتح القاف الاولى، وسكون التحتية.

حَقَنَ دَمَه: امتنع من قتله وإِراقته، أَي جمعه له وحبسه عليه.

الصفراء: الذهب.

البَيضَاء: الفضة.

الكُراع ـ بضم الكاف: اسم لجماعة الخيل خاصة.

الحَلْقَة ـ بسكون اللام: السلاح أَجمع، أَو الدروع خاصة.

البَزّ ـ بفتح الموحدة، وبالزاي: نوع من الثياب.

ذِمة الله ـ بكسر المعجمة: عهدهُ وميثاقه.

المَسك ـ بفتح الميم، وسكون السين المهملة: الجلد.

خَرِبة: أَي مكان خرب ضد العامرة.

شرح غريب ذكر إرادته ـ صلى الله عليه وسلم ـ إجلاء يهود

قوله: الجلاء ـ بفتح الجيم، وبالمد: الخروج من البلد.

بدا ـ غير مهموز: ظهر.

الشطر هنا ـ النّصْف كما في الرواية الأُخرى.

الخَرْص ـ بفتح الخاء المعجمة، وبكسرها هنا: حزرُ ما على النخل من الرطب تمرا.

السُّحت ـ بضمتين ويسكن: المال الحرام، لا يحل لبسه، ولا أَكله.

الفَدَع ـ بفتح الفاء، والدال، وبالعين المهملتين؛ أَي اعوجاج الرسغ من اليد أَو الرجل فينقلب الكف، أَو القدم إِلى الجانب الآخر، وذلك الموضع.

انفدعت ـ بفتحات، قال في التقريب: فَدَعَ اليهودُ يَدَ عبد اللّه، ففدع: غير معروف في اللغة، ويحتمل أَن يكون بغين معجمة. قال الأَزهري: الفَدَغ: كسر شيء أَجوف كالنقع، قلت: وفيه نظر؛ لأَن الوارد أَن يد عبد اللّه اعوجت فقط لا أَنها كسرت. والله تعالى أَعلم.

والإِنسي ـ قال أَبو زيد: الأَيسر من كل شيء، وقال الأَصمعي هو الأَيمن، وقال كل اثنين من الإِنسان مثل الساعدين والزندين، والقدمين، فما أَقبل منهما على الإِنسان فهو إِنسي، وما أَدبر عنه فهو وحشي.

الكَوَع ـ بالتحريك: أَن تعوج اليد من قِبَل الكوع، وهو رأْس اليد مما يلي الإِبهام، والكرسوع رأْسه مما يلي الخنصر.

عُدِيَ عليه بالبناء للمفعول.

ارْفَضّت: سالَ عرقها.

تؤم: تقصد.

القَلُوص ـ بفتح القاف، وضم اللام من الإِبل: بمنزلة الجارية من النساء، وهي الشابة؛ الجمع قُلُص بضمتين، وقِلاص ـ بالكسر، وقلائص.

هزيلة ـ بفتح الهاء وسكون الزاي: وهي المرة من الهَزْل ضد الجدّ.

شرح غريب قصة الشاة المسمومة

قوله سَلاَم: وزن كلام.

مِشْكم: بكسر الميم، وسكون الشين المعجمة.

مَصْلية ـ بفتح الميم، وسكون الصاد المهملة، أَي المشوية.

انتهس اللحمَ: أَخذه بمقدم الأَسنان للأَكل.

لاكَ: مضغ.

ساغ اللقمة: بلعها.

لَفَظَهَا: طرحها.

اَسْتَرَط: ابتلع.

الأُكُلة ـ بضمتين: المأْكول.

الطيْلَسَان ـ بفتح الطاء، واللام، وتكسر.

ماطله وجعه: طالت مدته.

الكاهل: مقدم أَعلى الظهر مما يلي العنق.

لهوات ـ بثلاث فتحات، جمع لهاة، وهي اللحمة المعلقة في أَقصى الفم.

العِداد ـ بعين مكسورة، فدال مهملتين: اهتياج وجع اللدِيغ، فإنه إذا تم له سنة من حين لُدِغ عاودهُ هياج الأَلم.

يُعَاوِدُني ـ بضم أَوله، ورابعه، وتشديده، أَي يراجعني أَلم سُمِّها.

قال الداودي: الأَلم الذي حصل له ـ ﷺ ـ من الأَكلة هو نقص لذة ذَوْقه. قال ابن الأَثير: وليس بِبَيِّنٍ لأَن نقص الذَّوق ليس بأَلم.

الأَبْهر ـ بفتح الهمزة، وسكون الموحدة: عرق يكتنف الصّلب إذا انقطع مات صاحبه.

تجاوز عنها: عفا.

شرح غريب ذكر قدوم جعفر وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ

كلا ـ هنا: حرف ردع وزجر.

الحبيشية والبحرية ـ بهمزة الاستفهام والتصغير لبعض رواة الصحيح، والباقين بعدمها، فنسبها عمر للحبشة لسكناها بها، وإلى البحر لركوبها إياه.

البُعَداء عن الدين: البُغَضَاء له، وهما جمع بعيد، وبغيض.

وآيم الله: أَي يمين الله، قسم، وفيه اثنا عشر لغة.

أَهلَ السفينة ـ بالنصْب على الاختصاص، وعلى النداء بِحَذْفِ أَداته، ويجوز الجر على البدل من الضمير.

أَرسالاً ـ بفتح الهمزة: أَفواجاً، يتبع بعضهم بَعْضاً.

الحَجْل ـ بحاء مهملة مفتوحة، فجيم ساكنة، فلام؛ أي يرفعُ رِجْلاً ويقفز على الأُخرى من الفرح، وقد يكون بالرجلين.

التطفيف: نقص المكيال.

اكتال منه وعليه: أخذ يتولى الكيل بنفسه، ويقال: كَالَ الدافع، واكتال الآخذ.

السَّراة ـ بفتح السين المهملة: أعظم جبال العرب.

السُهمان ـ بالضم، والأَسهم، والسهام؛ جمع سَهْم: وهو النصيب.

الحُزُم ـ بضم الحاء المهملة، والزاي؛ جمع حِزَام.

لِلِيف: بلام التأكيد، وهو معروف.

ابن قَوْقل ـ بقافين بينهما واو ـ وزن جعفر، النعمان بن مالك بن ثعلبة بن أَصْرم ـ بصادٍ مهملة، وزن أَحمد ـ ابن فَهْم بن ثعلبة بن غَنْـم ـ بفتح الغين المعجمة وسكون النون، بعدها ميم ـ ابن عمر بن عوف الأَنصاري، الأَوسي. وقَوْقَل: لقب ثعلبة، وقيل أَصرم، قتله أَبانُ في أُحُد ـ رضي الله تعالى عنهما ـ.

أَكرمه الله على يدي: أَي آستشهد بأَن قُتل فأَكرمه الله ـ تعالى ـ بالشهادة.

ولـم يهنّي على يديه ـ بتشديد النون ـ أَصله يُهِينُنِي فأَدغمت إِحدى النونين في الأُخرى.

يا عجبا لِوَبْر: الوَبْر ـ بفتح الواو، وسكون الـموحدة ـ دابّة كالسنُّوْر وحشية، ونقل أَبو علي القالي ـ بالقاف ـ عن أَبي حاتم: أَن بعض العرب تُسَمِّي كل دابّة من حشرات الجبال وَبْراً، قال الخطابي: أَراد بأَن يُحَقِّر أَبا هريرة، وأَنه ليس في قَدْرٍ من يشير بعطاء ولا منع، وأَنه قليل القُدْرة على القتال، قال الكرماني ـ رحمه الله تعالى ـ وفيه تعريض بكنية أَبي هريرة.

تدلى: تحدر ـ وفي رواية: تدأدأ بدالين مهملتين بينهما همزة ساكنة ـ قيل: أَصله تَدَهْدَه، فأُبدلت الهاء همزة، وقيل: الدأدأة: صوتُ الحجارة في السيل: أَي هجم علينا بغتةً.

قَدّوم ـ بقاف مفتوحة للأَكثر، فدال مهملة مشدَّدة، وضم بعضهم القاف: اسم ثنية ببلاد دَوس.

ضأل ـ باللام المخففة: فسره البخاري في رواية الـمستملي، بالسدر، وكذا قال أَهل اللغة: إِنه السِّدر البَرّي، وتوهيم صاحب المطالع للبخاري ليس بشيء.

ضان: بغير همزة ـ قيل هو رأس الجبل، إِلا أنه في الغالب موضع مَرْعى الغنم، وقيل: هو جبل الدَّوْس: قوم أَبي هريرة.

يَنْعَى ـ بفتح التحتية وسكون النون، وفتح العين الـمهملة: أَي يعيب عَلَى، وفي رواية يُعيِّرني.

وأَنت بهذا: أَي أَنت تقول بهذا، أَو قائل بهذا، أَو أَنت بهذا المكان والمنزلة من رسول الله - ﷺ - مع كونك لست من أَهله، ولا من قومه ولا من بلاده.

قِبَل - بكسر القاف، وفتح الموحدة.

نَجْد - بفتح النون، وسكون الجيم.

شرح غريب ذكر قدوم عيينة بن حصن وبني فزارة ومصالحة أهل فدك

قوله: عُيَيْنَة: تصغير عين.

فَزَارة - بفتح الفاء، والزاي المخففة.

ذو الرُّقَيْبَة - تصغير رقبة؛ وقيل: كسفينة: جبلٌ مطلٌّ على خيبر.

جَنَفَا - بفتح الجيم والنون، والفاء، والمد والقصر، وقد يضم أَوّله في الحالين: ماء من مياه بني فزارة بين خيبر وفدك.

أَحْذاه - بالحاء المهملة، والذال المعجمة: أَعطاه.

توضع: تسرع.

محيِّصة - بميم فحاء مهملة مفتوحة، فتحتية مشددة مكسورة، فصاد مهملة.

فَدَك - بفتح الفاء، والدال المهملة، وبالكاف: بينها وبين المدينة كما قال ابن سعد: ستة أَميال.

النّجدة: القوة.

نُرى - بنون، فراء مهملة مبنياً للمفعُول: نَظن.

حراهم - جمع حَرّة - بالحاء المهملة، والراء المشدَّدة: وهي أَرض ذات حجارة سود نَخِرَة كأَنها أَحرقتْ بالنار.

فتّ أَعضادهم: كسر قوتهم؛ والعضد: الناصر والمعين.

شرح غريب ذكر المراهنة وخبر الحجاج بن علاط - رضي الله تعالى عنه -

يُفْلِت - بضم التحتية، وسكون الفاء، وبالفوقية بعد اللام: يَخْلُص نَجَاةً.

خَاطَره - بالخاء المعجمة، والطاء المهملة: راهنه.

ضوى إِليه - بالضاد المعجمة الساقطة: أَي مال.

يُغير - بغين معجمة: من الإِغارة وهي كبس العدو.

الثَّنية البيضاء: عقبة تهبطك إلى فخ ـ بالخاء المعجمة ـ وأَنت مقبل من المدينة تريد أَسفل مكة قَبْلَ ذِي طُوَى.

الرِيف ـ بالكسر: الخصب والسعة في المطعم، وحيث تكون الخضرة والحياة.

يَتَحَسَّبُون الأَخبار ـ بفتح التحتية والفوقية والحاء، والسين المشددة المهملتين وضم الموحدة؛ أَي يتطلبونها.

التَبَطُوا لجنب ناقتي: مشوا إِلى جنبها كمشي العرجاء لازدحامهم حولها.

الحجاز: ما بين نجد والسّراة.

الأَنفة ـ بفتح الهمزة، والنون: الحميّة.

المَنَعَة ـ بالتحريك: جمع مانع؛ ككاتب وكتبة، ويسكن على معنى منعة واحدة، وهي العشيرة فالحُماة.

الرِّيعُ ـ بكسر الراء، والتحتية وسكون: المكان المرتفع.

الفَل ـ بفتح الفاء: القوم المنهزمون.

يُقَدَّم ـ بضم أَوله، وفتح الدال.

أَحثُّ ـ بالثاء المثلثة: أَسرع.

الشامت: الذي يفرح ببلاء ينزل على غيره.

وبين مسلم ومسلمة: أَي ومؤمن ومؤمنة.

المؤنة ـ بضم الميم: القوة.

ليُخْلِ لي في بعض بيوته: أَي لينفرد فيه.

ناشده الله: ذكَّرَهُ به.

آنتثل ما فيها ـ بهمزة، فنون ساكنة ففوقية فثاء مثلثة: استخرج.

العروس: وصف يستوي فيه الذكر والأُنثى.

الخَلُوق: نوع من الطيب.

خَطِر في مشيته: أَقبل بيده وأَدبر كثيراً.

التجلد: التصبر.

الكآبة: الحزن.

أَولى له: كلمة معناها الوعيد من ولي الأَمر أَي تداوله شر.

ينشبوا: يلبثوا.

شرح غريب ذكر غنائم خيبر ومقاسمها

قوله: أَحْذى النساء: أَعطاهن.

الحوائِط - جمع حائِط: وهو هنا البستان.

شريق - بالشين المعجمة، والقاف.

وادي خاص - بالخاء المعجمة، فأَلف، فصاد مهملة، كذا عند ابن إِسحاق، وجرى عليه ياقوت والسيد وغيرهما، وقال أَبو الوليد الوقشي: إِنما هو وادي خُلص باللام. قال البكري: وهو بضم أَوّله، وإِسكان ثانيه، وبالصاد المهملة.

الجِراب - بكسر الجيم، ويجوز فتحها في لغة نادرة.

لا أَبالك: هو أَكثر ما يستعمل في المدح: أَي لا كافي لك غير نفسك، وقد يذكر في معرضِ الذم، وقد يكون بمعنى جِدَّ في أَمرك وشمّر؛ لأَن من له أَب اتّكَل عليه في بعض شأنه.

رضخ - بالخاء - والضاد المعجمتين: أَعطى.

خُرْثِيّ المتاع - بخاء معجمة، مضمومة، فراء ساكنة فثاء مثلثة مكسورة فتحتية مشددة: هو أَثاث البيت ومتاعه؛ فالإِضافة بيانية.

الدجاج - بتثليث الدال: الطائر المعروف.

الداجن: ما أُلف الناس في بيوتهم كالشاة التي تعلف، والدجاج، والحمام، وسميّ داجِناً لإِقامته مع الناس، يقال: دجن بالمكان إِذا أَقام به.

شرح غريب من استشهد بخيبر

قوله: قفلوا: رجعوا.

شاحبا - بشين معجمة فحاء مهلمة، فموحدة: أَي متغير اللون.

كذب من قاله: أَخطأَ.

إِنه لجاهِدٌ مجاهدٌ - كذا للأَكثر باسم الفاعل فيهما، وكسر الهاء، وبالتنوين، والأَول مرفوع على الخبر والثاني إِتباع، ولأَبي ذَرٍّ عن الجمحي والمستملي - بفتح الهاء والدال، قال القاضي - رحمه الله - تعالى: والأَول هو الوَجْهُ، قال ابن دُرَيْد - رحمه الله تعالى -: رجلٌ جاهِدٌ؛ أَي مُجِدٌّ في أُموره، وقال ابن التّيه - رحمه الله تعالى: الجاهِدُ: من يرتكب المشقة لأَعداء الله تعالى.

مشى ـ بشين معجمة ـ كذا في رواية بالميم والقصر من المشي. والضمير في بها للأَرض أَو للمدينة أَو للحرب أَو للخصلة، وفي رواية نشأ ـ بنون وهمزة، وحكى السُّهَيْلي: أنه وقع في رواية مُشَابِهاً ـ بضم الميم، اسم فاعل من الشبه: أَي ليس مشابهاً في صفات الكمال في القتال، وهو منصوب بفعل محذوف تقديره رأَيت مشابها أَو على الحال، من قوله عربي، قال السهيلي: والحال من النكرة يجوز إِذا كان في تصحيح معنى.

شرح غريب ذكر انصراف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومصالحة أهل تيماء

قوله: أُصُلا ـ بضم أَوّله وثانيه: جمع أَصيل وهو العَشِيّ.

وادي القُرَى ـ بضم القاف[1].

العَنوة ـ بفتح العين المهملة: القهر.

الجُذامى ـ بضم الجيم، وذال معجمة.

الشَّمْلة: كساء غليظ يلتحف به.

ضَوَى ـ بفتح الضاد المعجمة، والواو: مال.

الآطام ـ جمع أُطُم: الحصن.

مِدْعَم ـ بكسر الميم، وسكون الدال، وفتح العين المهملتين.

يُرَحِّل ـ بضم التحتية، وفتح الراء، وكسر الحاء المهملة المشددة: أَي يضع الرَّحل على الدابة ويشدُّه.

سَهم عائر ـ بعين مهملة فأَلف فهمزة مكسورة.: لا يَدْري مَنْ رَمَى به.

سهم غَرْب بفتح الغين المعجمة، وسكون الرّاء، وتُحرّك، يضاف ولا يضاف: أَي لا يُدْرَى من رماهُ.

هنيئاً له الشهادة: أَي جاءته بلا مشقّة.

الشِراك ـ بكسر الشين المعجمة: أَحد سيور النعل التي تكون على وجهها.

تَيْمَاء ـ بفتح الفوقية ـ وسكون التحتية: بلد بين المدينة والشام.

شرح غريب نومهم عن الصلاة ورجوعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة

قوله: سَرَى ليلته: سار فيها.

عَرَّس ـ بفتح العين، والرّاء المشددة والسين المهملات: نزل آخر الليل.

---

(١) وادي القرى وادٍ بين المدينة والشام، من أعمال المدينة كثير القرى. مراصد الاطلاع ١٤١٧/٣.

هَبَّ - بفتح الهاء، والموحدة المشددة: استيقظ.

اقتاد بعيره: قاده.

من كنز الجنة، أَي أَجرها يُدَّخَر لقائلها كما يُدَّخر الكنز.

الجُرُف - بضم الجيم، والراء وبالفاء: موضع بينه وبين المدينة ثلاثة أَميال إِلى جهة الشام.

طَرَق أَهلَه: أَتاهم ليلا.

ضَنَّ بكذا - بضاد معجمة ساقطة، فنون مشددة، مفتوحتين: بخل.

لابتا المدينة: حَرَّتَاها؛ وهما جانباها.

شرح غريب ذكر رد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الأنصار ما منحوه للمهاجرين، وغريب شعر كعب بن مالك - رضي الله عنه

فُرُوضه - بضم الفاء والراء وبالواو والضاد المعجمة: المواضع التي فيها الأَنهار.

الأَشَاجع: عروق ظهر الكفّ.

مِذْوَد - بميم مكسورة، فذال معجمة ساكنة، فواو مفتوحة، فدال مهملة: مَانِعُ الواهن قال في الإِملاء الواهن: الضعيف.

المَشْرَفي: السّيف.

يذود: يمنع ويحمي.

الذِّمار - بذال معجمة مكسورة، وراء: ما تَجِبُ حمايته.

الأَنْبَاء - بفتح الهمزة: الأَخبار.

الغيْب: هنا بالياء ويروى بالميم من الغنيمة.

شرح غريب أبيات ابن القيم - رضي الله تعالى عنه

رميت نطاة من الرسول بفيلق ... شهباء ذات مناكب وفقار
واستيقنت بالذل لما شيعت ... ورجال أسلم وسطها وغفار
صبحت بني عمرو بن زرعة غدوة ... والشق أظلم أهله بنهار
جرت بأَبطحها الذيول فلم تدع ... إلا الدجاج تصيح بالأسحار
ولكل حصن شاغل من خيلهم ... من عبد الاشهل أو بني النجار
ومهاجرين قد اعلموا سيماهم ... فوق المغافر لم ينوا لقرار

ولقد علمت ليغلبن محمد وليثوين بها إلى أصفار
فرت يهود عند ذلك في الوغى تحت العجاج غمائم الأبصار

الفَيْلَق - بفتح الفاء، وسكون التحتية، وفتح اللام، وبالقاف شهباء: كثيرة السلاح.

المناكب - جمع مَنْكِب كمسجد: مجتمع رأس العضد والكتف.

الفَقَار - بالفتح: مفاصل عظم الصُّلب. جعل لها مناكبَ وَفقارا: يريد بذلك شِدَّتُها.

شُيِّعَتْ: فُرقت.

أَسْلَم، وغِفَار - بكسر الغين المعجمة: قبيلتان.

الأَبطح: المكان السَّهْل.

عبد الأَشهل - بالشين المعجمة، وبنو النجار، من الأَنصار.

سِيمَاهُم: علائِمهم.

المَغَافِر - جمع مِغْفر: وهو الذي يجعل على الرأس.

لم يَنُوا - بتحتية، فنون: لم يضعفوا أَو لم يفتروا.

يَثْوِيَنَّ - بالثاء المثلثة: يقمن.

أَصْفَار: جمع صَفَر - ، وهو الشهر.

فَرّت يهود: هربت.

الوَغَى - بفتح الواو، وبالغين المعجمة: الحرب.

العَجَاج: الغُبَار.

الغمائِم - بالغين المعجمة: جفون العيون.

الأَبصار - بالموحدة. قال ابن سراج: ويصح أَن تكون عمائِم بالمهملة، جمع عمامة، ويكون الأَنصار بالنون، وقال السهيلي: قوله فرت يهود «هو بيت مشكل، غير أَن بعض النسخ، وهي قليلة عند ابن هشام، أَنه قال: فرّت: فَتَحت، مِنْ قولك: فَرت الدّابة إِذا فتحت فاها وغمائِم الأَبصار، مفعول فرّت، وهي جفون أَعينهم، قال السهيلي: هذا قول. وقد يصح أَن يكون فرّت من الفرار. وغمائِم الأَبصار من صفة العجاج، وهو الغبار، ونصبه على الحال من العجاج، وإِن كان لفظه لَفْظ المعرفة عنده، وليس بشاذ في النحو، ولا مانع في العربية، وأَمّا عند أَهل التحقيق فهو نكرة لأَنه لم يُرِد الغمائِم، حقيقة، وإِنما أَراد مثل الغمائِم، استدل السهيلي على ذلك بأَشياء ذكرها.

الباب الخامس والعشرون

في غزوة ذات الرقاع

وهي غزوة محارب، وبني ثعلبة، وسببها أَنّ قادماً قدم بجَلَب إلى المدينة، فاشتراهُ منه أَهلها، فقال للمسلمين: إنّ بني أَنْمَار بن بَغِيض، وبني سعد بن ثَعْلَبَة قد جمعوا لكم جُمُوعا، وأَراكم هادئين عنهم، فبلغ ذلك رسولَ الله ـ ﷺ ـ فاستخلف على المدينة ـ قال ابن إسحاق: أَبا ذَرٍّ الغِفَارِي، وقال محمد بن عمر وابنُ سعد وابن هشام: عثمان بن عفان، وخرج رسول الله ـ ﷺ ـ من المدينة ليلة السبت لعشرٍ خَلَوْن من المحرم. في أَربعمائة أَو سبعمائة، أَو ثمانمائة، وسلك على المضيق، ثم أَفضى إلى وادي الشُّقْرة، فأَقام فيها يوماً، وبَثّ السّرايا، فرجعوا منها مع الليل وخبّرُوه أَنهم لم يروا أَحدا، ووطِئوا آثاراً حديثة، فسار رسول الله ـ ﷺ ـ في أَصحابه حتى أَتى نخلا، وأَتى مجالسهم، فلم يجد فيها أَحداً إلا نسوة، فأَخذهن وفيهن جاريَة وضيئة، وقد هربت الأَعراب في رؤوس الجبال، وهم مُطِلُّون على المسلمين.

قال ابن إسحاق: فلقي رسولُ الله ـ ﷺ ـ جَمْعاً من غَطَفَان، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم قتال، فخاف الفريقان بعضُهم من بعض، خاف المسلمون أَن يغير المشركون عليهم، وهم غارّون، وخاف المشركون أَن لا يبرح رسول الله ـ ﷺ ـ حتى يستأصلهم.

ولما حانت الصلاة ـ صلّى رسول الله ـ ﷺ ـ بأَصحابه صلاة الخوف.

وروى البيهقيُّ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: صلى رسول الله ـ ﷺ ـ الظهر، فَهَمَّ به المشركون، فقالوا: دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه أَحبُّ إليهم من أَبْنَائِهم، فنزل جبريل على رسول الله ـ ﷺ ـ فأَخبره، فصلى العصرَ صلاة الخَوْف.

قال ابن سعد: وكان ذلك أَوّل ما صلاّها، ثم انصرف رسول الله ـ ﷺ ـ راجعاً إلى المدينة.

وبعث بجُعَال ـ بضم الجيم، وبالعين المهملة، واللام، ابن سُرَاقة ـ رضي الله عنه ـ بشيراً إلى أَهل المدينة بسلامة المسلمين.

وغاب رسول الله ـ ﷺ ـ خمس عشرة ليلة.

وقد وقع في هذه الغزوة آيات كثيرة: روى أَكثرها جابرُ بن عبد اللّه ـ رضي الله تعالى عنه ـ.

روى البزّار والطبراني في الأَوسط عنه، قال: كانت غزوة ذاتِ الرقاع تُسَمّى غزوة الأَعاجيب ـ انتهى. منها ما وقع عند إرادة غَوْث بن الحرث الفَتْكَ برسول الله ـ ﷺ ـ.

روى الشيخان وغيرهما من طُرُق عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: غزونا مع رسول الله ـ ﷺ ـ قبل نجد ـ وفي روايةٍ ذات الرقاع، فَلَمَّا قَفَل رسول الله ـ ﷺ ـ أدركته القائلة يوماً بوادٍ كثير العضاة فنزل رسول الله ـ ﷺ ـ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، ونزل رسولُ الله ـ ﷺ ـ تحت ظِل شجرة فعلَّق بها سيفَهُ، فَنِمْنَا نَوْمَةً، فإذا رسول الله ـ ﷺ ـ يَدْعُونا فَجِئناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال: «إنّ هذا آختَرَط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يَدِه صلتاً، فقال لي: منْ يَمْنَعُكَ مني؟ قلت: الله. قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله، قال: من يمنعُك مِنّي؟ قلتُ: الله ـ ثلاث مرّات، فَشَامَ السيف وجلس، ولم يعاقبه رسول الله ـ ﷺ(١).

ولهذه القصة طرق تأتي مع بعض ما يتعلق بها من الفوائد في أبواب عصمته ـ ﷺ ـ ممّنْ أراد الفتكَ به.

ومنها قصة الصبيّ الذي به جنُون، روى البزار والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ في غزوة ذات الرقاع حتى إذا أتى حِرّة واقُم، حضرت آمرأة بدويَّةٌ بآبنٍ لها، فقالت: يا رسول الله، هذا آبني قد غلبني عليه الشيطان، ففتح فاه فبزق فيه، فقال: «أخسأ عدو الله أنا رسولُ الله ثلاثاً، ثم قال: «شأنك بآبنك لن يعود الله بشيء، مما كان يصيبه»(٢)

ومنها قصة البيضات الثلاث: روى محمد بن عمر، وأبو نعيم عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال في غزوة ذات الرقاع: جاء عُلْبَة بن زيد الحارثي ـ رضي الله عنه ـ بثلاث بيضات أداحي، فقال يا رسول الله: وجدت البيضات هذه في مفحص نَعَام، فقال: دونك يا جابر، فاعمل هذه البيضات فعملتهن، ثم جئت بِهِنَّ في قَصْعةٍ فجعلتُ أطلب خُبزاً فلا أجده، فجعل رسولُ الله ـ ﷺ ـ وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بِغَير خُبزٍ حتَّى انتهى إلى حاجته والبيض في القصعة كما هو، ثم قام فأكل منه عامة أصحابه، ثم رحنا مُبْرِدِين(٣).

ومنها قصة الرجل الذي دعا عليه ـ ﷺ ـ بِضرب رقبته: روى محمد بن عمر، والحاكم، وأبو نُعيم عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ الله ـ ﷺ ـ رأى على رجلٍ ثوباً مخروقاً، فقال: مَا لَهُ غَيْرُه؟ فقالوا له ثوبان جديدان في العيبة، فأمره بلبسهما، فلما ولَّى الرّجُلُ، قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ «أليس هذا أحسن؟ ماله ضرب الله عنقه؟» فسمعه الرجلُ فقال: يا

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٠/٧ (٤١٣٤، ٤١٣٥).
(٢) انظر مجمع الزوائد ١٠/٩.
(٣) الواقدي في المغازي ٣٩٩/١.

رسولَ الله في سبيل الله تعالى، فقال رسول الله - ﷺ - في سبيل الله فقتل الرجل في وقعة اليمامة(١).

ومنها قصة الجمل الَّذي شكى إِليه حاله.

روى البَزَّار، والطَّبَرَانيُّ في الأَوسط، وأَبو نُعَيْم عن جابرٍ - رضي الله عنه - قال: رَجَعْنَا من غَزْوة ذَاتِ الرِّقَاع، حتَّى إِذَا كنا بمهبط الحرة، أَقْبَلَ جَمَلٌ يرقلُ، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «أتدرون ما قال هذا الجمل؟» هذا جَمَلٌ يَسْتَعْدِيْنِي على سَيِّده، يزعم أَنه كان يَحْرُثُ عليه منذ سنين، وأَنه أَراد أَن ينحره، إِذهبْ يا جابر إِلى صاحبه فأْتِ به، فقلت: لا أَعرفه. فقال: إِنه سيدلُّك عليه» فخرج بين يديَّ مقنعاً، حتَّى وقف على صاحبه، فجئت به فكلمه - ﷺ - في شأن الجمل(٢).

ومنها قصة جَمَلِ جابر - رضي الله عنه - روى الإِمام أَحمد عن جابر - رضي الله عنه - قال: فقدتُ جَمَلِي في ليلةٍ مُظْلمة، فمررت على رسول الله - ﷺ - فقال: «مَالَك». فقلتُ يا رسولَ الله!! فقدْتُ جملي، فقال: «ذاك جَمَلُك، اذْهَبْ فَخُذْه». فذهبْتُ نَحْوَ مَا قال فلم أَجده، فرجعتُ إِليه، فقال مثل ذلك، فذهبتُ فلم أَجده، فرجعت إِليه، فانطلق معي حَتَّى أَتَيْنا الجمل، فدفعه إِليّ(٣).

قصة أُخرى: روى الإِمام أَحمد، وأَبو نُعَيْم والشيخان، ومحمد بن إِسحاق ومحمد بن عمر من طرقٍ عن جابرٍ - رضي الله عنه - قال: كنَّا مع رسول الله - ﷺ - في غزوة بني ثعلبة، وخرجتُ على ناضح لي، فأَبطأَ عَلَيّ، وأَعياني حتى ذهب الناس، فجعلت أَرقبه، وَهَمَّنِي شأْنه فأَتى عليَّ رسول الله - ﷺ - فقال: «مَا شَأْنُكَ»، فقلتُ: يا رسول الله!! أَبطأَ عليَّ جملي، فأَناخ رسولُ الله - ﷺ - بعيره، فقال: «مَعَكَ مَاء»؟ فقلتُ: نعم. فجئته بِقَعْبٍ من ماء، فنفث فيه ثم نضح على رأسه وظهره، وعلى عجزه. ثم قال: «أَعْطِنِي عَصاً»، فأَعطيته عَصاً معي، أَو قال: قطعتُ له عَصاً من شجرة، ثم نَخَسه نخسات، ثم قرعه بالعصا، ثم قال: «ارْكَبْ» فركبت فخرج - والَّذي بعثه بالحق - يُوَاهِقُ(٤) نَاقَتَه مُوَاهَقَةً ما تفوته ناقته، وجعلت أَكفّه عن رسول الله - ﷺ - حياء منه، وجعلت أَتحدث مع رسول الله - ﷺ - وبقية الحديث يأْتي في باب مِزاحه ومداعبته - ﷺ - وفي باب كرمه وجوده، وفي باب بيعه وشرائه.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٨٣/٤.
(٢) قال الهيثمي ١١/٩ فيه عبد الحكيم ابن سفيان ذكره ابن أبي حاتم ولم يخرجه أحد، وبقية رجاله ثقات.
(٣) انظر مجمع الزوائد ١٤/٩ ـ ١٥.
(٤) يواهق أي يباريها في السير ويماشيها، ومواهقة الإبل: مدّ أعناقها في السير، انظر النهاية ٢٣٣/٥.

ومنها قصة الشجرتين، وقصة تخفيف العذاب عن ميتين، وقصة نبع الماء من بين أصابعه، وقصة الدّابة التي ألقاها البحر لَمّا شكى المسلمون من الجوع.

روى مسلم، وأبو نعيم، والبيهقي: عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: سرنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ في غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقاعِ، حتى نزلنا وادياً أَفْيَح، وذهب رسولُ الله ـ ﷺ ـ يقضي حاجته، وأتبعته بإداوة من ماء، فنظر فلم ير شيئاً يستتر به، وإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسولُ الله ـ ﷺ ـ إلى إحداهما، فأخذ بغُصْنٍ من أغصانها، وقال: «انْقَادِي عَلَيَّ بإِذْنِ الله تَعَالَى» فانقادت منه كالبعير المُخَشْوَش الذي يصانع قائده، حتى أتت الشجرة الأُخرى فأخذ بغصنٍ من أغصانها وقال: «انْقَادِي عَليَّ بِإِذْنِ الله تَعَالى» فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالنَصَف فيما بينهما لأم بينهما، يعني جَمَعَهمَا فقال: «التَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ الله تَعَالَى». فالتأمتا، قال جابر: فخرجت أُحضر مخافة أن يُحِسَّ رسولُ الله ـ ﷺ ـ بقدمي فيبتعد فجلستُ أُحدِّثُ نفسي، فحانت مِنِّي لفتة، فإذا أنا برسول الله ـ ﷺ ـ مُقْبل، وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كلُّ واحدةٍ منهما على سَاق، فرأيت رسولَ الله ـ ﷺ ـ وقفَ وقفةً فقال برأسه: «هَكَذَا يَمِيناً وشِمَالاً». ثم أقبل، فلما انتهى إليّ قال: «يَا جَابِر! هل رأيت مَقَامِي؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «فانْطَلِق إِلَى الشَّجَرَتَين فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ واحدةٍ مِنْهُمَا غُصْناً وأَقْبل بِهِما، حتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامي فَأرْسِلْ غُصْناً عَنْ يَمِينِك وَغُصْناً عَنْ يَسَارِك». قال جابر: فقمتُ، فأخذتُ حَجَراً فكسرته وحسرته فانزلق لي، ثم أتيتُ الشجرتين فقطعتُ من كل واحدةٍ منهما غُصْناً، ثم أقبلت أجترهما حتّى إذَا قمتُ مقام رسول الله ـ ﷺ ـ أرسلتُ غُصناً عن يميني وغُصْناً عن يساري، ثُم لحقت برسول الله ـ ﷺ ـ فقلتُ: قد فعلتُ يا رسولَ الله، فَعَمَّ ذلك؟ قال: إني مررت بقبرين يُعَذَّبَان، فأحببت بشفاعتي أن يَرِّحه عنهما مادَام القضيبان رطبين فأتينا العسكر، فقالَ رَسولُ الله ـ ﷺ: يا جابر، ناد بالوضوء، فناديت: ألا وضوء ألا وضوء؟ يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة، وكان رَجُلٌ من الأنصار يبرد لرسول الله ـ ﷺ ـ الماء في أَشْجَابٍ له على حِمَارَةٍ من جريد، فقال: «انطلق إلى فلان بن فلان الأنصاري، فانظر هل في أشجابه من شيء؟ فانطلقتُ إليه فنظرت فلم أجد فيها قطرة ماء إلاّ قطرةً في عَزْلاَءِ شجب منها، لو انّي أفرغه بشربة يابسة؟ فأتيتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ فأخبرته، قال: «اذهب فاتني به، فأتيته به، فأخذه بيده، فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو، ويغمزه بيده، ثم أعطانيه، فقال: «يا جابر، ناد بجَفْنَة»، فقلت: يا جفنة الركب فأتيت بها تُحمل، فوضعت بين يديه، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ بيده هكذا، فبسطها في الجفنة، ففرّق بين أصابعه، ثم وضعها في قعر الجَفْنَة، وقال: «خُذْ يا جابر، فَصُبَّ عَلَيَّ، وقل بسْم الله» فرأيتُ الماء يفُورُ مِنْ بين أصابعه، ففارت الجَفْنَة، ودارت حتّى امتلأت. فقال: «يا جابر ناد من كانت له حاجة بماء فأتى الناس فاستقوا

حتَّى رووا، فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟ ورفع رسولُ الله ـ ﷺ ـ يده من الجَفْنَة، وهي ملأَى.

وشكى الناس الجوع، فقال: «عَسَى اللهُ أَنْ يُطْعِمَكُم بسيف البحر» فأتينا سيف البحر، فألقى دابة فأَوْرَيْنا على شقِّها النَّار، فشوينا، وأكلنا وطبخنا، وشبعنا.

قال جابر: فدخلتُ أنا وفلان وفلان، حتى عَدَّ خمسة في حجَاج عَيْنِها، ما يَرَانا أَحد حتَّى خرجْنا، وأَخذنا ضِلْعاً مِن أَضلاعها، فقوسناه، ثم دعونا بأَعظم رجل في الركب وأَعظم جمل فدخل تحته ما يطأطئ رأسه.

ذكر قصة الطائر الذي سقط على فرخه لما صاده بعض الصحابة رضي الله عنهم

روى محمد بن عمر، وأَبو نُعيم ـ رحمه الله تعالى ـ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: إنَّا لمع رسول الله ـ ﷺ ـ إذْ جَاء رجلٌ من أَصحابه بفَرْخِ طائِر، ورسولُ الله ـ ﷺ ـ ينظر إليه، فأَقبل أَبواه أَو أَحدهما حتَّى طَرَحَ نفسه في يدي الذي أَخذ فرخه، فرأَيت النَّاسَ يَعْجبُون من ذلك، فقالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «أَتعجبون مِنْ هذا الطَّائِر؟ أَخذتم فَرْخَه، فطرح نفسه رحمةً بفرخه، واللهِ لَرَبُّكُم أَرْحَمُ بِكُمْ مِنْ هَذَا الطَّائِرِ بِفَرْخِهِ».

ذكر منقبة لعباد بن بشر ـ رضي الله عنه

روى ابن إسحاق عن جابر ـ رضي الله عنه ـ ومحمد بن عمر عن شيوخه ـ رحمهما الله تعالى أَن رسولَ الله ـ ﷺ ـ أَصاب في نخل المشركين في هذه الغزوة امرأَة، وكان زوجُها غائباً، فلما أَتى أَخبر الخبر، وقفل رسولُ الله ـ ﷺ ـ فَحَلَفَ زوجُها لا ينتهي حتَّى يهريق في أَصحاب محمد ـ ﷺ ـ دَماً، فخرج يتبع أَثر رسول الله ـ ﷺ ـ فنزل رسول الله ـ ﷺ ـ منزلاً ليلةً ذَات ريح في شِعْب آستقبله. فقال: «مَنْ رَجُلٌ يَكْلأُنا»؟ فقام عَبَّاد بن بشر، وعمار بن ياسر ـ رضي الله عنهما ـ فَقَالاَ: نحن يا رسول الله نكلؤك، وجعلت الريح لا تسكن، وجلس الرَّجُلاَن على فَم الشِّعب، فقال أَحدهما لصاحبه: أَيّ الليل أَحب إليك أَن أَكْفِيكَ أَوَّلَه، وتكفيني آخره؟ قال: آكفني أَوَّله، فنام عمار بن ياسر، وقام عَبَّاد يُصَلِّي، فأَقبلِ زَوْجُ المرأَة يَطْلُبُ غِرَّة، وقد سكنت الرِّيح، فلما رأَى سواد عباد من قريب قال: يعلم الله أَن هذا رَبيئة القوم، ففوَّق سهماً فَوَضَعَه فيه، فآنتزعه عَبّاد، فرماه بآخر فوضعه فيه، فآنتزعه، فرماه بآخر فآنتزعه، فَلَمَّا غلبه الدَّم رَكَعَ وَسَجَد، ثم قال لصاحبه: إجلس فقد أُتيت، فجلس عمار، فلما رأَى الأَعرابي عَمَّاراً قَدْ قَامَ عَلِمَ أَنه قد تذرا به، فهرب، فقال عمار: أَي أَخي، ما منعك أَن

تُوقِظَني في أَوَّلِ سهم رمى به؟ قال: كنتُ في سورة أَقرأها وهي سورة الكهف، فكرهت أَنْ أَقطعها حتى أَفْرُغ منها، ولولا أَني خشيت أَن أُضَيِّعَ ثغرا أَمرني به رسولُ الله - ﷺ - ما آنصَرفت، ولو أُتِيَ على نَفْسي.

ويقالُ إن المَرْمِيِّ عمار، قال محمد بن عمر: وأَثْبَتُها عندنا عَبَّاد بن بشر - رضي الله عنه.

وروى آبن إسحاق عن جابر - رضي الله عنه - أَن رسولَ الله - ﷺ - لَمَّا قَدِم صرارا نزل به، وأَمر بذبح جزور، وأَقام عليها والمسلمون يومهم ذلك، فلما أَمسى رسولُ الله - ﷺ - دخل المدينة ودخلنا معه.

تنبيهات

الأول: آختلف في تسمية هذه الغزوة بذات الرِّقَاع - بكسر أَوله، فقيل: هي اسم شجرة سميت الغزوة بها، وقيل: لأَن أَقدامهم نَقِبَت فلقوا عليها الخِرَق كما في صحيح مسلم عن أَبي موسى الأَشعري، وقيل: بل سُمِّيَتْ بِرِقاعٍ كانت في أَلْوِيَتِهِمْ. قال في تهذيب المطالع: والأَصح أَنه مَوْضِعٌ، لقوله: حتَّى إذا كُنَّا بذاتِ الرقاع. وكانت الأَرض التي نَزَلوها ذات أَلوان تُشْبِه الرقاع، وقيل: لأَن خَيْلَهُم كان بِها سواد وبياض.

قال محمد بن عمر الأَسلمي: سميت بجبلٍ هناك فيه بقع، ورجَّحَ السُّهَيْلي، والنَّوَوِيُّ السَّبَبَ الَّذِي ذَكَرَه أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِي.

قال النووي - رحمه الله تعالى - ويحتملُ أَنها سُمِّيَتْ بالمجموع، وبه جزم صاحب تهذيب المطالع. في التقريب.

الثاني: اختلف متى كانت هذه الغزوة فقال البخاري ومن تبعه: أَنها كانت بعد خيبر، لأَن أَبا موسى الأَشعري جاء من الحبشة سنة سبع بعد خيبر، كما في الصحيح في باب غزوة خيبر. وتقدَّم ذكره هناك. وصح أَيضاً كما في الصحيح أَنه شهد ذات الرِّقاع، وإِذَا كان ذلك كذلك لزم أَن غزوة ذات الرقاع بَعْدَ خيبر، وقال أَبو هريرة - رضي الله عنه - صليتُ مع رسول الله - ﷺ - في غزوة نجد صَلاَةَ الخوف. رواه البخاريُّ تعليقاً، وأَبو داود، والطحاوي، وابن حبان مَوْصُولاً.

قال البخاري، وأَبو هريرة: إنما جاء إلى النبي - ﷺ أَيام خيبر أَي فَدَل على أَن غزوة ذات الرقاع بَعْدَ خيبر، وتعقب بأَنه لا يلزم من كَوْنِ الغزوة كانت في جهة نجد، أَي لا تتعدد، فإن نجداً وقع القصد إلى جهتها في عدة غزوات. وذكرت في باب صلاته - ﷺ - صَلاَةَ الخوف ما يُغنى عن إعادته، فيحتمل أَن يكون أَبو هريرة حضر التي بعد خيبر، لا التي قبلها،

والجواب أَن غزوة نَجْد إذا أُطلقت فالمراد بها غزوة ذات الرقاع، كما جاء ذلك في أَحاديث كثيرة.

وكذلك عبد اللّه بن عمر، ذكر أَنه ـ صلَّى مع رسول الله ـ ﷺ ـ صلاة الخوف بنجد، وتقدم أَن أَول مشاهده الخندق، فتكون ذات الرقاع بَعْدَ الخندق.

وفي الصحيح عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: صلَّى رسولُ الله ـ ﷺ ـ صلاةَ الخوف في غزوة السابعة، غزوة ذات الرقاع. قال الحافظ: قوله في غزوة السابعة، من إِضافة الشيء إِلى نفسه على رأْي، أَو فيه حَذفٌ تقديره: غزوة السفرة السابعة.

وقال الكرماني[1] وغيره: تقديره غزوة السنة السابعة، أَي من الهجرة، وفي هذا التقدير نظر، إِذْ لو كان مُرَاداً لكان هذا نَصاً في أَن غزوة ذات الرقاع تأَخرت بعد خيبر، نَعَمْ التنصيص بِأَنها سابع غزوة من غزوات النبيِّ ـ ﷺ ـ تأْييد لِمَا ذهب إِليه البخاري مِنْ أَنَّهَا كانت بعد خيبر، فإِنه إِذا كان المراد الغزوات التي خَرَجَ رسولُ الله ـ ﷺ فيها بنفسه مطلقاً، سواء قاتل أَو لم يُقَاتل، فإِن السابعة منها تقع قبل أُحد، ولم يذهب أَحَدٌ إِلى أَنَّ ذَاتِ الرقاعِ قبل أُحد إِلاَّ ما سيأْتي من تردد ابن عُقْبَة، وفيه نَظر؛ لأَنهم متفقون على أَن صَلاةَ الخوف مُتأَخرة عن غَزْوَةِ الخَنْدَق، فتعيَّنَ أَن يكون ذات الرقاع بعد قُريظة، فَتَعَيَّنَ أَنَّ المراد الغزوات التي وقع فيها القتالُ. والأُولى منها بدر، والثانية أُحُدُ، والثالثة الخَنْدَق، والرابعة قُرَيْظَة، والخامسة المُرَيْسِيعُ، والسادسة خَيْبَر، فيلزم من هذا أَن تكون ذاتُ الرقاع بعد خيبر لِلتَّنْصِيص على أَنها السابعة، فالمراد تاريخ الوقعة لا عدد المغازي، وهذه العبارات أَقرب مما وقع عند الإِمام أَحمد بلفظ كانت صلاةُ الخوف في السابعة، فإِنه يصح أَن يكون التقدير في الغزوة السابعة، كما يصح في غزوة السنة السابعة، قلت: لا مزيد على هذا التحقيق البليغ، فرحم الله الحافظ وجزاه خيراً.

وجزم أَبو معشر: بأَنها كانت بعد بني قريظة، وهو موافق لما ذهب إِليه البخاري، قال في الزهر ـ وأَبو معشرٍ[2] من المعتمدين في المغازي.

وقال ابن القيم بعد أَن ذكر الخلاف في تاريخها: الصوابُ تحويلُ غزوةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ من

---

(١) محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني: عالم بالحديث، أصله من كرمان. اشتهر في بغداد، له «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ـ ط» قال ابن قاضي شهبة: فيه أوهام وتكرار كثير ولا سيما في ضبط أسماء الرواة. وله ايضاً «ضمائر القرآن» و«النقود والردود في الأصول» مختصره، و«شرح لمختصر ابن الحاجب» سماه «السبعة السيارة» لأنه جمع فيه سبعة شروح. و«أنموذج الكشاف تعليق عليه. توفي ٧٨٦هـ، الأعلام ٧/١٥٣.

(٢) نَجِيح بن عبد الرحمن السِّنْدِي بكسر المهملة وسكون النون الهاشمي مولاهم أبو مَعْشَر المدني. عن ابن المسيَّب. قال الذهبي: لم يلقه، ونافع. وعنه الليث والثوري وابن مهدي وطائفة. ضعفه القطان وابن معين وأبو داود والنسائي وابن عدي. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو زرعة: صدوق وليس بقوي. توفي سنة سبعين ومائة. الخلاصة ٣/ ١٠٤.

هذا الموضع، يعني كونه ذكرها بعد غزوة بني النَّضِير، وقبل غزوة بَدْر الموعد إلى بعد الخندق، بل بعد خيبر.

قال: وإنما ذكرته ههنا تقليداً لأهل المغازي والسير، ثم تَبَيَّنَ لنا وهْمُهُم

الثالث: قال ابن عُقْبَة: لا ندري هل كانت ذات الرقاع قبل بدر أو بعدها، أو قبْلَ أُحُدٍ أو بعدها. قال الحافظ: وهذا الترَدُّدُ لا حاصل له، بل الذي ينبغي الجزم به أنها بعد غزوة بَنِي قُرَيْظة، لأن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت، وحديث وقوع صلاة الخَوْف في غزوةِ ذَاتِ الرِّقاع يدُلُّ على تأخرها بعد الخندق.

الرابع: قال أبو الفتح - رحمه الله تعالى - جعل البخاريُّ حديث أبي موسى حجة في أن غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر، وليس في خبر أبي موسى ما يدل على شيء من ذلك. قال الحافظ - رحمه الله تعالى - وهذا النَّفي مردود، والدَّلالةُ من ذلك واضحةٌ كما تقدم تقريره.

وقال الإمام علاء الدين الخازن - رحمه الله تعالى - وهذا الذي ذكره البخاري ظاهر الوضوح لأن سياق الأحاديث يدل على ما قاله.

الخامس: ادعى الحافظ الدمياطي غلط الحديث الصحيح، فإن جميع أهل السير على خلافه، والجواب أن الاعتماد على ما في الحديث أولى، لأن أصحاب المغازي مختلفون في زمانها، فعند ابن إسحاق، أنها بعد بني النَّضِير، وقَبْلَ الخندق في سنة أربع.

وعند ابن سعد، وابن حبَّان: أنها كانت في المُحَرَّم سنة خمس وجزم أبو معشر بأنها كانت بعد بني قريظة والخندق، وجزم ابن عُقْبَة بتقديمها، لكن تردَّدَ في وقتها كما تقدم. وأيضاً فقد آزداد حديث أبي موسى قوة بحديث أبي هُرَيْرة، وبحديث ابن عمر كما تقدَّمَ تقريره.

السادس: قيل: إنَّ الغزوة التي شهدها أبو موسى، وسُمِّيَتْ ذات الرقاع غير غزوة ذات الرقاع التي وقعت فيها صلاةُ الخوف، لأن أبا موسى قال في روايته: أنهم كانوا ستة أَنْفُس، والغزوة التي وقعت فيها صلاةُ الخوف. كان المسلمون فيها أضعاف ذلك، والجواب عن ذلك أن العدد الذي ذكره أبو موسى محمولٌ على مَنْ كان مُرَافِقاً له من إلزامه، إلا أنَّه أراد مَنْ كان مع النبي - ﷺ.

السابع: وقع في الصحيح «باب غزوة ذات الرقاع» وهي غزوة مُحَارِب بن خَصفة من بني ثعلبة بن غطفان. قال الحافظ - رحمه الله تعالى - وهو يقتضي أن ثعلبة جَدٌّ لمحارب، وليس كذلك، ووقع عند القابسي: خصفة بن ثعلبة، وهو أشد في الوهم. والصواب ما وقع عند ابن إسحاق وغيره، وبني ثعلبة بواو العطف، فإن ثعلبة بن سعد بن ذُبْيَان بن بغيض بن

ريث بن غطفان، وغطفان بن سعد بن قيس عيلان، ومحارب بن خصفة بن قيس عيلان، فمحارب وغطفان ابنا عم!! فكيف يكون الأعلى منسوباً إلى الأدنى؟!

وفي الصحيح في حديث جابر بلفظ محارب وثعلبة بواو العطف على الصحيح، وفي قوله ثعلبة من غطفان بميم فنون نظر أيضاً كما يُعلم مما تقدم، وقد يكون نَسَبَه لجده الأعلى، وفي الصحيح من رواية بكر بن سَوَادَة يوم محارب وثعلبة، فغاير بينهما ومُحَارِب بضم الميم، وبالحاء المهملة والموحدة، وخصفة بفتح الخاء المعجمة، والصاد المهملة، ثم فاء، أُضيف إليه محارب للتمييز عن غيره من المحاربين، فإن في مضر محارب بن فهر، وفي المغتربين محارب بن صباح، وفي عبد القيس محارب بن عمرو.

الثامن: غَوْرَث: وزن جعفر، وقيل بضم أوله؛ وهو بغين معجمة وواو وثاء مثلثة، مأْخوذ من الغَوْث وهو الجوع، ووقع عند الخطيب بالكاف بدل المثلثة، وحكى الخطَّابي فيه غُوَيْرِثْ بالتصغير. وحكى القاضي عن بعض رواة الصحيح: من المعارثة بالعين المهملة. قال القاضي: وصوابه بالمعجمة.

وذكر غويرث هذا الذهبيُّ في التجريد من جملة الصحابة، ولفظ غورث بن الحرث الذي قال: من يمنعك منِّي؟ قال: الله تعالى - فوقع السيفُ من يده، قاله البخاري من حديث جابر. ا.هـ.

وتعقبه الحافظ بأنه ليس في شيء من طُرُق أَحاديثه في الصحيح تعرّض لإسلامه، ثم أَورد الطُّرُق. ثم قال: رويناه في المسند الكبير عن مسدّد الخزرجي وفيه ما يصرح بعدم إسلامه، ولفظه بعد أَن ذكر وقوع السيف من يده، وقول النبي - ﷺ - من يمنعك مني قال: كن خير آخذ. قال: لا إلا أَن تُسلم. قال: لا ولكن أُعاهدك أَلا أُقاتلك، ولا أَكون مع قوم يُقاتلونك. فخلَّى سبيله، فجاء إلى قومه وقال: جئتكم مِنْ عند خير النَّاس، وكذا رواه الإمام أَحمد، ونقله الثَّعْلَبِيّ عن الكَلْبِي عن أَبي صالح عن ابن عباس، ثم قال الحافظ: هذه الطرق ليس فيها أَنه أَسلم، وكان الذهبي لما رأَى في ترجمة دُعْثور بن الحرث أَن الواقدي ذكر له شبيها لهذه القصة، وأَنه ذكر أَنه أَسلم، فجمع بين الروايتين، فأَثبت إسلام غَوْرَث. فإن كان كذلك ففيما صنعه نظر من حيث إنه عزاه للبخاري، وليس فيه أَنه أَسلم من حيث إنه يلزمه الجزمُ بكَوْن القصتين واحدة، ومع احتمال كونهما واقعتين إن كان الواقدي آتقن ما نقل. وفي الجملة فهو على الاحتمال. قلت: سبق الذهبيَّ في نقل إسلام غورث عن البخاري الأَميرُ أَبو نصر ابن مَاكُولاَ في الإكمال. وجزم به الذَّهبي في مشتبه النِّسبة، وأَقره الحافظ في التبصرة على ذلك ولم يتعقبه. والذَّهبي لم يغير ذلك للصحيح حتى يرد عليه بما قاله الحافظ.

والظاهر أَن البخاري ذكر ذلك في أَحد تواريخه فتراجع، ولم أَقف الآن فيها إلا على رُبع التاريخ الكبير ولم يصل إلى حرف الغين المعجمة. ولم أر مَنْ حَرَّر هذا الموضع. ويحتمل إن صح إسلامه أن يكون أسلم في غير هذا اليوم ووقع للحافظ في الفتح في إسلام غورث كلام غير محرر يأتي الكلام عليه في الحادي عشر.

التاسع: قول غورث للنبي - ﷺ - من يمنعك مِنِّي على سبيل الاستفهام الإنكاري، أَي لا يمنعك منِّي أَحَدٌ لأَن الأَعرابي كان قائماً بالسيف على رأس رسول الله - ﷺ - والسيف في يد الأَعرابي والنبي - ﷺ - جالسٌ لا سيف معه، ويؤخذ من مراجعة الأَعرابي في الكلام أَن الله - سبحانه وتعالى - منع نبيّه منه، وإلا فما الذي أَحوجه إلى مُرَاجعته وتكرارها ثلاث مرات كما عند البخاري في الجهاد، مع احتياج غورث إلى الحُظوة عِنْدَ قومه بقتله، وفي قول النبي - ﷺ - في جوابه: «الله يَمنَعُنِي مِنْك» إشارة إلى ذلك، ولذلك أَعاده الأَعرابي فلم يزده على ذلك الجواب غاية الثبات للنبي - ﷺ - وعدم مُبَالاته به أَصلاً.

العاشر: في رواية يحيى بن أَبي كثير: فتهدَّده أَصحاب رسول الله - ﷺ - قال الحافظ - رحمه الله تعالى - فظاهرها مُشعِرٌ بأَنهم حضروا القصة وأَنه إنما رجع عما كان عزم عليه بالتهديد، وليس كذلك، بل وقع في رواية إبراهيم بن سعد في الجهاد بعد قوله: قلتُ الله!! فشام السَّيْفَ أَي أَغمده، وكان الأَعرابي لما شاهد ذلك الثَّبَات العظيم وعرف أَنه حيلَ بَيْنَه وبينه، تحقق صِدْقه، وعلم أَنه لا يصل إليه أَلقى السلاح، وأَمكن من نفسه.

الحادي عشر: في حديث جابر فإذا هو جالس، ووقع في رواية ابن إسحاق بعد قوله: «قَالَ الله» فدفع جبريلُ في صَدره، فوقع السيفُ من يده فأَخذه النبي - ﷺ - فقال: من يمنعك أَنت مني؟ قال: لا أَحد، قال: قم فاذهب لشأنك، فلما وَلَّى قال: أَنت خير مني.

ويجمع بين ما في الصحيح وبين ما ذكره ابن إسحاق من قوله: «فاذْهَبْ» أَنه بعد ما أَخبر أَصحابه بقصته، ولشدة رغبته - ﷺ - في ائتلاف الكفار ليدخلوا في الإسلام، لم يؤاخذه وعفا عنه. قال الحافظ: وقد ذكر الواقدي في نحو هذه القصة أَنه أَسلم، وأَنه رجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير، ووقع في رواية ابن إسحاق - التي أَشرت إليها - ثم أَسلم.. بعد.

قلت: وعلى الحافظ في هذا الكلام مؤاخذات.

الأُولى: قوله «ووقع» في رواية ابن إسحاق بعد قوله «فدفع جبريل في صدره» صوابه: وقع عند الواقدي، لابن إسحاق، فإن ابن إسحاق لم يذكر ذلك أَصلا.

الثانية: أَن الواقدي، إنما ذكر ذلك في غزوة غَطَفَان التي تعرف بذي أَمر لا في ذات الرِّقاع، وسمَّى الرَّجُلَ دعثورا.

الثالثة قوله: وذكر الواقدي في نحو هذه القصة إلخ. قد يُوهم أَن الرجل غورث، وليس كذلك، بل هو دعثور.

الرابعة قوله: ووقع في رواية ابن إِسحاق التي أَشرت إِليها أَنه أَسلم ليس في كلام ابن إِسحاق أَنه أَسلم بلا ريب، ومن راجع كلام ابن إِسحاق، والواقدي في مغازيهما تبيَّن له صحة ما قلته. والله - تعالى - أَعلم.

الثاني عشر: قول ابن إِسحاق: أَن رسولَ الله - ﷺ - استعمل على المدينة في غزوة ذَاتِ الرِّقَاع أَبا ذر، لا يستقيم على مذهبه أَن ذات الرقاع قبل الخَنْدق، فإِن أَبا ذر أَسلم قديماً، ورجع إِلى بلاده، فلم يجئ إِلاّ بعد الخندق، كما ذكره محمد بن عمر.

الثالث عشر: وقع في الوسيط للإِمام حجة الإِسلام الغَزالي - رحمه الله تعالى - أَنَّ غزوةَ ذات الرقاع آخر الغزوات. قال الحافظ: وهو غلط واضح. وقد بالغ ابن الصلاح في إِنكاره، وقال بعض من انتصر للغزالي: لعله أَراد آخر غزوة صُلِّيت فيها صلاةُ الخوف، وهو آنتصار مردود أَيضاً، لما رواه أَبو داود، والنسائي، وصححه ابن حِبَّان من حديث أَبي بكر أَنه - صلَّى مع رسول الله - ﷺ - صلاةَ الخوف، وإِنما أَسلم أَبو بكرة في غزوة الطَّائِف بالاتفاق، وذلك بعد غزوة ذَاتِ الرِّقاع قطعاً.

الرابع عشر: جمهور أَهل المغازي على أَن غزوة ذات الرقاع هي غزوة مُحارب، كما جزم به ابن إِسحاق.

وعند محمد بن عمر، أَنها آثنتان وتبعه القطب في المورد.

الخامس عشر: قول ابن سعد أَن صلاةَ الخوف أَول ما صُلِّيَتْ «بذات الرقاع» محمول على ما ذكره هو وغيره من تقدمها على غزوة الحُدَيْبِيَة، أَما على تأْخير ذات الرقاع عن خيبر فتكون أَول مَا صُلِّيَتْ صلاة الخوف في عُسْفَان.

السادس عشر: في بيان غريب ما سبق.

الجَلَبَ - بفتح الجيم واللام، وبالموحدة: ما يجلب من بلد إِلى بلد للبيع.

بنو أَنْمَار... بفتح الهمزة.

بغيض - بموحدة، فغين، فضاد، معجمتين بينهما تحتية.

هادين: غافلين عن أَمرهم.

المضيقُ - بفتح الميم، وكسر الضَّاد المعجمة، ومثناة تحتية وقاف: قرية.

أَفضى إِلى كذا: وصل إِليه.

الشُّقْرَة - بضم الشين المعجمة، وسكون القاف: اسم موضع على يومين من المدينة.

أَتى نخلا - بالخاء المعجمة بلفظ اسم جنس النخلة: موضع على يومين من المدينة أيضاً.

وَضِيئَة - بالضاد المعجمة: أي حسنة.

غارون: غافلون.

يستأصلهم: يهلكهم جميعا.

حانت الصلاة: دنا وقتها.

شرح غريب ذكر حديث جابر في قصة غورث

قوله - قفل: رجع.

العِضَاه - بكسر العين المهملة، وبالضاد المعجمة، وبالهاء: شجر أُم غيلان، وكل شجر عظيم له شوك.

اخترط السَّيْفَ: سلّه من غِمده.

صَلْتاً - بفتح الصاد المهملة، وسكون اللاّم، وبالفوقية: أَي مجردا من غمده.

شَامَ السَّيْفَ - هنا - أَدخله في غمده.

فتك به: أَتاه ليقتله.

وهو غار: غافل.

في حِرَة - بفتح الحاء وكسرها. الحرَة: أَرض ذات حجارة سود كأَنها أُحرقت بالنار والجمع [حرار] ككلاب.

واقُم - بالواو، والقاف، والميم، وزن آطُم، من آطام المدينة، تنسب إِليه حرة واقُم.

بيضات أُدَاحي - بالدال، والحاء المهملتين جمع أُدحي بضم الهمزة، وهو الموضع الذي تبيض فيه النعامة وتفرخ.

المَفْحَص - بفتح الميم، وسكون الفاء، وفتح الحاء، وبالصاد المهملتين: اسم الموضع الذي يَحْفِرُه الطائر ليبيض فيه.

العيبة - بفتح العين المهملة، وسكون التحتية، وبالموحدة: ما تجعل فيه الثياب.

اليمامة: مدينة على يومين من الطائف، وأَربعة من مكة.

يرفل - بسكون الراء، وبالفاء: يمشي مشي المُخْتَال.

يستعديني: يطلب مني نصره.

مقنعا - بالقاف، والنون، والعين المهملة: أَي ذليلا.

الناضح: الذي يُسْقى عليه، ثم آستعمل في كل بعيرٍ

القَعْبُ - بقاف مفتوحة، فعين مهملة: قدح من خشب.

يُواهِق - بتحتية مضمومة، فواو، فهاء مكسورة، فقاف: أَي يُباري ناقة النبي - ﷺ - في السير ويماشيها.

شرح غريب حديث جابر الطويل

قوله: وادٍ أَفيح: واسع.

الإِداوة - بالكسر: المطهرة.

شاطئ الوادي: جانبه.

الغُصْن - بضم الغين المعجمة.

البعير المُخَشْوش - بالخاء والشين المعجمتين هو الذي يُجْعَل في أَنفه الخِشَاش. بكسر الخاء: وهو عود يجعل في أَنفِ البعير يشدّ به الزمام ليكون أَسرع في انقياده.

وانقاد فلان للأَمر: أَعطى القياد إِذا أَذْعن طوعا أَو كرها.

الْتَأَمَتَا عليه: انطبقتا عليه وسترتاه.

أُحْضِر - بضم الهمزة، وإِسكان الحاء، وكسر الضاد المعجمة: أَي أَعدو وأَسعى سعياً شديداً.

دانت - بالنون، وروي باللاَّم: أَي وقعت واتّفقت.

لفتة: نظرة.

حسرته - بحاء وسين مهملتين: حددته ونحيت عنه ما يمنع حِدَّته بحيث صار مما يمكن القطع به.

انذلق - بذال معجمة، أَي صار حاداً.

أَمَمْتُ الشيء: قصدته.

أَجترهما: أَجُرُّهما.

فعمّ ذاك - أدغمت النون في ما الاستفهامية، وحذفت أَلفها لدخول الجار.

يَرْفَه عنهما - بفتح التحتية، وسكون الراء، وفتح الفاء وبالهاء: تخفيف.

الأَشجاب - جمع شجب: وهو السّقاء الذي خلق وبلى، وصار سيئاً.

الحِمازة - بكسر الحاء، وتخفيف الميم والزاي: وهي أَعواد يعلق عليها أَسقيةُ الماءِ.

القطرة: الشيء اليسير.

العَزْلاَء - بفتح العين المهملة وسكون الزاي، وبالمد: وهي فم القربة الأَسفل.

شربة يابسة: أَي قليل جداً، فلقلته مع شدة يُبْس باقي الشجب يذهب ما فيه.

يغمزه: يعصره.

الجَفْنَة - بفتح الجيم: إِناء كالقصْعة؛ والجمع الجفَان بالكسر والجفنات بالتحريك.

ونادِ يا جَفْنَة الركب: أَي التي تشبعهم أَو يا صاحب جفنتهم فحذف المضَاف، أَي من كان عنده جفنة تشبعهم فليحضرها.

سِيف البحر - بكسر السين المهملة، وإِسكان التحتية: جانبه.

حَجَاج عَيْنها - بفتح الحاء المهملة، وكسرها، وبجيمين: العظم المستدير، وقال ثابت: الحجاجان؛ العظمان المشرفان على العينين، وفي المخصص: الحجاج العظم الذي عليه الحاجب.

الكِفْل - بكسر الكاف، وسكون الفاء: وهو هنا - الكساء الذي يدار حول سنام البعير ثم يركب.

شرح غريب ذكر منقبة عباد بن بشر - رضي الله عنه

يُهْرِيقُ - بضم التحتية، وفتح الهاء، وكسر الراء: يصب ويسيل.

يَكْلَؤُنا: يحفظنا ويحرُسُنا.

الشِّعْبُ - بالكسر: الطريق في الجبل.

الرَّبِيئَة - بفتح الراء المشددة، والموحدة المكسورة، وبالهمزة، والمفتوحة: طليعةُ القَوْم وَعَيْنُهُم؛ الذي يكشف لهم الخبر.

الثغر - بالثاء المثلثة، والغين المعجمة: ما يلي دار العدو.

صرار - بصاد ورائين مهملتين: اسم أُطم بالمدينة شرقيها.

الباب السادس والعشرون

في عمرة القضاء

لما دخلَ هلالُ ذِي القعدة سنة سَبْع، وهو الشهر الذي صَدَّه فيه المشركون عن البيت، وأَنزل الله تبارك وتعالى: ﴿الشَّهْرُ الحَرَامُ بِالشَّهْرِ الحَرَامِ وَالحُرُمَاتُ قِصَاص﴾ [البقرة ١٩٤] الآية. أَمر رسولُ الله - ﷺ - أَصحابه أَن يتجهزوا للعمرة، ولا يتخلف أَحدٌ ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف أَحد شهدها، إلاَّ رجالٌ آستشهدوا بخيبر، ورجال ماتوا، فقال رجال مِنْ حَاضِرِي المدينة مِنَ العرب: يا رسولَ الله، والله مالنا زاد، وما لنا أَحدٌ يُطعِمُنَا، فأَمر رسولُ الله - ﷺ المسلمين أَن ينفقوا في سبيلِ الله - تعالى، وأَن يَتصدقوا، وأَلا يكفوا أَيديهم فيهلكوا، فقالوا: يا رسول الله، بم نتصدق وأَحدنا لا يجد شيئاً؟ فقال رسولُ الله - ﷺ -: «بما كَانَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»(١).

وروى وكيع وابن عُيَيْنَة وابن سعيد، ومنصور، وعبد بن حميد، والبخاري، والبيهقي في سننه عن حُذيفة، ووكيع، وعبد بن حميد، والبيهقي عن ابن عباس - رضي الله - تعالى عنهم - وابن جرير عن عكرمة، ووكيع عن مجاهد - رحمهما الله - تعالى - قالوا في قوله تعالى: ﴿وأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ الله، ولاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَة﴾ [البقرة ١٩٥] إن التهلكة تركُ النفقة في سبيل الله، ليس التهلكةُ أَن يُقْتَل الرجلُ في سبيل الله، ولكن الإِمساك في سبيل الله، أَنفق ولو مِشْقَصاً(٢).

قال محمد بن عمر، وابن سعد(٣): وآستعمل رسولُ الله - ﷺ - على المدينة أَبَا رُهْم - بضم الراء، وسكون الهاء - الغِفَارِيّ - رضي الله عنه - وقال ابن هشام: واستعمل عُوَيْف - بالواو والفاء، تصغير عوف، ويقال فيه عويث - بتحتية فمثلثة ابن الأَضْبَطْ - بضاد معجمة، فموحدة، فطاء مهملة - رضي الله تعالى عنه - وقال البَلاذُري: آستعمل أَبَا ذَرّ. ويقال: عويف بن الأَضبط والله أَعلم.

ذكر ما ساقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الهدي وتقديمه السلاح والخيل أمامه

روى محمد بن عمر عن عبد الله بن دينارٍ - رحمه الله تعالى - قال: جعلَ رسولُ

---

(١) انظر فتح الباري ٥٧١/٧.
(٢) انظر فتح القدير ١٩٤/١.
(٣) انظر الطبقات الكبرى ٩٢/٢.

الله ـ ﷺ ـ ناجية بن جندب الأَسلمي على هَدْيه، يسيرُ به أَمامه، يطلب الرَّعي في الشجر، معه أَربعة فتيانٍ من أَسلم، زاد غيره: وأَبو هريرة[١].

وروى محمد بن عمر عن محمد بن إِبراهيم بن الحرث قال: ساق رسولُ الله ـ ﷺ ـ في القضية ستين بدنة وروى أَيضاً عن شعبة مولى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قَلَّدَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ هَدْيه بيده[٢].

ورَوَى أَيضاً عن عاصم بن عمر عن قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ قال: حمل رسولُ الله ـ ﷺ ـ السلاح، والبيض، والدروع، والرماح وقاد مائة فرس عليها محمد بن مَسْلَمَة، فلما آنتهى إِلى ذي الحُلَيْفَة قدّم الخيل أَمامه، وآستعمل على السلاح بشير بن سعد، بالموحدة والشين المعجمة، وزان أَمير، فقيل يا رسول الله: حملْت السِّلاَح وقد شرطوا أَن لا ندخلها عليهم بسلاحٍ إِلاَّ سلاح المسافر، السيوف في القُرُب! فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «إِنَّا لاَ نُدْخِله عليهم الحَرَم، ولَكِنْ يَكُونُ قريباً مِنَّا، فَإِنْ هَاجَنَا هَيجٌ مِنَ القَومِ كَانَ السِّلاَحُ مِنَّا قريباً»[٣].

فمضى بالخيل محمد بن مسلمة ـ رضي الله عنه ـ إِلى مَرّ الظهران، فوجد بها نفراً من قريش فسأَلوه فقال: هذا رسول الله ـ ﷺ ـ يُصَبِّح هذا المنزل غدا إِن شاء الله ـ تعالى ـ ورأَوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد، فخرجوا سراعاً، حتّى أَتوا قريشاً، فأَخبروهم بالذي رأوه من الخيل والسلاح، ففزعت قريش، وقالوا والله ما أَحدثنا حدثاً، وإِنَّا على كتابنا، وَمُدَّتنا، فَفِيمَ يَغْزُونا محمدٌ في أَصحابه.

قال ابنُ عقبةَ ـ رحمه الله تعالى ـ: بعث رسولُ الله ـ ﷺ ـ جعفر بن أَبي طالب بين يديه إِلى ميمونة بنت الحرث يخطبها عليه، قلت: وسيأْتي بيانُ ذلك في ترجمتها.

ذكر خروجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المدينة وإحرامه

روى محمد بن عمر ـ رحمه الله ـ تعالى ـ عن جابر ـ رضي الله ـ تعالى عنه ـ قال: أَحرم رسولُ الله ـ ﷺ ـ من باب المسجد، لأَنه سلك طريق الفُرْع، ولولا ذلك لأَهلَّ من البيداء. قالوا: وسار رسولُ الله ـ ﷺ ـ يلبي والمسلمون معه يُلَبُّون، حتّى انتهى إِلى مَرّ الظَّهْرَان، وقدم رسولُ الله ـ ﷺ ـ السلاحَ إِلى بطن يَأْجج حيث نظر إِلى أَنْصَاب الحرم، وبعثت قريش مِكْرز ـ بكسر الميم، وسكون الكاف، وكسر الراء، وبالزاي ـ بن حفص في نفرٍ من قريش حتى لقوه ببطن يأْججَ، ورسولُ الله ـ ﷺ ـ في أَصحابه، والهَدْيُ والسلاحُ قد تلاحق، فقالوا له: والله يا

(١) انظر المغازي للواقدي ٧١/٢ والبيهقي في الدلائل ٣٢٠/٤ وابن كثير في البداية ٢٣٠/٤.

(٢) المغازي ٧٣٣/٢.

(٣) المصدر السابق.

محمد ما عُرِفْتَ صغيراً ولا كبيراً - بالغَدْر، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك، وقد شَرَطْتَ لهم ألاّ تَدْخُل إلاّ بسلاح المسافر؛ السيوف في القُرُب!! فقال رسولُ الله - ﷺ - «إنّي لاَ أَدْخُلُ عَلَيْهِم بِسِلاَح.» فقال مِكْرز: هو الذي تُعْرَفُ به، البرّ والوفاء، ثم رجع مِكْرز سريعاً إلى مكة بأصحابه، فقال: إن محمداً لا يدخلُ بسلاحٍ، وهو على الشرط الذي شرط لكم[1].

روى الإمام أحمد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما نزل رسولُ الله - ﷺ - مَرَّ الظَّهْرَان في عمرته، بلغ أصحابُه أن قُريشاً تقول ما يَتَبَاعثون من العجَف، فقال أصحابه: لو آنتحَرْنَا مِنْ ظَهْرِنَا فَأَكَلْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَحَسَوْنَا مِنْ مرقه، أصبحنا غداً حين نَدْخُلُ عَلَى القَوْمِ وَبِنَا جَمامة، فقال رسول الله - ﷺ: «لاَ تَفْعَلُوا، ولكن آجمعوا إليّ من أَزْوَادِكُم»، فَجَمَعُوا له، وَبَسَطُوا الأنطاع فأكلوا حتّى تركوا، وَحَشَا كُلُّ وَاحِدٍ في جرابه[2].

ذكر دخول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - قدم رسول الله - ﷺ - مكة صبيحةَ الرابع من ذي الحجة، ولمّا جاء مِكْرزُ قُرَيْشاً بخبر رسولِ الله - ﷺ - آستنكف رجالٌ من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله - ﷺ - غيظاً وحَنقا، ونَفَاسة، وأمر رسولُ الله - ﷺ - بالهَدْي أمامه حتى حُبِس بِذِي طُوى، ودخل رسولُ الله - ﷺ - على راحلته القصواء وأصحابُه محدقون به، قد توشَّحُوا السيوفَ يُلَبُّون، فلما آنتهى رسولُ الله - ﷺ - إلى ذِي طُوىً وقف على راحلته والمسلمون حَوْله، ثم دخل من الثنية التي تطلعه على الحَجُون.

وروى البخاري تعليقاً، وعبد الرَّزاق، والترمذي، والنسائي، وابن حِبّان عن أنس - رضي الله عنه - وابن عقبة عن الزُّهْري، وابن إسحاق عن عبد اللّه بن أبي بكر بن عمرو بن حزم: أن رسولَ الله - ﷺ - دخل مكة عام القَضِيَّة على ناقته وعبد اللّه بن رواحة آخذ بزمامها، وهو يقول:

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... نَحْنُ ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ ... وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ
قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمنُ فِي تَنْزِيلِهِ ... في صُحُفٍ تُتْلَى عَلَى رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ ... إِنِّي رَأَيْتُ الحَقَّ فِي قَبُولِهِ

فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يا آبن رواحة؟؟ بين يدي رسول الله - ﷺ -

---

(١) انظر الطبقات الكبرى ٩٢/٢ والبيهقي في الدلائل ٣٢١/٤ والواقدي في المغازي ٧٣٤/٢.

(٢) أخرجه أحمد ٣٠٥/١ وذكره الهيثمي في المجمع ٢٧٨/٣ وانظر البداية ٢٣١/٤.

وفي حرم الله ـ تعالى ـ تقول الشعر؟ فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ «خَلِّ عَنْه يا عُمَر» فلهي أَسرع فيهم من نضح النبل». وفي رواية «يا عمر إني أَسمع، فاسكتْ يا عمر» فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «يا ابن رواحة قل: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَه، نَصَرَ عَبْدَه، وَأَعَزَّ جُنْدَه، وَهَزَم الأَحْزَابَ وَحْدَه». فقالها ابن رواحة فقالها الناس كما قالها[1].

ذكر طواف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ماشيا وما جاء أنه طاف راكبا

روى الإمام أَحمد، والشيخان، وابن إِسحاق عن ابن عباس ـ رضي الله ـ تعالى عنهما ـ قال: «قدم رسولُ الله ـ ﷺ ـ وأَصحابُه مكَّةَ، وقد وَهَنَتْهُم حُمَّى يَثْرِب، فقال المشركون: إِنه يقدُمُ غداً قومٌ قد وهنتهم الحُمَّى، ولقوا فيها شِدَّة، فجلسوا على قُعَيْقِعَان مما يلي الحِجْر، فأَطلع الله ـ تعالى ـ نبيَّه على ما قالوا، فلما دخل رسولُ الله ـ ﷺ ـ المسجدَ اَضطبع بردائه وأَخرج عضده الأَيمن، ثم قال: «رَحِمَ الله آمرأً أَراهم من نفسه قُوَّة». وفي رواية: «أَروهم مَا يَكْرَهُون» وأَمرهم أَن يَرْمِلُوا ثَلاَثَةَ أَشواط، ويمشوا بين الرُّكنين، ليرى المشركون جَلَدَهُم، ثم آستلَمَ الركن، وخرج يُهرولُ وأَصحابُه معه، حَتَّى إِذَا وَارَاه البيتُ منهم، وآسْتَلَم الرُّكْنَ اليماني مشى حتى استلم الركن الأَسود ثم هرول كذلك ثلاثة أَشواط ومشى سَائِرَهَا. قال ابن عباس: ولم يأْمرهم أَن يَرْمِلُوا الأَشْوَاطَ كلها للإِبْقَاء عَلَيْهِم، فقال المشركون: «هَؤُلاَءِ الذين زعمتم أَن الحُمَّى قَدْ وهنتهم؟ هؤلاء أَجلد من كذا وكذا، ما يرضون بالمشي، أَما إِنهم لينقزون نقز الظُّبي» وكان رسولُ الله ـ ﷺ ـ يكايدهم كلّما آستطاع[2].

قال محمد بن عمر، وابن سعد وغيرهم: ولم يزل رسولُ الله ـ ﷺ ـ يُلَبِّي حَتَّى آستلم الركنَ بمحجنه.

وروى الحُمَيْديُّ والبخاري[3]، والإِسْمعيلي عن عبد اللّه بن أَبي أَوْفَى ـ رضي الله عنه ـ قال: لما اعتمر رسولُ الله ـ ﷺ ـ سترناه من غلمان المشركين، وفي رواية مِنَ السُّفَهَاء والصبيان مَخَافَةَ أَن يؤذوا رسولَ الله ـ ﷺ ـ وروى يُونُس ابنُ بكير ـ رحمه الله تعالى ـ عن زيد بن أَسلم ـ رحمهما الله تعالى ـ أَنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ دَخَلَ عَامَ القضية مكَّةَ، فطاف على

---

(١) أخرجه البخاري معلقا ٥٧٠/٧ وانظر كلام الحافظ ابن حجر ٥٧٢/٧ وانظر مغازي الواقدي ٧٣٦/٢ والبيهقي في الدلائل ٣٢٣/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٥٨١/٧ (٤٢٥٦) ومسلم ٩٢٣/٢ (٢٤٠/١٢٦٦)، وأحمد ٣٧٣/١ وأبو داود (١٨٨٥) والطحاوي في المعاني ١٧٩/٢ والطبراني في الكبير ٣٨٦/١١، وأنظر البداية ٢٢٧/٤ والبيهقي في الدلائل ٣٢٦/٤ والتمهيد لابن عبد البر ٧١/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٥٨١/٧ (٤٢٥٥)، والبيهقي في الدلائل ٣٢٨/٤.

نَاقَتِهِ، واستلم الركن بمحجنه. قال هشام، وابن سعد: مِنْ غير ـ عِلَّةٍ ـ والمسلمون يشتدُّون حَوْلَ رسول الله ـ ﷺ ـ وابن رواحة يقول الرجز السابق: وذكر محمد بن عمر، وابن سعد: أَنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ طاف رَاكِباً، وتبعهما القطبُ في المورد.

ذكر دخوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ البيت

روى البيهقي من طريق محمد بن عمر عن سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ قال: لما قضى رسولُ الله ـ ﷺ ـ طوافه في عمرة القضاء دَخَلَ البيتَ، فلم يزل فيه حتَّى أَذَّن بلال بالصبح، فوق ظهر الكعبة، وكان رسولُ الله ـ ﷺ ـ أمره بذلك، فقال عكرمةُ بنُ أَبي جَهْل ـ وأَسلم بعد ذلك ـ لقد أَكرم الله ـ تعالى ـ أَبا الحكم، حيث لم يسمع هذا العبد يقولُ ما يقول.

وقال صفوانُ بن أُمية ـ وأَسلم بعد ذلك ـ الحمدُ لله الَّذي أَذهب أَبي قبل أَن يرى هذا.

وقال خالد بن أَسِيد ـ كأَمير ـ وأَسلم بعد ذلك: الحمدُ لله الَّذي أَمات أَبي ولم يشهدْ هذا اليوم حين يقومُ بلال ابن أُم بلال ينهق فوق الكعبة

وأَمَّا سُهيل بن عمرو ـ وأَسلم بعد ذلك ـ ورجالٌ معه لما سمعوا ذلك غطوا وجوههم، كذا في هذه الرِّواية: أَنَّ النَّبي ﷺ ـ دخل البيتَ.

وروى البخاريُّ عن إِسماعيل بن أَبي خالد ـ رحمه الله تعالى ـ أَنَّ رجلاً سأَل ابن أَبي أَوْفَى ـ رضي الله عنه ـ كان رسولُ الله ـ ﷺ ـ دخل في القضيَّة الكعبة؟ قال: لا[1].

وقال محمد بن عمر بعد أَن رَوَى ما سبق عن ابن عباس: حدثني إِبراهيم بن إِسماعيل عن داود بن الحُصَيْن قال: لم يَدْخُلْ رسولُ الله ـ ﷺ ـ الكعبةَ في القضيَّة. وقد أَرسل إِليهم، فأَبوا وقالوا: لم يكن في شرطك.

ذكر سعيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين الصفا والمروة

روى محمد بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أَن رسولَ الله ـ ﷺ ـ طاف بين الصَّفَا والمروة على راحلته، فلما كان الطَّوَافُ السَّابع عند المَرْوَة عند فراغه ـ وقد وقف الهَدْي عند المَرْوَة ـ قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ «هذا المنحر وكل فِجَاج مكة مَنْحَر، فَنَحَرَ عِنْدَ المَرْوَة»[2].

قال محمد بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ وقد كان اعتمر مع رسول الله ـ ﷺ ـ قومٌ لم

---

(١) أَخرجه البيهقي في الدلائل ٣٢٨/٤ والواقدي في المغازي ٧٣٧/٢.

(٢) أَخرجه ابن سعد ٨٨/١/٢ والموطأ (٣٩٣) وأحمد (٧٦/١) والترمذي (٨٨٥)، وابن خزيمة (٢٨٨٩).

يشهدوا الحُدَيْبية فلم يَنحروا، فأمَّا من شهدها وخرج في القَضِيَّةِ فإنهم آشتركوا في الهَدْي. وأمر رسول الله ـ ﷺ ـ مائتين من أصحابه حين طافوا بالبيت وسعوا أن يذهبوا إلى أصحابه ببطن يَأْجَج فيقيمون على السّلاَح، ويأتي الآخرون فيقضوا نُسُكَهُم ففعلوا.

ذكر خروجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة

روى محمد بن عمر عن عمر بن علي بن أبي طالب ـ رحمه الله تعالى ـ قال: لما كان عند الظهر يوم الرابع أتى سهيل بن عمرو، وحُوَيْطب بن عبد العُزَّى ـ وأسلما بعد ذلك قال ابن إسحاق: وكانت قريش قَدْ وَكَّلَتْ حُوَيْطب بإخراج رسول الله ـ ﷺ ـ فأتياه وهو في مجلس من الأنصار يتحدث مع سعد بن عُبَادة، فَقَالاَ: قد آنْقَضَى أجلك، فآخرج عَنَّا، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «وما عليكم لَوْ تركتموني فَأَعْرَسْت بين أظهركم فَصَنَعْت طعاماً؟!» فقالا: لاَ حاجة لنَا في طَعَامِك اخرج عنَّا، نَنْشُدُكَ الله يا محمد، والعقد الذي بيننا وبينك إلاَّ خَرَجْتَ مِنْ أرضنا، فهذه الثلاثة قد مضت(١).

وكان رسولُ الله ـ ﷺ ـ لم ينزل بَيْتَا، إِنَّمَا ضُرِبَتْ له قُبَّة من أدمٍ بالأبطح، فكان هناك حَتَّى خرج مِنْهَا، ولم يدخل تحت سقف بيت مِنْ بُيُوتها، فَغَضِبَ سعد بن عُبَادة ـ رضي الله عنه ـ لِما رأى من غَلظة كلامهم للنبي ـ ﷺ ـ فقال لِسُهيْل بن عمرو: كذبت لا أُمَّ لك ليست بأرضك ولا أرض أبيك، والله لا يخرج منها إلاَّ طائعاً راضياً، فتبسّم رسولُ الله ـ ﷺ ـ وقال يا سعد: لا تؤذ قوماً زارونا في رحالنا، وأسْكِت الرجلان عن سعد.

وفي الصحيح عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ أن الأَجل لما مضى أتى المشركون عليًّا ـ رضي الله عنه ـ فقالوا: قل لصاحبك: اخرج عَنَّا فقد مضى الأجل، فذكر ذلك علي ـ رضي الله عنه ـ لرسول الله ـ ﷺ ـ فأمر رسول الله ـ ﷺ ـ أبا رافع ـ بالرحيل، وقال: لا يُمْسِيَن بها أحَدٌ من المسلمين» وَرَكِبَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ حتى نزل بسرفٍ، وتَتَامَّ الناسُ، وخَلَّفَ رسول الله ـ ﷺ ـ أبا رافع ليحمل إليه زَوْجَته مَيْمُونَة حين يُمْسِي، فأقام أبو رَافع حتَّى أمْسَى، فخرج بمَيْمُونَة وَمَن معها، وَلَقِيَتْ مِنْ سفهاءِ مكة عناء، وسيأتي الكلام على دخول رسول الله ـ ﷺ ـ بها في ترجمتها.

ذكر خروج ابنة حمزة ـ رضي الله عنها

روى الشيخان عن البراء بن عازب، والإمام أحمد عن علي، ومحمد بن عمر عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهم ـ قال ابن عباس: إن عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب، وقيل آسمها

(١) أخرجه البيهقي ٣٣٠/٤ وانظر السيرة لابن هشام ٣٢١/٣.

أُمامَة قال الحافظ: وهو المشهور وأُمها سَلْمَى بنت عُمَيْس، كانت بمكَّة، فلما قَدِمَ رسولُ الله - ﷺ - مكة كلَّم علي بنُ أَبي طالب - رسولَ الله - ﷺ - فقال: عَلاَمَ نترك ٱبنة عَمِّنَا يتيمةً بين ظهراني المشركين؟، فلم ينهه رسولُ الله - ﷺ - فَخَرَجَ بِهَا.

وقال البراء: إِنَّ رسولَ الله - ﷺ - لما خرج تبعته ٱبنةُ حمزة تُنَادي يَا عَمِّي يَا عَمِّي، فتناولها عليٌّ فأَخذ بيدها. وقال لفاطمة - رضي الله عنها -: دونك ٱبنة عمك، فٱختصم فيها. زيد وعلي وجعفر، أَي بعد أَن قَدِمُوا المدينة كما سيأتي.

وكان زيد وصيُّ حمزة، وكان رسولُ الله - ﷺ - قد واخى بينهما حين واخى بين المهاجرين. فقال علي: أَنا أَحق بها، وهي ٱبنة عَمِّي، وأَنا أَخرجتها مِنْ بين أَظهر المشركين، وقال جعفر: بنت عَمِّي وخالتها أَسماء بنت عُميس تحتي. وقال زيد: بنت أَخي. فقضى فيها رسولُ الله - ﷺ - لخالتها، وقال: «الخَالَةُ بِمَنْزِلَة الأُم» وقال لعلي: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ». وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنه - «وَأَمَّا أَنت يا عَليّ فأَخي وَصَاحِبِي» وقال لجعفر: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وخُلقي». وقال لزيد: «أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلاَنَا». وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنه - «أَنْتَ مَوْلَى الله وَرَسُولِه»(١).

قال محمد بن عمر: فلمَّا قَضَى بها رسولُ الله - ﷺ - لجعفر قام جعفر فَحَجل حولَ رسولِ الله - ﷺ - فقال رسولُ الله - ﷺ -: «ما هذا يَا جَعْفر»؟ قَالَ: يا رسولَ الله، كان النجاشي إِذَا أَرضى أَحداً قام فحجل.

قال ابن إِسحاق - رحمه الله تعالى - ثم ٱنصرَف رسولُ الله - ﷺ - في ذي الحجة.

وكان عِدَّةُ المسلمين سوى النِّساء والصِّبْيَان أَلفين.

قال ابن هشام - رحمه الله - تعالى - : فأَنزل الله - تعالى - فيما حدَّثني أَبو عبيدة: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاء الله آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رووسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ [الفتح ٢٧] يعني خيبر.

تنبيهات

الأول: يقال لهذه العمرة عمرةُ القِصَاص. قال السُّهَيْلي - رحمه الله - تعالى - وهذا الاسم أَولى بها لقوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الحَرَامُ بالشَّهْرِ الحَرَامِ وَالحُرُمَاتُ قِصَاص﴾ [البقرة

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٠/٧ (٤٢٥١) ومسلم ١٤٠٩/٣ (١٧٨٣/٩٠)، وأبو داود (٢٢٨٠) والترمذي ٣٣٨/٤ والبيهقي في السنن الكبرى ٦/٨ والدلائل ٣٣٨/٤.

١٩٤] ورواه عبد بن حُميد بسندٍ صحيحٍ عن مجاهد، وبه جزم سُليمان التيمي في مغازيه وهذه الآية نزلت فيها كما تقدم.

ويقال لها: عمرةُ القَضَاء، وآختلف في تسميتها بذلك، فقال السُّهيلي: لأَنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قاضى قُرَيْشاً عليها. لأَنه قَضَى العُمْرَةَ الَّتِي صُدَّ عن البيت فيها؛ فإنها لم تكن فسدت بِصَدِّهم له عن البيت، بل كانت عمرة تَامَّةً متقبلة، حَتَّى إِنهم حين حَلَقُوا شُعُورَهم بالحِلِّ آحتملتها الريح فألقتها بالحرم، فهي مَعْدُودَةٌ في عُمَرِ النبي ـ ﷺ ـ زاد القاضي: فالمراد بالقضاء الفصل الذي وقع عليه الصُّلح، ولذلك يقال لها عُمْرَةُ القضية.

قال أَهل اللُّغة: قَاضَى فُلاَنٌ فُلاَناً: عاهده، وقاضاه: عاوضه، فيحتمل تسميتها بالأَمرين، ويرجح الثاني تسميتها قِصَاصاً.

وقال آخرون: بل كانت قَضَاء عن العمرة الأُولى، وَعَدَّ عمرةِ الحديبية في العمر لثبوتِ الأَجرِ فيها لاَ لأَنَّهَا كَمُلَت، وهذا خلافٌ مَبْنِيٌّ على الاختلاف في وُجُوبِ القضاء على من آعتمر فَصُدَّ عن البيت. فقال الجمهور: يجب عليه الهَدْي، ولا قَضَاء عليه.

وعن الإِمام أَبي حنيفة ـ رحمه الله ـ تعالى ـ عكسه، وعن الإِمام أَحمد رواية: أَنه لا يلزمه هدي ولا قضاء وأُخرى أَنه يلزمه الهَدْي والقضاء، وبيان حجج كُلٍّ ليس مِنْ غَرَضِنَا.

وقال ابن إِسحاق: تُسَمَّى أَيضاً عمرةُ الصُّلح اهـ.

فتحصَّل من أَسمائها أَربعة: القَضَاء، والقَضِيَّةُ، والقِصَاصُ والصُّلح.

الثاني: وجهوا كون هذه العمرة غزوة بأَن موسى بن عقبة ذكر في المغازي عن ابن شهاب أَنه ـ ﷺ ـ خرج مُسْتَعِدّاً بالسِّلاَح والمُقَاتَلةِ خَشْيَةَ أَن يقع من قريش غَدْر، ولا يلزم من إِطلاق الغَزْوةِ وقوع المُقَاتَلَة.

وقال ابن الأَثير ـ رحمه الله تعالى ـ في الجامع: هذه العُمْرَة ليست من الغزوات، وذكرها البخاري في الغزوات حيث تَضَمنتْ ذكر المصالحة مع المشركين.

الثالث: قال ابن هشام ـ رحمه الله تعالى ـ قوله: «نحن قتلناكم على تأْويله» إِلى آخر الأَبيات لِعَمَّار بن ياسر في غير هذا اليوم، قال السُّهَيْلي: يعني يوم صفِّين. قال ابن هِشام: والدليل على ذلك أَنَّ ابن رَوَاحَة إِنما أَراد المشركين، والمشركون لم يُقِرُّوا بالتنزيل، وإِنَّمَا يقاتَلُ على التأويل من أَقَرَّ بالتنزيل. قال في البداية: وفيما قاله ابن هشام نظر، فإِن البَيْهَقِيّ رَوَى من غَيْرِ وَجْهٍ عن عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزُّهرِي عن أَنس قال: لما دَخَلَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ مكة في عُمْرَة القَضَاء مَشَى عبد اللّه بن رواحة بين يديه وفي رواية وهو آخذ بغرزه وهو يقول

الأَبيات السابقة. ورواه عن يزيد بن أَسلم ـ كما سبق ـ وقد تابع ابن إِسحاق على ذلك ابن عُقْبَةَ وغيره، وقال الحافظ ـ رحمه الله تعالى ـ إِذا ثبتت الرِّوَايَة فَلاَ مانع من إِطلاق ذلك، فإِنَّ التقدير على رأْي ابن هشام: نَحْنُ ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَأْويله أَي حتى تذعنوا إِلى ذلك التأْويل، ويجوز أَن يكون التقدير: نحن ضربناكم على تأْويل ما فهمنا منه حتى تدخلوا فيما دخلنا فيه، وإِذا كان ذلك محتملاً، وثبتت الرِّوايةُ سقط الاعتراض. نعم الروايةُ التي جاء فيها.

«فَاليَوْمَ نَضْرِبكم عَلَى تأْويله» يظهر أَنه قول عمار، ويبعد أَن يكون مِنْ قول ابن رواحة، لأَنه لم يقع في عُمْرَةِ القضاء ضَرْبٌ ولا قِتَال، وصَحِيْحُ الرِّوَايَةِ.

«نَحْنُ ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ. كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ.

يُشِير بِكُلٍ منهما إِلى ما مضى، ولا مانع من أَن يتمثل عَمَّارُ بنُ ياسر بهذا الرجز ويقول: هذه اللفظة، ومعنى قوله: «نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَأْويله» أَي الآن، وجاز تسكين الباء لِضَرُورَةِ الشِّعْرِ، بل هي لغة قُرِئَ بها في المشهور.

الرابع: قال الحافظ أَبو عيسى التِّرْمذي ـ رحمه الله ـ تعالى ـ بعد أَن ذكر رجز ابن رَوَاحة، ثم قال: وفي غير هذا الحديث أَن هذه القِصّة لكعبِ بنْ مَالك، وهو الأَصح، لأَن عبد اللّه بن رواحة قُتِلَ بمؤته، وكانت عمرة القَضَاء بعد ذلك، قال الحافظ ـ رحمه الله ـ وهو ذهول شديد، وغَلَطٌ مردود، وَمَا أَدْرِي كيف وقع الترمذي في ذلك، ومع أَنَّ في قِصَّةِ عُمْرَةِ القَضَاء آختصام جعفر وأَخيه عليّ، وزيد بن حارثة في بنْتِ حمزة، أَي كما سبق وجعفر قُتِلَ هُوَ وَزَيْد وابن رواحة في موطن واحد، فكيف يَخْفَى على التِّرْمذي مثل هذا. ثم وجدت عند بعضهم أَن الَّذي عند التِّرمِذي من حديث أَنس: أَنَّ ذلك كانت في فتح مكة. فإِن كان كذلك آتجه آعتراض التِّرمذي، لكن الموجود بخطِّ الكروخي راوي الترمذي على ما تقدم. قلت: وكذلك رأَيته في عِدَّةِ نسخ من جامع الترمذي.

الخامس: مجيءُ سُهيل، وحُوَيْطِب يَطْلُبانِ رَحِيلَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ نصف النهار، الظاهر أَنه ـ ﷺ ـ دخل في أَوائل النهار، فلم تكمل الثلاث إِلا في مثل ذلك الوقت من النَّهار الرابع الذي دخل فيه بالتلفيق، وكان مجيئهم في أَول النهار قريب مجيء ذلك الوقت.

السادس: «قول آبنة حمزة يا عم كأَنها خاطبت النبيَّ ـ ﷺ ـ بذلك إِجلالا، وإِلاَّ فهو ابن عمها، أَو بالنسبة إِلى كون حمزة ـ وإِن كان عمه من النسب ـ فهو أَخوه من الرَّضَاعَة.

وكانت خُصُومَةُ عَليٍّ وجعفر، وزيد في آبنة حمزة بعد أَن قَدِمُوا المدينة، كما صح ذلك من حديث عَليٍّ عند أَحمدِ، والحاكم.

السابع: أَقر النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ عَلِيًّا على أَخذها من مكة مع آشتراط المشركين أَلاَّ يخرج

بأَحدٍ من أَهلها أَراد الخُرُوجَ؛ لأَنهم لم يَطْلُبُوهَا، وأَيضاً فإنَّ النِّساء المؤمناتِ لم يَدْخُلْنَ في ذلك، لكن إنَّمَا نزل القرآن بعد رُجُوعهم إلى المدينة.

الثامن: في بيان غريب ما سبق:

التَّهْلُكَةُ: الهلاك، وهو من نوادر المصادر.

المِشقَص ـ بكسر الميم، وسكون الشين المعجمة، وفتح القاف؛ سهم فيه نصل عريض، والجمع مشاقص.

تقليدُ الهَدْي: أَي تُعلَّق بعنق البعير قطعةٌ من جلدٍ لِيُعْلَمَ أَنَّه هَدْي فيكفَّ النَّاسُ عنه.

ذو الحُلَيْفَة ـ بضم الحاء المهملة تصغير الحَلَقَة بفتحات، واحد الحَلْفَاء؛ وهو النبات المعروف.

هَاجَه: حركه؛ الهَيَجُ ـ بفتح الهاء، والتحتية، وبالجيم: الحرب.

مَرّ الظَّهران: تقدم الكلام عليه غير مَرَّة.

شرح غريب ذكر خروجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المدينة

قوله الفُرُع ـ بضم الفاء، والراء، وبالعين المهملة: عمل واسع من أَعمال المدينة.

البيداء: في الأَصل المفازة، وهنا الشرف الذي قُدَّام ذي الحليفة إلى جهة مكة.

يَأْجَج ـ بتحتية، فهمزة ساكنة، فجيمين؛ الأُولى مفتوحة ـ وقد تكسر: واد قريب من مكة.

أَنْصَاب الحرم: الأَعلام على حدوده.

العَجَف، وزان التَّعَب: الضعف.

حَسَوْنا ـ بحاء فسين مهملتين مفتوحتين، فواو ساكنة، فنون: شربنا.

الحَنَقُ ـ بفتح الحاء المهملة، والنون وبالقاف: الغيظ.

النفاسة ـ يقال نَفِسَ الشيء بالكسر نفاسةً: حسده عليه ولم يره أَهْلاً له.

ذي طوًى ـ بتثليث الطاء: وادٍ بقرب مكة، يصرف ولا يصرف.

القصواء: كحمراء.

محدقين: محيطين.

توشح السيف: أَلقى طرف علاقته على منكبه الأَيمن من تحت يده اليسرى، ويأْخذ طرفه الذي أَلقاه على منكبه الأَيسر من تحت يده. اليمنى، ثم يعقدهما على صدره.

الثنِيّة: كل عقبة مَسْلُوكَة.

الحَجُون ـ بفتح الحاء المهملة، وضم الجيم، وبالواو، والنون: جبل بمكة.

الهَامُ؛ جمع هامة، وهي الرأْس.

وَهَنَتْهُم الحُمَّى: أَضعفتهم.

اضطبع بثوبه: جعل وسط الثوب تحت الإِبط اليُمنى، وطرفه على الكتف اليسرى.

العضد ـ بفتح العين المهملة، وضم الضاد المعجمة وتسكن، وبفتح العين، وكسر الضاد، وبضمهما، وبضم العين وسكون الضاد: خمس لغات، وهي مؤنثة عند أَهل تهامة، وتُذَكَّر عند بني تميم: وهي ما بين المِرْفَق والكَتِف.

رَمِلَ في طوافه ـ بالراء: هرول.

الأَشواط ـ بالشين المعجمة جمع شوط: وهو الجري إِلى الغاية، وهي هنا من الحجر إِلى الحجر.

جلدهم ـ بفتح الجيم واللام: قُوَّتهم وصبرهم.

وَارَاه: ستره.

أَبقى عليه: رفق به وأَشفق عليه.

قُعَيْقِعَان ـ بقافين، الأُولى مضمومة، بعد كل منهما عين مهملة وبعد الأُولى تحتية: جبل بمكة.

نقز ـ بالقاف والزاي: وثب.

الظِّبَى ـ جمع ظبي: حيوان معروف.

المِحْجَنُ ـ بكسر الميم، وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم: عصا مقنعة الرأْس يلتقط بها الراكب ما سقط منه.

يشتدون: يعدون.

المروة: جبل معروف بمكة.

الفِجَاجُ ـ بكسر الفاء جمع فج، وبالفتح: هو الطريق الواسع.

نَنْشُدُكَ الله: نذكرك به ونستعطِفُك، أَو نسأَلك به، مُقْسِمين عليك.

الأَبطح: كل مسيل فيه دقاقُ الحصى، والمراد هنا مكان معروفٌ بمكة.

سَرِف ـ بفتح السين المهملة وكسر الرَّاء، وبالفاء: ما بين التَّنْعِيم وَبَطْنِ مَرْو، وهو إِلى التنعيم أَقرب.

حَجَلَ ـ بحاء مهملة، فجيم، فلام مفتوحات: رفع رِجلاً وقفز على الأُخرى من الفرح، وقد يكون بالرِّجْلَيْن، إِلاَّ انه قفز، وقيل الحَجَلُ: المشي المقيد.

الباب السابع والعشرون

فِي غَزْوَةِ الفَتْحِ الأَعْظَمِ الَّذِي أَعَزَّ الله تَعَالَى بِهِ دِينَهُ وَرَسُولَهُ وَجُنْدَهُ وَحَرَمَهُ الأَمِينَ

وهو الفتح الذي استبشر به أَهل السماء، وضربت أَطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس في دين الله أَفواجا، وأَشرق به وَجْهُ الأَرض ضياء وآبتهاجاً، وكان في شهر رَمَضَان سنةَ ثمانٍ. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - غزا رسول الله - ﷺ - غزوة الفتح في رمضان.

قال الزُّهري: وسمعتُ سعيدَ بن المسيّب يقول مثل ذلك، رواه البخاري(١).

ذكر الأسباب الموجبة للمسير إلى مكة

كانت خُزَاعةُ في الجاهلية أَصابوا رجلاً من بني الحَضْرَمِيّ واسمه مَالِك بن عَبَّاد، وحِلْفُ الحَضْرَمِيّ يومئذٍ إلى الأَسود بن رَزْن، خرج تاجراً، فلمَّا توسَّط أَرض خُزَاعَةَ عَدَوْا عليه فقتلوه وأَخذوا ماله فَمَرَّ رَجُلٌ من خُزَاعة على بني الدِّيل بعد ذلك فقتلوه، فوقعت الحربُ بينهم، فمرّ بنو الأَسود بن رَزْن. وهم ذُؤيب، وسُلمى، وكُلثُوم على خُزَاعَة فقتلوهم بعرفة عند أَنْصَاب الحرم، وكان قومُ الأَسْود مَنْخَر بني كنانة يُودونَ في الجاهلية دِيَتَيْنِ لفضلهم في بني بكر، ونُودَى دية، فبينا بنو بَكْرٍ وخُزَاعة على ذلك بُعِثَ رسولُ الله - ﷺ فَحُجز بالإسلام بينهم، وتشاغل الناسُ به - وهم على ما هم عليه من العداوة في أَنفسهم - فلمَّا كان صُلْحُ الحُدَيْبِيَة بين رسولِ الله - ﷺ - وبين قريش، ووقع الشَّرْطُ «ومن أَحَبَّ أَن يدخُل في عقْدِ رسول الله - ﷺ - فليدخل، ومن أَرادَ أَن يدخل في عقْدِ قريش فليدخُل» فَدَخَلَتْ خُزَاعَةُ في عقْدِ رسول - ﷺ - وكانت خُزَاعَةُ حلفاء عبد المطلب بن هاشم، وكان رسولُ الله - ﷺ - بذلك عارِفاً، ولقد جاءته خُزَاعَةُ يومئذٍ بكتابِ عبد المطلب فقرأَه عليه أُبَيُّ بنُ كعب - رضي الله عنه - وهو: «باسْمِكَ اللَّهُمَّ، هَذَا حِلْفُ عَبْدِ المطَّلبِ بنِ هَاشِمٍ لخزاعة، إذ قَدِمَ عليه سَرَوَاتُهم وأَهْلُ الرأْي، غائبهم مُقِرٌّ بما قَاضَى عليه شَاهِدُهُم، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم عهودَ الله وعقودَه، وَمَالاَ يُنْسَى أَبداً، اليَدُ وَاحِدة، والنصرُ وَاحِد ما أَشرف ثبير، وثبت حراء مكانه وما بلَّ بحرٌ صوفة ولا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجدداً أَبد الدهر سرمدا». فَقَالَ رسولُ الله - ﷺ -: «مَا أَعْرفَنِي بِخُلُقِكُم وَأَنْتُم عَلَى مَا أَسْلَمْتُمْ عَلَيْه مِنَ الحِلْفِ! فكُلُّ حِلْفٍ كَانَ في الجَاهِلِيَّةِ فلا يزيده الإسلام إلاَّ شِدة وَلاَ حِلْفَ في الإِسْلاَمِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري ٥٩٥/٧ (٤٢٧٥).

(٢) انظر فتح الباري ٥٩٢/٧.

ذكر نقض قريش العهد

لما دَخَل شعبان على رأس آثنين وعشرين شهراً من صُلْحِ الحديبية، كلمت بنو نُفَاثة وبنو بكر أَشرافَ قريش أَن يُعِينُوهم بالرِّجَال والسّلاح على عَدُوِّهم من خُزَاعة، وَذَكَّروهم القتلى الذين أَصابت خُزَاعَةُ منهم، وأَرادُوا أَن يُصيبُوا منهم ثأر أولئك النَّفَرِ الذين أَصابوا منهم في بني الأَسود بن رَزْن، وناشدوهم بأَرْحامهم، وأَخبروهم بدخولهم في عقْدِهِم وعدم الإسلام، ودخول خُزَاعَةَ في عِقْدِ محمد وَعهده، فوجَدُوا القوْمَ إلى ذلك سِرَاعاً، إلا أَن أَبَا سُفْيَانَ بنَ حربٍ لم يُشاوَر في ذلك ولم يَعْلم، ويُقَالُ إنهم ذاكروه فأَبى ذلك، فأَعانوا بالسّلاح والكُرَاع والرِّجَال، ودسُّوا ذلك سِراً لئلاً تحذر خزاعة، وخزاعة آمنون غارون لحال المُوادَعة، وَلِمَا حجز الإِسلام بينهم.

ثم اتَّعَدَت قريش وبنو بكرٍ وبنو نُفَاثة الوَتير، وهو موضع أَسفل مكة، وهو منازل خُزَاعَة فوافوا للميعاد فيهم رجال من قريش من كبارهم متنكرون منتقبون؛ صفوان بن أُمية، وعكرمة بن أَبي جهل، وحُوَيْطب بن عبد العزى، وشيبة بن عثمان ـ وأَسلموا بعد ذلك ـ ومكرز بن حفص، وأَجلبوا معهم أَرقاءهم، ورأْس بني بكرٍ نوفل بن معاوية الدّئلي ـ وأَسلم بعد ذلك ـ فبيَّتُوا خُزَاعَةَ ليلاً وهم غَارُّون آمنون ـ وعامَّتهُم صِبْيَانٌ ونساء وضُعَفاء الرِّجال، فلم يزالوا يقتلونهم حتى آنتهوا إلى أَنْصَابِ الحَرَم، فقال أَصحاب نَوْفَل بن معاوية له: يا نوفل إلهك إلهك قَدْ دخلْتَ الحرم! فقال: كلمةٌ عظيمة، لا إله لي اليوم، يا بني بكر، لعمري إنكم لَتَسْرِقُون الحاج في الحرم، أَفلا تدركون ثأْركم من عدوكم، ولا يتأَخر أَحدٌ منكم بعد يومه عن ثأْره؟! فلمَّا آنتهت خُزَاعَةَ إلى الحرم دخلت دارَ بديل بن ورقاء، وَدَارَ مولى لهم يقال له رافع ـ الخُزَاعِيين، وآنتهوا بهم في عِمَايَةِ الصُّبْح، ودخلت رؤساء قريش منازلَهُم وهم يظُنُّون أَنهم لا يعرفُون، وأَنه لا يَبْلُغُ هذا رسول الله ـ ﷺ ـ وأَصبحتْ خُزَاعَةُ مُقَتَّلِين على باب بديل ورافع.

وقال سهيل بن عمرو لنوفل بن الحرث: قَدْ رأَيت الَّذي صنعنا بك وبأَصحابك وَمَنْ قتلت من القوم، وأَنت قد حصدتهم تريد قتل مَنْ بقي، وهذا ما لا نُطَاوعك عليه، فاتركهم فتركهم، فخرجوا وندمت قريش، ونَدِمُوا على ما صَنَعُوا، وعرفُوا أَنَّ هذا الذي صنعوه نقضٌ للذِّمة والعهد الذي بينهم وبَيْنَ رسول الله ـ ﷺ ـ وجاء الحارثُ بنُ هِشَام، وعبد الله بن أَبي ربيعة إلى صَفْوان بن أُمية، وإلى سُهيل بن عمرو وعكرمة بن أَبي جهل فَلاَمُوهم بما صنعوا من عَوْنِهم بني بكر على خُزَاعَة ـ وقالوا: إنَّ بينكم وبين محمد مُدَّةً وهذا نقض لها.

ذكر إعلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما حصل لخزاعة يوم أصيبوا

روى محمد بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ أَن رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال لعائشة صبيحة كانت وقعة بني نُفَاثَة وخُزَاعة بالوَتِير: «يَا عَائِشَة: لَقَدْ حَدَثَ في خُزَاعَةَ أَمْرٌ» فقالت عائِشَة: يَا

رسول الله، أَتُرى قريشاً تجترئ على نَقْض العهد الذي بَيْنَك وبينهم، وقد أَفناهم السيف؟ فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «ينْقُضُونَ العَهْدَ لأَمرٍ يُرِيدُه الله تَعَالَى» فقالت: يا رسول الله «خير» قال: «خير»(١)

وروى الطَّبَرَانِيُّ في الكبير والصغير عن مَيْمُونَة بنت الحارث ـ رضي الله عنهما ـ أَن رسولَ الله ـ ﷺ ـ بات عندها ليلةً، فقام ليتوضأ إِلى الصَّلاة، فسمعته يقول في مُتَوَضَّئِه: «لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ـ ثلاثاً ـ نُصِرْتُ نُصِرْتُ نُصِرْتُ ـ ثلاثاً ـ» فلما خرج، قلتُ: يا رسولَ الله، سمعتُك تَقُول في متوضئك «لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ـ ثلاثا ـ نُصِرْتُ نُصِرْتُ» ثلاثا، كأَنك تكلِّمُ إِنساناً، فهل كان معكَ أَحد؟ قال: «هَذَا رَاجِزُ بَنِي كَعْب يَسْتَصْرِخُنِي، وَيَزْعُمُ أَنَّ قُرَيشاً أَعَانَتْ عَلَيْهِمْ بَكْرَ بْنَ وائِلٍ» قالت ميمونة: فأَقمنا ثلاثا ثم صلّى رسولُ الله ـ ﷺ ـ الصبح بالناس(٢) فسمعتُ الرَّاجز ينشد:

يَـارَبِّ إِنِّـي نَـاشِـدٌ مُـحَـمَّـدَا حِـلْـفَ أَبِـينَا وَأَبِـيـهِ الأَتْـلَـدَا

فذكرت الرجز الآتي.

ذكر قدوم عمرو بن سالم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخبره بما وقع لهم

روى الطَّبَرَانيُّ في الكبير والصَّغير عن ميمونة بنت الحارث،(٣) والبَزَّارُ بسندٍ جيِّدٍ عن أَبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وابنُ أَبي شَيْبَةَ في المصنف عن عكرمة، والبيهقيُّ عن ابن إِسحاق، ومحمدُ بن عمر عن شيوخه: أَن عَمْرو بْنَ سالم الخُزَاعِي خرج في أَربعين راكباً من خُزَاعَةَ يستنصرون رسولَ الله ـ ﷺ ـ ويخبرونه بالذي أَصابهم، وَمَا ظاهرت عليهم قريشٌ ومعاونتهم لهم بالرجال، والسِّلاَح، والكُرَاع، وحُضُورِ صفوان بن أُمية وعكرمة، وَمَنْ حَضَرَ مِنْ قُرَيْش، وَأَخْبَرُوه بالخبر ورسولُ الله ـ ﷺ ـ جالس في المسجد بين أَظْهُرِ الناس، ورأْس خزاعة عَمْرُو ابنُ سالم، فلما فرغوا من قِصَّتِهِم، قام عمرو بن سالم فقال:

يـا رَبِّ إِنِّـي نَـاشِـدٌ مُـحَـمَّـدَا حِـلْـفَ أَبِـينَا وَأَبِـيـهِ الأَتْـلَـدَا
قَـدْ كُـنْـتُـمْ وُلْـداً وَكُـنَّـا وَالِـدَا ثُـمَّـتَ أَسْـلَـمْـنَا فَـلَـمْ نَـنْـزِعْ يَـدَا

(١) المغازي للواقدي ٧٨٨/٢.

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع ١٦٦/٦.

(٣) (ع) ميمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَيْر بن الهزم بن رُوَيْبة بن عبد الله بن هلال، العامريَّة الهلالية أم المؤمنين. لها ستة وأربعون حديثاً اتفقا على سبعة، وانفرد (خ) بحديث، و(م) بخمسة. عنها ابن عباس، ويزيد بن الأصَم، وجماعة. قال الزهري: هي التي وهبت نفسها. قال المِزِّي: توفيت بسَرِف سنة إحدى وخمسين. قاله خليفة. الخلاصة ٣/ ٣٩٢.

إِنَّ قُرَيْشاً أَخْلَفُوكَ المَوْعِدَا ... وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ المُؤَكَّدَا

وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا ... وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا

هُمْ بَيَّتُونَا بالوَتِيرِ هُجَّدَا ... وَقَتَّلُونَا رُكَّعاً وَسُجَّدَا

وَجَعَلُوا لِي فِي كُدَاءٍ رُصَّدَا ... فَانْصُرْ رَسُولَ اللهِ نَصْراً أَيِّدَا

وَادْعُ عِبَادَ اللهِ يَأْتُوا مَدَدَا ... فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ قَدْ تَجَرَّدَا

أَنْ سِيمَ خَسْفاً وَجْهُهُ تَرَبَّدَا ... فِي فَيْلَقٍ كَالبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدَا

قَرْمٌ لِقَرْمٍ مِنْ قُرُومٍ أَصْيَدَا

فقال رسولُ الله - ﷺ - «نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بن سَالِم» فما برح حتَّى مرت عَنَانَةٌ من السماء فرَعَدَت، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «إِنَّ هَذِهِ السحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْب»[1].

وروى أَبو يَعْلَى بسندٍ جَيِّدٍ عن عائِشة - رضي الله عنهما - قالت: لقد رأَيت رسول الله - ﷺ - غضب مِمَّا كان مِنْ شَأَن بني كَعْب غضباً لم أَرهُ غضبه مُنْذُ زمان. وقال: «لا نَصَرَنِي الله - تعالى - إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْب»[2].

وروى محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - عن ابن عبَّاس - رضي الله عنهما - أَن رسولَ الله - ﷺ - لما سمع ما أَصاب خُزَاعَة، قام - وهو يَجُرُّ رِدَاءه - وهو يقول: «لانصِرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُر بَنِي كَعْبٍ مِمَّا أَنْصُر مِنْهُ نَفْسِي».

وروى عبد الرزَّاق وغيره عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أَن رسولَ الله - ﷺ - لَمَّا بلغه خَبَرُ خُزَاعَة قال: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لأَمْنَعَنَّهُم مِمَّا أَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسِي وَأَهْلِي وَبَيْتِي»[3].

قال ابن إِسحاق وغيره: وقدم بذلك ورقاء الخزاعي في نَفَرٍ من قومه على رسول الله - ﷺ - فأَخبروه بما حَصَلَ لهم.

قال ابن عقبة، ومحمد بن عُمَر: إِن رسولَ الله - ﷺ - قال لعمرُو بن سالم وأَصحابه: «أَرْجِعُوا وَتَفَرَّقُوا في الأَوْدِيَة». فرجعوا وتفرقوا، وذهبت فِرْقَةٌ إِلى السَّاحل بعارِض الطَّريق، ولزم بُدَيل بن وَرْقَاء في نفرٍ من قومه الطَّريق[4].

---

(١) وأخرجه البيهقي ٢٣٤/٩ والدلائل ٧/٥.

(٢) أبو يعلى ٣٤٣/٧ (٤٣٨٠/٢٤)، ذكره الهيثمي في المجمع ١٦٤/٦ وعزاه لأبي يعلى عن حزام بن هشام بن حبيش عن أبيه عنهما وقد وثقهما ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح وذكره ابن حجر في المطالب (٤٣٥٦).

(٣) أخرجه عبد الرازق في المصنف (٩٧٣٩).

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل ١٠/٧.

وروى محمد بن عمر عن مِحْجَن بن وهب قال: لم يَرِمْ بُدَيْلُ بن ورقاء مكَّةَ من حين انصرف رسولُ الله - ﷺ - من الحُدَيْبِيَة حتى لقيه في الفَتْح بِمَرِّ الظَّهرَان. قال محمد بن عمر وهذا أثبت(١).

وأَخبر عمرو بن سالم ومن معه أَن أَنس ابن زنيم هجا رسولَ الله - ﷺ - فأَهْدَرَ دَمه.

ذكر ما قيل إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما بلغه خبر خزاعة أرسل الى قريش يخيرهم بين أمور ثلاثة

روى ابن عائذ عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما، ومحمدُ بن عمر عن حِزام بن هشام الكَعْبِيِّ ومسدد في مسنده بسندٍ صحيح عن محمد بن عباد بن جعفر أَحد ثقات التَّابِعين وأَئِمَّتِهم - رحمهم الله تعالى - واللفظ لمحمد بن عمر، قال حزام: إن قريشاً ندمت على عَوْنِ بني نفاثة، وقالوا: محمد غَازِينَا، فقال عبد اللّه بن أَبي سرح - وهو يومئذ عندهم حال رِدَّته عن الإِسلام - وأَسلم بعد ذلك - إنَّ عندي رأْياً، إِن محمدا لن يغزوكم حتى يَعْذِر إِليكم، ويخيِّركم في خصالٍ كلها أَهون عليكم من غزوه، قالوا ما هي؟ قال: يرسل إِليكم أَن دوا قَتْلى خزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتيلاً، أَو تبرؤُوا مِن حِلْفِ مَنْ نقض الصُّلح وهم بنو نُفَاثة، أَو ينبِذ إِليكم على سواء، فما عندكم في هذه الخصال؟ فقال القوم: أَحْرِ بما قال ابن أَبي سرح - وقد كان به عالما - قال سهيل بن عمرو: ما خلة أَهون علينا من أَن نبرأَ من حِلْف بني نُفَاثة. فقال شيبةُ بن عثمان العبدري حفظت أَخوالك، وغضبت لهم قال سهيل: وأَي قريش لم تلده خُزَاعة؟ قال شيبة: ولكن ندي قتلى خُزَاعَة فهو أَهون علينا، وقال قرظة بن عبد عمرو: لا والله لا يُودَوْنَ ولا نبرأَ من حِلْفِ بني نُفَاثَة، ولكنا نَنْبِذُ إِليه على سواء. وقال أَبو سفيان: ليس هذا بشيء، وما الرأْي إِلاَّ جَحْد هذا الأَمر؛ أَن تكون قريش دخلت في نقض عَهْدٍ أَو قَطْعِ مدة وإِنه قطع قوم بغير رضى مِنَّا ولا مشورة فما عَلَيْنَا. قالوا: هذا الرأْي لا رأْي غيره(٢).

وقال عبد اللّه بنُ عمر - رضي الله تعالى عنهما -: إِن رَكْبَ خُزَاعَةَ لَمَّا قدموا على رسولِ الله - ﷺ - وأَخبروه خبرهم، قال رسولُ الله - ﷺ -: «فمن تُهَمَتُكُم وظِنَّتكُم؟» قالوا: بنو بكر، قال: «أَكُلُّها؟» قالوا: لا، ولكن بنو نُفَاثة قَصْرَةً ورأْس القوم نَوْفَلُ بن معاوية النُّفاثي. قال: «هَذَا بَطْنٌ مِنْ بَنِي بَكْرٍ، وأَنَا بَاعِثٌ إِلى أَهْلِ مَكَّةَ فسائلهم عن هذا الأَمر ومُخَيِّرُهُم في خِصَالٍ ثلاث»، فبعث إِليهم ضمرة - لم يسم أَباه محمدُ بن عمر - يُخَيِّرُهم بين إِحدى خلال، بين أَن يَدُوا قَتْلَى خُزَاعَة أَو يبرؤُوا من حلف بني نفاثة، أَو ينبذ إِليهم على سواء. فأَتاهم ضمرة

(١) البيهقي في الدلائل ٩/٤.
(٢) الواقدي في المغازي ٧٨٨/٢.

رسولُ رسولِ الله - ﷺ - فأناخ راحلته بباب المسجد، فدخل وقريش في أنْدِيتها، فأخبرهم أنه رسول رسول الله - ﷺ - وأخبرهم بالذي أمره رسول الله - ﷺ - به فقال قَرَظَة بن عبد عمرو الأعمى: أمَّا أن ندي قتلى خُزَاعة فإن نُفَاثة فيهم عُرَام فلا نديهم حتى لا يبقى لنا سَبَدٌ ولا لبد، وأما أن نتبرأ من حِلْف نُفاثة فإنه ليس قبيلة من العرب تحجّ هذا البيت أشد تعظيماً له من نُفَاثة، وهم حلفاؤنا، فلا نبرأ من حِلْفِهم، أو لا يبقى لنا سَبَدٌ ولا لَبَد، ولكن نَنْبِذ إليه على سواء، فرجع ضمرةُ إلى رسول الله - ﷺ - بذلك من قولهم.

وندمت قريشٌ على ردِّ رسول رسول الله - ﷺ - وبعثت أبَا سُفيَان فذكر قصة مجيئة إلى رسول الله - ﷺ - كما سيأتي.

ذكر إخباره - صلى الله عليه وسلم - بأن أبا سفيان سيقدم ليجدد العهد فكان كما أخبر

روى محمد بن عمر عن حِزَام بن هشام عن أبيه - رحمهما الله - أن رسولَ الله - ﷺ - قال: **«لكأنَّكُم بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جاء يَقُول: جَدِّد العَهْدَ وَزِدْ فِي الهُدْنَة، وَهوَ رَاجِعٌ بِسُخْطِه»**.

وروى عبد الرزَّاق عن نعيم مولى ابن عباس، وابن أبي شيبة عن عكرمة، ومحمدُ بن عمر عن شيوخه، واللفظ له: أن الحارث بن هشام، وعبد اللّه بن أبي ربيعة مشيا إلى أبي سفيان بن حرب، فقالا: هذا أمر لا بُدَّ له من أن يُصْلح، والله لئن لم يُصْلَحْ هذا الأمر لا يروعكم إلا محمد في أصحابه، فقال أبو سُفيان: قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كَرِهْتها وأفظعتُها. وخفتُ من شَرِّها، قالوا: وما هي؟ قال: رأت دماً أقبل من الحَجُون يسيل حتَّى وقف بالخَنْدَمَة مَلِياً، ثم كأن ذلك الدَّم لم يكن، فكره القوم الرُّؤيا.

وقال أبو سُفيان: لما رأى ما رأى من الشَّر: هذا والله أمرٌ لم أشْهَدْه، ولم أغِبْ عنه، لا يحمل هذا إلا عليّ، ولا والله ما شوورتُ فيه، ولا هَوِيتُه حين بلغني، والله ليغزونا محمدٌ إن صدَقَنِي ظني، وهو صادقي، وما بد من أن آتي محمداً فأُكلمه أن يزيدَ في الهُدْنة وَيُجَدِّدَ العهد. فقالت قريشُ: قد والله أصَبْتَ، ونَدِمَتْ قريشٌ على ما صنعت من عون بني بكرٍ على خزَاعَة، وتَحَرَّجُوا أن رسولَ الله - ﷺ - لم يدعهم حتى يغزوهم. فخرج أبو سفيان، وخرج معه مولى له على راحلتين، فأسرع السَّير وهو يرى أنه أوّل من خرج من مكة إلى رسولِ الله - ﷺ - فلقي بُدَيْلَ بن وَرْقَاء بِعُسْفَان، فأشفق أبو سفيان أن يكون بُدَيْل جاء رسولَ الله - ﷺ - بل كان اليقينُ عنده، فقال للقوم: أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها؟ قالوا: لا علْم لنا بها، فعلم أنهم كتموه، فقال: أما معكم من تَمْرِ يثرب شيء تطعموناه، فإن لِتَمْرِ يثْرب فضلا على تمور تِهَامة؟

قالوا: لا. فأبت نفسه أن تُقِرّه حتى قال: يا بُدَيْل: هل جئت محمداً؟ قال: لا ما فعلت، ولكن سِرْتُ في بلاد بني كعب وخزاعة من هذا السّاحل في قتيل كان بينهم فأصلحت بينهم. فقال أبو سُفيان: إنك ـ والله ـ ما علمت برٌّ وأصلٌ، ثم قايلهم أبو سفيان حَتَّى راح بُدَيْل وأصحابه، فجاء أبو سفيان مِنْزَلهم فَفَتَّ أبعار أباعرهم فوجد فيها نوى من تمر عجوة كأنها ألسنةُ الطّير، فقال أبُو سفيان: أحلفُ بالله لقد جاء القومُ محمّداً[١].

وكان القومُ لما كانت الوقعة خَرَجُوا من صُبْح ذلك اليوم فسارُوا ثلاثاً، وخرجوا من ذلك اليوم فساروا إلى حيث لقيهم أبو سُفيان ثَلاثاً، وكانت بنو بكرٍ قد حبست خُزَاعَة في داري بُدَيْل ورافع ثلاثةَ أيام يكلمون فيهم، وآئتمرت قريش في أن يخرج أبو سُفيان، فأقام يومين. فهذه خمس بعد مقتل خُزَاعة، وأقبل أبو سُفْيَان حتى دخل المدينة، فدخل على آبنته أم حبيبَة زوج النّبي ـ ﷺ ـ فأراد أن يَجْلِسَ على فِرَاشِ رسولِ الله ـ ﷺ ـ فطوته دونه. فقال: يا بُنَيّة!! أرغبت بهذا الفراش عنى أو بي عنه؟ قالت: بل هو فراشُ رسولِ الله ـ ﷺ ـ وأنت آمرو مشرك نَجِس، فلم أُحب أن تجلس على فراش رسول الله ـ ﷺ ـ قال: يا بُنَيّة لقد أصابك بعدي شرّ، فقالت: بل هداني الله للإِسْلاَم. وأنت يا أبت سيّد قُريش وكبيرها، كيف يسقُط عنك الدّخول في الإسلام؛ وأنت تعبدُ حجراً لا يسمع ولا يبصر؟ فقام من عندها، فأتى رسولَ الله ـ ﷺ ـ وهو في المسجد، فقال: يا محمد!! إنّي كنتُ غائباً في صلح الحُدَيْبِيَة فاشدد العهد، وزدْنا في المدّة، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ «فَلِذَلِكَ جِئْتَ يَا أَبَا سُفْيَان؟» قال: نعم. فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «هَلْ كَانَ من قبلِكُم من حدث؟» قال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحُدَيْبيَة لا نغيّر ولا نُبَدِّل، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «فنحنُ عَلَى مُدَّتِنَا وَصُلْحِنَا يَوْمَ الحُدَيْبِيَة لا نغيّر ولا نبدّل» فأعاد أبو سفيان على رسول الله ـ ﷺ ـ القَوْلَ، فلم يردّ عليه شيئاً.

فذهب إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فكلمه وقال: تُكلمُ محمدا أو تجير أنت بين الناس، فقال أبو بكر: جِوَاري في جِوَار رسول الله ـ ﷺ ـ زاد ابنُ عُقْبَة: والله لو وجَدْتُ الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم.

فأتى عمرَ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فكلمه بمثل ما كلّم به أبا بكر، فقال: أنا أشفعُ لكم عندَ رسولِ الله ـ ﷺ!! فوالله لو لم أجد إلاّ الذرّ لجاهدتكم به، ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه الله، وما كان منه متيناً فقطعه الله، وما كان منه مقطوعاً فَلاَ وَصَلَهُ الله. فقال أبو سفيان جُوزِيتَ من ذِي رحم شراً.

---

(١) المغازي ٢/٧٩٢.

فأتى عثمانَ بنَ عفّان ـ رضي الله عنه ـ فقال إنَّه ليس في القوم أحدٌ أقرب رحماً منك، فَزِدْ في المدة، وَجَدِّدِ العهد؛ فإنَّ صاحبك لا يردُّه عليك أبدا، فقال عُثمان: جوَاري في جوار رسولِ الله ـ ﷺ.

فأتى علياً ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقال: يا علي إنك أمَسّ القوم بي رحما، وإني جئتُ في حاجةٍ فلا أرجع كما جئت خَائبا، فاشفع لي إلى محمد. فقال: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفيان! والله لقد عزم رسولُ الله ـ ﷺ ـ على أمرٍ ما نستطيعُ أن نكلمه فيه، فأتى سعدَ بن عُبَادة ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقال: يا أبا ثابت أنت سيد هذه البحيرة فأجِرْ بين الناس، وزِدْ في المدة، فقال سعد: جواري في جوار رسول الله ـ ﷺ ـ وما يجير أحدٌ على رسوله الله ـ ﷺ ـ فأتى أشراف قريش والأنصار فكلهم يقول جواري في جوار رسول الله ـ ﷺ ـ مَا يجير أحد على رسول الله ـ ﷺ ـ فما أيِسَ مِمَّا عندهُم، دخل على فاطمة الزَّهراء ـ رضي الله عنها ـ والحسن غلامٌ يَدِبُّ بين يَدَيْها فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تجيري بين النَّاس؟ فقالت: إنَّما أنا امرأة، وأبت عليه، فقال: مُرِي ٱبْنَكِ هذا ـ أي الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ فيجير بين النَّاس، فيكون سيد العرب إلى آخر الدّهر. قالت: والله ما بلغ آبني ذلك أن يُجِيرَ بين الناس، وما يجير أحدٌ على رسول الله ـ ﷺ.

فقال لعلي: يا أبا الحسن!! إن أرى الأُمورَ قد آشتدَّت عليّ فانْصَحني، قال: والله ماأعلم شيئاً يُغْنى عنك شيئاً، ولكنك سيِّدُ بني كنانة وقال: صدقت، وأنا كذلك. قال: فقم فأجِرْ بين الناس ثم الحَق بأرضك، قال: أو تَرَى ذلك مُغْنِياً عَنِّي شيئاً؟ قال: لا والله، ولكن لا أجدُ لك غير ذلك، فقام أبو سُفيان في المسجد، فقال: أيُّهَا النَّاس إنِّي قد أجَرْتُ بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفرني أحد، ثم دخل على رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا محمد إني قد أجرت بين الناس فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «أَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبَا حَنْظَلَةَ!!» ثم ركب بعيره وانطلق.

وكان قد احتبس وطالت غيبته، وكانت قريش قد اتُّهمته حين أبطأ أشدّ التهمة؛ قالوا: والله إنّا نراه قد صبأ، واتَّبع محمداً سِراً وكتم إسلامه.

فلما دخل على هند آمرأته ليلا، قالت: لقد احْتَبَسْت حتّى اتُّهمك قومُك، فإن كنت مع الإقامة جئتهم بنُجْحٍ فأنت الرجل، ثم دنا منها فجلس مجلس الرجل من امرأته. فقالت ما صنعت؟ فأخْبَرها الخبر، وقال: لم أجد إلاَّ ما قال لي عَلِيّ، فضربت برجلها في صدره وقالت: قُبِّحْتَ من رسُولِ قوم، فما جئت بخير.

فلما أصبح أبو سفيان حلق رأْسه عند إساف ونائلة، وذبح لهما، وجعل يمسح بالدم

رؤُوسهما ويقول: لا أُفارق عبادتكما حتَّى أَموت على ما مات عليه أَبي، إبراء لقريش مما اتهموه به، فلما رأته قريش، قاموا إليه فقالوا: ما وراءك؟ هل جئت بكتابٍ من محمد أَو زيادة في مُدَّةٍ مَا نَأْمَن به أَن يغزونا محمد؟ فقال: والله لقد أَبى عليّ، وفي لفظٍ: لقد كلمته، فوالله ما ردَّ على شيئاً، وكلمتُ أَبا بكر فلم أَجِدْ فيه خيراً، ثم جئت ابنَ الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ فوجدتُه أَدنى العدو، وقد كلمت عِلْية أَصحابه، فما قدرت على شيءٍ منهم إلا أَنَّهم يرمونني بكلمة واحدة، وما رأيت قوماً أَطوعَ لملك عليهم منهم له، إلاَّ أَن علياً لما ضاقت بي الأُمور قال: أَنت سيد بني كنانة، فأَجِرْ بين النَّاس، فناديتُ بالجوار، فقال محمد «أَنت تقول ذلك يا أَبا حنظلة!!» لم يزدني قالوا: رضيت بغير رضى؛ وجئْتَ بما لا يُغنى عَنَّا ولا عَنْكَ شيئا، ولعمْرُ الله ما جوارُكَ بجائِز، وإِنَّ إِخْفَارك عليهم لهيّن، ما زاد عَليٌّ من أَن لَعِبَ بك تلعباً. قال: والله ما وجدت غير ذلك.

ذكر مشاورته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ في غزوه قريش

روى ابن أَبي شَيْبَة عن محمد بن الحنفيّة ـ رحمه الله ـ عن أَبي مالك الأَشْجَعي ـ رضي الله عنه ـ قال: خرج رسولُ الله ـ ﷺ ـ من بعض حجره فجلس عند بابها ـ وكان إِذا جلس وَحْدَه لم يأْته أَحدٌ حتى يدعوه ـ، فقال «أُدْعُ لي أَبا بكر». فجاء فجلس أَبو بكر بين يديه، فناجاه طويلاً، ثم أَمَرَه فجلس عن يمينه، ثمّ قال: «ادْعُ لي عمر» فجاء فجلس إِلى أَبي بكر فناجاه طويلا، فرفع عُمَرُ صوته فقال: «يا رسول الله هُمْ رأْسُ الكُفْرِ، هم الذين زَعَمُوا أَنَّك سَاحر، وأَنك كاهن، وأَنك كذَّاب، وأَنك مفترٍ»، ولَمْ يَدَعْ عمر شَيْئاً، ممَّا كان أَهلُ مكة يقولونه إِلاَّ ذَكَرَه، فأَمره أَن يجلس إِلى الجانب الآخر، فجلس أَحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ثُمَّ دَعَا الناس فقال: «أَلا أُحَدِّثكم بِمَثَلِ صاحبيكم هذين؟ فقالوا: نعم يا رسولَ الله، فأَقبل بوجهه إِلى أَبي بكر فقال: «إِنَّ إِبْرَاهيم كان أَلْيَنَ في الله تعالى من الدّهن الليّن، ثم أَقبل على عمر، فقال: «إِنَّ نُوحاً كان أَشَدَّ في الله من الحَجَر، وَإِنَّ الأَمْرَ أَمرُ عمر، فتجهزوا وتعاونوا، فتبعوا أَبا بكر فقالوا: يا أَبا بكر، إنا كَرِهْنَا أَن نسأَل عمرَ عمّا ناجاك به رسولُ الله ـ ﷺ ـ قال: قال لي: «كيف تأْمرني في غزو مكة؟» قال: قلت يا رسولَ الله!! هم قَوْمُك، حتَّى رأَيْتُ أَنَّه سيطيعني، ثم دعا عمر فقال عمر: هم رأْس الكفر، حتَّى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه، وأَيم الله وأَيم الله لا تَذِلّ العرب حتى تذل أَهل مكة، وقد أَمركم بالجهاد ليغزوا مكة(١).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٥٠٦/١٤ وأحمد ٣٩٨/٣.

ذكر جهاز رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واجابة دعائه بان لا تعلم قريش بمسيره، وأمره بحفظ الطرق

ذكر ابن عقبة، وابن إسحاق، ومحمد بن عمر ـ رحمهم الله تعالى ـ أن رسولَ الله ـ ﷺ ـ مكث بعد خروج أبي سفيان ما شاء الله أن يمكث ثم قال لعائشة: «جَهِّزِينَا وأخفي أمرك». وقال: «اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يَرَوْنَا إلاَّ بغتة، وَلاَ يسْمَعُونَ بِنَا إِلاَّ فجأَة» وأمر رسولُ الله ـ ﷺ ـ جماعةً أن تقيم بالأنقاب، وكان عمر بن الخطاب يطوفُ على الأَنقاب، فيمر بهم فيقول: لا تَدَعُوا أَحداً يمر بكم تُنْكِرُونه إلا رَدَدْتُمُوه، وكانت الأَنقاب مُسلمة ـ إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به ويسأَل عنه(١).

ذكر كتاب حاطب بن أبي بلتعة(٢) ـ رضي الله عنه ـ إلى قريش ليعلمهم بغزو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إياهم، وما وقع في ذلك من الآيات

روى الإمام أَحمد، والخمسةُ عن أَبي رافع عن علي. وأَبو يعلى، والحاكم والضياء عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ والإمام أَحمد، وعبد بن حُمَيْد عن جابر، وابن مردويه عن أَنس ـ رضي الله عنهم ـ وابن مردويه عن سعيد بن جبير، وابن إسحاق عن عُرْوَة، وابن مردويه عن عبد الرحمن عن حَاطب بن أَبي بَلْتَعَة، ومحمد بن عمر عن شيوخه ـ رحمهم الله تعالى: أَن رسولَ الله ـ ﷺ ـ لَمَّا أَجمع السَّيْرَ إلى مكة، كتب حَاطِبُ بن أَبي بَلْتَعَةَ ـ رضي الله عنه ـ كتاباً إلى قريش يُخْبِرهم بالذي أَجمع عليه رسول الله ـ ﷺ ـ من الأَمر في المَسِير إليهم، ثم أَعطاه آمرأَةً، قال ابن إسحاق، زعم محمد بن جعفر أَنها مِنْ مُزَيْنَة ـ قال محمد بن عمر: يقال لها كَنُود، قال ابن إسحاق: وزعم لي غير ابن جعفر: أَنَّهَا سارة مَوْلاَةٌ لبعض بني المطلب، وجعل لها جُعْلاً، قال محمد بن عمر دِيْنَاراً، وقيل عشرة دنانير، على أَن تبلغه أَهل مكة، وقال لها: أَخفيه ما استطعت، ولا تَمُرِي على الطريق؛ فإن عليه حَرَساً، فجعلته في رَأْسِهَا، ثم فَتَلَت عليه قُرونَها، ثم خرجت به؛ فسلكت غير نقب عن يسار المَحَجَّة في الفُلوق حتَّى لَقِيَت الطريق بالعقيق.

وذكر السهيلي ـ رحمه الله ـ تعالى ـ أَنه قد قيل إنه كان في كتاب حاطب: إن رسول

(١) المغازي للواقدي ٢/٧٩٦.

(٢) (حاطب) بن أبي بلتعة مفتوحات بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى.. يقال إنه حالف الزبير وقيل كان مولى عبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد فكاتبه فأدى مكاتبته إتفقوا على شهوده. الإصابة ١/٣١٤.

الله - ﷺ - قد توجّه إِليكم بجيش كالليل، يسير كالسَّيْل، وأَقسم بالله لو سار إِليكم وَحْدَه لنصره الله تعالى عليكم، فإِنه منجزٌ له ما وعده فيكم، فإِن الله - تعالى - ناصره ووليّه.

وفي تفسير ابن سلام أَنه كان فيه: إِن محمداً - ﷺ - قد نفر فإِمَّا إِليكم، وإِما إِلى غيركم، فعليكم الحذَر. انتهى.

وذكر ابن عقبة أَن فيه: إِن رسول الله - ﷺ - قد آذن بالغزو، وَلاَ أَراه إِلاَّ يريدكم، وقد أَحببْتُ، أَن يكون لي يَدٌ بكتابي إِليكم.

وأَتى رسول الله - ﷺ - الخبر من السماء بما صنع حاطِب، فبعث عليّ بن أَبي طالب، والزّبير بن العوام - زاد أَبو رافع: المِقْدَاد بن الأَسود وفي رواية عن أَبي عبد الرحمن السلمي عن علي: أَبا مَرْثَد، بدل المقداد، فقال رسولُ الله - ﷺ - «أَدرك آمرأَة قد كتب معها حاطِبٌ بكتابٍ إِلى قريش، يُحَذِّرهُم ما قد أَجْمَعْنَا له في أَمْرِهم»، ولفظ أَبي رافع «انطلقوا حَتَّى تَأْتوا روضة خاخ، فإِن بها ظعينة معها كتاب» فخرجوا[1] - وفي لفظٍ: فخرجا، حَتَّى إِذا كان بالخَلِيقَة، خليقة بني أَحمد

وقال ابن عقبة: أَدركاها ببطن ريم، فاستنزلاها فالتمساه في رَحْلِها، فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي بن أَبي طالب - رضي الله عنه -: إِني أَحلف بالله ما كذب رسولُ الله - ﷺ - وما كذبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أَو لَنَكْشِفَنَّكِ، فلما رأَت الجِدّ، قالت: أَعْرِضَا. فحلَّت قُرُونَ رأسها، فآستخرجتْ الكتابَ منها، فدفعته إِليه فأَتى به رسول الله - ﷺ - فإِذا فيه: من حاطب بن أَبي بَلْتَعَة إِلى أُناس من المشركين من أَهل مكة يخبرهم ببعض أَمر رسول الله - ﷺ - فدعا حَاطِباً، فقال: يا حاطب، مَا حَمَلَكَ عَلَى هذا؟ قال: يا رسولَ الله. إِني والله لمؤمن بالله ورسوله؛ ما غيّرتُ، ولا بدّلتُ، ولكني كنت امْرَءً ليس لي في القوم من أَصل ولا عشيرة، وكان لي بين أَظهرهم ولدٌ وأَهل، فصانعتهم عليهم.

ولفظ أَبي رافع - فقال: يا رسولَ الله لا تعجل عليّ، إِنّي كنت امْرَءِ مُلْصَقاً في قريش، ولم أَكُنْ من أَنْفُسِهِم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون أَموالهم بها وأَهليهم بمكة، ولم يكن لي قرابة، فأَحببت إِذ فاتني ذلك من بنيهم أَن أَتَّخذ فيهم يَداً أَحمي بها قرابتي، وما فعلت ذلك كُفْراً بعد إِسلام. فقالَ رسولُ الله - ﷺ - «إِنَّه قَدْ صَدَقَكُم». فقال عمر لحاطب: قاتلك الله!! ترى رسول الله - ﷺ - يأْخذُ بالأَنقاب وتكتب إِلى قريش تحذرهم؟ دعني يا رسول الله - ﷺ - أَضرب عنقه؛ فإِن الرجل قد نافق؛ فقال رسول الله - ﷺ -: «ما

(١) أخرجه البخاري ٦/(٣٠٠٧) (٤٨٩٠) ومسلم ص (١٩٤١/٣) حديث (١٦١) وأبو داود في الجهاد وأحمد ٧٩/١ والترمذي في تفسير سورة الممتحنة والبيهقي في الدلائل ١٦/٥.

يُدْرِيكَ يا عمر أَن الله عز وجل آطَّلَع إِلى أَصحاب بدر يوم بدر فقال: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» فَاغْرَوْرقت عينا عمر، وقال: الله ورسولُهُ أَعلم، حين سمعه يقول في أَهل بدر ما قال.

وأَنزل الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ أَي كفار مكة ﴿أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ﴾ توصلون ﴿إِلَيْهِمْ﴾ قصد النبي غَزْوَه الذي أَسره إِليكم - وروي بخبر ﴿بِالْمَوَدَّةِ﴾ بينكم وبينهم ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِنَ الْحَقِّ﴾ دين الإِسلام والقرآن ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ من مكة بتضييقهم عليكم لأَجل ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً﴾ للجهاد ﴿فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ وجواب الشَّرط دلَّ عليه ما قبله: أَي فلا تتخذوهم أَولياء ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ﴾ أَي إِسرار خبر النبي إِليهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أَخطأَ طريق الهدى، والسواء في الأَصل: الوَسَطُ ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ﴾ يظفروا بكم﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والضرب ﴿وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ بالسَّب، والشتم ﴿وَوَدُّوا﴾ تمنوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ. لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتكم ﴿وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ﴾ المشركون، الذين لأَجلهم أَسررتم الخبر من العذاب في الآخرة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل ﴿بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم فتكونون في الجنة، وهم في جملة الكُفّار في النار ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة ١: ٣].

ذكر إجماع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسير الى مكة

قال ابن عقبة، وابن إِسحاق، ومحمد بن عمر، وغيرهم: لَمَّا أَرادَ رَسُولُ الله - ﷺ - المسيرَ إِلى مكَّة، بعث أَبا قَتَادَةَ بن ربعي إِلى بطن إِضَم؛ ليَظُنَّ الظَّانُّ أَن رسول الله - ﷺ - توجَّه إِلى تلك الناحية، وأَن لا تذهب بذلك الأَخبار وأَبان رسول الله - ﷺ - المسير إِلى قريش، وأَرسل إِلى أَهل البادية، ومن حولهم من المسلمين، يقول لهم «**من كان يؤمن بالله وباليوم الاخر فليحضر رمضان بالمدينة**» وبعث رُسُلاً في كل ناحية حتى قدموا على رسول الله - ﷺ.

وقال حسَّان بن ثابت - رضي الله عنه تعالى - يُحَرِّضُ الناس ويذكر مُصَابَ رجال خزاعة:

عَنَانِي وَلَمْ أَشْهَدْ بِبَطْحَاءِ مَكَّةٍ ... رِجَالُ بَنِي كَعْبٍ تُحَزُّ رِقَابُهَا
بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَسُلُّوا سُيُوفَهُمْ ... وَقَتْلَى كَثِيرٌ لَمْ تُجَنَّ ثِيَابُهَا
أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَنَالَنَّ نُصْرَتِي ... سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو حَرُّهَا وَعِقَابُهَا
فَلاَ تَأْمَنَنْهَا يَا ابْنَ أُمِّ مُجَالِدٍ ... إِذَا آحْتُلِبَتْ صِرْفاً وَأَعْصَلَ نَابُهَا

وَلاَ تَجْزَعُوا مِنْهَا فَإِنَّ سُيُوفَنَا لَهَا وَقْعَةٌ بِالمَوْتِ يُفْتَحُ بَابُهَا

قال ابن إسحاق: وقول حسَّان - رضي الله عنه: بأيدي رجالٍ لم يَسُلُّوا سيوفهم: يعني قريشاً، وابن أم مُجَالِدٍ؛ عِكْرِمَةُ بنُ أَبي جهل.

واستخلف رسولُ الله - ﷺ - على المدينة أَبا رُهْم كُلْثُوم بن حُصَين الغفاري، ويقال ابن أم مَكْتُوم، وذكره ابن سعد، والبَلاَذُرِي، والأَوّل هو الصحيح، وقد رواه الإمام أحمد والطبراني بسندٍ حسن عن ابن عباس - رضي الله عنهما[١].

ذكر خروجه - صلى الله عليه وسلم - من المدينة قاصدا مكة

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - خرج رسولُ الله - ﷺ - يوم الأَربعاء بعد العصر لعشر خلون من رمضان، ونادى مناديه: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلْيَصُمْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُفْطِرَ فَلْيُفْطِر» وصام رسولُ الله - ﷺ - فما حلَّ عُقْدَةً حَتَّى آنتهى إِلى الصُّلْصُل، وخرج في المهاجرين والأَنصار، وطوائف من العرب، وقادوا الخيل، وآمتطوا الإِبل، وقدَّم رسولُ الله - ﷺ - أَمامه الزُّبَيْر بنَ العوَّام في مائتين من المسلمين، ولما بلغ رسولُ الله - ﷺ - البيداء قال فيما رواه محمد بن عمر عن أَبي سعيد الخُدْرِيّ: «إِني لأَرَى السَّحاب يُسْتَهَل بنصر بني كعب»[٢].

ولما دخلَ رسول الله - ﷺ - العَرْج[٣] وهو صائم، صَبَّ الماء على رأسه ووجهه من العطش - كما رواه الإمام مالك، ومحمد بن عمر عن رَجُلٍ من الصحابة - وروى الحاكم في الإِكليل بِسَنَدٍ صحيح عن أَبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «رأَيتُ رسولَ الله - ﷺ - بالعَرْجِ يَصُبُّ الماء على رأسه من الحرِّ وهو صائم»، ولما سار رسولُ الله - ﷺ - عن العَرْج - وكان فيما بين العَرْج والطُّلوب - نظر إِلى كَلْبَةٍ تَهِرُّ عن أَولادها، وهُنَّ حَوْلَها يَرْضَعْنَها، فأَمَرَ جميل بن سراقة - رضي الله عنه - أَن يقوم حذاءها؛ لا يعرض لها أَحَدٌ من الجيش، ولا لأَولادها.

وقدم - ﷺ - بمائة جريدة تكون أَمام المسلمين، فلما كانوا بين العَرْج والطُّلوب أَتوا بعَيْنٍ من هوازن، فآستخبره رسولُ الله - ﷺ - فأَخبره أَنّ هوازن تَجْمَعُ لَهُ فقال: «حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكيل» فأَمر رسول الله - ﷺ - خالد بن الوليد أَن يحبسه لئلا يذهب فيحذر الناس، ولما بلغ قُدَيْداً[٤] لقيته سُلَيْم هناك، فعقد الأَلوية والرّايات، ودفعها إِلى القبائل.

---

(١) قال الهيثمي في المجمع ١٦٧/٦ رجاله رجال الصحيح.

(٢) انظر المغازي للواقدي ٨٠١/٢.

(٣) (العَرْج) بفتح أوله، وسكون ثانيه، وجيم: قرية جامعة في واد من نواحي الطائف. وقيل: وادٍ به. مراصد الإطلاع ٩٢٨/٢.

(٤) (قُدَيْد) تصغير قدّ: اسم موضع قرب مكة. مراصد الإطلاع ١٠٧٠/٣.

وروى محمد بن عمر عن يزيد بن أسلم، وأبي الحويرث - رحمهما الله تعالى - أن رسولَ الله - ﷺ - لما انتهى إلى قُدَيْدٍ قيل له: يا رسول الله هل لك في بِيضِ النساء، وأُدْم الإبل؟ بني مُدْلِج، فقال: - ﷺ -: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَهُن عَلَيَّ بِصِلَةِ الرَّحم». وفي لفظ «ببر الوالد، ووكْزهم في لبّات الإبل».

وقَدم العباس على رسولِ الله - ﷺ - مُسْلِماً. قال ابن هشام: لقيه بالجُحْفَةِ فأرسل ثقله إلى المدينة، وسار مع رسولِ الله - ﷺ - قال البَلاذُرِي: وقال رسولُ الله - ﷺ -: «هِجرَتُكَ يا عَمِّ آخِرُ هِجْرَةٍ، كما أَنَّ نُبُوّتي آخر نُبُوَّة» وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، وعبد اللّه بن أبي أُميّة بن المغيرة لَقِيَاهُ بنَقْبِ العُقَاب، وستأْتي قصة إسلامهما في ترجمتهما.

ذكر فطره - صلى الله عليه وسلم - وأمره به

روى مسلم، والترمذي عن جابر، والشيخان، وأبو داود، والنسائي، والطحاويّ عن ابن عباس - رضي الله عنهم - أن رسول الله - ﷺ - خرج من المدينة في غزوة الفتح في رمضان يصوم ويصومون، حتى بلغ الكُدَيْد(١) بين عُسْفَان وقَدَيْد، وفي روايةٍ بين عُسْفان وأَمَج(٢)، وفي حديث جابر: كُرَاع الغميم، بلغه أَنَّ الناسَ شقَّ عليهم الصِيام، وقيل له: إنما ينظرون فيما فعلتَ، فلما استوى على راحلته بعد العصر دعا بإناء من لبن، أَو ماء، وجزم جابر بأنه ماء. وكذا ابن عباس، وفي روايةٍ: فوضعه على راحلته ليراهُ الناسُ، فشرب فأفطر، فناوله رجلاً إلى جنبه فَشَرِبَ فقيل له بعد ذلك: إنَّ بعض الناس صَامَ، فقال: «أُولئكَ العُصَاة، أولئكَ العُصَاة» فلم يزل مفطراً حَتَّى انسلخ الشهر(٣).

وروى مسلم عن أبي سعيد الخُدْرِي - رضي الله عنه - قال سافرنا مع رسول الله - ﷺ - ونحنُ صِيَامٌ، فنزلنا منزلاً، فقال رسول الله - ﷺ -: «إنكم قَدْ دَنَوْتُم مِن عدوّكم، والفطرُ أَقوى لكم» وكانت رخصة؛ فَمِنَّا مَنْ صام، ومِنَّا مَنْ أفطر، ثم نزلنا منزلاً آخر، فقال: «إنكم مصبحوا عدوّكم، والفطْرُ أَقوى لكم، فافطروا» فكانت عزيمة، فأفطرنا(٤).

---

(١) (الكديد) قيل بالفتح، وبالكسر، وآخره دال أُخرى: موضع بالحجاز على اثنين وأربعين ميلا من مكة، بين عُسْفان وأَمَج. مراصد الإطلاع ١١٥٢/٣.

(٢) (أَمَج) بفتحتين، والجيم: بلد من أعراض المدينة. مراصد الإطلاع ١١٥/١.

(٣) مسلم من حديث ابن عباس ٧٨٤/٢ (١١١٣/٨٨) ومن حديث جابر أخرجه مسلم في الصيام ٧٨٥/٢ (٩٠/ ١١١٤) والبخاري (٤٢٧٥)، والترمذي (٧١٠) والنسائي في الصيام باب (٤٧) والطيالسي كما في المنحة (٩١٢) والطحاوي في معاني الآثار ٦٥/٢ والشافعي في المسند (١٥٨) والبيهقي في الدلائل ٢٥/٥ وفي السنن ٢٤١/٤، وانظر التلخيص ٢٠٣/٢.

(٤) مسلم ٧٨٩/٢ (١١٢٠/١٠٢).

ذكر نزوله - صلى الله عليه وسلم - بمر الظهران

قالوا: ونزل رسول الله - ﷺ والمسلمون مرّ الظَّهْران عشاء، وأَمر أَصحابه أَن يوقدوا عشرة آلاف نار، وجعل على الحرس عمرَ بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قال عروةُ كما عند ابن عائذ، وبه جزم ابنُ عقبة وابنُ إسحاق، ومحمدٌ بن عمر وغيرهُم، وعُمِيتِ الأَخبارُ عن قريش، فلم يبلغهم حرفٌ واحدٌ عن مسير رسولِ الله - ﷺ - ولا يدرُون ما هو فاعلٌ، وهم مُغْتَمُّونَ لما يخافون من غزوه إيّاهم، فَبَعَثُوا أَبَا سفيان بن حرب.

وروى إسحاق بن راهويه، والحاكم، والبيهقيُّ بسندٍ صحيح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: مضى رسولُ الله - ﷺ - عامَ الفتح حتى نزل مرّ الظَّهران في عشرة آلاف من المسلمين، وقد عُمِيت الأَخبار عن قريش فلا يأْتيهم خبرٌ عن رسولِ الله - ﷺ - ولا يدرون ما هو صانع[١].

وفي الصحيح عن عُرْوة قال: لمّا سار رسولُ الله - ﷺ - عام الفتح بلغ ذلك قريشاً، فخرج أَبو سفيان بن حربٍ يتحسَّس الأَخبار. وقالت قريش: لأَبي سفيان: إن لقيت محمداً فخذْ لنا منه أَماناً، فخرج هو وحكيم بن حزام، فلقيا بُدَيْل بن ورقاء، فاستتبعاه، فخرج معهما يتحسّسُون الأَخبار، وينظرون هل يجدون خَبراً، أَو يسمعون به، فلما بَلَغُوا الأَرَاكَ من مرّ الظَّهْران، وذلك عَشِياً رأَوْا العسكرَ والقِبَابَ والنِيرانَ كأَنها نيران عرفة، وسمعوا صهيل الخيل، ورَغَاء الإبل، فأَفْزَعَهم ذلك فَزَعاً شديداً. قال عروة كما في الصحيح - : فقال بُدَيْل بن ورقاء: هؤلاء بنو كعب - وفي رواية بنو عمرو: يعني بها خزاعة - حَمَشَتْهَا الحرب. فقالَ أَبو سُفيان: بنو عمرو وأَقلّ من ذلك[٢].

ذكر المنام الذي رآه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه

روى البيهقيُّ عن ابن شهابٍ - رضي الله تعالى عنه - أَن أَبا بكر قال: يا رسولَ الله!! أَرَاني في المنام وأُراك دَنَوْنَا من مكة، فخرجتْ إلينا كلبةٌ تَهِرّ، فلما دَنَوْنَا منها آستلقَتْ على ظهرهَا، فإذَا هي تشخُبُ لبناً، فقالَ رسولُ الله - ﷺ -: «ذَهَبَ كَلَبُهم وأَقبل دَرُّهم، وهم سيأْوون بأَرحامهم وإنكم لاقون بعضهم فإن لقيتم أَبا سُفْيَانَ فلا تَقْتُلوه».

ذكر إعلامه - صلى الله عليه وسلم - بالليل بأن أبا سفيان في الأراك وأمره بأخذه

روى الطبرانيُّ عن أَبي لَيْلَى - رضي الله عنه - قال: كُنّا مع رسولِ الله - ﷺ - بِمَرّ

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٧/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩٧/٧ (٤٢٨٠).

الظَّهْران، فقال: «إِنَّ أَبَا سُفْيَان بالأَرَاك فَخُذُوه» فدخلنا، فأخذناه(١).

قال ابن عُقْبَة: فبينما هم؛ يعني أبا سُفيان، وحكيم بن حزام، وبُدَيْلاً بن ورقاء كذلك لم يَشْعُرُوا حتى أخذهم نَفَرٌ كان رسولُ الله - ﷺ - بعثهم عُيُوناً له، فأخذوا بِخُطُم أبعرتهم فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: هذا رسولُ الله - ﷺ - وأصحابه، فقال أبو سُفْيان: هل سمعتم بمثل هذا الجيش، نزلوا على أكباد قومٍ لم يعلموا بهم.

وروى ابن أبي شَيْبَة عن أبي سَلَمة، ويحيى بن عبد الرحمن بن حَاطِب - رحمهما الله تعالى - قالا: أُخِذَ أَبو سفيان وأَصحابه وكان حَرَسُ رسولِ الله - ﷺ - نفرٌ من الأنصار، وكان عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - تلك الليلة على الحَرَس، فجاؤُوا بهم إليه، فقالوا: جئناك بنفرٍ أخذناهم من أهل مكة، فقال عمر وهو يضحك إليهم: والله لو جئتموني بأبي سفيان مازدتم. قالوا: قد والله آتيناك بأبي سفيان. فقال: احبسوه فحبسوه حتى أصبح. فغدا به على رسول الله - ﷺ - وقال ابن عقبة: لما دخل الحرس بأبي سفيان وصاحبيه، لقيهم العبّاسُ بنُ عبد المطّلب، فأجارهم.

وروى ابنُ أبي شيبة عن عكرمة: أن أبا سفيان لما أخذه الحرس قال: دلُّوني على العبّاس، فأتى العباسَ فأخبره الخبر، وذهب به إلى رسولِ الله - ﷺ.

وروى إسحاق بن راهويه - بسندٍ صحيح عن ابن عبّاسٍ - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - لما نزل مرّ الظهران، رقّت نفسُ العبّاس لأهل مكة فقال: واصباحَ قريش، والله لئن دخلها رسولُ الله - ﷺ - عَنْوَة قبل أن يأتوه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنْوَة، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر، قال العبّاسُ: فأخذتُ بغلةَ رسولِ الله - ﷺ - الشَّهْبَاء فركبتُها، وقلتُ: ألتمس حَطَّاباً، أو صاحبَ لبن، أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكانِ رسُول الله - ﷺ - ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنْوَة، فوالله إنّي لفي الأراك ألتمس ما خَرَجْتُ إليه إذ سَمِعْت كَلام أبي سُفْيَان، وبُدَيْل بن وَرقَاء، وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا! فقال بُدَيل بن ورقاء: هذه والله خُزَاعة حَمَشَتْهَا الحربُ، فقال أبُو سفيان: خُزَاعة أَقَلُّ وأَذَلُّ من أن تكونَ هذه نيرانُها وعسكرها، قال العباس: فعرفتُ صَوْتَ أبي سُفيان، فقلتُ: يا أبا حَنْظَلَة، فعرف صوتي، فقال: لبَّيْك يا أبا الفضل، مالك فِداك أبي وأمّي!! وعرف صوتي، فقلتُ: وَيلك!! هذا رسولُ الله - ﷺ - في عشْرَةِ آلاف فقال: واصباحَ قريش والله بأبي أنت وأمي فما تأمرني، هلْ من حيلة؟ قلت: نعم، اركب عَجُزَ هذه البغلة،

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٧٢/٥.

فأَذْهَب بك إلى رسول الله - ﷺ - فأستأمنه لك؛ فإنه والله إن ظُفِر بك دُون رسولِ الله - ﷺ - لتُقْتَلَن، فركب خلفي، ورجع صاحباه - كذا في حديث ابن عباس وعند ابن إسحاق، ومحمد بن عمر: أنهما رجعا - وذكر ابن عُقْبَة، ومحمد بن عمر في موضعٍ آخر: أنهما لم يرجعا، وأَنّ العباس قَدِمَ بهم إلى رسولِ الله - ﷺ - انتهى.

قال العبّاس: فجئتُ بأَبي سفيان، كُلَّما مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين قَالُوا: من هذا؟ فإذا رأَوا بغلة رسولِ الله - ﷺ - وأَنا عليها قالوا: عمّ رسول الله - ﷺ - على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فلما رآني، قام، فقال: مَنْ هذا؟ قلتُ: العباس، فذهب ينظر، فرأَى أَبا سُفيان خلْفي، فقال: أَي عدوّ الله!! الحمدُ لله الّذي أَمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يَشْتَدُّ نَحْوَ رسول الله - ﷺ - ورَكضتُ البغلة فسبقته كما تسبق الدّابة البطيئةُ الرجلَ البطيء، فاجتمعنا على باب قُبّةِ رسولِ الله - ﷺ - فاَقتحمتُ عن البغلة فدخلتُ على رسول الله - ﷺ - ودخل عمر على أَثري، فقال عمر: يا رسولَ الله!! هذا أَبُو سُفيان قد أَمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلأَضرب عنقه، قال قلت: يا رسول الله إني قد أَجرته، ثم التزمتُ رسولَ الله - ﷺ - فأَخذت برأسه، فقلتُ: والله لا يُناجيه اللَّيْلَة دوني رجلٌ. فلما أَكثر عمر في شأْنه، فقلتُ: مَهْلاً يا عمر، فوالله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلتَ هذا، ولكنك قد عَرَفْتَ أَنه مِنْ رِجَالِ بني عبد مناف؛ فقال: مَهْلاً يا عبّاس، وفي لفظٍ يا أَبا الفضل، فوالله لإِسلامُكَ يومَ أَسلمتَ كان أَحبّ إِليّ من إِسلام الخطّاب لو أَسلم، وما بي إِلا أَني قد عرفتُ أَن إِسلامَكَ كان أَحَبَّ إِلى رسولِ الله - ﷺ - من إِسلام الخطاب لو أَسلم(١).

وذكر ابنُ عقبة، ومحمدٌ بن عمر في موضع آخر: قال العباس، فقلتُ: يا رسولَ الله!! أَبُو سُفْيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبُدَيْل بن ورقاء قد أَجَرْتُهُم، وهم يدخلون عليك، فقالَ رسولُ الله - ﷺ «أَدْخِلْهُم» فدخلوا عليه، فمكثوا عنده عامّة اللّيل يَسْتَخْبِرهم رسول الله - ﷺ - ودعاهم إلى الإِسلام، فقالوا: نشهد أَن لا إِله إلاّ الله، فقالَ رسولُ الله - ﷺ -: «إِشهدُوا أَن لا إِله إِلا الله وأَني رسول الله»، فشهد بُدَيْل، وحكيم بن حزام، وقال: أَبو سفيان: ما أَعلم ذلك، والله إِنَّ في النَّفْس من هذا لشيء بعد، فأَرجئها.

وعند أَبي شيبة عن أَبي سلمة، ويحيى بن عبد الرحمن بن حَاطِب: أَنّه قيل لحكيم بن حزام: بَايِعْ، فقال: أَبايعك ولا أَخر إِلاّ قائِما. فقال رسولُ الله - ﷺ - «أَما مِنْ قَبْلِنا فَلَنْ تخِرَّ إِلا قائِما». انتهى.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٤/٤٧٥.

وقيل لأبي سفيان ذلك، فقال: كيفَ أَصْنَعُ باللّات والعُزّى؟ فقال عمرُ بنُ الخطاب - وهو خارجُ القبَّة: إخرأ عليها، أما والله لو كنت خارج القبة ما قُلتها، فقال أبو سُفْيان: مَنْ هذا؟ قالوا: عمر بن الخطاب قال العبّاس: فقال رسولُ الله - ﷺ -: «اذهب به يَاعَبَّاس إلى رَحْلِك، فإذا أصبحت فأتني به» قال: فذهبت به إلى رحلي.

وعند ابن عقبة، ومحمد بن عمر: فلما أَذَّنَ الصُّبْحُ أَذَّنَ العسكر كلهم: أي أجابُوا المؤذن - ففزع أبُو سُفْيَان من أذانهم، فقال: ما يَصْنَع هَولاَء؟ قال العبَّاس، فقلتُ: الصَّلاَة. قال: كم يُصلون؟ قلتُ: خَمْسَ صَلَواتٍ في اليوم واللَّيلَة، ثم رآهم يتلقَّوْن وضُوء رسول الله - ﷺ - فقال: ما رأيت ملكاً قط كاليوم لا ملك كسرى ولا قيصر، قال العبَّاس: فلمَّا صلَّى رسولُ الله - ﷺ - الصُّبحَ غدوتُ به. وعند ابن عقبة، ومحمد بن عمر: أن أبا سُفيان سأَل العبّاس في دخوله على رسول الله - ﷺ -، وعند ابن أبي شَيْبَةَ عن أبي سلمة، ويحيى بن عبد الرحمن بن حَاطِب: فلمَّا أَصبَحُوا قام المسلمونَ إلى طَهُورهم، فقالَ أَبُو سُفيان: يا أبا الفضل!! مَا للنَّاس أَمروا فيَّ بشيء؟ قال: لا ولكنهم قامُوا إلى الصَّلاة، فأَمره العبَّاس فتوضأَ، وذهبَ به إلى رسول الله - ﷺ - فلمَّا دخلَ رسولُ الله - ﷺ - الصلاةَ كبَّر وكبَّر النّاس، ثم ركع، فركعُوا، ثُمَّ رَفَعَ، فرفعوا، ثم سَجَد فسجدُوا، فقال أَبُو سُفيان: ما رأَيتُ كاليوم طاعة، قوم جمعهم مِنْ ههنا وههنا، ولا فارس الأَكارِم، ولا الرّوم ذات القرون بأَطوع منهم له، يا أَبا الفضل أَصبَح ابنُ أَخيك والله عظيمَ المُلْكِ، فقال العبَّاس: إنه ليس بِمَلِك، ولكنها النبوة، قال: أَو ذاك. قال العبَّاس: فلما فرغَ رسولُ الله - ﷺ - قال: «يَا أَبَا سُفْيَان! أَلم يأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لاَ إله إلاَّ الله؟! قال: بأَبي أَنت وأُمي!! ما أَحلمك وأَكرمك وأَعظم عفوك! إنَّه لو كان مع الله إله لقد أَغنى عَنِّي شَيْئاً بعد، لقد استنصرتُ إلهي، وآستنصرتَ إِلَهَكَ، فَوالله ما لقيتُك مِنْ مرَّة، إلا نُصِرتَ عَلَيَّ، فلو كان إِلهي مُحِقًّا وإلهك مُبطلاً لقد غلبتُكَ، فقال: «ويْحَك يَا أَبَا سُفْيَان أَلَمْ يأْن لك أَن تَعْلَمَ أَنّي رسول الله؟ قال: بأَبي أَنت وأُمي ما أَحلمك وأَكرمك وأَعظم عفوك! أَمَّا هذه فوالله إِنَّ في النَّفْس منها شَيْئاً حتَّى الآن، فقال العبّاس: ويحك! أَسْلِم قبل أَن تُضرب عُنُقك فشهِدَ شهادة الحقّ، فقال: أَشهدُ أَن لا إله إلاَّ الله، وأَشهدُ أَنَّ محمَّداً رسولُ الله. وظاهر كلام ابن عقبة ومحمد بن عمر في مكان آخر أَن أَبا سفيان قال: أَشهد أَن لا إله إلا الله وأَشهد أَن محمدا رسول الله من غير أَن يعرض ذلك عليه أَحدٌ. قال: قال أَبو سفيان، وحكيم بن حزام: يا رسول الله جِئْتَ بأَوباش النَّاس من يُعْرَفُ ومن لا يُعرف إلى أَهلك وعشيرتك! فقالَ رسولُ الله - ﷺ - «أَنْتُم أَظْلَم وَأَفْجَر؛ قَدْ غَدَرْتُم بِعَهْدِ الحُدَيْبِيَة، وظَاهَرْتُم عَلَى بَنِي كَعْب بِالإِثْم والعُدْوَان في حَرمِ الله - تعالى - وَأَمْنِه» فقال حكيم وأَبو سُفيان: صدقت يا رسولَ الله: ثُمَّ قالاَ: يا رسولَ الله!! لو كنت جعلت جِدَّك ومكيدتك لهَوَازِن، فهم أَبْعَدُ رَحماً، وأَشد عداوة لك؟

فقال رسولُ الله - ﷺ -: «إِنِّي لأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْمَعَ لي ذَلِكَ كله. فتح مكة، وإعزاز الإِسْلاَم بها، وهَزِيمة هَوَازِن، وَغَنيمة أَمْوالهم وَذَرَارِيهم؛ فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَى الله - تعالى - في ذلك[1]».

قال ابن عقبة: قال أَبُو سفيان، وحكيم بن حزام: يا رسولَ الله ادعُ النَّاس بالأَمان، أَرأَيت إن اعتزَلَتْ قريشٌ وكفَّتْ أَيديها آمنون هم؟ فقالَ رسولَ الله - ﷺ - «نَعَم» قال العبَّاس، قلتُ: يا رسولَ الله!! قد عرفت أَبا سفيان وجه الشرف والفخر، فآجعل له شيئاً.

وعند ابن أَبي شيبة عن أَبي سلمة، ويحيى بن عبد الرحمن: أَن أَبا بكر قال: يا رسول الله إِن أَبا سُفيان رجلٌ يحبُّ السَّماع؛ يَعْنِي الشَّرَف - انتهى. فقال «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبي سُفْيانَ فَهُو آمن» فقال: وما تَسَعُ داري؟ زاد ابن عقبة «ومَنْ دَخَلَ دارَ حكيم بن حزام فَهُو آمن» ودار أَبي سُفيان بأَعلى مكَّة، ودار حكيم بأَسفلها «ومن أَغلق بابه فهو آمن، ومن دَخَلَ المسجد فهو آمن» فقال أَبُو سُفْيان: وما يسع المسجد؟ قال: «وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَه فَهُو آمن» فقال أَبو سفيان: هذه واسعة[2].

ذكر ارادة أبي سفيان وحكيم بن حزام الانصراف إلى قومهما ليعلماهم بذلك ووقوفهما ليريا جنود الله تبارك وتعالى

قال ابنُ عقبة: لما توجهوا ذاهبين، قال العبَّاس: يا رسول الله إِني لا آمن أَبا سُفيان أَن يرجع عن إِسلامه فاردده حتى يفْقُه، ويرى جنود الله - تعالى - معك.

وروى ابن أَبي شيبة عن أَبي سلمة، ويحيى بن عبد الرحمن بن حَاطب: أَن أَبا سفيان لما وَلَّى، قال أَبو بكر: يَا رسولَ الله، لو أَمرت بأَبي سفيان فحبس على الطريق؟

وقال ابنُ إِسحاق، ومحمد بن عمر: إِنّ أَبا سفيان لَمَّا ذهب لينصرف، قالَ رسولُ الله - ﷺ - لِلْعَبَّاس: «احْبِسْه بِمَضِيق الوَادِي». قال ابن عقبة، ومحمد بن عمر: فأَدركه العبَّاسُ فحبسه، فقال أَبُو سفيان أَغدراً يا بني هاشم؟ فقال العبَّاس: إِن أَهْلَ النُّبوَّةِ لا يغدِرُون. ولفظ ابن عقبة: إِنَّا لَسْنَا بغدر، ولكن أَصْبِح حتَّى تنظر جنود الله، وإِلى ما أَعَدَّ الله للمشركين، قال آبنُ عقبة فحبسهم بالمضيق دون الأَراك إِلى مكَّة حتَّى أَصبحوا.

---

(١) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٠١٧٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٩/٨ وآنظر المجمع ١٧٢/٦ وأخرج صدره مسلم في الجهاد باب (٣١، ٨٤، ٨٦) وأبو داود في الخراج باب (٢٥) وأحمد ٢٩٢/٢، ٥٣٨ والبيهقي ٢٣٤/٦، ١١٧/٩، ١١٨، ١٧١ والطبراني في الكبير ٩/٨ وابن أبي شيبة ٤٧٥/١٤ وعبد الرزاق (٩٧٣٩) والطبراني في الصغير ٧٢/٢ والدارقطني ٦٠/٣ والطحاوي في المعاني ٣٢١/٣، والبيهقي في الدلائل ٣٢/٥، ٣٧، ٥٦.

وروى ابن عساكر عن عطاء قال: لا أَحسبه إِلا رفعه إِلى ابن عباس ـ رضي الله ـ تعالى ـ عنهما ـ قال: قالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ ليلةَ قُربه من مكّة في غزوة الفتح «إِنَّ بمكة لأربعة نفرٍ من قريش أَرْبَأُ بِهِم عن الشِّرْك، وأَرغبُ لهم في الإِسلام» قيل: ومن هُم يا رسولَ الله؟ قال: «عَتَّاب بن أُسَيْد، وجُبَيْر بن مُطْعِم، وحكيم بن حِزَام، وسُهَيْل بن عمرو»[1].

ذكر تعبئة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه رضوان الله عليهم ونزولهم بأبي سفيان، وما وقع في ذلك من الآيات

قال ابنُ عقبة ـ رحمه الله تعالى ـ وأَمر رسولُ الله ـ ﷺ ـ منادياً يُنادي؛ لتصبح كل قبيلةٍ قد أَرْحَلت، ووقفت مع صاحبها عند رايته، وتظهر ما معها من الأَدَاة والعدَّة. فأَصبح النَّاسُ على ظهر، وقدَّم بين يديه الكتائبَ. قالوا: وَمَرَّتْ القبائل على قادتها. والكتائبُ على راياتها.

قال محمد بن عمر: وكان أوّل من قَدَّم رسول الله ـ ﷺ ـ خالد بن الوليد في بني سُلَيم ـ بضم أَوله، وفتح ثانيه، وسكون التحتية، وهم أَلف، ويقالُ: تسعمائة، ومعهم لواءان وراية، يحمل أَحد اللواءين العباسُ بن مِرْدَاس بكسر الميم، والآخر يحمله خُفَاف ـ بخاء معجمة مضمومة ـ بن نُدبة ـ بنون مضمومة، فدال مهملة ـ ويحمل الراية الحجاج بن عُلاَط ـ بعين مضمومة فطاء مهملتين، فلمّا مرّوا بأَبي سُفيان، كبَّرُوا ثلاث تكبيرات، ثم مضوا، فقال أَبو سُفيان: يا عبّاس!! من هولاَء؟ فقال: هذا خالدُ بن الوليد، قال: الغلام؟ قال: نعم قال: ومن معه؟ قال: بنو سُليم، قال: ما لي وبني سُلَيم!

ثم مَرَّ على أَثَرِه الزُّبير بن العوّام في خمسمائة من المهاجرين وَأَفْنَاء العرب، ومعه رايةٌ سوداء. فلما مَرُّوا بأَبي سُفْيان كبَّرُوا ثلاثاً، فقال أَبو سُفْيان: مَنْ هَؤلاَءِ؟ قال: هذا الزّبير بنُ العوَّام، قال: آبن أُختك؟ قال: نعم، ثم مَرَّت بَنُو غِفَار ـ بكسر الغين المعجمة ـ في ثلاثمائة، يحمل رايتهم أَبو ذَرٍّ، ويقال: إِيماء ـ بكسر الهمزة، وفتحها، وسكون التحتية؛ ممدود مصروف، وقد يقصر مع الفتح ـ بن رَحضَة ـ بحاء، فضاد معجمة مفتوحات، وَأَجاز ابن الأَثير: سكون الحاء، وآقتصر النَّوَوِيُّ على الفتح، وقال السهيلي: بضم الرّاء ـ فلمَّا حاذوه، كبَّرُوا ثَلاثاً، فقال أَبو سُفْيَان مَنْ هؤلاء؟ قال: بنو غِفار، قال: مالي ولبني غِفَار؟ ثم مرت أَسلم في أَربعمائة، فيهما لواءان يحملُ أَحدهما بُرَيْدَة ـ بلفظ تصغير البرد ـ بن الحُصَيب ـ بضم الحاء، وفتح الصاد المهملتين، فتحتية فموحدة ـ والآخر ناجية ـ بالنون، والجيم ـ بن الأَعجم، فلما حاذوه كبّرُوا

---

(١) أخرجه آبن عساكر كما في التهذيب ٤/٤١٩، والحاكم ٣/٥٩٥.

ثلاثاً، فقال: من هؤلاء؟ قال العباس: أَسلم، قال: مالي ولأَسلم؟ ثم مرت بنو كَعْب بن عمرو في خمسمائة، يحمل رايتهم بُسْر ـ بضم الموحدة، وسكون السين المهملة ـ بن سفيان فلما حاذوه، كبّرُوا ثَلاَثاً، فقال: مَنْ هؤلاء؟ قال العباس: بنو عمرو بن كعب بن عمرو، إِخوة أَسلم، قال: نعم، هؤلاء حلفاء محمد، ثم مرت مُزَيْنَة ـ بضم الميم، وفتح الزاء، في أَلفٍ فيها ثلاثة أَلوية ومائة فرس، يحمل أَلويتها النعمان بن مُقْرِن ـ بضم الميم، وسكون القاف، [وبالراء] والنون، وعبد اللّه بن عمرو بن عوف، وبلال بن الحارث، فلما حاذوه كبّروا ثلاثاً، قال: من هؤلاء؟ قال: العباس: مُزَيْنَة، قال: مالي ولمزينة؟ قد جاءتني تقعقع مِنْ شواهقها، ثم مرَّت جُهَيْنَة ـ بضمِّ الجيم، وفتح الهاء وسكون التحتيَّة، وبالنُّون ـ في ثمانمائة، فيها أَربعة أَلْوِيَة، يحملها أَبو رَوْعة ـ بفتح الراء، وسكون الواو ـ معبد بن خالد، وسويد بن صخر، ورافع بن مَكِيث ـ بفتح الميم، وكسر الكاف، وبالمثلثة ـ وعبد اللّه بن بدر ـ بالموحدة ـ فلما حاذوه كبَّرُوا ثلاثاً، فقال مَنْ هؤلاء؟ قال: جُهَيْنَة، قال: مالي ولجُهَيْنَة؟ ثم مَرَّتْ كِنَانة ـ بكسر الكاف ـ بنو ليث وضَمْرَة، وسعد بن بكر في مائتين، يحمل لواءهم أَبو واقد ـ بالقاف ـ اللَّيثي، فلمَّا حاذوه كَبَّروا ثلاثاً، فقال: مَنْ هؤلاء؟ قال العبَّاس: بَنُو بكر، قال: نعم، أَهل شُؤْم واللّه! هؤلاء الَّذِين غزانا محمَّدٌ بسببهم، قال العبَّاس: قد خَارَ الله ـ تعالى ـ لكم في غَزْوِ محمد ـ ﷺ ـ أَتاكم أَمنكم، ودخلتم في الإِسْلام كَافة، ثم مَرَّت أَشجع ـ بالشين المعجمة، والجيم ـ وهم آخر من مَرّ، وهم ثلاثمائة معهم لواءان، يحمل أَحدهما معقل ـ بالعين المهملة، والقاف ـ ابن سنان، والآخر: نعيم بن مسعود. فَلَمَّا حاذوه كَبَّرُوا ثلاثاً قال أَبُو سفيان: من هؤلاء؟ قال العبَّاس: هؤلاء أَشجع، قال أَبو سفيان: هؤلاء كانُوا أَشدّ العرب على محمد، قال العبَّاس وأَدخل الله ـ تعالى ـ الإِسلامَ في قلوبهم، فهذا فضلٌ من الله، ثم قال أَبُو سُفيان: أَبَعْدُ ما مضى محمد؟ فقال العبَّاس: لا، لم يمض بعد، لو أَتت الكتيبة التي فيها محمد رأَيت فيها الحديدَ والخيل والرجال، وما ليس لأَحدٍ به طاقة، قال: ومن له بهؤلاء طاقة؟ وجعل الناسُ يمرّون، كل ذلك يقولُ أَبُو سُفيان ما مرّ محمد؟ فيقولُ العبَّاسُ: لا، حتَّى طلعت كتيبةُ رسولِ الله ـ ﷺ ـ الخضراء الَّتي فيها المهاجرُون والأَنصار، وفيها الرَّيات والأَلوية، مع كلّ بطنٍ من بُطون الأَنْصَار لواء وراية، وهم في الحديد لا يُرَى منهم إِلا الحَدَق، ولِعُمَر بن الخطاب ـ رضي ا لله عنه ـ فيها زَجَل بصوتٍ عال وهو يَزَعُهَا ويقولُ: رويداً حتى يلحق أُولكم آخركم ـ يقال: كان في تلك الكتيبة أَلفا دارع، وأَعطى رسولُ الله ـ ﷺ ـ رايته سعدَ بن عُبَادة، فهو أَمام الكتيبة، فلما مَرَّ سعدٌ برايةِ رسول الله ـ ﷺ ـ نادى أَبا سفيان فقال: اليومُ يومُ الملحمة، اليومُ تُسْتَحَلُّ الحرمة اليومُ أَذَلَّ الله قريشا قال أَبو سفيان: يا عباس، حبَّذَا يوم الذِّمَار. فمرت القبائِل، وطلع رسول الله ـ ﷺ ـ وهو على ناقته القَصْوَاء. قال محمد بن عمر: بينَ أَبي بكر

الصِّدِّيق، وأُسَيْد بن الحُضير - وهو يحدثهما - فقال العبَّاس: هذا رسولُ الله - ﷺ[(١)].

وفي الصحيح عن عُرْوَة أَنَّ كتيبة الأَنْصارِ جاءت مع سعد بن عُبادة، ومعه الرَّاية، قال: ولـم يُرَ مثلها، ثم جاءت كتيبةٌ هي أَقل الكتَائِب، فيهم رسولُ الله - ﷺ - وأَصحابه، وراية رسولِ الله - ﷺ - مع الزُّبير، قال في العُيُون: كذا وقع عند جميع الرّواة. ورواه الـحُمَيْدِيُّ في كتابه: هي أَجلّ الكتائب، وهو الأَظهر انتهى.

فقال أَبُو سفيان: لقد أَصْبَحَ مُلكُ ابن أَخيك اليوم عظيما قال العباس: قلت: يا أَبا سفيان إِنها النُّبُوّة، قال: فنعم إِذاً[(٢)].

وروى الطبراني عن العباس - رضي الله عنه - قال: لـمّا بعث رسولُ الله - ﷺ - قلتُ لأَبي سُفيانَ بن حرب: أَسلم بنا، قال: لا والله حتَّى أَرى الـخيْل تطلعُ من كَدَاء، قال العباس: قلتُ ما هذا؟ قال شيء طلع بقلبي، لأَنَّ الله لا يطلع خيلا هُناك أَبدا، قال العبَّاس: فلما طلع رسولُ الله - ﷺ - من هناك ذكَّرتُ أَبا سفيان به فذكره[(٣)].

فلما مَرَّ رسولُ الله - ﷺ - بأَبي سفيان، قال: يا رسول الله أمرت بقتل قومك؟! أَلـمْ تعلمْ ما قال سعدُ بنُ عبادة قال: «ما قال» قال: كذا وكذا، وإِني أَنشدك الله في قومك، فأَنت أَبرّ الناس، وأَوصل الناس، وأَرحم الناس، فقال رسولُ الله - ﷺ - «كَذَبَ سَعْد يَا أَبا سُفْيَان، اليوم يوم المرحمة، اليوم يوم يُعظم الله فيه الكعبة، اليوم يوم تُكْسَى فيه الكعبة، اليوم يوم أَعز الله فيه قريشاً».

وعند ابن إِسحاق: أَن سَعْداً لما قال ما قال، سمعه رَجُلٌ مِنَ المهاجرين، قال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله ما نأمن أَن يكون له في قريش صَوْلَة: وآستبعد ذلك الحافظ من عمر هنا لكونه كان معروفاً بشدة البأس عليهم.

وعند محمد بن عمر: أَن عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، قالا ذلك لرسول الله - ﷺ.

وقال ضِرارُ - بضادٍ معجمة - بن الخطاب الفهري - فيما ذكره محمد بن عمر، وأَبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد الأَموي - شعراً يستعطف رسول الله - ﷺ - على أَهل مكة حين سمع قول سعد، قال أَبو الربيع وهو من أَجود شعر قاله.

---

(١) أَخرجه آبن عبد البر في الدرر (٢١٦) والبيهقي في الدلائل ٣٨/٥ وابن كثير في البداية ٢٩٠/٤.

(٢) انظر المجمع ١٧٣/٦.

(٣) انظر المصدر السابق.

وعند ابن إسحاق وعند ابن عساكر من طريق أبي الزبير عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن امرأة من قريش عارضت رسولَ الله ـ ﷺ ـ بهذا الشِّعر، فكأنّ ضِرَاراً أرسل به المرأة ليكون أبلغ في انعطاف رسولِ الله ـ ﷺ ـ على قريش:

يَا نَبِيَّ الهُدَى إِلَيْكَ لَجَا ... حَيُّ قُرَيْشٍ وَلاَتَ حِينَ لَجَاءِ
حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ سَعَةُ الأَرْ ... ضِ وَعَادَاهُمْ إِلَهُ السَّمَاء
وَالتَقَتْ حَلْقَتَا البِطَانِ عَلَى القَوْ ... مِ وَنُودُوا بِالصَّيْلَمِ الصَّلْعَاء
إِنَّ سَعْداً يُرِيدُ قَاصِمَةَ الظَّهْـ ... رِ بِأَهْلِ الحَجُونِ وَالبَطْحَاء
خَزْرَجِيٌّ لَوْ يَسْتَطِيعُ مِنَ الغَيْـ ... ظِ رَمَانَا بِالنَّسْرِ وَالعَوَّاء
وَغِرُ الصَّدْرِ لاَ يَهُمُّ بِشَيءٍ ... غَيْرَ سَفْكِ الدِّمَا وَسَبْيِ النِّسَاء
قَدْ تَلَظَّى عَلَى البِطَاحِ وَجَاءَتْ ... عَنْهُ هِنْدٌ بِالسَّوْءةِ السَّوْآء
إِذْ يُنَادِي بِذُلِّ حَيِّ قُرَيْشٍ ... وَابْنُ حَرْبٍ بِذَا مِنَ الشُّهَدَاء
فَلَئِنْ أَقْحَمَ اللِّوَاء وَنَادَى ... يَا حُمَاةَ الأَدْبَارِ أَهْلَ اللِّوَاء
ثُمَّ ثَابَتْ إِلَيْهِ مِنْ بُهَمِ الخَزْ ... رَجِ وَالأَوْسِ أَنْجُمُ الهَيْجَاء
لِتَكُونَنَّ بِالبِطَاحِ قُرَيْشٌ ... فِقْعَةُ القَاعِ فِي أَكُفِّ الإِمَاء
فَانْهَيَنْهُ فَإِنَّهُ أَسَدُ الأُسْـ ... دِ لَدَى الغَابِ وَالِغٌ فِي الدِّمَاء
إِنَّهُ مُطْرِقٌ يُرِيدُ لَنَا الأَمْـ ... رَ سُكُوتاً كَالحَيَّةِ الصَّمَّاء

فأرسل رسولُ الله ـ ﷺ ـ إلى سعد، فنزع اللواء من يده، وجعله إلى ابنه قيس بن سعد، ورأى رسولُ الله ـ ﷺ ـ أن اللواء لم يخرج من يَدِ سعد، حتى صار إلى ابنه.

قال محمد بن عمر: فأبى سعد أن يسلم اللِّوَاء إلاّ بأمارةٍ مِنْ رسولِ الله ـ ﷺ ـ فأرسلَ النَّبيُّ ـ ﷺ ـ بعمامته، فدفع اللِّواء إلى ابنه قيس، ويقال: إنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ أمر علياً فأخذ الرَّاية، فذهب بها إلى مكة حتى غرزها عند الركن.

قال أبو عمر ـ رحمه الله تعالى ـ: قد رُوِيَ أنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ أعطى الرَّايةَ للزبير إذْ نزعها من سعد.

وروى أبو يعلى عن الزبير ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن رسولَ الله ـ ﷺ ـ دَفَعَها إليه فدخل بلواءين، وبه جزم موسى بن عقبة(١).

قال الحافظ: والذي يظهر في الجمع أنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ أرسل عليًا لينزعها، وأن

(١) انظر المصدر السابق.

يدخل بها. ثم خَشِيَ تغيّر خاطر سعد، فأمر بدفعها لابنه قيس، ثم إنَّ سعداً خشي أَن يقع من ابنه شيء يكرهه رسول الله - ﷺ - فسأل رسولَ الله - ﷺ - أَن يأخذها، فحينئذٍ أَخذها الزبير، ويؤيّد ذلك ما رواه البزار بسند على شرط البخاري عن أَنَسٍ - رضي الله عنه - قال: كان قيسٌ في مقدمة رسول الله - ﷺ - لَـمّا قَدِمَ مكة، فكلم سعدٌ النبي - ﷺ - أَن يصرفه عن المَوْضِع الذي هو فيه مخافة أَن يقدم على شيء فصرفه عن ذلك. انتهى.

وروى ابن أَبي شيبة عن أَبي سَلَمة، ويحيى بن عبد الرحمن بن حَاطِب، والطبراني عن عُرْوة: أَن العبّاس قال: يا رسولَ الله!! لو أَذنت لي فأَتيتهم. أَي أَهل مكة - فدعوتهم فأَمنتهم، فركبَ العباسُ بغْلَةَ رسولِ الله - ﷺ - الشهباء، وانطلق، فقال رسولُ الله - ﷺ: «ردُّوا عَليَّ أَبِي، رُدُّوا عَلَيَّ أَبي، فإن عَمَّ الرجل صِنْوُ أَبيه - «إِني أَخافُ أَن تَفْعَل بِهِ قُرَيْشٌ مَا فَعَلَت ثَقِيفٌ بِعُرْوَةَ بن مسعود؛ دَعَاهُم إِلى الله - تعالى - فَقَتَلُوه، أَما والله لَئِن رَكِبُوهَا مِنْه لأَضْرِمَنَّها عليهِمْ نَاراً» فكره العباسُ الرجوع، وقال: يا رسولَ الله، إِن تُرْجع أَبا سفيان راغبا في قلَّةِ النَّاس، فيكفر بعد إِسلامه فقال «احْبسه» فَحَبَسَه، فذكر عرْضَ القبائل ومرورها بأَبي سفيان، وفيه فقال أَبو سفيان: امض يا عبّاس. فانطلق العباسُ حتى دخل مَكَّة فقال: يا أَهل مكة!! أَسْلِموا تَسْلَمُوا قد استبطنتم بأَشهب بازل[1]. انتهى.

وفي حديث عُرْوَة عند الطبراني: وكفهم الله عزّ وجل - عن العباس - انتهى. قال العبّاس، فقلت لأَبي سفيان بن حرب: أَنْجُ ويحك - فأَدرك قومَك قبل أَن يدخل عليهم رسول الله - ﷺ - فخرج أَبو سفيان، فتقدّم الناس كلَّهم حتَّى دخل مكّةَ من كداء فصرخ بأَعلى صوته: يَامَعْشَرَ قُريش، هذا محمد قد جاءكم بمَا لا قِبَل لكم به، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، مَنْ دخل دَارَ أَبي سُفيانَ فهو آمن. قالُوا: قاتلك الله! وما تُغْنِي دارك؟! قال: وَمَنْ أَغْلَق بابَه فهو آمن، ومَنْ دخل المسجد فهو آمن. فقامت إِليه هندُ بنتُ عُتْبَة زوجتُه، فأَخذت بشاربه، وقالت: أَقْتُلُوا الحَمِيتَ الدَّسِم الأَحْمَس، قُبِّحَ مِنْ طلِيعَةِ قَوْمٍ. فقالَ أَبُو سُفيان: ويلكم! لا تغرنّكم هذه مِنْ أَنفسكم، فإِنّه قد جاءكم مالا قِبَلَ لكم به.

ذكر من أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقتله يوم الفتح، ولا يدخل فيما عقد من الأمان

وهم: عبد العزى ابن خَطَل - بفتح الخاء المعجمة، والطّاء المهملة، وآخره لام وكان قد أَسلم، وسماه رسولُ الله - ﷺ - عبد الله وهاجر إِلى المدينة، وبعثه رسولُ الله - ﷺ -

(١) ابن أبي شيبة ٤٨٤/١٤ والطحاوي في معاني الآثار ٣١٥/٣ وابن عساكر كما في التهذيب ٢٣٦/٧.

سَاعِياً، وبعثَ معه رَجُلاً مِنْ خُزَاعة، وكان يصنع له طعامه ويخدمه فنزلا في مجمع - والمجمع حيث تجتمع الأعراب يؤدون فيه الصدقة - فأمره أن يصنع له طعاماً، ونام نصف النهار، واستيقظَ، والخزاعي نائم، ولم يصنع له شيئاً، فَعَدَى عليه فضربه فقتله، وارتدَّ عن الإسلام، وهربَ إلى مكة، وكان يقول الشعرَ يهجو به رسول الله - ﷺ - وكان له قينتان، وكانتا فاسقتين، فيأمرهما ابن خَطَل أن يغنيا بهجاء رسولِ الله - ﷺ.

وعن أنس قال: دَخَلَ رسولُ الله - ﷺ - مكة يومَ الفتح على رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجلٌ فقال: ابن خَطَل متعلّق بأستار الكعبة، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «اقتُلُوه» رواه الإمام مالك والشّيخان(١).

قال محمد بن عمر(٢): لَمَّا دخل رسولُ الله - ﷺ - إلى ذِي طُوىً، أقبل ابنُ خَطَلٍ مِنْ أعلى مكة مُدَجَّجاً في الحديد على فرس وبيده قناة، فَمَرَّ ببنات سعيد بن العاص فقال لهن: أما والله لا يدخلها محمدٌ حتى تُرَيْنَ ضربا كأفواه المزاد، ثم خرج حتى انتهى إلى الخَنْدَمة، فرأى خَيْلَ الله، ورأى القتال فدخله رُعْبٌ، حتَّى ما يَسْتَمْسِكُ مِنَ الرّعدة، فرجع حتَّى انتهى إلى الكعبة، فنزل عن فرسه، وَطَرَحَ سِلاَحَه وأتى البيت فدخل تحت أستاره، فأخذَ رَجُلٌ من بني كعبٍ سِلاَحَه وَأَدْرَكَ فرسه عَائِراً فاستوى عليه، ولحق برسولِ الله - ﷺ بالحجُون.

وعبد اللّه بن سعد بن أبي سَرْح - بفتح السّين، وإسكان الرّاء، وبالحاء المهملات - كان أسْلَم، ثمّ ارتد، فشفع فيه عُثمانُ يومَ الفتح، فحقن دمه، وأسلم بعد ذلك فقبل إسلامه، وحَسُنَ إِسْلاَمُه بعد ذلك، وَوَلاَّه عمرُ بعْضَ أَعماله، ثُمَّ وَلاَّه عُثمان، ومات وهو ساجد في صَلاَةِ الصُّبح، أو بعدَ انْقِضَائها، وكان أحد النُّجباء الكرماء العُقلاء من قريش، وكان فارس بني عامر بن لؤي المقدم فيهم، وسيأتي خبره مبسوطاً في أبواب كتّابه - ﷺ.

وعكرِمَة بن أبي جهل، أسلم فَقُبِل إسلامه.

والحُوَيْرث - بالتصغير - بن نُقَيْدر بضم النون، وفتح القاف، وسكون التّحتية، فدال مهملة، فراء مهملة، كان يُؤذِي رسولَ الله - ﷺ - ونَخس بزينب بنت رسول الله - ﷺ - لما هَاجرَت إلى المدينة، فأهدر دمه. فبينما هو في منزله قد أغلق عليه بابه، فسأل عنه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقيل هو بالبادية، فأُخبِر الحويرث أنّه يُطْلَب، فَتَنَحى عَلِيٌّ عن بابه، فخرج الحويرث يريد أن يَهْرب من بَيْتٍ إلى آخر، فَتَلَقَّاه عليٌّ، فضرب عنقه.

(١) أخرجه البخاري ٥٩/٤ (١٨٤٦، ٤٢٨٦)، ومسلم ٩٨٩/٢ (٤٥٠/١٣٥٧).
(٢) انظر المغازي ٨٢٧/٢.

قال ابن هشام: وكان العباسُ بنُ عبد المطلب حمل فاطمة، وأُم كلثوم بنتي رسولِ الله - ﷺ - مِنْ مَكَّة يُرِيدُ بهما المدينة، فَنَخَسَ بِهِمَا الحويرثُ فرمى بهما الأَرض.

قال البلاذري - رحمه الله تعالى - وكان يُعْظِمُ القولَ في رسولِ الله - ﷺ، وينشدُ الهجاء فيه، ويكثرُ أذاه وهو بمكة.

ومِقْيَس. بميم، فقاف، فسين مهملة - بنُ صُبَابَة، بصادٍ مهملة، وموحدتين، الأُولى خفيفة -، كان أَسلم، ثم أَتى على رجلٍ من الأَنصار فقتله، وكان الأَنصاري قتل أَخاه هِشَاماً خَطأً في غزوة ذي قَرد، ظَنَّه مِن العدوّ، فجاء مِقْيَس، فأَخذ الدِّية، ثم قَتَلَ الأَنْصَاري، ثم ارتد، فقتله نُمَيْلَة - تصغير نملة - بن عبد اللّه يوم الفتح.

وهَبَّار - بفتح الهاء، وتشديد الموحدة بن الأَسود، أَسلم، وكان قَبْلَ ذَلك شديدَ الأَذى للمسلِمين، وعرَضَ لزينبَ بنت رسول الله - ﷺ - لَمَّا هاجرت فنخسَ بها، فأسقطت، ولم يزل ذلك المرضُ بها حتَّى ماتت، فَلَمَّا كان يومُ الفتح، وبلغه أَنَّ رسولَ الله - ﷺ - أَهْدَرَ دَمَه، فَأَعلن بِالإِسلام، فقبله منه رسولُ الله - ﷺ - وعَفَا عنه.

والحُوَيْرث بن الطلاطل الخُزَاعي، قتله عليٌّ - رضي الله عنه - ذكره أَبو معشر.

وكعب بن زهير، وجاء بعدَ ذلك فأَسلم، ومَدَحَ. ذكرَهُ الحاكمُ.

ووحْشِيٌّ بن حرب، وتقدَّم شأْنه في عزوة أُحد، فَهَرَبَ إِلى الطائف، فلما أَسلم أَهلها جاء فأَسلم.

وسارةُ مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، وكانت مغنِيةً نوَّاحةً بمكة، وكانت قَدِمَتْ على رسول الله - ﷺ - قبل الفتح، وَطَلَبَتْ منه الصِّلة وشكت الحاجة، فقالَ رسولُ الله - ﷺ «ما كان في غنائِك ما يُغْنيك؟» فقالت: إِنَّ قُرَيْشاً منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء، فوصلها رسول الله - ﷺ - وأَوقر لَهَا بَعيراً طعاماً، فرجعت إِلى قريش. وكان ابنُ خَطَلٍ يُلقي عليها هِجَاء رسولِ الله - ﷺ - فتغني به. وهي التي وُجِدَ معها كتابُ حَاطِب ابن أَبي بَلْتَعَة، فأَسلمت وعاشت إِلى خلافة عمر بن الخطاب

وهند بنت عُتْبَة آمرأَةُ أَبي سفيان بن حرب، وهي الَّتي شقَّت عن كَبدِ حَمْزَة بن عبد المطَّلب عمّ رسول الله - ﷺ - فأَسلمتْ، فَعَفَا عنها.

وأَرنب مولاة ابن خَطَل، وقينتان لابن خطَل، كانتا تغنيان بهَجْو رسول الله - ﷺ - اسم إِحداهما فَرْتَنَى - بفتح الفاء، وسكون الرّاء وفتح الفوقية، فنون، فأَلف تأْنيث مقصورة، والأُخرى قَرِيبَة - ضدّ بعيدة، ويقال: هي أَرنب السابقة، فاستؤمن لإِحداهما فَأَسلمت، وقتلت الأُخرى،

وذكر عن ابن إسحاق أن فَرْتَنَى هي التي أسلمت، وأن قَرِيبة قتلت.

وأم سعد قتلت فيما ذكره ابنُ إسحاق، ويحتمل كما قال الحافظ ـ رحمه الله ـ تعالى ـ أَن تكون أَرنب، وأُم سعد القينتان. وآختلف في اسمِهما بآعتبار الكُنيةِ واللَّقب.

ذكر دخوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة وارسال طائفة من أصحابه أمامه وارادة بعض المشركين صدهم عن دخولهم، وقتل المسلمين لهم

قال ابنُ إسحاق ـ رحمه الله تعالى ـ وغيرُه: لَمَّا ذَهَبَ أَبو سفيان إلى مكة بعد ما عاين جنودَ الله ـ تعالى ـ تمرّ عليه، فآنتهى المسلمون إلى ذي طوًى، فوقفوا ينتظرون رسولَ الله ـ ﷺ ـ حَتَّى تلاحَقَ النَّاسُ، وأَقبلَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ في كتيبته الخضراء، وهو على ناقته القصواء، مُعْتَجرا بشقّ بُرد حِبَرة حمراء.

وعن أَنسٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: لَمَّا دَخَلَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ استشرفه الناسُ، فَوَضَع رأْسه على رحله متخشِّعاً، رواه الحاكم بسندٍ جيّد قويٍّ، ورواه أَبو يَعْلَى من طريق آخر(١)، وعن أَبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: دخل رسول الله ـ ﷺ ـ يومئذ وعليه عمامة سوداء، ورايتهُ سوداء، ولواؤه أَسود حتَّى وقف بذي طوًى، وتوسَّطَ الناس، وإنَّ عُثْنُونَهُ ليَمَسّ واسطة رحله، أَو يَقْرُبُ منها تواضُعاً لله عزّ وجلّ حين رأَى ما رأَى مِنْ فتح الله تعالى، وكثرة المسلمين، ثم قال: «اللَّهُم إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الأَخِرَةِ» قال: وجعلت الخيلُ تمعج بذي طُوى في كل وَجْه، ثُمَّ ثابت وسكنت حين توسطهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ رواه محمد بن عمر(٢).

وعن أَنسٍ ـ رضي الله تعالى عنه: أَنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ دخل مكَّة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام، رواه الإمام أَحمد، ومُسلم، والأَربعة(٣).

وعن عمرو بن حريث ـ رضي الله عنه قال: كأَني أَنظر إلى رسول الله ـ ﷺ يومَ فتح مكَّةَ، وعليه عِمَامَةٌ سوداء خَرْقَانِيَّة، وقد أَرخى طرفها بين كتفيه، رواه مسلم(٤)، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: دخلَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ يومَ الفتح من كَدَاء من أَعلى مكة، رواه البخاري، والبيهقيُّ.

وعن جابرٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: كان لواء رسول الله ـ ﷺ ـ يومَ دخل مكة أَبيض، رواه الأَربعة(٥).

---

(١) الحديث عند ابن عدي في الكامل ٥٧١/٤، وانظر المجمع ١٩٦/٦.

(٢) ابن سعد ١٨٠/١/٣.

(٣) مسلم ٩٩٠/٢ (١٣٥٨/٤٥١)، والبيهقي في الدلائل ٦٧/٥ وابن أبي شيبة ٢٣٤/٨.

(٤) أخرجه مسلم ٩٩٠/٢ (١٣٥٩/٤٥٣).

(٥) البخاري ٦١١/٧ (٤٢٩٠).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان لواء رسولِ الله ـ ﷺ ـ يومَ الفتح أَبيض، ورايته سوداء تُسَمَّى العُقَاب، وكانت قطعة مِرْط مُرَحّل، رواه ابن إسحاق(١).

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: لَمَّا دخل رسولُ الله ـ ﷺ ـ مكة عام الفتح، رأَى النِّساء يَلطِمْنَ وُجُوهَ الخيل بالخُمُر، فتبسّم إِلى أَبي بكرٍ، فقال: «يا أَبا بكر كيف قال حسان» فأَنشده أَبو بكر، قول حسَّانٍ ـ رضي الله عنهما:

عَـدِمْـتُ بُنَـيَّـتِـي إِنْ لَـمْ تَـرَوْهَـا ... تُـثِـيـرُ النَّـقْـعَ مِـنْ كَـتِـفِـي كَـدَاءُ
يُـنَـازِعْـنَ الأَعِـنَّـةَ مُـشْـرَجَـاتٍ ... يُـلَـطِّـمُـهُـنَّ بـالـخُـمُـرِ الـنِّـسَـاءُ

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ادخلوها من حيث قال حسّان»(٢).

وفي الصحيح وغيره عن عروة: «أَن رسول الله ـ ﷺ ـ أَمر الزُّبَير بن العوّام أَن يَدْخُلَ مِنْ كَدَاء من أَعلى مكة، وأَن يغرز رايته بالحَجُون، ولا يبرح حَتَّى يأْتيه»(٣). وفي الصحيح أَيضاً عن العبَّاس أَنَّه قال للزبير بن العَوَّام: يا أَبا عبد اللّه هَاهُنَا أَمرك رسولُ الله ـ ﷺ ـ أَن تركز الراية؟ قال: نعم(٤).

قال: وأَمَرَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ خَالِدَ بنَ الوليد ـ وكان على المُجَنّبَةِ اليُمْنى، وفيها أَسْلَم، وسُلَيم، وغِفَار، ومُزَيْنَة، وجُهَيْنة، وقبائل مِنَ العرب ـ أَن يدخلوا من اللِّيط، وهو أَسفل مكة، وأَمره أَن يغرز رايته عند أَدنى البيوت

وأَمَّر أَبا عبيدة بن الجراح ـ رضي الله عنه ـ على الحُسَّر، كما عند الإِمام أَحمد.

وفي صحيح مسلم(٥) عن عبد اللّه بن رباح أَن أَبا عبيدة كان على البياذقة، يعني الرجالة.

وعند ابن إِسحاق وعبد اللّه بن أَبي نجيح أَن أَبا عبيدة بن الجراح أَقبل بالصَّفِ من المسلمين يَنْصَبُّ لمكة بين يدَّي رسول الله ـ ﷺ ـ.

قالُوا: وأَمر رسولُ الله ـ ﷺ ـ أُمَرَاءه أَن يكفوا أَيْدِيَهم، ولا يقاتلُوا إِلاَّ مَنْ قاتلهم، قال ابن إِسحاق، ومحمد بن عمر رحمهما الله تعالى: إِنّ صَفْوَان بنَ أُمَيّة وعِكْرِمة بن أَبي جَهْل، وسُهَيْلَ بن عمر، ـ وأَسلموا بعد ذلك ـ دَعوا إِلى قتال رسول الله ـ ﷺ ـ وَجَمَعُوا أُنَاساً

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد باب (٧٦)، والحاكم ١٠٤/٢ وابن ابي شيبة ٥١٤/١٢، والبيهقي ٣٩٢/٦.
(٢) البيهقي في الدلائل ٦٦/٥ والطحاوي في المعاني ٢٩٦/٤.
(٣) أخرجه البخاري ٥٩٨/٧ (٤٢٨٠).
(٤) انظر المصدر السابق.
(٥) مسلم في الجهاد (٨٦).

بالخَنْدَمَة وضوى إليهم ناسٌ مِنْ قريش، وناسٌ من بني بكر، وهُذَيْل، ولبسوا السلاح، يُقْسِمُون بالله لا يَدْخُلها محمد عَنْوةً أبدا، وكان رجل من بني الدِّيل يقال له جِمَاش - بكسر الجيم وتخفيف الميم - وبالشين المعجمة - بن قَيْس بن خالد لَمَّا سَمعَ بدخول رسولِ الله - ﷺ - جعل يُصْلِحُ سلاَحه، فقالت له امرأَتُه: لمن تُعِدُّ هذا؟ قال: لمحمد وأَصْحَابه، قالت: والله ما أرى يَقُومُ لمحمد وأَصحابه شيء. قال: والله إني لأَرجو أن أُخْدِمَكِ بَعْضَهُم فإنّك محتاجةٌ إليه قالت: وَيْلَكَ: لا تفعل، ولا تقاتل محمدا والله ليَضُلن عنك رأْيُك، لو قد رأَيتَ محمداً، وأَصحابَه، قال ستري ثم قال:

إِنْ يُقْبِلُوا اليَوْمَ فَمَالِي عِلَّهْ ... هَذَا سِلاَحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهْ

وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّهْ

ثم شهد الخَنْدَمَة مع صَفْوَان، وسُهَيْل بن عمرو، وعِكْرِمة، فلما دخل خالدُ بنُ الوليد من حيث أَمره رسولُ الله - ﷺ - وجد الجمعَ المذكور، فمنعوه الدُّخولَ، وشهرُوا له السّلاح، ورموه بالنبْلِ، وقالُوا: لا تدخلها عَنوةً، فصاح في أَصحابه فقاتلهم، وقُتِلَ منهم أَربعة وعشرون رجلاً مِنْ قُرِيش، وأَربعةٌ من هُذَيل.

وقال ابن إسحاق: أُصيبَ مِنَ المشركين قريبٌ من آثني عشر أَو ثلاثة عشر، وآنهزموا أَقبح الانهزام، حتَّى قتلوا بالحَزْوَرة، وهم مُوَلُّون في كُلِّ وَجْه، وآنطلقَتْ طائفةٌ منهم فوق رؤُوس الجبال، وأَتبعهم المسلمون.

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - وجعل خَالِدُ - رضي الله عنه - يتمثَّلُ بهذه الأَبيات:

إِذَا مَا رَسُولُ اللهِ فِينَا رَأَيْتُهُ ... كَلُجَّةِ بَحْرٍ نَالَ فِيهَا سَرِيرُهَا

إِذَا مَا ارْتَدَيْنَا الفَارِسِيَّةَ فَوْقَهَا ... رُدَيْنِيَةٌ يَهْدي الأَصَمَّ خَرِيرُهَا

رَأَيْنَا رَسُولَ اللهِ فِينَا مُحَمَّدَا ... لَهَا نَاصِراً عَزَّتْ وَعَزَّ نَصِيرُهَا

قال ابن هشام: وكان شِعارُ المهاجرين من أَصحاب رسول الله - ﷺ - يومَ فتح مكَّة وحُنَين والطَّائف: يا بَني عبد الرحمن، وشِعَارُ الخَزْرَج: يا بني عبد اللّه، وشِعَارُ الأَوْس: يا بني عُبيد اللّه.

وجعل أَبُو سفيان بن حرب وحكيم بن حِزَام يصيحان يا معشر قريش عَلاَم تَقْتُلُون أَنْفُسَكُم؟! مَنْ دَخَلَ داره فهو آمن، وَمَنْ وضَعَ السّلاحَ فهو آمن، فجعل النَّاسُ يقتحمون الدُّور ويَغْلِقُون عليهم، ويطرحون السّلاح في الطُّرق حَتَّى يأْخذه المسلمُون، ورجع جِمَاش مُنْهَزِماً حتى انتهى إلى بيته، فَدَقَّه، ففتحت له آمرأَته، فدخل وقد ذهبت روحه، فقالَتْ له: أَين الخادم

الذي وعَدْتَني؟ ما زلتُ منتظرةً لك منذ اليوم - تسخر منه - فقال: دَعِي هذا عنك، وأغلقي عَليَّ بابي، ثم قال:

إِنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الخَنْدَمَهْ ... إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَهْ
وَأَبُو يَزِيدٍ كَالعَجُوزِ المُؤْتِمَهْ ... وَٱسْتَقْبَلَتْهُمْ بالسُّيُوفِ المُسْلِمَهْ
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ ... ضَرْباً فلاَ تُسْمَعُ إِلاَّ الغَمْغَمَهْ
لَهُمْ نَهِيتٌ خَلْفَنَا وَهَمْهَمَهْ ... لَمْ تَنْطِقِي فِي اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَهْ

وأَقبل الزّبير - رضي الله عنه - بمن معه من المسلمين حتى انتهى إلى الحَجُون عند منزلِ رسولِ الله - ﷺ - ولم يُقْتَل من المسلمين إلاَّ رجُلاَن من أَصحاب الزُّبير، أَخطأ الطَّريق فسلكا غيره فَقُتِلاَ، وهما كُرز بن جابر الفِهْرِيّ[(١)] وحُبَيْش - بحاء مهملة مضمومة، فموحّدَةٌ مفتوحة، فتحتية ساكنة فشين معجمة - بن خالد بن ربيعة بن الأَشعر - بشين معجمة، وعين مهلمة - الكعبي - رضي الله عنهما - ومضى رسول الله - ﷺ - فدخل مكة من أَذاخِر،[(٢)] فلما ظهر على أَذاخِر، نظرَ إلى البارقة مع فَضَضِ المشركين، فقال: «مَا هَذِه البَارِقة؟! أَلَمْ أَنْهَ عَنْ القِتَال؟» قالوا: يا رسول الله، خالدُ بن الوليد قُوتل ولو لم يُقَاتَل ما قَاتَل، وما كان يا رسول الله ليعصيك، وَلاَ يخالف أَمرك، فقالَ رسولُ الله - ﷺ - «قَضَاءُ الله خَيْر».

وروى الطَّبراني عن ابن عبَّاس - رضي الله عنهما - أَن رسولَ الله - ﷺ - خطبَ، فقال: «إِنَّ الله حَرَّمَ مَكَّةِ» الحديث[(٣)]، فقيل: هذا خالد يَقْتُل، فقال: «قُمْ يَا فُلاَن فَقُلْ لَه فَلْيَرْفَع يَدَيْه من القَتْل» فأَتاه الرَّجُل، فقال له: إِن رسولَ الله - ﷺ - يقولُ لك، أَقْتُل مَن قَدَرْت عليه، فقتل سبعين، فَأَتى رسول الله - ﷺ - فَذُكِرَ له ذلك، فأَرسلَ إلى خالد «أَلم أَنْهَكَ عن القتل؟!» فقال: جاءني فلان فأَمرني أَن أَقْتُلَ مَنْ قَدَرت عليه، فأَرسلَ إليه «أَلم آمُرك أَنْ تُنْذر خَالِداً؟» قال: أَردتَ أَمرا فأَرادَ الله أَمرا، فكان أَمرُ الله فوقَ أَمرِكَ، وما استطعت إلاَّ الذي كان، فَسَكَتَ رسولُ الله - ﷺ - مارَدّ عليه.

وروى الإمام أَحمد، ومسلمُ، والبيهقيُّ، وغيرهم عن أَبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لمَّا كان يومُ فتح مكَة، وَبَّشَت قريش أَوْبَاشاً لَهَا وأَتْبَاعا، فقالوا: نُقدِّم هؤلاء، فإن كان لهم شيء

(١) كرز بن جابر بن حسل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن سفيان بن محارب بن فهر القرشي الفهري.. كان من رؤساء المشركين قبل أن يسلم وأغار على سرح المدينة مرة فخرج النبي - صلى الله عليه وآله وسلم في طلبه حتى بلغ سفوان وفاته كرز وهذه هي غزوة بدر الاولى ثم أسلم، الإصابة ٥/٢٩٧.

(٢) أَذَاخِر بالفتح، والخاء المعجمة مكسورة: موضعٌ بأَعْلَى مكة، منه دخل رسولُ الله - ﷺ -، وضُرِبَتْ هناك قُبَّتُه. مراصد الإطلاع ١/٤٦.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ١١/٤٨ وانظر المجمع ٣/٢٨٤، ٧/٣٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣/٢٧١، ٢٧٢.

كنا معهم، وإن أُصيبوا أُعْطِينَا الذي سُئلنا فرآني رسولُ الله - ﷺ - فقال: «يَا أَبَا هُرَيْرَة» قلتُ: لبيك، قال: «اهْتِفْ بالأَنْصَار، وَلاَ يَأْتِينِي إلاَّ أَنْصَارِي» قال: فَفَعَلْت ما أَمرني به، فأَتوه، فقال: «انْظروا قريشاً وأَوْبَاشهم فَاحْصُدُوهُمْ حَصْداً» ثم قال بيديه إحداهُمَا عَلَى الأُخرى، فانطلقْنَا فما أَحَدٌ يوجّه إلينا شيئاً، وما منا أَحدٌ يريدُ أَحداً منهم إلاَّ أَخذه، فجاء أَبو سفيان ابن حربٍ فقال: يا رسولَ الله - أُبيدَت خَضْراء قريش، لاَ قُرَيْشَ بعد اليوم. فقال رسولُ الله - ﷺ - «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُو آمن، وَمَنْ أَلْقَى السِّلاَحَ فَهُوَ آمن» فألقى الناسُ سِلاَحَهُم(١).

وروى محمد بن عمر عن جابر - رضي الله عنه - قال: كنت ممن لَزِمَ رسولَ الله - ﷺ - فدخلتُ معه يوم الفتح فَلَمَّا أَشْرفَ رسولُ الله - ﷺ - من أَذَاخِر، ورأَى بيوت مكّة، وقف عليها فَحَمَد الله - وأَثنى عليه، ونظر إلى موضعِ قُبته فقال: هَذَا منْزلنَا يا جابر حَيْثُ تَقَاسَمَتْ قُرَيْشٌ عَلَيْنَا في كُفرِهَا» قال جابر: فذكرتُ حديثاً كنتُ سمعته منه قبل ذلك بالمدينة، «مَنْزِلُنَا إِذَا فَتَحَ الله علينا مكة في خَيْف بَنِي كِنَانةَ حَيْثُ تَقَاسَموا على الكُفْر»(٢).

ذكر قراءته - صلى الله عليه وسلم - سورتي الفتح والنصر في يومه

عن عبد اللّه بن مُغَفَّل - بضم الميم، وفتح الغين المعجمة، والفاء المشددة، وباللاَّم - رضي الله تعالى عنه - قال: رأَيتُ رسولَ الله - ﷺ - يوم فتح مكّة على ناقته، وهو يقرأُ سورة الفتح، يُرَجِّع صَوْتَه بالقراءة، قال معاويةُ بن قُرَّة: لولا أَن يجتمع الناس حَوْلِي لرجَّعْتُ كَمَا رَجَّع عبدُ اللّه بنُ مُغَفَّل يحكي قراءة النَّبي - ﷺ - قال شعبة: فقلتُ لمعاوِيَة: كيف كان ترجيعه؟ قال: ثلاث مرّات، رواه البخاريّ في التفسير وفضائِل القرآن والمغازي والتوحيد، ومسلم في الصّلاة، والنسائي، والحاكم.

وروى الطبراني عن أَبي سعيد الخُدْري - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - ﷺ - يوم الفتح «هَذَا مَا وَعَدَني رَبِّي» ثم قرأَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ الله والفَتْحُ﴾ [النصر ١]

ذكر منزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح

روى محمد بن عمر عن أَبي جعفر - رحمه الله تعالى - قال: كان أَبو رافعٍ قد ضَرَبَ لرسولِ الله - ﷺ - قُبَّةً بالحَجُون من أدمَ، فأَقبل رسولُ الله - ﷺ - حتَّى انتهى إلى القبَّة، ومعه أُمُّ سَلَمَة، ومَيْمُونَة زوجتاه.

وروى البخاريُّ وغيرهُ عن أُسامَةَ بن زيد - رضي الله عنهما - أَنه قال: يا رسولَ الله: انَّى

(١) سيأتي في هديه - ﷺ - في قراءة القرآن.

(٢) انظر المجمع ٢٣/٩.

تَنْزِل غداً؟ تنزل في دارك؟ قال: «وَهَلْ تَركَ لَنَا عقِيل مِنْ رِباعٍ أَوْ دَارٍ؟» وكان عَقِيل ورث أبا طالب هو وأخوه طالب، ولم يرثه جعفر ولا علي - رضي الله عنهما - لأنَّهُما كانا مسلمين، وكان عَقِيل وطالب كافرين، أسلم عقيل بعد(١).

وروى البخاري، والإمام أحمد عن أبي هُريرة - رضي الله عنه -: أن رسولَ الله - ﷺ - قال: «منزلنا إنْ شَاء الله تعالى إذا فتح الله بِخَيْفِ بني كِنَانة حيث تَقَاسَمُوا على الكفر» يعني بذلك المحَصّب، وذلك أن قُرَيشاً وَكِنَانة تَحَالَفت على بني هاشم، وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يُبَايعوهم حَتَّى يُسْلِمُوا إِليهم رسولَ الله - ﷺ(٢).

وروى محمد بن عمر عن أبي رافع - رضي الله عنه - قال: قيل للنَّبِي - ﷺ - ألاَ تنزل مَنْزِلَكَ مِنَ الشِّعْب؟ فقال: «وهل تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مَنْزِلاً؟» وكان عَقِيل قد باع مَنْزِل رسُولِ الله - ﷺ - ومَنْزِلَ إخوته من الرجال والنِّساء بمكة، فقيل لرسولِ الله - ﷺ - فانزل في بعض بيوت مَكَّة غير منازلك، فَأَبى رسولُ الله - ﷺ - وقال: «لا أَدْخُلُ البُيُوت» ولم يزل رسولُ الله - ﷺ - مضطربا بالحَجُون لم يدخل بيتاً، وكان يأْتي المسجدَ لكل صلاة مِنَ الحَجُون.

ذكر اغتساله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح وصلاته وقت الضحى شكراً لله تعالى

عن أُم هانئ - رضي الله عنها - قالت: لما كان عام يوم الفتح فَرَّ إليَّ رجلان من بني مخزوم فأجرتهما، قالت: فَدَخَلَ عَلَيَّ عَلِيٌّ فقال: أقتلهما، قالت: فلما سَمِعْتُه يقول ذلك أتيتُ رَسُولَ الله - ﷺ - وهو بأعلى مَكة، فَلَمَّا رآني رسولُ الله - ﷺ - رَحَّبَ وَقَال: «مَا جَاء بِكِ يَا أُمَّ هَانِئ»، قالت: قلت يا رسول الله، كُنْتُ أَمَّنْتُ رَجُلين مِنْ أَحمائي، فأراد عَلِيٌّ قتلهما، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «قَدْ أَجرْنَا مَنْ أَجرْتِ»، ثم قام رسولُ الله - ﷺ - إلى غُسله فَسَتَرته فاطمة، ثم أخَذَ ثَوْباً فالتحف به، ثم صلَّى رسولُ الله - ﷺ - ثَمَانِ ركعاتٍ سُبْحَةَ الضُّحى، رواه مسلم والبيهقي(٣).

وعنهما أَنَّ رَسُولَ الله - ﷺ - يوم فتح مكة اغتسل في بيتها، وَصَلَّى ثمانِ ركعات،

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢٦/٣ في الحج (١٥٨٨) (٣٠٥٨، ٤٢٨٢، ٦٧٦٤)، ومسلم في الحج (٤٣٩، ٤٤٠) وأبو داود حديث (٢٠١٠) وفي الفرائض باب (١٠) وابن ماجه (٢٧٣٠) والطحاوي في معاني الآثار ٤٩/٤، وأحمد ٥/ ٢٠٢ والدارقطني ٦٢/٣.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٨٤) (١٥٨٩)، ومسلم في الحج (٣٥٥) والبيهقي في الدلائل ٩٣/٥ وأحمد ٢٦٣/٢، ٣٢٢، ٣٥٣، والطبراني في الكبير ٦٢/١١ وانظر المجمع ٢٥٠/٣.

(٣) مسلم صلاة المسافرين (٨٢)، وأبو داود (٢٧٦٣) وأحمد ٣٤١/٦، ٣٤٢، ٣٤٣ والبيهقي ٧٥/٩، والحاكم ٤/ ٤٥.

قالت: لم أره صَلَّى صلاةً أخف منها، غَيْرَ أنَّه يتم رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا. رواه البخاري والبيهقي(١).

ذكر رن ابليس وحزنه وكيد الجن لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزجرهم عنه ودعاء نائلة بالويل

روى أَبو يَعْلى، وأَبو نُعيم عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ قال لَـمّا فتح رسولُ الله ـ ﷺ ـ مَكّة رن إبليس رَنَّةً فآجتمعَتْ إليه ذُرِّيَّته، فَقَال: إيأَسوا أَن تَردُّوا أُمَّةَ محمد إلى الشرك بعد يومكم هذا، ولكن أَفْشُوا فيها ـ يَعْني مكة ـ النَّوْحَ والشِّعر.

وروى ابن أَبي شيبة عن مَكْحُول ـ رحمه الله ـ أَن رسول الله ـ ﷺ ـ لَـمّا دَخَلَ مَكَّة تلقَّته الجنُّ يرمونه بالشَّرَر، فقال جبريلُ ـ ﷺ ـ تعوَّذْ يا محمد بهؤلاء الكلمات: «أَعوذ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ الَّتي لا يُجَاوِزُهن بَرٌ وَلاَ فَاجر، من شر ما ينزلُ مِنَ السَّماء وَمَا يَعْرُجُ فِيها، وَمِنْ شَرِّ مَا بَثَّ في الأَرْض، وَمَا يَخْرُجُ مِنْها، وَمِنْ شَرِّ اللَّيْلِ والنَّهارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ يَطْرُق إلاَّ بِخَيْرٍ يَا رَحْمن».

وروى البيهقي عن ابن أَبْزَى ـ بفتح الهمزة، وسكون الموحدة وبالزاي، وأَلف تأْنيث مقصورة ـ رحمه الله تعالى ـ قال: لَـمّا فتح رسولُ الله ـ ﷺ ـ مَكَّةَ جاءت عجوزٌ حَبَشِيَّةٌ شمطاء تَخْمِشُ وَجْهَها، وتَدْعو بالوَيْل، فقال: «تلك نَائِلَة، أَيِسَتْ أَن تُعْبَدَ بِبَلدِكُم هَذَا أَبَداً»(٢).

ذكر اسلام أبي قحافة عثمان بن عامر والد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما

روى الإِمام أَحمد، والطبراني برجالٍ ثقات، ومحمد بن عمر، والبيهقي عن أَسماء بنتِ أَبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ قالت: لما كان عام الفتح، ونزل رسولُ الله ـ ﷺ ـ بذي طوًى، قال أَبو قُحافة لابنة له ـ قال البَلاذُري ـ ـ اسمها أَسماء، قال محمد بن عمر تسمى: قُرِيبَة ـ ضدّ بَعِيدَة، كانت مِنْ أَصغر ولده: يا بنيّة، أَشرفي بي على أَبي قُبَيْس ـ وَقَدْ كُفَّ بَصَرُه ـ فَأَشْرَفَتْ بِهِ عليه، فقال: أَي بُنَيَّةُ!! مَاذا ترين؟» قَالَت: أَرى سواداً مجتمعاً كثيراً، وأَرى رجُلا يشتدُّ بين ذلك السواد مُقْبلاً ومُدْبِراً، فقال: ذلك الرجل الوازع، ثم قال: ماذا ترين؟ قَالَت: أَرى السواد قد آنتشر وتفرّق، فقال: والله إِذن آنتشرت الخيل، فأَسرعي بي إلى بيتي، فخرجتُ سريعاً حَتَّى إذا هبطتُ به الأَبْطَح لَقِيَتْهَا الخيلُ، وفي عُنقِهَا طَوْقٌ لها من وَرِق، فاقتلعه إنسانٌ

---

(١) سيأتي ذلك في هديه ـ ﷺ ـ في صلاة الضحى.

(٢) البيهقي في الدلائل ٥/٧٥.

مِنْ عُنُقِهَا، فلما دخل رسول الله - ﷺ - المسجد، خرج أبو بكر بأبيه - رضي الله عنهما - يقوده، وكان رأس أبي قُحافة ثَغَامَة، فلما رآه رسول الله - ﷺ - قال: «هلاَّ تركْتَ الشيْخَ في بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتيه فيه»؟ فقال أبو بكر: يا رسولَ الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تَمْشِي أنت إليه، فأجلسه بين يَدَيْ رسول الله - ﷺ - فمسح رسولُ الله - ﷺ - صدْرَه، وقال: أَسْلِمْ تَسْلَم، فأسلم، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال: أنشدكم بالله والإسلام طَوْقَ أُختي، فوالله مَا جاء به أحد، ثم قال الثالثة فما جاء به أحد، فقال: يا أُخيَّة، احْتَسِبي طَوْقك، فوالله إنَّ الأمانة في الناس اليوم لقليل(١).

وروى البيهقي بسندٍ جيّد قويٍّ عن ابن وهب قال: أخبرني ابن جُرَيج عن أبي الزبير عن جابرٍ: أن عُمَرَ بن الخطاب - رضي الله عنه - أخذ بيد أبي قُحافة، فأتى به رسولَ الله - ﷺ - فلما وقف به على رسول الله - ﷺ - قال: غَيِّرُوه وَلاَ تُقْرِبُوه سوادا(٢).

قال ابن وهب: وأخبرني عمر بن محمد عن زيد بن أسلم: أن رسول الله - ﷺ - هنأ أبا بكرٍ بإسلامِ أبيه.

وروى الإمام أحمد، وابن حِبّان عن أنس - رضي الله عنه - قال: جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله - ﷺ - يوم فتح مكة يحمله حَتَّى وضعه بين يديه فقال لأبي بكر: «لَوْ أَقْرَرْتَ الشَّيْخَ في بَيْتِهِ لأَتَيْنَاه» - تكرمةً لأبي بكر - فأسلم ورأسه ولحيته كالثَّغَامَة، فقال غيروهما قال قتادة هو أول مخضوب في الإسلام. وروى مسلم عن جابر قال: أتى بأبي قحافة عام الفتح ورأسه ولحيته مثل الثغامة فقال رسول الله - ﷺ -: «غيِّروا هذا بشيء وجنبوه السواد».

قال البَلاذُرِيُّ: وَرَمَى بعْضُ المسلمين أبا قُحافة فشجّه، وأُخِذَت قِلاَدةُ أسماء ابنته، فأدركه أبو بكر وهو يستدمى، فمَسَح الدَّمَ عَنْ وجهه انتهى.

قالوا: وجاء خالد بن الوليد إلى رسول الله - ﷺ - فَقَالَ له: «لِمَ قاتَلْتَ، وَقَدْ نهيت عَن القِتَال»؟ قال: هم يا رسول الله بَدَؤُونَا بالقتال، وَرَشَقُونَا النَّبْل، وَوَضَعُوا فينَا السلاح، وَقَدْ كَفَفْتُ ما استطعت، وقد دَعَوْتهم إلى الإسلام، وأن يدخلوا فيما دَخَلَ فيه الناس، فَأَبوا، حَتَّى إذا لم أجد بُداً قاتلتهم فَظَفَّرنا الله - تعالى - عليهم، فهربوا في كُلِّ وجه يا رسول الله؛ فقال رسولُ الله - ﷺ -: «كُفَّ عَنِ الطَّلَب» قال: قد فعلت: فقال رسولُ الله - ﷺ - «قضاء الله خير» ثم قال رسول الله - ﷺ -: «كُفُّوا السِّلاَحَ إلا خُزَاعَةَ عَنْ بَنِي بَكْرٍ إلى صلاة العصر» فَخَبطُوهُم

---

(١) أخرجه الواقدي في المغازي ٢/٨٢٤، والبيهقي في الدلائل ٤/٩٥.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٤/٩٦.

ساعة، وهي الساعةُ التي أُحِلَّتْ لرسول الله - ﷺ - ولـم تَحِلّ لأَحدٍ قبله.(١)

ذكر دخوله - صلى الله عليه وسلم - المسجد وطوافه وما وقع في ذلك من الآيات

قالوا: مكث رسولُ الله - ﷺ في منزله ساعة من النَّهار حَتَّى آطمأَن النَّاس، فاغتسل، ثم دعا براحلته القصواءَ، فأُدنيت إِلى باب قُبَّته، وعاد للُبْسِ السِّلاح والمغفَر على رأْسه، وقد حَف الناس به، فركب راحلته والخيل تمعج بين الخندمة إِلى الحَجُون، ومَرَّ رسولُ الله - ﷺ - وإِلى جنبه أَبو بكر الصِّديق يسير معه يحادثه، فَمَرَّ ببَنَاتِ أَبي أُحَيْحَة وَقَدْ نَشَرْن شُعُورَهُنَّ - يَلطمن وُجُوهَ الخيل بالخُمُر، فنظر رسول - ﷺ -إِلى أَبي بكر فتبسم وذكر بَيْتَ حسان بن ثَابِتْ، فأَنشده أَبو بكرٍ رضي الله عنه:

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النِّسَاءُ

فلما انتهى - ﷺ -إِلى الكعبة فرآها ومعه المسلمون تقدَّم على راحلته، واستلم الركن بمحْجنه، وكبر، فكبَّر المسلمون بتكبيره، فرجَّعُوا التكبير حَتَّى آرتجَّت مكة تكبيراً حَتَّى جَعَل رسولُ الله - ﷺ - يُشيرُ إِليهم أَن اسكتوا - والمشركون فوق الجبال ينظرون - وطَافَ رسولُ الله - ﷺ - بالبيت، آخذاً بزمام النَّاقة محمد بن مسلمة، فأَقبل على الحَجَرِ فاستلمه، ثم طاف بالبيت.

وروى أَبو نعيم، والبيهقي مِنْ طريق عبد اللّه بن دينار، وأَبو نعيم من طريق نافع كِلاَهُمَا عن ابن عمر - رضي الله عنهما - وأَبو نُعيم والبيهقي من طريق سعيد بن جبير وابن اسحاق والبيهقي وأَبو نعيم، وابن مندة، ومحمد بن عمر عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أَن رسول الله - ﷺ - دخلِ مكَّةَ يوم فتح مكة، وحَوْلَ الكعبة ثلاثمائة وستون صَنَماً مُرَصَّعة بالرَّصَاص، وكان هُبَلُ أَعظمها وهو وجاه الكعبة، وإِساف ونايلة حيث ينحرون ويذبحون الذَّبائح، وفي يَدِ رَسُولِ الله - ﷺ - قَوْسٌ وقد أَخذ بِسِيَةِ القوس، فجعل رسول الله - ﷺ - كُلَّمَا مَرَّ بصنم مِنْهَا يشير إِليه وَيَطْعَنُ في عينه ويقول: ﴿جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإِسراء ٨١] فَمَا يُشِيرِ إِلى صَنم إِلا سقط لوجهه. وفي لفظ لقفاه، من غير أَن يَمَسَّه(٢). وفي ذلك يقول تميمُ بن أَسد الخزاعي(٣).

---

(١) آبن حبان ذكره الهيثمي في الموارد (١٦٩٩)، وآنظر المجمع ١٧٧/٦ وابن أبي شيبة ٤٨٧/١٤.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٧١/٤ وهو عند البخاري في كتاب المظالم باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر.

(٣) تميم بن أسيد وقيل أسد بن عبد العزى بن جعونة بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو الخزاعي.. قال ابن سعد أسلم وصحب قبل فتح مكة وبعثه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم يجدد انصاب الحرم ثم ساق بذلك سنداً الى ابن خيثم عن أبي الطفيل عن ابن عباس ان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم فذكره، الإصابة ١/ ١٩١.

فَفِي الأَصْنَامِ مُعْتَبَرٌ وَعِلْمٌ لِمَنْ يَرْجُو الثَّوَابَ أَوِ العِقَابَا

قال أَئمة المغازي - رحمهم الله تعالى -: فطافَ رسولُ الله - ﷺ - سبْعاً على راحلته يَسْتَلِم الرُّكنَ الأَسْوَدَ بِمِحْجَنِه كل طواف، فلما فرغ من طوافه نزل عن راحلته.

وعند ابن أَبي شيبة عن ابن عمر، قال: فما وجدنا مَنَاخاً في المسجد حَتَّى أُنزل على أَيدي الرجال، ثم خرج بها، قالوا: وجاء مَعْمَر بن عبد اللّه بن نَضْلَة - بالنون، والضاد المعجمة - فأَخرج الرَّاحلة فأَناخها بالوادي، ثم انتهى رسول الله - ﷺ -، إِلى المقام - وَهُوَ لاَصِقٌ بالكعبة، والدِّرع عليه والمِغْفَرُ وعمامته بين كتفيه، فَصَلَّى ركعتين ثم انصرف إِلى زَمْزَم فاطلع فيها وقال: «لَوْلا أَنْ تُغْلَبَ بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ لَنَزَعْتُ مِنْهَا دَلْواً»، فنزع له العباس بن عبد المطلب - ويقال الحرث بن عبد المطلب - دَلْواً، فشرب منه وتوضأ والمسلمون يتدرون وَضُوء رسولِ الله - ﷺ - يصبُّونه على وُجُوههم؛ والمشركون ينظرون إِليهم ويتعجَّبون ويقولون: ما رأَيْنا مَلِكاً قط أَبلغ من هذا ولا سمعنا به.

وأَمر بهبَل فَكُسِر وهو واقف عليه، فقال الزُّبير بن العَوَّام لأَبي سُفْيَان بن حرب: يا أَبا سفيان قد كُسِر هُبَل، أَما إِنك قَدْ كنت منه يَوْمَ أُحُد في غرُور حين تزعم أَنه أَنعم، فقال أَبو سفيان: دع عنك هذا يابن العوام؛ فقد أَرى لو كان مع إِله محمد غيره لكان غير ماكان، ثم انصرف رسول الله - ﷺ - فجلس ناحية من المسجد والناس حوله. وعن أَبي هريرة رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - ﷺ - يوم الفتح قَاعِداً، وأَبو بكرٍ قائم على رأْس رسول الله - ﷺ - بالسيف. رواه البزار[(١)].

ذكر أكله - صلى الله عليه وسلم - عند أم هانئ رضي الله عنها

روى الطبراني عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه أَنَّ رَسُولَ الله - ﷺ - قال لأُم هانئ يوم الفتح: «هَلْ عِنْدَكِ مِنَ طَعَامٍ نَأْكله؟»: قالت: ليس عندي إِلاَّ كِسرٌ يابِسَة، وإِني لأَستحي أَن أُقدِّمها إِليك. فقال: «هَلُمِّي بهنَّ» فكسَّرهُن في ماء، وجاءت بملح، فقال: «هَلْ مِنْ أُدم»؟ فقالت: ما عندي يا رسولَ الله إِلاَّ شيء من خَلّ، فقال:«هَلُمِّيه»، فَصبه عَلَى الطَّعَام وأَكَلَ مِنْه ثُم حَمِدَ الله ثم قال: «نِعْمَ الأُدْمُ الخَل، يا أُمَّ هَانئ لاَ يَفْقَرُ بَيْتٌ من أدم فيه خل»[(٢)].

ذكر اطلاعه - صلى الله عليه وسلم - على ما هم به فضالة بن عمير بن الملوح

قال ابن هشام: حدثني بعض أَهل العلم أَنَّ فَضَالَة بن عُمَيْر بن المُلَوَّح اللَّيثي أَراد قَتْلَ

---

(١) أنظر المجمع ١٧٦/٦.

(٢) انظر المجمع ١٧٦/٦.

رسولِ الله - ﷺ - وهو يَطُوفُ بالبيت - عام الفتح - فلما دَنَا منه قال رسول الله - ﷺ - «أَفَضَالَه؟» قال: نعم. قال: «مَاذَا كُنتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟» قال: لا شيء، كُنتُ أذكر الله، فَضَحِكَ رسولُ الله - ﷺ - ثم قَالَ: «اسْتَغْفِر الله». ثم وضع يده على صدره فسكن، وكان فضالَةُ يقول: والله ما رفع يَدَه عن صدري حتَّى ما خُلِقَ شيء أَحبّ إِليّ منه، ورجع فَضَالَة إِلى أهله، قال: فمررت بامرأة كنتُ أتحدث إليها، فقالت: هلُمَّ إلى الحديث، فقال لا. وانبعث فضالة يقول:

قَالَتْ هَلُمَّ إِلى الحَدِيث فَقُلْتُ لاَ ... يَأْبَى عَلَيَّ الله والإِسْلاَمُ
إِذَا مَا رأَيْتِ مُحَمَّداً وَقَبِيلَهُ ... بالفَتْحِ يَوْمَ تُكَسَّرُ الأَصْنَامُ
لَرَأَيْتِ دِينَ الله أَضْحَى بَيِّناً ... وَالشِّرْكَ يَغْشَى وَجْهَهُ الإِظْلاَمُ

ذكره أبو عمر في الدُّرر، ولم يذكره في الاستيعاب، وهو على شرطه، وذكره القاضي في الشفاء بنحوه.

ذكر الآية في رفعه - صلى الله عليه وسلم - علي بن أبي طالب رضي الله عنه - لالقاء صنم قريش

روى ابن أَبي شيبة، والحاكم عن علي - رضي الله عنه - قال: انْطلق رسولُ الله - ﷺ - حتَّى أَتى بي الكعبة، فقال: «اجْلِس» فَجَلَسْتُ بجنب الكعبة، فَصَعِدَ رسولُ الله - ﷺ - على منكبي فقال: «انهض» فنهضت، فَلَمَّا رأَى ضعفي تحته قال: «أَجْلِس» فجلست، ثم قال: «يَا عَلِيّ، اصْعَد عَلَى منكبي» ففعلت، فلما نهض بي خُيِّل إِليّ لو شئتُ نِلْتُ أُفق السماء، فصعدتُ فوق الكعبة، وتنحَّى رسولُ الله - ﷺ - فقال: «أَلْقِ صَنَمَهُمْ الأَكْبَر» وكان من نحاس موتَّدٍ بأَوتادٍ من حديد إِلى الأَرض، فَقَالَ رسولُ الله - ﷺ -: «عَالِجْه» ويقول لي: «إِيه إِيه» «جَاء الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقا». فلم أَزَلْ أُعالجه حتَّى استمكنتُ منه[1]

ذكر طلبه - صلى الله عليه وسلم - المفتاح من عثمان بن طلحة رضي الله عنه

روى محمد بن عمر عن عبد اللّه بن عمر، وابن أَبي شيبة عن أَبي هريرة - رضي الله عنهما - ومحمد بن عمر عن علقمة بن أَبي وَقَّاص اللَّيثي - رحمه الله تعالى - ومحمد بن عمر عن شيوخه يزيد بعضهم على بعض، قال عبد اللّه: كان عثمان قد قدم على رسول الله - ﷺ - بالمدينة مُسْلِماً مع خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص قبل الفتح، فلَمَّا فرغ رسولُ الله - ﷺ -

(١) أخرجه أحمد ٧٤/١ وابن أبي شيبة ٤٨٨/١٤، والحاكم ٣٦٧/٢، ٥/٣،

من طوافه أَرسل بِلالاً إِلى عثمان بن طلحة يأْتيه بمفتاح الكعبة، فجاء بلال إِلى عُثْمان، فقال: إِن رسول الله ـ ﷺ ـ يأمُرك أَن تأْتي بالمفتاح، فقال: نعم هو عند أُمي سُلاَفَة، فرجع بلال إِلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأَخبره أَنَّه قَالَ نعم، وأَن المفتاح عِنْدَ أُمِّه، فبعث إِليها رسولُ الله ـ ﷺ ـ رسولاً فجاء، فقالت: لا، واللاَّت والعُزَّى، لاَ أَدفعه إِليك أَبدا، فقال عثمان يا رسول الله أَرْسِلْني أَخلصه لك منها، فأَرسله، فقال: يا أُمه ادفعي إِليّ المفتاح، فإِن رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ قَد أَرسل إِليَّ، وأَمرني أَن آتيه به، فقالت أُمُّه: لا. واللاَّت والعُزَّى لا أَدفعه إِليك أَبداً فقال: لا لات ولا عزى إِنَّه قَد جاء أَمرٌ غير ما كُنَّا عليه، وإِنَّك إِن لم تَفْعَلي قُتِلْتُ أَنَا وَأَخي فأَنت قَتَلْتِينَا، فوالله لَتَدْفَعِنَّه أَو ليأْتينَّ غيري فيأخذه مِنك، فأَدخلته في حُجْزتها، وقالت: أَي رجل يدخل يده ههنا؟[1].

قال الزهري فيما رواه عبد الرَّزاق، والطبراني: فَأَبطأَ عثمان ورسولُ الله ـ ﷺ ـ قائِمٌ ينتظره حَتَّى إِنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق، ويقول: «مَا يَحْبِسُه فَيَسْعَى إِلَيْه رَجُل» انتهى. فبينما هما على ذلك وهو يكلمها إِذ سمعت صوت أَبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ في الدَّار، وَعُمَرَ رافعٌ صوته حين أَبطأَ عثمان... يا عثمان اخرج، فقالت أُمُّه: يا بنيّ خذ المفتاح، فإِن تأخذه أَنت أَحب إِلَيَّ مِنْ أَن يأخذه تيم وعدي، فأَخذه عثمان، فخرج يمشي به حَتَّى إِذا كان قريباً مِن وجه رسولِ الله ـ ﷺ ـ عثر عثمان فسقط منه المفتاح، فقام رسولُ الله ـ ﷺ ـ إِلى المفتاح فحنى عليه بِثَوبه[2].

وروى الفاكهي عن ابن عمر: أَن بني أَبي طلحة كانوا يقولون: لا يفتح الكعبة إِلاَّ هم، فتناول رسولُ الله ـ ﷺ ـ المفتاحَ، ففتح الكعبة بيده.

وروى ابن أَبي شيبة بسندٍ جَيِّدٍ عن أَبي السفر ـ رحمه الله تعالى ـ قال: لما دخل رسولُ الله ـ ﷺ ـ مكة دعا شيْبَةَ بن عثمان بالمفتاح ـ مفتاح الكعبة ـ فتلكأَ، فقال لعمر: «قُمْ فاذْهَب مَعَه فإِن جَاء بِه وإِلاَّ فَأَجلد رَأْسَه» فجاء به فأَجاله في حجره.

ذكر أمره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإزالة الصور عن البيت قبل دخوله إياه

روى أَبو داود، وابن سعد، ومحمد بن عمر، واللفظ له: أَن رسول الله ـ ﷺ ـ أَمر عمر بن الخطاب ـ وهو بالبطحاء ـ أَن يأْتي الكعبة فيمحو كُلَّ صورةٍ فيها، فلم يدخلها حتَّى

(١) المغازي للواقدي ٨٣٣/٢.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٢٧)، وانظر المطالب للحافظ ابن حجر (٤٣٦٤).

مُحِيَت الصُّور، وكان عمر قد ترك صورة إبراهيم فلما دخل رسولُ الله - ﷺ - رأى صورةَ إبراهيم، فقال يا عمر: «أَلَم آمُرك أَلاَّ تَدَع فِيهَا صُورَةً؟، قَاتَلَهُم الله، جَعَلُوه شَيخاً يَسْتَقسِمُ بالأَزْلاَم». ثم رأى صورة مريم، فقال: «امسَحُوا مَا فِيهَا مِنَ الصُّور، قَاتَلَ الله قَوماً يُصَوِّرُونَ مَالاَ يَخلُقُون».

وروى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وابن أَبي شيبة عن عكرمة أَن رسول الله - ﷺ - لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ أَبي أَن يَدخُلَ البيت وفيه الآلهة يعني الأَصنام، فَأَمَرَ بها فأُخرجت صورة إبراهيم وإسماعيل في أَيديهما الأزلام، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «قَاتَلَهُمُ الله لَقَد عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقسِمَا بهِمَا قَط»(١). زاد ابن أَبي شَيبَةَ: ثم أَمر بثوبٍ فَبُلَّ وَمَحا به صورهما.

وعند ابن أَبي شيبة عن ابن عمر: أَن المسلمين تَجَرَّدوا في الأزر وأَخذوا الدِّلاَءَ، وانجروا على زمزم يغسلون الكعبة ظَهْرَهَا وبطنها، فلم يدعوا أَثَراً من المشركين إلا محوه وغَسَلُوه.

ذكر دخول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ البيت وصلاته فيه

روى البخاري في الصَّلاة، ومُسْلم في الحج، عن الإمام مالك بن انس والبخاري في الصَّلاَةِ والمغازي عن جُوَيْرِيَة بن أَسماء، والبخاري في الصَّلاَةِ، ومسلم في الحج عن يونس ابن يزيد عن أَيوب، والبخاري في الصَّلاة والمغازي عن موسى بن عُقْبة، والبخاري في المغازي عن فُلَيح بن سليمان، ومسلم في الحج عن عبد اللّه بن عمر، ومسلم في الحج، والنسائي في الصَّلاَة عن خالد بن الحرث عن ابن عون، وابن عَوَانة، وابن ماجة في الحج عن حَسَّان بن عطية كلُّهم عن نافع، والبخاري في الحج عن سالم بن عبد اللّه بن عمر، وفي كتاب الصَّلاة عن مجاهد، والإِمام أَحمد عن ابن عمر، وابن دينار، والإِمام أَحمد والنسائي عن ابن أَبي مُلَيْكَة والإِمام أَحمد، والطبراني عن أَبي الشعثاء كلهم عن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، وابن أَبي شيبة بسندٍ حسن وأَبو جعفر الطحاوي عن جابر بن عبد اللّه، وابن قانع عن أَبي بشرٍ ومُسَافِع بن شيبة عن أَبيه شيبة بن عثمان، وأَبو جعفر الطحاوي مِن طريقين عن عبد اللّه بن الزجاج، والإِمام أَحمد، والأَزرقي عن ابن أَبي مليكة عن عبد اللّه بن الزبير، والطبراني برجال الصحيح عن عبد الرحمن بن صفوان، والإِمام أَحمد والطحاوي، وابن قانع بسندٍ حسنٍ، وأَبو داود بسندٍ ضعيفٍ عن عمر بن الخطاب. والبزار بسندٍ ضعيفٍ عن أَبي هريرة، والحاكم في صحيحه، والبيهقي عن عائشة - رضي الله تعالى عنهم - قال يُونس بن يزيد: إِن رسول الله - ﷺ - أَقبل يوم الفتح من أَعلى مكَّة على راحلته، زاد فُليح: القصواء

(١) البخاري (٣٣٥٢)، أحمد ٣٦٥/١، وأخرجه ابن أبي شيبة ٤٨٧/١٤ والبيهقي في الدلائل ٧٣/٥.

ـ وهو مُرْدِفٌ أُسامة، ومعه بلال، وعثمان بن طلحة، حتى أَناخ في المسجد. ولفظ فُلَيْح: عند البيت. وقال لعثمان: ائتني بالمفتاح، قال أَيوب: فذهب إِلى أُمِّه، فأَبت أَن تعطيه المفتاح فقال: والله لَتُعْطِينَه أَو لأُخرجنَّ هذا السَّيْفَ من صُلبي، فلما رأَت ذلك أَعطته إِياه، فجاء به، ففتح عثمانُ له الباب، ثم اتفقوا، فدخل رسول الله ـ ﷺ ـ وأُسامة وبلال وعثمان بن طلحة وقال ابن عوف ـ كما عند النسائي ـ والفضل بن عباس، ولأَحمد نحوه عن ابن عباس ـ بعد أَن ذكر الثلاثة الأَول ـ ولم يدخلها أَحد معهم، زاد مسلم فأَغلقوا عليهم الباب(١).

وعند محمد بن عمر عن شيوخه: فأَمر رسولُ الله ـ ﷺ ـ بالكعبة فأُغلقت. ولفظ الإِمام مالك: فأَغلقاها عليه، وفي رواية ابن عوف: فأَجاف عليهم عثمان الباب. زاد حسَّان بن عَطِيَّة: من داخل.

وفي حديث صفية بنت شيبة عند ابن إِسحاق، فوجد رسولُ الله ـ ﷺ ـ في البيت حمامةً من عَيدانٍ، فكسرها بيده، ثم طرحها.

وفي حديث جابر أَن رسولَ الله ـ ﷺ ـ لـمَّا دخل البيتَ رأَى فيه تمثال إِبراهيم، وإِسماعيل، وإِسحاق، وقد جعلوا في يد إِبراهيم الأَزلام يَسْتَقسِمُ بها، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «قَاتَلَهُم الله، لَقَد عَلِمُوا مَا كَانَ إِبرَاهِيمُ يَسْتَقسِمُ بالأَزْلَامِ». ثُمَّ دَعَا رسولُ الله ـ ﷺ ـ بزعفران فلطخه بتلك التماثيل.

وعند ابن أَبي شيبة عن أَبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، ويحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ـ رحمهما الله تعالى ـ قالا: إِن رسول الله ـ ﷺ ـ لما دخل الكعبة كبّر في زواياها وأَرجائها، وحمد الله تعالى، ثم صَلَّى ركعتين بين أسطوانتين، قال يونس: فمكث نَهَاراً طويلاً، ولفظُ فُلَيح: زماناً طويلاً، ولَفْظ جويرية: فأَطال، ولفظ ابن عوف: فمكث فيها ملياً، ولفظ أَيوب: فمكث فيها ساعة. وفي رواية ابن أَبي مُليكة عن نافع: فوجدتُ شيئاً فذهبت ثم جئتُ سريعاً فوجدتُ النبي ـ ﷺ ـ خارجاً، ولفظ سالم: فلما فتحوا الباب وكنت أَول وَالِج، وفي رواية فليح: فتبادر الناس الدُّخول فسبَقتهُم. وفي رواية أَيوب: وكنت رَجُلاً شَاباً قَوياً فبادرتُ الناس فبدرتهم، وفي رواية ابن عوف: فرقيت الدرجة فدخلتُ البيت، وفي روايةِ مجاهد، وابن أَبي مليكة عن ابن عمر: وأَجد بلالاً قائماً بين البابين. وفي رواية سالم: فلقيت بلالا فسأَلته: زاد مالك فقلت: ماصنع رسول الله ـ ﷺ ـ وفي رواية سالم. هل صلى رسول الله ـ ﷺ ـ فيه؟ قال: نعم. وفي رواية مجاهد، وابن أَبي مليكة: فقلتُ هل صلى رسول الله ـ ﷺ ـ، في

(١) انظر البخاري في المغازي ٧/٦١١ (٤٢٨٩).

الكعبة؟ قال: نعم، وفي رواية العلاء بن عبد الرحمن عن ابن عمر: أنه سأَل بلالاً، وأُسامة وفي رواية أَبي الشعثاء عن ابن عمر قال: أَخبرني أُسامة بن زيد أنه رأَى رسول الله - ﷺ - صلى فيه ههنا. وفي رواية خالد بن الحرث عن ابن عوف عن مسلم، والنسائي عن ابن عمر: فرقيتُ الدرجة فدخلتُ البيتَ، فقلتُ أَين صلى رسول الله - ﷺ -؟ قالوا: ههنا. وفي رواية جويرية. ويونس، وجمهور أَصحاب نافع: فسأَلت بلالاً: أَين - صلَّى رسول الله - ﷺ -؟ قال: بين العمودين اليمانيين - ولفظُ جويرية: المقَدَّمَين - وفي رواية مَالك: جعل عموداً عن يمينه، وعموداً عن يساره. وفي رواية: عموداً عن يمينه وعمودين عن يساره، وجعل ثَلاثَةَ أَعمدةٍ وراءه، وفي روايةٍ عنه: عموداً عن يساره، وعمودين عن يمينه. قال البيهقي: وهو الصحيح، وفي رواية فليح: صَلَّى بين ذينك العمودين المُقَدَّمين من السطر وكان البيت على ستة أَعمدة سطرين. صلى بين العمودين من السطر المقدم، وجعل باب البيت خَلْفَ ظَهْرِه، وعند المكان الذي صَلَّى فيه مَرْمَرَةٌ حمراء، وفي رواية موسى بن عقبة عند البخاري، ومالك في رواية ابن قاسم عن النسائي عن نافع: أَن بين موقف رسول الله - ﷺ - وبين الجدار نحو ثلاثة أَذرع. وفي رواية ابن مَهْدِي عند أَبي داود، وابن وهب عند الدارقطني في الغزوات - كلاهما عن مالك، وهشام، وابن سعد عن أَبي عَوَانَة عن نافع: صلَّى رسولُ الله - ﷺ - وبينه وبين الجدار ثلاثة أَذرع.

قال الحافظ أَبو الفضل العراقي - رحمه الله تعالى - مُلَخَّصاً من طرق الأَحاديث - : أَن مُصلَّى رسول الله - ﷺ - من البيت أَن الدَّاخِلَ مِنَ الباب يسيرُ تلقاء وجهه حين يدخل إِلى أَن يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة أَذرع أَو ذراعين أَو ما بينهما لاختلاف الطُّرق. قال: وَلاَ ينبغي أَن يجعل بينه وبين الجدار أَقل من ثلاثة أَذرع، فإِن كان الواقع أَنه ثلاثة أَذرع فقد صَادَفَ مُصَلاَّه، وإِن كان ذراعين فقد وقع وَجْهُ المُصَلِّيّ وذراعاه في مكان قَدَمَيْ رسول الله - ﷺ - وهذا أَولى من المتقدم.

ذكر قدر صلاته - صلى الله عليه وسلم - في الكعبة

في رواية يحيى بن سعيد عند الشيخين. وفي رواية أَبي نُعيم الفضل بن دكين[١] عند البخاري والنسائي، ورواية أَبي عاصم الضحاك بن مخلد عند ابن خزيمة، ورواية عمر بن علي

---

(١) الفضل بن دكين واسمه عمرو بن حماد بن زهير التيمي، مولى آل طلحة أبو نعيم الكوفي الملائي الأحول الحافظ العلم. عن الأعمش وزكريا بن أبي زائدة وجعفر بن برقان وأفلح بن حجير وخلق وعنه البخاري وأحمد وإسحاق ويحيى بن معين وخلق. قال أحمد: ثقة يقظان عارف بالحديث. وقال القسوى: أجمع أصحابنا على أن أبا نعيم كان عناية في الإتقان، قال يعقوب بن شيبة مات سنة تسع عشرة ومائتين، الخلاصة ٢/٣٣٥.

عند الإسمعيلي، ورواية عبد الله بن نمير[١] عند الإمام أحمد، كلهم عن سيف بن أبي سليمان[٢] عن مُجَاهد عن ابن عمر: أنه قال: سألتُ بلالاً، أصلَّى النبيُّ - ﷺ - في الكعبة؟ فقال: نعم: ركعتين. وتابع سيفا عن مُجَاهد خصيفٌ عند الإمام أحمد، وتابع مجاهداً عن ابن عمر بن أبي مليكة عند الإمام أحمد والنسائي وعمرُو بن دِينَار عند الإمام أحمد[٣]، وفي حديث جابر: دخل رسول الله - ﷺ - البيتَ يومَ الفتح، فصلى فيه ركعتين، ورواه الإمام أحمد برجالِ الصّحيح، والطّبراني عن عثمان بن طلحة. ورواه الإمام أحمد، والأَزْرَقي عن عبد الله بن الزّبير وَرَوَاه الطّبراني بسندٍ جيدٍ، وابن قانع وأبو جعفر الطّحَاوِيُّ من طريقين عن عثمان.

ورواه الطّبَرَاني بِرِجَال الصَّحيح، والبزار عن عبد الرّحمن بن صَفْوان - رضي الله عنه - قال: لَمَّا فتح رسولُ الله - ﷺ - مكّة انطلقتُ فوافقتُ رسولَ الله - ﷺ - خرج من الكعبة، وأصحابُه قد استلموا البَيْتَ مِنَ البَاب إلى الحَطِيم، وقد وضَعُوا خُدُودَهُم عَلَى البَيْتِ ورسولُ الله - ﷺ - وسَطَهم، فَسَأَلْتُ من كان معه، فقلت: كيف صنع رسولُ الله - ﷺ - حين دخل الكعبة؟ قال: صلَّى ركعتين. ورواه أبو داود والطحاوي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - والبزار عن أبي هريرة، وأنس بن مالك، رواه الطبراني - ووقع في رواية فليح وأيوب عن نافع، وأبو الشعثاء عن ابن عمر قال: ونسيتُ أَن أَسأَله أَي بلالاً، كم صلَّى رسولُ الله - ﷺ - وفي رواية ابن عون عن نافع بعد أَن ذكر أَن أُسامة وبلالا وعثمان بن شيبة دخلوا معه. فدخلت البيت، فقلت: أَين صلَّى رسولُ الله - ﷺ -؟ قالوا: ههنا، ونسيت أَن أَسأَلهم كم صلَّى، وسيأتي الجواب عن ذلك في التنبيهات.

ذكر خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من البيت وصلاته قبل الكعبة

رُوِي أَن رسول الله - ﷺ - لَمَّا خرج من البيت صلى ركعتين قبل الكعبة، وقال: «هَذِه القِبلَة»[٤].

---

(١) عبد الله بن نُمَيْر الهَمْدَاني الخارفي بمعجمة ثم ألف ثم مهملة أبو هِشَام الكوفي. عن إسماعيل بن أبي خالد وهِشَام والأعمش وخلق. وعنه أحمد وابن معين وابن المديني وخلق. وثقه ابن معين. قال ابنه محمد: مات سنة تسع وتسعين ومائة. الخلاصة ١٠٦/٢.

(٢) سَيْف بن سُلَيْمان المَخْزُومي مولاهم المكي نزيل البصرة. عن مجاهد وعَدِي بن عَدِي، وعنه ابن المُبَارك وأبو نُعَيْم، وثقه القطان والنسائي. قال ابن معين: توفي سنة إحدى وخمسين ومائة. الخلاصة ٤٣٦/١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٨٨/١ (٥٠٤، ٥٠٥)، ومسلم ٩٦٦/٢ (٣٨٨، ١٣٢٩/٣٨٩) (١٣٢٩/٣٩٠) ومالك ٣٩٨/١ (١٩٣).

(٤) أخرجه البخاري ٥٠١/١ (٣٩٨) ومسلم ٩٦٨/٢ (١٢٣٠/٣٩٥).

قال محمد بن عمر: ثم خرج رسول الله - ﷺ - من البيت والمفتاح في يده، وخالد بن الوليد يذبُّ الناسَ عن الباب حتى خرج رسول الله - ﷺ - ثم روي عن بَرَّة بنت أَبي تَجْرَاة بفتح الفوقية، وكسر الجيم، وبالراء - رضي الله عنها - قالت: نظرتُ رسول الله - ﷺ - وفي يده المفتاح ثم جعله في كمه[1].

ذكر خطبته - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح

روى الإمام أَحمد، وأَبو داود، والنّسائي، وابن ماجه عن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب والبُخَاريّ في صحيحه عن مجاهد. وابن أَبي شيبة... وابن إِسْحَاقَ عن صفيّة بنت شيبة، والبيهقي عن عبد اللّه بن عمر، وابن أَبي شيبة عن عبد اللّه ابن عُبَيْدَة قالوا: إِن رسول الله - ﷺ - لما خرج من البيت استكفّ له الناس، وأَشرف على الناس وقد ليط بهم حوْلَ الكعبة - وهم جُلوس - قام على بابه فقال: «لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَه لاَ شَرِيكَ لَه، صَدَقَ وَعْدَه» ولفظ الإِمام أَحمد، ومحمد بن عمر: «الحمْدُ لله الَّذِي صَدَقَ وَعْدَه، ثُمَّ اتَّفَقُوا «وَنَصَرَ عَبْدَه، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَه، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَاذَا تَقُولُون؟ مَاذَا تَظُنُّون؟» قالوا: نقول خيرا ونظن خيرا؛ نبي كريم، وأَخ كريم، وابن أَخ كريم، وقد قدرت. فقال رسول الله - ﷺ - «فإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُم اليَوْمَ يَغْفِرُ الله لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين﴾؟ [يوسف ٩٢] «اذْهَبُوا فَأَنْتم الطُّلَقَاء» فخرجوا كأَنما نُشِرُوا من القبور فدخلوا في الإِسلام، ثم قال رسولُ الله - ﷺ -: «أَلاَ إِنَّ كُلَّ رباً في الجَاهِلِيَّةِ أَوْ دَمٍ أَوْ مَأثرة أَوْ مَالٍ يُدَّعَى فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْن - وَأَوَّلُ دَمٍ أَضَعُه دَم رَبِيعَةَ بْنِ الحَارِثِ إِلا سدانة البَيْت وَسِقَايَة الحَاجِّ، أَلا وَفِي قَتِيلِ العَصَا والسَّوطِ والخَطَأ شِبْهِ العَمدِ الدِّيَة مُغَلَّظَةٌ مَائَةُ نَاقَةٍ؛ مِنْهَا أَرْبَعُونَ فِي بُطُونِهَا أَوْلاَدُهَا، أَلاَ وإِنَّ الله تَعَالَى - قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُم نَخْوَةَ الجاهلية وتكبرها بآبائها، كُلُّكُم لآدَم وَآدمُ مِنْ تُرَاب»[2]. ثم تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ الله أَتقَاكُم إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِير﴾ [الحجرات ١٣] «يَا أَيُّهَا النَّاس!! النَّاسُ رَجُلاَن؛ فَبَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ وَكَافِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى الله، أَلاَ إِنَّ الله - تعالى - حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْض، وَوَضَعَ هَذَيْن الأَخْشَبيْن، فَهِيَ حَرَامٌ بِحَرام الله، لم تَحِل لأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، ولن تَحِلَّ لأَحَدٍ كَائن بَعْدِي، لَمْ تَحِلَّ لي إِلاَّ سَاعةً مِنْ نَهَار يُقَصِّرُهَا - ﷺ - بيده هكذا - ولا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، ولا يُعْضَدُ عضاهها، ولا تَحِلّ لُقَطَتهَا إِلا لمُنْشِد، ولا يُخْتَلَى خَلاَهَا» فقال العباس،

---

(١) المغازي للواقدي ٨٣٥/٢.

(٢) أخرجه البيهقي ١١٨/٩ من حديث أبي هريرة.

وكان شيخاً مجربا: إلاَّ الإِذْخِر يا رسول الله فإنه لا بُدَّ لنا منه - لِلْقَيْنِ وظهور البيوت، فسكت رسولُ الله - ﷺ - ساعةً ثم قال: «إلاَّ الإِذْخِر فَإِنَّه حَلاَل، وَلاَ وَصِيَّةَ لِوَارِث، وَإِنَّ الوَلَدَ لِلْفِرَاش وَلِلْعَاهِرِ الحَجَر، وَلاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ أَنْ تُعْطِي مِنْ مَالِ زَوْجِهَا إِلاَّ بإِذْنِ زَوجِهَا، والمُسْلِمُ أَخُو المُسْلِم، والمُسْلِمُونَ إِخْوَة، والمُسْلِمُونَ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُم، تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُم، وَهُمْ يردّ عليهم أَقْصَاهُم، وَيَعْقُل عَلَيْهِم أَدْنَاهُم، ومُشِدُّهم على مُضْعِفِهم ومتريهم على قَاعِدِهم، وَلاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بكَافِر، وَلاَ ذُو عَهْدٍ في عَهْدِه، وَلاَ يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْن، وَلاَ جَلَبَ وَلاَ جَنَبَ، وَلاَ تُؤْخَذُ صَدَقَات المُسْلِمِين إِلاَّ في بُيُوتِهِم وَبِأَفْنِيَتِهِم، ولا تُنْكَحُ المَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلاَ عَلَى خَالَتِهَا. والبَيِّنَةُ عَلَى مَن آدعّى، واليَمِينُ عَلَى مَنْ أَنكَر، وَلاَ تُسَافِرُ امرأَةٌ مَسِيرَةَ ثَلاَثٍ إِلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَم، وَلاَ صَلاَةَ بَعْدَ العَصْرِ، وَبَعْدَ الصُّبْح، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْن يَوْم الأَضْحَى وَيَوْم الفِطْر، وعَن لبسَتَين أَلا يحتبي أَحدكم في ثوبٍ واحِد يُفْضِي بَعَوْرَتِه إِلى السَّمَاء، وأَلا يَشْتَمِل الصَّمَّاء، فقام رجلٌ فقال: يا رسول الله إِنِّي قد عَاهَرتُ في الجاهليّة، فقال: من عَاهَر بامرأَةٍ لاَ يَمْلكها - أَو أَمَةِ قَومٍ آخرين لا يملكها - ثُم ادّعى وَلَدَه بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّه لا يجُوزُ لَه، ولا يَرِثُ ولا يورّثُ ولا أَخالكم إِلاَّ قَدْ عَرَفْتُمُوهَا يا مَعْشَرَ المسْلِمين كُفّوا السّلاح إِلاَّ خُزاعة، عن بني بكر من ضحوة نَهَارِ الفَتح إِلى صَلاَةِ العصر منه - فخبطوهم ساعة - وهي السّاعة التي أُحِلَّت لرسول الله - ﷺ - ولم تُحَلّ لأَحد قبله، ثُمَّ قال لَهُم: «كُفوا السّلاح فقام أَبو شاة فقال: اكتُب لي يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ «اكتُبُوا لأَبي شَاة، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَستَغْفِرُ الله لِي وَلَكُم»(١).

قال الزهري - فيما رواه عبد الرزّاق، والطَّبراني: ثم نزل - ونزل رسولُ الله - ﷺ - ومعه المفتاح، فتنحّى ناحيةً من المسجد، فجلس عند السقاية.

قال شيوخُ محمد بن عمر: وكان - ﷺ - قد قبض مِفتاح السّقاية من العبّاس، ومفتاح البيت من عُثمان.

وروى ابنُ أَبي شَيْبَةَ عن عبد الله بن عبيدة: أَنّ رسولَ الله - ﷺ - بعدَ خُطبته عَدَلَ إِلى جَانب المسْجِد فأُتِيَ بدلوٍ من مَاء زَمْزَم، فَغَسَلَ منها وَجْهَه مَا يَقَعُ مِنْه قطرة إِلا في يد إِنسان إِن كانت قَدْرَ مَا يَحْسُوها حَسَاها وإِلا مسح جلده. والمشركون ينظرون فقالوا: ما رأَينا مَلِكاً قط أَعظم من اليوم. ولا قوماً أَحمق من القوم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٣٤)، مسلم في الحج (٤٤٧، ٤٤٨)، وأبو داود (٢٠١٧) (٣٦٤٩، ٤٥٠٥) والترمذي (٢٦٦٧) وأحمد ٢٣٨/٢ والبيهقي ٥٢/٨ والدارقطني ٩٧/٣.

ذكر تصديقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعثمان بن طلحة قبل الهجرة بأن المفتاح سيصير بيده ـ صلى الله عليه وسلم ـ يضعه حيث شاء ونزل قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ [النساء ٥٨]

روى ابن سعدٍ عن إبراهيم بن محمد العبدَريّ عن أَبيه، محمد بن عمر عن شيوخه، قَالُوا: قَالَ عُثْمان بن طلحة: لَقِيَنِي رسولُ الله ـ ﷺ ـ بمكَّة قَبْلَ الهجرة، فَدَعَاني إلى الإِسْلاَم فقلتُ: يا محمد العجبُ لك حيثُ تطمعُ أَن أَتبعك، وقد خالفْتَ دينَ قَوْمِك وجئتَ بدينٍ مُحْدث، وكنا نفتحُ الكعبَةَ في الجاهليّة الاثنين والخميس، فَأَقبَلَ يوماً يريدُ أَن يدخلَ الكعبة مع النّاس فأَغلظتُ عليه ونِلْتُ منه، فَحَلُم عَنّي، ثم قالَ: «يا عُثمان لعلَّك سَتَرى هذا المفتاح يوماً بيدي أَضعُه حيثُ شئت» فقلتُ؛ لقد هَلَكَت قُريش وذلت. قال: «بل عَمِرَت يومئذ وعزّت»، ودَخَلَ الكعبةَ، فوقعتْ كلمتُه منّي موقعاً فظننت أَن الأَمرَ سيصيرُ كما قال، فأَردت الإِسلام فإِذا قومي يزبرونني زبرا شديدا، فلما كان يوم الفتح قال لي يا عثمان: «إِئت بالمفتاح» فأَتيته به. فأَخذه مني، ثم دفعه إِليّ وقال: «خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إِلاّ ظالم، يا عثمان إِن الله استأْمنكم على بيته، فكلوا مما وصل إِليكم من هذا البيت بالمعروف» فلما ولَّيْتُ نَادَاني، فَرَجَعْت إِليه، فقال: «أَلم يَكُن الَّذي قلتُ لَك؟ فَذَكَرتُ قولَه لي بمكَّة قَبْلَ الهجرة «لعلَّك سَتَرى هَذَا المفتاح يوماً بيدي أَضعُه حيث شِئْت» فقلتُ: بَلَى. أَشهدُ أَنك رسولُ الله، فقامَ عَليٌ بن أَبي طالب ومِفْتَاحُ الكعبةِ بيده فقال: يا رسولَ الله ـ اجْمَع لَنَا الحِجَابةَ مع السِّقَاية! فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ أَيْنَ عثمان بن طلحة؟ فدعَا فَقَالَ: «هاك مفتاحَكَ يا عثمان، اليوم يوم برٍ وَوَفاء» قالوا: وأَعطاه المفتاح ورسول الله ـ ﷺ ـ مضطبع بثوبه عليه، وقال «غَيِّبُوه. إِنّ الله تعالى رضي لكم بهَا في الجاهليّة والإِسْلاَم»(١).

وروى الفاكهي عن جُبَيْر بْنِ مُطعم: أَنّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ لمّا ناولَ عثمانَ المفتاحَ قَالَ له «غَيبه» قال الزهري: فلذلك يُغَيّب المفتاح.

وروى ابن عائِذ، وابن أَبي شَيْبَة من مرسل عبد الرحمن ابن سابط: أَن رسول الله ـ ﷺ ـ دفع مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة، فقال: «خُذُوهَا خَالِدَةً مُخَلَّدَةً، إِنّي لَمْ أَدْفَعها إِلَيْكُمْ، وَلكِنَّ الله ـ تَعَالَى ـ دَفَعَهَا إِلَيْكُم، وَلاَ يَنْزِعُهَا مِنكم إِلا ظالم».

وروى ابن عائِذ أَيضاً، والأَزرقي عن ابن جُرَيْج ـ رحمه الله ـ تعالى ـ أَن علياً ـ رضي الله عنه ـ قال للنبي ـ ﷺ ـ: اجمع لنا الحجابة والسقاية فنزلت: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا

---

(١) أنظر البداية والنهاية ٤/٣٠١.

﴿الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء ٥٨] فَدَعَا عثمانَ فقال: «خُذُوهَا يَا بَنِي شَيْبَةَ خَالِدَةً مُخَلَّدَةً». وفي لفظٍ: «تَالِدَةً لاَ يَنْزِعُهَا مِنكُمْ إِلاَّ ظَالِمٌ».

وروى الأزرقي عن جابر ومجاهد قال: نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ في عثمان بن طلحة بن أبي طلحة. فقبض رسول الله - ﷺ - مفتاح الكعبة ودخل في الكعبة يوم الفتح، فخرجَ رسولُ الله - ﷺ - وهو يتلو هذه الآية، فَدَعَا عثمان، فدفع إليه المفتاح، وَقَالَ - ﷺ - «خذوهَا يَا بَنِي أَبي طَلْحَة بأمانة الله - سُبْحَانه وتعالى - لاَ يَنْزِعُهَا مِنْكُم إِلاَّ ظالم»[1].

وقال عُمَرُ بنُ الخَطَّاب: لَمَّا خرج رسولُ الله - ﷺ - مِنَ الكَعْبَةِ خَرَجَ وَهُوَ يَتْلُو هَذِه الآية، مَا سَمِعتهُ يَتلُوهَا قَبْلَ ذَلِكَ.

وروى أيضاً نحوه عن سعيد بن المسيَّب قال: دَفَعَ رَسُولُ الله - ﷺ - مفتاح الكَعْبَةِ إلى عُثْمَان بن طلحة يوم الفتح، وقال: «خُذُوها يَا بنِي طَلحَةَ خَالِدَةً تَالِدَةً لاَ يَظْلِمُكُمُوهَا إِلاَّ كَافِرٌ».

وروى عبد الرّزاق والطَّبَرَاني عن الزهريّ: أن رسول الله - ﷺ - لَمَّا خرج من البيت قَالَ عَلِيٌّ: «إِنا أُعْطِينَا النُّبوَّةَ والسِّقَايَة، والحِجَابَة، مَا قَومٌ بأَعظَمَ نَصيباً مِنَّا فَكَرِهَ رسولُ الله - ﷺ - مقالَتَهُ، ثُمَّ دَعَا عثمان بن طلحة فدفعَ المفتاحَ إليه وقال: «غَيِّبُوه».

وقال عبد الرزّاق عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة: أن رسول الله - ﷺ - قال لعلي يومئذٍ حين كلَّمَهُ في المفتاح: «إنما أعطيتكم ما تُرزَؤُون، ولم أعطكم ما تَرزَؤُون» يقول: «أعطيتكم السِّقَايَةَ لأنكم تَغْرِمُون فيها، ولم أعطكم البَيْتَ». قال عبدُ الرّزاق: أي أنهم يأْخُذُونَ من هديَّتِهِ.

وروى عبد الرّزاق عن ابن أبي مليكة: أن العبّاس - رضي الله عنه - قال للنبيّ - ﷺ -: يا نَبيَ الله!! اجْمَعْ لَنَا الحِجَابَةَ مع السّقاية، ونزل الوحي عَلَى رسُولِ الله - ﷺ - فقال: «ادعوا لي عثمان بنَ طلحة، فَدعِيَ له فَدَفَعَ له النبي - ﷺ - المفتاح، وستر عليه، قال: فرسولُ الله - ﷺ - أَوّل مَن ستر عليه، ثُمّ قال: «خُذُوهَا يَا بَنِي طلحة لاَ ينتزعها منكم إلا ظالم».

ذكر صلاته - صلى الله عليه وسلم - ركعتين في قبل الكعبة

عن السائب بن يزيد - رضي الله عنه - قال: حضرتُ رسولَ الله - ﷺ - يومَ الفتح صلى

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١١/١٢٠، وانظر المجمع ٣/٢٨٥ وابن سعد ٢/١/٩٩، وأبو نعيم في تاريخ اصفهان ١/٢٤٨ والسيوطي في الدر المنثور ٢/١٧٥.

في قُبل الكعبة، فخلع نعليه فوضعهما عن يساره، ثم استفتح سورة المؤمنين، فلما جاء ذكر موسى أو عيسى أخذته سعلة فركع. رواه ابن أبي شَيْبَة في المصنف.

ذكر اطلاعه - صلى الله عليه وسلم - على ما قالته الأنصار - رضي الله عنهم بينهم لما أمن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قريشاً

روى أبو داود الطيالسي، وابن أبي شيبة، والإمام أحمد، ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أنّ رسولَ الله - ﷺ - لَمَّا فرغ من طَوَافِهِ؛ أَتى الصَّفَا فَعَلاَ منه حتّى يَرَى البيْتَ، فَرَفَعَ يديْه، وَجَعَلَ يحمدُ الله - تعالى - ويذكره. ويَدْعُو مَا شَاء الله أن يدعو. والأنصار تحته، فقالَ بعضهُم لبعض: أمَّا الرَّجُلُ فأدركته رغبةٌ في قريته، ورأفةٌ بعشيرته - قال أبو هريرة - رضي الله عنه - وَجَاء الوحيُ - وكَانَ إِذَا جَاء لَمْ يخف علينا: فليس أحدٌ من الناس يرفع طرفه إلى رسولِ الله - ﷺ - حتى يُقْضَى فلما قُضِيَ الوحْيُ، قال رسولُ الله - ﷺ -: «يَا معْشَرَ الأنْصَار» قالوا: لبيّك يا رسولَ الله، قال: «قُلْتُم أمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رغْبَةٌ في قَرْيَتِهِ، وَرَأْفَةٌ في عَشِيرَتِهِ» قَالُوا: قد قُلنَا ذلك يا رسولَ الله. قال: «فما أُسمَّى إذن!! كَلاَّ، إِنِّي عَبْدُ اللَّه وَرَسُوله، هَاجَرْتُ إِلى الله وَإِلَيْكُم، المحْيَا مَحْيَاكُم والمَمَاتُ مَمَاتُكُم» فأقبلوا إليه يَبْكُون، يقولون: والله يا رسول الله ما قلنا الذي قلنا إلا الضِّنُّ بالله وبرسوله. فقالَ رسولُ الله - ﷺ: «فَإِنَّ الله وَرَسُولَه يَعْذِرَانكُم وَيَصْدُقَانِكُم»(١).

ذكر اطلاعه - صلى الله عليه وسلم - على ما هم به أبو سفيان وما أسره لهند بنت عتبة

روى ابن سعدٍ عن أبي إِسحاق السبيعي - رحمه الله تعالى - والحاكم في الإِكليل، والبيهقيّ عن ابن عبّاس - رضي الله تعالى عنهما - قالا: رأى أبو سفيان رسول الله - ﷺ - يمْشِي والناسُ يَطِئُونَ عَقِبَه، فقال بينَهُ وبَيْنَ نفسه: لَوْ عَاوَدْتُ هذا الرّجلَ القِتَالَ، وجمعتُ له جَمْعاً؟ فجاء رسولُ الله - ﷺ - حتَّى ضرب بيده في صدْرِه فقال: «إِذَنْ يُخْزِيكَ الله» فقالَ: أتوبُ إلى الله - تعالى - وأستغفر الله ممّا تفوَّهتُ به، ما أيْقَنْتُ أنّك نبي حتّى الساعة، إني كنت لأحدث نفسي بذلك(٢).

وروى محمد بن يحيى الذهلي - بالذال المعجمة، واللاّم في كتابه - جمع حديث الزهري - عن سعيد بن المسيّب - رحمه الله تعالى - قال: لمّا دخل رسولُ الله - ﷺ - مكة

---

(١) مسلم ١٤٠٧/٣ في الجهاد والسّير باب فتح مكة (٨٦) والبيهقي في الدلائل ٥٦/٥ والطحاوي في المعاني ٣/ ٣٢٥.

(٢) ذكره ابن عساكر كما في التهذيب ٤٠٦/٦، والبيهقي في الدلائل ١٠٢/٤.

ليلةَ الفتح، لم يزالوا في تكبيرٍ وتهليلٍ وطوافٍ بالبيت حتى أصبحوا فقالوا أبو سُفيان لهند: أترين هذا من الله؟ قالت: نعم هذا من الله قال: ثم أصبح فغدا أبو سفيان إلى رسول الله - ﷺ - فقالَ رسولُ الله - ﷺ - «قُلْتَ لِهِنْد أترين هَذَا مِنَ الله؟؟ قالت: نَعَمْ هَذَا مِنَ الله» فقال أبو سُفيان: أشهدُ أنَّك عبدُ اللّه ورسوله، والذي يُحلفُ به مَا سَمِعَ قولي هذا أحد من النَّاس إلا الله عز وجل وهند.

وروى ابن سعدٍ، والحارث بن أبي أُسامة، وابن عساكر عن عبد اللّه بن أبي بكر بن حزم - رحمه الله تعالى - قال: خرجَ رسولُ الله - ﷺ - وأبو سُفْيان جالسٌ في المسجد فَقَالَ أبو سفيان: ما أدري بما يَغْلِبُنَا محمّد؟ فأتاه رسولُ الله - ﷺ - فَضَرب صدْرَه وقال: «بالله - تعالى - نغْلِبُك» فقالَ أبو سفيان: أشهدُ أنّك رسولُ الله[١].

وروى العَقيلي وابن عساكر عن ابن عباس - رضي الله تعالى - عنهما - قال: لقي رسولُ الله - ﷺ - أبا سفيان بن حرب في الطَّوَاف فقال: «يَا أَبَا سُفْيَان هَلْ كَانَ بيْنَكَ وَبَيْنَ هِنْدٍ كَذَا وَكَذَا؟ فقال أبو سفيان: فَشَتْ عَلَيَّ هندٌ سِرِّي، لأفعلن بها ولأفعلن، فلما فرغ رسول الله - ﷺ - من طوافه لحق بأبي سُفيان فقال: «يَا أَبَا سُفْيَان، لا تُكَلِّمْ هِنْداً فَإِنَّهَا لَمْ تُفْشِ مِنْ سِرِّكَ شَيْئاً» فقال أبو سفيان: أشهد أنك رسولُ الله - ﷺ.

ذكر مبايعته - صلى الله عليه وسلم - الناس على الإسلام

روى الإمام أحمد، والبيهقي عن الأسود بن خلف - رضي الله تعالى عنه - أنه رأى رسولَ الله - ﷺ - يُبَايع النّاس يوم الفتح. قال: جلس عند قَرْنِ مَسْقَلَة، فبايع النَّاسَ على الإسلام فجاءه الكبار والصِّغار، والرِّجال والنِّساء، فبايعهم على الإيمان بالله - تعالى - وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبدهُ ورسولُه[٢].

وقال الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير - رحمه الله تعالى -: اجتمع الناس بمكّة لبيعةِ رسولِ الله - ﷺ - على الإسلام، فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا، وعمر بن الخطاب أسفل من مجلس رسول الله - ﷺ - فأُخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، فلما فرغ من بيْعَةِ الرِّجال بايع النساء وفيهنَّ هند بنت عُتْبَة، امرأة أبي سُفيان متنقِّبة متنكِّرَة خوفاً من رسولِ الله - ﷺ - أن يُخبرها بما كان من صنيعها بحمزة، فهي تخاف أن يأخذها بحدثها ذلك، فلما دَنَيْنَ من رسولِ الله - ﷺ - قال: «بَايِعْنَنِي عَلَى ألا تُشْرِكْنَ بالله

---

(١) العقيلي في الضعفاء ٢٢٦/١، ٥٧/٣، وابن عساكر كما في التهذيب ٤٠٦/٦، والطحاوي في المعاني ٣١٤/٤ وابن حجر في اللسان ١٧٨/٤.

(٢) أحمد في ٤١٥/٣.

شَيْئاً» فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرّجال فقال: «وَلاَ تَسْرِقْنَ» فقالت: والله إني كنت أصَبْتُ من مال أَبي سُفيان الهِنَة بعد الهِنَة، وما كنت أَدْري أكان ذلك حلالاً أم لا؟ فقال أَبو سفيان: - وكان شاهداً لما تقول - أَمَّا مَا أصبْتِ فيما مضى فأَنْتِ منه في حلّ - عفا الله عنك - ثم قال: «وَلاَ تَزْنِين» فقالت: يا رسول الله: أَو تزني الحرة؟! ثم قال: «وَلاَ تَقْتُلْنَ أَوْلاَدَكُنَّ» قالت: قد ربَّيْنَاهم صِغَاراً وقتلتهم كباراً، فأنْت وهم أَعلم، فضحك رسولُ الله - ﷺ - وعمر، ثم قال: «وَلاَ تَأْتين بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَه بَيْنَ أَيديكن وأَرجلكن» فقالت: والله إنَّ إتيان البهتان لقبيح وَلَبَعْضُ التجاوز أمثل، ثم قال: «وَلاَ تَعْصِين» فقالت: في معروف فقال رسول الله - ﷺ -: لعمر: «بَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ الله إنَّ الله غَفُورٌ رَحِيم» فبايعهن عمر، وكان رسولُ الله - ﷺ. لا يُصَافح النساء ولا يمس جِلْدَ آمرأَة لم يحلها الله - تعالى - له أَو ذات مَحْرَم وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت لا والله ما مسَّت يد رسول الله - ﷺ - يد امرأة قط وفي رواية ما كان يبايعهن إلا كلاما ويقول إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة[1].

ذكر أمره - صلى الله عليه وسلم - بتكسير الأصنام

قالوا: ونادى منادى رسول الله - ﷺ - بمكة من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَدَعْ في بيته صنَماً إلا كَسَرَه[2].

ذكر أذان بلال - رضي الله عنه - فوق الكعبة يوم الفتح وما وقع في ذلك من الآيات

روى أَبو يعلى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وابنُ هشام عن بعض أَهل العلْم، والبيهقيُّ عن ابن إسحاق، وعن عروة، وابن أَبي شيبة عن أَبي سلمة، ويحيى بن عبد الرّحمن بن حاطب، والأَزرقيُّ عن آبن ابي مُليكة، ومحمدُ بن عمر عن شيوخه - رحمهم الله تعالى - أنَّ رسولَ الله - ﷺ - لَـمَّا حانت الظهر أَمر - بلالاً أَن يُؤذِّن بالظهر يومئذٍ فوقَ الكعبة ليغيظ بذلك المشركين، وقريش فوق رؤُوس الجبال، وقد فَرَّ جماعةٌ من وُجُوهِهم وتغيَّبوا، وأَبو سفيان بن حرب، وعتَّاب - ولفظُ ابنُ أَبي شَيْبَةَ: خالد بن أَسِيْد، والحارث بن هشام - جلوسٌ بفناء الكعبة - وأَسلموا بعد ذلك. فقال عتَّاب - أَو خالد - بن أَسِيد: لقد أكرم الله أَسيداً أَن لا يكون يسمع هذا، فيسمع ما يغيظه، وقال الحارث: أَما والله لو أَعلم أَنه محق

---

(١) أحمد ٣٥٧/٦ وانظر زاد المسير ١٤٥/٨ وابن كثير في البداية ٣١٩/٤.

(٢) آبن سعد في الطبقات ٩٩/١/٢.

لاتَّبعتُه، فقالَ أَبو سُفْيان: لا أَقولُ شيئاً، لو تكلمتُ لأَخبرتْ عَنِّي هذه الحَصَا، وقال بعضُ بني سعيد بن العاص، لقد أكرم الله سعيدا إذْ قَبضَه قَبْل أَن يرى هذا الأَسود على ظهر الكعبة. وقال الحكم بن أَبي العاص: هذا والله الحدثُ العظيم أَن يَصِيحَ عبدُ بني جُمَح على بنيّة أَبي طلحة. وقال الحارث بن هِشَام: إن يكن الله ـ تعالى ـ يكرهه فسيغيّره، وفي روايةٍ: أن سُهيل بن عمرو. قال مثْلَ قَوْلِ الحارث، فَأَتى جبريلُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ فأَخبره خبرهم، فخرج عليهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ فقال «قد علمتُ الَّذي قلتم» فَقَالَ الحارث وعتّاب: نشهد إنك رسولُ الله ـ صلَّى اللّه عليك وسلم ـ ما اطلع على هذا أَحدٌ كان معنا فنقول أَخْبَرَك[1].

ذكر أمره ـ صلى الله عليه وسلم بتجديد الحرم يوم الفتح

روى الأَزرقيّ عن محمد بن الأَسود، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا: أَولُ مَنْ نَصَبَ أَنصابَ الحرم إبراهيم، كان جبريلُ ـ ﷺ ـ يدلُّه على مواضعها، فلم تُحَرَّك حتى كان إسماعيل ـ ﷺ ـ فجددها، ثم لم تُحَرَّك حتى كان قُصَيٌّ بن كلاب فجدّدها، ثم لم تحرك حتى كان يوم الفتح فَبَعَثَ رسول الله ـ ﷺ تميم بن أَسد الخُزَاعيّ فجدَّد أَنصاب الحرم.

ذكر إسلام السائب بن عبد الله المخزومي ـ رضي الله عنه

روى ابن أَبي شيبة، والإمام أَحمد عن مجاهد عن السائب: أَنه كان شاركَ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قبل الإسلام في التجارة، فلما كان يوم الفتح أَتاه فقال: «مَرْحَباً بِأَخِي وَشَرِيكِي، كَانَ لاَ يُدَارِي وَلاَ يُمَارِي، يَا سَائِبُ!! قَدْ كُنْتَ تَعْمَل أَعْمَالاً في الجَاهِلِيَّة لاَ تُتَقَبَّل مِنْكَ وهي اليوم تتقبل منك» وَكَانَ ذَا سَلَفٍ وَخُلَّة».

وروى الإِمام أَحمد عن مجاهد عن السائِب بن عبد اللّه قال: جيء بي إِلى رسول الله ـ ﷺ ـ يوم فتح مكة فجعل عثمان وغيرُهُ يُثْنُون عَلَيَّ، فقال رسول الله: «لاَ تُعلمونِي بِهِ، كَانَ صَاحِبي».

ذكر إسلام الحارث بن هشام ـ رضي الله عنه

روى محمد بن عمر عن الحارث بن هِشَام قال: لما دخل رسولُ الله ـ ﷺ ـ مكة، دخلتُ أَنا وعبد اللّه بن أَبي ربيعة دار أُمّ هانئ، فذكر حديث أَن النّبي ـ ﷺ ـ أَجاز جِوَارَ أم هانئ، قال: فَانطلقنا، فأَقمنا يومين، ثمَّ خرجنا إلى منازلنا، فَجَلَسْنَا بأَفنيتها لاَ يَعْرِض لَنَا أَحَد، وكنَّا نخافُ عمر بن الخطاب، فوالله إني لجالسٌ في ملاءة مورَّسة على بابي ما شعرت إلا بعمر بن الخطاب، فإذا معه عدة من المسلمين فسلَّم وَمَضَى، وجعلتُ أَستحي أَن يراني رسولُ

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٧٨/٥،

الله - ﷺ - وأذكر رؤيته إيّاي في كلّ موطن مع المشركين ثم أذكر برّه ورحمته وصِلَتَه فألقاه وهو دَاخِل المسجد، فلقيني بالبِشْر، فوقَفَ حتى جئته فَسَلَّمتُ عليه، وشهدتُ بشهادةِ الحقّ، فقال: الحمدُ لله الَّذي هداكَ، ما كان مثلك يجهل الإسلام قال الحارث: فوالله ما رأيت مثل الإسلام جُهِلَ(١).

ذكر إسلام سهيل بن عمرو - رضي الله عنه

روى محمد بن عمر - رحمه الله - عن سهيل بن عمرو قال: لمّا دخل رسولُ الله - ﷺ - مَكّة وظهر، اقتحمتُ بيتي وأغلقت بابي عليّ، وأرسلت إلى ابني عبد اللّه أن اطلب لي جِواراً من محمد فإني لا آمن أن أُقْتَل، فذهب عبد اللّه إلى رسولِ الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله!! أبي تؤمنه؟ قال: «نَعم، هُو آمِنٌ بِأَمَانِ الله فَلْيَظْهر» ثم قال رسولُ الله - ﷺ - لمن حَوْلَه: «مَنْ لَقِيَ سُهَيْل بنَ عمرو فلا يحد إليه النَّظَرَ فَلَعَمْرِي إنّ سُهَيْلاً له عَقْلٌ وَشَرَف، وَمَا مِثْلُ سُهَيْلٍ جَهِلَ الإِسْلاَمَ، وَلَقَدْ رأى مَا كَانَ يُوضَع فيه أَنَّه لَمْ يَكُنْ بِنَافع له» فخرجَ ابنُه عبد اللّه إلى أبيه فأخبره بما قاله رسول الله - ﷺ - فقال سهيل: كان والله براً صَغِيراً، بَراً كَبِيراً، فكان سهيل يُقْبِل ويُدْبِر آمنا وخرج إلى حنين مع رسول الله - ﷺ - وهو على شركه حتى أسلم بالجِعرّانَة(٢).

ذكر إسلام عتبة ومعتب ولدي أبي لهب - رضي الله عنهما

روى ابن سعدٍ عن ابن عبّاسٍ عن أَبيه - رضي الله عنهما - قال: لما قَدِمَ رسولُ الله - ﷺ - مكّة في الفتح قال لي: «أين آبْنَا أَخِيكَ عُتْبَة ومعتّب آبْنَي أَبي لَهَب. لاَ أَرَاهُمَا»؟ قلت: تَنَحّيَا فيمَنْ تَنَحّى مِنْ مُشْرِكي قُرَيْش، قال: «ائْتِنِي بِهِمَا» فركبتُ إليهما بِعُرْنَةَ فأتيت بهما، فدعاهُما إلى الإسلام فأسلما وبايعا، ثم قام رسولُ الله - ﷺ - فأخذَ بأيديهما وانطلق بهما حتّى أتى الملتزم، فدَعا ساعةً ثم آنصرف والسُّرورُ يُرَى في وَجْهِه، فقلتُ: يا رسولَ الله سَرّك الله إنّي أرى السُّرورَ في وجهك، فقال: «إني اسْتَوْهَبْتُ ابْنَيْ عَمّي هَذَين من ربي فوَهَبهُمَا لِي».

ذكر إسلام عبد الله بن الزبعرى - رضي الله عنه

روى محمد بن عمر عن شيوخه قَالَ: هربَ عبد اللّه بن الزِّبَعْرى إلى نَجْرَان، فأرسلَ حسّانُ بنُ ثابتٍ - رضي الله عنه - أبياتاً يريدُ بها ابنَ الزِّبَعْري:

---

(١) الواقدي في المغازي ٢/٨٣١.

(٢) الواقدي في المغازي ٢/٨٤٨.

لاَ تَعْدَمَنْ رَجُلاً أَحَلَّكَ بُغْضُهُ نَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَذَّ لَئِيمِ
بَلِيَتْ قَنَاتُكَ فِي الحُرُوبِ فَأُلْفِيَتْ خَوَّارَةً خَوْفَاءَ ذَاتَ وُصُومِ
غَضَبُ الإِلَهِ عَلَى الزِّبَعْرِي وَابْنِهِ وَعَذَابُ سُوءٍ فِي الحَيَاةِ مُقِيمِ

وذكر ابنُ إسحاق البيتَ الأَوَّلَ فقط فلمّا جاء ابنَ الزِّبَعْرِي شعرُ حسّان، خرجَ إلى رسول الله - ﷺ - وهو جالس في أصحابه، فلمّا نظر إليه رسولُ الله - ﷺ - قال: «هذا ابنُ الزِّبَعْرى، ومعه وجه فيه نور الإسلام فلَمّا وقف على رسول الله - ﷺ - قال السّلامُ عليكَ يا رسُولَ الله، أَشهدُ أَن لا إله إلاّ الله وأَنك عبده ورسولُه، الحمد لله الَّذي هَدَانِي للإسلاَم، لقد عاديتُكَ، وأَجلبْتُ عليك وركبتُ الفَرَس والبعيرَ، ومشيتُ على قَدَمَيَّ في عَدَوَاتِك، ثم هربتُ منك إلى نجران، وأنا أُريدُ أَن لا أُقِرّ بالإسلام أبدا، ثم أَرادني الله منه بخير، وأَلقاه في قلبي، وحَبَّبَهُ إليّ. وذكرتُ ما كنتُ فيه من الضلالة واتباع ما لا ينبغي من حجرٍ يُذبح له ويُعْبَد، لا يَدْرِي مَنْ عبدَه، ولا مَنْ لاَ يَعْبُدُه. قال رسولُ الله - ﷺ - «الحَمْدُ لله الذي هَدَاكَ لِلإِسْلاَم، إِنَّ الإِسْلاَمَ يُجِبُّ مَا كَانَ قَبْلَه»

وقال عبد الله حين أَسلم:

يَا رَسُولَ المَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ
إِذْ أُبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الغَيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ
آمَنَ اللَّحْمُ والعِظَامُ لِرَبِّي ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ
إِنَّنِي عَنْكَ زَاجِرٌ ثَمَّ حَيّاً مِنْ لُؤَيٍّ وَكُلُّهُمْ مَغْرُورُ

وقال عبد الله أَيضاً حين أَسلم:

مَنَعَ الرُّقَادَ بَلاَبِلٌ وَهُمُومُ وَاللَّيْلُ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقِ بَهِيمُ
مِمَّا أَتَانِي أَنَّ أَحْمَدَ لاَمَنِي فِيهِ فَبِتُّ كَأَنَّنِي مَحْمُومُ
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا عَيْرَانَةٌ سُرُحُ اليَدَيْنِ غَشُومُ
إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي أَسْدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلاَلِ أَهِيمُ
أَيَّامَ تَأْمُرُنِي بِأَغْوَى خُطَّةٍ سَهْمٌ وَتَأْمُرُنِي بِهَا مَخْزُومُ
وَأَمُدُّ أَسْبَابَ الرَّدَى وَيَقُودُنِي أَمْرُ الوُشَاةِ وَأَمْرُهُمْ مَشْئُومُ
فَاليَوْمَ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ قَلْبِي وَمُخْطِئُ هَذِهِ مَحْرُومُ
مَضَتِ العَدَاوَةُ فَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا وَدَعَتْ أَوَاصِرُ بَيْنَنَا وَحُلُومُ
فَاغْفِرْ فِدَى لَكَ وَالِدَايَ كِلاَهُمَا زَلَلِي فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومُ
وَعَلَيْكَ مِنْ عَلَمِ المَلِيكِ عَلاَمَةٌ نُورٌ أَغَرُّ وَخَاتَمٌ مَخْتُومُ

أَعْطَاكَ بَعْدَ مَحَبَّةٍ بُرْهَانَهُ ... شَرَفاً وَبُرْهَانُ الإِلَهِ عَظِيمُ

وَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنَّ دِينَكَ صَادِقٌ ... حَقٌّ وَأَنَّكَ فِي العِبَادِ جَسِيمُ

والله يَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ مُصْطَفَى ... مُسْتَقْبَلٌ فِي الصَّالِحِينَ كَرِيمُ

قَرْمٌ عَلاَ بُنْيَانُهُ مِنْ هَاشِمٍ ... فَرْعٌ تَمَكَّنَ فِي الذُّرَى وأُرُومُ

ذكر إسلام عكرمة ـ رضي الله عنه ـ ابن أبي جهل

روى محمد بن عمر عن شيوخه ـ رحمه الله تعالى ـ وإيّاهُم: أَن عِكْرِمَة ـ رضي الله عنه ـ قال: بَلَغَنِي أَنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ نَذَرَ دَمِي يَوْمَ الفَتْحِ، وكنتُ في جَمْعٍ مِنْ قُرَيش بأَسفل مكَّة ـ وقد ضَوَى إِلَيَّ مَنْ ضَوَى ـ فَلَقِينَا هُنَاكَ خالدُ بنُ الوليد، فَأَوْقَعَ بنا، فهربتُ منه أُرِيدُ والله ـ أَن أُلقِيَ نفسي في البحر، وأَموتُ تائِهاً في البِلاَدِ قَبْلَ أَنْ أَدْخُلَ في الإِسْلاَم، فخرجتُ حتَّى آنتهيتُ إِلى الشُّعَيْبَةِ، وكانت زوجتي أُمّ حكيم بنت الحارث امرأَة لها عَقْل، وكانت قد اتَّبعت رسولَ الله ـ ﷺ ـ فَدَخَلت عَلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت: يا رسولَ الله، إِنَّ ابن عمِّي قد هَرَبَ يُلْقِي نفسه في البحر فأَمنه.

وروى ابنُ أَبي شَيْبَة وأَبو دَاود، والنسائيّ عن سعد بن أَبي وَقاص ـ رضي الله تعالى عنه، والبيهقيُّ عن عُرْوَة ـ رحمه الله تعالى: أَنَّ عِكْرِمَة ركب البَحْر فأَصابَتْهُم ريحٌ عاصِفٌ، فنادى عِكْرِمَةُ اللاَّتَ والعُزَّى، فقال أَهلُ السَّفِينة: أَخلصوا فإِن آلهتكم لا تُغْنِي عَنْكُم شيئاً، فقال عِكْرِمةُ: والله لئِن لم يُنْجِنِي مِنَ البَحْر إِلاَّ الإِخلاص لا يُنْجِيني في البَرّ غَيْرُه، اللَّهم لَكَ عَهْداً إِن أَنتَ عَافَيْتني مِمَّا أَنَا فيه أَن آتِ مُحَمَّداً حتَّى أَضَعَ يديْ في يده، فلأَجِدَنَّهُ عَفُوّاً غفوراً كريماً، فَجَاء وَأَسلم(١).

وروى البيهقي عن الزّهري، ومحمد بن عمر عن شيوخه: أَن أُم حكيم امرأَة عِكْرِمَة بن أَبي جهلٍ قَالَتْ لرسولِ الله ـ ﷺ ـ يا رسول الله: قد ذَهَبَ عِكْرِمَةُ عنك إِلى اليمن، وخاف أَن تقتله، فأَمنهُ يا رسولَ الله، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ «هو آمن» فخرجتْ أُمُّ حكيم في طلبه، ومعها غلامٌ لها روميٌّ، فراوَدَها عن نفسها فَجعَلَت تمنيه حتى قَدِمَت به على حَيٍّ من عَكٍّ فاستعانتهم عليه، فأَوثقوه رِبَاطاً، وأَدركتْ عِكْرِمة وقد انتهى إِلى البحر، فركب سفينة، فجعلَ نوتيٌّ يقولُ له: أَخْلِصْ أَخْلِص، قال: أَي شيءٍ أَقول؟ قَالَ: قُلْ لاَ إِله إِلاَّ الله، قال عِكْرِمَة: ما هَرَبْتُ إِلا مِنْ هذا، وَإِن هذا أَمر تعرفه العربُ والعجمُ حتَّى النَّواتي!! مَا الدِّينُ إِلاَّ مَا جَاء به محمد، وغَيَّرَ الله قَلْبي، وَجَاءتني أُمُّ حَكِيم عَلَى هَذَا الأَمر، فجعلت تُلِيحُ إِلَيّ وتقول: يا ابن

---

(١) ابن سعد ٣/٢٦١.

عَمّ، جئتُكَ من عِنْدَ أَبَرّ النّاس، وأَوْصَلِ النّاس، وخَيْرِ النّاس، لا تَهْلِكْ نَفْسَك، فوقف لها حتّى أدركته، فقالت له: إنّي قد اسْتَأْمَنْتُ لك رسولَ الله ـ ﷺ ـ فَأَمَّنَك، فَرَجَعَ مَعَهَا وقالت: ما لقيته من غلامك الرومي وأخبرته خبَره فقتله وهو يومئذ لم يُسْلِم.

فلمّا وافى مكّة قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ «يَأْتِيكُم عِكْرِمَةُ بن أَبِي جَهْلٍ مُؤْمِناً مُهَاجِراً فَلاَ تَسُبّوا أَبَاه، فَإِنَّ سَبَّ الميتِ يُؤْذِي الحَيَّ ولا يبلغ الميت» فجعل عِكْرِمَةُ يطلبُ إمرأتَه يُجَامِعُها فَتَأْبَى عليه وتَقُول: أَنْتَ كَافِرٌ وأَنَا مُسْلِمَة، فقال: إنَّ أَمْراً مَنَعَكِ مِنّي لأَمْرٌ كَبِيرٌ قال ابن عقبة والزهري فيما رواه البيهقي وعروة وغيرهما: فلما رأى رسولُ الله ـ ﷺ ـ عكرمةَ وثَبَ إليه ـ وَمَا عَلا رسولِ الله ـ ﷺ ـ رداء فَرحاً بعكرمة، ثُمّ جَلَسَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ فوقف عكرمةُ بين يديه ومعه زوجَتُه مُتَنَقِّبة، فقال: يا محمد!! إنَّ هذه أَخْبَرَتْنِي أَنَّكَ أَمَّنْتَنِي، فقالَ رسولُ الله ـ ﷺ «صَدَقَتْ فَأَنْتَ آمن» قال عكرمة: فإلاَمَ تَدْعُو يا محمد؟ قال: «أَدْعُو إِلَى أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَنّي رَسُولُ الله، وتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وتفعل وتفعل» حتى عَدَّ خِصَالَ الإِسْلاَم، فقالَ عِكْرِمَةُ: والله مَا دَعَوْتَ إلاَّ إِلى خَيْرٍ وأَمْرٍ حَسنٍ جَمِيل، قد كُنتَ فينَا يا رسُولَ الله قَبْلَ أَنْ تَدْعُونَا ـ إلى ما دَعَوتَنَا إليه ـ وأَنت أَصْدَقُنا حَدِيثاً، وَأَبَرُّنَا بَرّاً، ثُمّ قال عِكْرِمَةُ: فَإِنّي أَشْهَدُ أَن لا إِلَه إلاَّ الله، وأَنَّ محمّدا رسولُ الله ـ ﷺ ـ فَسُرَّ بِذَلِك رسولُ الله ـ ﷺ ـ ثم قال: يا رسولَ الله: عَلِّمْنِي خير شَيْءٍ أقوله، قال: «تَقُول أَشْهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبدُه وَرَسُولُه»، قَالَ عكرمة: ثُمَّ مَاذَا؟ قالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «تَقُول: «أُشْهِدُ الله وأُشْهِدُ مَنْ حَضَرَ أَنّي مُسْلِم مُجَاهِدٌ مُهَاجر»، فقال عِكْرِمَة ذلك(١).

ذكر إسلام صفوان بن أمية ـ رضي الله عنه

روى ابن إسحاق عن عُرْوَة بن الزّبير، والبيهقيُّ عن الزُّهري، ومحمد بن عمر عن شيوخه قَالُوا: خَرَجَ صَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ يريدُ جِدَّة ليركبَ مِنْهَا إِلَى اليمن، فقال عُمَيْر بنُ وَهْب: يَا نَبيَّ الله ـ إن صَفْوَان بن أُمَيَّةَ سَيِّدُ قومي وقد خرج هارباً منك، ليقذفَ نَفْسَه في البحر، فَأَمنه صلّى الله عليك وسلّم ـ قال: «هُوَ آمِن» فخرج عُمَير حتّى أدركه ـ وهو يُرِيدُ أَنْ يركَبَ البحر ـ وقال صفوانُ لغلامه يسار ـ وليس معه غيره ـ وَيْحَكَ!! أُنْظُرْ مَنْ تَرَى؟ قَالَ: هَذَا عُمَيْر بنُ وَهْب، قَالَ صَفْوَان: مَا أَصنَعُ بعمير بن وهب، والله مَا جَاء إلاَّ يريدُ قَتْلِي قَدْ ظَاهَرَ عَلَيَّ محمّداً؛ فلحقه فقالَ: يا أَبَا وهب جُعِلْتُ فِدَاك، جِئْتُ مِنْ عِنْدِ أَبَرّ النَّاسِ، وَأَوْصَلِ النَّاسِ، فداكَ أَبِي وأُمّي الله الله في نفسك أن تهلكها، هذا أَمان من رسول الله ـ ﷺ ـ قد جئتك به. قال: ويحك

(١) المغازي للواقدي ٨٥١/٢ والبيهقي في الدلائل ٩٨/٥.

أَغرب عني فلا تكلمني. قال: أَي صفوان فداك أَبي وأُمي. أَفضلُ النَّاسِ وأَبَرُّ النَّاس وخيرُ النَّاس ابن عَمِّك، عِزُّه عِزُّك، وشَرَفُه شَرَفُك ومُلْكُهُ مُلْكُك، قال: إِني أَخافه على نفسي. قال: هُوَ أَحْلَمُ مِنْ ذَلك وأَكْرَم، قَالَ: ولا أَرجعُ مَعَك حتَّى تأْتيني بعلامةٍ أَعرفها، فقال: امكثْ مكَانَك حتَّى آتيك بِها، فرجع عُمَيْر إِلى رسُولِ الله - ﷺ - فقال: إِنَّ صَفْوَان أَبَى أَنْ يأْنَسَ لي حتَّى يرى منْكَ أَمارةً يعرفها، فنزعَ رسولُ الله - ﷺ - عِمَامَتَه فأَعْطَاه إِيَّاهَا، وهي البرد الَّذِي دخَلَ فيه رسولُ الله - ﷺ - معتجرا به بُرْدٍ حِبَرَة، فرجعَ معه صَفْوانُ حتَّى انتهى إِلى رسولِ الله - ﷺ - وهو يُصَلِي بالمسلمين العَصْرَ في المسجد، فلمَّا سلَّم رسولُ الله - ﷺ - صَاحَ صفْوان: يا محمد، إِنَّ عُمَير بن وَهْب جَاءني ببُرْدِكَ، وَزَعَمَ أَنَّك دَعَوْتَنِي إِلى القُدُوم عَلَيْكَ، فإِن رَضِيت أَمراً وإِلا سيَّرتني شهرين. فقال: «انْزِلْ أَبَا وَهْب» قال: لا والله حَتَّى تُبَيِّنَ لي قال: «بل لك تَسْيير أَربعة أَشهر» فنزل صفوان، ولَمَّا خَرَجَ رسولُ الله - ﷺ - إِلى هَوَازِن وفرق غنائمها فرأَى رسولُ الله - ﷺ - صفوان ينظر إِلى شِعب ملآن نَعَماً وشَاء ورعاء، فأَدام النَّظَر إِليه، ورسولُ الله - ﷺ - يرمقه فقال: «يَا أَبا وَهْب يعجبك هذا الشِّعب؟» قال: نَعَم قال: «هُو لَكَ وَمَا فِيه» فَقَبَضَ صَفْوَانُ مَا في الشِّعب، وقال عِنْدَ ذَلِك: مَا طَابَتْ نَفْسُ أَحدٍ بمثْلِ هَذَا إِلاَّ نَفْسُ نَبِيّ، أَشهدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وأَنَّ محمَّداً عَبْدُه وَرَسُولُه. وأَسلم مكانه[١]

ذكر إسلام هند بنت عتبة وما وقع في ذلك من الآيات رضي الله عنها

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قالت هندُ بنت عُتْبَة: يا رسول الله ما كان على ظهر الأَرْضِ خباء أَو قالت من أَهل خباء أُريد أَن يذلُّوا من أَهل خبائك ثم ما أَصْبَحَ اليوم على ظهر الأَرض خباء أَو قالت منْ أَهْلِ خباء أَحبّ إِليّ مِنْ أَنْ يَعِزُّوا من أَهْلِ خباء أَو قالت: خبائك، رواه الشيخان[٢].

وروى محمَّدُ بنُ عُمَر عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - قال: سمعت مولاة لمروان بن الحكم تقول: سمعت هندا بنت عُتبة بن ربيعة تقول وهي تَذْكُر رسولَ الله - ﷺ - فتقول: أَنا عَادَيْتُه كلَّ العَدَاوَةِ، وفعلتُ يوم أُحُدٍ ما فعلتُ من المثلى بعمِّه وأَصحابه، وكُلَّما سيرت قريشٌ مسيرةً فأَنا معها بنفسِي أَوْ مُعِينَةً لقريش، حتَّى أَن كنت لأَعينُ كلَّ مَنْ غزَا إِلى محمد، حتَّى تجردتُ مِنْ ثِيَابي، فرأَيتُ في النَّوْمِ ثلاث ليال وِلاء بعد فتح مكة، رأَيت كأَني

(١) أنظر المصدرين السابقين:

(٢) أخرجه البخاري ١٧٥/٧ (٣٨٢٥)، والبيهقي في الدلائل ١٠٠/٥.

في ظلمةٍ لا أُبْصِرُ سَهْلاً ولا جَبَلاً، وأَرى تِلْكَ الظُّلْمة انفرجتْ عليَّ بضوءٍ كأنَّه الشّمس، وإذا رسول الله - ﷺ - يَدْعُونِي، ثُمَّ رأَيتُ في اللَّيْلَةِ الثَّانية، كأنِّي على طريقٍ يدْعُونِي، وَإِذَا هُبَلُ عَنْ يميني يَدْعُوني، وَإِذَا إِسَاف عَنْ شِمَالي يدعُونِي، وإذا بِرَسُول الله - ﷺ - بَيْنَ يديَّ يقول: «هَلُمِّي إِلى الطَّرِيق؛ ثُمَّ رأيتُ اللَّيْلَة الثّالثة كأنِّي واقفةٌ على شفير جَهَنَّم، يُرِيدُونَ أَن يَدْفَعُوني فيها، وَإِذَا بهبل يقول أدخلوها فَالتَفَتُّ فَأَنْظُر رسول الله - ﷺ - من ورائي آخذٌ بِثِيَابي، فتباعدتُ مِنْ شَفِير النَّار فَلاَ أَرى النَّار، ففزعتُ فقلت: ما هذا، وقد تبيّن لي، فغدوتُ مِنْ سَاعَتي إلى صنم في بيتٍ كُنَّا نجعلُ عليه منديلا، فأخذت قدوماً فجعلتُ أُفَلِّذه وأقول: طَالَمَا كُنَّا مِنْكَ في غُرُور، وأَسلمْتُ.

وروى أيضاً عن عبد اللّه بن الزبير - رضي الله عنهما - أَنَّ هِنداً أَتَتْ رسولَ الله - ﷺ - وهو بالأبطح، فأَسلمت، وقالت: الحمدُ لله الَّذِي أَظْهَرَ الدّين الَّذِي آخْتَارَه لِنَفْسِه لتمسني رحمتُك يا محمد، إِني امرأَةٌ مُؤْمِنَة بالله، مُصَدِّقَةٌ به ثم كَشَفَتْ عَنْ نِقَابِهَا، فَقَالَت: أنا هند بنت عتبة، فَقَالَ رسولُ الله - ﷺ -: «مَرْحَباً بك» فَقَالَتْ يا رسولَ الله: والله ما كانَ على وجهه الأَرضِ مِنْ أَهْلِ خباء أَحب إِليّ من أَن يذلُّوا من خبائك، ولقد أَصبحتُ وَمَا علَى الأَرضِ أَهل خباء أَحب إِليّ أَن يَعَزُّوا من خبائك.

وروى أيضاً عن أَبي حُصَين الهُذَليّ قال: لَمَّا أَسْلَمَتْ هند بنت عتبة، أَرسلتْ إِلَى رسولِ الله - ﷺ - بهَدِيَّةٍ - وهو بالأَبطح - مع مَوْلاَةٍ لَهَا بجَدْيَيْنِ مَرْضُوفَيْنِ وقدٍ، فأنتهت الجَارِيَةُ إِلَى رَسُولِ الله - ﷺ - فقالت: إِنَّ مَوْلاَتِي أَرسلتْ إِليك هٰذه الهديَّة، وهي تعتذرُ إِليكَ وتَقُول: إِنَّ غَنَمَنَا اليومَ قَلِيلَةُ الوالدة، فقالَ رسولُ الله - ﷺ -: «بَارَكَ الله لَكُمْ في غَنَمِكُم وَأَكثر والدتها» وكانت المولاةُ تقول: لقد رأَينَا مِنْ كَثْرَةِ غَنَمِنَا ووالدتها مَا لَمْ نكنْ نَرَى قَبْل ولا قريباً، فتقولُ هند: هَذَا بدُعَاء رسولِ الله - ﷺ - ثُمَّ تقول: لقَدْ كُنْتُ أَرى في النَّومْ أَنِّي في الشَّمْسِ أَبداً قائِمة والظلُّ مِنِّي قريب لاَ أَقدرِ عليه، فلمَّا دَنَا رسولُ الله - ﷺ - رأَيتُ كَأَنِّي دخلتُ الظِّلَّ.

ذكر سبب خطبته - صلى الله عليه وسلم - ثاني يوم الفتح وتعظيمه حرمة مكة

رَوَى ابنُ أَبي شَيْبَةَ عن الزّهري، ومحمدُ بنُ عمر عن شُيُوخِه، قَالُوا: خرج غَزِيٌّ مِنْ هُذَيْلٍ في الجَاهِلِيَّةِ وفيهم جُنَيْدِبُ بن الأَدْلَع الهُذلي يريدون حيّ أَحمر بأسا مِنْ أَسْلَم - وكانَ أَحمر بأساً رجلاً من أَسْلَم شُجاعاً لا يُرام، وكان لا ينامُ في حَيِّه إِلاَّ ينام خارجاً من حاضره، وكانَ إِذَا نَامَ غَطَّ غطيطاً مُنْكَراً لا يخفى مكانه، وكان الحاضر إِذا أَتاهم فَزَعٌ صرخوا: يا أَحمر بأسا. فيثورُ مِثْلَ الأَسَد، فلمَّا جَاءهُمْ ذَلِكَ الغَزِيُّ مِنْ هُذَيل قَالَ لَهُمْ جنَيْدِبُ بنُ الأدلع: إِنْ كانَ

أَحمر بأَساً قد قيّل في الحاضر فليس إِليهم سبيل، وإِنَّ له غَطِيطاً لا يخفى، فدعوني اتَسَمّع فتسمع الحسّ فسمعه، فأَتاه حتَّى وجده نَائِماً فَقَتَلَه، وضعَ السَّيفَ على صدْرِه، ثُمَّ اتكَأَ عليه فَقَتَله ثم حَمَلُوا على الحيّ فصاحَ الحيّ يا أَحمر بأسا، فَلاَ شيء لأَحمر بأسا، قد قُتِل - فنالُوا مِنَ الحيِّ حَاجَتَهُم، ثُم انصرفُوا وتشاغَلَ النَّاسُ بالإِسْلاَم، فلمَّا كان بعْدَ الفَتْح بيوم دَخَلَ جُنَيْدِبُ بنُ الأَدلع الهُذلي مَكَّةَ يرتادُ وينظر والناسُ آمِنُون، فرآه جُندُب بن الأَعْجَم الأَسْلَمِيُّ فقالَ: جُنَيْدب بن الأَدلع قاتل أَحمر بأسا؟ قال: نَعَمْ فَمَه، فخرجَ جُنْدُب يستجيشُ عليه حَيَّه، فَكَانَ أَول من لقي خراش بن أُميّة الكَعْبي فَأَخبره. فَآشتمل خِرَاش على السَّيْف ثُمَّ أَقْبَلَ إِليه - والنَّاسُ حَوْلَه، وهو يحدِّثُهُم عن قَتْلِ أَحمر بأسا فبينما هم مُجتمِعُونَ عليه إِذْ أَقْبَلَ خِرَاشُ بنُ أُمَيَّةَ فَقَال: هكذا عن الرجل. فوالله ما ظَنَّ النَّاسُ إِلاَّ أَنه يُفَرِّجُ النَّاسَ عنه لينصرفوا، فانفرجوا فحمل عليه خِرَاشُ بنُ أُميّة بالسَّيْف فطعنه به في بَطْنه وابن الأَدلع مستند إِلى جدار مِنْ جُدُرِ مَكَّة، فجعلت حَشْوَته تسيلُ مِنْ بَطْنِه، وإِن عينيه لَتُرَنِّقَانِ في رَأْسِه، وهو يَقُول: فَعَلْتُمُوهَا يا مَعْشَر خُزَاعَة؟ فانْجَعَفَ فَوَقَع فمات. فَسَمِعَ رسولُ الله - ﷺ - بذلكَ فقالَ: «يَا مَعْشَرَ خُزَاعَة ارفَعُوا أَيْدِيكُم عَنِ القَتْلِ، فَقَدْ كَثر القتل، لَقَدْ قَتَلْتُم قَتِيلاً لأَدِيَنَّه، إِنَّ خِرَاشاً لَقَتَّال - يعيبه بذلك. لَوْ كُنْتُ قَاتِلاً مؤْمِناً بِكَافِرٍ لَقَتَلْتُ خِرَاشاً»[١].

وروى الشيخان والتِّرمذي عن ابن شريح خويلد بن عمرو العدوي، والشيخان عن ابن عباس، وابن منيع بسندٍ صحيح، وابن أَبي عمرو. والإِمام أَحمد، والبيهقي عن ابن عمر، وابن أَبي شيبة، والشّيخان عن أَبي هُرَيْرَة - رضي الله عنهم - وابن أَبي شيبة عن الزُّهْري، وابن إِسحاق عن بعضِ أَهلِ العلم، ومحمد بن عمر عن شُيُوخِه، قالُوا: لـمَّا كان الغدُ من يوم الفتح عَدَت خُزَاعةُ على رجل من هَذَيْلٍ فقتلوه - وهو مُشْرِك - فَقَامَ رسولُ الله - ﷺ - خطيباً بعد الظهر، وأَسند ظهره إِلى الكَعْبَة.

وعند ابن أَبي شيبة عن أَبي هريرة: أَنه - ﷺ - ركب راحلته فحمدَ الله وأَثْنَى عليه، وقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الله تَعَالَى حَرَّم مَكَّة يَوْمَ خَلَقَ السموات والأَرض وَيَوْمَ خَلَقَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ، وَوَضَعَ هَذَيْنِ الجَبَلَيْنِ، وَلَم يُحَرِّمْهَا النَّاس، فَهِي حَرَامٌ إِلى يَوْم القيامة، فلا يَحِلُّ لامْرِءٍ يُؤْمِنُ بالله وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسفِكَ فِيهَا دَماً ولا يعْضِدَ فيها شَجَراً، لَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَلَمْ تَحِلَّ لأَحدٍ يَكُونُ بَعْدِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِي إِلاَّ هَذِهِ السَّاعَةِ غَضَباً عَلَى أَهْلِهَا - أَلا قَدْ رَجَعَتْ حُرْمَتُهَا اليَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بالأَمْس فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهدُ منْكُم الغائبَ، فَمنْ قَالَ لَكُم إِنَّ رَسُولَ الله - ﷺ - قَد قَاتَلَ فِيهَا فَقُولُوا له: إِن الله تَعَالَى قَدْ أَحَلَّهَا لِرَسُولِ الله - ﷺ - وَلَمْ يحِلَّهَا لَكُم،

---

(١) أخرجه الطحاوي في المعاني ٣٢٧/٣ وانظر الفتح ٢٠٦/١٢ والبداية ٣٠٥/٤.

أَيُّهَا النَّاس، إِن أَعْدَى النَّاسِ عَلَى الله مَن قَتَلَ في الحرَم، أَوْ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِله، أَوْ قَتَل بِذُحُولِ الجَاهِلِيَّة، يَا مَعْشَرَ خُزَاعَة ارْفَعُوا أَيْدِيَكُم عن القَتْلِ فَقَدْ والله كَثُر إِنْ نَفَع، فَقَدْ قَتَلْتُم قتيلاً لأَدِيَنَّهُ، فَمَنْ قَتَلَ بَعْدَ مَقَامِي هَذَا فَأَهْلُه بخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِنْ شَاؤُوا فَديَتُهُ كَامِلَة، وَإِنْ شَاؤُوا فَقَتْله ثم وَدَى رسولُ الله - ﷺ - ذلك الرَّجُلَ الَّذي قتلته خُزَاعة. قال ابن هِشَام: مائة ناقة. قال ابن هشام: وبلغني أنَّه أَوَّلُ قتيلٍ وَدَاه رسولُ الله - ﷺ -(١).

ذكر قوله - صلى الله عليه وسلم - في قريش انها لا تقتل صبرا

روى مسلم عن عبد اللّه بن مطيع بن الأَسود عن أَبيه - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقولُ يوم فتح مكة: «لاَ يُقْتَلُ قُرَيْشِيٌّ صَبْراً بَعْدَ اليَوْمِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَة»(٢).

وروى محمد بن عمر عن أَبي حُصين الهذلي قال: لما قُتِلَ النفرُ الذين أَمرَ رسولُ الله - ﷺ - بقتلهم سُمِعَ النَّوْحُ عليهم بمكَّة، وجاء أَبُو سفيانَ بن حرب إِلى رسولِ الله - ﷺ - فقال: فداكَ ابي وأُمي البَقِيَّةَ في قَوْمِك، فقالَ رسولُ الله - ﷺ -: «لا يُقْتَلُ قُرَيْشِيٌّ صَبْراً بَعْدَ اليَوْم» قال محمد بن عمر: يعني على الكُفْرِ(٣).

وروى أَيضاً عن الحارث بن البرصاء - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول: «لا تُغْزَى قُرَيْشٌ بَعْدَ هَذَا اليَوْم إِلَى يَوْمِ القِيَامَة على الكُفْر»(٤).

ذكر استسلافه - صلى الله عليه وسلم - مالا وتفريقه على المحتاجين ممن كان معه

روى محمد بن عمر عن إِبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن أَبي ربيعة بن المغيرة لمخزومي قال: أَرسلَ رسولُ الله - ﷺ - يوم الفتح، فاستسلف مِنْ عبد اللّه ابن أَبي ربيعة بن لمغيرة أَربعين أَلْفَ دِرْهَم، فأَعطاه، فَلَمَّا فتح الله تعالى هَوَازن، وغنَّمهُ أَموالها رَدَّها، وقال: «إِنَّما جَزَاء السَّلَف الحمدُ والأَداء»، وقال: «بَارَكَ الله لَكَ في مَالِكَ وَوَلَدِك»(٥).

---

١) أنظر المغازي للواقدي ٨٤٤/٢.

٢) أخرجه مسلم في الجهاد باب ٣٣ حديث (٨٨)، والدارمي ١٩٨/٢ والحميدي (٥٦٨). والطبراني في الكبير ٨٨/٧ وأحمد ٤١٢/٣، والطحاوي في المعاني ٣٢٦/٣ والبيهقي في الدلائل ٧٩/٥ وابن أبي شيبة ١٧٣/١٢، ٩٠/١٤.

٣) المغازي للواقدي ٨٦٢/٢.

٤) الواقدي ٨٦٢/٢ وابن سعد ٩٩/١/٢، والطبراني في الكبير ٢٩٢/٣ وابن أبي شيبة ٤٩٠/١٤ والبيهقي في الدلائل ٧٥/٥.

٥) الواقدي ٨٦٣/٢ والنسائي في البيوع باب ٩٧ والبيهقي في السنن ٣٥٥/٥، وأبو نعيم في الحلية ١١١/٧ والبخاري في التاريخ ١٠/٥ وابن السني ٢٧٢، وأحمد ٣٦/٤ وابن ماجه (٢٤٢٤).

ورُوِي أَيْضاً عن أَبي حُصَيْن الهُذَلي قال: استقرض رسولُ الله - ﷺ - من ثلاثَةِ نَفَرٍ من قريش، من صَفْوان بن أُميّة خمسين أَلفَ دِرْهَم فأَقرضه. وَمِنْ عَبد الله بن أَبي ربيعة أَربعين أَلفَ دِرْهَم، ومن حُوَيْطِب بن عبد العُزّى أَربعين أَلف درهم، فكانت ثلاثين ومائة أَلف درهم، فَقَسَّمَهَا رسولُ الله - ﷺ - بين أصحابه من أَهْلِ الضَّعْفِ، قال أَبو حُصَين، فأَخبرني رجالٌ من بني كِنَانة كانوا مع رسول الله - ﷺ - في الفتح أَنه قسّم فيهم دراهم فيصيب الرجلُ خمسين درهماً أَو أَقل أَو أَكثر من ذلك(١).

ذكر نهيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ثمن الخمر والخنزير وعن الميتة وبعض فتاويه واحكامه

روى ابن أَبي شَيْبَة عن جابر - رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - عام الفتح يقول: «إِنَّ الله تَعَالَى حَرَّمَ بَيعَ الخَمْر والخَنَازِير والمَيْتَة وَالأَصْنَام» فقال رجلٌ: يا رسولَ الله!! مَا تَرى في شُحُومِ الميتة فإِنّه يدهن بها السّفن والجلُود، ويستصبح بها؟ قال: «قَاتَلَ الله اليَهُودَ؛ إِنَّ الله لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِم شُحُومَهُمَا أَخذوها فجمدُوهَا ثُمَّ بَاعُوهَا وَأَكَلُوا ثَمَنَهَا»(٢).

وروى ابنُ أَبي شَيْبَةَ عن عبد الرّحمن بن الأَزهر - رضي الله عنه - قال: رأَيت رسولَ الله - ﷺ - عامَ الفتح - وأَنا غلامٌ شاب - ينزل عند منزل خالد بن الوليد، وأُتي بِشَارِبٍ فأَمرهم فضربوه بِما في أَيديهم، فمنهم من ضَرَبَ بالسوط، وبالنَّعْل، وبالعَصَا وحثا رسولُ الله - ﷺ - التُّرَاب(٣).

وروى الشَّيخانِ عن عائشةَ أَنَّ هِنْداً بنتَ عُتْبَة سأَلت رسولَ الله - ﷺ - يومَ الفتح قالت: يا رسولَ الله إِنَّ أَبا سُفيان رجلٌ مِسِّيك، فهلْ مِنْ حَرَجٍ أَن أُطْعِمَ مِنَ الذي له عِيَالَنَا؟ فقال لها: «لاَ عَلَيْكِ أَنْ تُطْعِمِيهِمْ بِالمَعْرُوف»(٤).

وعن عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قالتْ: كانَ عُتْبَةُ بنُ أَبي وقّاص عهد إِلى أَخيه سعد أَن يَقْبِضَ عبْدَ الرّحمن بن وَلِيدَة زَمْعَة، وقال عُتْبَة: إِنّه ابني، فلمّا قدِمَ رسولُ الله - ﷺ - مكّة في الفتح رأَى سعدٌ الغلام فعرفه بالشّبه فاحتضنَه إِليه وقَالَ: ابنُ أَخِي وربُّ الكعبة، فأَقبلَ به إِلى رسولِ الله - ﷺ - وأَقبلَ معه عَبْدُ بنُ زَمْعَة، فقال سعدُ بن أَبي وقاص: هذا ابن أَخي عَهِدَ إِليّ

(١) المغازي ٨٦٣/٢.
(٢) أخرجه من حديث جابر البخاري ٤٢٤/٤ (٢٢٣٦) ومسلم ١٢٠٧/٣ (١٥٨١/٧١) ومن حديث ابن عمر البخاري ٤١٤/٤ (٢٢٢٣) ومسلم ١٢٠٧/٣ (١٥٨٢/٧٢).
(٣) البيهقي ٣١٩/٨.
(٤) أخرجه البخاري ٥٠٧/٩ (٣٦٤) ومسلم ١٣٣٨/٣ (١٧١٤/٧).

أَنَّه ابنُه، فقال عَبْدُ بنُ زَمْعَةَ: يا رسولَ الله، هذا أَخي، هذا ابنُ زَمْعَةَ وُلِدَ على فراشه، فنظر رسولُ الله - ﷺ - إلى ابن وليدة زَمْعة فإذا هو أَشْبَهُ النَّاسِ بعُتْبَةَ بن أَبي وَقاص فقالَ رسولُ الله - ﷺ - «هُوَ» - أي الولد «لَكَ هُوَ أَخُوكَ يَا عَبْدُ بن زَمْعَةَ؛ من أَجل أنه ولد على فِرَاشِهِ، الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، ولِلْعاهِرِ الحجرُ، واحْتَجبي مِنْهُ يَا سَوْدَة، لما رَأَى مِنْ شَبه عُتْبَةَ بن أَبي وقَّاص بالولَد. رواه البخاري[١].

وعن عروةَ بن الزُّبير عَنْ عَائشةَ - رضي الله عنها -: أَنَّ آمرأَةً سرقت في عَهْدِ رسولِ الله - ﷺ - في غزوةِ الفتح، فقالُوا: مَنْ يُكَلِّم فيها رسولَ الله - ﷺ -؟ فقيل: ومن يجترئ عليه إلا أُسامة بن زَيْدٍ حِبّ رسول الله - ﷺ -؟ ففزعَ قومُهَا إلى أُسَامَةَ بْنِ زَيد يستشفعونَ به إلى رسولِ الله - ﷺ - فلما كلَّمَه أُسامةُ فيها تَلَوَّنَ وَجهُ رسولِ الله - ﷺ - فقال: «أَتُكَلِّمُنِي» وفي لفظٍ «أَتَشفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله؟!» قال أُسامة: يا رسولَ الله إستغفر لي فلما كان العشيُّ قَامَ رسولُ الله - ﷺ - خطيباً فأَثْنَى على الله - تعالى - بما هو أَهلُه، ثُم قال: «أَمَّا بَعْد فَإِنَّمَا أَهلَكَ النَّاسَ» وفي لفظٍ «هلك بنو إِسْرَائيل» وفي لفظِ «الَّذِين مِنْ قَبْلِكُم» أَنهم كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهم الشَّرِيفُ تَركُوه، وَإِذَا سَرَقَ فيهم الضعيف وفي لفظِ الوَضيعُ قَطَعُوه» وفي لفظ: أَقَامُوا عَلَيْه الحَدَّ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لقطَعْتُ يَدَهَا» ثم أَمر رسولُ الله - ﷺ - بتلك المرأَة وفي رواية النّسائي «قم يا بلال، فخذ بيدَها فاقطعها» فحسُنَتْ توبتهَا بعد ذلك، وتزوَّجَتْ رجلاً من بني سُليم، قالت عائشةُ: فكانتْ تأْتيني بَعْدَ ذلك فأَرفعُ حاجتها إلى رسُولِ الله - ﷺ - رواه الإمام أَحمد والشَّيْخَان والنّسائي والبيهقي[٢]

ذكر من نذر ان فتح الله تعالى مكة على رسوله ان يصلوا ببيت المقدس

عن جابر - رضي الله عنه - أَنَّ رجلاً قال يومَ الفتح، إِنِّي نذرتُ إِن فتح الله عليك مكَّةَ أَن أُصلِّي في بيتِ المقدس، فقالَ رسول الله - ﷺ -: «صَلِّ هَهنَا» فسأَله فقال: «صَلِّ هَهُنَا» فسأَله: فَقَالَ شأْنك إِذن، رواه الإمام أَحمد، وأَبو دَاود بإسناد صحيح والحاكم وقال: على شرط مسلم، والإمام أَحمد وأَبو داود وفي رواية عن بعضِ الصحابة، فقالَ رسولُ الله - ﷺ -: «والَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بالحقّ لَوْ صَلَّيْتَ هَهُنَا لَقَضَى عنك ذلك كُلَّ صلاة في بيت المقدس»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧١/٥ (٢٧٤٥) ومسلم ١٠٨٠/٢ (١٤٥٧/٣٦).
(٢) أخرجه البخاري ٥١٣/٦ (٣٤٧٥) ومسلم ١٣١٥/٣ (١٦٨٨/٨) احمد ٣٦٣/٣.
(٣) أحمد ٣٦٣/٣ وأبو داود (٣٣٠٥)، والبيهقي ٨٢/١٠ والدارمي ١٨٥/٢ والطحاوي في المعاني ١١٥/٣ والبخاري في التاريخ ١٧٠/٦ والحاكم ٣٠٤/٤.

ذكر قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تغزى مكة بعد اليوم

عن الحارث بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقولُ يومَ فتح مكَّة: «لاَ تُغْزَى هَذِهِ بَعْدَ اليَوْمِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» رواه الإمام أَحمد، والتِّرمذيّ، وقال: حديث حسنٌ صحيح. قال العلماء: معنى قوله: «لاَ تُغْزَى» يعني على الكُفْر.

ذكر ارساله ـ صلى الله عليه وسلم ـ السرايا لهدم الأصنام التي حول مكة، والإغارة على من لم يسلم

روى محمد بن عمر عن عبيد بن عمير ـ رحمه الله تعالى ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ في يوم فتح مكة: لم تحل لنا غنائم مكة[1]. وروى أَيضاً عن يعقوب بن عتبة قال: لم يغنم رسول الله ـ ﷺ ـ من مكة شيئاً، وكان يبعثُ السَّرايَا خارجةً من الحرم، وعرفة، والحل، فيغنمون ويَرْجِعُون إليه، قَالُوا: بعث رسول الله ـ ﷺ ـ خالدَ بنَ الوليد لهدم العُزَّى، وخالدَ بن سعيد بن العاص قِبل عُرَنَة، وهشامَ بن العاص قِبَل يَلَمْلَم، وسعدَ بن زيد الأَشْهَلي إِلى مَنَاة، وغيرهم، وسيأْتي بيان ذلك مبسوطاً في السَّرايا ـ إن شاء الله تعالى

ذكر قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا هجرة بعد الفتح

وذلك أَن مكَّة شرّفها الله تعالى كانت قَبْلَ الفتح دَارَ حَرْبٍ، وكانت الهِجْرَةُ منها واجبةً إِلى المدينة، فلمَّا فُتِحَتْ مَكَّة صارت دَارَ إِسْلاَم؛ فانقطعت الهِجْرَة منها.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ يوم الفتح فتح مكة: «لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُم فَانْفِرُوا» رواه الشيخان.

وعن عطاء بن أَبي رباح ـ رحمه الله تعالى ـ قال: زرتُ عائشة ـ رضي الله عنها ـ مع عُبَيد بن عمير الليثي، وهي مجاورة بثبير فسأَلها عن الهجرةِ فقالت: «لاَ هِجْرَةَ اليَوْمَ، كَانَ المُؤْمِنُونَ يفرُّ أَحدُهُم بِدِينِه إِلى الله وَرَسُولِهِ مَخَافَةَ أَن يُفْتَن عنه، فَأَمَّا اليَوْمَ فَقَدْ أَظْهَرَ الله تعالى الإِسلام، فالمؤمنُ يعبدُ ربَّه حيثُ كَانَ؛ ولكن جهادٌ ونِيّة». رواه الشيخان.

وعن يَعْلَى بن صَفْوَان بن أُميّة ـ رضي الله عنهما ـ قال: جئتُ بأَبي يومَ الفتح، فقلت: يا رسولَ الله بايع أَبِي عَلى الهِجْرَة، فقالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ «بل أُبايعه على الجهاد، فقد انقضت الهِجْرَة». رواه الإمام أَحمد والنسائي.

وروى ابن أَبي أُسامة عن مجاهدٍ ـ مُرْسَلا. قال: جاء يَعْلى بن صَفْوَان بن أُمية ـ رضي

---

(١) أحمد ٦/٤٦٦.

الله عنهما - بعد الفتح فقال: يا رسولَ الله - اجعل لأبي نصيباً في الهجرة، فقال: «لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ اليَوْمِ» فأتى العباس فقال: يا أبا الفضل، ألستَ قَدْ عرفتَ بَلائي؟ قال: بَلَى، وماذا؟ قال: أتيتُ رسولَ الله - ﷺ - بأبي ليبايعَه على الهِجْرَة فأبى، فقامَ العباسُ معه في قيظٍ ما عليه رداء، فقال لرسولِ الله - ﷺ - أتاك يَعْلَى بأبيه لتبايعَهُ على الهجرة فلم تفعل، فقال: إنه «لاَ هِجْرَة اليَوْم» قال: أقسمتُ عليكَ يا رسول الله لتبايعه، فمدَّ رسولُ الله - ﷺ - يدَه فبايعه فقال: «قَدْ أبْرَرْتُ عَمِّي وَلاَ هِجْرَةَ».

ذكر قدر إقامته - صلى الله عليه وسلم - بمكة

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أقام رسولُ الله - ﷺ - بمكة تِسْعَةَ عَشَرَ يوماً يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وفي لفظٍ «أقَمْنَا مَعَ رَسُولِ الله - ﷺ بمكة تِسْعَةَ عَشَرَ نقصرُ الصَّلاَةَ(١)» رواه البخاريّ. وأبو داود، وعنده سبعة عشر بتقديم السِّين على المُوحدة وعن عمْرَان بن حُصين - رضي الله عنهما - قال: غَزَوْتُ مع رَسول الله - ﷺ - الفَتْح، فأقَامَ بمكّة ثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً لاَ يُصَلِّي إلاَّ رَكْعَتَيْنِ». رواه أبو داود.

وعن أنسٍ - رضي الله عنه - قال: «أقمنَا مع رسول الله - ﷺ - عشرة نقصُرُ الصَّلاَةَ». رواه البخاريّ في باب مُقَامِ النبي - ﷺ - بمكَّةَ زمان الفتح

وعن عُبيد اللّه بن عبد اللّه بن عُتبة بن مسعودٍ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسولَ الله - ﷺ - أقَامَ بمكة عَامَ الفتْح خَمْسَ عَشْرَةَ يقصر الصَّلاَةَ» رواه أبو داود مِنْ طريق ابْنِ إسْحاق، والنسائي من طريق عراك بن مالك كِلاَهُمَا عن عُبيد اللّه، وصحّحه الحَافِظ.

ذكر اخباره - صلى الله عليه وسلم - ذا الجوشن بانه سيظهر على قريش

روى ابنُ سعدٍ عن ابن إسحاق السبيعي - رحمه الله تعالى - قال: قَدِمَ ذُو الجوشن الكلابي على رسول الله - ﷺ - فقال له: «ما يَمْنَعُكَ مِنَ الإسْلاَمِ؟» قال: رَأيْتُ قَوْمَكَ كَذَّبُوكَ وَأخْرَجُوكَ وَقَاتَلُوك، فأنْظر، فإن ظَهَرتَ عَلَيْهِم آمنْتُ بِك واتَّبَعْتُكَ، وإنْ ظَهَرُوا عَلَيْكَ لَمْ أتَّبِعْك، فقال لَهُ رَسُولُ الله - ﷺ - «يَاذَا الجَوْشَن لَعَلَّكَ إن بقِيتَ قَلِيلاً أنْ تَرَى ظُهُورِي عَلَيْهِم(٢)» قال فوالله إني لَبضريّه إذْ قَدِم علينا راكبٌ من قِبَلِ مكة، فقلنا مَا الخبر؟ قال: ظَهَرَ محمدٌ على أهلِ مكّة، فكان ذُو الجوشن يتوجَّعُ على تركه الإسلام حين دَعَاهُ إليه رسولُ الله - ﷺ - قلتُ: وأسلم بعد ذلك، وروى عن النبي - ﷺ.

(١) سيأتي في هديه - ﷺ - في قصر الصلاة.

(٢) أحمد في المسند ٦٨/٤ وابن أبي شيبة ٣٧٥/١٤ وابن سعد ٣١/٦.

ذكر بعض ما قيل من الشعر في فتح مكة ـ زادها الله تعالى شرفا

قال حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ في غزوة الحُدَيْبِيَة مشيراً إلى الفتح، وبعضها في الجاهلية، كما ورد ذلك عنه، وهو ما أسقطته منها في وَصف الخمر:

عَفَتْ ذَاتُ الأَصَابِعِ فالجِوَاء ... إلَى عَذْرَاء مَنْزِلُهَا خَلاَء

دِيَارٌ مِنْ بَنِي الحَسْحَاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ والسَّمَاء

إلى أن قال:

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

يُنَازِعْنَ الأَعِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاء

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النِّسَاء

فَإمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الفَتْحُ وَانْكَشَفَ الغِطَاء

وَإلاَّ فَاصْبِرُوا لِجِلاَدِ يَوْمٍ ... يُعِينُ الله فِيهِ مَنْ يَشَاء

وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ الله فِينَا ... وَرُوحُ القُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاء

وَقَالَ الله قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْداً ... يَقُولُ الحَقَّ إنْ نَفَعَ البَلاَء

شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ ... فَقُلْتُمْ لاَ نَقُومُ وَلاَ نَشَاء

وَقَالَ الله قَدْ سَيَّرْتُ جُنْداً ... هُمُ الأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاء

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِن مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاء

فَنُحْكِمُ بالقَوَافِي مَنْ هَجَانَا ... وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاء

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي ... مُغَلْغَلَةً فَقَدْ بَرِحَ الخَفَاء

بِأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْداً ... وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتُهَا الإمَاء

هَجَوْتَ مُحَمَّداً وَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ الله فِي ذَاكَ الجَزَاء

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْء ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاء

هَجَوْتَ مُبَارَكاً بَرّاً حَنِيفاً ... أَمِينَ الله شِيمَتُهُ الوَفَاء

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ الله مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاء

فَإنَّ أَبِي وَوَالِدَتِي وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاء

فَسَوْفَ يَجِيئُكُمْ عَنْهُ حُسَامٌ ... يَصُوغُ المُحْكَمَاتِ كَمَا يَشَاء

لِسَانِي صَارِمٌ لاَ عَيْبَ فِيهِ ... وَبَحْرِي لاَ تُكَدِّرُهُ الدِّلاَء

وقال كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ:

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ إرْبٍ ... وَخَيْبَرَ ثُمَّ أَجْمَلْنَا السُّيُوفَا

نُخَبِّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ دَوْساً أَوْ ثَقِيفَا
فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنَّا أُلُوفَا
وَنَنْتَزِعُ العُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ وَتُصْبِحُ دَارُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا
وَيَأْتِيكُمْ لَنَا سَرَعَانُ خَيْلٍ يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعاً كَثِيفَا
إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَا
بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتٌ يُزِرْنَ المُصْطَلِينَ بِهَا الحُتُوفَا
كَأَمْثَالِ العَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا قُيُونُ الهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَتِيفَا
تَخَالُ جَدِيَّةَ الأَبْطَالِ فِيهَا غَدَاةَ الزَّحْفِ جَادِيّاً مَدُوفَا
أَجِدَّهُمُ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحٌ مِنَ الأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفَا
يُخَبِّرُهُمْ بِأَنَّا قَدْ جَمَعْنَا عِتَاقَ الخَيْلِ وَالنُّجُبَ الطُّرُوفَا
وَأَنَّا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْفٍ يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمُ صُفُوفَا
رَئِيسُهُمُ النَّبِيُّ وَكَانَ صُلْبَاً نَقِيَّ القَلْبِ مُصْطَبِراً عَزُوفَا
رَشِيدَ الأَمْرِ ذَا حُكْمٍ وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نَزِقاً خَفِيفَا
نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبَّاً هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رَؤُوفَا
فَإِنْ تُلْقُوا إِلَيْنَا السِّلْمَ نَقْبَلْ وَنَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضُداً وَرِيفَا
وَإِنْ تَأْبَوْا نُجَاهِدْكُمْ وَنَصْبِرْ وَلاَيَكُ أَمْرُنَا رَعِشاً ضَعِيفَا
نُجَالِدُ مَا بَقِينَا أَوْ تُنِيبُوا إِلَى الإِسْلاَمِ إِذْعَاناً مُضِيفَا
نُجَالِدُ لاَ نُبَالِي مَنْ لَقِينَا أَأَهْلَكْنَا التِّلاَدَ أَمِ الطَّرِيفَا
وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ أَلِبُوا عَلَيْنَا صَمِيمَ الجِذْمِ مِنْهُمْ وَالحَلِيفَا
أَتَوْنَا لاَ يَرَوْنَ لَهُمْ كِفَاءً فَجَدَّعْنَا المَسَامِعَ وَالأُنُوفَا
بِكُلِّ مُهَنَّدٍ لَيْنٍ صَقِيلٍ نَسُوقُهُمُ بِهَا سَوْقاً عَنِيفَا
لأَمْرِ اللهِ والإِسْلاَمِ حَتَّى يَقُومَ الدِّينُ مُعْتَدِلاً حَنِيفَا
وَتُنْسَى اللاَّتُ والعُزَّى وَوَدُّ وَنَسْلُبُهَا القَلاَئِدَ والشُّنُوفَا
فَأَمْسَوْا قَدْ أَقَرُّوا وَاطْمَأَنُّوا وَمَنْ لاَ يَمْتَنِعْ يَقْبَلْ خُسُوفَا

وقال أَنس بن زُنَيْم الدِّيلي ـ رضي الله عنه ـ: يعتذر إِلى رسول الله ـ ﷺ ـ مما كان قال فيه عمرو بن سالم الخزاعي ـ رضي الله عنه:

أَأَنْتَ الَّذِي تُهْدَى مَعَدٌّ بِأَمْرِهِ بَلِ اللهُ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ اشْهَدِ
وَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَبَرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ
أَحَثَّ عَلَى خَيْرٍ وَأَسْبَغَ نَائِلاً إِذَا رَاحَ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ المُهَنَّدِ

وأَكْسَى لِبُرْدِ الخَالِ قَبْلَ ٱبْتِذَالِهِ ... وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ المُتَجَرِّدِ
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي ... وَأَنَّ وَعِيداً مِنْكَ كَالأَخْذِ بِاليَدِ
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ قَادِرٌ ... عَلَى كُلِّ صِرْمٍ مُتْهِمِينَ وَمُنْجِدِ
تَعَلَّمْ بِأَنَّ الرَّكْبَ رَكْبَ عُوَيْمِرٍ ... هُمُ الكَاذِبُونَ المُخْلِفُو كُلِّ مَوْعِدِ
وَنَبَّوْا رَسُولَ الله أَنِّي هَجَوْتُهُ ... فَلاَ حَمَلَتْ سَوْطِي إِلَيَّ إِذاً يَدِي
سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ وَيْلُ أُمِّ فِتْيَةٍ ... أُصِيبُوا بِنَحْسٍ لاَ بِطَلْقٍ وَأَسْعُدِ
أَصَابَهُمُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ ... كِفَاءً فَعَزَّتْ عَبْرَتِي وَتَبَلُّدِي
وَإِنَّكَ قَدْ أَخْفَرْتَ إِنْ كُنْتَ سَاعِياً ... بِعَبْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّه وَابْنَةِ مَهْوَدِ
ذُؤَيْبٌ وَكُلْثُومٌ وَسَلْمَى تَتَابَعُوا ... جَمِيعاً فَإِلاَّ تَدْمَعِ العَيْنُ أَكْمَدِ
وَسَلْمَى وَسَلْمَى لَيْسَ حَيٌّ كَمِثْلِهِ ... وَإِخْوَتُهُ أَو هَلْ مُلُوكٌ كَأَعْبُدِ
فَإِنِّيَ لاَ ذَنْباً فَتَقْتُ وَلاَ دَماً ... هَرَقْتُ تَبَيَّنْ عَالِمَ الحَقِّ واقْصِدِ

ويرحم الله تعالى الإمام أبا محمد عبد الله بن أبي زكرياءَ الشقراطسي حيث قال:

وَيَوْمُ مَكَّةَ إِذْ أَشْرَفْتَ فِي أُمَمٍ ... تَضِيقُ عَنْهَا فِجَاجُ الوَعْثِ والسَّهْلِ
خَوَافِقٍ ضَاقَ ذَرْعُ الخَافِقَيْنِ بِهَا ... فِي قَاتِمٍ مِنْ عَجَاجِ الخَيْلِ وَالإِبِلِ
وَجَحْفَلٍ قُذُفِ الأَرْجَاءِ ذِي لَجَبٍ ... عَرَمْرَمٍ كَزُهَاءِ السَّيْلِ مُنْسَحِلِ
وَأَنْتَ صَلَّى عَلَيْكَ اللّهُ تَقْدُمُهُمْ ... فِي بَهْوِ إِشْرَقِ نُورٍ مِنْكَ مُكْتَمِلِ
يُنِيرُ فَوْقَ أَغَرِّ الوَجْهِ مُنْتَجِبٍ ... مُتَوَّجٍ بِعَزِيزِ النَّصْرِ مُقْتَبِلِ
يَسْمُو أَمَامَ جُنُودِ اللّهِ مُرْتَدِياً ... ثَوْبَ الوَقَارِ لأَمْرِ الله مُمْتَثِلِ
خَشَعْتَ تَحْتَ بَهَاءِ العِزِّ حِينَ سَمَتْ ... بِكَ المَهَابَةُ فِعْلَ الخَاضِعِ الوَجِلِ
وَقَدْ تَبَاشَرَ أَمْلاَكُ السَّمَاءِ بِمَا ... مُلِّكْتَ إِذْ نِلْتَ مِنْهُ غَايَةَ الأَمَلِ
وَالأَرْضُ تَرْجُفُ مِنْ زَهْوٍ وَمِنْ فَرَقٍ ... وَالجَوُّ يَزْهَرُ إِشْرَاقاً مِنَ الجَذَلِ
وَالخَيْلُ تَخْتَالُ زَهْواً فِي أَعِنَّتِهَا ... وَالعِيسُ تَنْثَالُ رَهْواً فِي ثِنَى الجُدُلِ
لَوْلاَ الَّذِي خَطَّتِ الأَقْلاَمُ مِن قَدَرٍ ... وَسَابِقٍ مِنْ قَضَاءٍ غَيْرِ ذِي حِوَلِ
أَهَلَّ ثَهْلاَنُ بالتَّهْلِيلِ مِنْ طَرَبٍ ... وَذَابَ يَذْبُلُ تَهْلِيلاً مِنَ الذُّبُلِ
المُلْكُ لله هَذَا عِزُّ مَنْ عُقِدَتْ ... لَهُ النُّبُوَّةُ فَوْقَ العَرْشِ فِي الأَزَلِ
شَعَبْتَ صَدْعَ قُرَيْشٍ بَعْدَمَا قَذَفَتْ ... بِهِمْ شَعُوبُ شِعَابَ السَّهْلِ والقُلَلِ
قَالُوا مُحَمَّدُ قَدْ زَادَتْ كَتَائِبُهُ ... كَالأُسْدِ تَزْأَرُ فِي أَنْيَابِهَا العُصُلِ
فَوَيْلُ مَكَّةَ مِنْ آثَارِ وَطْأَتِهِ ... وَوَيْلُ أُمِّ قُرَيْشٍ مِنْ جَوَى الهُبَلِ
فَجُدْتَ عَفْواً بِفَضْلِ العَفْوِ مِنْكَ وَلَمْ ... تُلْمِمْ وَلا بِأَلِيمِ اللَّوْمِ وَالعَذَلِ

أَضْرَبْتَ بالصُّفْحِ صَفْحاً عن طَوَائِلِهِمْ ... طَوْلاً أَطَالَ مَقِيلَ النَّوْمِ في المُقَلِ
رَحِمْتَ وَاشِجَ أَرْحَامٍ أُتِيحَ لَهَا ... تَحْتَ الوَشِيجِ نَشِيجُ الرَّوْعِ والوَجَلِ
عَاذُوا بِظِلِّ كَرِيمِ العَفْوِ ذِي لَطَفٍ ... مُبَارَكِ الوَجْهِ بالتَّوْفِيقِ مُشْتَمِلِ
أَزْكَى الخَلِيقَةِ أَخْلاَقاً وأَطْهَرهَا ... وَأَكْرَمُ النَّاسِ صَفْحاً عن ذَوِي الزَّلَلِ
زَانَ الخُشُوعَ وَقَارٌ مِنْهُ فِي خَفَرٍ ... أَرَقَّ مِنْ خَفَرِ العَذْرَاءِ فِي الكِلَلِ
وَطُفْتَ بالبَيْتِ مَحْبُوراً وَطَافَ بِهِ ... مَنْ كَانَ عَنْهُ قُبَيْلَ الفَتْحِ فِي شُغُلِ
وَالكُفْرُ في ظُلُمَاتِ الرِّجْسِ مُرْتَكِسٌ ... ثَاوٍ بِمَنْزِلَةِ البَهْمُوتِ مِنْ زُحَلِ
حَجَزْتَ بالأَمْنِ أَقْطَارَ الحِجَازِ مَعاً ... وَمِلْتَ بالخَوْفِ عَنْ خَيْفٍ وَعَنْ مَلَلِ
وَحَلَّ أَمْنٌ وَيُمْنٌ مِنْكَ فِي يَمَنٍ ... لَمَّا أَجَابَتْ إِلى الإِيمَانِ عَنْ عَجَلِ
وَأَصْبَحَ الدِّينُ قَدْ حُفَّتْ جَوَانِبُهُ ... بِعِزَّةِ النَّصْرِ وآسْتَوْلَى عَلَى المِلَلِ
قَدْ طَاعَ مُنْحَرِفٌ مِنْهُمْ لِمُعْتَرِفٍ ... وَآنْقَادَ مُنْعَدِلٌ مِنْهُمْ لِمُعْتَدِلِ
أَحْبِبْ بِخُلَّةِ أَهْلِ الحَقِّ فِي الخِلَلِ ... وَعِزِّ دَوْلَتِهِ الغَرَّاءِ فِي الدُّوَلِ
أَمَّ اليَمَامَةَ يَوْمٌ مِنْهُ مُصْطَلِمٌ ... وَحَلَّ بالشَّامِ شُؤْمٌ غَيْرُ مُرْتَحِلِ
تَفَرَّقَتْ مِنْهُ أَعْرَافُ العِرَاقِ وَلَمْ ... يَتْرُكْ مِنَ التُّرْكِ عَظْماً غَيْرَ مُنْتَثِلِ
لَمْ يَبْقَ للفُرْسِ لَيْثٌ غَيْرُ مُفْتَرِسٍ ... وَلاَ مِنَ الجَيْشِ جَيْشٌ غَيْرُ مُنْجَفِلِ
وَلاَ مِنَ الصِّينِ سُورٌ غَيْرُ مُبْتَذَلٍ ... وَلاَ مِنَ الرُّومِ مَرْمًى غَيْرُ مُنْتَضَلِ
وَلاَ مِنَ النُّوبِ جِذْمٌ غَيْرُ مُنْجَدِمٍ ... وَلاَ مِنَ الزَّنْجِ جَزْلٌ غَيْرُ مُنْجَدِلِ
ونِيلَ بالسَّيْفِ سِيفُ البَحْرِ واتَّصَلَتْ ... دَعْوَى الجُنُودِ فَكُلٌّ بالجِهَادِ صَلِي
وَسُلَّ بالغَرْبِ غَرْبُ السَّيْفِ إِذْ شَرِقَتْ ... بالشَّرْقِ قَبْلُ صُدُورِ البِيضِ وَالأَسَلِ
وَعَادَ كُلُّ عَدُوٍ عِزِّ جَانِبُهُمْ ... قَدْ عَادَ مِنْكُمَ بِبَذْلٍ غَيْرِ مُبْتَذَلِ
أَصْفَى مِنَ الثَّلْجِ إِشْرَاقاً مَذَاقَتُهُ ... أَحْلَى مِنَ اللَّبَنِ المَضْرُوبِ في العَسَلِ

تنبيهات

الأول: لاَ خلافَ أَن هذه الغزوةَ كانتْ في رَمَضَان، كما في الصَّحيح، وغَيْرِه، وعن ابن عباسٍ قَالَ: ابن شهاب كما عِنْدَ البيهقيِّ من طَرِيق عقيل: لا أَدري أَخرجَ في شَعْبَان فآستقبلَ رَمَضَانَ، أَو خَرَجَ في رمضانَ بعدَ مَا دَخَلَ؟ ورواه البيهقيّ من طريق ابن أَبي حفصةَ عن الزّهري بإِسنادٍ صحيح. قال: صَبَّح رسولُ الله ـ ﷺ ـ مكّةَ لثلاثِ عشرةَ خلتْ من رمضَان.

وروى الإمام أَحمد بإِسنادٍ صحيح عنْ أَبي سعيدٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجْنَا مع

رسولِ الله - ﷺ - عام الفتح لِلَيْلَتينِ خَلَتَا من شهر رمَضَان، وهذا يدفعُ الترَدُّدَ الماضي، ويعيّن يومَ الخروج، وقولُ الزهري يعيّن يوم الدخول، ويعطي أنه أَقام في الطريق آثني عشر يوماً.

قال الحافظ: وأَمَّا ما قاله الوَاقِديُّ أَنَّه خرجَ لعشر خَلَوْن من رمضان فليسَ بقويٍّ لمخالفَتِهِ ما هو أَصحّ منه، قلتُ: قد وافَقَ الواقِدِيَّ على ذلك ابنُ إِسحاق وغيرُه، ورواه إِسحاق بن رَاهَويه بسندٍ صحيح عن ابن عبّاس، وعند مسلم أَنه دخلَ لست عشرة، ولأَحمد لثماني عشرة، وفي أُخرى لثنتي عشرة، والجمع بين هاتين بحمل إِحداهُمَا على مَا مَضَى والأُخرَى عَلَى مَا بَقي، والَّذي في المغَازِي: دخَلَ لتسْعِ عَشْرَةَ مَضَتْ وهو محمولٌ على الاختلافِ في أَوّل الشَّهر.

ووقع في أُخرى: بالشكّ في تسعِ عشرَة أَو سَبْعِ عشرة وروى يعقوبُ بنُ سفيان من طرِيق الحسن عن جماعةٍ من مشايخه: أَنَّ الفتحَ كانَ في عِشْرِينَ منْ رمضان؛ فإِن ثبتَ حُمِلَ على أَنَّ مراده أَنّه وقع في العشر الأَوسط قبل أَن يدخل الأَخير.

الثاني: آختَلَفَت الرِّواياتُ فيمن أَرسله رسولُ الله - ﷺ - ليأْتي بكتاب حَاطِب: فَفِي روايةِ أَبي رافع عن عَليٍّ قال: بَعَثَنِي رسولُ الله - ﷺ - أَنا والزّبَيْر والمِقْدَاد. وفي رواية أَبي عَبْدِ الرحمن السّلمي عنْ عَليٍّ قال: بَعَثَنِي رسولُ الله - ﷺ - وأَبا مرثد الغَنَوي، والزّبَيْر بن العَوّام، قال الحافظ: فيحتملُ أَن يكونَ الثلاثة كَانُوا معه، وذَكَرَ أَحدُ الرَّاويينِ عنه ما لَمْ يَذْكُر الآخر، ثم قال: والَّذِي يظهر؛ أَنّه كان مع كلٍّ واحد منهما آخر تَبَعاً لَه.

الثالث: جزم ابن إِسحاق بأَن جميع من شهد الفتح من المسلمين عشرة آلاف. ورواه البُخاريّ في صحيحه عن عُرْوَة، وإِسحاق بن رَاهَوِيه من طريق آخر بسند صحيح عن ابْن عبَّاس، وقال عُرْوَة أَيضاً والزهري وابن عقبة كانوا اثني عشر أَلفا، وجُمعَ بأَن العشرة آلاف خرج بها من نفس المدينة. ثم تلاحق الأَلفان

الرابع: وقع في الصحيح من رواية مَعْمَر عن الزّهري عن عُبيد اللّه بن عبد اللّه بن عُتْبة بن مسعودٍ عن ابن عباس «وذلك على رأس ثمان سنين ونصفٍ مِنْ مَقْدَمِ رَسُولِ الله - ﷺ - المدينَة» قَال الحافظ: وهو وَهْم، والصَّواب على رأْسِ سَبْعِ سِنِين ونصف، وإِنَّما وَقَعَ الوهمُ مِنْ كَوْنِ غزوة الفتح كَانَتْ في سنةِ ثمان، من أَثناء ربيع الأَوَل إِلى أَثناء رمضان نصف سنة سواء، والتحرير أَنها سبع سنين ونصف ويمكنُ توجيهُ روايةِ مَعْمَر: بأَنه بناء على التَّاريخ بأَولِ السَّنة من المحرَّم، فإِذا دخل منَ السَّنَةِ الثَّانية شهران أَو ثلاثة أُطلقَ عليها سنةً مجازاً؛ مِنْ تسميةِ البَعْضِ باسمِ الكُل، ويقعُ ذلك في آخر ربيع الأَوّل. وَمِنْ ثَمَّ إِلى رمضان

نصف سنة سواء، ويقالُ: كانَ آخر شعبان تِلْكَ السَّنة آخر سبع سنين ونصف، أَو أَن رأس الثمان كان أَول ربيع الأَوّل وما بعده نصف سنة.

الخامس: ورد أنَّه - ﷺ - أَفطر بالكديد، وفي روايةٍ بغيره كما سبق في القصة؛ والكلُّ في سفرةٍ واحدة، فيجوزُ أَن يكونَ فطرةُ - ﷺ - في أَحَدِ هذه المواضع حقيقة إما كديد، وإِما كُراع الغَمِيم، وإِما عُسْفَان، وإِما قُدَيد، وأُضيف إِلى الآخر تَجَوّزاً لِقُرْبِه منه، ويجوزُ أَن يكونَ قد وقع منه - ﷺ - الفعلُ في المواضع الأَربعة، والفطرُ في موضعٍ منها، لكن لم يره جميعُ النَّاس فيه؛ لكثرتهم، وكَرَّره ليتساوى النَّاس في رؤية الفعل، فأَخبر كل عن رؤية عينٍ وأَخبر كلٌّ عن محلِّ رؤيته.

السادس: وقع في الصَّحيح: ثم جاءت كتيبةٌ، وهي أَقلّ الكتائب؛ أَي عدداً فيهم رسولُ الله - ﷺ - قال القاضي - رحمه الله تعالى -: كذا لجميع رواة الصحيح بالقاف، وقد وقعَ في الجَمْع لِلْحُمَيْدِيّ «أَجَلّ» بالجيم بدَلَ القَاف - من الجلاَلَة، قال القَاضِي: وهو أَظهر انتهى.

وكلٌّ منهما ظاهرٌ لاَ خفاء فيه ولا ريب كما في مصابيح الجامع للدَّماميني: أَن المراد قلة العدد لاَ الاحتقار، هذا ما لا يُظَنُّ بِمُسْلِم اعتقادُه وتوهُّمُه؛ فهو وجه لا محيدَ عنه، ولاَ ضَيْرَ فيه بهذا الاعتبار. والتَّصريحُ بأَنّ النبيَّ - ﷺ - كان في هذه الكَتيبة الَّتي هي أَقل عدداً مِمَّا سواهَا مِنَ الكَتَائِب قَاضٍ بجلالةِ قَدْرِهَا، وَعِظَمِ شَأْنها، ورُجْحَانِها على كلِّ شيء سواهَا، ولو كَانَ ملء الأَرض بل وأَضعاف ذلك.

السابع: وقع في الصَّحيح عن عُروة قال: وأَمَرَ النَّبيُّ - ﷺ - يومئذٍ خالدَ بن الوليد أَن يَدْخُلَ مِنْ أَعْلى مكَّة من كَدَاء - أَي بالمدّ - ودخلَ رسولُ الله - ﷺ - من أَسفل مكة من كُدًى؛ أَي بالقصر. وهذا مخالفٌ للأَحاديث الصَّحيحة. ففي الصَّحيح وغيره أَنَّ خالد بن الوليد دخلَ من أَسفل مكَّة، ودخلَ رسولُ الله - ﷺ - من أَعلاها، وبه جزمَ ابنُ عقبة، وابنُ إِسحاق وغيرهما.

الثامن: الحكمة في نزولِ النَّبي - ﷺ - بِخَيْفِ بني كِنَانة الَّذي تقاسَمُوا فيه على الشِّرك؛ أَي تحالَفُوا عليه من إِخْرَاجِ النَّبي - ﷺ - وبني هاشمٍ إِلى شِعْبِ أَبي طَالب، وحصرُوا بَنِي هَاشم وبني المطَّلب فيه، كما تقدَّم ذلك في أَبواب البعثة، ليتذكَّر ما كانَ فيه من الشِّدَّة فيشكر الله - تعالى - على ما أَنعمَ عليه من الفَتْحِ العظيم، وتمكنه من دُخول مكَّة ظاهراً على رغْمِ مَنْ سعى في إِخراجِه منها، ومُبالغةً في الصَّفحِ عن الَّذين أَساؤُوا، ومُقَابَلَتِهِمْ بالمَنّ والإِحْسَان، وذلِكَ فضلُ الله يؤْتيه مَنْ يَشَاء.

التاسع: قَالَ القاضِي أَبُو بكر بن العربي - رحمه الله تعالى - إِنَّما أَنكر العباسُ عَلَى أَبي سُفيانَ ذِكْرَ المُلْكِ مجرَّداً مِنَ النُبُوَّة، مع أَنَّه كانَ في أَوَّل دخوله الإِسْلاَم، وإِلاَّ فجائِزٌ أَن يُسَمّى مثل هذا مُلكاً وإِن كان لنبيّ، فقد قَالَ الله سبحانه وتَعالَى في داود ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ [ص ٢٠] وقال سُليمان ﴿وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص ٣٥] غير أَن الكراهة أَظهر في تَسْمِيَة حَال النَّبي - ﷺ - ملكاً، لما جَاء في الحديث: أَن النَّبيّ - ﷺ - خُيِّرَ بين أَن يكونَ نبياً عبداً، أَو نبياً ملكاً، فالتفتَ إِلى جبريل، فأَشار إِليه أَن تواضع، فقالَ: بل نبياً عَبْداً، أَشبعُ يوماً وأَجُوعُ يوماً». وإِنكارُ العبَّاس على أَبي سُفيان يقوِّي هذَا المعنى، وأَمرُ الخلفاء الأَربعة بعده أَيضاً يكره أَنْ يُسَمَّى ملكاً، لقوله - ﷺ - «تكونُ بعدي خُلفاء، ثم تكونُ أُمراء، ثم يكونُ ملوك، ثم يكون جبابرة».

العاشر: السَّاعةُ الَّتي أُحِلَّ للنبيّ - ﷺ - القتل فيها بمكَّةَ من صَبِيحةِ يوم الفَتْحِ إِلى العَصْر كما رواه الإِمام أَحمد عن عَبْد اللّه بْنِ عَمْرو بنِ العاص - رضي الله تعالى عنهما.

الحادي عشر: لاَ مُخالفةَ بين حَديثِ نُزُوله - ﷺ - بالمحصَّب، وبينَ حديث أُمِّ هَانئ، أَنه - ﷺ - نزل في بيت أم هَانئ، لأَنَّه - ﷺ - لمْ يُقِمْ في بيتِ أُمِّ هَانئ وَإِنَّما نزلَ به حتَّى اغتسلَ وصلَّى، ثُم رجعَ إِلى حيثُ ضُربتْ خيمَتُه عند شِعْب أَبي طَالب، وهو المكانُ الَّذي حصَرَتْ فيه قريشٌ المسلمين قبلَ الهِجرة كما تقدّم بيانُ ذلك.

الثاني عشر: اختُلِفَ في قاتل ابن خَطَل، روى ابنُ أَبي شيبة مِنْ طريقِ أَبِي عُثمان النهدي: أَن أَبَا بَرْزَةَ الأَسْلَميّ قتلَ ابنَ خَطَل، وهو مُتعلِّق بأَستارِ الكَعْبَة وإِسناده صحيح مع إِرساله، وله شاهدٌ عند ابْنِ المبارك في كتابِ البِرِّ والصِّلَة من حديث أَبي بَرْزَةَ نفسه. ورواه الإِمام أَحمد منْ وجهٍ آخر. قال الحافظ: وهو أَصحّ ما وردَ في تَعْيِين قاتله، وبه جزَمَ البلاذري وغيرُه من أَهْلِ العلم بالأَخبار. وتُحْمَلُ بقيَّةُ الرِّوايات على أَنهم ابتدرُوا قَتْلَه؛ فكَانَ المُبَاشِرَ له منهم أَبُو بَرْزَةَ، ويحتملُ أَنْ يكونَ غيره شاركه فيه؛ فقد جزَم ابنُ هِشَام بأَن سعيد بن حُريث وأَبَا بَرْزَةَ الأَسْلَمي اشتركا في قتله، وقد قيل: قتله الزُّبَير بن العوّام. وقيل شريك بن عبدة العجلاني.

الثالث عشر: وقعَ في حديثِ أم هَانئ عنْدَ البُخَاري: أَن النبي - ﷺ - اغتسلَ في بيتها، وفي حديثها عند مُسْلم: أَنَّها ذهبتْ إِلى رسولِ الله - ﷺ - وهو بأَعلى مكَّة، فوجدتْه يغتسل، وفاطمة تستره، ويُجْمَعُ بينهما بأَن ذلك تكرَّرَ منه، ويؤيدُه ما رواه ابن خزيمة من طريق مجاهد عن أُم هانئ وفيه: أَن أَبا ذر ستره لَمَّا اغتسَل، ويحتملُ أَنْ يكونَ نزل في بَيْتِهَا بأَعلى مكَّة وكانت هي في بيتٍ آخر بمكَّة، فجاءت إِليه فوجدته يغتسل، فيصحّ القولان، وأَما المتستر فيحتملُ أَن يكونَ أَحدهما ستره في ابتداء الغسْل، والآخر في أَثنائه.

الرابع عشر: قال السُّهيلي: ولا يجهرُ فيها بالقراءة أي صلاة النّبي - ﷺ - في بيتِ أُمّ هانئ في ثمان ركعات؛ وهي صلاةُ الفتح، تُعرفُ بذلك عندَ أَهل العِلْم، وكانَ الأمراء يُصلونَها إِذَا فَتَحُوا بلداً. قال أَبو جعفر بن جرير: صلَّى سعد بنُ أَبي وقَّاص حين افتتح المدائِنَ ثمان ركعاتٍ في إِيوانِ كِسْرَى، قال: وهي ثَمَان رَكعاتٍ لاَ يفصلُ بينها، وَلاَ تصلى بإِمام، قال السُّهيلي: ولا يجهر فيها بالقراءة.

الخامس عشر: وقع في روايةِ العلاء بن عبد الرحمن عن ابن عمر: أَنّه سأَل أُسَامَة وفي رواية أَبي الشعثاء عن ابن عمر قال: أَخبرني أُسامة ان النَّبي - ﷺ - صلى فيه ههنا، وفي رواية خَالد بن حارث عن ابن عوف عن نافع عن ابن عمر: فقلتُ: أَينَ صلَّى؟ فقالُوا؛ ههُنَا. قال الحافظ: فإِنْ كانَ محفوظاً حُمل على أنه ابتدأَ بلالاً بالسُّؤَال، ثم أَراد زيادةَ الاستثباتِ في مكانِ الصَّلاة، فسأَل أُسامة، وعثمان أَيضاً. ويؤيدُ ذلك رواية ابن عوف عند مسلم: «ونسيتُ أَن أَسْأَلَهُمْ كَمْ صَلَّى» بصيغةِ الجَمْعِ قال الحافظ: وهذا أَولى مِنْ جَزْمِ القاضِي بِوَهْمِ الرِّواية الَّتِي عِنْدَ مُسلِم، وكأَنه لم يَقِفْ على بَقيَّةِ الروايات.

السادس عشر: قولُ مَنْ زعَمَ أَنَّ يحيى بن سعيد القطَّان غَلطَ في قوله ركعتين لقول ابن عمر: نسيت وأَنَّ الوهْمَ دخلَ عليه من ذكرِ الرّكعَتَيْن بعد خُروجِه - ﷺ - «[والمغلِّطُ] هو الغَالِط، وكلامُه مردود؛ فإِنَّ يحيى ذكر الركعتين قبل وبعد، فلم يَهِم من موضع إِلى موضع، ولم ينفردْ يحيى بن سعيد بذلك حتَّى يغلط، بل تَابعه مَنْ سبق ذكرهم في القِصَّة، والعجب من الإِقدام على تغليط جبلٍ من جبال الحفظ بقول من خفي عليه وَجْهُ الجمع بين الحديثين، فقال بغير علم، ولو سكت لسلم.

السابع عشر: قال الحافظ: رحمه الله تعالى - جمع بين روايتي فليح، وأَيوب، وابن عون عن نافع عن ابن عمر أَنه قال: «نَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَ بِلالاً» وفي لفظٍ: «أَسأَلهم كَمْ صلَّى» وبين رواية غيز نافع عن ابن عمر أَنه سأَلَ عَنْ ذَلِك، فقيل له ركعتان باحتمال أَنَّ ابنَ عُمر اعتمدَ في قوله في رواية مُجاهد، وابن أَبي مُليكة وغيرهما عنه ركعتين على القدر المتحقّق، وذلك أَن بلالاً أَثبت له أَنّه صلَّى، ولـم ينقل أَن النبي - ﷺ - تنفل في النَّهار بأَقل مِنْ ركعتين، وكانت الركعَتَان متحقَّقاً وقوعهما، لِمَا عُرفَ بالاستقراء مِنْ عادته - ﷺ - وعلى هذا فقولُه: ركعتين مِنْ كلام ابنِ عمر، لاَ من كَلاَمِ بِلاَل، قال الحافظ: ووجدتُ ما يؤيدُ هذا، ويستفادُ منه جمعٌ آخر بين الحديثين، وهو ما أَخرجه عمرُ بنُ شبَّة في كتاب مكة من طريق عبد العزيز بن أَبي داود عن نافع عن ابن عمر في هذا الحديث: «فآستقبلني بلالٌ فقلتُ: ما صنع رسولُ الله - ﷺ - ههنا؟ فأَشار بيده أَن صلَّى ركعتين بالسَّبابة والوُسْطَى»؛ فعلى هذا فيحملُ قولُه: «نسيتُ أَنْ

أَسأله كم صَلَّى على أنه لم يسأله لفظا ولم يجبه لفظاً وإنما استفاد منه صلاة ركعتين بإشارته لا بنطقه، وأما قوله في رواية أُخرى: ونسيت أَن أَسأَله كم صلى» فيحمل على أَن مراده أَنَّه لم يتحقق هل زَادَ على ركعتين أَوْ لاَ؟، وقال شيخُه الحافظ أَبو الفضل العراقي: فيحتملُ أَن ابن عمر وإِنْ كانَ سَمِعَ من بلال أَنَّه صلَّى ركعتين لمْ يكْتَفِ بذلك في أَنه لم يُصَلِّ غيرهما، لأنَّ مَنْ صلَّى أَربعاً أَو أَكثر، يَصْدُقُ عليه أَنَّهُ صلَّى ركعتين على القول بأَنَّ مفهومَ العَدَدِ ليسَ بِحُجَّةٍ كما هُوَ المرجَّحُ في الأُصول، فلعلَّ الذي نسي أَن يسأَل عنه بلالاً في أَنَّه هل زاد على ركعتين بشيء أَم لاَ؟. قال الحافظ ابنُ حجر: وأَمَّا قولُ بعضِ المتأَخرين: يجمع بين الحديثين بأَنَّ ابن عمر سأَل بلالاً، ثم لقيه مرَّةً أُخرى، فسأَله، ففيه نَظَرٌ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحدُهُمَا أَنَّ الذي يَظْهر أَنَّ القِصَّة وهو سؤال ابن عمر عن صَلاَتِه في الكَعْبَةِ لم يتعدد؛ لأَنه أَتى في السّؤالِ بالفاء المُعَقِّبَة في الرِّوَايتين معا، فدّلَ على أَنَّ السؤال عن ذلك كَانَ واحداً في وقتٍ واحد. ثانيهما أَنَّ راوي قول ابن عمر «نسيت» هو نافعٌ مولاهُ، ويبعُدُ مع طُولِ مُلاَزَمَتِه له إِلى وقت موته أَنْ يستمرَّ على حكاية النسيان، ولا يتعرض لحكاية التذكر لقدر صَلاَتِه - والله تعالى أَعلم.

الثامن عشر: قال الحافظ: لا يعارضُ إِثباتَ أُسامة في رواية ابن عمر عنه أَنَّ النَّبي - ﷺ - صلَّى في البيت ما رواه ابنُ عبَّاسٍ عن أُسَامَةَ أَنَّ النَّبي - ﷺ - لم يُصلِّ في البيت لإِمكان الجمع بينهما، لأَن أُسَامَةَ حينَ أَثبتها آعْتَمد في ذلك على غيره، وحيثُ نفاها أَراد ما في علمه بكونه لَمْ يَرهُ - ﷺ - حين صَلَّى، وقال الحافظُ في موضعٍ آخر: تعارضت الروايةُ عن أُسامَةَ في ذلك فتترجَّح روايةُ بلال مِنْ جِهة أَنه مُثْبِت وغيره نافٍ، ومن جهة أَنَّه لم يختلفْ عليه في الإِثْباتِ، وآختلف على مَنْ نَفَى.

وقال الإِمام النَّوويُّ وغيره: يجمع بين إِثبات بلال، ونفي أُسامة بأَنهم لَمَّا دخلُوا الكعبةَ اشتَغلُوا بالدُّعاء، فرأَى أُسامةُ النبي - ﷺ - يدعو، فاشتغلَ أُسامَةُ بالدُّعَاء في ناحية، والنَّبي - ﷺ - في ناحية، ثم صلَّى رسولُ الله - ﷺ - فرآه بلال لِقُرْبِه منه ولم يره أُسامة لِبُعْدِه منه واشتغاله بالدُّعاء، ولأَن بإِغلاق الباب تكون ظلمة مع احتمال أَن يحجبه بعض الأَعمدة، فنفاها عملا بظنه.

وقال الإِمام المحب الطبريّ: يحتمل أَن يكون أُسامة غاب عنه بعد دخوله لحاجةٍ فلم يشهد صلاته - انتهى. ويشهدُ له ما رواهُ أَبو داود الطيالسي في مُسْنده بإِسنادٍ جيّدٍ رجالُهُ ثِقَات عن ابن أَبي ذؤيب عن عبد الرحمن بن مهران عن عُمير مولى ابن عبَّاسٍ عن أُسَامَةَ قال: «دخلتُ مع النَّبيِّ - ﷺ - في الكَعْبَةِ فرأَى صُوراً، فَدَعا بِدَلْوٍ مِنْ ماء، فَأَتيتُه بِه، فَضَرَبَ بِه الصُّورَ»، قال القرطبي فلعله [استصحب النَّفْي] بسرعَة عَوْدِه انتهى قلتُ: هو مُفَرّع على أَن هذه

القصَّة وقعتْ عامَ الفتح، فإن لم يكن فقد روى عمر بن شَبَّةَ في كتاب مكَّة من طريق علي بن بَذِيمَة بالموحدة، وزن عظيمة التَّابعي، قال: «دخلَ رسولُ الله - ﷺ - الكعبةَ. ودخَل معه بلالٌ، وجَلَسَ أُسَامَةُ على الباب، فلمَّا خرج وَجَدَ أُسامة قد احتبى، فأَخذ بحبوته فحلها». الحديث فلعله احتبى فاستراح فنعس، فلم يشاهد صلاته، فلما سئل عنها نفاها مستصحباً للنفي، لقصر زمن احتبائه، وفي كل ذلك إنما نفى رؤيته، لا ما في نفس الأمر. وبعضُ العلماء حمل الصلاة الـمُثبَتة على اللُّغويَّة، والمنفيَّةَ على الشَّرعيَّة، ويَرُدُّ هذا الحمل ما تقدَّمَ في بَعْضِ طُرقه الصَّحيحة: أنَّه صلَّى ركعتين، فَظَهر أَنَّ المرادَ الشَّرعيَّة لا مجرد الدّعاء. وقال المهلب[1] شارح البخاري: يحتملُ أَن يكونَ دخول البيت وقع مَرَّتين. صلَّى في إحداهما ولم يُصَلِّ في الأُخرى، وقال ابنُ حِبَّان: الأَشبه عنْدِي في الجَمْع؛ أَن يجعلَ الخبران في وقعتين؛ فيقال، لَمَّا دخل الكعبة في الفَتْح صَلَّى فيها على ما رواه ابنُ عمر عن بلال، ويجعلُ نفي ابن عباس الصَّلاَة في الكعبة في حجتِهِ الَّتي حجّ فيها؛ لأَن ابْنَ عبَّاس نفاها وأَسنَدَ ذلك إلى أُسامة وأَخيه الفضل، وابن عمر أَثبتها، وأَسند ذلك إلى أُسامة، وإلى بلال وأُسامة أَيضاً، فإذا حمل الخبر على ما وصفنا بطل التعارض. قال الحافظ: وهو جمع حسنٌ لكن تعَقَّبَه النووي بأَنه لا خلاف أَنه - ﷺ - دخل يوم الفتح لا في حَجَّةِ الوداع، ويشهدُ له ما رواه الأَزرقي عن سُفيان بن عُيَيْنَة عن غيرِ واحدٍ من أَهلِ العلم: أَنَّه - ﷺ إنما دخل الكعبة مرةً واحدةً عامَ الفتح، ثم حَجّ فلم يَدْخُلْهَا، وإذا كان الأَمرُ كذلك فلا يمتنعُ أَن يكونَ دخلها عَامَ الفتح مرَّتين ويكون المراد بالواحِدَةِ الَّتي في خبر ابنِ عُيَيْنَة وَاحِدَةُ السَّفر لاَ الدّخول، وقد وقع عند الدَّارقطني من طريق ضعيفة ما يشهد لهذا الجمع. قلتُ: قال الدَّرَاقُطْني في سُنَنه: واعتمد القاضي عز الدين بن جماعة ذلك. واستدلَّ له أَيضاً بأَن الإمام أَحمد قال في مسنده: حدثنا هشيم قال: أَخبرنا عبد الملك عن عطاء، قال: قال أُسامة بن زيد: دخلتُ مع النَّبيِّ - ﷺ البيتَ فجلسَ فحمِدَ الله تعالى وأَثْنَى عَليه وهلَّله وكبَّرَه، وخرج ولم يُصَلِّ، ثم دخلتُ معه في اليومِ الثَّاني، فقامَ، ودعا ثُمَّ صلَّى ركعتين، ثُمَّ خرج فصلَّى ركعتين خارجَ البيت مستقبل وَجْهِ الكعبة، ثم انصرفَ، فقال: «هَذِه القِبْلَة» ورواه أَحمد بن منيع. قلتُ: لم أَقِفْ على هذا الحديث في مجمع الزوائِد للهيثمي، ولا في إتحافِ المهرة للأَبوصيري؛ لاَ فِي كِتَابِ الصَّلاةِ، وَلاَ في كِتَابِ الحج فالله أَعلم. والَّذي في مجمع الزَّوائد عن ابن عَبَّاسٍ قال: دخل النبيّ - ﷺ - الكعبةَ، فصلَّى بين السَّارِيتينِ ركعتين، ثم خرجَ وصلَّى بين الباب وبين الحِجْر رَكْعَتَين، ثم قال: «هَذِهِ القِبْلَة» ثم

(١) هو المطلب بن أحمد بن أسيد الأسدي من تصانيفه شرح الجامع لصحيح البخاري توفي سنة ٤٣٥، انظر معجم المؤلفين ٣٢/١٣.

دخل مرة أُخرى، فقامَ يدعُو ولَمْ يُصَلِّ. رواه الطبراني في الكبير، قال الهيثمي: فيه أَبو مريم، روى عن صغار التَّابعين، ولم أَعرفه، وبقيةُ رِجَالِه مُوَثقُون، وفي بعضهم كلامٌ.

وروى الأَزرقيُّ عن عبد المجيد بن عبد العزيز عن أَبيه قال: بلغني أَنَّ الفضلَ ابن عباس دخلَ مع رسولِ الله - ﷺ - يومئذٍ - أَي يومَ الفتح - فقال: لم أَره صلَّى فيها، قال أَبي: وذلِكَ فيما بلغني أَن النبيَّ - ﷺ - استعانه في حاجة فجاء وقد صلَّى ولم يَرَه. قال عبد المجيد: قال أَبي؛ وذلك أَنه بعثه فَجَاء بذَنُوب من مَاء زَمْزَمَ يطمسُ به الصُّور الَّتي في الكعبة؛ فلذلك لم يره صلَّى. قلتُ: وأَيضاً أَنَّه - ﷺ - أَرسله وأُسامة في ذلك - كما تقدَّم في أُسامة - وآعتمد الإِمام تقيُّ الدِّين الفاسي في تاريخه من هذه الأَجوبة ما رواه أَبُو داود الطَّيَالسي عن أُسامة، وتعقب ما سواه بكلام نفيس جداً فراجعه فإِنَّك لا تجده في غير كتابه، وذكْرُه هنا ليس من غرضنا.

التاسع عشر: تقدَّمَ أَنَّه - ﷺ - صلَّى في الكعبة، وأَنه جعلَ عمودين عن يساره وعموداً عن يمينه وثلاثة أَعمدة وراءه، وفي روايةٍ جعلَ عموداً عن يَسَارِه وعمودين عن يمينه وفي أُخرى عموداً عن يساره وعموداً عن يمينه وفي روايةٍ بين العمودين اليمانيين، وفي أُخرى بين العمودَيْن تِلْقَاء وجهه، وبين العمودين المقدمين، قال المحبُّ الطَّبري في الأَحكام الكبرى: وهذا يُؤيد روايةَ مَنْ روى أَنَّه جَعَلَ عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره لأَن الباب قريب من الحجر الأَسود، جانح إِلى جهة اليمين، ويفتح في جهة المشرق فإِذا دخل منه وصلى تلقاء وجهه بين العمودين المقدمين اليمانيين والبيت يومئذ على ستة أَعمدة فقد جعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره، وثلاثة أَعمدة وراءه، وصَلَّى إِلى جهةِ المغرب، وقوله اليمانيَّيْنِ قد يشكل فإِنها ثلاثة صَفٌّ وَجَعْلُ آثنين منها يمانيين ليس بأَولى من جعلهما شاميين، والجوابُ: أَنه إِنَّما جَعَلَ اثنين منهما يمانيين لأَنَّ مقرَّ الثلاثة بصفة يمانيٍّ وبصفةِ شاميّ، فمن وقف بين المتمحض يمانيا وبين المشترك بين اليمن والشام جاز أَن يُقال فيه: وقف بين اليمانيين باعتبار ما نسب منه إِلى اليمن تَجَوُّزاً ومَنْ وقفَ بين المتمحض شاميا وبين المشترك جاز أَن يُقال فيه: وقف بين الشَّاميين لما ذكرناه، أَو تقول لما وقف بينهما كان هو إِلى جهة اليمن أَقرب، فأَطلق عليهما يمانيين اعتبارا به، والأَولُ أَظهر، ولا تَضَادَّ بين هَذَا وبين قوله عموداً عن يمينه وعموداً عن يَسَاره، فإِنَّ مِن ضرورةِ جعلِ عَمُودَين عن يمينه أَن يكونَ عموداً عن يمينه والآخر مسكوتاً عنه، وليس في اللَّفظ ما ينفيه، وقال الحافظ: ليس بَيْنَ رِوَايَة: جعل عموداً عن يمينه وعموداً عن يساره مُخَالَفة، لكن قوله في رِوَايَةِ مالك: وكان البيتُ يومئذٍ على سِتَّةِ أَعمدةٍ مشكل؛ لأَنه يشعر بكون مَا عن يمينه أَو يساره كان اثنين، ويُمْكِنُ الجمعُ بين الرِّوايتين بأَنَّه حيثُ ثَنَّى أَشَار إِلى مَا كَانَ عليه البيتُ في زَمَنِ النَّبي - ﷺ - وحيث أَفرد أَشَار إِلى ما صار إِليه بعد ذلك، ويرشد إِلى ذلك

قولُه: وكانَ البيتُ يومئذٍ؛ لأنَّ فيه إشعارا بأنَّه تغيَّر عَنْ هيئَتِهِ الأُولى. قال الكرماني: لفظُ العَمُودِ جِنْسٌ يشمل الواحد والاثنين فهو مُجْمَلٌ بَيَّنَتْه رِوَايةُ «وعَمُودَين» ويُحْتَمَلُ أَن يُقالَ: لم تَكُن الأَعمدةُ الثَّلاثَةُ على سمتٍ واحد، بل اثنان على سَمْت، والثالثُ على غير سمتهما، ولفظُ المقدَّمَيْن في الحديث السابق مُشْعِرٌ به قال الحافظ: ويؤيده رواية مجاهد عن ابن عمر عند البخاري في باب «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبراهيم مُصَلًّى»، «فإن فيها بين السَّارِيتين اللَّتَيْنِ عن يسار الدَّاخل» وهو صريح في أنه كان هناك عمودان على اليسار، وأنَّه صلَّى بينهما، فيحتمل أنه كان ثمّ عمودٌ آخر عن اليمين، لكنَّهُ بعيد أو على غير سَمْت العمودين فَيَصِحُّ قَوْلُ مَنْ قال: جعلَ عن يمينه عَمُودَين، وقولُ مَنْ قال: جعل عموداً عن يمينه، وجوّز الكرماني احتمالاً آخر، وهو أَنْ يكونَ هناكَ ثلاثة أَعمدة مصطفَّة، فصلَّى إلى جنْبِ الأَوسط فمن قال: جعلَ عموداً عن يمينه وعموداً عن يساره لم يعتبر الَّذِي صلَّى إلى جنْبه، ومنْ قال: عمودَيْنِ اعتبره وجمع بعضُ المتأَخِّرين باحتمالِ تعدُّدِ الواقعة؛ وهو بعيدٌ لاتحادِ مخرج الحديث، وقد جزمَ البيهقيُّ بترجيح روايةِ أنه جَعَلَ عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره. وقال المحبُّ الطبري في صفوة القرى إنه الأَظهر.

العشرون: لاَ خلافَ في دخوله - ﷺ - الكعبةَ يومَ الفتح، وتقدَّم في التنبيه الثامن عشر: أَنَّه دخلَ في ثاني الفتح، وذكر بعضهُم أَنَّه دخلها في عُمرة القَضِيَّة، والصَّحيحُ خلافه؛ فقد قال البخاري عن عبد اللّه بن أَبي أَوفى - رضي الله عنه - أَنه لم يدخلها، وذكر بعضهُم أَنَّه دخلها في عُمْرَةِ القَضِيَّة وحجة الوداع، وسيأتي هناك تحقيق ذلك إن شاء الله تعالى.

الحادي والعشرون: اختُلِفَ في قدر إقامته - ﷺ - بمكة كما تقدَّم في القصة، وجمع الإمام البيهقي بين هذا الاختلاف بأَن مَنْ قال تسع عشرة عدّ يوم الدُّخول والخُرُوج، ومَنْ قال سبع عشرة حذفهما، ومن قال ثماني عشرة عدَّ أَحدهما. وأَما رواية خمس عشرة فضعفَّها النَّوَوِيّ من الخُلاَصَة. قال الحافظ: وليس بجيّد لأَنَّ رواتها ثِقَات، ولم ينفرد بها ابن إسحاق كما تقدم بيانه في القصة، وإذا ثبتَ أَنَّهَا صحيحة فَلْتُحْمَلْ على أَن الرَّاوي ظنّ أَنَّ الأَصلَ سبع عشرة فحذف منها يومي الدُّخول والخروج، فذكر أَنها خمسة عشر، واقتضى ذلك أَن رواية تسع عشرة، أَرجح الرِّوايات، ويرجِّحُهَا أَيضاً أَنها أَكثر الرِّوايات الصَّحيحة، قال الحافظ: وحديثُ أَنس لا يعارضُ حديث ابن عبَّاس أَي السَّابق في آخر القصَّة؛ لأَن حديث ابن عبَّاسٍ في الفتح وحديث أَنسٍ كان في حَجَّةِ الوداع، وبسط الكلام على بيان ذلك، وقال في موضع آخر: الذي أَعتقده أَنَّ حديثَ أَنسٍ إنَّما هو في حَجَّةِ الوداع فإنها هي السفرة الَّتي أَقام فيها بمكَّة عشرة أَيام؛ لأَنَّه دخل اليوم الرابع وخرج اليوم الرابع عشر، ثُمَّ قال الحافظ: ولعلَّ

البخاري أَدخله في هذا الباب إِشارةً إِلى ما ذَكَرتُ، ولم يفصح بذلك تشحيذاً للأَذْهَان، ووقع في رواية الإِسماعيلي: فأَقامَ بها عشراً يقصرُ الصَّلاَة حتَّى رجع إِلى المدينة، وكذا هو في باب قَصْرِ الصَّلاة عند البخاري، وهو يُؤَيِّدُ ما ذكرته؛ فإِنَّ مدَّة إِقامتهم في سَفْرَةِ الفتح حتَّى رجعُوا إِلى المدينة أَكثر من ثمانين يوما.

الثاني والعشرون: في بيان غريب ما سبق.

الأَطْنَاب: جمع طُنُب ـ بضم الطاء المهملة والنون حَبْل الخِبَاء ـ بكسرِ الخاء المعجمة أي الخيمة.

الجَوْزاء ـ بفتح الجيم وسكون الواو، وبالزَّاي والمدّ: نجم يُقالُ إِنها تَعْرِضُ في جَوْز السَّماء، أَي وسطها.

الأَفواج والأَفاويج ـ جمع فَوْج: الجماعة من الناس.

الابتهاجُ: السرور.

خُزَاعَة ـ بضم الخاء المعجمة وتخفيف الزاي وعين مهملة

الدِئْل ـ بكسر الدَّال المهملة، وسكُون الهمزة وتسهل.

رَزْن ـ براء تفتح وتكسر ـ كما ذكره صاحبا المحكم والباهر ـ فزاي ساكنة، وتفتح، كما في الإِملاء، فنون.

ذُؤَيْب: تصغيرُ ذئب.

سَلْمَى ـ بفتح السين المهملة.

كُلثوم ـ بضم الكاف، وسكون اللاَّم، وبالثَّاء المثلثة.

أَنصابُ الحَرَم ـ بالنون، والصاد المهملة: حجارةٌ تُجعلُ علامات بيْنَ الحِل والحَرَم.

منْخَر بني كنانة ـ بنون، فخاء معجمة، فراء: أَي المتقدِّمُون منهم: لأَن الأَنْفَ هو المتقدِّمُ مِنَ الوجه.

كِنَانَة ـ بكسر الكَاف.

يُودُون ـ بضمِّ التَّحتيَّةِ، وبالمهملة: من الدِيَة.

بَنُو ـ بَكْر ـ بفتح الموحدة، وسكون الكَاف.

حَجَزَ الإِسلامُ: منع.

الحُدَيْبِيَة: تقدَّم الكلامُ عليها في غَزْوتها.

الحُلَفَاء: جمع حليف، وهو المُحَالف على النّصرة.

السَّرَوَات ـ بفتحات: جمع السَّراة، كذلك جمع سرى ـ وهو الرَّئِيس.

ما أَشرق: أَي مدَّةَ إِشراقه.

ثَبير ـ بثاء مثلثة، فموحدة، فتحتية؛ وزْن عظيم: جبل بمكَّة.

حِرَاء ـ بكسر الحاء المهملة: تقدَّمَ الكلامُ عليه في المبعث.

السَّرمَد: الدَّائِم.

الحِلْفُ ـ بكَسْر الحاء المهملة، وسكون اللاَّم، والمحالفةُ: المؤامرة والمناصرة بالحلف على ذلك.

شرح غريب ذكر نقض قريش العهد

قوله: «بَني نُفَاثَة»: بنون مضمومة، ففاء مخفّفة، فألف، فثاء مثلثة.

الثّأرُ ـ بالثّاء المثلّثة: طلبُ دمِ القتيل.

ناشَدُوهُم بأَرحامهم: ذكّرُوهُم وسأَلوهم بها.

الكُرَاع ـ بضم الكاف، وبالراء، والعين المهملة: جماعةُ الخيْل خاصَّة.

الوَتِير: بفتح الواو، وكسر الفوقيّة، وسكون التَّحتية، وآخره راء: اسمُ موضع أَو ماء في ديار خُزَاعة.

حُوَيْطِب ـ بضم الحاء المهملة، وفتح الواو، وسكون التحتية، وكسر الطاء المهملة، وبالموحدة.

مِكْرِز ـ بكسر الميم، وحكى ابنُ الأَثير فتحها، وسكون الكاف، وكسر الرّاء وآخره زاي.

أَجْلَبُوا: آستعانوا.

بَيَّتوهم: قصدوهم ليلاً من غير أَن يعْلَمُوا فأَخذوهم بَغْتَة.

إِلهكَ إِلهَكَ ـ بنصبهما بفعل محذوف؛ أَي اتَّق.

عماية الصبح: بقية ظلمة الليل.

شرح غريب ذكر اعلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما حصل لخزاعة

أُتُرَى ـ بفتح أَوله، وضم ثانيه: أَي أَتظن.

تجترئ عليه: تسرع بالهجوم عليه من غير ترَوٍّ.

خيرٌ: خَبَرُ مبتدإٍ محذوف؛ أي هو خَيْرٌ.

المُتَوَضَّأ ـ بميم مضمومة، فمثناة فوقية، فهمزة فضاد معجمة مفتوحات: مكان الوضوء.

لَبَّيْكَ: يأْتي الكلام عليه مبسوطاً في حَجَّة الوداع.

الرَّاجزُ: قائل الرجز، وهو نوعٌ من الشعر

بنو كَعْب بن عمرو: بطن من خزاعة.

اسْتَصْرخُني: اسْتَغَاثَنِي.

وائِل ـ بكسْر التَّحْتيَّة.

شرح غريب ذكر قدوم عمرو بن سالم

ظَاهَرَتْ: عَاوَنَت.

بين ظَهْرَى النَّاس: أَي بينهم.

عَمْرُو بن سالم: يجوز في عمرو الضمّ، وفي ابن الفتح، ويجوزُ فتحهما وضمهُّما.

نَاشِدٌ: طالبٌ وَمُذَكرٌ.

الأَتْلَدا ـ بفتح أَوّله، وسكون الفوقية، وفتح اللاَّم وبالذال المهملة: القديم.

وُلْداً ـ بضمِّ الواو، وسكون اللاَّم: أَي وَلَداً وذلك أَن بني عبد مناف أُمُّهم من خزاعة، وكذلك أُمّ قُصَي.

ثُمَّت: حرف عطف، أُدخل عليه تاء التأْنيث.

أَسْلَمْنَا ـ قال السهيلي: من السلْم، لأَنهم لـم يكونُوا أَسلموا بعد، وقال غيره: إِنه قال: رُكَّعاً وسُجَّداً فَدَلَّ على أَنه كان فيهم من صَلَّى فَقُتِل، وقال غيره: إِنَّ قولَه بعد «وقَتَّلُونا رُكَّعاً وَسُجَّداً» ينافيه إِلاَّ أَن يُحمَل ذلك على المجاز، وقال بعضهُم: مرادُه بقوله: «رُكَّعاً وسُجَّداً» أَنَّهم حُلفاء الَّذين يركعُونَ ويسجدُون، قال الحافظ في الإِصابة: ولا يخفى بُعْدُه.

لَسْت ـ بفتح الفوقية على الخطاب، وبالضَّم، ووجهه ظاهر.

بيَّتُونا: أَخذُونَا بَيَاتاً؛ أَي ليلاً ونحن غافلون.

هُجَّداً ـ بضم الهاء، وتشديد الجيم المفتوحة: جمع هاجد، وهو النَّائِم هنا.

كَداء ـ بفتح الكاف وبالمد: الثنية التي بأَعلى مكة.

الرَّصَد: الطالبُ المراقب.

عَتِداً - بعين مهملة مفتوحة، ففوقية مكسورة، فدال مهملة: والعتيد الشيء الحاضر المهيأ، ويحتمل أن يكونَ من القوة، ويروي نصرا أَبَداً من التَّأبيد.

تجرَّدَا - من رواه بحاء مهملة أَراد: غضب، ومن رواه بالجيم أَراد شمرَّ وتهيَّأ لحربهم.

سِيم - بكسر السين المهملة، وسكون التَّحتية، وبالميم، وبالبناء للمفعول.

خَسْفا - بفتح الخاء المعجمة، وضمها، وسكون السين المهملة، وبالفاء: يقال سمتُه خَسْفاً إِذَا أَوليته ذُلاًّ، ويقال كلفته مشقة.

تَرَبَّدَا - بفوقيَّة - مفتوحةٍ، فراء فموحدة - يقال اربَدَّ وَجْهُه: أَي تغيَّر إِلى الغُبْرةِ.

الفَيْلَق - بفاء مفتوحةٍ، فتحتيةٍ ساكنة، فلام مفتوحة، فقاف: العسكر الكثير.

مُزْبَدا - بميم مضمومة، فزاي ساكنة، فموحدة مفتوحة، فمهملة.

القَرْم - بفتح القاف: السَّيِّد، وأَصله الفَحْل من الإِبل الَّذي أَقرم، أَي تُرِكَ من الرُّكُوب والعَمَلِ وَوُدِّعَ للفحلة.

الأَصْيدَ: الَّذي يرفع رأَسَه كثيراً، ومنه قيل للملك أَصْيَد، وأَصله البعير يكونُ به داء في رأسه يرفعه، وقيل إِنَّما قيل للملك أَصيد؛ لأَنه لا يلتفتُ يميناً وشمالاً.

مَابَرِحَ: مازال.

عنانة: واحدةُ العَنان - بفتح العين المهملة، ونونين بينهما أَلف، وهو السَّحَاب.

تستهل: تبشر.

بُدَيْل - بضمّ الموحدَّة، وفتح الدَّال، وسكون التَّحتية، وباللاَّم.

مَرّ - بفتح الميم، وتشديد الراء.

الظَّهْران - بفتح الظَّاء المعجمة المشالة، وسكون الهاء، بلفظِ تثْنِيه ظهر؛ اسم أُضيفَ إِليه مرّ: اسم مكان قرب مكة.

شرح غريب ذكر ما قيل - ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما بلغه خبر خزاعة

تُهْمَتُكُمْ: مَنْ تَتَّهِمُونه.

ظِنَّتُكُم: من تظنُّون، وهو بمعنى ما قبله.

قُصْرَة - بضمّ القاف، وسكون الصاد المهملة: أَي خاصة.

نَنْبذ إِليه على سَواءَ: نطرحُ عهده وننقضه.

الأَنْدِية: جمعُ نادٍ وهو متحدَّثُ القوم.

قَرَظَة ـ بفتح القَاف، والرّاء، والظاء المعجمة المشالة.

فيهم عُرام ـ بضم العين المهملة: الشِدَّة والقُوَّةُ والشَّراسة؛ يقالُ رجلٌ عارمٌ خَبيثٌ شِرِّير.

السَّبَدُ ـ بسينٍ، فموحدةٌ مفتوحتين، فدالٌ مهملة: الشَّعر.

اللَّبَد ـ بفتح اللاَّم والموحدة: أَي الصُّوف، أَي ما يبقى لنا شيء.

شرح غريب ذكر اخبار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن أبا سفيان سيقدم

قوله: الهُدْنَة: الصُّلح.

يَرُوعُكم: يفزعكم.

الحَجُون ـ بحاء مفتوحة مهملة، فجيم: الجبل المُشْرف على مَقْبَرةِ مكَّة.

الخَنْدَمة ـ بفتح الخَاء المُعجمة، وسكون النُّون، وفتح الدَّال المهملة: جبل بمكَّة.

مَلِياً: زماناً.

تَحَرَّجُوا: وقعُوا في الحرج، وهو الضِّيق، وفي لفظٍ: رَهِبُوا ـ بكسر الهاء، خافوا.

عُسْفان: بعين مضمومة، فسين ساكنة، مهملتين، ففاء ونون.

تُمُور: جمع تَمْر.

تِهَامة ـ بالكَسر.

قائلهم: اسم فاعل من قال، قيلا ومقيلا، وقيلولة: نام القائِلة؛ وهي الظهيرة.

ائتمرت قريش: آمر بعضهُم بعضاً.

أُم حبيبة: زوج النبي ـ ﷺ: تأتي في تراجم الأَزواج ـ رضي الله عنهن.

مُشْرِكٌ نجس: أَي نجسُ الاعتقاد، لاَ أنَّه نجسُ العَيْن.

الذَّرُّ: النمل الصِّغَار، وليس قول عمر: فوالله لو لم أَجد إِلاَّ الذَّرَ لقاتلتكم عليه بكذب وإن كان الذَّرّ لا يقاتل به لأنه جَرَى في كلامهم كالمثل.

أَخْلَقَه الله ـ بالقاف: أَبلاه ومحَقَه.

المتِينُ: القَويّ.

أَمَسّ القوم بي رَحِماً: أَقربهم رحما.

البحيرة: من أَسماء المدينة؛ تقدم بيانه فيها.

وَيْح: كلمة تَرَحُّم وتَوَجُّع، تُقالُ لمن وقع في هلكة لا يستحقها، وقد يقالُ بمعنى لتَّعَجُّب والمَدْح، وهو منصوبٌ على المصدر.

أَجِرْ بين الناس ـ بفتح الهمزة، وكسْرِ الجيم، وسكون الراء: من الإِجارة.

يَدِبّ بكسرِ الدَّال المهملة، وتَشْدِيد الموحّدة: يمشي على هينة.

أَوَ تَرى ـ بتحريك الواو على الاستفهام، ويجوزُ فتحَ الفوقيّة وضمها.

يَخْفِرُنِي ـ بالخاء المُعْجمة، والفاء: ينقضُ عهدي.

النجح: الفوز بالمطلوب.

إِسَاف ـ بكسر الهمزة ونَائِلة: أَي أَسماء صَنَمَيْن.

أَبَى: أَي امْتَنَع.

أَدْنَى العَدُو: أَقرب أَعدائنا عداوة.

لَعَمْرُ الله ـ بفتح اللاَّم والعين، وضمّ الرَّاء: بقاء الله تعالى.

الحُجَر: جمع حُجْرة وهي البيت.

شرح غريب ذكر جهاز رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكتاب حاطب

الجِهَاز ـ بفتح الجيم وكسْرها.

بَغْتَةً: فجْأَة؛ تقولُ بَغَتَهُ الأَمرُ، وفَجَأَه إِذا جاءه ولم يعلم به.

الأَنْقَابُ ـ جمع نقب: الطريق.

سلمة: سالمة لا حَرَسَ فيها.

المَحَجَّة: الطَّريق المسْلُوك.

الفلوق ـ كذا ذكره محمد بن عمر ولم أَرَ له ذكرا في مختصر معجم البلدان، ولا في النهاية، والصحاح، وتاريخ المدينة، ومعجم البكري.

العقِيق: واد من أَودية المدينة.

أَبُو مَرْثَد ـ بفتح الميم، والثَّاء المثلَّثة، وسكون الرَّاء بينهما.

رَوْضَةُ خَاخ ـ بخاءين مُعْجَمتين بينهما أَلف: على بريد من المدينة، وصحّفهُ أَبو عوانة كما في الصحيح فقال: حاج بحاء مهملة وجيم، ووهم في ذلك.

الظَّعينةُ: الهودج كانت فيه امرأَة أَو لم تكن، والجمعُ الظُّعُن بضمتين وتسكن [العين] وظعائن. والظعينة: المرأَةُ مادامت في الهودج، وكل بعير يُوَطَّأُ للنِّساء ظعينة، وقال في النهاية: الظعينةُ المرأَةُ في الهودج، ثم قيل للمرأَة بلا هودج وللهودج بلا امرأَة.

الخَلِيقَة ـ بالقاف كسفينة: منزلٌ على آثني عشر ميلاً من المدينة.

بطن رِئْم ـ بكسر الراء، وسكون التَّحتية، بالهمز وتركه: واد بالمدينة.

الجِدّ ـ بكسر الجيم، وتشديد الدَّال المهملة: ضد الهزل.

قُرُونُ رأَسها: ضفائِر شعر رأَسها، وفي روايةِ عِقَاصِها ـ بكسر العين المهملة، وبالقاف والصاد المهملة المكسورة: وهو الخيطُ الَّذِي يعتقص به أَطراف الذَّوائب، والشَّعْرُ المضفُور، وفي روايةٍ: أَخرجته من حُجْزَتها ـ بضمِّ الحاء المهملة، وسكون الجيم، وفتح الزاي: وهو معقد الإِزار، قال في النور: وأَيضاً إِن الكتاب كان في ضَفَائِرهَا وجعلت الضفائر في حُجْزَتها.

المُلْصَق ـ بضم الميم وفتح الصاد المهملة: الرَّجُل المقيم في الحيّ والحليف لهم.

اغرَوْرَقَت عيناه: آمْتَلأَتَا دموعا.

شرح غريب شعر حسان

قوله عناني أَهمني بطحاء مكة: ما بين الأَخشبين.

تُحَزّ رقابها ـ بضم الفوقية وفتح الحاء المهملة، وبالزاي.

لم تُجَنّ ـ بالجيم والنون والبناء للمفعول: أَي لم تُسْتَر، يريد أَنهم قُتِلُوا ولَمْ يُدْفَنُوا.

أَلا: حرف تنبيه واستفتاح.

ليت شعري: ليتني أَعلم. أَو ليتَ عِلْمي، هل يكون كذا.

حَرّها ـ بحاء مهملة مفتوحة فراء جمع للحرة بفتح الحاء: وهي الأَرض ذات حجارة سُود نخره كالحرار، والحرات، والحرّين والأَحرّين.

وعِقَابُها ـ بعين مهملة مكسورة فقاف فأَلف فموحدة: جمع عَقَبَة؛ وهي مرقًى صعبة من الجبال.

ابن أَمّ مجالد: عِكرَمةُ بنُ أَبي جهل.

أُحْتُلِبَتْ ـ بسكون الحاء المهملة، وَضَمِّ الفوقية، وكسْر اللاَّم.

الصِّرْف ـ بكسر الصَّاد المهملة: اللبن الخالص هنا.

أَعْصَل ـ بعين مهملة فصاد مهملة مفتوحة فلام: أَعوج، والعَصل اعوجاج الأَسنان.

النَّاب ـ بنون، فألف فموحدة: السِّنُ خلْفَ الرَّباعية، مؤنث.

أَبو رهْم ـ بضمِّ الراء، وسكون الهاء.

كُلْثُوم ـ بضمِّ الكاف، وسكون اللاَّم.

حُصَين ـ بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين في كل الأَسماء إلا حُضَيْن بن المنذر بن سنان فإنه بالضاد المعجمة، وهو فرد، والكنى بفتح الحاء وكسر الصاد.

شرح غريب ذكر خروجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المدينة

قوله ـ فما حل عقدة [أي ما استراح]

الصُلْصُل ـ بصادين مهملتين ـ مضمُومَتَيْن، وسكون اللاَّم الأُولى بينهما: جبل معروف في أَثناء البيداء، وهو الشرف الذي قُدَّام ذي الحُلَيْفة.

يستهل بنَصْر بني كعب: قبيلة.

العَرْج ـ بفتح العين، وسكون الرَّاء المهملتين، وبالجيم: قريةٌ جامعة قريب مكة على نحو ثلاث مراحل من المدينة بطريق مكة.

الطُّلُوب ـ بفتح الطَّاء المهملة: اسم ماء.

تهرُّ: هريرُ الكلبِ صوتُه، وهو دونَ النُّبَاحِ.

الجَرِيدَةُ: جماعةُ من الخيل جردت من سائرها.

العَيْنُ: الجاسوس.

قُدَيْد ـ بلفظ التَّصغير: قريةٌ جامعة قريب مكة.

وكْزَهم ـ بفتح الواو، وسكون الكاف وبالزاي: طعنَهُم.

الجُحْفَةُ ـ بضم الجيم ـ وسكون الحاء المهملة: قرية كبيرة على خَمْسِ مراحل وثلث مرحلة من المدينة.

شرح غريب ذكر فطره ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمره به

الكَدِيْد ـ بفتح الكاف، وكسر الدَّال المهملة الأُولى، بعدها تحتية فدال مهملة: موضعٌ بين مكَّةَ والمدينة بين منزلتي أَمَج وعُسفَان، وهو اسم ماء، وهو أَقربُ إِلى مكَّةَ من عُسفَان.

عُسْفَان ـ بضمِّ العين، وسكون السِّين المهملتين، وبفاء ونون، قريةٌ جامعة على ثَلاَث مراحل من مكة.

أَمَج بفتح الهمزة والميم وبالجيم المخففة: اسم وادٍ.

كُرَاع الغَميم ـ بضم الكاف من كراع وفتح الغين المعجمة [من الغميم] موضعٌ بن رَابغ والجُحْفة يضاف إليه كُرَاع: وهو جبل أَسود بطرف الحرَّة.

عزيمة: أَمرٌ واجبٌ حقٌّ.

شرح غريب ذكر نزوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمر الظهران

عَمِيَت الأَخبار ـ بفتح العين وكسر الميم، ويجُوز ضم العين وكسر الميم المشدَّدة.

يتحسب الأَخبار: يتعرفُّها.

الأَرَاك ـ بفتح الهمزة: شجر معروف.

خَمَشَتها ـ الحرب ـ بالخاء المعجمة، والجيم، والشين المعجمتين المفتوحات: أَحرقَتْها وهيَّجَتْها، ومنْ رواه بالحاء، والسِّين المهملتين، فمعناه: اشتدَّت عليها، من الحماسةِ وهي الشِّدَّةُ والشَّجَاعة.

شرح غريب ذكر منام أبي بكر ـ رضي الله عنه

تَشْخُبُ: تدرُّ وتسيل.

كلبَهُم ـ بفتح الكَاف واللاَّم: شِدَّتُهم.

دَرُّهُم ـ بفتح الدَّال المهملة: لَبَنهُم.

شرح غريب ذكر اعلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن أبا سفيان في الأدراك وارادة أبي سفيان الانصراف

خَطْمُ الجبل ـ بفتح الخاء المعجمة، وسكون الطاء المهملة، والعقبة، شيء يخرجُ منه ويَضِيق معه الطريق، وفي رواية في الصَّحيح: حطم ـ بالحاء المهملة ـ الخيل ـ بالخاء المعجمة والتحتية: وهو موضعٌ ضيِّقٌ تتزاحمُ الخيل فيه حتى يحطم بعضهم بعضا.

وَاصَبَاح قُريش: منادًى مستغاث: يقال عند استنفار من كان غافلا عن عدوه

العَنْوَةُ ـ بفتح العين المهملة أَخذُ الشَّيء قَهْراً.

الشهباء: البيضاء.

حطَّاباً بحاء فطاء مشددة مهملتَيْن.

يشتَدُّ: يعدو.

أَقتحمتُ: رميتُ بنفسي من غير رَوِيَّة.

أَجَرْته ـ بالرَّاء: أَمَّنْته، فهو في أَماني.

لاَ يُنَاجيه: لا يُسَارُّه.

مهْلاً: يُقالُ للمفرد والمثنَّى والجمع، يعْنِي أَمهل.

أَرحْهَا: اتركها.

أَلَمْ يأَن: يقربُ.

الأَوْبَاشُ من النَّاس: الأَخلاطَ.

الرَّحْل بالحاء المُهملة: المنزل والمأْوى.

أَفرخ لروعتي بالفاء والخاء المعجمة: أَذهب لخوفي.

أَربأُ بهمْ عَن الشِّرك: أُنَزِّه مَقَامَهُم وأَرفعه عن الإِقامةِ على الشِّرك.

شرح غريب ذكر تعبئة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه ومن أمر بقتله

أَرحلت: أَعدت رحلها.

الأَدَاةُ: الآلة.

الكَتَائِب: جمع كتيبة وهي الطائفة من الجيش المجتمعة.

القَادَات: جمعُ قائد: وهو أَمير الجيش.

على أثره بكسر أَوّله وسكون ثانيه، وبفتحهما.

أَفْناء العرب: جمع فِنْو، وهو الَّذي لا يعلم ممن هو.

الكتيبةُ الخضراء: سُمِّيتْ بذلك لغلبةِ الحديد على أَهلها، شَبَّه السَّوادَ بالخُضْرة، والعربُ تطلقُ الخضرةَ على السَّواد.

سنابكُ الخَيْل: طرفُ حوافرها.

الحَدَق: العُيُون.

لِعُمَرَ فيها زَجَل: صوتٌ رفيعٌ عَال.

يَزَعُها ـ بالزّاي، يُقَالُ: وزَعَه يزعه وزعا فهو وازع: وهو الذي يَكُفُّ النَّاس ويحملُ أَولَهُم على آخِرهم.

رُوَيْداً: إِسم فعل أَمر، بمعنى أَمهل.

اليوم يوم: برفع اليومين، ونصب الأَول ورفع الثاني.

الملحمة: الحرب وموضع القتال، والجمع ملاحم، مأخوذٌ من اشتباك النَّاس واختلاطهم فيها كاشتباك لُحْمَة الثوب بالسُّدى، وقيل هي من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيهما.

تُسْتَحَلُّ ـ بالبناء للمفعول. الحرمةُ ـ بالرفع نائب الفاعل.

حَبَّذَا ـ بحاء مهملة مفتوحة، فموحدة، فذال معجمة،: أَي هو حبيب، جعل «حَبَّ» و «ذا» كشيء واحد، وهو اسم، وما بعده مرفوع به، وَلَزِمَ «ذَا» حَبَّ. الذِمَار ـ بالذَّال المعجمة المكسُورَة، وتخفيف الميم، وبالرَّاء: الهلاك أَو حين الغضب للحريم والأَهل، يعني الانتصار لمنْ بمكَّةَ، قاله غلبةً ومحجزاً، وقيل: أَراد حَبَّذَا يومٌ يلزمُكَ فيه حِفظي وحمايتي مِن المكرُوه.

القَصْوَاء ـ كحمراء.

أَنشُدك الله ـ بفتح الهمزة، وضمِّ الشين المعجمة ـ سأَلتك وأَقسمت عليك به.

كذب سعد: أَخطأَ.

المرحمة: الرقة والتَّعطُّف.

صَوْلة ـ بفتح الصَّادِ المهملة، وسكون الواو: أَي حملة.

شرح غريب شعر ضرار بن الخطاب ـ رضي الله عنه

لجأَ إِليه بالهمز وتركه للوزن.

لات حين لجاء: أَي ليس الوقت وقت لجاء.

سَعة الأَرض ـ بفتح السِّين.

حلقتا: تثنية حلقة.

البطان ـ بكسر الموحدة ـ للقتب: الحِزامُ الَّذي يُجعل تَحْتَ بَطْن البعير، يقال الْتقَتْ حَلَقَتَا البطان للأَمر إِذَا اشتدَّ.

نُودُوا ـ بالبناء للمفْعُول.

الصَّيْلَم ـ بصادٍ مهملةٍ مفتوحة، فتحتية ساكنة، فلام مفتوحة: الدَّاهِيَةُ.

الصَّلْعَاء ـ بصادٍ مهملة مفتوحةٍ، فلامٌ ساكنة، فعين مهملة ممدودة؛ قال في النور: كأَنه عطف الصَّلعاء على الصَّيْلَم، وحذف حرف العطف للنَّظم، وهو جائزٌ في غير النَّظم أَيضاً.

قَاصِمَةُ الظَّهْر: كاسرته.

الحَجُون ـ بفتح الحاء المهملة، وضَمِّ الجيم المخففة: الجبل المشرف على مقبرةِ مكة.

البطْحَاء: الأَبطح.

النَّسْر ـ بفتح النُّون: النجمُ المعروف، وهما نَسْران؛ النَّسْرُ الطَّائر، والنَّسْرُ الواقع.

العَوَّاء ـ بعينٍ مهملةٍ مفتوحة، فواو مشددة، ويقالُ بالعدوة من منازل القمر، وهي خمسة أَنجم يقال لها ورك الأَسد، ومن مدها فهي عنده من عويت الشيء إِذا لويت طرفه.

وقال السُّهَيْليُّ: والأَصحُّ في معناها أَن العَوَّاء من العوّة؛ وهي الدّبر، وكأَنهم أَسموها بذلك لأَنها دبر الأَسد من البُروج.

وَغِرُ الصَّدر ـ بفتح الواو وكسر الغين المعجمة، وبالرَّاء: إِسم فاعل، والوغرة: شدة توقد الحَرّ.

لا يَهُم ـ بفتح التحتية وضم الهاء.

تَلَظَّى: أَصله تَتَلَظَّى: تلهب.

جاءت: أَخْبَرَت.

هند: هي بنت عُتْبَة.

بالسَّوْءةِ السَّوءاء، بالخلة القبيحة.

ابن حرب: هو أَبو سُفيان بن حرب.

أَقْحَمَ اللِّواء: الإِقحامُ؛ إِرسَالٌ في عجلة.

يا حُمَاةَ الأَدْبَار: جمع دُبُر، والمراد به هُنَا الظَّهر.

ثَابَتْ ـ بثاء مثلثة وبعد الأَلف موحدة ففوقية سَاكِنة: أَي رجعَت.

البُهَم ـ بضمِّ الموحَّدة، وفتح الهاء، قال أَبو عبيدة البُهمة بالضَّمِّ: الفارسُ الَّذِي لا يُدْرَى من أَين يُؤْتي من شِدَّة بأْسه؛ والجمع بُهَم، ويُقالُ أَيضاً للجيش بُهَمة.

الهيْجَاء ـ بالمد وتقصر: الحرب.

الفِقْعَةُ ـ بفاء مَكْسُورَة، فقافٌ، فعين مهملة مفتوحة، جمع فَقْع ـ بكسر الفاء وفتحها وسكون القاف ضربٌ من الكمأَة، وهي البيضاء الرِّخوة، يشبه به الرجل الذَّليل يقال هو فَقْع بقَرْقَر[1]؛ لأَن الدَّوَاب تنجله بأَرجلها.

---

(١) القرقر في الأَراض المنخفضة اللينة، أنظر المعجم الوسيط ٧٣٦/٢.

القَاعُ: المكانُ الواسعُ المستوي في وطاة من الأَرض.

الإِماء: جمعُ أَمة؛ وهي خلافُ الحُرَّة.

إِنْهَيَنْهُ: فعل أَمر من نَهَى أُكِّد بالنُّون.

الأُسْد ـ بضمِّ الهمزة وسكون المهملة جمع أَسَد بفتح الهمزة والمهملة.

لدى: بمعنى عند.

الغَاب، والغابات: جمعُ غابة؛ وهي هُنا أَجَمَةُ الأَسد.

وَالِغٌ ـ بالغين المعجمة: إِسم فاعل من وَلَغَ في الإِنَاء.

الحيَّةُ الصَّماء: التي لا تُسْمَع.

صنْوُ أَبيه، الصِّنْوُ: المِثْلُ.

أَمَا وَالله ـ بفتح الهَمْزَة، وتخفيف الميم.

ركبوها منه: [أَي فعلوها معه]

لاضرمنَّها عليهم نارا: أَشعلها عليهم.

آستبطنتم: يقال آستبطن الوادي وتبطَّنَه: دخل بطنه.

أَشهَب بازل: أَي رُمُوا بأَمرٍ صعْب شديد لا طاقةَ لهم به يُقَالُ يومٌ أَشهب وسنةٌ شهباء، وجيشٌ أَشهب: أَي قويٌّ شديد، وأَكثر ما يستعملُ في الشِّدَّةِ والكراهة، وجعله بازلا لأَن بُزُولَ البعير نهايته في الشدة والقُوَّة.

النجاء: السرعة، يقالُ هو ينجو نجاء إِذا أَسرع.

قِبَل ـ بكسر القاف وفتح الموحدة: أَي طاقة وإِنَّما عطفها عليه لتغاير اللَّفظ.

قَاتَلَهُ الله: أَي قتلَهُ ولَعَنَه، أَو عاداه، وقد ترد بمعنى التَّعجُّب من الشَّيء، كقولهم: تَرِبَتْ يَدَاه، ولا يراد بها وقوع الشيء.

الحَميث ـ بفتح المهملة، وكسْر التَّحتية، وبالفوقية ـ وهي في الأَصل المتين مِنْ كلِّ شيء، والمرادُ هنا: زقّ السمن.. بالسين والميم متن بالرُّبِّ ولا يُشعر عليه، شبهته بنحى السَّمن في لونه وسمنه.

الدَّسِم ـ بدالٍ فسين مكسورة مهملتين: الكثير الوَدَك.

ما الأَحمس: الشُّجَاع.

قَبُحَ: القبْحُ: ضد الحُسْن، وقد قَبُحَ قباحة فهو قبيح، ويقالُ قَبَّحه الله؛ أَي نَحَّاه عن

الخير، فيجوز في لَفْظِ الكثرة قَبُح ـ بفتح القاف، وضم الموحدة، وقُبِّح بالبناء للمفعول.

الطَّلِيعَةُ: الذي يحرسُ القوم.

شرح غريب ذكر من أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقتله وشرح غريب ذكر دخوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة واين نزل

الساعي هنا: الذي يأْخذُ الزكاةَ، وفي رواية مصَدِّقا ـ بفتح الصَّاد وتشديد الدَّال مع كسْرها، ويجوزُ إِسكانُ الصَّادِ مع كسْر الدَّال المخفَّفة.

القَيْنَة ـ بقاف مفتوحة فتحتية ساكنة فنون فتاء تأْنيث: الأَمة غنَّت أَو لم تغنّ والماشطة، وكثيراً ما يطلق على المغنية من الإِماء.

المِغْفر ـ بكسر الميم، وسكون الغين المعجمة، وفتح الفاء، وبالراء: زردٌ ينسجُ منه الدُّروع على قدر الرأْس، يلبسُ تحت القلنسوة.

ذو طُوًى ـ بتثليث الطَّاء المهملة، والفتح أَشهر: واد بمكَّة، مقصورٌ مُنونٌ، وقد يُمدّ، يصرفُ ولا يصرف.

المُدَجَّج ـ بِضمِّ الميم، وفتح الدَّال المُهْمَلَة والجيم الأُولى المشددة.

شاك في السلاح تدَجَّج في شكته وحَدّ في سلاحه.

القناةُ: الرُّمح.

الأَفْواه: جمع فُوه: وهو الفم.

المَزاد ـ بفتح الميم، والمزايد جمع مزادة، وهي شِطْرُ الرواية.

الخَنْدَمَة ـ بفتح الخاء المعجمة، وسكون النّون، وفتح الدَّال المهملة، فميم فتاء تأْنيث: اسم جبلٍ بمكَّة.

الرعدة ـ بكسر الرَّاء.

فرسٌ عَاير ـ بعين مهملة فتحتية: ذاهب.

معتجراً؛ الاعتجار: التعمُّمُ بغير ذُؤابة.

شقة برد: نِصْفُهُ.

حَبرَة ـ بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة: ضربٌ من ثياب اليمن.

آستشرفه النَّاس، قال في الصَّحاح: استشرفْتَ الشَّيء: رفعتَ نظرك لتنظر إِليه، وبسْطتَ كفك فوق حاجبك كالَّذي يستظلُّ من الشَّمس.

العُثْنُون ـ بضم العين المهملة والنون وبينهما ثاء مثلثة ساكنة: اللِّحية.

واسطة الرَّحل: مقدمته.

تمْعَج: تسير في كل اتجاه.

ثابَتْ ـ بثاء مثلَّثةٍ فألف، فموحدة ففوقية: رجعت.

عِمَامَة خَرْقَانِيَّة ـ بفتح الخَاء المعجمَةِ وضمِّها، وسكون الراء، وبالقاف، وكسر النُّون، وتشديد التحتية، قال في النِّهاية كأنَّه لَوَاها ثم كوَّرَهَا كما يفعله أَهل الرَّسَاتِيق[1]، ورُويت بالحاء المهملة.

المِرْطُ ـ بكسر الميم، وسُكُون الرَّاء، وبالطَّاء المهملة: كساء من صوف، أَو خز، أَو كتان، والجمع مُروط.

مُرَحَّل ـ بضم الميم، وفتح الراء والحاء المهملة المشددة: ضربٌ من بُرود اليمن، عليه تصاوير رحل وما أَشْبَهَه، وفي التكملة هو الموشى بالرحال، كما أَنَّ المسهَّمُ الموشى تشبيهاً بالسِّهام.

تُثِير: ترفع.

النَّقْع: الغبَار.

الأَعنَّةُ: جمعُ عنَان ـ بكسر العين وهو سير اللِّجام.

مُسْرَجَاتٍ ـ بميمٍ مضمومة، فسين مهملة فراء فجيم: مشدودٌ عليها السَّرْج.

الخُمر ـ بضمِّ الخاء المعجمة، وبالرَّاء: جمع خمار، وهو ثوبٌ تُغَطِّي به المرأَةُ رأْسَهَا، والخَمَرُ ـ بفتح الخاء المعجمة، والميم: ما واراك من شجر.

مُجَنَّبة الجيش ـ بميم مضمومة فجيم مفتوحة: فنون مكسورة مشددة فموحدة فهاء: وهي التي تكون في الميمنة والميسرة وهما مُجَنِّبَتَان، وقيل: هي الكتيبة تأْخذُ إِحدى ناحيتي الطَّريق، والأَوّل أَصح.

سُلَيم ـ بضمِّ السِّين المهملة.

غِفَار ـ بكسر الغين المعجمة.

مُزَيْنَة ـ بضمِّ الميم، وفتح الزَّاي، وسكون التحتية، وبالنُّون.

اللِّيط ـ بكسر اللاَّمِ الثَّانية، وسكون التحتية، وآخره طاء مهملة.

---

(١) الرساتق: فارسي معرب وهو السواد، انظر اللسان ١٦٤٠/٣.

الحُسَّر ـ بضمِّ الحاء، وفتح السِّين المشددَة المهملتين وآخره راء: وهم الَّذين لاَ دِرْعَ عليهم.

البَيَاذقَةُ بفتح الموحَّدة، وتخفيف التحتيَّة، وبعد الأَلف ذال معجمة، فقاف، فتاء تأنيث: وفُسِّرَ بالرَجَّالَة؛ وهي لفظَةٌ فارسيَّةٌ مُعَرَّبة.

أَقبل بالصَّفِ من المسلمين...

يَنْصَبُّ ـ بفتح التحتية، وسكُون النُّونِ، وفتح الصَّادِ المهملة، وتشديد الموحَّدة.

عَنْوَةً: يقالُ عَنَا عنوة: أَخذ الشَّيء قهراً وصلْحاً، والمرادُ هنا الأَوّل.

ضَوَى إِليه: آوى إِليه وانضم.

هُذيْل ـ بضمِّ الهاء، وفتح الذَّالِ المعجمة، وسكُون التَّحتية، وباللاَّم.

الدِيل ـ بكسرِ الدَّالِ المهملة، وسُكُون التَّحتية.

فمَالِي عِلَّة...

وأَلَّة ـ بفتح الهمزة، وتشديد اللاَّم المفتوحة، فتاء تأْنيث: الحَرْبَة التي في نصلها عرض، وجمعها أَلّ ـ بفتح الهمزة، وتشديد اللاَّم، والأَلّ كجفنة وجِفَان.

ذُو غِرَارَيْن بغين معجمة مكسورة، وراءين بينهما أَلف: شَفْرَتَا السَّيْف وكل شيء له حَدٌّ فحَدُّه غِرَرُهُ، والجمع أَغِرَّة.

السلَّة ـ بكسر السِّين المهملة، وتشديد اللاَّم المفتوحة فتاء تأْنيث: الحالة مِن السَّيف ومنْ أَرادَ المصدر فتح. قال في الصِّحاح: أَتيناهم عند السَّلَّة؛ أَي عند إِسْلال السُّيوف.

الحَزْورة: بحاء مهملة مفتوحة فزاي ساكنة فواو مفتوحة فراء: كانت سوقاً بمكة وأدخلت في المسجد لَمّا زيد فيه.

لُجَّة البَحْرِ ـ بضمِّ اللاَّم وتشديد الجيم: معظمه، ومنه بحر لُجِّيّ، واسع اللُّجَّة.

نَالَ...

الفارِسِيَّة...

الشِّعَار ـ ككتاب: العلامة في الحرب.

حِمَاس ـ بكسر الحاء المهملة، وتخفيف الميم، وبعد الأَلف سين مهملة.

إِنك ـ بكسر الكاف، خطاب المؤنث.

بويزيد: حذف همزته تخفيفاً؛ لضرورة الشِّعر، وأَراد به سُهَيْل بن عمرو.

المُؤْتَمة ـ بميم، فواو، ففوقية مفتوحة: التي قُتِلَ زوجُها وبقي لها أَيتام، ومن رواه بكسر الفوقية: أَراد لها أيتام، يقال منه أَيْتَمَتْ فهي مُؤْتِمة.

الجُمْجُمَةُ: الرأْس.

تُسْمَعُ ـ بالبناء للمفعول. وفي كثيرٍ من النُّسخ تَسْمَعِي.

الغَمْغَمَةُ ـ بغينين معجمتين مفتوحتين بعد كل واحدةٍ ميم، الأُولى ساكنة، والثَّانية مفتوحة: أَصواتٌ غير مفهومة من آختلاطها. قال في الرَّوض، وقال في الإملاء هي أَصواتُ الأَبطال في الحرب.

النَّهِيتُ ـ بفتح النُّون، وكسر الهاء، وسكون التحتية ففوقية: نوعٌ من صياح الأَسد كالزَّئير إلا أَنه دونه.

هَمْهَمةٌ: صوتٌ في الصَّدر.

كُرْز ـ بكافٍ مضمومةٍ، فراء ساكنة فزاي.

الفِهْرِيّ ـ بكسر الفاء، وسكون الهاء.

البَارِقَة: لَمعَان السيُوف.

فضض المشركين ـ بفاء وضادَيْن مُعجمتين: كل مُتَفَرِّق ومُنْتَشِر.

فَأُتي ـ رسول الله ﷺ ـ فَذُكِرَ له ببنائهما للمفعول.

وبَّشت: بفتح الواو وبالموحدة المشددة وبالشين المعجمة: جمعت الأَوباش الجموعُ مِنْ قبائل شتَّى.

اهْتِفْ: صِحْ والهاتف الصائِح.

المناوشة في القتال: تَدَانِي الفريقين وأَخذ بعضهم بعضا.

آحْصُدُوهُم ـ بهمزة وصل، فإِنْ آبتدأتَ ضممتَ، وبالحاء والصَّادِ المهملتين: أي آتِيُوهم وبَالِغُوا في آستئصالهم.

أُبيدَت ـ بالبناء للمفعول: أُهْلِكت، وفي رواية أُبيحَتْ ـ بالبناء للمفعول أَي آنْتُهِبَتْ وتَمَّ هَلاكُهَا، والإِباحةُ كالنَّهْب وما لا يُردّ عنه.

خَضْرَاء قريش ـ بخاء مفتوحة فضاد ساكنة معجمتين وبالمد: جماعتهم وأَشخاصُهُم والعربُ تكنّي بالسَّوادِ عن الخُضْرة، وبالخُضرةِ عن السَّواد ومنه سوادُ العِرَاق.

لا قرَيْش بعد اليوم:...

تقاسموا: تحالفوا.

الخَيْف: ما آنحدر منْ غِلَظِ الجبل وآرتفع عن مسيل الماء.

كِنَانة ـ بكسر الكاف، ونونين.

رَجَّع صَوْتَه ـ بفتح الراء، والجيم المشدَّدة: رَددَهُ في القراءة، قال...

مُضْطَرباً بالحَجُون: مقيما به.

شرح غريب ذكر اغتساله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورن ابليس وإسلام أبي قحافة وغريب خطبته ـ صلى الله عليه وسلم

سُبْحةُ الضحى ـ بضم السِّين المهملة، وسكون الموحَّدة، وبالحاء المهملة: من التسبيح كالسحَرَةِ من التسحير، وأكثر آستعمالها في التَّطَوع من الذكر والصَّلاة.

الرَّنَّة ـ بفتح الرَّاء والنُّون: الصوت بحزن.

النَّوْح ـ بفتح النون، وواو ساكنة، فحاء مهملة: البُكاء.

الشَّرَر ـ بشينٍ معجمةٍ مفتوحة فراءين أَولاهما مفتوحة: ما تطاير من النار.

التَّامَّات: الكاملات فلا يدخلهنَّ نقصٌ ولا عيب، وقيل: النافعات الشَّافيات.

لاَ يُجَاوزُهنَّ ـ بمثناة تحتية مضمومة، ثم جيم وزاي، لا يخلفهن ويتخطَّاهن.

البَرُّ ـ بفتح الموحدة، والبار: الصادق أَو التَّقي، وهو خلافُ الفاجر، وجمع الأَوَّل أَبْرَار، والثَّاني بَرَرَة.

الطَّارق: الَّذي يأْتي ليلاً.

حَبَشِيَّةٌ: منسوبة إِلى الحبشة.

شَمْطَاء: خالط سوادَ شعرها بياض.

خَمَشَت المرأَةُ وَجْههَا بظفرها خَمْشاً من باب ضرَب: جرحت ظاهر البشرة، ثم أُطلق الخَمْش على الأَثر، والجمع خمُوش مثل فلس وفلوس.

الوَيْلُ: كلمةٌ تقال لمن وقع في هلكة أَو بَلِيّة لا يُتَرَحَّمُ عليه.

إِسَاف بكسر الهمزة، ونائِلة ـ بنون فأَلف، فهمزة على صورةِ الياء: اسما صنمَيْن.

أبو قُحَافة ـ بضمّ القاف، وبالحاء المهملة، والفاء، عثمان بن ـ مر والد أَبي بكر الصّديق ـ رضي الله تعالى عنهما.

أَشْرَفِي بي؛ ارتفعي بي.

الوَازِعُ - بالزَّاي: الَّذي يَكُفُّ الجيش، أَي يقدم بعضه على بعض يقالُ وزعته عن كذا إِذا كففته عنه.

الطَّوْقُ هُنَا: القلادَة.

الوَرِق - بفتح الواو، وكسر الرَّاء، الفضة.

الثَّغَامَةُ - بثاء مثلَّثةٍ مفتوحة، فغين معجمة: شجرةٌ إِذَا يبست أَبْيَضَّت أَغصَانها يُشَبَّهُ بها الشَّيْبُ.

أَنْشُدُ الله رجلاً: أُذَكِّره به وأَستعطفه أَو أَسأَله به مُقْسما.

أُخَيَّة: تصغير أخت.

لِمَ قَاتَلْت: ما الاستفهامية دخلت عليها اللاَّم الجارة فحذفت أَلفها.

رَشَقونَا: رمونا.

وَضَعُوا فينا السِّلاح: خطوه.

خَبَطُوهُم - بخاء معجمةٍ فموحدة فطاء مهملة: ضربوهم ضرباً شديدا.

أَبو أُحيْحَة - بمهملتين - مصغر.

الجيَادُ - بجيمٍ مكسورة، فتحتية مفتوحة، فأَلف، فدال مهملة؛ جمع جيِّد: ضد الرَّديء.

مُتَمَطِّرَات - بضمِّ الميم، وفتح الفوقية، وكسر الطَّاء المهملة المشددة، وبالراء، يقال: تَمَطَّرَ به فرسه: إِذَا جرى وأَسرع، وجاءت الخيلُ مُتمطِّرةً؛ أَي سبَق بعضُها بعضاً.

المحجَن - بميم مكسورة، فحاء مهملة ساكنة، فجيم مفتوحة فنون؛ وهي عصاً مقنعة الرأْس كالصولجان.

آرْتَجَّت مكَّة: آضطربَ أَهلها.

الرَّصَاصُ - بفتح الرَّاء، والمفرد رصاصة.

هُبَل - بضمِّ الهاء وفتح الموحَّدة، وباللاَّم.

وِجَاه - بواوٍ مكسورةٍ فجيم: مقابل.

آخِذٌ بمدِّ الهمزة، وكسر الخاء، وبالذَّال المعجمتين: اسم فاعل.

سِيَة القوْسِ - بكسر السين المهملة، وفتح التحتية المخففة: وهو ما عطف من طرف القوس.

يطعن - بضم العين وفتحها.

الاسْتِلاَمُ: افتعالٌ من السَّلام، كأَنَّه حَيَّاهُ بذلك، وقيل: هو آفتعالٌ من السِّلام بكسر لسِّين؛ وهي الحِجَارَةُ، ومعناه: لمسهُ.

الحَجر - بفتح الحاء والجيم.

المُلَوَّح بضم الميم وفتح اللاَّم، وتشديد الواو المفتوحة، فحاء مهملة.

إِبه إِيه...

يَسْتَقْسِمُ: يضربُ.

بالأَزْلاَم، جمع زُلم - بضمِّ الزَّاي، ويقالُ: بفتحها؛ وهو السَّهم.

حَمَامَةٌ مِنْ عَيْدَان - بفتح العين المهملة، وسكون التحتية؛ جمع عَيْدَانَة؛ وهي النَّخْلَة لطَّويلة.

سطرين بسين مهملة، ووقع في رواية السهيلي بالشين المعجمة، وخطَّأَه القاضي.

قوله: وعند المكان الَّذي صلَّى فيه مَرْمرَةٌ - بسكون الرَّاء بَيْنَ الميمين المفتوحين، واحدةُ المَرْمَر، وهو جنسٌ من الرُّخَام لطيفٌ نفيسٌ معروف، وكان ذلك في زمن لنَّبيِّ - ﷺ - ثُمَّ غُيِّرَ بناء البَيْتِ بَعْدُ في زَمَن ابن الزُّبَيْر كما تَقَدَّم.

بَرَّة - بموحَّدة مفتوحة، فراء مشددة فمثناة فوقية.

شرح غريب ذكر خطبته - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح

آستكَف له الناس - بفتح أَوّله، وسكون السِّين المهملة، وفتح الكاف، وبالفاء: أَي ستجمع، من الكافة، وهي الجماعة، وقد يجوزُ أَن يكون آستكفَّ هنا بمعنى نظروا إِليه، حدقوا أَبصارهم فيه، كالَّذي ينظر في الشَّمس، من قولهم: استكف بالشَّيء إِذا وضعت كَفَّكَ على حاجبك ونظرت إِليه، وقد يجوزُ أَن يكون استكف هذا بمعنى استمد؛ قاله في الإِملاء.

وأَول دَمٍ أَضعه دَمَ ربيعة بن الحارث» قال السُّهَيْليُّ، وابن حزم، والبلاذري: كان ربيعة بن الحارث ابنا مشترَضَعاً في بني سَعْدِ بن ليث فقتلَتْه هُذَيل في الجاهلية، فأَهدر رسولُ الله - ﷺ - دمه في فتح مكة وسماه البلاذري، والزُّبَيْر بن بَكار، وابن حزم وغيرهم: دَم، وقيل: اسمه ثمام، وقيل إِياس.

الأَحزاب: وهم الَّذين تحزَّبُوا على رسول الله - ﷺ - بالخَنْدَق مِنْ قريش وغيرهم.

لاَ تَثْرِيبَ: لا تعنيفَ وَلاَ لوم.

الطلَقَاء - بطاء مهملة مضمومة، فلام مفتوحة فقاف: الَّذين خلَّى سبيلَهُم.

مأثُرَة ـ بهمزة ساكنة فثاء مثلثة مفتوحة: الخصلةُ المحمودة التي تُؤْثَرُ ويُتَحَدَّثُ بها.

سِدَانَةُ البَيْتِ: بكسر السِّين، وبالدَّال المفتوحة المهملتين، وبعد الألف نون: خِدْمَتُه.

النَّخْوَةُ: العظمةُ والكِبْر.

لاَ يُعْضَدُ ـ بالعين المهملة، والضَّاد: لا يقطعُ.

عِضَاها، العضاةُ ككتاب شَجَرُ الشَّوْك كالطَّلْح والعَوْسَج.

ولا يُختلى ـ بضم التحتية وسكون الخاء المعجمة: لا يقطع.

الخلى ـ بالقصر: الرَّطبُ من الحشيش، الواحدة خلاة.

وَكَانَ شَيْخاً مُجَربا ـ بضمِّ الميم، وفتح الجيم والراء: أَي جرَّبته الأُمور وأَحكمته.

الإِذْخِر ـ بكسر الهمزة وسكون الذَّال، وكسر الخاء المعجمتين: نباتٌ معروف ذَكِيٌ إِذا جَفَّ ابْيَضّ.

القَيْن ـ بفتح القاف، وسكون التحتيَّة، وبالنُّون: الحدَّاد، ويطلقُ على كلِّ صانع، والجمع قُيُون، مثلُ عين وعيون.

ولِلْعَاهِرِ الحَجَر: أَي إِنما ثبت الولد لصاحب الفراش وهو الزوج، وللعاهر الخيبةُ ولا يثبت له نسب، وهو كما يقال: وله التُّراب؛ أَي الخيبة؛ لأَنَّ بعضَ العرب كان يُثبت النسب من الزَّاني، فأَبطله الشرع.

لاَ جَلَبَ ـ بفتح الجيم واللاَّم، وبالموحَّدة، فُسِّرَ بأَنَّ رَبَّ الماشية لا يُكَلَّف جَلْبَهَا إِلى البلد ليأْخُذَ السَّاعي منها الزَّكاةَ، بل تُؤْخَذُ زكاتها عند المياه.

ولا جَنَب ـ بفتح الجيم والنُّون، وبالموحدة: أَي إِذا كانت الماشية في الأَفنية فتتْرَكُ فيها ولا تخرج إِلى المرعى، فيخرجُ السَّاعي لأَخْذِ الزَّكاة لما فيه من المشقَّة. فأَمر بالرِّفق من الجانبين.

الأَفنية: جمع فِنَاء ككتاب: الوصيد، وهو سعةٌ أَمام البيت، وقيل: ما امتدَّ من جوانبه.

اشْتِمَالُ الصَّماء: أَي يُجَلِّل جسدَه كله بكساء أَو إِزارٍ لا يرفعُ شيئاً منْ جوانبه.

أَخَالكم: أَظنكم.

خَالِدَةٌ: دائمةٌ لكم.

تَالِدَة ـ بالفوقية كصاحبة، والتَّالِدُ: القديم، قال المحبُّ الطَّبَرِيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ: إِنَّها لكم من أَوَّل ومن آخر، وتكون تالدةً إِتباعاً لخالدة بمعناه.

مُضْطَبِعٌ بثوبه: اسمُ فاعل من الاضطباع: وهو أن يدخل ثوبه من تحت إبطه اليمنى ويلقيه على عاتقه الأيسر، ويتعدى بالباء، فيقالُ: اضْطَبَعَ بثوبه، قال الأزهري: والاضْطِباعُ والتوشُّح والتأَبط سواء.

أمّا الرجل - بفتح الهمزة وتشديد الميم.

يُقْضَى - بالبناء للمفعول، وكذلك قُضي، والوحْيُ، نائبٌ للفاعل.

الضِّنّ برسول الله - ﷺ - بكسر الضَّادِ المعجمة الساقطة، وتشديد النّون؛ أي بُخْلاً بِهِ، وَشُحاً أَنْ يُشَارِكَنَا فيه أَحد غيرنا.

يطئون عقبه: يتبعونه، ومُوَطأُ العَقِب: سلطان يُتَّبَع.

تفوَّهْتُ: تَلَّفظتُ.

قَرْن - بقافٍ مفتوحة، فراء ساكنة، وهي في الأَصل: الجبل الصغير.

المسْفَلَة - بميمٍ مفتوحة فسين مهملة ساكنة ففاء، فلام مفتوحتين: موضع بأسفل مكّة.

يُوضِعُ فيه: يُسْرِع.

الجعِرَّانَة - لا خِلاَفَ في كسر الجيم، وأَهل الحديث يكسرون عينه، وأهل الأَدب يسكنون العين ويخفّفُونَ الرّاء.

قال في المراصد: والصحيح أَنهما لغتان، قال علي بن المدني: أَهلُ المدينة يثقّلُون الجعِرَّانة، وأَهلُ العراق يخفّفُونها، وهي منزلٌ بين الطائف ومكّة، وهي إِليها أَقرب.

عُرَنَة - بضم العين المهملة وفتح الراء وبالنون: واد قرب عرفات.

شرح غريب ذكر اسلام عبد الله بن الزِّبعرى - رضي الله عنه

الزبعري هو بزاي، فموحّدةٍ مكسورتين، فعين مهملة ساكنة، فأَلف مقصورة.

لا تَعْد بفتح الفوقية وسكون العين المهملة.

مِنْ حرف جر، وفي روايةٍ لا تَعْدَ مَنْ مِن العَدَم، أُكِّدَ بالنُّون. ورجلاً - عليها - مفعول.

نَجْرَان - بنون مفتوحة، فجيم ساكنة، فأَلف فنون: مدينة باليمن.

الأَحَذ - بالحاء المهملة، والذّال المعجمة: القليل المنقطع، ومن رواه بالجيم والدال المهملة: فهو منقطع أَيضاً. وقد يجوزُ أَن يكونَ معناه في عَيْشٍ لَئِيم جداً

بليت من البلى وهو العَدم والقدم.

القَنَاةِ: الرمح.

خَوّارة - بخاء معجمةٍ مفتوحة، فواو مشددة فراء: ضعيفة.

جوفاء - بجيم مفتوحة فواو ساكنة ففاء فألف فهمز.: واسعة.

ذَاتِ وُصُوم - بواو مضمومة فصاد مهملة فواو فميم: فتور وكسل وتَوَان

أَجْلَبَ عليه: جمع ما قدر عليه من جنده.

يَجُبُّ ما قبله: يَقْطَعُه ويمحاه.

لساني رَاتِق: سَادٌّ، تقولُ: رتَقْتُ الشَّيء إذا سَدَدْتُه.

ما فتقت: أَحدثتُ من ذنب، فكلُّ إِثم فَتْقٌ وتمزيق، وكلُّ تَوْبَة رَتْقٌ

البُور - بالموحَّدة: الهلاك..

أُبَاري: أعارض، وأَجاري.

سَنَنَ الغيّ: طرقه.

المثْبُورُ: الهالك.

البَلاَبل: الوساوس.

الهُمُوم: الأَحزان.

مُعْتَلِج: مضطرب يركبُ بعضُه بعضاً.

الرِّوَاقُ: طائفةٌ من الليل، وأَرواقه: أَثناء ظلمته.

البهيم: الَّذي لا ضياء فيه.

عَيْرَانَة: ناقةٌ تشبه العَيْر في شِدَّته ونشاطه والعَيْرُ - بفتح العين: حمارُ الوحش.

غَشوم - بغينٍ، فشين معجمة: ظلوم؛ يعني أَن مَشْيَها فيه خفاء، وَمَنْ رواه رُسُوم، فمعناه: أَنها ترسم الأَرضَ وتؤثِّرُ فيها من شِدَّةِ وطئها، والرّسمُ: ضربٌ من سير اللَّيْل.

أَسْدَيْتُ: صنعت وحكيت، يعنى ما قاله من الشِّعْر قبل إِسلامه.

أَهِيمُ: أَذهب على وجهي مُتَحيراً.

أَغْوَى بالغين المعجمة.

خُطَّةَ - بضمّ الخاء المعجمة، وبطاء مهملة: أَي بأَشَرّ أَمر وأَقبحه.

سَهْم - بفتح السِّين المهملة، وسكون الهاء.

مخزوم - بالخاء والزَّاي المعجمتين.

أَسْبَاب الردى: طُرُق الهلاك.

الوُشَاة ـ بضم الواو: جمع واشٍ وهو النَّمَّام.

الأَوَاصِرُ: قرابةُ الرَّحم من النَّاس.

الحُلُوم ـ بضم الحاء المهملة، واللاَّم: العقول.

فِدًى ـ بكسر الفاء، وتفتح، قال في الصحاح: إِذَا كُسِر يُمَدُّ ويقصر، وإذا فتح فهو مقصور انتهي والمِفَادَاة: أَنْ تدفع رجلاً وتأْخُذَ رجلاً، فالفداء أَن تشريه أَو تنقذَه بمال، وفديته بأَبي وأُمي كأَنك اشتريته وخلَّصتهُ بهما، إِذَا لم يكنْ أَسيراً، فإِنْ كان أَسيراً مملوكاً قلت: فاديته، والمرادُ بالفداء هُنا التَّعظيم؛ لأَنَّ الإِنسانَ لا يفْدي إِلا من يُعظِّمُه. فيبذل نفسه، ومن يعز عليه به.

زَلَلِي: خطيئتي.

عَلَم ـ بفتح العين واللاَّم.

الجسيم: العظيم.

القَرْم ـ بفتح القَاف، وسكون الرَّاء: وأَصله الفحل من الإِبل.

الذُّرى ـ بضمِّ الذَّال المعجمة: الأَعالي.

الأَروم: الأُصول.

شرح غريب ذكر اسلام عِكْرمَة وصفوان بن أُميَّة وهند بنت عتبة

ضَوَى إِليه بفتح الضَّاد المعجمة: مال.

الشُّعُيْبَة ـ بالشِّين المعجمة، والعين المهملة تصغير شعبة: مَرْفأ السفن بجدة.

والمَرْفَأ ـ بميم فراء فهمز: الموضع الذي تشدُّ فيه السُّفن.

عَكّ ـ بفتح العين المهملة وتشديد الكاف: حَيٌّ منسوبٌ إِلى عَكِّ بن عُدْنَان ـ بضمِّ العين، وسكون الدَّال المهملتين، وبالثَّاء المثلَّثةِ ابن عبد اللّه بن الأَزد.

تليح بمثناة فوقية فلام فمثناة تحتية فحاء مهملة: تبصر، يقال لحته أَبصرته، والاستلاح التَّبصُّر.

النُّوتِيُّ: الملاَّح الَّذي يدبّر أَمر السَّفينة في البحر.

أَغْرَبَ ـ بغينٍ معجمة: أَبعد.

الاعْتِجَارُ بالعمامة: وهو أَنْ يلفها على رأْسه، ويردّ طرفها على وجهه، ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه.

آمنه ـ بمدّ الهمزة وفتح الميم المخففة.

سَيَّره شهرين ـ بفتح السين والتحتية المشددة.

شفير النَّار: جانبها.

القَدُوم ـ بقافٍ مفتوحةٍ، فدال مضمومة تخفف وتشدد هنا: آلة النجار.

أُفْلذه ـ بهمزة مضمومة ففاء ساكنة فلام فذال معجمة: أَقطعه.

مَرْضُوفَين ـ بميم فراء [فضاد] فواو ففاء مفتوحة: مشويين على الرَّضْف وهي الحجارة المحماة.

قَدّ ـ بقافٍ مفتوحة فدال مهملة: جلد السَّخلة.

شرح غريب ذكر خطبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثاني يوم الفتح

قوله غَزِيٌّ ـ بغينٍ فزاي معجمتين، وتشديد التحتية: جماعة القوم الذين يغزون.

جُنَيْدب بن الأَدلع.

هُذَيْل ـ بضم الهاء وفتح الذَّال المعجمة، وسكون التَّحتية، وباللام.

الغَطِيطُ: ما يسمعُ من صوتِ الآدميِّين إِذَا ناموا، وهو صوتٌ من الحلْق.

الحَاضِر: القومُ الَّذين ينزلُون على الماء.

فمَهْ: ما الاستفهامية أَبدلت أَلفها هاء في الوقف، والمعنى فما تريدون أَن تضعوا [يستجيشُ عليه: بمثناة فسين مهملة فمثناة فوقية فجيم فتحتية: أَقبل إِليهم يطلب سكون الجأْش بهمز وقد لا يهمز. وهو رواع القلب إِذا اضطرب عند الفزع وتنفس الإِنسان].

هكذا عن الرجل: هي هنا اسم سُمِّيَ به الفعلُ، ومعناه: تنحوا عن الرَّجل، وعن متعلقة بما في هكذا من معنى الفعل.

الحشوة ـ بالحاء المهملة المفتوحة: ما اشتمل عليه البطن من الأَمعاء وغيرها

تسيل: تخرج.

تزنقان ـ بفوقية فزاي فنون فقاف أَي قربتا أَن تنغلقا، يقالُ زنقت الشمس إِذا دَنَتْ للغروب وزنقَهُ النُّعَاسُ إِذا آبتدأَه قبل أَن تنغلق عينه

انْجَعَف ـ بنون فجيم فعين مهملة ففاء: سقط سقُوطاً ثقيلاً.

شرح غريب قصيدة حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه

عفَت: درست وتغيَّرَت.

ذات الأَصابع، والجوَاء ـ بكسر الجيم، وتخفيفِ الواو، وعذراء بفتح العين المهملة، وسكون الذّال وراء وبالمد: الثلاثة مواضع بالشّام، والأَخيرة قرية بقرب دمشق.

مَنْزِلُهَا خَلاَء: فارغ.

الحَسْحَاس ـ بحاء مفتوحة فسين فحاء فأَلف فسين مهملات: حَيٌّ من بني أَسد.

قَفْر ـ بفتح القاف، وسكون الفاء، وبالرّاء: المَفَازَةَ الَّتي لا نبْتَ فيها ولا ماء.

تُعَفِّيها ـ بضمّ الفوقية، وفتح العين المهملة، وكسر الفاء المشددة: تغيرُها.

الرَّوَامِس ـ بالرَّاء والسّين المهملتين: الرِّياح التي تُرْمِسُ الآثار؛ أَي تغطيها وتسترها.

السَّماء ـ هنا ـ المطر.

تُثِيرُ ـ بضم الفوقية وكسر الثّاء المثلّثة، وسكون التّحتية وبالراء: ترفع.

النَّقْع ـ بفتح النُّون وإِسكان القاف وبالعين المهملة: الغبَار.

كَدَاء ـ بفتح الكاف والمد.

الأَعِنَّة: جمع عِنَان ـ بكسر العين المهملة: وهو سير اللجام.

مُصْغِيَات: مُستمعات.

الأَسَل ـ بفتح الهمزة والسّين المهملة: الرِّماح.

الظِّماء بكسر الظّاء المعجمة المُشَالة وبالمد: العطاش.

الجيَادُ ـ هنا: الخيل.

مُتَمَطِّرَاتٍ ـ بطاء مهملة مكسورة مشددة مصونات أَو مسرعات يسبق بعضهن بعضا.

يلطمهن: يضربهن بالخُمُرِ ـ بضمّ الخاء المعجمة، والميم، جمع خمار.

إِمَّا ـ بكسر الهمزة، وتشديد الميم، أَصله إِن الشَّرطية وما زائدة.

تُعْرِضُوا ـ حذف النون للجازم.

الجلاَد ـ بكسر الجيم: الضَّرب بالسُّيوف ونحوها في القتال.

لَيْسَ لَه كِفَاء ـ بكسر الكاف وبالمد: أَي مثلا.

وقال الله قد أَرسلت عبداً: أَي قال الله ـ تعالى ـ معناه، وليس هذا اللفظ في القرآن وكذا وقال الله قد سَيَّرتُ جُنداً.

البَلاَء: الاختبار.

عُرْضَتُهَا ـ بضمّ العين المهملة، وسكون الرّاء وبالضّاء المعجمة ـ اللقاء: عادتها تعرض للقاء عدوها.

نحكم بالقَوَافِي مَنْ هجانا ـ بضَمّ النُون، وفتحها: أي نرد ونَقْدَع، من حَكْمة الدَّابة بفتح المهملة وسكون الكاف وهو لجامها، والمعنى: نغمهم ونخزيهم فتكون قوافينا كالحَكْمَات للدَّواب.

أَبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ـ قيل أَسلم في السفر، وهذا مما يُقَوِّي أَنَّ بعض هذه القصيدة قالها قبل السفر للفتح.

مُغَلْغَلَةً ـ بغينينِ معجمتين، الأُولى مفتوحة، والثّانية مفتوحة أَيضاً وبعد كل منهما لام الأولى ساكنة والثانية مفتوحة وهي الرسالة المحمولة من بلد إِلى بلد.

بَرِحَ: زال.

الجفاء: الإِعراض والتباعد.

بَراً ـ بفتح الموحدة والرّاء: وهو الكثير الخير.

الحنيفُ: المسلم، وسُمِّي بذلك لأَنه مَالَ عن الباطل إلى الحق، والحَنَفُ: الميل.

الشِّيمَةُ ـ بكسر الشّين المعجمة، وسكون التحتية: الخُلُق بضم الخاء المعجمة، واللاّم وتسكن.

الكفو ـ بتثليث الكَاف: المِثْلُ والنظير.

فشركما لخيركما الفداء: هذا نصف بيت قالته العرب، وهو من باب قوله ـ ﷺ ـ شرُّ صفوف الرجال آخرها، يريدُ نقصان حَظّهم عن حَظّ الصَّفّ الأَول، ولا يجوز أَن يريد ـ ﷺ ـ التفضيل في الشّر. قال سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ تقول مَررت برجل شَر منك إِذا نقص عن أَن يكون مثله.

صارم: قاطع.

لا عيب ـ بالتحتية والموحدة ـ وهو الظاهر ـ ويروى بالفوقية أَي لا لَوْمَ فيه.

الدِّلاَء ـ بكسر الدَّال المهملة: جمع دَلو بفتحها.

شبيه وقع في صحيح مسلم في مناقب حسان رضي الله تعالى عنه في هذه القصيدة أَبيات.

أَولها: هجوتَ محمدا إِلى آخره، وثانيهما: هجوتَ محمدا بَراً تقياً، وثالثها: فإِن أَبي ووالدتي وعرضي، ورابعها: ثكلتُ بنيتي إِنْ لم تروها تثير النقع غايتها كداء، وخامسها: يُبَارين الأَعنَّة مصعدات كذا في مسلم، وفي السِّيرة مُصْغيات، وسادسها تظل جيادنا إِلى آخره، وسابعها: فإِن أَعرضتم إِلى آخره، وثامنها: وإِلا فَاصْبِرُوا لِضِرَاب يَوْمٍ وتاسعها: قد أَرسلت عبدا وقال الله يقول الحق ليس به خفاء.

وعاشرها: وقال الله قد سَيَّرتُ جندا، وحادي عشرها: تلاقي كل يوم من مَعَدٍّ، وثاني عشرها: فمن يهجو، وثالث عشرها: وجبريلٌ رسول الله فينا.

شرح غريب ابيات أنس بن زنـيم ـ رضي الله عنه

وأَبوه [زنيم] بضم الزَّاي، وفتح النُّون وسكون التحتية.

الذِمة ـ بكسر الذَّال المعجمة: العهد.

أَحَثُّ بالحاء المهملة، والثَّاء المثلثة: أَسرع.

أَسْبَغ ـ بالسين المهملة والموحدة والغين المعجمة: أَكمل.

النَّائِلُ: العطاء.

المُهَنَّدُ: السيف المطبوع من حديد الهند.

الخَالُ ـ بالخَاء المعجمة: ضرب من برود اليمن، سُمِيّ بالخال الذي بمعنى الخيلاء قبل ابتذاله: [أَي بلاه]

السابق ـ هنا ـ الفرس.

المتجرد ـ بكسر الراء: اسم فاعل. الذي يتجرد من الخيل فيسبقها.

تَعَلَّم ـ بفتحات واللاَّم مشدَّدة: :بمعنى إِعلم.

الوعيد: التهديد.

الصِرم ـ بكسر الصاد المهملة وسكون الرّاء وبالميم: البيوت المجتمعة.

المُتْهِمُون: الذين يسكنون بتهامة، وهو ما انخفض من أَرض الحجاز.

المُنْجد: من سكن بنجد، وهو ما آرتفع من الأَرض.

عُوَيْمر: تصغير عمرو، وهو بن سالم كذا في النور.

المُخْلِفُوا كُلَّ مَوْعِدِ ـ بجر كل بإِضافة آسم الفاعل إِليها، ويجوز نسبها في لغة.

نَبَّوْا ـ بنونٍ فموحدة مشدَّدة: أَخبروا.

الطَّلْق - بفتح الطاء، وسكون اللاَّم: الأَيام السَّعيدة، يقال يومٌ طلق إِذْ لم يكن فيه بَرْد ولا حَرٌّ ولا شيء يؤذي، وكذلك ليلة طلق.

عزَّت: اشتدّت.

العَبْرَة - بفتح العين المهملة: الدَّمعة.

التَّبلُّد: التحير تبلدي: تصبري، أَخفرت: نقضت العهد

أَكْمَد: من الكمد وهو الحزن.

فَتَقْتُ - بفاء ففوقية فقاف: أَحدثت، أَو خرجت.

شرح غريب ابيات الشقراطيسي - رحمه الله تعالى

وهو بشين معجمة فقاف ساكنة فراء مفتوحة فطاء فسين مهملات فتحتية.

يوم مكة - جوز الإِمام أَبو شامة - رحمه الله تعلى نصبَ يوم ورَفْعَه وجره. إِذْ: ظرفُ زمانٍ بدل من يوم.

أَشْرَفْتَ/علوت عليها وظهرت على أَخذها.

الأُمم: جمع أُمَّة؛ وهي جماعة الحيوان على الإِطْلاق، ومِنَ الزَّمان وغير ذلك.

تضيق - بالفوقية والتحتية.

الفِجَاج - جمع فجٍّ: الطَّريق الواسع بين جبلين.

الوَعْثُ - بواو مفتوحة، فعين مهملة ساكنة، فثاء مُثَلَّثة: المكانُ الواسع.

الدَّهَس - بدال مهملة فهاء مفتوحتين فسين مهملة: مَالاَنَ من الأَرض وسَهُل، ولم يبلغ أَنْ يكونَ رَمْلاً تغيب فيه الأَقْدَام ويشقُّ على مَنْ مَشَى فيه.

السَّهْل - بسكون الهاء - وفتحها ضرورة - وفي بعض النُّسخ بضمَّتَين؛ جمع سَهْل وهو ما لان من الأَرض، والمعنى أَنَّ جميع الطُّرُق تضيقُ عن ذلك الجيش.

الخَوَافِق - بالصَّرْفِ للضَّرورة، وبالجَرِّ بدل من أُمم؛ أَي أَشرفت في أُمم خوافق، يقالُ خفقت الرَّاية تَخْفِقُ وتَخْفُق - بكسر الفاء وضَمِّهَا خَفْقاً وخَفَقاناً، وكذلك القلبُ إِذَا اضْطرب، ويجوز أَن تكون خوافق صفة لأُمم لا بدل؛ وصفها بالمفردِ بعد أَنْ وصفَهَا بالجُملة، من قولهم خَفَقَ الأَرْضَ بنعله خَفْقاً وهو صوت النَّعْل، وكلُّ ضربٍ بشيء عريض خفق ومنه خَفَقَه بالسَّيْف، وخفق في البلاد خُفُوقاً: ذهب، وخفق البرقُ خَفْقاً: لَمَع، وخفقت الريحُ خفقاناً: وهو خفقها أَي دويّ جريها، وخَفَقَ الطَّائر؛ أَي طار؛ وصف تلك الأُمم بسرعَةِ الطير والسير ولمعان

الحديد، وصوت وقع الحوافر، وما يناسبُ ذلك مما يليقُ بالمعنى المقصود المستنبط من هذه الألفاظ. في اللغَة، وفي بعض النسخ خوافق بالرفع جعل مبتدأ على تقدير لها خوافق يعنى رايات، أو خبرا أي هي خوافق، يعني الأُم، ويجوزُ أن يكونَ التَّقدير في ذَاتِ خوافق وحذف المضاف، وكذا يجوزُ أَنْ يكونَ التَّقديرُ على إعراب خوافق بالجر أي ذوي خوافق؛ فمهما قدرنا حذف مضاف، أو قلْنَا هي مبتدأ أو جررناها على البدل، فالمرادُ بخوافق الرَّايات، وإن جررناها صفة لأُمم أو قلنا: التقدير هي خوافق فالخفق للأُم لا الرايات.

ضَاقَ: ضعف.

ذَرْعُ الخَافِقِيْن: وسعهما.

الخَافِقَان: أفقا المشرق والمغرب؛ لأن اللَّيل والنَّهار يخفقان فيهما.

القَاتِمُ: المُغْبَرُّ والقَتَامُ: الغُبَار.

العَجَاجُ - بالعين المهملة وجيمين: الغبار.

الجَحْفَل - بالجرِّ: وهو الجيش العظيم، قال في المحكم: ولا يكون الجيش جَحْفلا حتَّى تكون فيه خيل.

قَذَف بفتح القاف والذَّال المعجمة، وبضمهما: أي مُتباعد.

الأَرجاء: النَّواحي والأَطراف.

اللَّجَب: الصَّوت والجَلَبَة.

العَرَمْرم: الكثير.

زُهَاء السَّيل - بضم الزَّاي: قدره.

المُنْسَحِلُ - بضمِّ الميم، وسكون النُّون، وفتح السين، والحاء المهملتين: وهو الماضي في سيره، المسرع فيه. يتبع بعضه بعضا كأنه جار.

البَهْوُ: البنَاء العالي كالإيوان ونحوه؛ شبه النورَ، الذي يغشاه - ﷺ ببهو أحاط به.

مُكْتمل بضم الميم: تام.

ينير - بضم التحتية - أي النور المذكور ينير أي يضيء «أغر الوجه: أبيضه منتجب: متخير من أصل نجيب أي كريم.

المُتَوَّجُ: الَّذي لبس التَّاج وهو الإكليل الَّذي تلبسه المُلوك، وهو شبه عصابةٍ تُزَيَّنُ بالجواهر، وصف النبيَّ - ﷺ - بأنه أبداً متوج بعزة النصر. مُقْتَبل - بضمِّ الميم، وسكون

القاف، وفتح الفوقية، وكسر الموحّدة: من آقتبل أَمْرَه أَي آستأنفه، وآقتبل الـخُطْبَة أَي آرتجلها، والاقتبال: الاستئناف.

يَسْمُو ـ بالتحتية: يعلو.

أَمَام: قُدَّام.

جُنُود: جمع جند.

مُرْتَدِياً: حال من الضمير في يسمو.

ثوبَ الوَقَار: مفعولُ مرتدياً على إِسقاط الخافضُ والوقار العظمة.

ممتثل: أَي منتهج على مثاله، يقال: امتثلَ فلانٌ الأَمْرَ إِذَا فعله على المثال الَّذي رسم له.

خَشَعْتَ: خَضَعْتَ ـ حسا ومعنى.

البهاء: الحسن.

سَمَتْ: ارتفعت.

المَهَابَة: الهيبة، فكلاهما مصْدَر هابه، ومعناها الإِجلال والمخافة.

الوَجلُ: الخائف، جمع النَّاظِم بينهما لاختلاف اللَّفْظ تأْكيداً للمعنى؛ أَي فَعَلت في زمان نهاية عزك ما يفعله الخائفُ الوجل.

تَبَاشَرَ القَوْم: بَشَّرَ بعضُهم بعضاً فرَحاً.

أَمْلاَك: جمع مَلَك مثل حَمَل وأَحْمَال.

مُلِّكْت ـ بضمّ الميم، وكسر اللاَّم المشدَّدة، وفي بعض النُّسخ بفتحهما من غير تشديد، وكلاهُما واضح.

نِلْتَ: حصلت [غاية الأَمل]: مطلوبك.

تَرْجُفُ: تهتز.

الزَّهْوَ: الخفَّةُ من الطَّرب، يقالُ: زَهَاهُ الشيء ازدهاء: إِذا استخفه، والزَّهْو أَيضاً: الكِبْر؛ وليس مرَاداً هنا.

الفَرَقُ: الفزع، يقالُ آهتزت الأَرضُ فرحاً بهذا الجيش وفَرَقاً من صَولته؛ أَي كادت تهتزُّ كما قال تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب ١٠] أَي كادت تبلغ.

الجَوّ: ما تحتَ السَّماء من الهواء.

يَزْهَرُ: يضيء.

الإِشْرَاقُ: الإِضاءة.

الجَذَل ـ بفتح الجيم، والذَّال المعجمة: السُّرور والفرح.

تَختَالُ: تتبختر في مشيتها.

زَهْواً: كبراً وإِعجاباً، وهذَا غيرُ معنى الزَّهو السَّابق، فليس بتكرار.

العِيْسُ ـ بكسر العين: الإِبلُ في أَلوانِهَا عَيَسٌ ـ بفتح العين والتحتية، وهو بياضٌ مخالطٌ بحمرة.

تَنْثالُ ـ بفوقيةٍ مفتوحةٍ فنون ساكنة فثاء مثلثة ولام: أَي تَنْصَبُّ من كلِّ جهة، يقالُ تَنَاثَلَ النَّاسُ إِليه إِذا آنصبُّوا.

رهواً بالرّاء: أَي ذات رَهْوٍ، وهو السَّيْرُ السَّهل.

ثِنَى ـ بكسر الثَّاء المثلَّثة، وفتح النُّون، كأَنَّه جمع ثِنًى، لأَنَّ كلَّ أَحد له ثِنى إِلاَّ أَنَّ هذا الجمع غير مسموع، وفي بعْض النُّسخ بضمّ المثلَّثةِ وكسرِها كحِليٍّ وحُلى.

الجُدُلُ ـ بضمّ الجيم، والدال المهملة: جمعُ جديل، وهو الزِّمام المجدُول؛ أَي المضفُور المحكم الفَتْل، والزِّمام ما كان في الأَنفِ، والخطام غيره، وثِنى الجُدُل ما أُثْنِي منها على أَعناق هذه الإِبل؛ أَي انعطف وانطوى.

الحِوَلُ ـ بكسرِ الحاء المهملة، وفتحِ الواو: التَّحوُّل، وهو الانتقالُ والتغيُّر.

أَهَلَّ ـ بفتحاتٍ واللاَّم مشدَّدَة: أَي رفع صوْتَه.

ثَهْلاَن ـ بثاء مثلَّثةٍ: جبل.

التَّهْلِيلُ: مصدر هَلَّلَ إِذَا قال: لا إِله إِلاَّ الله.

ذاب ـ بفتحِ الذَّالِ المعجمة.

يَذْبُل ـ بفتح التَّحتِيَّة، وسكون الذَّالِ المعجمة وضمّ الموحدَّةِ وباللاَّم: جبل.

التَّهْلِيلُ ـ هُنَا: الجُبْنُ والفَزَعُ، يقالُ هَلَّ الرَّجلُ عن الشَّيء إِذا فزع منه فرقاً وجُبْناً.

الذُبُلُ ـ بضم الذَّال المُعجمة، والموحَّدة: الرِّماح الذَّوَابِلُ الَّتي لم تقطع من منابتها حتى ذَبُلَت أَي جفت ويَبِسَتْ، وإِذا قطعت كذلك كانت أَجود، وأَصله لولا القَدَرُ الَّذي خطَّته الأَقلام في اللَّوح المحفوظ، ولِمَا سبق من قضاء الله فيه الَّذي لا يتحوَّل أَن الجماد لا ينطق ولا يعقل لرفَعَ ثَهْلانُ صوتَه فهَلَّل الله ـ تعالى ـ من الطَّرَب، ولَذَابَ يَذْبُل من الجزع والفَرَق.

عُقِدَتْ: بالبناء للمفعول.

الأَزل - بفتح أَوّله والزّاي: القِدَم بكسر القاف.

شَعَبْتَ - بفتح الشّين المعجمة، والعين المهملة، وسكون الموحدة، وفتح الفوقية: أَي جمعت وأَصلحت.

الصَّدْعُ: الشَّق.

قَذَفَت: رَمَت.

شَعُوب: اسم عَلَم على المنيّةِ لا ينصرف؛ لأَنَّه مشتقٌّ من شعب إِذا تفرق، لأَنَّها تُفَرِق الجماعات.

شِعَابُ السهل؛ جمع شِعب: الطَّريق في الجبل.

السَّهْلُ: خلاف الجبل، وهو ما سهل ولان من الأَرض.

القُلَلُ: جمع قُلَّة، وهي أَعلى الجبل، وقُلةُ كلِّ شيء أَعلاه.

زَادَتْ: من الزّيادة.

الكَتَائب: جمعُ كتيبة، وهي الجماعة من الخيل.

الزئير - بالهمز: صوت الأَسد في صدره.

العُصْل - بعينٍ فصاد مهملتين: جمع أَعْصَل، وهو النَّاب الشَّديد المُعْوَجّ.

وَيْلُ: كلمة يُعَبَّر بها عن المكروه ويدعى بها فيه.

آثار وطئته: مصدر وَطِيء بقدمه يَطَأُ وَطْأً ووطأَة للمرة من ذلك، ويعبر بها أَيضاً عن موضع القَدم، وعن الأَخذة والوقعة؛ فالمعنى على الأَول: من آثار وطأَته الأَرض، وعلى الثَّاني من آثار نكايته.

الجَوَى - بفتحِ الجيم، في الأَصل فساد الجوف، ثم سمي كل ما بطن من حزن أَو هوى، أَو همّ جوًى.

الهَبَلُ بفتحِ الهاء، والموحدة: الثُّكْل؛ مصدر هبلته أُمه؛ أَي ثكلته.

جُدْتَ عَفْواً - يقالُ أَعطاني فلانٌ كذَا عَفْواً؛ أَي سهلاً من غيرِ عناء ولا كَدٍّ في السُّؤال والعَفْوُ: التَّجَاوُز عن الذَّنب، وترك العقوبة.

ولم تُلْمِمْ من المَمْتَ بالشَّيء إِذَا دنوتَ منه ونلْت منه نيلاً يسيراً.

الأَليمُ: الموجع.

اللَّوْمُ والعَذْلُ - بفتح الذَّال المعجمة وسكونها مُتَقَارِبَان، فلمَّا آختلفَ اللَّفظُ حسُن

التكرير - يعني أَنَّ النَّبي - ﷺ - لم يقابل أَهل مكَّة - ولم يغذِلهم، بل عَفَا عنهم وصفح.

أَضْرَبْت: أَعرضْتَ وتركت.

بالصَّفْح: بالعفو.

صَفْحاً: أَي إِعراضاً.

الطَّوائِل: جمع طائِلة؛ أَي عداوة؛ أَي أَعرضْتَ عن نتاج طوائلهم وهي جنايتهم عليه - ﷺ -.

طَوْلا - بفتحِ الطَّاء: المَنّ والإِنْعَامُ والتَّفضُّل.

المَقِيلُ في الأَصْلِ مصدر قَالَ يَقيلُ قَوْلا وَمُقِيلاً وقَيْلُولَة: إِذَا نَامَ في الظَّهيرة أَو استراح، وإِنْ لم يَنم، وآستعار ذَلِكَ هُنَا للنَّوْم، وجعل له مقيلاً في أَعينهم، وكنَّى بذلك عن لُبثه وآستقراره بسبب العفْو عنهم والصَّفح، وكان قبل ذلك نافراً عنهم بسبب الخوف من القتل والغمّ من الطرد.

المُقَل - بضمّ الميم، وفتح القاف، جمع مُقْلة، وهي شحمةُ العين الَّتي تجمع السَّوادَ والبياض.

وَاشِجِ الأَرْحَامِ - بشينٍ معجمةٍ مكسورة، فجيم: مختلطها ومشتبكها، من قولهم وشجت العروق والأَغصان أَي آشتبكت وتداخَلَتْ وآلتفَّتْ وَشْجاً ووشيجا.

أُتِيحَ - بضمّ أَوّله وكسر الفوقية، وسكونِ التَّحتية وبالحاء المهملة: قُدّر وقُيِّضَ.

الوَشِيجُ - بفتحِ الواو، وكسرِ الشِّين المعجمة، وسكونِ التحتية، وبجيم، ما نبت من القنا والقُضُب مُلْتَفاً، وقيل: سمِّيت بذلك لأَنَّها تنبت عروقُها تحت الأَرض، وقيل: هي عامة الرّماح.

النَّشِيْجُ - بفتحِ النُّونِ وكسرِ الشِّين المعجمة، وسكونِ التَّحتيَّة، وبجيم: بكاء يخالطُه شهيق وتوجّع.

الرَّوْعُ: الفزع، والوَجَلُ: الخوف - وهما مُتقارِبَان او مترادفان، عطف أَحدهما على الآخر لـمَّا آختلف اللَّفظان؛ ومعنى البيت: إِنَّ القوم الَّذين رحمتهم فأَمنتهم قرابَتُهُم شديدةُ الاتصال بك.

عَاذُوا - بذالٍ معجمة: لجئوا بالجيم.

اللَّطَف - بفتح اللاَّم - والطَّاء المهملة، والفاء: اسم لِما يبر به، يقال: أَلطفَه بكذَا؛ أَي بَرَّه به، أَي لجئوا مما كانُوا فيه من حَرّ الخوف، والغمّ إِلى ظلّ عَفْوِ رسولِ الله - ﷺ.

أَزْكَى: أَكثر وأَوسع وأَطهر الخليقة: الخلائق.

أَخْلاقاً: جمع خُلُق - بضمِّ الخاء المعجمة، واللاَّم: وهي السَّجيَّة.

الزَّلَل: التنحِّي عن الحق.

زَانَ - من الزِّينة.

الخُشُوعُ: الخضوع.

الوَقَارُ: الحِلْمُ والرَّزَانة.

الخَفَرُ - بفتحِ الخاء المعجمة، والفاء: شدة الحياء.

العَذْرَاء: البِكر.

الكِلَلُ - بكسرِ الكاف: جمع كِلَّة: وهي الصَّومعة؛ وهي السِّتر الرَّقيق يُخاط كالبيت.

مَحْبُوراً: مسروراً منعماً.

في شُغُلٍ - بضمِّ الشِّين والغين المعجمتين: ممنوعٌ من الوصول إليه.

الخِزْيُ: الهوانُ والذُّل، ويُروى الرِّجْسُ - وهو القَذَرُ - موضع الخزي.

الرِّكس: ردّ الشَّيء مقلوباً، ويُروى منتكس؛ أَي منقلب.

ثاوٍ بثاء مثلَّثة؛ مقيم.

البَهمُوتُ: الحوت الذي عليه قرار الأَرض.

زُحَل: نجمٌ معروف.

حَجَزْتَ: منعت.

الأَقطار: النَّواحي، واحدها قُطر - بضم القاف الحجاز ارض خاصة في جزيرة العرب حاجز بين نجد وتهامة.

مَعاً: ظرفٌ لازِمُ الإِضَافة؛ بمعنى المُصاحبة، وموضعها نَصْبٌ على الحال، ولَـمَّا أَن قطعت عن الإِضافة نُونَت تنوين العِوَض.

مِلْتَ بالخوف: أَي أَملته ونحَّيْتَه، وفي نسخة بالحيْفِ وهو الجور والظلم، والأَوّل أَحسن لمقابلة الأَمن ويجانس الخيف بالخاء المعجمة: وهو ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه خيف منى الذي فيه مسجد الخيف، وخيف بني كنانة الَّذي نزل فيه رسولُ الله - ﷺ - عام حجة الوداع، وهو الأَبطح.

مَلَل - بفتح الميم واللاَّم الأُولى: موضعٌ بين مكَّة والمدينة على سبعة عشر ميلاً من المدينة.

حَل ـ بفتح الحاء المهملة وتشديد اللاَّم: نزل.

اليُمن ـ بضمِّ التحتية: البركة.

اليَمَن ـ بفتح التحتية: الإِقليم المعروف.

حُفَّت جوانِبُه ـ بالبناء للمفعول، يقال حَفُّوا حوله، يَحُفُّون حفاً: أَي طافُوا به وآستداروا.

المِلَلُ ـ بكسر الميم، وفتح اللاَّم الأُولى: الأَديان واحدها مِلة.

أَطاع: آنقاد.

المُنْحَرِفُ: المائل عن دين الحق، وهو هُنَا الإِسلام.

المُعْتَرِفُ: المقر بالشيء.

المُنْعَدِلُ ـ بضمِّ أَوله، وسكون النُّون، وفتح العين المهملة وكسر الدَّال المهملة، وباللاَّم: الناكب عن طريق الهدى.

المعتدل ـ بوزنه لكنْ بعد العين مثنَّاةٌ فوقية، وهو المستقيم على طريق الهدى.

أَحْبِبْ ـ بحاء مهملة وموحدتين.

الخُلَّةُ ـ بضمِّ الخاء المعجمة: المودَّةُ والصَّداقة، وجمعها خلل ـ أَي ما أَحبها من خلة إِلينا.

وعز دولته؛ أَي أَحبب بعزِّ دولته؛ أَي ما أَحبها عزة.

الدَّوْلَةُ ـ بفتح الدَّال المهملة: بمعنى الإِدالة وهي الغَلَبَة.

الغرَّاء: البيضاء الشريفة.

الدُّوَلُ ـ بضمِّ الدَّال: جمع دولة.

الباب الثامن والعشرون

فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ

[وتسمى أَيضاً غزوةُ هَوَازِن، لأَنهم الَّذين أَتوْا لِقِتَالِ رسولِ الله - ﷺ - قال محمد بن عمر الأَسلمي: حدّثني ابن أَبي الزِناد عن أَبيه: أَقامت هوازنُ سنةً تجمع الجموعَ وتسير رؤساؤهم في العرب تجمعهم -] انتهى.

قال أَئِمة المغازي: لـمَّا فتح رسولُ الله - ﷺ - مكَّةَ مشتْ أَشرافُ هَوَازِن، وثَقيف بعضها إِلى بعض، وأَشفقوا أَن يغزوهم رسولُ الله - ﷺ - وقالوا: قد فرغ لنا فَلاَ نَاهِيَة له دُونَنَا، والرأْي أَن نَغْزُوَه، فَحشدُوا وبغوا وقالوا: والله إِن محمداً لاقى قوماً لا يُحسنون القتال فأَجْمِعُوا أَمركم، فسيروا في النَّاس وسيرُوا إِليه قبل أَن يسير إِليكم، فأَجمعت هَوَازِنُ أَمرَها، وجَمَعَها مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة النَّصْرِيّ بالصاد المهملة - وأَسلم بعد ذلك، وهو - يوم حنين - ابن ثلاثين سنة، فاجتمع إِليه مع هَوَازِن ثقيف كلها ونَصر وجُشَم كلها، وسعدُ بن بكر، وناسٌ من بني هلال، وهم قليل. قال محمد بن عمر: لا يَبْلُغون مائة، ولم يشهدْها من قيس عَيْلاَن - أَي بالعين المهملة - إِلا هؤلاء، ولم يحضرها من هَوَازِن كعب ولا كلاب، مشى فيها ابن أَبي براء فَنَهَاها عن الحضور وقال: والله لو ناوأُوا محمَّداً منْ بَيْن المَشْرِقِ والمغرب لَظَهَرَ عليهم.

وكان في جُشَم دُرَيْد بن الصِّمَّة وهو يومئذٍ ابن ستين ومائة. ويقال عشرين ومائة سنة، وهو شيخ كبيرٌ قد عَمِي، ليس فيه شيء إِلاَّ التَّيمن برأْيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخاً مجرَّباً قد ذُكِرَ بالشَّجَاعَةِ والفروسِيَّةِ وله عشرون سنة، فلمَّا عزمتْ هَوَازِنُ على حربِ رسُول الله - ﷺ - سأَلت دُرَيداً الرياسة عليها فقال: وما ذاك وقد عمي بصري وما استمسك على ظهر الفرس، ولكن أَحضرُ معكم لأَن أُشير عليكم برأْيي على أَن لا أُخَالف، فإِن كنتم تظنون أَني أُخَالف أَقمتُ ولم أَخرج قالوا: لا نُخَالِفُك، وجاءه مالك بن عوف، وكان جماع أَمر الناس إِليه، فقالوا له: لا نُخَالِفُك في أَمرٍ تراه.

فقال له دُرَيْد: يا مالك إِنك تُقَاتل رَجُلاً كريماً، قد أَوطأَ العربَ، وخافته العجمُ ومَنْ بالشام، وأَجلى يهودَ الحجاز، إِمَّا قتلاً وإِما خُروجاً على ذُلٍّ وصَغَار، ويومُك هذا الَّذي تلقى فيه محمداً له ما بَعده.

قال مالِكٌ: إِني لأَطمع أَن تَرَى غداً ما يسرك.

قال دُرَيْد: منزلي حيثُ ترى، فإِذا جمعْتَ النَّاس صرتُ إِليك، فلما خَرج من عنده طَوَى عنه أَن يسير بالظعن والأَموال مع الناس.

فلما أجمع مالكُ المسير بالناس إلى رسولِ الله - ﷺ - أمر النَّاس فخرجوا معهم أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم ثم انتهى إلى أَوْطَاس، فعسكر به، وجعلت الأَمْدَادُ تأتي من كلّ جهة، وأقبل دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّة في شجار له يُقَادُ به من الكبر، فلما نزل الشيخ لمس الأرض بيده وقال: بأَيِّ وادٍ أنتم؟ قالوا: بأَوْطَاس. قال: نعم مجالُ الخيل، لا حَزْنٌ ضرِسٌ، ولا سهْل دَهِس. مالي أسمع بُكاء الصَّغير، ورُغَاء البعير، ونُهاقَ الحمِير، وبُعَار الشَّاء وخُوارَ البقر؟ قالوا: ساق مالكٌ مع الناس أبْنَاءهم ونساءهم وأموالهم فقال دريد: قد شرط لي ألا يخالفني فقد خالفني فأنا أرجع إلى أهلي وتارك ما هنا. قيل: أَفتلقى مالكاً فتكلمه؟ فَدُعِي له مالك، فقال: يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام. مالي أسمع بكاء الصغير ورغاء البعير ونهاق الحمير وبعار الشاء وخوار البقر؟! قال: قد سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم، قال: ولم قال: أردتُ أن أجعل خلْف كل إنسان أهله وماله يُقاتل عنهم، فأنْقَضَ به دُريدٌ وقال: راعي ضأن والله، ما له وللحرب. وصفَّق دُرَيْدٌ بإحدى يديه على الأخرى تعجُّباً وقال: هل يردُّ المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلاَّ رجُلٌ بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحْت في أهلك ومالك، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة، بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، فارفع الأموال والنِّساء والذَّراري إلى عُلْيَا قومهم، ومُمْتَنَع بلادهم، ثم الْقَ القوم على مُتُونِ الخيل والرجال بين أصفاف الخيل أو متقدمة دريّة أمام الخيل فإن كانت لك لَحِق بك مَنْ وراءك، وإن كانت عليك الفَاك ذلك، وقد أحرزْت أهلك ومالك. فقال مالكُ بنُ عوف: والله لا أفعل ولا أُغيِّرُ أمراً صنعته؛ إنَّك قد كَبِرْتَ وكَبِرَ علمك، أو قال عقلك. وجعل يضحك مما يشير به دُرَيد، فغضب دُريدٌ وقال: هذا أيضاً يا معشر هَوَازن، والله ما هذا لكم برأْي، إنَّ هذا فاضِحُكُم في عورتكم، ومُمكِّنٌ منكم عدوَّكم وَلاَحِقٌ بحصْنِ ثقيف وتارككم، فانصرِفُوا واتركوه، فسَلَّ مالكٌ سيفَه ثُمَّ نكَّسه، ثم قال: يا معشر هَوَازِن!! والله لتطيعنني أو لأتَّكِئَنَّ على هذا السَّيف حتَّى يخرجَ منْ ظهْرِي - وكره أن يكون لدُرَيد فيها ذكرٌ أو رأْي - فمشى بعضُهم إلى بعضٍ وقالُوا: والله - لئن عصينا مالكاً ليقتلنَّ نفسه وهو شابٌّ، ونبقى مع دُرَيْد وهو شيخ كبير لا قتال معه، فأجمعُوا رأْيكم مع مالك، فلما رأَى دُرَيْدٌ أنهم قد خالفوه قال:

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ أَخُبُّ فِيهَا وأَضَعْ
أَقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعْ

قال ابن هشام: أنشدني غير واحدٍ من أهل العلم:

ثم قال دُرَيْدٌ: ليتني فيها جذع يا معشر هَوَازِن ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: ما

شهدها منهم أَحد. قال: غاب الحدُّ والجِدُّ، لو كانَ يومَ عَلاَءِ ورِفْعةٍ، وفي لفظٍ: لو كان ذِكْراً وشَرفاً ما تخلَّفُوا عنه، يا معشر هَوَازِن ارْجِعُوا وآفعلوا ما فعل هؤُلاَءِ، فأَبوا عليه، قال: فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر وعوف بن عامر، قال: ذانك الجذَعَانِ من بني عامر لا ينْفَعان ولا يضُرَّان، قال مالِك لدُرَيْد: هل من رأْي غير هذا فيما قد حضر من أَمر القوم؟ قال دُرَيْد: نعم تجعلُ كميناً، يكونون لك عوناً، إِنْ حملَ القومُ عليك جاءهُم الكمينُ من خَلْفهم، وكررْتَ أَنت بمن معك، وإِن كانت الحملةُ لك لـم يُفْلت من القوم أَحدٌ، فذلك حين أَمر مالك أَصحابه أَن يكونوا كميناً في الشّعاب وبطون الأَودية، فحملُوا الحملةَ الأُولى التي آنهزم فيها رسُولُ الله - ﷺ - قال دُرَيْد - مَنْ مُقَدِّمَةُ أَصحابِ محمد؟ قالوا: بني سُليم، قال: هذه عادةٌ لهم غير مُسْتَنْكرة، فليت بعيري يُنَحى من سنن خيلهم، فنحِيَ، بعيرُه مُولِّياً من حيث جاء.

ذكر استعماله - صلى الله عليه وسلم - عتاب بن أسيد أميرا على مكة ومعاذ بن جبل - رضي الله عنهما - مُعلما لأهلها

قالوا: لما بلغَ رسُولُ الله - ﷺ - خبرُ هوازِن وما عزمُوا عليه أَراد التَّوجُّه لقتالهم، وآستخلفَ عَتَّاب بن أَسيد أَميراً على أَهل مكة، ومُعَاذَ بن جَبَل يعلمهم السُّنَنَ والفقه، وكان عُمْرُ عَتَّاب إِذ ذاك قريباً من عشرين سنة.

ذكر استعارته - صلى الله عليه وسلم - أدْرعًا من صفوان بن أمية

روى ابن إِسحاق من رواية يونس بن بكير عن جابر بن عبد اللّه - رضي الله عنهما - وعن عمرو بن شعيب وعبد اللّه بن أَبي بكر بن عمرو بن حزم والزهري: أَن رسولَ الله - ﷺ - لما أَجمع السَّير إِلى هَوَازِن ذُكِرَ له أن عند صفوان بن أُمَيَّة أَدْرُعاً وسلاحاً، فأَرسل إِليه - وهو يومئذ مشرك - فقال: [يَا أَبَا أُمَيَّةَ أَعِرنَا سِلاَحَكَ هَذَا نَلْقَى فِيه عَدُوَّنا] فقال صفوان: أَغْصْبا يا محمد؟ قال: «لا بَلْ عَارِيَة مَضْمُونَة حتَّى نَرُدَّهَا إِلَيْك» قال: ليس بهذا بأْس، فأَعطى له مائة درع بما يكفيها من السلاح، فسأَله رسول الله - ﷺ - أَن يكفيهم حملها، فحملها إِلى أَوْطَاس. ورواه الإِمام أَحمد وأَبو داود والنسائي عن أُميَّة بن صَفْوَان، وسيأْتي في أَبواب معاملاته - ﷺ - ويُقال إِنه - ﷺ - استعار منه أَربعمَّائة درع بما يصلحها.

قال السُّهَيْلي: وآستعار رسولُ الله - ﷺ - في غزوةِ حُنَيْن من نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رُمح، فقال - ﷺ - كأَني أَنظر إِلى رماحك هذه تقصف ظهْر المشركين.

ذكر ارساله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبد الله بن أبي حدرد ليكشف خبر القوم

روى ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عن جابر بن عبد اللّه ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وعمرو بن شعيب، وعبد اللّه بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ـ رحمهم الله تعالى ـ أَنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ لَمَّا سمع بخبر هَوَازِن بعث عبد اللّه بن أَبي حَدْرَد ـ رضي الله عنه ـ فأمره أَن يدخل في القوم فيقيم فيهم، وقال: «إِعْلَمْ لَنَا عِلْمَهُم» فأتاهم فدخل فيهم فأقام فيهم يوماً وليلة أَو يومين، حتَّى سمع وعلم ما قد أَجمعوا عليه من حرْبِ رسولِ الله ـ ﷺ ـ وسمع من مالك، وأمر هوازن وما هم عليه.

وعند محمد بن عمر أَنه انتهى إِلى خباء مالك بن عَوف فيجد عنده رؤساء هوَازن، فسمعه يقول لأَصحابه: إِنَّ محمدا لم يُقَاتل قوماً قط قبْل هذه المرة، وإِنما كان يلقى قوماً أَغمارا لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم، فإِذا كان السَّحَر فصفُّوا مواشيكم ونساءكم من ورائكم، ثم صُفُّوا، ثم تكونُ الحملة منكم، واكسروا جفون سيوفكم فَتَلْقَوْنَه بعشرين أَلفَ سيف مكْسُورَةِ الجفون، وآحملوا حملة رجلٍ واحد، وآعلموا أَنَّ الغلبة لمن حمل أَولاً. انتهى.

ثم أَقبل حتَّى أَتى رسولَ الله ـ ﷺ ـ فأَخبره الخبر، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ لعُمَرَ بْن الخطَّاب «أَلاَ تَسمَعْ مَا يَقُولُ آبنُ أَبِي حَدْرَدْ»؟ فقال: عمر: كذب، فقال ابن أَبي حَدْرَدْ: والله لئن كذبتني يا عمر لرُبَّما كذبت بالحقِّ. فقال عمر: أَلا تسمع يا رسولَ الله ما يقول ابن أَبي حَدْرَد؟ فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ قد «كُنْتَ ضَالاً فَهَدَاكَ الله».

ذكر خروج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للقاء هوازن

روى البخاري عن أَبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أَنَّ رسولَ الله ـ ﷺ قال حين أَراد حُنَيْناً «مَنْزِلُنَا غَداً ـ إِنْ شَاء الله تَعَالَى بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر. وفي رواية قال: منزلنا إِن شاء الله تعالى إِذَا فَتَحَ الله الخَيْف حَيثُ تَقَاسَمُوا علَى الكُفْر»(١).

قال جَمَاعة من أَئمة المغازي: خرج رسولُ الله ـ ﷺ في آثني عشر أَلفاً من المسلمين؛ عشرة آلافِ من المدينة وأَلفين من أَهْل مكَّة.

وروى أَبو الشيخ عن محمد بن عبد اللّه بن عبيد بن عمير اللَّيْثي ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كان مع رسولِ الله ـ ﷺ ـ أَربعة آلافِ من الأَنصار، وأَلف من جهينة وأَلف من مزينة. وأَلف من أَسلم. وأَلف من غفار، وأَلف من أَشجع، وأَلف من المهاجرين وغيرهم، فكان معه

(١) تقدم.

عشرة آلاف، وخرج باثني عشر ألفاً، وعلى قول عُرْوَة والزهري وابن عُقبة يكون جميع الجيش الذين سار بهم رسول الله - ﷺ - أربعة عشر ألفاً، لأنهم قالوا: إنه قَدِمَ مكّة بإثني عشر ألفاً، وأضيف إليهم ألفان مِنَ الطُّلَقَاء.

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - غدا رسول الله - ﷺ - يومَ السبت لستٌ خَلَون من شوّال.

وقال ابن إسحاق لخمس، وبه قال عُرْوة، واختاره ابن جرير، وروي عن ابن مسعود

قال ابن عُقبة، ومحمد بن عمر - رحمهم الله تعالى - ثم بعد فتح مكّة خرج رسولُ - ﷺ - لحنين وكان أهل حنين وفي رواية أهل مكة يظنون حين دنا منهم رسول الله - ﷺ - أنّه مبادرٌ بهوازن، وصنع الله لرسوله أحسن من ذلك؛ فتح له مكة وأقرّ بها عينه وكَبَتَ بها عدوّه، فلما خرج إلى حُنَيْن خرج معه أهل مكة لم يغادر منهم أحدا - ركباناً ومشاة حتى خرج معه النساء يمشين على غير دينٍ نُظّاراً ينظرون ويرجون الغنائم، ولا يكرهون أن تكونَ الصَّدمة لرسولِ الله - ﷺ.

وكان معه أبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أُمية، وكانت امرأته مسلمة وهو مشرك لم يفرق بينهما، وجعل أبو سفيان بن حرب كلما سقط تُرسٌ أو سَيْف أو متاع من أصحاب رسولِ الله - ﷺ - نادى رسول الله - ﷺ -: أن أعْطِنِيه أحمله حتى أوْقَرَ بعيره.

قال محمد بن عمر: وخرج رسولُ الله - ﷺ - وزوجتاه أُم سلمة وميمونة فضُربَت لهما قبة.

ذكر قول بعض من أسلم، وهو حديث عهد بالجاهلية: اجعل لنا ذاتَ أنواط

روى ابن إسحاق، والترمذي - وصححه - والنسائي وابن أبي حاتم عن أبي قتادة الحارث بن مالك - رضي الله عنه - قال: خَرَجنا مع رسولِ الله - ﷺ - إلى حُنيْن - ونحن حديثو عهدٍ بالجاهلية فسِرْنا معه إلى حُنين، وكانت لكفار قريش وَمَن سِواهم مِنَ العرب شجرةٌ عظيمة، وعند الحاكم في الإكليل سِدْرَةٌ خضراء - يُقال لها «ذاتُ أنواط»، يأتونها كل سنةٍ، فيعلقُون أسلحتهم عليها، ويذبحونَ عندها، ويعكُفُونَ عليها يوماً، فرأينا ونحن نسير مع رسولِ الله - ﷺ - سدرةً خضراء عظيمة، فتنادَيْنا مِنْ جَنبَاتِ الطريق: يا رسولَ الله، اجعلْ لنا «ذاتَ أنواطٍ» كما لهم «ذاتُ أنواط» فقال رسولُ الله - ﷺ - «الله أكْبرَ الله أكْبرَ الله أكْبرَ، قلتم - والذي نفسي بيَدِه، كمَا قالَ قوْمُ مُوسَى لِموسَى ﴿اجْعَلْ لَنا إلَها كَمَا لَهم آلِهةٌ قالَ إنكم قوْمٌ تَجهلُونَ﴾ [الأعراف ١٣٨] إنها لسننٌ، لتركبن سَنَنَ مَنْ كان قبلَكم حَذْوَ القُذة بالقُذة».

ذكر الآية في قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما قيل له ان هوازن قد أقبلت

عن سهل بن الحنظلية ـ رضي الله عنه ـ إنهم ساروا مع رسولِ الله ـ ﷺ ـ يومَ حُنيْن فأَطنبوا في السَّير حتى إذا كان عشية حضرتُ صلاةَ الظهر عند رسول الله ـ ﷺ ـ فجاء رجلٌ فارس فقال: يا رسولَ الله، إني آنطلقتُ بين أَيديكم حتى طلعتُ جبل كذا وكذا، فإذا بهوازن قد جاءت عن بَكْرَةِ أَبيهم بِظُعُنِهم ونَعَمِهِم وشائِهم، اجتمعوا، فتبسَّم رسولُ الله ـ ﷺ ـ وقال: «تِلْكَ غَنيمةٌ لِلْمُسْلِمِينَ غداً إنْ شَاء الله تعَالى». ثم قال: «مَنْ يَحْرُسُنا اللَّيْلة؟» قال أَنس بن أَبي مرثد: أَنا يا رسولَ الله، قال: «فارْكَبْ» فركب فرساً له، وجاء إِلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال له رسولُ الله ـ ﷺ ـ: اسْتَقْبِلْ هَذَا الشِّعْبَ حَتَّى تكُونَ في أَعْلاَه ولا نُغَرَّن مِنْ قِبَلِكَ اللَّيْلَة». فلما أصبحنا خرج رسولُ الله ـ ﷺ ـ إلى مُصَلاَّه فركع ركعتين ثم قال: «هَلْ أَحْسَسْتُم فَارِسَكُم؟» قالوا: يا رسول الله ما أَحسسناه، فثوب بالصلاة فجعل رسولُ الله ـ ﷺ ـ يُصلي وهو يَلْتَفِتُ إِلى الشِّعب، حتَّى إِذا قضى رسول الله ـ ﷺ ـ صلاته قال: «أَبْشِرُوا فَقَدْ جَاءكُمْ فَارِسَكُم» فجعل ينظر إلى خلال الشجر في الشِّعب، وإذا هو قد جاء حتى وقف على رسولِ الله ـ ﷺ ـ فقال إِنِّي انطلقْتُ حتى كنتُ في أَعلى هذا الشِّعب حيث أَمرني رسول الله ـ ﷺ ـ فلما أَصبحت طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أَر أَحداً، فقال له رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «هَلْ نَزَلْت اللَّيْلَةَ؟» قال: لا إِلا مُصلِّياً، أَو قاضي حاجة، فقال له رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «قَدْ أَوْجبت فَلاَ عَلَيْكَ أَن لا تَعْمَل بعْدَهَا» رواه أَبو داود والنسائي.

ذكر شعر عباس بن مرداس ـ رضي الله عنه ـ ناصحا لهوازن

أَبْلِغْ هَوَازِنَ أَعْلاَهَا وَأَسْفَلَهَا ... مِنِّي رِسَالَةَ نُصْحٍ فِيهِ تِبْيَانُ
إِنِّي أَظُنُّ رَسُولَ الله صَابِحَكُمْ ... جَيْشاً لَه في فَضَاءِ الأَرْضِ أَرْكَانُ
فِيهِمْ سُلَيْمٌ أَخُوكُمْ غَيْرَ تَارِكِكُمْ ... وَالمُسْلِمُونَ عِبَادُ الله غَسَّانُ
وَفِي عِضَادَتِهِ اليُمْنَى بَنُو أَسَدٍ ... وَالأَجْرَبَانِ بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيَانُ
تَكَادُ تَرْجُفُ مِنْهُ الأَرْضُ تَرْهَبُهُ ... وَفِي مُقَدِّمِهِ أَوْسٌ وَعُثْمَانُ

قال آبن إسحاق: أَوس وعثمان قبيلا مُزَيْنة.

ذكر الآية في حفظه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ممن أراد الفتك به

روى محمد بن عمر عن شيوخه قالوا: قال أَبو بُرْدة ـ بضمّ الموحدة، وسكون الرَّاء وبالدَّال المهملة ـ بن نِيَار ـ رضي الله عنه ـ لَمَّا كنا بأَوْطَاس نزلنا تحت شجرة ونظرنا إلى شجرة عظيمة فنزل رسولُ الله ـ ﷺ ـ تحتها وعلّق سيفه وقوسه، وكنتُ أَقرب أَصحابي إِليه، فما

راعني إِلا صوته: يا أَبا بُرْدَة، فقلت: لبَّيك يا رسولَ الله، فأقبلت سريعاً فإِذا رسولُ الله - ﷺ - جالس وعنده رجل جالس، فقال رسول الله - ﷺ -: إِنَّ هذا الرَّجل جاءني وأَنا نائم، فسلَّ سيفي، وقام به على رأْسي، فانتبهت وهو يقول: يا محمد من يمنعُك منِّي؟ فقلت: الله تعالى، قال أَبو بُردة: فسللتُ سيفي، فقال رسولُ الله - ﷺ -: شِمْ سَيْفَكَ فقلت: يا رسولَ الله، دعني أَضربْ عنُق عدُوِّ الله؛ فإِنَّه من عيونِ المشركين. فقال لي: «اسْكُتْ يَا أَبَا بُرْدَة». قال: فما قال له رسولُ الله - ﷺ - شيئاً ولا عاقبه. قال: فجعلت أُصيح به في العسكر لأُشهره للنَّاس فيقتله قاتل بغير أَمرِ رسولِ الله - ﷺ - فأَمَّا أَنا فقد كفَّني رسولُ الله - ﷺ - عن قتله؛ فجعل النبي - ﷺ - يقول: «يا أَبا بُرْدَة كف عن الرجل: فرجعت إِلى رسول الله - ﷺ -، فقال: يا أَبا بردة إِنَّ الله مَانِعِي وَحَافِظِي حَتَّى يُظْهِرَ دِينَه عَلَى الدِّين كُلِّه»(١).

ذكر الآية التي حصلت لجواسيس المشركين في هذه الغزوة

روى أَبو نُعيم والبيهقي من طريق ابن إِسحاق قال: حدَّثني أُمية بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان بن عفان أَنه حُدِّث أَن رسول الله - ﷺ - قد انتهى إِلى حُنَيْن مساء ليلة الثلاثاء لعشرِ خلوْنَ من شوال، وبعثَ مالكُ بنُ عوف ثلاثةَ نفرٍ من هَوَازن ينظرون إِلى رسول الله - ﷺ - وأَصحابِه، وأَمرهم أَن يتفرَّقُوا في العسكر فرجعوا إِليه وقد تفرّقت أَوصالُهم، فقال: ويلكم ما شأْنكم، فقالوا: رأَينا رجالاً بيضاً على خَيْلٍ بُلْق، فوالله ما تماسكنا أَن أَصابنا ما ترى، والله ما نُقَاتِلُ أَهلَ الأَرض، إِنْ نقاتِلُ إِلاَّ أَهل السماوات وإِن اطعتنا رجعت بقومك، فإِنَّ الناس إِن رَأَوا مثل الذي رأَينا أَصابهم مِثْلُ ما أَصابنا. فقال: أُفٍّ لكم، أَنتم أَجبن أَهل العسكر، فحبسهم عنده فرقاً أَن يشيع ذلك الرعب في العسكر، وقال: دلُّوني على رجُل شجاع، فأَجمعوا له على رجل، فخرج ثم رجع إِليه قد أَصابه كنحو ما أَصاب مَنْ قَبْلَه منهم، فقال: ما رأَيت؟ قال: رأَيتُ رجالاً بيضا على خيلٍ بُلْق، ما يُطاق النظر إِليهم، فوالله ما تماسكت أَن أَصابني ما ترى، فلم يُثْنِ ذلك مَالِكاً عن وجهه(٢)، وروى محمد بن عمر نحوه عن شيوخه.

ذكر تعبئة المشركين عسكرهم

قال شيوخ محمد بن عمر: لما كان ثلثا الليل عَمَد مالك بن عوف إِلى أَصحابه فعبأَهم في وادي حُنَين، وهو وادٍ أَجوف خطوط ذو شعاب ومضايق، وفرق النَّاسَ فيها، وأَوعز إِليهم أَن يحملوا على رسولِ الله - ﷺ - وأَصحابه حملةً واحدة. وعبأَ رسول الله - ﷺ - أَصحابَه

(١) المغازي للواقدي ٣/٨٩٢.

(٢) البيهقي في الدلائل ٥/١٢٣.

وصفَّهم صُفوفاً في السَّحر، ووضع الألوية والرَّايات في أهلها، ولبس درعين والمغفر والبيضة، وركب بغلته البيضاء، وآستقبل الصفوف، وطاف عليهما بعضها خلف بعض ينحدرون، فحضهم على القتال وبشَّرهم بالفتح إنْ صدقوا وصبروا، وقدّم خالدَ بنَ الوليد في بني سُلَيْم وأهل مكة، وجعل ميمنةً وميسرةً وقلْبا؛ كان رسولُ الله ـ ﷺ فيه

ذكر إعجاب المسلمين كثرتهم يوم حنين

روى يونس بن بكير في زيادات المغازي عن الربيع بن أنس قال: قال رجلٌ يوم حُنَيْن: لن تُغلب من قلَّة، فشق ذلك على رسولِ الله ـ ﷺ ـ وكانت الهزيمة.

وروى ابن المنذر عن الحسن قال: لمَّا اجتمع أَهلُ مكَّة وأَهلُ المدينة قالوا: الآنَ نُقاتِلُ حين اجتمعنا، فكره رسولُ الله ـ ﷺ ـ ما قالوا مما أَعجبهم من كثرتهم، فالتقوا فهزموا حتى ما يقوم أَحد على أَحَد.

وروى أَبو الشيخ والحاكم ـ وصححه ـ وابن مردويه والبزار عن أَنس ـ رضي الله عنه ـ قال: لما آجتمع يوم حنين أَهل مكة وأَهلُ المدينة أَعجبتهم كثرتهُم فقال القوم: اليوم والله نقاتل، ولفظُ البزَّار؛ فقال غلامٌ من الأَنصار يَوْمَ حُنَيْن لن نُغْلَبَ اليومَ من قِلة، لما هو إِلاَّ أَن لقينا عدوّنا فانهزم القومُ، وولُّوا مُدبِرين[1].

وروى محمد بن عمر عن ابن شهاب الزّهري، قال رجلٌ من أَصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ لو لقينا بني شيبان ما بالينا، ولا يغلبنا اليومَ أَحدٌ من قلَّة. قال ابن إِسحاق: حدثني بعضُ أَهل مكة: أَنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال حين فَصَل من مكَّةَ إِلى حُنيْن، ورأَى كثرةَ مَنْ معه مِنْ جنُودِ الله تعالى: «لن نُغْلَبَ اليَوْمَ مِنْ قلَّة»، كذا في هذه الرواية[2].

والصَّحيح أَنَّ قائِل ذلك غير النبي ـ ﷺ ـ كما سبق.

قال ابن إِسحاق: وزعم بعضُ الناس أَنَّ رجلاً من بني بكر قالها.

وروى محمد بن عمر عن سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ أَنَّ أَبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قال: يا رسول الله لن نُغْلَبَ اليومَ من قلة كذا في هذه الرّواية، وبذلك جزم ابنُ عبد البر.

قال ابنُ عقبة: ولـمَّا أَصبح القومُ ونظَرَ بعضُهم إِلى بعض، أَشرف أَبو سفيانَ، وآبنه معاوية، وصفوان ابن أُمية، وحكيم بن حِزَام عَلى تَلٍّ ينظرون لمن تكون الدائرة.

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٨١/٦ باب غزوة حنين.

(٢) المغازي للواقدي ٨٩٦/٣.

ذكر كيفية الوقعة وما كان من اول الأمر من فرار أكثر المسلمين عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم كانت العاقبة للمتقين، وما وقع في ذلك من الآيات

قال ابن سعد: أَشهد رسولُ الله ـ ﷺ ـ إلى حُنَيْن مساء لَيْلَةِ الثُّلاثاء لعشرِ ليالٍ خلَوْن من شوال.

روى ابنُ إسحاق، والإمام أَحمد وابن حبان عن جابر بن عبد الله، والإمام أَحمد من طريقين، وأَبو يَعْلَى. ومحمد بن عمر عن أَنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنهما ـ لَمَّا آستقبلْنا وَادِي حُنَيْن انحدرنا في وادٍ أَجوف خطُوط له مضايق وشعاب، وإنما ننحدرُ فيه انحداراً، وفي عَمَاية الصُّبْح، وقد كان القوم سبقونا إلى الوادي فمكثوا في شِعَابه وأَجْنَابه ومضايقه وتهيَّئُوا، فوالله ما راعنا ونحن مُنْحطُّونَ إلاَّ الكتائِب قد شدُّوا علينا شَدَّةَ رجلٍ واحد، وكانوا رماة.

قال أَنسٌ ـ رضي الله عنه ـ استقبلنا من هوازن شيء، لاَ والله ما رأَيتُ مثله في ذلك الزّمان قط، من كثرةِ السَّواد، قد ساقوا نساءهُم وأَبناءهم وأَموالهم ثم صفُّوا صفوفاً، فجعلوا النّساء فوق الإبل وراء صفوف الرجال، ثم جاؤُوا بالإبل والبقر والغنم، فجعلوها وراء ذلك لئلا يَفِرُّوا بزعمهم فلما رأَينا ذلك السَّواد حسبناه رجالاً كلهم، فلمَّا انحدرْنَا في الوادي، فَبَيْنَا نحنُ في غبشِ الصّبح إنْ شعرنا إلاَّ بالكتائِب قد خرجت علينا منْ مضيق الوادي وشعبه، فحملُوا حملةَ رجل واحد، فآنكشفتْ أَوائلُ الخيل ـ خيل بني سليم ـ مُوَلِّيه وتبعهم أَهل مكة وتبعهم النَّاسُ منهزمين مَا يَلْوُون على شيء وارتفع النقع فما منا أَحدٌ يُبصر كفَّه(١).

وقال جابر: وآنحاز رسولُ الله ـ ﷺ ـ ذات اليمين، ثم قال: «أَيُّهَا النَّاس هلم إليَّ أَيُّهَا النَّاس، هَلُمَّ إليَّ أَنَا رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ أَنَا مُحَمَّدُ بنُ عبد الله»(٢).

قال: فلا شيء وحملت الإبل بعضها على بعض، فآنطلق النَّاسُ.

وذكر كثيرٌ منْ أَهل المغازي: أَن المسلمين لما نزلوا وادي حُنَيْن تقدمهم كثير ممن لا خبرة لهم بالحرب، وغالبهم من شبّان أَهل مكة، فخرجت عليهم الكتائب من كل جهة، فحملوا حملة رجلٍ واحد والمسلمون غارون، فَرَّ مَن فَرَّ، وبلغ أَقصى هزيمتهم مكة، ثم كَرُّوا بَعْد.

وفي الصحيح عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قال: عجِل سرَعَانُ القَوْمِ ـ وفي

---

(١) آنظر مجمع الزوائد ٦/١٨١.

(٢) آنظر المجمع ٦/ ١٨٢ـ ١٨٣.

لفظة: شبان أَصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ليس عليهم سلاح أَو كثير سلاح، فإنَّا لَمَّا حملنا على المشركين انكشفوا، فاقبل الناس على الغنائم، وكانت هَوَازِنُ رُمَاةً فَآستقبلتنا بالسِهام كأَنما رِجْلُ جَرَاد، لا يكادُ يسقطُ لهم سَهْم(١) انتهى.

قال: وكان رجل على جملٍ له أَحمر، بيده رايةٌ سوداء على رمح طويل أَمام هَوَازِن، وهوازنُ خلفه، إِذا أَدْرَكَ طَعَنَ برمحه، وإِنْ فاته النَّاس، رفع رُمحه لمن وراءه فاتَّبعوه. فبينما هو كذلك إِذْ هَوَى له عليٌّ بن أَبي طالب، ورجلٌ من الأَنصار يُريدانه، فأَتاه عليّ بن أَبي طالب من خلفه فضربَ عرقوبي الجمل، فوقع على عَجُزِه، ووثَبَ الأَنصاريُّ على الرَّجُلِ فضربه ضربةً أَطَنَّ قَدَمَه بنصف ساقه، فآنجعفَ عنْ رحله، واجتلد الناسُ، فوالله مَا رَجَعتْ راجعةُ النَّاس من هزيمتهم حتى وجدوا الأَسرى مُكَتَّفِين عنْدَ رسول الله ـ ﷺ.

قال ابن إِسحاق: لما آنهزم النّاس ورأَى من كان مع رسول الله ـ ﷺ ـ من جُفَاةِ أَهل مكة الهزيمةَ تكلَّم منهم رجال بما في أَنفسهم من الضِّغْن. قال أَبو سفيان بن حرب وكان إِسلامه ـ بَعْدُ ـ مَدْخُولاً: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وإِنَّ الأَزلام لمعه في كنانته، وصرخ جَبَلَةُ بن الحَنْبَل ـ وقال ابن هشام: كَلَدَة بن الحنبل ـ وأَسلم بعد ذلك، وهو مع أَخيه لأُمه صفوان بن أُمَيَّة، وصفوانُ مشرك في المُدةِ الَّتي جعل له رسولُ الله ـ ﷺ ـ: أَلا بَطَل السِّحْرُ اليومَ!! فقال له صفوان: اسكتْ فضَّ الله فاكَ! والله أَن يَرُبَّنِي رجلٌ من قريش أَحبُّ إِليَّ من أَن يَرُبَّني رجُلٌ مِن هَوَازِن.

وروى محمد بن عمر عن أَبي بشير ـ ككريم ـ المازني ـ رضي الله عنهم ـ قال: لمّا كان يومُ حُنَيْن صلَّينا الصُّبحَ، ثمَّ رجعنا على تعبئةٍ من رسولِ الله ـ ﷺ ـ فما شعرنا ـ وقد كاد حاجِبُ الشَّمس أَن يطلع، وقد طلع ـ إِلا بمقدمتنا قد كرَّت علينا، قد آنهزموا، فآختلطتْ صُفُوفُنا، وآنهزمنا مع المقدِّمة، وأَكر، وأَنا يومئذٍ غُلامٌ شابٌّ، وقد علمت أَن رسولَ الله ـ ﷺ ـ متقدِّم فجعلتُ أَقول: يا للانصار، بأَبي وأُمِّي، عن رسولِ الله ـ ﷺ ـ تولُّون؟ وأَكرُّ في وُجُوه المنهزمين، ليس لي همَّة إِلاَّ النظر إِلى سَلاَمَة رسولِ الله ـ ﷺ ـ حتى صرت إِلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يصيح: «يَا للأَنْصَار» فَدَنَوْتُ من دابَّته، والتفتُّ من ورائها، وإِذَا الأَنصارُ قد كَرُّوا كَرَّة رجل واحد ورسولُ الله ـ ﷺ ـ واقفٌ على دابَّته في وُجُوه العدُوّ، ومضت الأَنصار أَمامَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ يُقاتلون، ورسولُ الله ـ ﷺ ـ سائرٌ معهم يفرِّجُون العدوَّ عنه، حتَّى طردناهم فرسخاً، وتفرّقوا في الشِّعاب، حتَّى فلُّوا من بين أَيدينا، فرجع رسولُ الله ـ ﷺ ـ إِلى منزله وقُبتِهِ، وقد ضُرِبَت له ـ والأَسرى مكُتَّفُون حوله، وإِذَا نفرٌ حولَ قبّته، وفي قبته زوجاته أُم

(١) اخرجه البخاري ٦٢٢/٧ (٤٣١٧).

سلمة وميمونة، حولها النَّفَرُ الَّذين يحرسُون رسولَ الله ـ ﷺ ـ وهم عباد بن بِشْر، وأَبو نَائِلَة، ومحمد بن مَسْلمة.

قال ابن عقبة: ومرَّ رجلٌ من قريش بصفوانَ بْن أُمَيَّة فقال: أَبشِرْ بهزيمةِ محمَّدٍ وأَصحابه، فوالله لا يجبرونها أَبداً. فقال صفوان: أَتُبَشِّرُنِي بظهور الأَعراب! فوالله لرَبٌّ من قريش أَحبّ إِليَّ من رَبٍّ من الأَعراب، وغضب صفوانُ لذلك، وبعث صفوان غلاماً له فقال: اسمع لمن الشِّعَارُ فجاءه فقال: سمعتهم يقولون: يا بني عبد الرحمن يا بني عُبيد اللّه، يا بني عبد اللّه، فقال: ظَهَر محمدٌ وكان ذلك شِعَارُهم في الحرب(١).

وروى محمّد بن عمر عن أَبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ قال: مضى سَرَعانُ النَّاس مِنَ المنهزمين، حتى دخلوا مكَّة، ساروا يوماً وليلة ـ يُخبرون أَهلَ مكَّة بهزيمة رسولِ الله ـ ﷺ ـ وعتَّاب بن أَسِيد بوزن أَمير، على مكَّة ومعه مُعَاذُ بن جَبَل، فجاءهم أَمرٌ غَمَّهم، وسُر بذلك قومٌ من أَهلِ مكَّة وأَظهروا الشَّمَاتة، وقال قائِل منهم: ترجع العرب إِلى دين آبائِها، وقد قُتِل محمد وتفرَّق أَصحابُه، فتكلم عَتَّابُ بن أَسِيد يومئذٍ فقال: إِنْ قُتِلَ محمد، فإِنَّ دينَ الله قائم ـ والَّذي يعبده محمد حيٌّ لا يموت، فما أَمسوا من ذلك اليوم حتَّى جاء الخبرُ أَن رسولَ الله ـ ﷺ ـ أَوْقَع بهَوَازن، فَسُرَّ عتَّابُ بنُ أَسِيد، ومُعَاذُ بن جَبَل، وكَبَتَ الله ـ تعالى ـ مَنْ هُنَاكَ مِمَّن كان يَسُرُّه خلافُ ذلك.

فرجع المنهزمون إِلى رسول الله ـ ﷺ ـ فلحقوه بأَوطاس وقد رحل منها إِلى الطائف(٢).

ذكر ارادة شيبة بن عثمان ـ قبل أن يسلم ـ الفتك برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما رآه في نفر قليل، وما وقع في ذلك من الآيات

روى ابنُ سعد وابن عساكر عن عبد الملك بن عبيد، وأَبو القاسم البغَوَيّ، والطَّبراني، والبيهقي، وأَبو نُعيم، وآبن عساكر عن عكرمة ـ رحمهم الله تعالى ـ قالا: قال شيبة: لَما كان عام الفتح دخل رسولُ الله ـ ﷺ ـ مَكَّة عَنْوَةً، وغزا حُنَيْناً، قلتُ أَسير مع قريش إِلى هَوَازِن، فعسى إِن آختلطوا أَن أُصِيبَ من محمد غِرَّة، وتذكَّرت أَبي وَقَتَلَهُ حمزةُ، وعمي وَقَتَلَهُ عليٌّ بن أَبي طالب، فقلتُ: اليومَ أُدرك ثَأْرِي من محمد، وأَكون أَنا الَّذي قمت بثأر قريش كلها، وأَقول: لو لم يَبْقَ من العرب والعجم أَحدٌ إِلا آتَّبع محمداً ما تَبِعْتُه أَبَداً، فكنت مرصداً لما خرجتُ له، لا

(١) المغازي للواقدي ٣/٩١٠.
(٢) آنظر المصدر السابق.

يزداد الأَمر في نفسي إِلاَّ قوَّة، فلَمَّا اختلطَ النَّاسُ، اقتحم رسولُ الله ـ ﷺ ـ عن بغلته، وأَصلتُ السَّيْفَ، ودَنَوْتُ منه، أُرِيدُ ما أُريد ـ وفي رواية فلما انهزم أَصحابه جئته من عن يمينه فإذا العبّاس قائم عليه درع بيضاء، فقلت: عمّه لن يخذله، فجئته من عن يساره، فإذا بأَبي سُفيان بن الحارث فقلت: ابن عمه لن يخذله، فجئته من خلفه، فلم يبْق إلا أَن أُسَوِّرَه سَوْرَةً بالسَّيف إذْ رُفعَ إِليَّ فيما بيني وبينه شُوَاظٌ من نار كأَنَّه بَرْقٌ. فخفت أَن يتمحشني فوضعتُ يدي على بصري، خوفاً عليه»، ومشيتُ القهقرى، وعلمت أَنَّه ممنوع. فالْتفَتَ إِليَّ وقال: «يا شَيْبُ أُدْنُ مِني» فدنوتُ منه، فوضع يده على صدْرِي وقال: «اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْه الشَّيْطَان». فرفعتُ إِليه رأْسي وهو أَحب إِليَّ من سَمْعِي وبصري وقلبي، ثم قال: «يَا شَيْبَةُ قَاتِلِ الكُفَّار» قال: فتقدَّمتُ بين يديه أُحِبُّ ـ والله ـ أَن أَقيه بنفسي كلَّ شيءٍ، فلما انهزمَت هوَازِنُ رَجَع إِلى منزله ودخلت عليه فقال: «الحَمْدُ لله الَّذِي أَرَادَ بك خَيْراً مِمَّا أَردت»(١) ثمَّ حدثني بِمَا هممت به ـ ﷺ.

ذكر ارادة النضير بن الحارث الفتك برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما وقع في ذلك من الآيات

قال محمد بن عمر: حدثنا إبراهيم بن محمد بن شُرَحْبيل العَبْدَرِي عن أَبيه قال: كان النضير من أَحلم قريش. وكان يقول: الحمدُ لله الذي أَكرمنا بالإسلام ومَنَّ علينا بمحمد ـ ﷺ ـ ولم نَمُت على ما مات عليه الآباء، فذكر حديثاً طويلاً، ثم قال: خرجتُ مع قومٍ من قريش، هم على دينهم ـ بَعْدُ ـ أَبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أُميَّة، وسُهَيل بن عمرو، ونحنُ نريد إِنْ كانت دَبْرَة على محمد أَن نُغِير عليه فيمن يُغير، فلما تراءت الفِئَتَان ونحن في حيز المشركين حمَلَت هوازِنُ حملةً واحدةً، ظَنَنَّا أَنَّ المسلمين لا يجبرونها أَبداً، ونحن معهم وأَنا أُريد بمحمد ما أُريد. وعمدتُ له فإذا هو في وُجُوه المشركين واقفٌ على بغلةٍ شهباء حولها رجالٌ بيضُ الوجوه، فأَقبلتُ عامداً إِليه، فصاحوا بي: إِليك، فأُرْعِبَ فُؤادي وأُرْعِدَت جوارحي. قلتُ: هذا مثل يوم بدر؛ إِنَّ الرَّجُلَ لعلى حَقٍّ، وإِنه لمعصوم، وأَدخل الله تعالى في قلبي الإِسلام وغيَّرَه عما كنتُ أَهم به، فما كان حلبَ ناقة حتى كَرَّ أَصحابُ رسول الله ـ ﷺ ـ كَرَّة صادقة، وتنادت الأَنصار بينها: الكَرة بعد الفَرَّة: يا للخزرج، يا للخزرج، فحطمونا حطاماً، فرقوا شملنا، وتشتت أَمرنا، وهمَّةُ كلِّ رجلٍ نفسه فتنحيت في غُبَّرات الناس حتى هبطتُ بعض أَودية أَوْطاس فكمنتُ في خَمَر شجرةٍ لا يَهْتَدِي إِليَّ أَحدٌ إِلاَّ أَن يدلَّه الله ـ تعالى ـ عليَّ، فمكثتُ فيه أَيَّاماً وما يُفارقني الرُّعْبُ مما رأَيتُ، ومضى رسولُ الله ـ ﷺ ـ إِلى الطَّائف، فأَقام ما أَقام، ثُمَّ رجع إِلى الجِعرَّانة، فقلتُ: لو صرتُ إِلى الجِعرانة، فقاربتُ رسولَ

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ١٨٨/٦، والمغازي للواقدي ٩١٠/٣.

الله - ﷺ - ودخلتُ فيما دخل فيه المسلمون، فما بقى فقد رأيتُ عِبراً، وقد ضربَ الإسلامُ بجرانه، ولم يبق أَحدٌ، ودانت العربُ والعجمُ لمحمَّدَ - ﷺ - فَعِزُّ محمَّدٍ لنا عِزٌّ، وشرفُه لنا شَرَفٌ، فوالله إنِّي لعلى ما أَنا عليه إن شعرت إلاَّ برسول الله - ﷺ - يلقاني بالجعرانة كنَّة لكِنَّة فقال: «النضير؟» قلت: «لبَّيك، فقال: «هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا أَرَدْتَ يَومَ حُنَيْنٍ مِمَّا حَالَ الله بينك وبينه» فأَقبلت إليه سريعاً، فقال: «قد آن لك أَن تُبصر ما أَنت فيه توضع قلت: قد أَرى أَن لو كان مع الله - تعالى - إلهاً غيره لقد أَغْنى شيئاً، وإني أَشهد أَن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأَنك رسولُ الله. قال رسولُ الله - ﷺ: «اللَّهُمَّ زِدْهُ ثَبَاتاً» قال النَّضير: فوالله الَّذي بعثه بالحقِّ لكأَنَّ قلبي حجر ثباتا في الدين وبصيرةً في الحق، وذكر الحديث[1].

ذكر ثبات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورميه الكفار، ونزوله عن بغلته، ودعائه ربه سبحانه وتعالى، وما وقع في ذلك من الآيات

روى ابنُ إسحاق، والإمام أَحمد عن جابر بن عبد اللّه، وابن إسحاق، وعبد الرزَّاق، ومسلم عن العباس عم رسول الله - ﷺ، قال العبَّاس: شهدتُ مع رسولِ الله - ﷺ: يومَ حُنَيْن، فلزمتُ أَنا وأَبو سُفيان بن الحارث رسولَ الله - ﷺ -فلم نفارقْه، ورسولُ الله - ﷺ - على بغلة له شَهْبَاء، قال عبدُ الرَّزَّاق: وربما قال معمر: بيضاء، أَهداها له فَرْوَةُ بن نُفَاثة الجذامي، قال فلما التقى المسلمون والكفار وَلَّى المسلمون مدبرين، فطفِق رسولُ الله - ﷺ - يركضُ بغلَته قِبَلَ الكُفَّار، وأَنا آخذٌ بلجام بغلة رسولِ الله - ﷺ، وفي رواية: أَكُفُّها أَن لاَ تُسرع، وهو لا يَأْلو ما أَسرع نَحْوَ المشركين، وأَبو سُفيان بن الحارث آخذٌ، بركاب رسولِ الله - ﷺ - وفي رواية بغرزه، وفي رواية بثغره، فالتفتَ رسولُ الله - ﷺ - إلى أَبي سُفيان بن الحارث وهو مُقنَّعٌ في الحديد، فقال: «مَنْ هَذَا» فقال: ابنُ عمك يا رسولَ الله، وفي حديث البراء: وأَبو سفيان ابن عمه يقود به، قال ابن عقبة - رحمه الله تعالى: وقام رسولُ الله - ﷺ - في الرِّكابين، وهو على البغلة، فرفع يديه إلى الله - تعالى - يدعو يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدَكَ مَا وَعَدْتَني.. اللَّهُمَّ لاَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَيْنَا» انتهى.

قال العباس: فقال رسولُ الله - ﷺ: «يا عبَّاس!! نَادِيا مَعْشَرَ الأَنْصَار، يا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ، يَا أَصْحَابَ سُورَةِ البَقَرَةِ»[2].

قال العبَّاس - وكنت رجلا صيِّتاً - فقلت بأَعلى صوتي: أَين الأَنصار، أَين أَصحاب

(١) أنظر المغازي للواقدي ٣/٩١١.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١٠/١٨٨ وانظر المجمع ٦/٨٢، ٨/٦١٩ والبيهقي في الدلائل ٥/٣١ وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٤١) والحميدي (٤٥٩) وابن سعد ٢/١/١١٢ واحمد ١/٢٠٧.

السَّمُرَة، أين أَصحاب سورة البقرة، قال: والله لكأنما عطفتهم حين سمعُوا صوتي عطفة البقر على أَولادها.

وفي حديثِ عُثمان بن شيبة عند أَبي القاسم البغوي، والبيهقي «يا عبّاس، اصرخ بالمهاجرين الَّذين بَايَعُوا تحت الشَّجرة، وَبِالأَنْصَارِ الَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا» قال: فما شبهت عطفة الأَنصار على رسول الله - ﷺ - إِلاَّ عطفة الإِبل على أَولادها. حتى تُرِك رسولُ الله - ﷺ - كأَنه في حَرَجة، فَلرمَاح الأَنصار كانت أَخوف عندي على رسولِ الله - ﷺ - من رِمَاح الكفَّار - انتهى. فقالوا: يا لَبَّيْك يا لبَّيْك يا لَبَّيْك. قال: فيذهبُ الرجل يُثْنِي بعيرَه ولا يقدرُ على ذلك؛ أَي لكثرة الأَعراب المنهزمين - كما ذكره أَبو عمر بن عبد البر - فيأْخذ دِرْعه فيقذفها في عنقه ويأْخذ سيفه وتُرْسَه ويقتحم عن بعيره، فيخلِّي سبيلَه، فيؤمّ الصوتَ حتَّى ينتهي إِلى رسولِ الله - ﷺ - حتَّى إِذا آجتمع منهم مائة، استقبلُوا النَّاسَ فاقتتلوهم والكُفَّار، والدَّعوةُ في الأَنصار يا معشَرَ الأَنصار، ثم قصرت الدَّعوةُ على بني الحارث بن الخزرج، وكانوا صُبَّراً عند الحرب، وأَشرف رسولُ الله - ﷺ - في رِكابيه، فنظر إِلى مُجْتَلَدِهم وهم يَجْتَلِدُون وهو على بغلته كالمُتَطاول عليها إِلى قتالهم، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «هَذَا حين حَمِيَ الوطيس، ثم أَخذ رسول الله - ﷺ - حصيات فَرَمَى بهنَّ وُجُوهَ الكفَّار، ثم قال: «انْهَزِمُوا ورَب مُحَمد» فذهبتُ أَنظرُ فإِذا القتالُ على هيئته فيما أَرى، فوالله ما هو إِلاَّ أَن رماهم بحصياته فما زلت أَرى حَدَّهم كَلِيلاً وأَمْرَهُم مُدبِراً، فوالله ما رَجَعَ النَّاسُ إِلا وأُسَارَى عند رسولِ الله - ﷺ - مُكَتَّفُون، قتل الله تعالى - منهم من قتل، وآنهزم منهم من آنهزم وأَفاء الله تعالى على رسوله أَموالهم ونساءهم وأَبناءهم(١).

وروى ابن سعد، وابن أَبي شيبة، والإِمام أَحمد، وأَبو داود، والبغوي في معجمة، والطبراني وابن مردويه، والبيهقي برجال ثقات عن أَبي عبد الرحمن بن يزيد الفِهْري - يقال اسمه كرز - رضي الله تعالى عنه - قال: كنت مع رسول الله - ﷺ - في حُنَيْن في يوم قائظ شديد الحرّ، فنزلنا تحت ظلال السَّمُر، فلمَّا زالت الشمس لبستُ لامتي، وركبت فرسي فأَتيتُ رسولَ الله - ﷺ - وهو في فُسطاطه، فقلتُ: السَّلام عليْكَ يا رسولَ الله ورحمته، الرواح قد حان، الرواحُ يا رسولَ الله، قال: «أَجَلْ» ثم قال رسولُ الله - ﷺ -: «يَا بلاَل» فثار من تحت سَمُرَة كأَنَّ ظِلَّه ظِلُّ طائر، فقال: لَبَّيْك وسَعْدَيْك، وأَنا فداؤك. قال: «أَسْرِجْ لِي فَرَسي» فأَتاه بسرجٍ دفَّتَاه مِن لِيف ليس فيهما أَشرٌ ولا بَطَر، فركب فَرَسَه، ثم سِرْنا يَوْمَنَا، فلقِينَا العَدُوَّ، وتشامت الخيلان، فقاتلناهم فوَلَّى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى، فجعل رسولُ

(١) اخرجه الطبراني في الكبير ٣٥٨/٧ وابن عساكر كما في التهذيب ٣٥١/٦.

الله - ﷺ - يقول: «يَا عِبَادَ الله. أَنَا عَبْدُ الله وَرَسُولُه، يَاأَيُّهَا النَّاس إِنِّي أَنَا عَبْدُ الله وَرَسُولُه» فاَقتحم رسولُ الله - ﷺ - عن فرسه، وحدَّثني مَنْ كان أَقربَ إِليه منِّي أَنَّه أَخذ حفنةً من تراب فَحثَاها في وُجُوهِ القوم، وقال: «شَاهَت الوُجُوه» قال يعلى بن عطاء: وأَخبرنا أَبناؤُهم عن آبائهم أَنَّهم قالوا: ما بقي منَّا أَحدٌ إِلاَّ آمتلأَتْ عيناهُ وَفَمُهُ من التُّراب، وسمعْنا صلصَلَةً من السَّماء كَمَرِّ الحديد على الطَّست، فهزمهم الله تعالى(١).

وروى أَبو يَعْلى والطبراني برجالٍ ثقاتٍ عن أَنس - رضي الله عنه - أَن رسولَ الله - ﷺ - أَخذ يومَ حُنَيْنٍ كَفًّا من حصًى أَبيض فَرَمَى به وقال: «هُزموا ورب الكعبة» وكان عليٌّ - رضي الله عنه - يومئذٍ أَشدّ الناسِ قِتالاً بين يديه(٢).

وروى أَبو نُعيم بسندٍ ضعيفٍ عن أَنس - رضي الله عنه - والطَّبراني عن عكرمة - رحمه الله تعالى - قالا: لما آنهزم المسلمون بِحُنَيْن ورسولُ الله - ﷺ - على بغلته الشهباء - وكان آسمها دُلْدُل - فقال لها رسولُ الله - ﷺ - «دُلْدُلُ البَدِي» فألزقت بطنها بالأَرض، فأَخذ حفنةً من تراب فرمى بها في وجوههم وقال: «حمٓ لاَ يُنْصَرُون» فآنهزمَ القوم، وما رَمَيْنَا بسهمٍ ولا طَعَنَّا برمح، كذا في هذه الرواية اسمها دُلْدُل، والصَّحيح أَنّ دُلْدُل أَهداها المُقَوْقِس فهي غير التي أَهداها فروةُ بنُ نفاثَة(٣).

وروى أَبو القاسم البغوي، والبيهقي، وأَبو نُعيم، وآبن عساكر عن شيبةَ بن عثمان - رضي الله عنه -: أَنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال يوم حُنَين: يَا عَبَّاس نَاوِلْنِي مِن الحصباء قال: وأَفْقَهَ الله - تعالى - البغْلَةَ كلامَه، فآنخفضت به حتَّى كادَ بَطْنُهَا يمسُّ الأَرض، فتناول رسولُ الله - ﷺ من البطحاء فحثا في وُجُوههم وقال: «شَاهَتِ الوُجُوه، هُمْ لاَ يُنْصَرُون»(٤).

وروى عَبْدُ بن حُميْد في مُسْنَده، والبخاريُّ في تاريخه، والبيهقيُّ وابنُ الجوزيّ عن يزيد بن عامر السُّوائي - رضي الله عنه - وكان شهد حُنَيْناً مع المشركين ثم أَسلم - قال: أَخذ رسولُ الله - ﷺ - يومَ حُنَيْن قبضةً من الأَرض، ثم أَقبل على المشركين فرمى بها في وُجُوهِهِم وقال: «ارْجِعُوا، شَاهَتِ الوُجُوه» قال: فما من أَحَدٍ يَلْقَى أَخاه إِلاَّ وهو يشكُو القَذَى في عينيه ويمسح عينيه(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٣٣) وأحمد ١/٢٥٥، ٨٤، ٣/٤٣٨، ٥/٢٨٦، ٣٧٢، ٣٨٨١ وانظر الدر المنثور ٥/٢٠٥.

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٦/١٨٠، ١٨٢ والمتقي الهندي في الكنز (٣٠٢١١، ٣٠٢٢١).

(٣) انظر المجمع ٦/١٨٣.

(٤) أخرجه ابن عساكر كما في التهذيب ٦/٣٥١ والطبراني في الكبير ٧/٣٥٩، والمجمع ٦/١٨٤ وأبو نعيم في الدلائل ١/٦١ والبيهقي في الدلائل ٥/١٤١.

(٥) البخاري في التاريخ ٨/٣١٦ والطبري في التفسير ١٠/٧٣ وآبن حجر في المطالب (٤٣٧٢)، والمجمع ٦/١٨٢ والسيوطي في الدر ٣/٢٢٦.

وروى الإمام أحمد، والطَّبراني، والحاكم، وأبو نُعَيْم، والبيهقيُّ برجال ثقات عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: كنتُ مع رسولِ الله - ﷺ - يومَ حُنَيْن، فولَّى النَّاسُ عنه، وبقيتُ معه في ثمانين رَجُلاً من المهاجرين والأنصار، فقمنا على أقدامنا ولم نولِّهم الدُّبر، وهم الذين أنزل الله - تعالى - عليهم السَّكينة، ورسولُ الله - ﷺ - على بغلته لَمْ يمض قُدُماً، فحادت به بغلتُه فمال عن السَّرْج، فقلت له ارْتفع رَفعك الله. فقال: «نَاوِلْنِي كَفاً مِن تُرَاب» فناولته، فضرب وُجُوهَهُم فآمتلأَت أَعينهم تُراباً، ثم قال: «أين المهاجرُون والأنصار؟» قلت: هم أُولاء، قال: «اهْتِفْ بِهِمْ» فهتفت بهم، فجاؤُوا وسيوفهم بأَيْمَانهم كأَنها الشُّهُب، وولَّى المشركون أَدبارهم(١)

وروى ابن أَبي شيبة والإِمام أَحمد، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي عن أَنس - رضي الله عنه - قال: جاءت هوازنُ يومَ حُنَيْن بالنِّساء والصِّبْيَان والإِبل والغَنَم فجعلُوهم صُفُوفاً؛ ليكثرُوا على رسول الله - ﷺ - فآلتقى المسلمون والمشركون، فولَّى المسلمون مُدْبِرين - كما قال الله تعالى - وبقي رَسولُ الله - ﷺ - وَحْدَه فقال رسولُ الله - ﷺ -: «يَا عِبَادَ الله أَنَا عَبْدُ الله وَرَسُولُه» ونادى رسولُ الله - ﷺ - نِداءين لم يخلط بينهما كلاماً، فالتفَتَ عن يمينه فقال: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار أَنا عَبْدُ الله وَرَسُولُه» فقالوا: «لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، نَحْنُ مَعَكَ» ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الأَنصار أَنا عبد الله ورسوله، فقالوا: لبيْك يا رسول الله نحن معك فهزم الله تعالى المشركين، ولـم يضربْ بسيف، ولم يطعن برمح(٢).

وروى ابن سعد وابن أَبي شيبة، والبخاري، وابن مردويه، والبيهقي من طُرُق عن أَبي إِسحاق السَّبَيْعي - رحمه الله تعالى - قال: جاء رجلٌ من قيس إِلى البراء بن عَازِب - رضي الله عنهما - فقال: أَكُنْتُم وَلَّيْتُم؟ وفي رواية: أَوَلَّيْتَ؟ وفي أُخرى: أوليتم مع رسول الله - ﷺ؟ وفي أُخرى: أَفَرَرْتُم يوم حُنَيْن يا أَبا عمارة؟ فقال: أَشهدُ على رسولِ الله - ﷺ - أَنَّه ما وَلَّى، وفي رواية: لاَ والله ما وَلَّى رسولُ الله - ﷺ - يومَ حُنَيْن دبُرَه، ولكنه خرج بشُبَّان أَصْحَابِهِ وهم حسَّر ليس عليهم سِلاَح أَو كثير سلاح، فلقوا قَوْماً رُمَاة لا يكاد يسقُطُ لهم سهم فلما لقيناهم وحَمَلْنَا عليهم آنهزموا، فأَقبلَ النَّاسُ على الغنائم، فآستقبلونا بالسِهام كأَنها رِجْلُ جَرَاد لا يكادون يخْطئُون، وأَقبلُوا هناك إِلى رسول الله - ﷺ - ورسول الله - ﷺ - على بغْلَته البَيْضَاء، وأَبو سُفيان بن الحارث يقودُ به، فنزلَ رسول الله - ﷺ - ودعا وآستنفر، وقال - ﷺ -: «أَنَا

---

(١) أخرجه أحمد ٤٥٣/١ والطبراني في الكبير ٢٠٩/١٠ وانظر المجمع ٨٤/٦، ١٨٣ والحاكم ١١٧/٢.

(٢) أخرجه أحمد ١٩٠/٣، ٢٧٩، ٢٨٦/٥، وابن سعد ١١٣/١/٢ وابن أبي شيبة ٥٣١،٥٣٠/١٤ والبيهقي في الدلائل ١٤١/٥ وفي السنن ٣٠٦/٦ والدولابي في الكنز ٤٢/١ وانظر الدر المنثور ٢٢٤/٣.

النَّبِيُّ لاَ كَذِب، أَنَا ابْن عَبْد المُطَّلِب، اللَّهُمَّ أَنْزِل نَصْرَك»[١].

قال البراء: وكنا إِذا أحمَرَّ البَأْس نَتَّقِي برسولِ الله - ﷺ - وإِن الشجاعَ منا الذي يُحَاذيه: يعني النَّبيَّ - ﷺ.

وروى البخاري، ومسلم، والبيهقي عن سلمة بن الأَكوع - رضي الله عنه - قال: غزونا مع رسولِ الله - ﷺ - حُنَيْناً. فلما واجهنا العدوّ تقدمتُ فأَعلو ثنيّة فآستقبلني رجلٌ من المشركين فأَرميه، بسهم، وتوارى عنّي فما دريتُ ما صنع، ثم نظرتُ إِلى القوم فإِذا هم طلعوا من ثنيّة أُخرى، فألتقوا هُمْ وأَصحابُ رسولِ الله - ﷺ - فولّى أَصحابُ رسولِ الله - ﷺ - فأَرجع منهزما. وَعَليَّ بُرْدَتان مؤتزرا بِإحداهما مرتديا بالأُخرى، فاستَطْلِقُ إِزاري، فجمعتهما جميعاً، ومررتُ برسولِ الله - ﷺ - وأَنا منهزم - وهو على بغلته الشهباء، فقالَ رسولُ الله - ﷺ -: «لَقَدْ رَآي ابنُ الأَكْوع فزعا» فلما غشوا رسولَ الله - ﷺ - نَزَل عن بغلته ثم قبض قبضةً من تُرَاب من الأَرض، ثم إِنه آستقبل به وجوهَهُم، وقال: شَاهَتِ الوُجُوه» فما خلَّى الله تعالى منهم إِنساناً إِلاَّ ملأَ عينيه تُرَاباً من تلك القبضة، فوَلُّوا مُدْبِرين. وقَسَّم رسولُ الله - ﷺ - غَنائمهم بين المسلمين[٢].

وروى أَبو الشَّيخ عن عِكْرِمَة - رحمه الله تعالى - قال: لَمَّا كان يوم حُنَيْن وَلَّى المسلمونَ، وثبتَ رسولُ الله - ﷺ - فقال: «أَنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله» ثلاث مرات، وإِلى جنبه عمُّه العبّاس - الحديث[٣].

وروى ابن سعد، والبخاريُّ في التاريخ، والحاكم، والبيهقي عن عياض بن الحارث - رضي الله عنه - قال: أَخذ رسولُ الله - ﷺ - كَفّاً من حَصْباء فرمى بها وُجُوهَنَا فانهزمنا[٤].

وروى البخاري في التاريخ، والبيهقي في الدلائل عن عمرو بن سفيان - رضي الله عنه - قال: قَبَضَ رسولُ الله - ﷺ - يَوْمَ حُنَيْنٍ قبضةً من الحصباء فرمى بها وُجُوهَنَا فانهزمنا، فما خُيِّلَ إِلينا إِلا أَنَّ كُلَّ حجر وشَجَرٍ فارسٌ يطلبنا. وروى ابن عساكر عن الحارث بن زَيْد مثله[٥].

وروى آبنُ أَبي شيبة، والإِمام أَحمد - برجالِ الصَّحيح - عن أَنس بنِ مالك - رضي الله

(١) أخرجه البخاري ٦٢٢/٧ (٤٣١٧)، ومسلم ١٤٠٠/٣ (٧٨) والبيهقي في الدلائل ١٣٤/٥.
(٢) أخرجه مسلم ١٤٠٢/٣ (٨١)، والبيهقي في الدلائل ١٤٠/٥، ١٤١، وانظر الدر المنثور ٢٢١/٣.
(٣) آنظر الدر المنثور للسيوطي ٢٢٥/٣.
(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل ١٤٢/٥.
(٥) المصدر السابق ١٤٣/٥٠ وابن كثير في البداية ٣٣٢/٤.

عنه ـ قال: كان من دُعاء النَّبيّ ـ ﷺ ـ يوم حُنَيْن: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَشَاء لا تُعْبَد بَعْدَ اليَوْم»(١).

وذكر محمد بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كان من دعاء رَسولِ الله ـ ﷺ ـ حين آنكشفَ عنه النَّاسُ ولم يبقَ معه إلاَّ المائة الصَّابرة «اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ، وَإِلَيْكَ المُشْتَكى، وَأَنْتَ المُسْتعَان» فقال له جبريل: «لَقَدْ لَقِنْتَ الكَلِمَاتِ الَّتي لقَّنَ الله ـ تَعَالَى ـ مُوسَى يَوْمَ فَلْقِ البَحْر، وَكَانَ البَحْرُ أَمَامَه وَفِرْعَونُ خَلْفَه»(٢).

ذكر ما قيل إن الملائكة قاتلت يوم حنين والرعب الذي حصل للمشركين

روى ابن أَبي حاتم عن السُّدى الكبير ـ رحمه الله تعالى ـ في قول الله عزَّ وجلّ: ﴿وأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾ قال: هم الملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة ٢٦] قال: قتلهم بالسيف. وروى أيضاً عن سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ قال: في يَوْمِ حُنَيْن أَمَدَّ الله ـ تعالى ـ رسولَهُ ـ ﷺ ـ بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوِّمِين، ويومئذ سمَّى الله تعالى الأَنصار مؤمنين قال: «ثُم أَنْزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِين»(٣).

وروى آبنُ إِسحاق، وابنُ المنذر، وابنُ مردويه، وأَبو نُعَيْم، والبيهقي عن جُبَيْر ابن مُطْعِم ـ رضي الله عنه ـ قال: رأَيتُ قبلَ هَزِيمة القوم ـ والناسُ يقتتلون ـ مثل البِجَاد الأَسود أَقبل من السَّماء حتَّى سقط بين القوم، فنظرتُ فإِذا نملٌ أَسود مبثوث قد ملأَ الوادي، لم أَشُكُّ أَنها الملائكة، ولم يكن إلا هزيمة القوم.

وروى محمد بن عمر عن يحيي بن عبد اللّه بن عبد الرحمن عن شيوخ من قومه من الأَنصار، قالوا: رأَيْنَا يومئذٍ كالبُجُد السُّود هوَتْ مِن السماء رُكَاماً، فنظرنا فإِذا رملٌ مبثوت، فكنا ننفضه عَنْ ثيابنا، فكان نصرُ الله ـ تعالى ـ أَيَّدَنَا به.

وروى مُسَدَّد في مسنده، والبيهقي. وابنُ عساكر عن عبد الرحمن مولى أُم بُرْثُن قال: حدثني رجل كان من المشركين يوم حُنَين قال: لَمَّا التقينا نحن وأَصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ لم يقوموا لنا حَلْبَ شاة أَن كببناهم، فبينما نحن نسوقهم في أَدبارهم إِذ آلتقينا بصاحب البغلة ـ وفي رواية ـ إِذ غَشِيتَا، فإِذا هو رسول الله ـ ﷺ ـ فَتَلَقَّتْنَا عنده، وفي رواية: إذا بيننا وبينه رجالٌ بيضٌ حِسَانُ الوجوه قالوا لنا: شَاهَت الوجُوه، ارجعوا، فرجعنا ـ وكانت إِيّاها(٤).

---

(١) أخرجه أحمد ١٥٢/٣ وابن ابي شيبة ٣٥١/١٠، ٥٢٢/١٤ وابن سعد ٥٢/١/٢، وهو عند مسلم ١٣٦٣/٣ (٢٣/ ١٧٤٣).

(٢) الطبراني في الصغير ١٢٢/١ وانظر المجمع ١٨٣/١٠، والترغيب والترهيب ٦١٨/٢.

(٣) آنظر الدر المنثور ٢٢٥/٣.

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل ١٤٣/٥ وابن كثير في التاريخ ٣٣٢/٤.

وروى ابن مردويه، والبيهقي، وابن عساكر عن مُصْعَب بن شيبة بن عثمان الحَجَبِيُّ عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجتُ مع رسولِ الله ـ ﷺ ـ يومَ حُنَيْن، والله ما خرجتُ إسلاماً، ولكن خرجتُ أَنفاً أَن تظهر هَوَازِنُ على قُريش، فإني لواقفٌ مع رسولِ الله ـ ﷺ ـ إذ قلتُ: يا رسولَ الله إني لأرى خَيْلاً بُلْقاً، قال: «يَا شَيْبَةُ إِنَّه لاَ يَرَاهَا إِلاَّ كَافِر» فضرب بيده في صدري وقال: «اللَّهُمَّ اهْدِ شَيْبَة» فعل ذلك ثلاث مرات ـ فوالله ما رفع رسولُ الله ـ ﷺ ـ الثالثةَ حتى ما كان أَحَدٌ مِن خلق الله تعالى أَحَبّ إِليَّ منه، فالتقى المسلمون فَقُتِلَ مَن قُتِل، ثم أَقبل رسولُ الله ـ ﷺ ـ وعمرُ آخذ باللِّجام، والعبَّاسُ آخذٌ بالثَّغر، فنادى العباسُ: أينَ المهاجرون، أَين أَصحاب سورَةِ البَقَرة ـ بصوت عالٍ ـ هذا رسولُ الله ـ ﷺ ـ فأَقبلَ المسلمونَ والنبيُّ ـ ﷺ ـ يقول: «أَنَا النَّبيُّ لاَ كَذِب، أَنَا ابنُ عَبْدِ المُطَّلب» فجالدوهم بالسيُوف، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الآن حَمِيَ الوَطِيس».

وروى عبدُ بنُ حُمَيْد، والبيهقي عن يزيد بن عامر السُّوَائي ـ رضي الله عنه ـ وكان حضر يومئذ، فسئل عن الرعب فكان يأخذ الحَصَاةَ فيرمي بها في الطَّشت فَيطِنُّ فيقول: أَنْ كُنَّا نجدُ في أجوافنا مثلَ هذا.

روى محمد بن عمر عن مالك بن أَوس بن الحدثان قال: حدثني عِدَّة من قومي شهدوا ذلك اليوم يقولون: «لقد رَمَى رسولُ الله ـ ﷺ ـ تلك الرَّمية من الحصى فما مِنَّا أَحدٌ إلاَّ يَشْكو القذى في عينيه، ولقد كنا نجدُ في صدورنا خفقانا كوقع الحصى في الطاس ما يهدأَ ذلك الخفقان، ولقد رأَينا يومئذٍ رجالاً بيضاً، على خيل بُلْق، عليهم عمائم حُمْر، قد أَرْخوْهَا بين أَكتافهم، بين السَّماء والأَرض كتائب كتائب ما يَلِيقون شيئا، ولا نستطيع أَن نتأَملهم من الرُّعب منهم.

وروى أَيضاً عن ربيعةَ بن أَبزي قال: حدَّثني نَفَرٌ مِنْ قومي، حضروا يومئذ قالوا: كمنَّا لهم في المضايق والشِعاب، ثمَّ حملْنا عليهم حملة، رَكِبْنَا أَكْتَافَهم حتَّى آنتهينا إلى صاحِب بغلةٍ شهباء، وحوله رجالٌ بيضٌ حِسَانُ الوُجُوه، فقالوا لنا: شَاهَتِ الوُجُوه ارْجِعُوا. فآنهزمنا، وركب المسلمونَ أَكتافَنَا، وكانت إيَّاها، وجعلنا نلتفت وإنا لننظر إليهم يكدُّوننا فتفرَّقت جماعَتُنَا في كلِّ وجه، وجعلت الرِّعدة تَسْتَخِفُّنا حتى لحقنا بِعَلْيَاء بلادنا، فإن كنا ليُحْكى عنا الكلامُ ما ندْري به، لِمَا كانَ بنَا من الرُّعْبِ، وقَذَفَ الله ـ تعالى ـ الإسلام في قُلُوبنا.

وروى أَيضاً عن شيوخ من ثقيف أَسلموا بعد ما كانوا حضروا ذلك اليوم قالوا: ما زال رسولُ الله ـ ﷺ ـ في طلبنا ـ فيما نرى ـ ونحن مولُّون حتَّى إنَّ الرَّجُل ليدخل منَّا حصنَ الطائف وإنه لَيَظُنُّ أَنه على أَثره من رُعب الهزيمة.

ذكر من ثبت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم حنين

روى البيهقيُّ عن حارثة بن النعمان ـ رضي الله عنه ـ قال: لقد حزرت مَنْ بقي مع رسول الله ـ ﷺ ـ حين أَدبرَ الناسُ، فقلتُ: مائة واحد.

وروى ابن مردويه عن ابْنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: لقد رأَينا يوم بَدْر وإِن الفئتين لموليتان، وما مع رسولِ الله ـ ﷺ ـ مائة رجل.

وروى الإِمام أَحمد، والحاكم، والطَّبراني، والبيهقي، وأَبو نُعيم، برجالٍ ثقاتٍ عن ابن مسعودٍ قال: كنَّا مع رسولِ الله ـ ﷺ ـ يومَ حُنَيْن فوَلَّى النَّاسُ وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأَنصار، فنكصْنَا على أَعقابنا نحواً من ثمانين قدما، ولم نولِّهم الدُّبُر إِلى آخره، وتقدم.

قال محمد بن عمر يقال: إِنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ لَمَّا انكشفَ النَّاسُ عنه يومَ حُنَيْن ـ قال لحارثة «يَا حَارِثَة، كَمْ تَرَى النَّاسَ الَّذِيْنَ ثَبَتُوا» قال: فما التفتُّ ورائي تحرُّجاً، فنظرتُ عن يميني وعن شمالي، فحزرتهم مائة، فقلتُ: يا رسولَ الله!! هم مائة فما علمت أَنهم مائة حتَّى كان يومٌ مررتُ على النَّبي ـ ﷺ ـ وهو يُناجي جبريل عند باب المسجد، فقال جبريل: «يا محمد مَنْ هَذَا؟» قالَ رسُولُ الله ـ ﷺ ـ «حَارِثَةُ بنُ النُّعْمَان» فقال جبريل: هو أَحد المائة الصَّابرة يوم حُنَيْن، لو سَلَّم لَرَدَدْتُ عليه، فأَخبر رسولُ الله ـ ﷺ ـ حارثَة، قال: «ما كنتُ أَظنه إِلاَّ دِحْيَة الكَلْبي واقفاً مَعَك».

وروى ابن أَبي شيبة عن الحكم بن عُتَيْبَةَ ـ بلفظ تصغير عُتَبَة الباب ـ رحمه الله تعالى ـ قال: لمَّا فَرَّ النَّاسُ يوم حُنَيْن عن النَّبيِّ ـ ﷺ ـ جعل يقول:

«أَنــا الــنَّــبــيُّ لا كَــذِب   أَنـا ابـنُ عـبـد الـمـطَّـلـب»

فلم يَبْقَ معه إِلا أَربعة، ثلاثةٌ مِنْ بني هاشم، ورجُلٌ من غيرهم؛ عليٌّ بن أَبي طالب، والعبَّاس وهما بين يديه، وأَبُو سُفيان بن الحارث آخذٌ بالعنان، وابن مسعود من جانبه الأَيسر، قال: فليس يُقْبِلُ أَحدٌ إِلاَّ قُتِلَ، والمشركون حَوْلهُ صَرْعَى، فمن أَهل بيته عَمُّه العبَّاسُ، وأَبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب، وأَخوه ربيعة أَبناء عمِّ رسول الله ـ ﷺ ـ والفضلُ بنُ العبَّاس، وعلي بن أَبي طالب، وجعفر بن أَبي سفيان بن الحارثُ وقُثَم بن العبَّاس ـ قال في الزهر: وفيه نظر؛ لأَن المؤرِّخين قاطبةً فيما أَعلم عَدُّوه فيمن تُوُفِيَّ رسُولُ الله ـ ﷺ ـ وهو صغيرٌ، فكيف شهد حنيناً!! وعُتْبَة ومُعَتِّب ابنا أَبي لهب، وعبد اللّه بنِ الزُّبَير بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث، وعَقيل بن أَبي طالب، وأُسامة بن زيد، وأَخوه لأُمه أَيمن بن أُم أَيمن، وقُتِلَ يومئذٍ، ومن المهاجرين: أَبو بكرٍ ـ رضي الله عنه ـ وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ

وعثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ روى البَزّارُ عن أَنس ـ رضي الله عنه ـ: أَن أَبا بكرٍ وعمر وعثمان وعلياً ـ رضي الله تعالى عنهم ـ ضرب كل منهم يومئذ بضعة عشر ضربة ـ وابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ومن الأنصار: أَبو دُجَانة، وحارثة بن النعمان ـ قد ذكر في ذلك عند محمد بن عمر ـ وسعد بن عبادة، وأَبو بشير ـ كما في حديثه عند محمد بن عمر ـ وأَسَيْد بن الحُضَيْر، ومن أَهل مكَّة: شيبة بن عثمان الحَجَبِيّ ـ كما تقدَّم ـ ومن نساء الأَنصار: أُم سُلَيْم بنت مِلْحَان أُم أَنس بن مالك، وأُم عمارة نَسِيبَة بنت كعب، وأُم الحارث جَدَّة عمارة بن غَزِيَّة ـ بفتح العين، وكسر الزَّاي المعجمتين ـ وأُمّ سليط بنت عبيد ـ قال محمد بن عمر: يقالُ إِنَّ المائة الصَّابرة يومئذ ثلاثةٌ وثلاثون من المهاجرين وستَّةٌ وستُّون من الأَنصار.

ذكر ثبات ام سليم بنت ملحان، وام عمارة

نَسِيبَة ـ بفتح النُّون، وكسر السِّين المهملة، وسكون التَّحتية، وبالموحَّدة: بنت كعب ـ رضي الله تعالى عنها. قال ابن إِسحاق: حدَّثني عبد اللّه بن أَبي بكر: أَنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ رأَى أُمَّ سُلَيْم بنت مِلْحَان، وكانتْ مع زوجها أَبي طلحة، وهي حامل بعبد اللّه بن أَبي طلحة، وقد خشيتْ أَن يَعُزَّ بها الجَمَل، فأَدْنَت رأْسه منها، وأَدخلتْ يَدَها في خِزَامِهِ[1] مع الخطام، فقالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «أُم سُلَيْم»؟ قالَت: نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي يَا رَسُولَ الله، أُقْتُلِ المنهزمين عنك كما تقْتُل الَّذين يُقَاتِلُونَكَ؛ فإِنهم لِذَلك أَهْلٌ» فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «أَوَيَكْفِي الله يَا أُم سُلَيْم».

وعند محمد بن عمر: «قَدْ كفى الله تَعَالى عَافِيَة الله تَعَالَى أَوْسَع».

وروى ابن أَبي شيبة، والإِمام أَحمد، ومسلم عن أَنسٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: اتخذتْ أُمُّ سُليم خِنْجَراً أَيامَ حُنَيْن، فكان معها، فلقي أَبو طلحة أُم سُلَيم ومعها الخِنْجَر، فقال أَبو طلحة: ما هذا؟ قالت: إِنْ دَنا منِّي بعضُ المشركين أَبْعَجُ به بطنه، فقال أَبو طلحة: أَما تسمعُ يا رسولَ الله ما تقُول أُم سليم؟ فَضَحكَ رسولُ الله ـ ﷺ فقالت: يا رسولَ الله أُقتل مَن يعدونا من الطُّلقاء، انهزموا عنك فقال: «إِنَّ الله تَعَالَى قَدْ كَفَى وَأَحْسَن يَا أُم سُلَيم»[2].

وروى محمد بن عمر عن عمارة بن غَزِيَّة قال: قالت أُم عمارة: لَمَّا كان يوم حُنَيْن والناسُ مُنْهَزِمُون في كل وَجْه، وكُنَّا أَربع نسوة، وفي يدي سيف لي صارم، وأُم سُلَيم معها خِنْجَر قد حزمته على وسطها، وإِنَّها يومئذ حامل بعبد اللّه بن أَبي طلحة، وأُم سليط، وأُم الحارث.

---

(١) الخزام بكسر الخاء المعجمة حلقة تصنع من شعر وتجعل في أنف البعير، انظر اللسان (خزم).

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد (١٣٤)، وابن أبي شيبة ١٤/٥٣٢ وأحمد ٣/٢٧٩، والبيهقي في السنن ٦/٣٠٧. المغازي ٣/٩٠٤.

قال شيوخُ محمد بن عمر: فجعلتْ أُمّ عمارة تصيح يا للأنصار: أية عادة هذه. مالكم والفرار؟! قالت: وأَنظر إِلى رجلٍ من هَوَازِن على جمل أَوْرَق معه لواء يوضِع جمله في أثر المسلمين، فأَعْترِضُ له فأَضْرِبُ عرقوبَ الجمل. فيقع على عجزه وأَشد عليه، ولم أَزل أَضربه حتَّى أَثْبَتُّه، وأَخذت سيفاً له. ورسولُ الله - ﷺ - قائمٌ، مُصْلِتٌ السيْفَ بيده، قد طرح غِمدَه يُنادي: «يَا أَصْحَابَ سُورَةِ البَقَرة» فكرّ الأَنصار، ووقفتْ هوازِنُ قَدْر حَلْبِ ناقة فَتُوح، ثم كانت إِيَّاها، فَوَالله ما رأَيتُ هزيمةً قط كانت مثلها، قد ذهبُوا في كلِّ وَجْه، فرجع إِليَّ أَبنائي جميعاً: حُبَيْبُ وعَبْد اللّه أبناء زيد بأَسارى مُكَتَّفِين، فأَقوم إِليه من الغيظ فأَضرب عنق واحد منهم، وجعل الناسُ يأْتون بالأَسارى فرأَيت في بني مازن ابني النجار ثلاثين أَسيرا، وكان المسلمون بلغ أَقصى هزيمتهم مكة، ثم كَرُّوا بعدُ وتراجعوا، فَأَسْهَم لهم رسولُ الله - ﷺ - جميعاً، وكانت أُم الحارث الأَنصارية آخذةٌ بخطام جمل الحارث زوجها، وكان يسمى المِجْسَار فقالت: يا حارِ أَتترك رسولَ الله - ﷺ - والنَّاسُ يولُّون مُنهزمين؟! وهي لا تُفَارقه، قالت: فمر عليَّ عمر بن الخطاب فقلتُ: يا عمر ما هذا؟ قال: أَمر الله تعالى(١).

ذكر انهزام المشركين

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - لما نادى رسولُ الله - ﷺ - الأَنصار كرُّوا راجعين فجعلوا يقولون: يا بني عبد الرحمن، يا بني عبد اللّه، يا بني عبيد اللّه، يا خيل الله. وكان رسولُ الله - ﷺ - قد سَمَّى خَيلَه خيْلَ الله، وجعل شعارَ المهاجرين: بني عبد الرحمن، وجعل شعار الأَوس: بني عبيد اللّه، وشعار الخزرج: بني عبد اللّه.

روى محمد بن عمر عن محمد بن عبد اللّه بن أَبي صعصعة: أَن سعْدَ بنَ عبادة جعل يصيح يومئذ: يَا لَلْخَزْرَج ثلاثاً، وأُسيْدَ بن الحُضير يصيح: يَا للأَوْس - ثلاثاً فثابُوا من كلِّ ناحيةٍ كأَنهم النحل تأْوى إِلى يعسوبها، قال أَهل المغازي فحنق المسلمون على المشركين فقتلوهم حتَّى أَسرع القتلُ في ذراري المشركين. فبلغ ذلك رسولَ الله - ﷺ - فقال: «ما بال أَقوام بلغ بهم القتل حتى بلغ الذريّة! أَلا لا تقتل الذرية، أَلا لا تقتل الذرية» ثلاثا(٢) - فقال أُسَيْدُ بنُ الحُضَير: يا رسولَ الله، أَليس إِنَّما هُم أَولادُ المشركين؟ فقال رسولُ الله - ﷺ -: «أَلَيْسَ خِيَارُكُمْ أَوْلاَدُ المُشْرِكِين! كُلُّ نَسَمَةٍ تُولَدُ عَلَى الفِطْرَة حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهَا لِسَانُها، فَأَبَوَاهَا يَهَوِّدَانِهَا أَوْ يُنَصِّرَانِهَا».

قال محمد بن عمر: قال شيوخ ثقيف، مازالَ رسولُ الله - ﷺ - في طلبنا، فيما نرى

---

(١) المغازي ٣/٩٠٤.
(٢) المغازي ٣/٩٠٥.

- ونحن مولُّون حتى إِنَّ الرَّجلَ منَّا ليدخلُ حِصْنَ الطَّائِفِ وإنه ليظن أنَّه على أَثره؛ من رُعْبِ الهزيمة.

قال أَنسُ بنُ مالك كما رواه الإمام أَحمد: كان في المشركين رجلٌ يحمل علينا فيدقنا ويحطمُنَا فلمَّا رأى ذلك رسولُ الله - ﷺ - نزل، فهزمهم الله - تعالى - فولُّوا، فقام رسولُ الله - ﷺ - حين رأَى الفتح؛ فجعل يُجَاء بهم أُسَارى رجلٌ رجلٌ، فيُبَايِعُونَه على الإِسلام، فقال رجلٌ من أَصحابِ رسولِ الله - ﷺ - إنَّ عليَّ نذراً لئن جيء بالرَّجل الذي كان منذ اليوم يحطمنا لأضربَنَّ عُنُقَه فسكت رسولُ الله - ﷺ - وجيء بالرجل فلما رأَى رسولَ الله - ﷺ - قال: يا نَبِيَّ الله تُبتُ إِلى الله، فأَمسك رسولُ الله - ﷺ - عن مبايعته ليوفي الآخذُ بنذره، وجعل ينظرُ إِلى رسولِ الله - ﷺ - ليأمره بقتله، وهابَ رسولَ الله - ﷺ - فلما رأَى رسولُ الله - ﷺ الرَّجُلَ لا يصنعُ شيئاً بايعه، فقالَ: يَا رسولَ الله نَذْرِي؟ قال: «لَمْ أَمسِكْ عَنْهُ إِلاَّ لِتُوفي بِنَذْرِك» فقال: يا رسولَ الله أَلا أَومأْتَ إِليّ فقال رسول الله - ﷺ -: إِنه لَيْسَ لِنبي أَن يُومِئ.

قالوا: وهزم الله تعالى أَعداءه منْ كلِّ ناحية، وآتبعهم المسلمون يقتُلُونَهم، وغنَّمَهم الله - تعالى - نساءهم وَذَرَارِيهم وأَموالهم، وفرَّ مالكُ بنُ عوفٍ حتَّى بَلَغَ حِصْن الطَّائف. هو وأُناس من أَشراف قومه، وأَسلم عند ذلك ناسٌ كثير من أَهل مكَّة حين رأَوا نصرَ الله - تعالى - رسولَه وإِعزاز دينه.

قال ابن إِسحاق: ولما هزم الله تعالى المُشْركين من أَهل حُنَيْن، وأَمكَنَ رسولَ الله - ﷺ - منهم، قالت آمرأَة من المسلمين - رضي الله عنها - وعنهم:

قَدْ غَلَبَتْ خَيْلُ الله خَيْلَ اللاَّتِ ... وَالله أَحَقُّ بالثَّبَاتِ

ويُرْوَى: وخيله أَحقّ بالثبات.

زاد محمد بن عمر:

إِنَّ لَنَا مَاء حُنَيْن فَخَلُّوهُ ... إِنْ تَشْرَبُوا مِنْهُ فَلَنْ تَعْلُوهُ

هَذَا رَسُولُ الله لَنْ تَغْلُوهُ

ورجع رسولُ الله - ﷺ - من جهة المشركين بعد آنهزامهم إِلى العسكر، وأَمر أَن يقتل كل من قدر عليه، وثَابَ من آنهزم من المسلمين.

روى البَزَّار بسندٍ رجالُه ثقات عن أَنس - رضي الله عنه -: أَن رسول الله - ﷺ - قال يوم حُنين: «اجْزُرُوهُم جَزْراً» وأَومأَ بيده إِلى الحلق[1].

(١) انظر المجمع ١٨٢/٦.

قال محمد بن عمر: وذُكِر للنبي - ﷺ - أن رَجُلاً كان بحُنيْن قاتل قتالاً شديدا، حتَّى أَشتدَّت به الـجِرَاح، قال: «إِنَّه من أَهل النَّار» فارتاب بعضُ النَّاسِ منْ ذلك، ووقع في قلوب بعضهم مَا الله تعالى به أعلم، فلما آذته جراحتُه، أَخذ مِشْقَصاً من كِنَانَتِه فآنتحر به، فأمر رسولُ الله - ﷺ - بِلالاً أَن يُنادي: أَلا لاَ يَدْخُل الجَنةَ إلاَّ مُؤْمِن، إنَّ الله - تعَالَى - يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّين بالرَّجُلِ الفَاجِر»[1].

قال محمد بن عمر: وأَمر رسولُ الله - ﷺ - بطلب العدوِّ وقال لخيله إِن قدرتم على «بِجَادٍ» رجل من بني سعد بن بكر فلا يفلتن منكم، وقد كان أَحدث حدثاً عظيماً، كان قد أَتاه رجلٌ مسلم فأَخذه فقطعه عُضْواً عُضْواً ثم حرَّقه بالنار، وكان قد عرف جُرْمه فهرب فأَخذته الخيلُ فضموه إلى الشيماء بنت الحارث بن عبد العُزَّى، أُخت رسول الله - ﷺ - من الرَّضَاعة، وأَتعبوها في السِّياق، فتعبت الشَّيْمَاء بتعبهم، فجعلت تقولُ: إِنِّي والله أُختُ صَاحبكم، فلا يُصدِّقُونها، وأَخذها طائفةٌ من الأَنصار، وكانوا أَشد النَّاس على هوازن - فأَتوْا بها إلى رسولِ الله - ﷺ - فقالتْ: يا محمدا! إني أُخْتُكَ. فقال رسول الله - ﷺ -: «وَمَا عَلاَمَةُ ذَلِك؟ فأَرتْه عضَّة بِإِبْهَامِهَا، وقالت: عضة عَضَضْتَنِيهَا وأَنَا مُتَوَرِّكَتُكَ بوادي السِرَر ونحنُ يومئذٍ نرعى البَهْم؛ وأَبوك أَبي، وأُمك أُمي، وقد نازعْتُكَ الثَّدى، وتذكَّرْ يا رسولَ الله حِلاَبي لك عنز أَبيك أَطلان، فعرفَ رسولُ الله - ﷺ - العَلاَمَة، فوثب قائماً، فبسَطَ رداءه، ثُمَّ قال: «إِجْلِسِي عَلَيْه» ورحَّبَ بها، ودمعتْ عيناهُ، وسأَلها عن أُمِّه وأَبيه، فأَخبرته بموتهما فقال: «إِنْ أَحْبَبْتِ فَأَقِيْمِي عِنْدَنَا مُحَبَّبَةً مُكَرَّمَةً، وَإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ تَرْجِعِي إِلى قَوْمِك وَصَلْتُكِ وَرَجَعْتِ إِلى قَوْمِك»[2] قَالت: بل أَرجعُ إِلى قومي، فأَسلمت، فأَعطاها رسولُ الله - ﷺ - ثلاثة أَعبد وجارية وأَمر لها ببعير أَو بعيرين وقال لها: «ارجعي إلى الجِعْرانة تكونين مع قومك، فأَنا أَمضي إِلى الطائف» فرجعت إِلى الجِعْرانة، ووافاها رسولُ الله - ﷺ - بالجِعْرانة فأَعطاها نَعَماً وشَاء، ولمن بقي من أَهل بيتها، وكلمته في بَجَاد أَن يهبه لها ويعفو عنه ففعل - ﷺ.

ذكر قتل دريد بن الصمة

قال ابن إِسحاق، ومحمد بن عمر، وغيرهما: لما هَزَمَ الله - تعالى - هَوازِنَ أَتوا للطَّائف ومعهم مالكُ بنُ عوف، وعسكر بعضُهم بأَوْطَاس، وتوجَّه بعضُهم نحو نَخْلَة بَنُو عِيرَة منْ ثقيف، فبعثَ رسولُ الله - ﷺ - خيلاً تتبع من سلك نخلة ولم تتبع من سلك الثَّنَايَا، وأَدرك ربيعةُ بنُ رُفَيْع بن أُهْبَان بن ثعلبة من بني سُليم دُرَيْدَ بنَ الصِّمة، فأَخذ بخطام جمله، وهو يظن

(١) المغازي للواقدي ٣/٩١٧.

(٢) المغازي للواقدي ٣/٩١٣.

أنَّه آمرأة، وذلك أنه في شِجار له، فإذا هو رجل، فأناخ به وهو شيخ كبير، ابن ستين ومائة سنة، فإذا هو دُرَيْد ولا يعرفه الغُلاَمُ، فقال له دُرَيْدٌ: ما تريد؟ قال: أقتلك. قال: وما تُريد إلى المرتعش الكبير الفاني؟ قال الفتى: ما أَريدُ إلاَّ ذاك، قال له دُرَيْد: من أَنت؟ قال: أَنا ربيعة بن رُفَيْع السُّلَمي، قال: فضربه فلم يغن شيئاً، فقال دُرَيد: بئس ما سلَّحَتْك أُمك، خذ سيفي من وراء الرحل في الشِجَار، فاضرب به وارفع عن العظم واخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أَقتلُ الرّجال، ثم إذا أَتيتَ أُمَّكَ فأَخبرها أنّك قتَلْتَ دُرَيْد بنَ الصِّمَّة، فرُبَّ يوم قد منعتُ فيه نساءك. فزعمت بنو سليم أَنَّ ربيعة لما ضربه فوقع تكشف للموت فإذا عِجَانه وبطون فخذيه مثل القِرْطَاسِ من رُكُوب الخيل، فلمَّا رجع ربيعة إلى أُمه أَخبرها بقتله إيَّاه، قالتْ: والله لقد أَعتق أُمَّهَاتٍ لك ثلاثاً في غداة واحدة، وجَزَّ ناصيةَ أَبيك، فقال الفتى: لم أَشعر.

ووقف مالك بن عوف على ثنِيّة من الثّنايا، وشُبّان أَصحابه، فقال: قفوا حتى يمضي ضعفاؤكم وتلتئم إخوانكم. فبصر بهم الزُّبَيْر بن العوام - رضي الله عنه - فحمل عليهم حتى أَهبطهم من الثنيّة، وهرب مالك بن عوف، فتحصن في قصر بليَّة، ويقال دخل حصن ثقيف[1].

ذكر من استشهد بحنين

أَيَمَن بن عُبيد اللّه بن زيد الخزرجي وابن أُم أَيمن، وسُراقة بن الحارث الأَنصاري، ورُقَيْم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لَوْذَان، وأَبو عامر الأَشعري أُصيب بأَوطاس، كما سيأْتي في السرايا، ويزيد بن زمعة بن الأَسْود جمح به فرسٌ يقالُ له الجناح فَقُتل. وآستحرَّ القتلُ من ثقيف في بني مالك؛ فَقُتِلَ منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم، فيهم عُثمان بن عبد اللّه بن الحارث، وكانت رايتهم مع ذي الخِمَار، فلما قتل أَخذها عثمانُ بنُ عبد اللّه، فقاتل حتَّى قُتل، ولمَّا بلغ رسول الله - ﷺ - قتلُه، قال: «أَبْعَدَه الله، فإنَّه كَانَ يُبْغِضُ قُرَيْشاً»[2].

وروى البيهقيُّ عن عبد اللّه بن الحارث عن أَبيه قال: قُتِلَ من أَهل الطَّائف يوم حُنَيْن مثل مَنْ قُتل يَوْمَ بدر.

ذكر عيادته - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد رضي الله عنه - من جرح أصابه

وروى عبد الرَّزاق، وآبن عساكر عن عبد الرحمٰن بن أَزهر - رضي الله عنه - قال: كان

(١) المغازي ٣/ ٩١٤- ٩١٥.

(٢) عبد الرزاق (١٩٩٠٤) وابن أبي عاصم ٦٣٨/٢ وابن سعد ٣٨٠/٥، وابن أبي شيبة ١٧٣/١٢، والعقيلي في الضعفاء ٣٥٠/٤.

خالدُ بنُ الوليد جُرِحَ يوم حُنَيْن، وكانَ على خَيْلِ رسولِ الله - ﷺ - فجُرِحَ يومئذ، فلقد رأيتُ رسولَ الله - ﷺ - بعد ما هزمَ الله تعالى الكفارَ، ورَجَعَ المسلمونَ إلى رِحَالِهم - يَمْشِي في المسلمين ويقول: «مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى رَحْلِ خَالد بن الوليد؟» فأُتِيَ بشارب فأمر مَنْ عنده فضربُوه بما كان في أيديهم، وحَثَا عليه التُّراب[1].

قال عبد الرحمن: فمشيتُ، أو قال: سعيتُ بين يدي رسول الله - ﷺ - وأنا غلامٌ محتلم، أقولُ: من يدل على رحل خالد، حتَّى دُلِلْنَا عليه، فإذا خالد مستندٌ إلى موخَّرة رحله، فأتاه رسولُ الله - ﷺ - فنظر إلى جُرحه، فتفل فيه فبرأ - رضي الله تعالى عنه -.

ذكر بركة يده - صلى الله عليه وسلم - في برء جرح عائذ بن عمرو - رضي الله عنه

روى الحاكم، وأبو نُعَيم، وآبن عساكر عن عائذ بن عمرو - رضي الله عنه - قال: أَصابتني رميةٌ يوم حُنَيْن في جبهتي، فسال الدَّمُ على وجْهي وصدري، فسلَتَ النبيُّ - ﷺ - الدَّمَ بيده عن وجهي وصدْري إلى تُنْدُوَتِي، ثمَّ دعا لي. قال حشرجُ والدُ عبد اللّه: فرأينا أثرَ يَدِ رسولِ الله - ﷺ - إلى مُنتهى ما مسح من صدره، فإذا غُرَّة سابلة كغرَّة الفرس.

ذكر بركة يده - صلى الله عليه وسلم - في الماء بحنين

روى أبو نُعيم عن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - قال: غزونَا مع رسولِ الله - ﷺ - هوازن فأصابنا جهدٌ شديد، فدعا بنطفة من ماء في إدَاوَة، فأمر بها فصبت في قدح فجعلنا نَطَّهَّرُ به حتَّى تَطَهَّرنا جميعاً.

ذكر نهيه - صلى الله عليه وسلم - عن قتل النساء يوم حنين

روى الإمام أحمد، وأبو داود عن رَبَاح بن رَبيع - رضي الله عنه - أنه خرج مع رسول الله - ﷺ - في غزوة غزاها وعلى مقدمته خالدُ بنُ الوليد، فمرَّ رَبَاح وأصحاب رسولِ الله - ﷺ - على آمرأة مقتولة مما أصابت المقدِّمة، فوقفوا ينظرون إليها، يعني ويعجبون من خلقها - حتَّى لحقهم رسولُ الله - ﷺ - على راحلته، فآنفرجوا عنها. فوقف عليها رسولُ الله - ﷺ - فقال: «مَا كَانَتْ هَذِه لِتُقَاتِل» فقال لأحدهم: «الحَقْ خَالِداً وَقُلْ لَه لاَ تَقْتُل ذُرِّيَّةً وَلاَ عَسِيفاً»[2].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٨٨/٤، ٣٥١، والحميدي (٨٩٧) والبيهقي في الدلائل ١٤٠/٥.

(٢) أخرجه أحمد ٤٨٨/٣ وأبو داود ٥٠/٢ في الجهاد وآبن ماجه (٢٨٤٢) والحاكم ١٢٢/٢، والطبراني في الكبير ٥/ ٧٠ والطحاوي في المعاني ٢٢٢/٣.

ذكر قوله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين أنا ابن العواتك

روى الطَّبَرَانِيّ عن سَيَابة بن عاصم السُّلَمي - رضي الله عنه - أَنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال يوم حنين: «أَنَا ابْنُ العَوَاتِكْ»(١).

ذكر قوله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين من قتل كافرا فله سلبه

روى ابنُ شيبة، والإمام أَحمد، وابن حبان عن أَنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً فَلَهُ سَلَبُه» قال: فقتل أَبو طلحة يومئذٍ عشرين رجُلا وأَخذ أَسْلاَبهم.

وقال أَبو قتادة: يا رسولَ الله انّي ضربتُ رجلاً على حَبْلِ عاتقه، وعليه درع فأُجهضْت عنه فانظر في أَخذها، فقام رجلٌ قال محمد بن عمر: اسمه أَسود بن خُزَاعي الأَسلمي، حليف بني سلمة - كذا قال وفي الصحيح كما سيأْتي: أَنه قرشي، فقال: يا رسولَ الله: أَنا أَخذتها فأَرضه منها وأَعطينها، قال: وكان رسولُ الله - ﷺ - لا يُسْأَل شيئاً إِلاَّ أَعطاه، أَو سكت، فسكتَ رسولُ الله - ﷺ - فقال عمر: والله لا يغنها الله تعالى على أَسدٍ مِنْ أُسْدِ الله - تعالى - ويُعْطِيكَهَا، فقال رسولُ الله - ﷺ: «صَدَقَ عُمَر»(٢).

وروى الشيخان، وأَبو داود، والتِّرمذي، وآبن ماجة عن أَبي قتادة الحارث بن رِبْعِي - رضي الله تعالى عنه - قال: خرجْنَا مع رسولِ الله - ﷺ - عام حُنَيْنٍ، فلما آلتقينا كانت للمسلمين جَوْلة. فرأَيتُ رجلاً من المشركين قد علا رجلا من المسلمين. وفي رواية نظرت إِلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين وآخر من المشركين يَخْتِلُه فضربتُه مِنْ ورائه علي حبل عاتقه بالسيف فقطعتُ الدِّرع، وأَقبل عليّ فضمَّنِي ضَمَّةً، وجدت منها ريح الموت، ثمّ أَدركه الموت، فأَرسلني، فلحقتُ - وفي روايةٍ - فلقيت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في النَّاس الَّذين لم يُهْزَمُوا، فقلتُ: ما بال النَّاس؟ قال: أَمر الله تعالى، فرجعوا وجلس رسولُ الله - ﷺ فقال: «مَنْ قَتَل قَتيلاً لَه عَلَيْه بَيِّنَةٌ فَلَه سَلَبُه» فقمتُ فقلتُ: منْ يشهد لي؟ ثُمّ جلستُ، فقال رسولُ الله - ﷺ - مثله. فقمتُ فقلتُ: من يَشْهد لي؟ ثُمّ جلستُ، فقالَ رسولَ الله - ﷺ - مثله، فقال: «مَالَكَ يَا أَبَا قَتَادَة؟» فأَخبرته(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٠١/٧، وانظر المجمع ٢١٩/٨ والبيهقي في الدلائل ١٣٥/٥ وسعيد بن منصور (٢٨٤٠، ٢٨٤١) وآبن عساكر كما في التهذيب ٢٨٩/١.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣٩٧٣) وأحمد ٢٤٥/١ وآبن أبي شيبة ١٢٥/٢، ٥٣١/١٤ وابن حبان ذكره الهيثمي في الموارد (١٦٧١) والبيهقي ٣٠٦/٦ والطبراني في الكبير ٢١٦/١٢ والصغير ١٢٤/١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٠/٧ (٤٣٢١) ومسلم ١٣٧٠/٣ (٤١/١٧٥١)، وأبو داود في الجهاد باب (١٤٦)، والبيهقي في السنن ٣٠٦/٦ والدلائل ١٤٨/٥ والشافعي في المسند (٢٢٣)، ومالك في الموطأ (٤٥٤).

وذكر محمد بن عمر: أنَّ عبد اللّه بن أنيس شهد له فقال رجلٌ: صَدَق سَلَبُه عندي فأرضِهِ مني - أَو قال مِنِّيه - فقال أَبو بكر: لا هاالله إذاً، لا تعمد إلى أَسَدٍ من أُسْدِ الله تعالى يقاتل عن الله - تعالى - ورسوله فيعطيك سلبه! فقال رسول الله - ﷺ: «صدق فأَعطه إياه» فأعطانيه، وعند محمد بن عمر فقال لي حاطب بن أَبي بلتعة: يا أَبا قتادة، أَتبيع السلاح؟ فبعته بسبع أَواقٍ، فابتعت به مَخْرفاً، وفي رواية: خِرَافاً في بني سَلِمَة، فإنّه لأوْلُ مال تأثّلْته، وفي روايةٍ: اعتقبته - في الإسلام، زاد محمد بن عمر يقال له الرُّدَيْني قال في البداية في الرواية السابقة عن أَنس: إن عمر قال ذلك، وهو مُسْتَغْرب، والمشهور أَن قائل ذلك أبو بكر كما في حديث أَبي قتادة، وقال الحافظ: الراجح أَن الذي قال ذلك أَبو بكر كما رواه أَبو قتادة، وهو صاحب القصة، فهو أَتقن لما وقع فيها من غيره، قالا: فلعل عمر قال ذلك متابعةً لأَبي بكر ومساعدةً له، وموافقة، فاَشْتبه على الراوي.

قال العلماء: لو لم يكنْ من فضيلةِ أَبي بكر الصدِّيق - رضي الله عنه - إلاَّ هذا لكفى فإنَّه بثاقب علمه، وشِدَّة صرامته، وقوَّة إنصافه، وصحَّةِ توفيقه، وصدق تحقيقه بادر إلى القوْلِ بالحقّ، فزجر، وأَفتى، وحكم، وأَمضى، وأَخبر في الشَّريعة عن المصطفى بحضرته وبين يديه، وبما صدَّقه فيه وأَجراه على قوله.

وروى البخاري عن سلمة بن الأَكوع - رضي الله عنه - قال: غزونا مع رسولِ الله - ﷺ - هوازن فبينما نحن نتضحى مع رسولِ الله - ﷺ - إذْ جاء رجلٌ على جملٍ أَحمر، فأَناخه، ثم انتزع طلقا من حقبه فقيّد به الجمل، ثم تقدم فتغدَّى مع القوم وجعل ينظر وفينا ضعفة ورقَّة من الظهر، وبعضُنَا مُشاة، إذْ خرج يشتد فأَتى الجمل فأَطلق قيده، ثم أَناخه ثم قعد عليه فاشتد به الجمل واتبعه رجلٌ من أَسلم من أَصحابِ رسولِ الله - ﷺ - على ناقة ورقاء، وفي روايةٍ: أَتى عين من المشركين إلى رسول الله - ﷺ - وهو في سفر، فجلس عند أَصحابه يتحدث. انتهى. ثم انفتل، فقالَ رسولُ الله - ﷺ -: «اطْلُبُوه وَاقْتُلُوه» قال سلمة: وخرجتُ أَشتَدُّ فكنتُ عند وَرِك الناقة، ثم تقدمت حتَّى كنتُ عند ورك الجمل، ثم تقدّمت حتَّى أَخذت بخطامِ الجمل، فأَنخته، فلمَّا وضع ركبته على الأَرض، آخترطت سيفي فضربتُ رأْس الرجل فَنَدر، ثمَّ جئتُ بالجمل أَقُوده عليه رحله وسلاحه، فآستقبلني رسولُ الله - ﷺ - والناسُ معه، فقال: «مَنْ قَتَلَ الرَّجُل»؟ قالوا: ابن الأَكوع، قال: «لَه سَلَبُه أَجْمَع»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد (٣٠٥١)، وأحمد ٥١/٤ وأبو داود (٢٦٥٣)، والطبراني في الكبير ٢٩/٧ والبيهقي في السنن الكبرى ٦/٩، ١٤٧، ٣٠٦، والطحاوي في المشكل ١٤٠/٤.

ذكر جمع غنائم حنين

لما انهزم القومُ أمر رسولُ الله ـ ﷺ ـ بالغنائم أن تُجمع، ونادى مناديه: من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَغُل، وجعل الناسُ غنائمهم في موضع حيث استعمل عليها رسولُ الله ـ ﷺ.

وروى الحاكم بسند صحيح عن عبادةَ بن الصَّامت ـ رضي الله عنه ـ قال: أخَذَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ يومَ حُنَيْن وَبَرَةً من بعير، ثم قال: «يا أَيُّها النَّاس، إِنَّه لاَ يَحِلُّ لي مِمَّا أفاء الله ـ تعالى ـ عَلَيْكم قَدْرَ هذه إلاَّ الخُمُس، والخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُم، فَأَدُّوا الخَيْطَ والمَخِيْط، وَإِيَّاكُم والغلول فإِنَّه عارٌ على أَهْلِهِ يَوْمَ القِيَامة» وذكر الحديث[1].

وكان عقيل بن أبي طالب دخل على زوجته وسيفُه ملطَّخٌ بدم، فقالت: إنِّي علمتُ أنَّك قاتلتَ اليومَ المشركين، فماذا أصبتَ من غنائمهم؟ فقال: هذه الإبرة، تخيطين بها ثيابك، فدفعها إليها، ثم خرج فسمع مُنَادِيَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ يقولُ: من أصابَ شيئاً من المَغْنَم فليردّه، فرجع عقيل إلى امرأته وقال: والله ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت منك، فأخذها فألقاها في المغانم.

وجاء رجلٌ بِكُبَّةٍ من شعر فقال: يا رسولَ الله أَضْرِبُ بهذه برذعة لي: فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «أَمَّا ما كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْد المطَّلب فَهُو لَكَ»[2].

وأتى رسول الله ـ ﷺ ـ الناس يوم حنين في قبائلهم يدعوهم وأنه ترك قبيلة من القبائل وجدوا في بَرْذَعَة رجلٍ منهم عِقْداً من جزَعٍ غلولاً، فأتاهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ فكَبَّر عليهم، كما يُكَبِّر على الميت.

وأصابَ المسلمون يومئذٍ السَّبايا، فكانُوا يكرهون أن يقعُوا عليهنَّ ولهنَّ أزواج فسألُوا رسولَ الله ـ ﷺ ـ عن ذلك، فأنزل الله تعالى ﴿والمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾ [النساء ٢٤] وقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ يومئذ: «لا توطأ حاملٌ من السَّبْي حتى تضع، ولا غير ذات حمل حتى تحيض»[3].

ولـمَّا جُمعت الغنائم أَمر رسولُ الله ـ ﷺ ـ أن تنحدر إلى الجعْرانة، فوقف بها إلى أن انصرف رسولُ الله ـ ﷺ ـ من حصار الطائف.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٩/٣ والبيهقي ٣٠٣/٦ والنسائي ١٣١/٧ وابن حبان ذكره الهيثمي في الموارد (١٦٩٣).

(٢) أخرجه احمد ١٨٤/٢، ٢١٨ والنسائي ٢٦٣/٦.

(٣) أخرجه أبو داود (٢١٥٧) واحمد ٦٢/٣ والحاكم ٩٥/٢ والبيهقي في السنن الكبرى ٣٥٩/٥، ٤٤٩/٧، ١٢٤/٩، والدارمي ١٧١/٢ وانظر نصب الراية ٢٣٣/٣.

قال ابن سعد وتبعه في العيون: كان السَّبي ستة آلاف رأس، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين «ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة.

وروى الطَّبراني عن بُدَيْل - بموحدة مضمومة فدال مهملة فتحتية ساكنة فلام، بن وَرْقَاء - رضي الله تعالى عنه -: أنَّ رسولَ الله - ﷺ - أمر أن تحبس السَّبايا والأموال بالجعرانة حتَّى يقدم فحبست(١).

قال ابن إسحاق: وجعل رسول الله - ﷺ - على الغنائم مسعود بن عمرو الغِفَاري، وروى عبد الرَّزَّاق عن سعيد بن المسيَّب قال: سبي رسولُ الله - ﷺ - يومئذ سِتَّة آلاف سَبْي بين امرأة وغلام، فجعل عليهم رسولُ الله - ﷺ - أبا سفيان بن حرب. وقال البلاذري: بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي - والله تعالى أعلم.

ذكر صلاته - صلى الله عليه وسلم - الظهر بحنين وحكومته بين عُيَيْنَة بن حصن والأقرع بن حابس في دم عامر بن الأضبط الأشجعي الذي قتله محلّم بن جثامة كما سيأتي

في نقل محمد بن إسحاق، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا: صلى رسول الله - ﷺ - الظهرَ يوماً بحُنَيْن ثم تَنَحَّى إلى شجرة فجلس إليها، فقام إليه عُيَيْنَةُ بنُ حِصْن يطلب بدم عامر بن الأَضْبَط الأَشجعي وهو يومئذ سيد قيس ومعه الأَقْرَعُ بن حَابِس يدفع عن مُحَلِّم بن جَثَّامَة لمكانه من خِنْدِف فاختصما بين يَدَيْ رسول الله - ﷺ - وعُيَيْنَة يقول: يا رسول الله، والله لا أَدَعُه حتى أُذْخِلَ على نسائِهِ من الحَرَب والحُزْن ما أَدْخل على نسائي، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «تأخذ الدِّيةَ؟» فأبى عُيَيْنة حتَّى آرتفعت الأَصواتُ وكَثُر اللَّغَط، إلى أن قام رجلٌ من بني ليث يُقال له مُكَيْتِل - قصير مجتمع عَلَيْه شِكَّة كاملة ودرقة في يده فقال: يا رسولَ الله، إنِّي لم أجد لما فعل هذا شبهاً في غُرَّةِ الإِسلام إلا غنماً وردت فَرُمِيَ أَوَّلُها فَنَفر آخرها. فاسنن اليوم وغيره غدا فرفع رسولُ الله - ﷺ - يده وقال تقبلُونَ الدِّيَة خَمْسِين في فَوْرِنا هذا، وَخَمْسِين إِذَا رَجَعْنَا إِلى المَدِينَة» فلم يزل رسولُ الله - ﷺ - بالقوم حتَّى قبلوا الدِّيَة وفي رواية: فقام الأقرع ابنُ حابسٍ فقال: يا معشر قُريش، سألكم رسولُ الله - ﷺ - قتيلا تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه، أَفَأَمنتم أن يغضب عليكم رسولُ الله - ﷺ فيغضب الله - تعالى عليكم - لغضبه، أو يلعنكم رسولُ الله - ﷺ - فيلعنكُم الله تعالى بلعنته، والله لتسلمنه إلى رسولِ الله - ﷺ - أَولا يأتين بخمسين من بني

(١) الطبراني في الكبير والأوسط والبزار قال الهيثمي ١٨٩/٦ لم يسم ابن بديل وبقية رجاله ثقات.

ليث كلهم يشهدون أَنَّ القتيل ما جُلِّيَ قط فلأَبطلن دمه. فلما قال ذلك قبلوها. ومحلِّم القاتل في طرف الناس، فلم يزالوا يؤزونه ويقولون: إِئت رسولَ الله - ﷺ - يستغفر لك، فقام محلم وهو رجل ضَرْبٌ طويل آدم. محمر بالحناء عليه حُلَّة قد كان تهيأ فيها للقتل للقصاص، فجلس بيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله - ﷺ - وَعَيْنَاه تدمعان، فقال: يا رسولَ الله، قد كان من الأَمر الذي بلغك وإِني أَتوبُ إِلى الله، فاستغفر لي، فقال رسولُ الله - ﷺ - «مَا إِسْمُكَ» قال: أَنا مُحَلِّم بن جَثَّامة. فقال «أَقَتَلْته بسلاحك في غُرَّة الإِسلام؟! اللهم لا تغفر لمحلِّم» بصوت عال يُنْفِذُ به النَّاس، قال فعاد مُحَلِّم فقال: يا رسولَ الله، قد كان الَّذي بلغك، وإِني أَتوبُ إِلى الله فاستغفر لي، فعاد رسولُ الله - ﷺ لمقالته بصوت عالٍ، يُنْفِذُ به النَّاسَ «اللَّهُمَّ لاَ تَغْفِر لِمُحَلِّم بن جُثَامة» حتَّى كانت الثالثة، فعادَ رسولُ الله - ﷺ لمقالته، ثم قال له رسولُ الله - ﷺ «قُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَي» فقام من بين يَدَيْ رَسُولِ الله - ﷺ - وهو يتلقَّى دمْعَه بفَضْل رِدَائه، فكانَ ضمرة السلمي يحدث - وقد كان حضر ذلك اليوم - قال: كنا نتحدث فيما بيننا أَن رسولَ الله - ﷺ - حرَّك شفتيه بالاستغفار له، ولكنه أَراد أَن يُعلم الناسَ قَدْرَ الدمُ عنْدَ الله تعالى(١).

ذكر البشير الذي قدم المدينة بهزيمة هوازن

روى محمد بن عمر عن داود بن الحصين قال: كان بشير رسول الله - ﷺ - إِلى أَهل المدينة بِفَتْح الله - تعالى - عليه وهزيمة هوَازِن، نَهِيك بن أَوس الأَشهلي، فخرجَ في ذلك اليوم مُمْسِياً، فأَخذ في أَوْطَاس حتَّى خرج على غَمْرة، فإِذا الناس يقولون هُزمَ محمد هزيمةً لم يهزم هزيمةً مثلها قط، وظهر مالك بنُ عوف على عسكره، قال: فقلتُ الباطلَ يقولون، والله لقد ظَفَّرَ الله - تعالى - رسولَه - ﷺ وغنَّمه نساءهُم وأَبناءهم، قال: فلم أَزل أَطأُ الخبر حتى انقطع بمعْدِن بني سُلَيْم أَو قريباً منها، فقدمتُ المدينة وقد سرتُ من أَوَّل أَوطاس ثلاث ليال وما كنت أَمسي على راحلتي أَكثر مما كنت أَركبها فلما انتهيتُ إِلى المصلَّى ناديت: أَبشروا يا مَعْشَرَ المسلمين بسلامة رسولِ الله - ﷺ - والمسلمين، ولقد ظَفَّرَه الله - تعالى - بهوازِن، وأَوقع بهم، فَسَبى نساءهم، وغَنَمَ أَموالهم، وتركت الغنائِم في يديه تجمع، فاجتمع النَّاسُ يحمدونَ الله - تعالى - على سَلاَمَةِ رسولِ الله - ﷺ - والمسلمين، ثم انتهيت إِلى بيوت أَزواج النَّبي - ﷺ - فأَخبرتهن، فحمدن الله - تعالى - على ذلك.

قال وكانت الهزيمة الأُولى التي هزم المسلمون ذهبت في كلِّ وجه حتى أَكذَب الله - تعالى - حديثهم.

---

(١) انظر المغازي ٣/٩٢٠.

ذكر ما أنزل الله تبارك وتعالى في شأن هذه الغزوة

قال الله عز وجل يُذَكِّر المؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ [التوبة ٢٥: ٢٧] للحرب «كَثِيرَةٍ» كبدر وَقُرَيْظَة والنَّضِير (و) اذكر «يَوْمَ حُنَيْنٍ» وادٍ بين مكَّة والطَّائف، أي يوم قتالكم فيه هوَازن، وذلك في شوال سنة ثمان «إِذْ» بدل من يوم، (أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) - فقلتم: لن نُغْلبَ اليومَ مِنْ قِلَّة، وكانوا إثني عشر ألفاً، والكفار أربعة آلاف - كذا جزم به غيرُ واحد، وجزم الحافظ وغيره بأنَّهم كانوا ضعف عدد المسلمين، وأكثر من ذلك كما سيأتي، فعلى هذا كان المشركون أربعةً وعشرين ألفاً، (فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) ما مصدرية أي مع رحبها أي سعتها. فلم تجدوا مكاناً تطمئنون إليه لشدَّة ما لحقكم من الخوف «ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ» منهزمين وثبت النبيُّ - ﷺ - علي بغلته البيضاء، وليس معه غير العباس، وأبو سُفيان آخذٌ بركابه، (ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ) طمأْنينته (عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فردوا إلى النبي لَما ناداهم العباسُ بإذنه وقاتلوا(وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا) ملائكة (وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالقتل والأسر (وَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ. ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) منهم بالإسلام (واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

ذكر ما قيل في هذه الغزوة من الشعر

قَالَ عباس بن مِرداس السُّلمي يذكر قَارَب بن الأَسود وفرازه من بني أَبيه وذا الخِمَار وَحَبْسه قومه للموت.

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ غَيْلاَنَ عَنِّي ... وَسَوْفَ إِخَالُ يَأْتِيهِ الخَبِيرُ
وَعُرْوَةَ إِنَّمَا أَهْدَى جَوَاباً ... وَقَوْلاً غَيْرَ قَوْلِكُمَا يَسِيرُ
بِأَنَّ مُحَمَّداً عَبْداً رَسُولٌ ... لِرَبٍّ لاَ يَضِلُّ وَلاَ يَجُورُ
وَجَدْنَاهُ نَبِياً مِثْلَ مُوسَى ... فَكُلُّ فَتًى يُخَايِرُهُ مَخِيرُ
وَبِئْسَ الأَمْرُ أَمْرُ بَنِي قِسِيٍّ ... بِوَجٍّ إِذَا تُقُسِّمَتْ الأُمُورُ
أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ ... أَمِيرٌ والدَّوَائِرُ قَدْ تَدُورُ
فَجِئْنَا أُسْدَ غَابَاتٍ إِلَيْهِمْ ... جُنُودَ اللهِ ضَاحِيَةً تَسِيرُ
تَؤُمُّ الجَمْعَ جَمْعَ بَنِي قِسِيٍّ ... عَلَى حَنَقٍ نَكَادُ لَهُ نَطِيرُ
وَأُقْسِمُ لَوْ هُمُو مَكَثُوا لَسِرْنَا ... إِلَيْهِمْ بالجُنُودِ وَلَمْ يَغُورُوا
فَكُنَّا أُسْدَ لِيَّةَ ثَمَّ حَتَّى ... أَبَحْنَاهَا وَأَسْلَمَتِ النُّصُورُ
وَيَوْمٌ كَانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ ... فَأَقْلَعَ وَالدِّمَاءُ بِهِ تَمُورُ
مِنَ الأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيَوْمٍ ... وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذُكُورُ

قَتَلْنَا في الغُبَارِ بَنِي حُطَيْطٍ عَلَى رَايَاتِهَا وَالخَيْلُ زُورُ
وَلَمْ تَكُ ذُو الخِمَارِ رَئِيسَ قَوْمٍ لَهُمْ عَقْلٌ يُعَاقِبُ أَو نَكِيرُ
أَقَامَ بِهِمْ عَلَى سَنَنِ المَنَايَا وَقَدْ بَانَتْ لِمُبْصِرِهَا الأُمُورُ
فَأَفْلَتَ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ جَرِيضاً وَقُتِّلَ مِنْهُمُ بَشَرٌ كَثِيرُ
وَلاَ يُغْنِي الأُمُورَ أَخُو التَّوَانِي وَلاَ الغَلِقُ الصُّرَيِّرَةُ الحَصُورُ
أَمَاتَهُمُ وَحَانَ وَمَلَّكُوهُ أُمُورَهُمُ وَأَفْلَتَتِ الصُّقُورُ
بَنُو عَوْفٍ تَمِيحُ بِهِمْ جِيَادٌ أُهِينَ لَهَا القَصَافِصُ وَالشَّعِيرُ
فَلَوْلاَ قَارِبٌ وَبَنُو أَبِيهِ تُقِسِّمَتِ المَزَارِعُ والقُصُورُ
وَلَكِنَّ الرِّيَاسَةَ عُمِّمُوهَا عَلَى يُمْنٍ أَشَارَ بِهِ المُشِيرُ
أَطَاعُوا قَارِباً وَلَهُمْ جُدُودٌ وَأَحْلاَمٌ إِلَى عِزٍّ تَصِيرُ
فَإِنْ يُهْدَوْا إِلَى الإِسْلاَمِ يُلْفَوْا أُنُوفَ النَّاسِ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ
وَإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا فَهُمُ أَذَانٌ بِحَرْبِ اللهِ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيرُ
كَمَا حَكَّتْ بَنِي سَعْدٍ وَحَرْبٍ بِرَهْطِ بَنِي غَزِيَّةَ عَنْقَفِيرُ
كَأَنَّ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ إِلَى الإِسْلاَمِ ضَائِنَةٌ تَخُورُ
فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ وَقَدْ بَرِئَتْ مِنَ التِّرَةِ الصُّدُورُ
كَأَنَّ القَوْمَ إِذْ جَاؤُوا إِلَيْنَا مِنَ البَغْضَاءِ بَعْدَ السِّلْمِ عُورُ

وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى:

لَوْلاَ الإِلَهُ وَعَبْدُهُ وَلَّيْتُمُ حِينَ اسْتَخَفَّ الرُّعْبُ كُلَّ جَبَانِ
بِالجِزْعِ يَوْمَ حِيَالَنَا أَقْرَانُنَا وَسَوَابِحٌ يَكْبُونَ لِلأَذْقَانِ
مِنْ بَيْنِ سَاعٍ ثَوْبُهُ فِي كَفِّهِ وَمُقَطَّرٍ بِسَنَابِكٍ وَلَبَانِ
وَاللهُ أَكْرَمَنَا وَأَظْهَرَ دِينَنَا وَأَعَزَّنَا بِعِبَادَةِ الرَّحْمنِ
واللهُ أَهْلَكَهُمْ وَفَرَّقَ شَمْلَهُمْ وَأَذَلَّهُمْ بِعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ

«قال ابن هشام وَيَرْوِي فيها بعضُ الرُّواة».

إِذْ قَامَ عَمُّ نَبِيِّكُمْ وَوَلِيُّهُ يَدْعُونَ يَا لَكَتِيبَةِ الإِيمَانِ
أَيْنَ الَّذِينَ هُمُ أَجَابُوا رَبَّهُمْ يَوْمَ العُرَيْضِ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

«وقال عباس بن مرداس:

فَإِنِّي وَالسَّوَابِحُ يَوْمَ جَمْعٍ وَمَا يَتْلُوا الرَّسُولُ مِنَ الكِتَابِ
لَقَدْ أَحْبَبْتُ مَا لَقِيَتْ ثَقِيفٌ بِجَنْبِ الشِّعْبِ أَمْسِ مِنَ العَذَابِ

هُـمُ رَأْسُ الـعَـدُوِّ مِـنَ آهْـلِ نَجْـدٍ ... فَـقَـتْـلُـهُـمُ أَلَـذُّ مِـنَ الـشَّـرَابِ
هَزَمْنَا الـجَمْعَ جَمْعَ بَنِي قسِيٍّ ... وَحَـكَّـتْ بَـرْكَـهَـا بِـبَنِي رِئَـابِ
وَصِـرْمـاً مِـنْ هِـلاَلٍ غَـادَرَتْـهُـمْ ... بِـأَوْطَـاسٍ تُـعَـفِّـرُ فِـي الـتُّـرَابِ
وَلَـوْلاَ قَـيْنَ جَـمْـعَ بَـنِـي كِـلاَبٍ ... لَـقَـامَ نِسَـاؤُهُـمْ وَالـنَّـقْـعُ كَـابِـي
رَكَضْنَا الـخَيْلَ فِـيهِـمْ بَيْنَ بَسٍّ ... إِلَـى الأَوْرَادِ تَـنْـحِـطُ بِـالـذهَـابِ
بِـذِي لَـجَـبٍ رَسُـولُ اللهِ فِـيـهِـمْ ... كَـتِـيـبَـتُـهُ تَـعَـرَّضُ لِـلـضِّـرَابِ

«وقال عباس بن مِرداس أيضاً»:

يَـا خَـاتِـمَ الـنُّـبَّـاءِ إِنَّـكَ مُـرْسَـلٌ ... بالحَقِّ كُلُّ هُدَى السَّبِيلِ هُدَاكَا
إِنَّ الإِلَـهَ بَـنَـى عَـلَـيْـكَ مَـحَـبَّـةً ... فِـي خَـلْـقِهِ وَمُـحَـمَّـداً سَـمَّـاكَـا
إِنَّ الَّـذِيـنَ وَفَـوْا بِـمَـا عَـاهَـدْتَـهُـمْ ... جُنْدٌ بَعَثْتَ عَلَيْهِمُ الضَّحَّاكَا
رَجُـلاً بِـهِ ذَرَبُ الـسِّـلاَحِ كَـأَنَّـهُ ... لَـمَّـا تَـكَـنَّـفَـهُ الـعَـدُوُّ يَـرَاكَـا
يَغْشَى ذَوِي النَّسَبِ القَرِيبِ وَإِنَّمَا ... يَبْغِي رِضَى الرَّحْمنِ ثُمَّ رِضَاكَا
أُنْـبِـيـكَ أَنِّـي قَـدْ رَأَيْـتُ مِـكَـرَّهُ ... تَحْتَ العَجَاجَةِ يَدْمَغُ الإِشْرَاكَا
طَـوْلاً يُـعَـانِـقُ بِـالـيَـدَيْـنِ وَتَـارَةً ... يَفْرِي الجَمَاجِمَ صَارِماً بَتَّاكَا
[يَغْشَى بِهِ هَامَ الكُمَاةِ وَلَوْ تَرَى ... مِنْهُ الَّذِي عَايَنْتَ كَانَ شِفَاكَا]
وَبَـنُـو سُـلَـيْـمٍ مُـعْـنِـقُـونَ أَمَـامَـهُ ... ضَرْباً وَطَعْناً فِي العَدُوِّ دِرَاكَا
يَمْـشُـونَ تَحْـتَ لِـوَائِـهِ وَكَـأَنَّـهُـمْ ... أُسْدُ الـعَـرِيـنِ أَرَدْنَ ثَـمَّ عِـرَاكَـا
مَـا يَـرْتَجُـونَ مِـنَ الـقَـرِيـبِ قَـرَابَـةً ... إِلاَّ بِـطَـاعَـةِ رَبِّـهِـمْ وَهَـوَاكَـا
هَـذِي مَشَاهِدُنَا الَّتِي كَانَتْ لَنَا ... مَـعْـرُوفَـةً وَوَلِـيُّـنَا مَـوْلاَكَـا

«وقال عباس بن مِرداس أيضاً»:

عَـفَـا مِـجْـدَلٌ مِـنْ أَهْـلِـهِ فَـمُـتَـالِـعُ ... فَمِطْلى أَرِيكٍ قَدْ خَلاَ فَالمُصَانِعُ
دِيَـارٌ لَـنَـا يَا جُمْلُ إِذْ جُلُّ عَيْشِنَا ... رَخِيٌّ وَصَرْفُ الدَّهْرِ لِلْحَيِّ جَامِعُ
حُـبَـيِّـبَـةٌ أَلْـوَتْ بِـهَـا غُـرْبَـةُ الـنَّـوَى ... لِبَيْنٍ فَهَلْ مَاضٍ مِنَ العَيْشِ رَاجِعُ
فَإِنْ تَبْتَغِي الـكُـفَّـارَ غَـيْـرَ مَـلُـومَـةٍ ... فَـإِنِّـي وَزِيـرٌ لِـلـنَّـبِـيِّ وَتَـابِـعُ
دَعَـانَـا إِلَـيْـهِ خَـيْـرُ وَفْـدٍ عَـلِـمْـتُـهُـمْ ... خُـزَيْـمَـةُ وَالـمَـرَّارُ مِـنْـهُـمْ وَوَاسِـعُ
فَـجِـئْـنَـا بِـأَلْـفٍ مِـنْ سُـلَـيْـمٍ عَـلَـيْـهِـمْ ... لَـبُـوسٌ لَـهُـمْ مِـنْ نَـسْـجِ دَاوُدَ رَائِـعُ
نُـبَـايِـعُـهُ بِـالأَخْـشَـبَـيْـنِ وَإِنَّـمَـا ... يَـدَ اللهِ بَـيْـنَ الأَخْـشَـبَـيْـنِ نُـبَـايِـعُ
فَـجُـسْـنَـا مَـعَ الـمَـهْـدِيِّ مَـكَّـةَ عَـنْـوَةً ... بِـأَسْـيَـافِـنَـا وَالـنَّـقْـعُ كَـابٍ وَسَـاطِـعُ

عَلاَنِيَةً والخَيْلُ يَغْشَى مُتُونَهَا حَمِيمٌ وَآنٍ مِنْ دَمِ الجَوْفِ نَاقِعُ
وَيَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازِنٌ إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بالنُّفُوسِ الأَضَالِعُ
صَبَرْنَا مَعَ الضَّحَّاكِ لاَ يَسْتَفِزُّنَا قِرَاعُ الأَعَادِي مِنْهُمُ والوَقَائِعُ
أَمَامَ رَسُولِ الله يَخْفِقُ فَوْقَنَا لِوَاء كَخُذْرُوفِ السَّحَابَةِ لاَمِعُ
عَشِيَّةَ ضَحَّاكِ بْنِ سُفْيَانَ مُعْتَصٍ بِسَيْفِ رَسُولِ الله والمَوْتُ كَانِعُ
نَذُودُ أَخَانَا عَنْ أَخِينَا وَلَوْ نَرَى مَصَالاً لَكُنَّا الأَقْرَبِينَ نُتَابِعُ
وَلَكِنَّ دِينَ الله دِينَ مُحَمَّدٍ رَضِينَا بِهِ فِيهِ الهُدَى وَالشَّرَائِعُ
أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الضَّلاَلَةِ أَمْرَنَا وَلَيْسَ لأَمْرٍ حَمَّهُ الله دَافِعُ

«وقال عباس بن مِرداس أيضاً»:

مَابَالُ عَيْنِكَ فِيهَا عَائِرٌ سَهِرُ مِثْلُ الحَمَاطَةِ أَغْضَى فَوْقَهَا الشُّفُرُ
عَيْنٌ تَأَوَّبَهَا مِنْ شَجْوِهَا أَرَقٌ فَالمَاء يَغْمُرُهَا طَوْراً وَيَنْحَدِرُ
كَأَنَّهُ نَظْمُ دُرٍّ عِنْدَ نَاظِمَةٍ تَقَطَّعَ السِّلْكُ مِنْهُ فَهُوَ مُنْتَثِرُ
يَا بُعْدَ مَنْزِلِ مَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَمَنْ أَتَى دُونَهُ الصُّمَّانُ فَالحَفَرُ
دَعْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ فَقَدْ وَلَّى الشَّبَابُ وَزَارَ الشَّيْبُ وَالزَّعَرُ
وَاذْكُرْ بَلاَءَ سُلَيْمٍ فِي مَوَاطِنِهَا وَفِي سُلَيْمٍ لأَهْلِ الفَخْرِ مُفْتَخَرُ
قَوْمٌ هُمُو نَصَرُوا الرَّحْمنَ وَاتَّبَعُوا دِينَ الرَّسُولِ وَأَمْرُ النَّاسِ مُشْتَجِرُ
لاَ يَغْرِسُونَ فَسِيلَ النَّخْلِ وَسْطَهُمُ وَلاَ تَخَاوَرُ فِي مَشْتَاهُمُ البَقَرُ
إِلاَّ سَوَابِحَ كَالعُقْبَانِ مُقْرَبَةً فِي دَارَةٍ حَوْلَهَا الأَخْطَارُ وَالعَكَرُ
تُدْعَى كُفَافٌ وَعَوْفٌ في جَوَانِبِهَا وَحَيُّ ذَكْوَانَ لاَ مِيلٌ وَلاَ ضُجُرُ
الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشِّرْكِ ضَاحِيَةً بِبَطْنِ مَكَّةَ والأَرْوَاحُ تُبْتَدَرُ
حَتَّى رَفَعْنَا وَقَتْلاَهُمْ كَأَنَّهُمُ نَخْلٌ بِظَاهِرَةِ البَطْحَاء مُنْقَعِرُ
وَنَحْنُ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَانَ مَشْهَدُنَا لِلدِّينِ عِزاً وَعِنْدَ الله مُدَّخَرُ
إِذْ نَرْكَبُ المَوْتَ مُخْضَراً بَطَائِنُهُ وَالخَيْلُ يَنْجَابُ عَنْهَا سَاطِعٌ كَدِرُ
تَحْتَ اللِّوَاء مَعَ الضَّحَّاكِ يَقْدُمُنَا كَمَا مَشَى اللَّيْثُ في غَابَاتِهِ الخَدِرُ
فِي مَأْزَقٍ مِنْ مَجَرِّ الحَرْبِ كَلْكَلُهَا تَكَادُ تَأْفُلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ
وَقَدْ صَبَرْنَا بِأَوْطَاسٍ أَسِنَّتِنَا لله نَنْصُرُ مَنْ شِئْنَا وَنَنْتَصِرُ
حَتَّى تَأَوَّبَ أَقْوَامٌ مَنَازِلَهُمْ لَوْلاَ المَلِيكُ وَلَوْلاَ نَحْنُ مَا صَدَرُوا
فَمَا تَرَى مَعْشَراً قَلُّوا وَلاَ كَثُرُوا إِلاَّ قَدْ أَصْبَحَ مِنَّا فِيهِمُ أَثَرُ

وقال عباس بن مِرْدَاسٍ أيضاً:

يَـا أَيُّـهَـا الـرَّجُـلُ الَّـذِي تَـهْـوِي بِـهِ ... وَجْنَاء مُجْمَرَةُ الـمُنَاسِمِ عِرْمِسُ
إِمَّـا أَتَـيْـتَ عَـلَـى الـنَّـبِـيِّ فَـقُـلْ لَـهُ ... حَقاً عَلَيْكَ إِذَا اطْمَأَنَّ الـمَجْلِسُ
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطِيَّ وَمَنْ مَشَى ... فَـوْقَ الـتُّـرَابِ إِذَا تُـعَـدُّ الأَنْـفُـسُ
إِنَّـا وَفَـيْنَا بِـالَّـذِي عَـاهَـدْتَـنَـا ... وَالـخَيْلُ تُقْدَعُ بِالكُمَاةِ وَتُضْرَسُ
إِذْ سَالَ مِـنْ أَفْـنَـاء بُـهْـثَـةَ كُـلِّـهَـا ... جَمْعٌ تَظَلُّ بِهِ المَخَارِمُ تَرْجُسُ
حَـتَّـى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ فَيْلَقاً ... شَهْبَاء يَقْدُمُهَا الـهُمَامُ الأَشْوَسُ
مِـنْ كُلِّ أَغْلَبَ مِنْ سُلَيْمٍ فَوْقَهُ ... بَيْضَاء مُحْكَمَةُ الدِّخَالِ وَقَوْنَسُ
يُرْوِي القَنَاةَ إِذَا تَجَاسَرَ فِي الوَغَى ... وَتَـخَـالُـهُ أَسَـداً إِذَا مَـا يَـعْـبِـسُ
يَغْشَى الـكَتِيبَةَ مُعْلَماً وَبِكَفِّهِ ... عَـضْـبٌ يَـقُـدُّ بِـهِ وَلَـدْنٌ مُـدْعَـسُ
وَعَلَى حُنَيْنٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَمْعِنَا ... أَلْفٌ أُمِدَّ بِـهَـا الـرَّسُولُ عَرَنْدَسُ
كَـانُـوا أَمَـامَ الـمُسْلِمِينَ دَرِيئَةً ... وَالشَّمْسُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمُسُ
نَمْضِي وَيَحْرُسُنَا الإِلَهُ بِحِفْظِهِ ... والله لَـيْـسَ بِـضَـائِـعٍ مَـنْ يَـحْـرُسُ
وَلَقَدْ حُبِسْنَا بِالمَنَاقِبِ مَحْبِساً ... رَضِيَ الإِلَهُ بِهِ فَنِعْمَ المَحْبِسُ
وَغَـدَاةَ أَوْطَـاسٍ شَـدَدْنَـا شَـدَّةً ... كَفَتِ العَدُوَّ وَقِيلَ مِنْهَا: يَاآحْبِسُوا
تَـدْعُـو هَـوَازِنُ بِـالإِخَـاوَةِ بَـيْـنَـنَـا ... ثَـدْيٌ تَـمُـدُّ بِـهِ هَـوَازِنُ أَيْـبَـسُ
حَـتَّـى تَـرَكْـنَـا جَمْعَهُمْ وَكَـأَنَّـهُ ... عَـيْـرٌ تَـعَـاقَـبَـهُ الـسِّـبَـاعُ مُـفَـرَّسُ

وقال عباس بن مرداس أيضاً:

نَـصَـرْنَـا رَسُـولَ الله مِـنْ غَـضَـبٍ لَـهُ ... بِـأَلْـفِ كَـمِـيٍّ لاَ تُـعَـدُّ حَـوَاسِـرُهْ
حَمَلْنَا لَهُ فِي عَامِلِ الرُّمْحِ رَايَةً ... يَزُودُ بِهَا في حَوْمَةِ المَوْتِ نَاصِرُهْ
وَنَحْنُ خَضَبْنَاهَا دَماً فَهْوَ لَوْنُهَا ... غَدَاةَ حُنَيْنٍ يَوْمَ صَفْوَانُ شَاجِرُهْ
وَكُـنَّـا عَـلَـى الإِسْلاَمِ مَيْمَنَةً لَـهُ ... وَكَـانَ لَـنَـا عَـقْـدُ الـلِّـوَاءِ وَشَـاهِـرُهْ
وَكُـنَّـا لَـهُ دُونَ الـجُـنُـودِ بِـطَـانَـةً ... يُـشَـاوِرُنَـا فِـي أَمْـرِهِ وَنُـشَـاوِرُهْ
دَعَـانَـا فَـسَـمَّـانَـا الـشِّـعَـارَ مُـقَـدَّماً ... وَكُنَّا لَهُ عَوْناً عَلَى مَنْ يُنَاكِرُهْ
جَـزَى الله خَـيْـراً مِـنْ نَـبِـيٍّ مُـحَـمَّـداً ... وَأَيَّـدَهُ بِـالـنَّـصْـرِ والله نَـاصِـرُهْ

«وقال عباس بن مِرْدَاسٍ أيضاً»:

مَـنْ مُـبْـلِـغُ الأَقْـوَامِ أَنَّ مُـحَـمَّـدَا ... رَسُـولَ الإِلَـهِ رَاشِـدٌ حَـيْـثُ يَمَّـمَـا
دَعَـا رَبَّـهُ وَاسْـتَـنْـصَـرَ الله وَحْـدَهُ ... فَـأَصْـبَـحَ قَـدْ وَفَّـى إِلَـيْـهِ وَأَنْـعَـمَـا

سَرَيْنَا وَوَاعَدْنَا قُدَيْداً مُحَمَّداً يَؤُمُّ بِنَا أَمْراً مِنَ اللهِ مُحْكَمَا
تَمَادَوْا بِنَا فِي الفَجْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا مَعَ الفَجْرِ فِتْيَاناً وَغَاباً مُقَوَّمَا
عَلى الخَيْلِ مَشْدُوداً عَلَيْنَا دُرُوعُنَا وَرَجْلاً كَدُفَّاعِ الأَتِيِّ عَرَمْرَمَا
فَإِنَّ سَرَاةَ الحَيِّ إِنْ كُنْتَ سَائِلاً سُلَيْمٌ وَفِيهِمْ مِنْهُمُ مَنْ تَسَلَّمَا
وَجُنْدٌ مِنَ الأَنْصَارِ لاَ يَخْذُلُونَهُ أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَهُ مَا تَكَلَّمَا
فَإِنْ تَكُ قَدْ أَمَّرْتَ فِي القَوْمِ خَالِداً وَقَدَّمْتَهُ فَإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَا
بِجُنْدٍ هَدَاهُ اللهُ أَنْتَ أَمِيرُهُ تُصِيبُ بِهِ فِي الحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا
حَلَفْتُ يَمِيناً بَرَّةً لِمُحَمَّدٍ فَأَكْمَلْتُهَا أَلفاً مِنَ الخَيْلِ مُلْجَمَا
وَقَالَ نَبِيُّ المُؤْمِنِينَ تَقَدَّمُوا وَحُبَّ إِلَيْنَا أَنْ تَكُونَ المُقَدَّمَا
وَبِتْنَا بِنَهْيِ المُسْتَدِيرِ وَلَمْ تَكُنْ بِنَا الخَوْفُ إِلاَّ رَغْبَةً وَتَحَزُّمَا
أَطَعْنَاكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَحَتَّى صَبَحْنَا الجَمْعَ أَهْلَ يَلَمْلَمَا
يَضِلُّ الحِصَانُ الأَبْلَقُ الوَرْدُ وَسْطَهُ وَلاَ يَطْمَئِنُّ الشَّيْخُ حَتَّى يُسَوَّمَا
لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى تَرَكْنَا عَشِيَّةً حُنَيْناً وَقَدْ سَالَتْ دَوَامِعُهُ دَمَا
سَمَوْنَا لَهُمْ وِرْدَ القَطَا زَفَّهُ ضُحًى وَكُلٌّ تَرَاهُ عَنْ أَخِيهِ قَدِ احْجَمَا
إِذَا شِئْتَ مِنْ كُلٍّ رَأَيْتَ طِمِرَّةً وَفَارِسَهَا يَهْوِي وَرُمْحاً مُحَطَّمَا
وَقَدْ أَحْرَزَتْ مِنَّا هَوَازِنُ سَرْبَهَا وَحُبَّ إِلَيْهَا أَنْ نَخِيبَ وَنُحْرَمَا

تنبيهات

الأول: قال أهل المغازي: خَرَجَ رسولُ الله - ﷺ - إلى حُنَيْن لستٍّ خَلَت مِنْ شوال، وقيل: لليلتين بقيتا من رمضان، وجمع بعضهم بأنه بدأ بالخروج من أواخر رمضان، وسَارَ سادس شوَّال، وكان وصولُه إليها في عاشره.

قال في زاد المعاد: كان الله - تعالى - قد دعا رسولَ الله - ﷺ - وهو الصَّادق الوعد - أنه إذا فَتح مكَّة دَخَل النَّاسُ في دينه أفواجاً، ودانت له العرب بأسرها، فلمَّا تَمَّ له الفتحُ المبينُ، اقتضتْ حكمةُ الله - تعالى - أن أَمْسك قلوب هَوَازن ومن تبعها عن الإسلام وأن يتجمَّعوا ويتأهبوا لِحَرْبِ رسولِ الله - ﷺ - والمسلمين، ليظهَرَ أَمْرُ الله - سبحانه وتعالى - وتمامُ إعزازه، لرسوله - ﷺ - وَنَصْرُهُ لدينه، ولتكون غنائمهم شُكراً لأَهل الفتح؛ ليظهر الله رسولهُ وعبادُه وقهرُه لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلْقَ المسلمون مثلَها؛ فلا يقاومهم بعْدُ أَحدٌ من العرب. ويتبين ذلك من الحكم الباهرة التي تلوح للمتأملين واقتضت حكمتُهُ

- تعالى - أَن أذاق المسلمين أَولا مرارة الهزيمة والكَبوةَ مع كثرة عَدَدِهم وَعُدَدِهم وقُوَّةِ شوكتهم لِيطَأَ مِنْ رؤُوسٍ رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسولُ الله - ﷺ - واضعاً رأسه مُنْحَنِياً على فرسه، حتَّى إِنَّ ذقنه تكاد أَن تمسَّ سرجه تواضعاً لربه تبارك وتعالى، وخُضوعاً لعظمته، واستكانةً لعزته أَن أَحَلَّ له حرمةَ بلده، ولم يحله لأَحد قبله، ولا لأَحد بعده، وليبيِّنَ عزَّ وجلّ لمن قال: لن نُغْلَبَ اليومَ من قِلَّة أَن النَّصر إِنما هو من عنده، وأَنه من ينصره فلا غالب له، ومن يخذله فلا ناصر له غيره، وأَنه - تعالى - هو الذي تولَّى نصرَ رسوله ودينه لا كَثْرَتَكُمْ التي أَعجبتكم، فإِنها لم تغن عنكم شيئاً فولَّيتُم مُدْبرين فلما انكسرت قُلُوبهم أَرسلت إِليها خِلَع الجَبْر مع مزيد ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة ٢٦] وقد اقتضَتْ حكمته - تبارك وتعالى - أَنَّ خِلَعَ النَّصر وجوائزه إِنما تفضي على أَهل الانكسار ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص ٥، ٦].

الثاني: وافتتح الله - سبحانه وتعالى - غزْو العربِ بغزوةِ بدْر، وختم غَزْوهم بغزوة حُنَيْن، ولهذا يُقْرِنُ هاتين الغَزَاتَيْن بالذكر فيقال «بدر وحنين» وإِن كان بينهما سبع سنين والمَلائكةُ قاتلت بأَنفسها مع المسلمين بهاتين الغَزَاتين، والنبي - ﷺ - رمى وُجوه المشركين بالحصا فيهما، وبهاتين الغزاتين طفئت جمرةُ العرب لِغزْوِ رسول الله - ﷺ - والمسلمين، فالأُولى خوفتهم وكسرت من حدتهم. والثَّانية: استفرغت قواهم، واستنفدت سهامهم، وأَذلت جَمْعَهم، حتَّى لم يجدوا بُداً من الدُّخول في دين الله - تعالى - وجبر الله تبارك وتعالى أَهْلَ مكَّة بهذه الغَزْوة، وفرَّحهم بِمَا نَالُوا من النّصر والمغْنَم، فكانت كالدّواء لِمَا نالهم من كَسْرِهم، وإِن كَان عَيْنُ جَبْرِهم وقَهْرِهم تمامُ نعمتِه عليهم بما صرفه عنهم من شرِّ مَنْ كان يُجَاورهُم من أَشراف العرب منْ هوازن وثقيف، بما أَوقع بهم من الكسْرة، وبما قيَّض لهم من دُخولهم في الإِسلام، ولولا ذلك ما كان أَهْلُ مكَّة يطيقون مُقاومة تلك القبائِل مع شِدَّتها. ومن تمام التوكُّل استعمال الأَسباب التي نصبها الله سبحانه وتعالى لمسبباتها قدرا وشرعا فإِن رسول الله - ﷺ - أَكمل الخَلْقِ توكُّلاً، فقد دخل مكَّة والبيضةُ على رأْسه، ولَبِس يوْم حُنَين دِرْعين، وقد أَنزل الله - سبحانه وتعالى ﴿واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة ٦٧] وكثيرٌ ممن لا تحقيق عنده يستشكل هذا ويتكايس في الجواب، تارةً بأَنَّ هذا فعله - ﷺ - تعليماً لأُمَّته، وتارةً بأَنَّ هذا كان قبل نزول الآية!! لو تأَمل أَن ضمان الله - سبحانه وتعالى - له العصمة لا ينافي تعاطيه لأَسبابها فإِنَّ هذا الضمان له من ربِّهِ - تبارك وتعالى - لا يُنافي احتراسه من الناس ولا يُنافيه، كما أَن إِخبار الله - عز وجل - له بأَنه يُظهره على الدِّين كله ويُعليه، لا يُناقِضُ أَمره

بالقتال، وإعداد العُدة والقُوَّة، ورباط الخيل، والأخذ بالجدِّ والحذر، والاحتراس من عدوه، ومحاربته بأنواع الحرب، والتورية، فكان إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها، وذلك لأنه إخبارٌ من الله - تعالى - عن عاقبة حاله ومآله فما يتعاطاه من الأسباب التي جعلها الله - تعالى - بحكمته موجبة لِمَا وعده به من النَّصْر والظَّفر، وإظهار دينه وغلبته عدوَّه انتهى.

الثالث: اختلف العلماء في العارية هل تُضمن إذا تَلِفَت، فقال الشافعي وغيره يضمن، وقال أَبو حنيفة وغيره: لا يضمن، وفي بعض طُرقِ الحديث «بَلْ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ»، وقد اختلفوا في هذا القيد وهو مضمونة، أَنه صفةٌ مُوضِّحَة أَو مُقَيِّدَة، فمن قال بالأَول قال: تضمن، ومن قال مقيدة قال: لا إلا بشرط، قاله في النُّور.

الرابع: تضَمَّنَ قولُ السَّائِلُ لِلْبَرَاء في الرواية الثانية أَوَلَّيتُم مع رسول الله - ﷺ - وفي الثالثة أفررتُم مع رسول الله - ﷺ - وقول البراء رضي الله عنه - فأشهد على رسول الله - ﷺ - أنه لم يَوُلِّ، وقوله في الرِّوايةِ الثانية «لكِنَّ رَسُولَ الله - ﷺ - لم يقر إثبات الفرار، لكن لا على طريق التعْمِيم، وأراد أَنَّ إطلاق السَّائل يشمل الجميع حتَّى النبي - ﷺ - بظاهر الرِّواية الثانية، ويمكن الجمع بين الثَّانية والثَّالثة بحمل المعية على ما قبل الهزيمة فبادر إلى آستثنائه، ثم أَوضح ذلك وختم حديثه بأَنه لم يكن أَحدٌ يومئذ أَشد من رسول الله - ﷺ - ويحتمل أَن البراء فَهِمَ أَنَّ السائل آشتبه عليه حديث سلمة بن الأَكوع، ومررتُ برسولِ الله - ﷺ - مُنْهزِماً، فلذلك حَلَفَ البراء أَنَّ النبي - ﷺ - لم يُوَلِّ، ودلّ ذلك على أَن مُنْهَزِماً حال من سَلَمَة، ولهذا وقع في طريق أُخرى «ومَرَرْتُ عَلَى رَسُول الله - ﷺ - مُنْهَزِماً وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ» فقال: لقد رأَى ابن الأَكوع فزعاً، ويحتمل أَن يكون السائل أَخذ العُمُومَ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة ٢٥] فبيّن البراء أَنه من العُمُوم الَّذي أُريد به الخُصُوص.

الخامس: يجمع بين قوْل أَنس - رضي الله عنه -: بقي رسولُ الله - ﷺ - وحده وبين الأَخبار الدَّالة أَنه بقي معه جماعة بأَن المراد بقي وحده متقدماً مُقْبلاً على العدو، والذين ثبتوا كانوا وراءه، أَو الوحدة بالنسبة لمباشرة القتال، وأَبو سفيان بن الحارث وغيره كانوا يخدمونه في إمساك البَغْلة، ونحو ذلك.

السادس: لا تخالفُ بين قول ابن عمر، لم يبْق مع النَّبي - ﷺ - مائة رجلٍ، وبين قوْلِ آبن مسعود، ثبت مع رسول الله - ﷺ - ثمانون من المهاجرين والأَنصار فإن ابن عمر نفى أَن يكونُوا مائة، وابن مسعود أَثبت أَنهم كانوا ثمانين.

وذكر النووي أَن الَّذين ثبتوا مع رسولِ الله - ﷺ - آثنا عشر رجُلاً، ووقع في شعر

العبَّاسِ بن عبد المطلب - رضي الله عنه - أَن الذين ثبتوا معه كانوا عشرةً فقط، وذلك لقوله:

نَصَرْنَا رَسُولَ الله فِي الحَرْبِ تِسْعَةً ... وَقَدْ فَرَّ مَنْ قَدْ فَرَّ عَنْهُ فَأَقْشَعُوا

وَعَاشِرُنَا لاَقَى الحِمَامَ بِنَفْسِهِ ... لِمَا مَسَّهُ فِي الله لاَ يَتَوَجَّعُ

قال الحافظ: ولعلَّ هذا هو الأَثبت، ومن زاد على ذلك يكون عجلَ في الرجوع فعُدَّ فيمن لم ينهزم.

السابع: البغلةُ البيضاء: وفي مُسْلم عن سَلَمة بن الأَكوع الشهباء التي كان عليها يومئِذٍ أَهداها له فَرْوَة - بفتح الفاء، وسكون الراء، وفتح الواو، وبالهاء ابن نُفَاثة بنون مضمومة ففاء مخففة فأَلف فثاء مثلثة، ووقع في بعض الرِّوايات عند مُسلم فروة بن نعامة بالعين والميم، والصحيح المعروف الأَول، ووقع عند ابن سعد وتبعه جماعة مِمَّن أَلَّفَ في المغازي أنه - ﷺ - كانَ على بغلته دُلْدُل، وفيه نظر، لأَنَّ دُلْدُل أَهْداها له المُقَوْقِس. قال القطب: ويحتمل أَن يكون النبي - ﷺ - ركب يومئذٍ كُلاً من البغلتين، وإِلاَّ فما في الصَّحيح أَصح.

الثامن: قال العلماء: ركوبه - ﷺ - البغلة يومئذ دلالة على النهاية في الشجاعة والثبات، لأَن رُكُوبَ الفحولة مظِنَّةُ الاستعداد للفرار والتولِّى، وإِذا كان رأْسُ الجيش قد وَطَّن نفسه على عدم الفِرار والأَخذ بأَسباب ذلك كان ذلك أَدعى لاتباعه.

التاسع: وقع في الصحيح حديث البراء وأَبو سفيان ابن عمه يقودُ به، وفي حديث العباس أَنه كان آخذاً بلجام رسولِ الله - ﷺ - وأَبو سفيان آخِذٌ بركابه، ويجمع بأَن أَبا سفيان كان آخذاً أَولا بزمام البغلة، فلما ركضها رسولُ الله - ﷺ - إِلى جهة الكفار خَشِي العبَّاس وأَخذ بلجامِ البَغْلَة يكُفُّها، وأَخذ أَبو سُفيان بالركاب وترك اللِّجام للعباس إِجْلالاً له لأَنه كان عمه.

العاشر: وقع في حديث ابن عبد الرحمن الفهري - رضي الله عنه - أَنَّ رسولَ - ﷺ - اَقتحم عن فرسه «فأَخذ كَفاً منْ تُراب» انتهى قلتُ: وهي رواية شاذة، والصحيح أَنه - ﷺ - كان حينئذ على بغلة.

الحادي عشر: في قوله - ﷺ - «أَنَا النَّبِيُّ لا كذِب» إِشارة إِلى صفة النُّبوة يستحيل معها الكذب، وكأَنَّه - ﷺ - قال: لأَنا النبي، والنبي لا يكذب، فلستُ بكاذبٍ فيما أَقول حتى أَنهزم، وأَنا متيقن أَنَّ الذي وعدني به الله من النصر حق فلا يجوز عليَّ الفرار، وقيل معنى قول «لا كَذِب» أَي أَنا النبي حَقاً لا كذب في ذلك.

الثاني عشر: قوله - ﷺ - أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِب» بسكون الموحَّدة من كذب وهذا وَإِنْ وقع موزوناً لا يُسَمَّى شِعْراً لأَنه غير مقصود كما سيأْتي بسطُ ذلك في الخصائص.

الثالث عشر: انتسب - ﷺ - إلى عبد المطلب دُون أَبيه عبد اللّه لشهرة عبد المطَّلب بين النَّاس لِمَا رُزِقَ مِنْ نَبَاهَةِ الذِّكر وطُولِ العُمُر، بخلاف عبد اللّه فإنه مات شاباً ولهذا كان كثيرٌ من العرب يدعونه ابن عبد المطلب كما في حديث حماد في الصحيح وقيل لأَنه كان اشتهر بين الناس أَنه يخرج من ذرية عبد المطلب. رجل يدعو إلى الله ويهدي الله - تعالى - الخلق على يديه، ويكون خاتم الأَنبياء، فآنتسب ليتذكر ذلك من كان يعرفه، وقد آشتهر ذلك بينهم، وذكره سيفُ بن ذِي يزن قديماً لعبد المطلب قبل أَن يتزوَّج عبد اللّه آمنة وأَراد - ﷺ - تنبيه أَصحابه بأَنه لا بُدَّ من ظهوره، وإن العاقبة له لتقوى قلوبهم إذا عرفوا أَنه - ﷺ - ثابت غير منهزم.

الرابع عشر: في إشهاره - ﷺ - نفسه الكريمة في الحرب غاية الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو.

الخامس عشر: في تقدمة - ﷺ - قِبَل الكفار نهاية الشجاعة، وفي نزوله - ﷺ - عن البغلة حين غشوة مبالغة في الثَّبات والشَّجاعة والصبر، وقيل: فعل ذلك مواساةً لمن كان نازلاً على الأَرض من المسلمين.

السادس عشر: في حديث سلمة بن الأَكوع وغيره «أَن رسولَ الله - ﷺ - نَزَلَ عن البَغْلَة ثُم قَبضَ قَبْضَةً من تُراب» إلخ. وفي حديث ابن مسعود أَن رَسُولَ - ﷺ - قال له حين آنهزم أَصحابه «نَاوِلْنِي كَفًّا مِنْ تُرَاب» فناوله، وفي حديث ابن عباس عن البراء أَن علياً نَاولَ رسولَ الله - ﷺ - التُّراب فرمى به في وُجُوهِ الكُفَّار، والجمع بين ذلك أَنَّ النبي - ﷺ - أَولا قال لصاحبه «نَاوِلْنِي» فناوله، فرماهم، ثم نزل عن البَغْلَة فأَخذ بيده فرماهم أَيضاً، فيحتمل أَن الحصى في إحدى المرتين وفي الأُخرى التُّراب، وأَن كُلاً ممن ذُكِر نَاوَله.

السابع عشر: في رَمْيه - ﷺ - الكفارَ، وقوله: «انْهَزِمُوا وَرَبُّ الكَعْبَة» إلخ، معجزتان ظاهرتان لرسُولِ الله - ﷺ - إحداهما فَعْلِيَّة، والأُخرى خبرية، فإنه - ﷺ - أَخبر بهزيمتهم ورماهم بالحصى فولوا مدبرين. وفي رواية اسْتَقْبل وُجُوهَهُم فقال «شَاهَت الوُجُوه». وهنا أَيضاً معجزتان فعلية وخبرية.

الثامن عشر: في قول العباس: فوالله لكأَن في عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أَولادها. إلخ دليل أَنَّ فرارهم لم يكن بعيداً.

التاسع عشر: في عَقْرِ عليٍّ - رضي الله عنه - بَعِيرَ حَامِلِ رَايَة الكُفَّار دليلٌ على جواز عقْر فَرَسِ العدُو ومركوبه إذا كان ذلك عوناً على قتله.

العشرون: في انتظارِ رسُولِ الله - ﷺ - بقسم غنائِم هَوَازِن إسلامهم جواز آنتظَار

الإمام بقسم الغنائم إِسلام الكفار ودخولهم في الطاعة فيه وردِّه عليهم غنائمهم ومتاعهم.

الحادي والعشرون: اتفقوا على أنه لا يُقبَلُ قول من آدَّعى السَّلب إلاَّ بِبَيِّنة تشهد له. ونقل ابن عطِيَّة عن أكثر الفقهاء أَنَّ البَيِّنَةَ هُنَا شاهدٌ واحدِ يكتفي به.

الثاني والعشرون: قال في العيون أَخْذاً من الرَّوْضِ فِرَارُ من كان معه ـ ﷺ ـ يوم حُنَيْن قد أَعْقبه رجوعهم إِليه بسرعة وقتالهم معه حتى كان الفتح، وفي ذلك نزل ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة ٢٥: ٢٧] كما قال فيمن تَوَلّى يوم أُحد (وَلَقَد عَفَى الله عَنْهُم) إن آختلف الحال في الوقعتين. وقال الحافظ: العذر لمن آنهزم من غير المؤلفة أَن العدوّ كانُوا ضِعْفَهم في العدد وأَكثر من ذلك، وكذا جزم في النور بأَنَّ هَوَازن كانوا أَضعاف الَّذين كانُوا معه ـ ﷺ.

الثالث والعشرون: في بيان غريب ما سبق:

حُنَين ـ بحاء مهملة ونون مصغر: واد إِلى جنب ذِي المجاز قريب من الطائِف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا، قال أَبو عبيد البكري سمي باسم حنين بن قانية بن مهلائيل. والأَغلب عليه التذكير، لأَنَّه اسم ماء. وربما أَنثه العرب؛ لأَنه اسم لِلْبُقْعَة. فسُمِّيَتْ الغزوةُ بآسْمِ مَكَانِهَا.

هَوَازِن ـ بفتح الهاء وكسر الزَّاي، قبيلة كبيرةٌ من العرب، فيها عدة بطون، وهي: هَوَازِن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة ـ بخاء معجمة فصاد مهملة ففاء مفتوحتان ـ بن قيس عَيْلاَن ـ بعينِ مهملة، بن إِلياس بن مُضر أَبو الزِّنادَ ـ بكسرِ الزَّاي، وبالنُّون؛ وبالدَّال المهملة.

ثَقِيفٌ ـ بثاء مثَلَّثةٍ بوزن أَمير: اسمه قَسِيٌّ ـ بفتح القَافِ وكسْرِ السِّين المهلمة وتشديد الياء ـ بن مُنَبِّه بن بكر بن هَوَازِن بن منْصُور بن عِكرمَة بن خَصَفَة ـ بفتح الخاء المعجمة، والصَّاد المهملة، وبالفاء ـ ابن قيْس عَيلان.

أَشْفَقُوا: خافوا.

لاَ نَاهِيَة له: أَي نهي: أَي مانع.

حَشَدُوا: اجتمعوا.

أَجْمَعُوا أَمرا: أَي عزموا عليه.

نَصْر ـ بفتح النون، وسكون الصاد المهملة، وبالراء: اسم قبيلة.

جُشَم ـ بضم الجيم وفتح الشين المعجمة: لا ينصرف للعلمية والعدل عن جَاشِم: أَبو قبيلة كبيرة؛ وهو مُعاوِيةُ بنُ بكر بن هوازن بن قيس عَيْلاَن ـ بفتح المهملة؛ لقب قيس باسم عبد كان يملكه، وقيل باسم فرس له

كعب وكلاب بن أَبي براء ـ بفتح الموحدة وتخفيف الراء وبالمد. وحكى القصر.

ناوأَه: عاداهُ.

دُرَيْد ـ بضمّ الدّال المهملة، وفتح الرّاء، وسكون التحتية وبالدال المهملة.

الصِّمَة ـ بكسرِ الصَّادِ المهملة، وتشديد الميم ـ واسمه؛ الحارث بن بكر أَو ابن الحارث بن بكر بن علقمة بن معاوية بن بكر هوازن الجُشَمي ـ بضم الجيم وفتح الشين ـ من بني مِحْرَبَ ـ بكسر الميم وإِسكان الحاء المهملة ثم راء مفتوحة ثم موحدة يقالُ رجلٌ مِحْرَب ـ بكسر الميم: صاحب حروب

أَوْطَأَ العَرَب: علاهم وقهرهم.

أَجلى يهود: أَخرجهم.

الذُّل ـ بضمّ الذَّال المعجمة: الضعف والهوان.

الصَّغَارُ ـ بفتح الصَّاد المهملة: الضيم.

يومك هذا له ما بعده.

طَوَى عَنْه الخَبر: كتمه.

الظُّعُن ـ بضمّ الظاء المعجمة المشالة، والعين المهملة.

أَوْطاس ـ بفتح أَوله وسكون الواو وبالطاء والسين المُهملتين: واد في ديار هوازن، والصحيح أَنه غير وادي حُنَيْن، وسيأْتي بيانُ ذلك في السَّرايا.

عَسْكَر ـ مَوضِع كَذَا: جمع عسكره به.

الأَمْدَاد: جمع مَدَد بفتحتين، وهو الجيش.

الشِّجار ـ بكسر الشِّين المعجمة وبالجيم والراء: مَرْكَبٌ مكشوف دون الهودج. ويقال له شجر أَيضاً.

مَجَالُ الخَيْل ـ بفتح الميم، وبالجيم المخففة، وباللاَّم.

الحَزْن ـ بفتح الحاء المُهملة، وسكونِ الزّاي، وبالنّون: ما غُلظَ من الأَرض

الضِّرْس ـ بِكَسْرِ الضَّادِ المعجمة، وسكونِ الرّاء، وبالسِّين المهملة: الأَكمة الخشنة، وفي الإِملاء: هو الموضع فيه حجارة مُحدّدة.

السهلُ: ضد الحَزْن.

دَهَس ـ بفتح الدَّال المهملة، والهاء، وبالسِّين المهملة. والدهاس مثل اللَّيْث واللَّباث:

المكانُ السّهل اللَّيِّن الذي لا يبلغُ أَن يكونَ رَمْلاً وليس هو بتراب. ولا طين، وفي الإملاء: ليِّن كثير التراب.

رُغَاءُ الإبل - بضم الراء وبالغين المعجمة والمد: صوتها.

نُهَاقُ الحمير بضم النون وتخفيف الهاء وبالقاف: صوتها.

يُعَارُ الشَّاء - بضمِّ التَّحتية وبالعين المهملة المخففة وبالراء: صوتها.

خُوَارُ البَقَرِ - بضمِّ الخاء المعجمة، وبالواو والراء: صوتها.

ولِمَ - بفتح الميم: على الاستفهام.

فَأَنْقَض به - بفتح الهمزة، وسكون النون، وفتح القاف، وبالضَّاد المعجمة السَّاقطة قال في الرَّوض: صوَّت بلسانه من فيه، من النقيض وهو الصَّوْت، وقيل: الإنقاضُ بالإصبع الوُسْطى والإبهام كأَنه يدفع بهما شيئاً، وفي الإملاء، أَي زجره كما تزجر الدابة، والإنقاض للدابة أَن تلصق لسانك بحنكك الأَعلى وتصوت به.

راعي ضَأْنٍ: يُجَهِّلُه بذلك.

فُضِحَ - بالبناء للمفعول.

البيضة هنا - الجماعة، وبيضة الثانية بالجر بدلاً من الأُولى.

عُليا - بضمِّ العين المهملة مقصور.

مُمْتَنِع - بضمِّ الميم الأُولى، وسكونِ الثَّانية وفتح الفوقية، وكسر النون وبالعين المهملة.

الصُّبَّاء - بضمِّ الصَّادِ المهملة، وتشديد الموحدة، قال في الإملاء: جمعُ صابئ؛ وهم المسلمون عندهم كانُوا يسمونهم بهذا الاسم لأَنهم صبئوا من دينهم أَي خرجوا وقال في النُّور: أَي الَّذين يشتهون الحرب ويميلون إليها، ويحبون التَّقدُّم فيها والبراز: قاله في النهاية.

المُتُون - جمع مَتْن: الظَّهر.

بين أَضعاف الخيل: بين أَثنائها أَو متقدمة دريئة.

أَلفاكَ ذلك - بالفاء أَي وجدك أَو صادفك.

كَبِرَ عَقْلُك - بكسر الموحدة: يشير إلى أنه قد خَرِف.

الجَذَعُ - بفتح الجيم، والذَّالِ المعجمة، وبالعين: ما قبل الثَّنى، والجمع جذعان وجِذَاع مثل جبل وجِبال، والأُنثى جذعة، والجمع جِذْعات - بضم الجيم وكسرها: أَي يا ليتني في هذه الحرب جَذَع؛ أَي شاب.

الخَبَبُ: ضربٌ من السَّير وهو خطوٌ فسيحٌ دون العَنَق.

الوضَعُ: ضربٌ من السَّير وهو الإسراع، قال الفراء: هو مثل الخَبَب.

الوَطْفاء بفتح الواو وبطاء مهملة ساكنة وبالفاء والمد: الطويلة الشعر.

الزَّمَع ـ بفتح الزَّاي، والميم، وبالعين المهملة: الشعر الذي فوق مربط قيد الدَّابة؛ يريدُ فرساً صفتها كذا، وهو محمودٌ في وصف الخيل.

الشَّاةُ ـ هنا الوَعْل ـ بفتح الواو، وكسر العين المهملة، وتُسَكّن، وباللام: ذكر الأَرْوى وهي الشَّاة الجبلية والجمع: وُعُول مثل: فلس وفلوس، والأُنثى: وعِلة ـ بكسر العين، وسكونها، والجمع: وعَال، مثل كلبةٌ وكِلاَب.

صَدَع ـ بفتح الصَّاد، والدَّال، وبالعين المهملات: وصفٌ للوعل، وهو الوسط منها، وليس بالعظيم ولا الصَّغير، ولكنَّه وعلٌ بين الوعلين.

الحَدّ ـ بفتح الحْاء وبالدال المهملة: المنع.

الجد ـ بجيمٍ مكسورة: الشَّجاعة والجُرأة.

يوم عَلاء ـ بفتح العين المهملة وبالمد ـ الرفعة، وإنَّما عطفها عليه لاختلاف اللفظ.

ذانك: تثنية ذا اسم إشارة.

الجذعان: تثنية جذع، يريدُ أنَّهما ضعيفان في الحرب بمنزلة الجذع في سنه

الكَمِينُ: الجيشُ المستخفي في مَكْمَن ـ بفتح الميمين ـ بحيث لا يُفْطَن به ثم ينهضُ على العدوّ وعلى غفلة منهم، وجمعه كُمَنَاء، كأَمير وأُمراء، يقال كَمَن كُمُوناً، من باب قَعَدَ قُعُودا: توالى واستخفى.

كَرَّ ـ بفتح الكاف والراء المشددة: رجع.

الحملَةُ لَك: الغلبة.

لم يُفْلِت ـ بضمِّ التحتية وسكون الفاء.

مقدِمة الجيش ـ بكسر الدال وقد تفتح: الجماعة تتقدمه.

بنو سُلَيْم: بالتصغير.

يُنَحّى يُعْدَل به.

السَّنَن ـ بفتح السين المهملة والنون الأُولى: الطريق.

شرح غريب استعماله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عتابا، واستعارته من صفوان بن أمية أدرعا، وبعثه عبد الله بن أبي حدرد، وخروجه للقاء هوازن

عَتَّاب ـ بفتح العين المهملة، والفوقية المشددة، وبالموحدة.

أَسِيد ـ بالسّين والدَّالِ المهملتين وزن أَمير.

أَجْمَعَ السَّيْرَ: عزم عليه.

ذُكِرَ له: بالبناء للمفعول.

أَعِرْنَا ـ بفتح أَوله.

أبو حَدْرَد ـ بمهملات كجعفر، واسمه سلامة بن عمير.

الخِبَاء ـ بكسر الخاء المعجمة ككتاب: واحدُ الأَخبية من وَبَر أَو صوف، ولا يكونُ من شعر، وهو على عمودين أَو ثلاثة، وما فوق ذلك فهو بيت.

الأَغْمَارُ ـ بفتح أَوله، وبالغين المعجمة: جمع غمر بضمتين وتسكن الميم: وهو الرَّجُل الَّذي لم يجرِّب الأمور.

الجُفُون ـ بضمِّ الجيم: جمع جَفْن ـ بفتح الجيم، وهو هُنا غلافة السَّيف، وقد يُجمع على أَجفان.

الخَيْف ـ بفتحِ الخاء المعجمة، وسكون التحتية وبالفاء، وهو في الأَصل المُنْحَدَر من غلظ الجبل، قد ارتفع من مسيل الماء، فليس شرفاً ولا حضيضاً.

كنانَة ـ بكسر الكاف، وبِنُونين مخفَّفاً.

تَقَاسَمُوا: تحالفوا وتعاهدوا

جُهَيْنَة ـ بالجيم: مُصَغَّر.

مُزَيْنَةَ: مصغر، بالزَّاي والنُّون.

أَسْلَم بهمزةٍ مفتوحة، فسين مهملة ساكنة، فلام مفتوحة، فميم

غِفَار ـ بكسرِ الغين المعجمة وبالفاء.

أَشجع ـ بفتح أَوله، وبالشِّين المعجمة، والعين المهملة: الجميع أَسماء قبائل.

الطُّلَقاء ـ بضمِّ الطَّاء المهملة، وفتح اللاَّم: الذين أَسلموا يوم فتح مكَّة من أَهلها مِمَّنْ غلبهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ وأَطلقهم أَو خَلَّى سبيلَهُم

دَنَا: قَرُبَ.

بَدَأَ بكذا: قدمه.

كَبَتَ اللهُ عَدُوَّك: أخزاه وأَذلَّه وصرفه وغاظه وأَهلكه.

لم يغادر: لم يترك.

النُّظَّار ـ بضم النون: جمع ناظر.

الصَّدمة ـ بفتح الصاد المهملة.

أَوْقرَ بَعِيْرَه: حَمَّلهُ.

ذات أَنواط: شجرة عظيمة قربَ مكة، كانت الجاهلية تأتيها كل سنة تعظمها وتعلِّقُ عليها سلاحها ويذبح عندها. يقالُ ناط الشَّيء ينوطه نوطاً علَّقه، وكل ما عُلِّق من شيء فهو نَوط ـ بفتح النُّون، والجمع: أَنواط؛ وهي المعاليق.

يعكُفُونَ عَلَيْهَا: يلزمونها ويُوَاظِبُونَ على خدمتها.

الحَذْو ـ بفتح الحاء المهملة، وسكون الذَّال المعجمة.

القَذْر ـ بفتح القاف، وسكون الدَّال.

القِذَّةُ بالقِذة ـ بكسرِ القاف فيها أَخص من القِدِّ: وهو سير يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ.

أَطنبوا السَّير: بالغُوا فيه.

عن بَكْرة أَبيهم ـ بفتح الموحدة، وسكون الكاف: هذه كلمةٌ للعرب يُريدون بها الكثرة وتوفُّر العَدَد، وأَنهم جاؤُوا جميعاً لم يتخلف منهم أَحد، وليس هناك بكرة في الحقيقة؛ وهي الَّتي يُستقى عليها الماء، فآستعيرت في هذا الموضع.

أَبُو مَرْثَد ـ بفتح الميم، وسكون الرَّاء، وبفتح الثَّاء المثلثَّة، وبالدَّال المهملة.

نُغَرِّن ـ بضم النون وفتح الغين المعجمة والراء المشددة.

قِبَلكَ ـ بكسر القاف، وفتح الموحدة، واللاَّم: أَي من جهتك.

ثَوَّبَ بالصَّلاَةِ: التَّثويبُ هُنا إِقامةُ الصَّلاَة، والأَصلُ في التَّثْوِيب أَن يجيء الرَّجُلُ مستصرخاً فيلوح بِثَوْبه لِيُرى ويَشْتَهر، فسُمِّيَ الدُّعَاء تَثْوِيباً لذلك، وكلُّ داع مُثوِّب، وقيل إِنَّما سُمِّي تثويباً من ثاب يثوبُ إِذا رجع، فهو رجوعَ ـ إِلى الأَمر بالمبادرة إِلى الصلاة؛ فإِن المؤذِّنَ إِذا قال حي على الصَّلاة، فقد دعاهم إِليها، فإِذا قال بعده: الصَّلاةُ خيرٌ من النَّوم فقد رجع إِلى كلام معناه المبادرة إِليها.

خِلاَل الشَّجَر: أَي ٱلفُرَج بينها.

أَوْجَبْت: أَي عملت موجباً للجنَّة.

التِّبْيان: البيان.

سُليم ـ بضمِّ السِّين المهملة، وفتح اللاَّم، وسكون التحتية.

غَسَّان ـ بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة، قال النَّوَوِيُّ: المسموع في كتب [أَهل] الحديث ورواياتهم غير منصرف وذكره ابن فارس في باب غسن، وهذا تصريح بأَنه يجوز صرفه.

العِضَادَةُ ـ بكسرِ العين المهملة، وبالضَّاد المعجمة: جانب الشيء.

الأَجْرَبَان: سماهم بذلك تشبيهاً بالأَجرب الذي يغرَّب.

عَبْس ـ بفتح المهملة وسكون الموحدة: بطن من غطفان ومن الأَزد بن مراد.

ذُبْيَان ـ بضمِّ الذَّال المعجمة وكسرها من ذُبَيت شفته أَي ذبلت من العطش، وهو إِذا فعلان ينصرف للعلمية والزيادة «شمر سيفك» أَدخله في غمده «عيون المشركين» جمع عين وهو الجاسوس، يقال جسَّ الأَخبار وتجسسها تتبعها لأَنه يتبع الأَخبار ويفحص عن بواطن الأُمور، ثم استعير لنظر العين «تفرقت أَوصالهم»: أَي مفاصلهم جمع وصل بالكسر، وهو كل عظم على حدة لا يكسر ولا يخلط به غيره «الذعر» بضم الذال المعجمة: الخوف.

لم يُثْنِه الأَمر: لم يَرُده.

وَادٍ أَجْوَف: متسع.

خَطُوط ـ بخاء مفتوحة فطاء مضمومة، فواو ساكنة فطاء أُخرى مهملات منحدر، أَوعَز إِليه بالعَيْن المهملة والزَّاي: تقدم إِليه.

ربيع بن أَنس بلفظ اسم الشهرة.

بَنُو شَيْبَان ـ بفتح الشِّين المعجمة، وسكون التَّحتية، وبالموحَّدة، والنون: هو شيبان بن ذُهل، قبيلة من بكر بن وائل.

فَصَلَ مِنْ مَكَّة: خرج.

حِزَام ـ بالزَّاي والد حكيم، وكذا كل مكى قرشي، وحِرَام بالراء في الأَنصار.

شرح غريب ذكر كيفية الوقعة

مضايق ـ جمع مضيق.

عَمَايَة الصبح ـ بفتح العين المهملة وتخفيف الميم: بقية ظلمته.

شعابه ـ جمع شعب: وهو ما انفرج بين الجبلين.

أَجنابه: جوانبه.

رَاعَنَا: أفزعنا.

الكَتَائِبُ ـ بالفوقية جمع كتيبة: وهي الطائفة المجتمعة من الجيش

شدوا علينا: حملوا يقتلوننا.

سَوَادُ العَسْكَر: ما يشتمل عليه من الدّواب والمضارب وغيرهما.

الغَبَشُ ـ بفتح الغين المعجمة، وسكون الموحدة، وبالمعجمة: ظلامه.

إِن شعرنا: ما علمنا.

انكشف الخيل وتبعهم الناس منهزمين هذا مجاز، لم ينهزم كل الناس، ولا نعرف في موطن من المواطن أَن كل الناس انهزموا.

ما يلوون على شيء: لا يبقون عليه.

النَّقْع ـ بفتح النُّون، وسكون القاف: الغبار.

انحاز: إِلى كذا تنحّى إِليه.

هَلُمَّ إِلي: اسم فعل في لُغة الحجازيين فلا يَبْرُزُ فاعلها، وفعل في لغة تميم فيقولون هلمَّ وهلمِّي وهلمُّوا وهلممن.

الشُّبّان ـ بضم الشين: جمع شاب، وهو سن قبل الكهولة.

سَرعان الناس ـ بفتح السين والراء: أَوائلهم.

كأنَّها رِجْلُ جَرَاد بكسر الراء وسكون الجيم، الجماعة الكثيرة من الجراد خاصته، وهو جمع على غير لفظ الواحد.

أَطَنَّ قدمه بنصف ساقه: قطعها، يرادُ بذلك صوت القطع.

انْجَعَفَ: وقع.

اجْتَلَدَ الناس: تضاربوا بالسّيوف.

الجُفَاةَ ـ جمع جَاف: وهو الغليظ الطبع، والمرادُ هنا ـ والله أَعلم ـ من كان غليظاً على الإِسلام. ممَّن لم يتمكن الإِيمان في قلبه.

الضِّغْنُ ـ بكسرِ الضَّاد، وإِسكانِ الغين ـ المعجمتين ـ وبالنون ـ الضغينة بالفتح ـ وهما: الحقد.

الأَزْلاَمُ: القِدَاح الَّتي كانت في الجاهليَّة، واحدها زَلَم - بفتحات - عليها مكتوب الأَمر والنهي، إفعل ولا تفعل، كان الرَّجُلُ من المشركين يضعهَا في وعاء له، فإذا أَراد سفراً أَو زواجاً أَوْ أَمراً مُهِما أَدخل يده وأَخرج منها زلَما، فإن خرج الأَمر مضى لشأْنه، وإن خرج النَّهْي كفَّ عنه فلم يفعله.

الكِنَانَة: جعبة السهام.

جَبَلَةُ: كذا عند ابن إسحق، وهو تصحيف، وصوابه كَلَدة - بفتح الكاف واللام بن الحَنْبَل بفتح الحاء المهملة وسكون النون وبالموحدة، ويُقَال: ابن عبد اللّه بن الحنبل، أَسلم بعد ما قال بحنين ما قال.

فَضَّ الله فَاه: أَسقط أَسنانه، والفضُّ: الكسر بالتفرقة.

يرُبُّنِي - بضم الراء: يملكني ويدبر أَمري ويصير لي ربًّا أي سيِّداً.

المازِنِي - بكسر الزاي والنون.

كَادَ: قرُب.

حاجب الشمس: ناحيتها.

يا للأَنصار - بفتح اللام.

عَبَّاد - بفتح العين المهملة وبالموحدة المشددة.

بِشر بكسر الموحَّدة، وسكون المعجمة.

أَبو نَائلة - بهمزة بعد الأَلف على صُورَة الياء.

لا يجبرونها: أَي: لا مجبر منها.

الشِّعَار - بكسرِ الشِّين المعجمة، والعين المهملة: العلامة التي كانوا يتعارفون بها.

شرح غريب ذكر ارادة شيبة بن عثمان والنضير بالتصغير بن الحرث الفتك برسول الله - صلى الله عليه وسلم

الفتك: القتل على غفلة، أَو القتل مطمئنا مجاهرة.

عَنْوَةً - بعين مهملة مفتوحة، فنون ساكنة، فواو مفتوحة، فتاء تأْنيث: قهراً وغلبة.

المُرْصِد - بكسر الصَّاد المُهملة: اسم فاعل.

اقْتَحَمَ عن بغلته: أَلقى نفسَه عنها.

أَصْلَت السَّيفَ: سله من غِمْده.

أُسَوُّرُه ـ بفتح السِّين المهملة وكسر الواو المشدَّدة: أَعلوه.

سَوْرَة ـ بفتح السِّين المهملة، وسكون الواو، وفتح الرَّاء، وسورة الخَمْر وغيره: حِدَّتُها، والمجد أَثَرُه وعلامته وارتفاعه، والبرد شدَّته، والسطان شدته وآعتداده.

الشُّواظ ـ بضمِّ الشِّين المعجمة وكسرها: اللَّهبُ الَّذي لا دَخانَ فيه.

يتَمَحَّشني ـ بتحتية ففوقية مفتوحتين، فميم مفتوحة، فحاء مشددة وشين معجمة: يحْرِقُني.

مشيت القهقرى: المشي إِلى خلْف من غير أَن يعيد وجهه إِلى جهة مشيه.

يا شيب: منادى مُرَخَّم، ويجوز فيه ضم الموحدة وفتحها.

شُرَحْبِيل ـ بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملة، وكسر الموحدة، وباللام.

العبدري، بفتح العين المهملة، وسكون الموحَّدة، وآخره راء فَيَاء نسب.

الدَّبْرة ـ بفتح الدال المهملة وبالموحدة وتسكن: الهزيمة، وهو آسم من الإِدبار.

الفِئَتَان ـ تثنية فِئة بكسر الفاء وبالهمز: الفرقة من النَّاس جمعها فئون وفئآت.

الحَيز ـ بالحاء المهملة المفتوحة والتحتية الساكنة وبالزاي الناحية.

عَمَدْتُ له: قصدت.

إِليْكَ إِليك: اسم فعل بمعنى الزم أَو انتبه الرُّعب: الفزع.

حَلْب ناقة: أَي قدر ذلك.

يا للخزرج ـ بفتح اللاَّم.

أَرعدت جوارحي: ارتعشت.

غُبَّرات الناس بضم الغين المعجمة وفتح الموحدة المشددة: جمع غُبر كذفر: وهو جمع غابر، وهو هنا بمعنى الباقي.

خَمَر الشجر ـ بفتح الخاء المعجمة والميم وبالراء: ما وَرَاكَ منه.

الجِعْرَانة ـ بكسر الجيم وسكون العين ـ خفَّفَ الأَكثرُ الراء وشدَّدَها غيرهم: موضع على سبعة أَميال من مكة من جهة الطائف.

العِبَرُ ـ بكسر العين المهملة وفتح الموحدة جمع عَبِرَة بفتح أوله وكسر ثانيه: وهي الاعتبار والتفكر في عواقب الأُمور.

لقيته كفَّة كفَّة ـ بكسر الكاف فيهما، أي كفاحا، وذلك إذا استقبلته مواجهة، وهما آسمان جُعِلاَ واحداً وبُنيا على الفتح مثل خمسة عشر.

آن لك وحان أي قرب فيه.

توضع: تسرع.

شرح غريب ذكر ثبات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم

فَرْوَة: بلفظ اسم الملبوس.

نُفَاثة ـ بضم النون وتخفيف الفاء وآخره ثاء مثلثة.

الجُذَامِي بضم الجيم، وبالذال المعجمة.

طفق: شرع.

قِبَل ـ بكسر القاف، وفتح الموحدة: تلقاءه أي جهته.

يَرْكُض: يسرع.

آخِذ ـ بمد أوّله، وكسر الخاء المعجمة.

الحَكَمَة ـ بفتح الحاء المهملة، والكاف، والميم، وبتاء تأنيث: حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس، وحنكيه تمنعه من مخالفة راكبه.

شَجَرْتُها ـ بشين معجمة؛ أي ضربتها بالحَكَمَة حتى فتحت فاها.

المُقَنّع ـ بضمّ الميم وفتح القاف، والنُّون المشددة، وبالعين المهملة: الذي على رأسه البيضة.

أنشدك ما وعدتني: أسألك ذلك.

لا يظهرُوا علينا: يغلبونا.

أَصْحَاب السَّمُرَة، يشيرُ بذلك إلى أصحاب بيعة الحُدَيْبية، لأنَّهم بايعوا تحت الشَّجرة، وكانت سَمُرَة.

يا أَصْحَابَ سُورة البَقَرَة: خُصَّت بالذِّكر حين الفرار لتضمنها ﴿كَمْ من فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾ [البقرة ٢٤٩] أو لتضمنها ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة ٤٠] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَه ٱبْتِغاء مَرْضَاةِ اللهِ﴾ [البقرة ٢٠٧].

الحَرَجة ـ بفتح الحاء المهملة والرّاء، وبالجيم: مجتمع شجر ملتف كالغَيْضة، والجمع حرج وحراج.

يَثْني بعيره بفتح أَوله: يدِيْر رأْسه صوْبَ رسولِ الله - ﷺ.

الدرع من الحديد: مؤنثة، ولهذا قال فيقذفها، أَي يرميها.

يؤم الصوت: يقصده.

صُبُرٌ عند اللقاء - بضم الصَّاد المهملة، وتشديد الموحدة المفتوحة: أَي أَشداءٌ أَقوياءٌ.

مُجْتلَدهم - بميم مضمومة، فجيم ساكنة، فمثناة فوقية، فلام مفتوحتين: موضعُ جِلاَدِهم، أَي ضرابهم.

المُتَطَاوِل: الذي مدَّ عُنُقَه لينظُرَ إِلى الشيء يبعد عنه.

الوَطِيس: هو شيء كالتنور يخبز فيه شبه شدة الحرب به، وقيل: حجارةٌ مدوَّرة إِذا حميت منعت الوطء عليها، فضُربَ مثلا للأَمر يشتد.

حَدُّهُم - بفتح الحاء: قُوَّتهم.

كليلا: ضعيفا.

أَفَاء الله عَلَى رَسُولِهِ أَمْوَالَهُم: غَنَّمه ذلك.

الفِهْرِي - بكسر الفاء، وسكون الهاء.

كُرز - بضمِّ الكافِ، وسكون الرَّاء، وبالزَّاي.

قَائِظٌ: شديد الحر.

اللأَمة: الدِّرع.

الفُسْطَاط - بضمِّ الفاء وتكسر بيت من شَعْر:

حان الرواح: قرُب.

أَجَل: كنَعَم، وزناً ومعنى.

دفتاه: دفّ الرَّجل وَدَفَّته - بالفتح، وتشديد الفاء جانب كور البعير وهو سرجه؛ والدُّف والدفة: الجانب من كل شيء.

الأَشَرُ - بفتحتين: البطر وكفر النِّعْمة وعدم شكرها. قال الراغب: الأَشَرُ: أَبلغ من البطر، والبطر: أَبلغ من الفرح، فإِنَّ الفرح وإِن كان في أَغلب أَحواله مذمُوماً كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الفَرِحِينَ﴾ [القصص ٧٦] فقد يحمد تارة إِذَا كان على قدر ما يجب، وفي الموضع الذي يجب قال تعالى: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس ٥٨] وذلك أَن الفرح قد يكون من سرور بحسب قضيَّة العقل فليس بمكروه، والأَشَرُ لا يكون إِلاَّ فَرَحاً بحسب قضيَّةِ الهوى.

تَسَامَت الخيْلاَن: [تبلدت وتطاولت]

حثاها: ألقاها.

شاهت وجوههم: تَشَوَّهَت وقَبحَت.

الصَّلْصَلَة: صوت كل ذي صوت.

الطست: تقدّم الكلام عليه في الرضاع وفي الكلام على شقِّ صدره الشَّريف فراجعه.

دُلْدُل ـ بضم الدّالين المهملتين، وسكون اللام الأُولى بينهما، وسيأْتي الكلام عليها في ذكر بغاله ـ ﷺ.

حَم: أَشبعتُ الكلام على الحروف المقطعة في أَوائل كتاب «القول الجامع الوجيز الخادم للقرآن العزيز» فراجعه.

السُّوَائي ـ بضمِّ السِّين المهملة، وتخفيف الواو والهمزة بعد الأَلف.

القَذَى ـ بالقاف والذال المعجمة: ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أَو طين أَو وسخ أَو غير ذلك: جمع قذاة، وجمع القَذى أَقذاء.

اهتف بهم: صح وآدعهم.

الشهب: جمع شهاب.

السَّبِيعي ـ بفتح السين المهملة وكسر الموحدة فتحتية فعين مهملة.

حُسَر ـ بضم الحاء وفتح السين المهملتين وبالراء.

الثَّنِيَّة: كلُّ عقبة مسلوكة.

احْمَرَّ البَأْس ـ بكسرِ أَوله، وسكون الحاء المهملة، وفتح الميم، وتشديد الرَّاء: اشتدت الحرب.

غشَوْه: ازدحموا عليه وكثروا.

شرح غريب ما قيل أن الملائكة قاتلت يوم حنين

قوله مُسَوّمين: معلمين.

البِجاد ـ بكسرِ الموحَّدة، وتخفيف الجيم، وبالدَّال المهملة: الكساء، جمعه أَبجد نَمْلٌ مَبْثُوت: متفرق.

أُم بُرْثُن ـ بضم الموحدة، وسكون الراء، وضمِّ الثَّاء المثلثة، وبالنون ـ وقيل بالميم

كَبْكَبْنَاهم: قلبناهُم راجعين.

تطِنّ - بفوقيّة، فطاء مهملة، تُصَوّت.

الخَفقَان: الاضطراب والتحرك.

الطِّسَاس - جمع طَسْت وتقدم الكلام عليه في الكلام على شَقِّ صدره الشَّريف.

الكَتَائِب - جمع كَتِيبةٍ بفتح الكاف، وكسر الفوقيّة: وهي الطَّائفةُ المجتمعةُ من الجيش.

ما يليقون - بيائين تحتيين بينهما لام مكسورة فقاف، يقال: لا يليق بك: لا يَعْلَق.

الرِّعْدَةُ - بالكسر: اسم من آرتعد إذا آضطرب.

شرح غريب ذكر من ثبت معه - صلى الله عليه وسلم - يومئذ

حَارِثَةُ بنُ النُّعمان - بحاء مهملة، فألف، فراء، فمثلَّثة.

نَكَصَ عَلَى عَقِبِه بنونٍ، فكاف، فصاد مهملة مفتوحات رجع.

الحَكَمُ - بفتحتين.

عُتْبة بن أَبي لَهَب - بضمّ العين المهملة، وسكون الفوقية، وبالموحدة.

مُعَتِّب - أَخوه بضمّ الميم، وفتح العين المهملة وكسر الفوقية المشددة وبالموحدة.

أَبو دُجَانَة - بضمّ الدّال المهملة، وبالجيم المخففة، والنون.

أَبُو بَشِيرِ المَازِنِيّ كأَمير.

الحُضَير - بضم الحاء المهملة، وكسر الضَّادِ المعجمة، وسكون التحتيَّة

أُمّ سُليم - بضمّ أَوّله.

مِلْحَان - بكسر الميم، وفتحها، قال في المطالع: والأَوّل أَشهر، وعليه اقتصر ابن الأَثير والنووي.

نَسِيبَة ككريمة وقيل بالتصغير.

يغُر بها الجمل بالغين المعجمة.

الخِزَام - بكسرِ الخاء المعجمة.

بُرَة - بضَمّ الموحَّدة، وتخفيف الراء: حلقة من صفر ونحوه يشد في أَنف النَّاقة، يشد بها الزِّمام.

الخِطَام - بكسرِ الخاء المعجمة: ما يقادُ به الجمل.

الخِنْجر - بفتح الخاء المعجمة وكسرها سكِّينٌ كبير.

بَعَجَ بطنه: شَقه.

جَمَلٌ أَوْرَق: في لوْنه بياضٌ إِلى السّواد، أَو يضرب لونه إِلى الخضرة.

يُوضَعُ به جَمَلُه: يُشرِع.

أَثْبَتَه: أَصاب مَقْتَلَه.

مُصلِتُ السيف: مُخْرِجُه من غِمْدِه.

الغِمْدُ ـ بكسرِ الغين المعجمة: قِرَابُ السَّيف.

ناقَةٌ فَتُوح ـ بفتح الفاء، وضمِّ الفوقية المخففة: واسعة الإِحْليل.

بنُو مَازِنٍ ـ بكسر الزَّاي.

الشِّعَار: العلامة في الحرب.

صَعْصَعَة بمهملات وفتح أَوله، وسكون ثانيه.

اليَعْسُوبُ ـ بفتح التحتيَّة، وسكون العين، وضمِّ السِّين المهملتين وبالموحدة: ملك النحل.

النَّسَمَة ـ بفتحات: الإِنسان.

لن تعلوه: لن تشربُوا منه مرَّةً ثانية.

لن تغلوه: لن تعذبوه.

ثاب ـ بالمثلَّثة: رجع.

اجْزُرُوهُم: استأْصِلُوهم.

المِشْقَصُ ـ بكسرِ الميم، وسكون الشِّينِ المعجمة، وفتح القاف: سهم فيه نصلٌ عريض.

الكِنَانَة ـ بكسرِ الكَافِ: ما يُجْعَل فيه السِّهام.

بجَاد ـ بفتح الموحدة وبالجيم والدال المهملة، ولم أَر له ذكراً في الصحابة وكأَنه لم يُسْلِم.

الشَّيْمَاء: تقدَّم الكلامُ عليها في الرَّضاع.

وَمَا عَلاَمَةَ ذَلِك ـ بكسرِ الكاف: خطاب المؤنث.

مُتورِّكَتُك: أَي جعلتك على وركي.

وادي السُّرَر ـ بكسر السين المهملة وبضَمِّهَا وفتح الرَّاء: على أَربعةِ أَميال من مكَّة.

البَهم بفتح الموحدة.

أَطَلان بفتح الطاء المهملة وباللاَّم.

محبَّبَةً - بضم الميم، والموحدة المشددَة اسم مفعول وكذا مُكَرَّمَة.

وافَاهَا: [لحق بها]

عسكروا بأَوْطَاس: اجتمعوا.

نَخْلة - بالخاء المعجمة: اسم موضع.

بنُو غِيَرَة - بكسرِ الغين المعجمة، وفتح التحتية، وبالرَّاء: بطنٌ من ثقيف.

رَبيعَة - براء، فموحدة، فمثناة، فعين مهملة.

رُفَيع بالتصغير.

أُهْبان - بضم أَوله.

العِجانُ - بكسر العين المهملة، وبالجيم، والنُّونَ: ما بين الخصية وحلقة الدُّبُر.

الثَّنيَّة: الطريق في الجبل.

لِيَّة - بكسر اللام، وفتح التحتية المشدَّدَة: جبلٌ بالطائِف، كان به حصْنُ مالك بن عوف

سُرَاقَةُ - بضمِّ السِّين المهملة.

رُقَيْم - بضمِّ الرَّاء، وفتح القاف.

لَوْذَان - بفتح اللام، وسكونِ الواو، وبالذَّال المعجمة.

زَمْعَة - بفتح الزَّاي والميم وبسكونها، وبالعين المهملة.

جَمَحَ بِه فَرَسُه: استَعْصى عليه.

الجَنَاحُ - بلفظ جناح الطَّائر.

اسْتَحَرَّ القتلُ: اشتدَّ وكثر. وهو استفعل من الحرّ.

ذُو الخِمَار: اسمه سبيع بن الحارث بن مالك لم يعلم له إِسلام.

شرح غريب ذكر بَرَكة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في برء جرح عائذ بن عمرو وفي الماء، ونَهيه عن قتل النساء، وقوله: انا بن العواتك

عَائِذ - بهمزة بعد الأَلف، فذال معجمة.

الثُّنْدُوَة - بالثَّاء المثَلَّثة، وسكون النون، وضمِّ الدَّالِ المهملة ومَنْ ضمَّ الثَّاء: همز، ومن فتحها لم يهمز كالثَّدْي للمرأة.

حَشْرَج ـ بفتح الحاء المهملة، وسكون الشين المعجمة، وفتح الراء وبالجيم.

سَابِلَةٌ: مستطيلةٌ عريضة.

غُرَّةُ الفَرَسِ: بياضٌ في جبهته فوْقَ الدِّرهم.

النُّطَفةُ ـ بضمِّ النُّون: والمراد بها هنا الماء الصَّافي القليل.

الإِداوة بكسر أَوّله وبالدَّال المهملة: المطهرة.

رَبَاح ـ بفتح الرَّاء، وتخفيف الموحَّدة، وبالحاء المهملة.

رَبيع بفتح الراء.

العَسِيفُ: الأَجير لفظاً ومعنًى، وهو أَيضاً المملوك.

سَيَابة ـ بفتح السِّين المهملة وتخفيف التحتية وبالموحدة.

شرح غريب ذكر قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قتل قتيلا فله سلبه

السَّلَبُ ـ بفتح السِّين المهملة، واللاَّم: ما يُسْلَبُ؛ أَي ينزع.

حَبْلُ العَاتِقِ: وهو الوريد، والعَاتِقُ: موضع الرِّداء من المنكب.

أَجهضت عنه: غيبت عنه وأُزيلت.

أَسْوَد بن خُزاعي ـ بضم الخاء المعجمة.

رِبعي بكسر الراء.

الجَوْلَة: حركةٌ فيها اختلاط.

يَخْتِلُه ـ بفتح التَّحتية، وسكون الخاء المعجمة، وكسرِ الفوقية: يأْخذه على غِرَّة.

فَقَطَعْتُ الدِّرْعَ: أَي الَّتي كان لابسها، وخلصت الضربة إِلى يده فقطعتها.

وَجَدْتُ مِنْهَا رِيحَ المَوْتِ: أَي شدّتها.

أَرْسَلَنِي: أَطْلَقَنِي.

أَمْرُ الله: حُكْمه وقضاؤُه.

لاَهَا الله ـ قال الجوهري: «ها» للتنبيه، وقد يقسم بها، يقال: ها الله ما فعلتُ كذا، قال ابنُ مالك: فيه شاهدٌ على جَوَازِ الاستغنَاء عن واو القسم بحرف التَّنبيه، قال: ولا يكونُ ذلك إِلاَّ مع الله؛ أَي لم يُسْمَع لاَهَا الرَّحمن، كما سُمِعَ لاَ والرَّحمٰن، قال: وفي النُّطْقِ بها أَربعة أَوجه، أَحدها: هالله باللاَّم بعد الأَلف، بغير إِظهار شيء من الأَلفين، ثانيها مثله، لكن بإِظهار أَلف واحدةٍ بغير همز؛ ثالثها بثبوت الأَلفين وبهمزة قطع، رابعها بحذف الأَلف وثُبُوتِ همزة القطع، انتهى. والمشهورُ في الرِّواية الثَّالث ثم الأَوَّل.

إذاً - قال الحافظ أقوال كثيرة مِمَّن تكلَّم على هَذا الحديث: أَنَّ الَّذي وقع فيه بلفظ إِذاً خطأً، وإنَّما هو ذَا تبعاً لأَهلِ العربية، ومن زعم أَنَّه ورد في شيء من الرِّواياتِ خلافُ ذلك فلم يُصب، بل يكونُ ذلك من إصلاح بعض من قلَّد أَهل العربية، قد ثَبَتَ في جميع الرِّوَايَات المُعْتَمَدَة والأُصولِ المحقَّقة من الصَّحيحين وغيرهما بكسر الألف، ثم ذال معجمة منونة، قال الطيبي: ثبت في الرِّوَايَات «لاَهَا الله إِذن» والحديث صحيح، والمعنى صحيح، وهو كقولك لمن قال لك: أَفعلُ كذا؟ فقلتَ: لاَ والله إِذنْ لاَ أَفْعَل، فالتَّقدير: والله إِذن لا يعمدُ إِلى أَسد.. إِلخ. قال أَبو العبَّاس القُرْطُبِيُّ: الَّذِي يظهرُ لي أَن الرِّوايةَ المشْهُورَةَ صوابٌ وليسَتْ بخطأ؛ وذلك أَنَّ الكلامَ وقع على جوابِ إِحْدَى الكلمتين للأُخرى، والهاء هي التي عُوِّضَ بها عن واو القسم، وذلك أَنَّ العرب تقولُ في القسم: آلله لأَفعلنَّ، بمدِّ الهمزة وبقصرها، فكأَنَّهم عوضوا من الهمزة هاء فقالوا «هالله» لتقارب مخرجيها، وكذلك قَالُوا: «ها» بالمدِّ والقصر، وتحقيقُه أَنَّ الَّذي مد مع الهاء كأَنَّه نطق بهمزتين أَبدل من إِحداهما أَلفا، إِستثقالاً لاجتماعهما، كما تقولُ: «آلله». والَّذي قصر كأَنه نطق بهمزةٍ واحدة كما تقول: «الله». وأَمَّا إِذا فهي بلا شك حرفُ جواب وتعليل، وهي مثلُ الَّذِي وقعَتْ في قوله - ﷺ -، وقد سُئل عن بيع الرطب بالتَّمر فقال «أَينقص الرّطب إِذا جفَّ» قالوا: نعم قال: «فَلاَ إِذَن» فلو قال: فلا والله إِذاً كان مُساوياً لما وقع هنا - وهو قوله: «لاها الله إِذا» من كلِّ وجه، لكنَّه لم يحتج هنا إِلى القَسَم فتركه، قال: فقد وضح تقديرُ الكلام ومناسَبتُه واستقامَتُه معنًى ووضعاً من غيْرِ حاجةٍ إِلى تَكَلُّفٍ بعيدٍ يخرج عن البلاغة، ولا سيَّمَا من ارتكب وأَبعد وأَفسد، فجعل «الهاء» للتَّنبيه «وذا» للإِشارة، وفَصَلَ بينهما بالمُقْسم به، قال: وليس هذا قياساً فيطرد، ولا فصيحاً فيحملُ عليه الكلام النَّبوي، ولا مروياً برواية ثابتة. قال: وما وُجِدَ للعذرى والهروى في مسلم «لا هاالله ذا» فإِصلاحٌ مِمَّن اغترَّ بما حُكِي عن بعض أَهل العربية، والحقُّ أَحقُّ أَنْ يُتَّبع.

وقال أَبو جعفر الغرْنَاطي نزيل حلب - رحمه الله تعالى - استرسل جماعةٌ من القُدَماء في هذا الإِشكال إِلى أَنْ جعلُوا المخلص من ذلك أَن اتهموا الإِثبات في التصحيف فقالوا: الصَّواب «لاها الله ذا» باسم الإِشارة، قال: ويا عجباً من قوم يَقْبَلُون التَّشكيك على الرِّوَايَات الثَّابِتَة. ويطلقون لها تأَويلاً، وجوابهم أَنَّ «ها الله» لا يستلزم اسم الإِشارة. كما قال ابن مالك، وأَمَّا من جعل لا يعمد جواب فأَرضه فهو سبب الغلط وليس بصحيح ممن زعمه وإِنَّما هو جوابُ شرط مقدَّرٍ يدلُّ عليه قوله «إِن صَدَقَ فأَرضه» فكأَنَّ «أَبو بكر» قال: إِذا صَدَقَ في أَنه صاحب السَّلَب إِذاً لا يعمد إِلى السَّلَب فيعطيك حقه، فالجزاء على هذا صحيح لأَنَّ صِدْقَه سَبب الا يَفْعَلَ ذلك، قال: وهذا واضحٌ لا تَكَلُّف فيه، قال الحافظ: فهو توجيهٌ حسن، والَّذي قبله أَقعد ويؤيده كثرة وقوع هذه الجملة في كثير من الأَحاديث. وسردها الحافظ، وبسط الكلام على

هذا اللفظ هو والشيخ في شرح الموطأ، فمن أَراد الزِّيادة على ما هنا فليراجع كلامهما رحمهما الله تعالى.

لا يعمد بالتحتية للأكثر، وللنووي بالنون: أَي لا يقصد رسول الله ـ ﷺ إِلى رجلٍ كأَنه أَسد في الشَّجاعة يقاتلُ على دينِ الله ورسولِهِ ـ فيأَخذُ حقه ويعطيكه بغير طيبة من نفسه.

كَلاَّ: حرف ردع وزجر.

أُصيبغ بمهملة، ثم معجمة عند القابسي. وبمعجمة ثم مهملة عند أَبي ذرّ، قال ابن التين: وصفه بالضعف والمهانة. والأَصيبغ نوعٌ من الطَّير، أَو شبَّهَهُ بِنَبَاتٍ ضعيفٍ يقال له الصيغا إِذا طلع من الأَرض يكون أَوّل ما يلي الشمس منه أَصفر، ذكر ذلك الخطابي، وهذا على روايةِ القَابِسِي، وعلى الرواية الثَّانية تكون تصغير الضَّبُع على غير قياس، كأَنه لـمَّا عظَّمَ أَبو قتادة» بأَنه أَسَد صغَّر خصمه وشبهه بالضَّبع لضعف افتراسه، وما يُوصف به من العجز، وقال ابن مالك: أَضيبع ـ بمعجمة وعين مهملة ـ تصغير أَضبع، ويكنى به عن الضعيف.

ويدع ـ بالرفع والنصب والجزم أَي يترك.

صَدَقَ: أَي القائل.

فَأَعْطِه ـ بصيغة الأَمر، يقولُ: اعترف بأَن السَّلب عنده.

المَخْرَف ـ بفتح الميم، والرَّاء، وسكون الخاء المعجمة بينهما، ويجوزُ كسر الراء؛ أَي بستاناً سُمِّيَ بذلك لأَنه يُخْتَرَفُ منه التَّمر أَي يُجْتَنَى، وأَما بكسر الميم فهو اسم الآلة الَّتي يُخْتَرَفُ بها.

في روايةٍ خِرافاً ـ بكسر الخاء: وهو التَّمر الذي يُخْتَرَف أَي يُجْتَنَى، وأَطلقه على البستان مجازاً فكأَنه قال: بستان خراف.

في بني سَلِمَة ـ بكسر اللاَّم: بطنٌ من الأَنصار؛ وهم قومُ أَبي قَتَادَة.

تَأَثَّلْته بالفوقية والثَّاء المثلَّثة: أَي تأَصَّلْته، وأَثلة كل شيء أَصله.

اعتقدته جعلته عقدة، والأَصل فيه من العقد لأَن من ملك شيئاً عقد عليه.

نَتَضَحَّى معه: نأْكلُ وقْتَ الضُّحَى.

انْتَزَع طَلْقاً: قيداً من جُلُودٍ.

من حَقَبه ـ بفتح المهملة والقاف: حبلٌ يشدُّ به الرَّحْل إِلى بطْنِ البعير ممَّا يلي ثَيْله.

رقة من الظهر: ضعف.

ناقة ورقاء في لونها بياض إلى السواد ويَضْرِبُ لونُها إلى الخضرة.

اخْتَرَطَ سَيْفَه: سَلَّه مِنْ غِمْدِه، وهو ٱفْتَعَل من الخرط.

الوَبَرَة من البعير ـ بفتح الواو والموحدة.

عُيَيْنَة ـ بضم العين المهملة وكسرها وفتح التحتية الأُولى وسكون الثانية.

حِصْن ـ بكسر الحاء، وسكون الصَّاد المهملتين، وبالنون.

ابن الأَضْبَط ـ بوزن الأَحْمَر بالضَّاد المعجمة، والموحَّدة، والطَّاء المهملة.

محَلِّم ـ بضمّ الميم، وفتح الحَاء المهملة، وكسرِ اللاَّم المشددَة، وبالميم.

جَثامة ـ بفتح الجيم، وتشديد الثَّاء المُثَلَّثَة وبعد الأَلف ميم مفتوحة وتاء تأْنيث واسمه زيد بن قَيْس.

خِنْدِف ـ بكسرِ الخَاء المعجمة وسكون النُّون، وكسر الدَّال المهملة، وبالفاء.

مُكَيْتِل ـ بضمّ الميم، وفتح الكَاف، وسكُونِ التَّحتية، وكسر الفَوْقيَّة، واللاَّم، ويُرْوى بكسرِ الثَّاء المُثَلَّثَة، وباللاَّم.

الشِّكة بكسر الشين المعجمة: السلاح.

والرَّجُلُ المجتمع: الذي بلغ أَشُدَّه.

غُرَّة الإِسلام بالغين المعجمة أَوله «فَوْرِنا» بفتح الفاء وسكون الواو وبالراء هنا: الوقت الحاضر: الذي لا تأْخير فيه، ثُمَّ استعمل في الحالة التي لا بُطْء فيها.

يؤزونه ـ بالزَّاي يغرون ويهيجون.

ضَرْبٌ ـ بفتح الضاد المعجمة وسكون الرَّاء، وبالموحَّدة، وهو هُنا الخفيفُ اللَّحمِ الممشوق المستدق.

آدم ـ بالمد: أَسْمَر.

يُنْفِذُ بِهِ النَّاسَ ـ بالنُّونِ، والفاء، والذَّال المعجمة: يسمعهم.

الحُصَين ـ بضمّ الحاء، وفتحِ الصَّاد المهملتين مصغر.

نَهيْك ـ ككريم ـ آخره كاف.

غمْرة ـ بغينٍ ـ معجمةٍ مفتوحة، فميم ساكنة: منهلٌ من مَنَاهِلِ طريق مكَّة، يصل بين تهامة ونجد.

أَطَأُ الخَبَر: أُعْلنه وأُبينه.

مَعْدِن ـ بفتح الميم، وكسرِ الدَّال المهملة.

سُلَيْم ـ بضمِّ السين.

المُصَلَّى ـ بضمِّ الميم، وفتح الصَّاد المهملة، واللاَّم المشدَّدة: موضع الصلاَّة؛ وهو موضع مُصَلَّى النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ في الأَعياد خارج المدينة بالعَقيق معروف.

شرح غريب شعر العباس بن مرداس رضي الله عنه

الرَّابِيَة: المكانُ المرتفع.

إِخَالُ ـ بالخاء المعجمة.

يُخَايِرُه: يقولُ أَنَا خيرٌ منه.

المَخِير ـ بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة: يغلبه في الخير.

قَسِيّ ـ بفتحِ القاف، وكسرِ السِّين المهملة، وتشديد التَّحتية: تقدم.

وَجّ ـ بفتح الواو وتشديد الجيم: موضع بالطائف.

الغَابَات ـ جمعُ غَابة.

ضَاحِيَة ـ بالضَّاد المعجمة، والحاء المهملة: بارِزَةٌ لا تخفى

نَؤُمّ: نقصد.

الحنق ـ بالحاء المُهملة والنُّون: الغضب.

يغوروا ـ بالغين المعجمة: يذهبوا.

لِيَّة ـ بكسر اللام تقدم.

ثَمَّ ـ بفتحِ الثَّاء المثَلَّثة.

النُّصُورُ ـ بضم النُّونِ، والصَّاد المهملة: يعني بني نصْر.

تَمُور: تسيل.

ويُرْوَى قوله: بني خطيط بالخاء المعجمة والحاء المهملة، وبطاءيْنِ مهملتين بينهما تحتية.

زُور ـ بضمِّ الزَّاي: مائلة.

سَنَن المنايا ـ بفتح السين والنون: طُرُقُها.

الجَرِيْضُ ـ بفتحِ الجيم، وكسْرِ الرَّاء، وسكونِ التحتيَّة، وبالضَّاد المعجمَةِ السَّاقطة: المنخنق برِيقِه.

التَّوَاني: الفترة، والإبطاء والكسل.

الغَلِقُ ـ بفتحِ الغين المعجمة، وكسر اللاَّم: الكثير الحرج كأنَّه تنغلقُ عليه أُموره.

الصُّرَيِّرَة ـ تصغير صرورة: وهو الذي لا يأْتي النساء وهو في الإسلام الذي لم يحج.

الحَصُورُ ـ بفتح الحاء، وضمِّ الصَّاد المهملتين: وهو هنا العَيِيّ.

أَحَانَهُم: أَهلكهم.

تميح: تمشي مشياً حسناً.

الفَصَافِصُ ـ بفتح الفاء، وكسرِ الثَّانية بعْدَ كلِّ صاد مهملة جمع فصفصة: وهو النَّبَاتُ الذي تأْكله الدَّوَاب.

عُمِّمُوها ـ بضمِّ العين وكسر الميم الأُولى: أُسْنِدَتْ إِليهم وقُدِّمُوا لها.

يُمنْ بضم التحتية وسكون الميم.

الجدود: الحظوظ.

أُنُوفُ النَّاس: المقدَّمون فيهم.

مَا سَمَرَ السَّمِيرُ: أي أَهله، فحذف المضاف ويكون فيهم السمير، أَسماء الجماعة السُّمَّار.

غَزِيَّة ـ بفتح الغين المعجمة، وكسرِ الزَّاي، وتشديد التحتية.

العَنْقَفيرَ بفتحِ العين المهملة، وسكونِ النُّونِ، وفتح القاف، وكسرِ الفاء، وسكون التَّحتية، وبالرَّاء: من أَسماء الدَّاهية.

شرح غريب قصيدة العباس بن مرداس ـ رضي الله عنه ـ العينية

عَفَا: درس.

المِجْدَل ـ بكسر الميم، وسكونِ الجيم، وفتح الدَّال المهملة، وباللاَّم: وهو هنا بلد طيب بالخَابُور إِلى جانبه، عليه قصر، والأَصل فيه اسم القصر، ويقال الحصن.

ومُتَالِع ـ بضمِّ الميم، وكسرِ اللاَّم: جبل بنجد، وبناحية البحرين بين السودة والإحساء، وقيل: جبل لغنيّ، وقيل: لبني عبيلة، وقيل: اسم ماء في شرقيِّ الظَّهْرَان عند الفَوَّارة في جبل القنان.

المِطْلَى ـ بكسر الميم، وسكون الطَّاء المهملة يُمد ويقصر: أَرض تُقْعِدُ الرجُل عن المشي.

أَرِيك - بفتح الهمزة، وكسرِ الرّاء، وسكونِ التحتيَّة، وبالكاف: موضع في ديار غَنِيّ أَو ذُبْيان.

الـمَصَانِع - بفتح الميم، وتخفيف الصّاد المهملة، وبعْدَ الأَلفِ نون، فعين مهملة: مواضع تُصنع للماء، تُشْبه الصَّهَاريج.

جُمْل - بجيمٍ مضمُومة، فميم ساكنة، فلام: اسم آمرأَة، لا ينصرف للعلمية والتأْنيث المعنوي.

جُلّ - بضمّ الجيم: معظم.

الرَّخِيُّ: الواسع.

صَرْف الدَّهر: تغيره.

حُبَيْبِيَّة - بضمّ الحاء المهملة، وفتح الموحّدة، وسكون التحْتَانيّة الأُولى وكسر الموحّدة، وفتح التحتيَّةِ الـمُشَدَدة: منسوبة إِلى بني حُبَيْب بالتصغير، وحبيبة منسوبة إِلى بني حَبِيْب بوزن عَلِيم وحُبَيْبِيَّة تصغير حبيبة، وكلها روايات.

أَلْوَت: ذهبت.

غَرْبَةُ - بفتحِ الغين المعجمة، وسكونِ الرّاء، وفتح الموحّدة، فتاء تأْنيث: بُعْدٌ.

النَّوَى: الفراق.

مَلُومَة - من اللَّوم: وهو العِتاب.

خُزَيْمة - بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي، وسكون التحتية بن جُزِيّ بفتح الجيم وقيل بضمها وكسر الزاي، وآخره بعد المدّ همزة، أَو تُسهل فتصير الياء مدغمة كذا ذكر الحافظ في التبصير.

وقال في الإِصابة: إِنَّه بكسرِ الزّاي. وقال في التَّقريب: بفتح الجيم، وسكون الزّاي، بعدها همزة: صحابي.

والـمَرّار - بفتحِ الميم، وتشديد الرّاء، وبعد الأَلف راء أُخرى ابن صحابي.

وواسع: صحابي أَيضاً لم أَقف على اسم أَبويهما الثلاثة سُلَيْمِيُون. وفدُوا إِلى رسول الله - ﷺ.

لَبُوس - بفتح اللاّم، وضمّ الموحّدة المخففة.

رَائِع - بِرَاء، وبعد الأَلف تحتية، وبعين مهملة: معجب.

الأَخْشَبَان ـ بالخَاء، والشين المعجمتين فموحدة، يُضَافَان مرَّة إِلى مكَّة، ومرَّةً إِلى منّى، وهُمَا واحد، أَحدهما أَبو قبيس، والآخر قعيقعان، ويقال بل الجبل المشرق الأَحمر هنالك وقال. آبن وهب: الأَخْشَبَان: الجبلان اللّذان تحت العقبة بمنّى فوق المسجد.

يَدَ الله ـ منصوب على التعظيم.

نُبَايع: نقدم عليه.

جُسْنَا: وَطِئْنَا، قال تعالى ﴿... فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ...﴾ [الإسراء ٥]: تخلَّلُوها فطَلبُوا ما فيها

عَنْوَةً ـ بفتح العين المهملة: قهرا.

النقْعُ ـ بفتحِ النّون، وسكونِ القَاف، وبالعين المهملة: الغُبَار.

كَابٍ ـ بالموحدة: مُرْتَفِع.

سَاطِع: متفرق.

عَلاَنِيَةً ـ بعين مهملة مفتوحة فلام فأَلف فنون مكسورة فتحتية مفتوحة فتاء تأْنيث: أَي جَهْراً من غير استخفاء.

الخيل مبتدأ. مُتُونَها: مفعول مقدم، والفاعل: حميم، وهو هنا العرق.

آن ـ بمد الهمزة: الدَّم المُسَخَّن الحَار.

ناقع ـ بنون وبعد الأَلف قاف مكسورة فعين مهملة: طرِي، وقال أَبو ذر: كثير.

الأَضَالِع ـ جمع ضِلْع، بضادٍ معجمة مكسُورة، فلام مكسورة وقد تسكن تخفيفاً فعين مهملة سُمِّي بذلك من الضِّلَع وهو الاعْوِجَاج.

الضَّحَّاك بن سُفيان السلمي وليس الكلبي كما ذكره ابن البرقي.

لاَ يَسْتَفِزُّنَا: يستخفنا.

قِرَاعُ الأَعادي ـ بقافٍ مكسورة فراء فأَلف فعين: ضَرْبُهم.

أَمَام رسولِ الله ـ ﷺ ـ قُدّام.

يخْفِق: يضطرب.

الخُذْرُوف ـ بضم الخاء، وسكون الذال المعجمة فراء مضمومة، فواو ساكنة، ففاء: البرق اللامع المتقطع منها، وقال أَبو ذر: خُذْروف السحابة طرفها، وأَراد به هنا السُّرعة في تحرك هذا اللواء واضطرابه.

مُعْتَصٍ بالسَّيف ـ بميم مضمومة، فعين مهملة ساكنة، ففوقية مفتوحة، فصاد مهملة، قال في الإملاء: أي ضَارِب، يُقال: اعتصوا بالسيوف إِذَا ضَارَبُوا بها، وفي الصحاح: العصى مقصور مصدر قولك عَصِيَ ـ بالكسر ـ بالسيف يعصى: إِذَا ضرب، وفلان يعتصي على عصًى: أي يتوكَّأُ عليها، ويَعْتَصِي بالسيف: أي يجعله عصًى.

كَانِع ـ بنون مكسورة، فعين مهملة: حاضر نازل، وفي الإملاء أنه يقال: كَنَعَ به عند الموت إِذا دنا.

تَذُودُ أَخَانَا مِنْ أَخِيْنَا: أي يريد أنه من سليم، وسليم من قيس كما أَنَّ هوازن من قيس كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس، والمعنى: نقاتِلُ إِخوتنا ونَذُودُهم، أي نمنعهم عن إِخْوَتنا من سليم.

وَلَوْ نرى: أي حُكْمِ الدِّين.

مَصَالاً ـ بفتحِ الميم، وبالصَّاد المهملة: من الصَّولة.

لكُنَّا الأَقربين: يعني هوازن.

نتابع بنونٍ ففوقية.

ولَكِنَّ ـ بتشديد النُّون.

دين الله بالنصب ـ اسم لكن.

دينُ محمد بالرفع: خبرها.

حمَّه الله ـ بفتح الحاءَ المهملة، وتشديد الميم فهاء حَمَّه: أي قصده، يُقَال حَمَمْتُ حَمَّكَ؛ أي قصدت قصدك.

شرح غريب قصيدة العباس الرائية

قوله: العَائِرُ ـ بعين مهملة وبعد الأَلف تحتية وبالراء: وجع العين.

سَهِرُ ـ بكسرِ الهاء: اسم فاعل من السَّهر؛ وهو امتناعُ النَّوم، وجعله سهرا، وإِنما السهر أَمر جميل لأَنه لم يفتر فَكأَنَّه قد سهر ولم ينم.

الحَمَاطَة ـ بفتح الحاء وتخفيف الميم وبعد الأَلف طاء مهملة فتاء تأْنيث: وهي هنا بزّة تكون في جفن العَيْن، وقال في الروض: هي من ورق الشجر ما فيه خشونة.

أَغْضَى ـ بالغين، والضَّاد المعجمتين وزن أَعطى.

الشُّفْرُ ـ بضم الشين المعجمة، والفاء. قال في الإِملاء: جفون العين.

تَأَوَّبَهَا ـ بفوقية، فهمزة مفتوحة، فواو مشدَّدة مفتوحة فموحدة،: جاءها مع الليل.

الشَّجْو ـ بفتح الشين المعجمة، وسكون الجيم وبالواو: الحُزْن.

الأَرَقُ ـ بفتح الهمزة والراء والقاف: السهر، وهو امتناع النوم.

والماء: المراد به هنا الدَّمع.

يَغْمُرُه ـ بالغين المعجمة وضم الميم: يُغَطِيه.

طوراً: تارة.

السِّلْكُ ـ بكسر السِّين المهملة، وسكون اللاَّم، وبالكاف: الخيطُ الذي ينظم فيه.

مُنْبَتِرُ ـ بميم مضمومة، فنون ساكنة فموحدة مفتوحة ففوقية مثناة: أَي منقطع، ويروى منتشر ـ بالنون ففوقية فثاء مثلثة.

الصُّمَّان ـ بضمّ الصَّاد المهملة، وتشديد الميم، وبعد الأَلف نون: موضع إِلى جنب أَرض عالج، أَي بالعين المهملة، فألف، فلام مكسورة فجيم: مكان بالبادية كثير الرِّمال.

الحَفَرُ ـ بفتح الحاء المهملة والفاء، كما ذكره أَبو عبيد البكري، والحازمي وخلائِق: اسمٌ لِعِدَّةِ مواضع والله أَعلم أَيُّها أَراد العباس. وقول مَنْ قال يعني به: حفَر الذي بالكوفة أَو بالبصرة ليس بِبَيِّن لأَن العباس قال هذه القصيدة في غَزْوَة حنين، والبصرةُ والكوفة حَدَثَتا بعد النَّبي ـ ﷺ ـ بدهر.

الزَّعَرُ ـ بفتح الزاي والعين: قلة الشَّعر، وفي نسخة: الذُّعُر ـ بالذَّال المعجمة والعين المهملة المضمومتين: وهو الفزع.

البَلاَءـ بفتح الموحدة: الصُّنْع.

سُلَيْم الأُولى والثانية ـ بضمّ السين المهملة وفتح اللام.

مُفْتَخر ـ بالخاء المعجمة.

مُشْتَجِرُ ـ بكسر الجيم.

لاَ يَغْرِسُون فَسيل النَّخْل ـ بفتحِ الفاء وكسر السِّين المهملة، فتحتية ساكنة، فلام والجمع فسلات، وهو الوَدِيّ بفتح الواو، وكسر الدال وتشديد التحتية: النَّخل.

وسْطَهُمُ ـ بِإِسكان السِّين، وإِن جاز فيه الفتح من حيث اللُّغة، لكنه ساكن لأَجل الوزن مضموم الميم يُعَير بذلك أَهل المدينة الشريفة.

ولا تَخَاور ـ بفوقية، فخاء معجمة، فأَلف، فواو مفتوحة وبالراء من الخُوَار؛ وهو أَصوات

البقر، ويروى: يجاور بالجيم والراء، ويُحَاوز بالحاء المهملة والزاي، وصوّب في الإملاء الأَول.

السَّوابح ـ بفتح السين المهملة وبعد الأَلف موحدة مكسورة: جمع سَابح يقال: سَبَحَ الفرسُ في جريه فهو سابح.

العقْبَان ـ جمع كثرة للعقاب، وهو طائر من الجوارح، ولفظه مؤنث.

مُقْرَب ـ بضمّ الميم، وسكون القاف وفتح الرَّاء وبالموحدة، الفرس الذي يُدْنَى ويُكْرَم والأُنثى مقربة ولا تترك أَن ترود وإنما يفعل ذلك بالإِناث لئلا يقرعها فحلٌ لئيم.

الدارة: أَخص من الدار.

الأَخْطَار ـ جمع خِطْر ـ بكسر الخاء المعجمة وإسكان الطاء المهملة والراء، وهو القطيع من الإِبل.

العَكَر ـ بفتح العين المهملة والكاف، ويجوز إسكانها، وهنا محركة لا غير للوزن: جمع عكرة: وهو القطيع الضَّخْمُ من الإِبل ما بين الخمسين إلى المائة، وقيل: الخمسون إلى الستين إلى السبعين، وقيل إلى المائة، وقيل ما فوق الخمسمائة من الإِبل، يُقال: أَعكر الرَّجُلُ إذا كان عنده عكرة.

خُفَاف ـ بضمّ أَوله، وتخفيف الفاء ـ بن عُمَير بن الحارث بن رشيد السلمي المعروف بابن ندبة ـ بنون ـ وهي أُمه، كان من فرسان قيس وشعرائها المذكورين، شهد حنيناً، وثبت على إسلامه في الرِّدَّة.

وعوف بن مالك بن أَبي عوف الأَشجعي شهد الفتح وكانت معه راية أَشجع ـ رضي الله عنه.

وحيّ ذَكْوَان ـ بفتح الذال المعجمة وسكون الكاف.

الميل: بكسر الميم وإسكان التحتية وباللام جمع أَمْيَل: وهو الذي لا سلاح معه.

الضُّجر ـ بضم الضاد المعجمة والجيم، جمع ضَجُور، والضَّجُر: الحرج وسوءُ الاحتمال.

الضاربون: جمع ضارب.

جُنُودَ ـ بالنَّصب: مفعول اسم الفاعل.

ضَاحِية ـ بفتح الضَّاد المعجمة، وبعد الأَلف حاء مهملة مكسورة، فتحتية فتاء تأْنيث: منكشفة بارزة.

الظَّاهر بالظاء المعجمة المشالة وهو من الأَرض ما غلظ منها.

مُنْقَعِر: منقلع من أَصله.

يَنْجَاب ـ بفتح التَّحتيّة وسكون النون وبالجيم والموحدة: ينكشف.

السَّاطع هنا: الغُبَار.

كدر: متغير إلى السَّواد.

تحت اللِّواء مع الضَّحَّاك، يَقْدُمُنا: كذا في الرِّوَايةِ، وقال في الإِملاءِ، ورواه الْخُشَنِيُّ: تَحْتَ اللوامع. والضَّحَّاك هو ابن سُفيان السلمي.

الليثُ ـ بالثاء المثلَّثة من أَسماء الأَسد.

الخَدِرُ: الدَّاخلُ في خِدْرِه، والخدرُ هنا غابة الأُسود.

المأْزِق ـ بهمزة ساكنة: بعد الميم، والزَّاي المكسورة وبالقاف: موضع الحرب، وأَصله الضيق.

الْكَلْكَل ـ بفتح الكافين وإِسكان اللاَّم الأُولى: الصَّدْر.

يَكَادُ يَغْرُبُ: يأَفلُ ـ بضم الفاء: يغرب.

تأَوَّب ـ بتشديد الواو المفتوحة وبالموحدة: رجع.

منازِلَهُم: بالنَّصْب.

إلا قد أَصْبَح بالنقل للوزن.

شرح غريب قصيدته السينية

قوله: تَهْوِي به: تُسْرِع.

الوَجْنَاء ـ غليظة الوجنات بارزتها، وذلك يدُلُّ على غور عينيها، وهم يَصِفُونَ الإِبل بغور العينين عند طول السّفاد، ويقالُ في الوجنة من الآدميين رجال موجنة وامرأة موجنة، ولا يُقَال وجناء.

مُجْمَرَة: مجتمعة منضمة.

الْمَنَاسِم ـ جمع مَنْسِم، بفتح الميم، وسكون النون وكسر السين المهملة، وهو مقدم طرف خف البعير.

الْعِرْمِس ـ بكسر العين المهملة، وسكون الراء، وكسرِ الميم وبالسّين المهملة: الحجارة الصلبة، تشبَّه بها النَّاقة الشَّدِيدة الجلدة، وهي المراد هنا.

الْمَطِيُّ ـ جمع مطية: البعير لأَنه يُرْكب مَطاهُ أَي ظهره.

تَقْدَع - بِفَتحِ الفوقية، وسكون القاف، وفتح الدَّال، وبالعين المهملة: تكُف.

الكُمَاة - بضم الكاف. الشجعان واحدهم كَمِي.

تُضْرَس - بضم الفوقية، وسكون الضَّاد المعجمة، وفتح الرَّاءِ، وبالسين المهملة، قال في الإملاء: تُجَرَّح، وقال في الروض: تضربُ أَطرافها باللجم؛ يقال ضُرِس أي أُصيبت أَضراسه، كما تقول: رأس أَي أصبت رأْسه.

سَالَ: ارتفع.

الأَفْنـاء - كأَحمال: هنا أخلاط الناس.

بهْثَة - بفتح الموحدة وسكون الهاء، وبالثَّاء المثلثة، وبتاء التأْنيث: قبيلةٌ من سُليم.

الْمَخَارِم - بالخاء المعجمة والراء: الطرق في الجبال، واحدها مخرم.

ترْجُسُ - بالجيم: تهتزّ وتتحرك.

الفَيْلَق - بالفاء المفتوحة فالتحتية الساكنة، فاللام، فالقاف: الجيش.

شهباء: كثيرة السِّلاح.

الْهمَام - بضم الهاء: السيِّد.

الأَشْوَس - بفتح أَوله وسكون الشِّين المعجمة، وفتح الواو، وبالسين المهملة: الذي ينظر بمؤخر عينيه متكبراً.

الأَغْلب: الشَّديد الغليظ.

مُحكَمَة: متقنة.

الدِّخَال - بكسر الدال المهملة وبالخاء المعجمة واللَّام: يعني نسيج الدروع.

القَوْنَس - بفتح القاف، وسكون الواو، وفتح النون وبالسين المهملة: أَعلى بيضة الخوذة.

يُرْوِي - بضم التحتية، وسكون الراء.

القناة - بالقاف والنون: الرُّمح.

الْوَغَى - بفتح الواو، والغين المعجمة: الحرب.

تَخَالهُ: تظنه.

العَضْبُ - بفتح العين المهملة، وسكون الضَّاد المعجمة السَّاقطة وبالموحدة: السيف القاطع.

لَدْنٌ ـ بفتح اللام وسكون الدال المهملة اللَّين من كل شيء:

مِدْعَس: بكسر الميم وسكون الدال، وفتح العين وبالسين المهملتين ـ الشديد من الرماح الغليظ.

العَرَنْدَسُ ـ بفتح العين وبالسين المهملتين الأسد الشديد.

دريئةً ـ من روى دريئة بالهمز فمعناه: مدافعة، ومن رواه دَرِيَّةً بتشديد التحتية فمعناه: تستر، وفي الروض الدريَّة: الحلقة التي يتعلم عليها الرمي، أي كانوا كالدرية للرماح.

والشَّمس يومئذٍ عليهم أَشمس، يُريد لمعان الشمس في كُلِّ بيضة من بيضات الحديد كأنها شمس، وهو معنى صحيح وتشبيه مليح.

كفت: قلبت ومنعت.

الإِخَاوَة: مصدر أَخا وآخى، والمعنى طلب اتخاد الأُخوة.

العَيْر ـ بفتح المهملة: حمار الوحش.

تعَاقبه السباع: مُفَرَّسُ ـ بضمِّ الميم، وفتح الفاء، والراء المشددة وبالسين المهملة: تَعتَوِرُ فرِسَتَه السِّباعُ.

شرح غريب قصيدته الهائية

قوله: الْحَوَاسِر: الجموع الذين لا درع عليهم، ويقال: رجل حَاسِرٌ إذا لم يكن عليه درع.

عامِل الرُّمح: أَعلاه.

يَذُودُ ـ بالذَّال المعجمة، وبعد الواو المهملة: يطرد.

حومة الموت: معظمه.

شَاجِره: مُخَاصِمُه ومُخَالِطُه، ويحتمل أَن يكون شَاجِره هنا مُخَالِطُه بِالرُّمْح، يقال شجرته بالرُّمح إِذَا طعنته به وشجرت الرِّمَاح إِذَا دخل بعضُها في بَعْض.

بِطَانَةُ الرَّجلِ: من كَانَ حَاطَ به مُطَّلِعاً على سِرِّه.

الشِّعَارُ: ما يلي جسد الإِنسان من الثيِّاب، فاستعاره هنا.

شرح غريب قصيدته الميمية

قوله قُدَيداً: تصغير قد، اسم موضع.

تَمارَوْا بنَا: شَكُّوا فينا.

فتيان ـ جمع فَتِىً.

الْغاب بالمعجمة هنا: الرّماح.

دُفَّاع ـ بضمّ الدال المهملة وتشديد الفاء.

الأَتِيّ ـ بفتح أَوله، وكسرِ الفَوْقِيَّة، وتشديد التحتية: السَّيْلُ يأْتي من بَلدٍ إلى بلد.

الْعَرمْرَم: الكثير الشَّديد.

سَراة: سادتهم.

تَسَلَّمَا ـ بتشديد اللام، يريد في سليم من اعتزى أَي انتهى إليهم من حلفائهم فتَسلَّم بِذَلِك كما تقول تَقَيَّس الرجل إِذا اعتَزَى إِلى قيس.

وَحَبَّ إِلينا ـ بفتح الحاء المهملة وتشديد الموحدة فعل ماض وأَصله حَبُبَ ـ بضمّ الموحدة، ثم أُسكنت وأُدغمت في الثانية.

النَّهْي ـ بفتح النُّون، وكسرها، وسكون الهاء، وآخره تحتية: الْغَدِيرُ من الماء.

يلَمْلَما ـ بفتح التحتية، واللَّامين، وسكون الميم بينهما: اسم موضع.

الحِصَانُ ـ بكسر الحاء المهملة: الفرس العتيق، ثم كثر حتَّى سُمِّيَ به كُلُّ ذكر من الخيل.

الْوَرْدُ ـ بلفظ المشموم، ما بين الكميت والأَشقر.

يُسَوِّمَا ـ بضم التحتية وتشديد الواو: يعلم نفسه بعلامة يعرف بها.

لدن: ظرف مكان بمعنى عند.

غُدْوَةً ـ بالنَّصب والتنوين.

دوَافِعه: مجاري السيول فيها.

زَفَّه ـ بالزَّاي، والفاء: ساقه سَوْقاً رفيقاً.

قد أَحْجَمَا ـ بحاءٍ مهملة، فجيم: رجع وآنقبض. وأحجم بالجيم فالحاء بمعناه.

الطِّمِرَّةُ: الْفَرَسُ السريعة الوَثَّابة.

مُحَطم: مُكَسَّر.

السَّرْبُ ـ بفتح السين وسكون الرَّاء: المالُ الرَّاعي.

الباب التاسع والعشرون

في غزوة الطائف

لَمَّا قدم فَلُّ ثقيفٍ الطائف رَمُّوا حصنهم وأَغلقوا عليهم أبواب مدينتهم، وتهيئوا للقتال، وكانوا أَدخلوا فيه قوت سنة لو حُصِروا وَجَمَعُوا حجَارة كثيرة، وأَعدوا سككاً من الحديد وأَدخلوا معهم قَوْماً من العرب من عقيل وغيرهم، وأَمروا بسرحهم أن يرفع في موضع يأمنون فيه، وَقَدَّمَ رَسُولُ الله - ﷺ - بين يديه خالد بن الوليد في أَلْفٍ من أُصحابه إلى الطائف، فأَتى خالد الطائف فنزل ناحية من الحِصْن، وقامت ثقيف على حِصْنِها بالرِّجَال والسِّلاح، ودنا خالد في نفر من أصحابه فدَارَ بالحصن من كان متنحياً عنه، ونظر إلى نواحيه، ثم وَقَف في ناحية من الْحِصْنِ فنادى بأعلى صوته: ينزلُ إليَّ بعضُكُم أكلِّمه وهو آمن حتى يرجع، أَو آجعلوا لي مثل ما جعلت لكم، وأَدخل عليكم حصنكم أُكلمكم. قالوا: لا ينزل إليك رَجُلٌ منا ولا تصِلْ إلينا، وقالوا: يا خالد إنّ صَاحِبَكُم لم يَلْق قوماً يُحْسِنُون قتاله غيرنا. قال خالد: فآسمعوا من قولي، نزل رسولُ اللّهِ - ﷺ - بأَهل الحصون والقوة بيثرب وخيبر، وبعثَ رجلاً واحداً إلى فَدَك فنزلوا على حكمه، وأَنا أُحذركم مثل يوم بني قريظة، حَصَرَهم رسول الله - ﷺ - أَيَّاماً، ثم نزلوا على حكمه، فَقَتَلَ مُقَاتلتهم في صعيد واحد ثمَّ سبى الذُّرية، ثم دَخَل مكة فآفتتحها وأَوطأ هوازن في جمعها، وأنتم في حصنٍ في ناحيةٍ من الأَرض، لو ترككم لقتلكم مَنْ حَوْلَكُم مِمَّن أَسْلَم. قالوا: لا نُفَارِقُ ديننا، ثم رجع خالد بن الوليد إلى منزله.

وسار رسول اللّهِ - ﷺ - بعد خالدٍ ولم يرجع إلى مكة، ولا بها عرج على شيءٍ إلا على غزو الطائف قبل أَن يقسم غنائم حُنَيْن وقبل كُلِّ شيءٍ وَتَرَكَ السَّبْيَ بالْجِعْرَانة وملئت عُرُش مكة منهم.

وكان مسيره في شوال سنة ثمان، وقال شدَّاد بن عَارض الْجُشَمِيّ - رضي الله عنه - في مسير رَسُولِ الله - ﷺ -:

لاَ تَنْصُرُوا الّلاتَ إنَّ اللّهَ مُهْلِكُهَا ... وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُوْ لَيْسَ يَنْتَصِرُ؟

إنَّ الّتِي حُرِّقَتْ بِالسَّدِّ فَاشْتَعَلَتْ ... ولَمْ تُقَاتِلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَدَرُ

إنَّ الرَّسُولَ مَتَى يَنْزِلْ بِلاَدَكُمُ ... يَظْعَنْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشَرُ

قال آبن إسْحاق - رحمه الله تعالى - فَسَلَكَ رسولُ الله - ﷺ - يَعْني مِنْ حُنَيْن إلى الطائِف على نَخْلَةِ اليَمَانِية، ثم على قَرْن ثم على الْمُلَيْح، ثم على بُحْرَة الرُّغاءِ من لِيَّة، فابْتَنى بها مسجداً فصلَّى فيه، وأَقَادَ يومئذٍ بِبُحْرَة الرُّغاء حين نَزَلها بِدَم، وهو أَوّلُ دمٍ أُقيدَ به في الإِسلام، أُتِيَ بِرَجُلٍ من بني لَيْثٍ قَتَلَ رجُلاً من هُذَيْلٍ فَقَتَلَه به. وأَمر رسُول الله - ﷺ - وهو بليَّة بِحِصْنِ مالك بن عوف فَهُدِم. وصلَّى الظُّهر بليّة. ثم سَلَك في طريقٍ يُقَالُ لها الضَّيقَة،

فَلَمَّا توجّه إِلَيْهَا رسولُ اللّهِ ـ ﷺ ـ وَسَأَلَ عن آسْمِها فقيل: الضَّيقة؛ فقال: «بَلْ هِيَ الْيُسْرَى» فخرج منها على نَخب حتَّى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة قريباً مِنْ مَالِ رجُلٍ من ثقيف، قد تَمَنَّع فيه، فأرسل إليه رسولُ الله ـ ﷺ ـ «إِمَّا أَنْ تَخْرُجَ وإمّا أن نحرق عَلَيْكَ حَائِطَكَ»(١) فَأَبَى أن يخرج فَأَمَرَ رسول الله ـ ﷺ ـ بإحراقه.

ذكر إعلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقبر أبي رغال، وما وقع في ذلك من الآيات

روى ابن إسحاق، وأبو داود، والبيهقي عن عبد اللّه بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقول: «حين خرجنا معه إلى الطَّائِف فَمَرَرْنَا بِقبر فَقَالَ رسولُ الله ﷺ «هذا قَبْرُ أَبي رغال، وهو أبو ثقيف، وَكَانَ مِنْ ثَمُود، وكَانَ بِهذَا الْحَرَمِ يَدفعُ عَنْهُ فَلَمَّا خرجَ أَصَابَتْه النَّقْمَةُ الَّتِي أَصَابتْ قوْمَه بِهذَا الْمَكَان فَدفِنَ فيه، وآيَةُ ذلك أَنَّهُ دُفِنَ معه غُصْنٌ من ذهبٍ إن أَنْتُم نَبَشْتُمْ عنه أَصَبْتُموه»(٢). قال: فَآبتدره الناس فَنَبَشُوه فآستخرجوا منه الْغُصْن.

ذكر محاصرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ الطائف

قال ابن إسحاق ـ رحمه الله تعالى ـ: ثم مضى رسُولُ الله ـ ﷺ ـ حتَّى نزل قريباً من الطَّائف، فضربَ عَسْكَرَه، وأَشْرَفَتْ ثَقِيف على حصنهم ـ ولا مِثَالَ له في حصونِ العرب ـ وأَقاموا رُمَاتهم، وهم مائة رَامٍ، فَرموا بالسِّهَام والْمَقَالِيع مَنْ بَعُدَ من حِصْنِهِمْ، ومن دخل تحت الحصن دَلُّوا عليه سِكَكَ الحديد محماةً بالنَّار يطير مِنْهَا الشرر، فرموا المسلمين بالنَّبْلِ رَمْياً شديداً، كأَنه رِجْلُ جراد حتى أُصِيبَ نَاسٌ من المسلمين بجراح، وقُتِلَ منهم اثنا عشر رجلاً، فارتفع ـ ﷺ ـ إلى موضع مسجده اليوم، الذي بنته ثقيف بَعْدَ إِسْلاَمِها؛ بناه أُمية بن عمرو بن وهب بن معتب بن مالك، وكانت فيه سَارِية لا تَطْلُع عليها الشمس صبيحة كل يوم حتى يُسْمَعَ لها نَقِيض أكثر من عشر مرات، فكانوا يرون أن ذلك تسبيح، وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب، فضرب لَهُمَا قُبَّتَيْنِ وكان يُصَلِّي بين الْقُبَّتَيْنِ طول حصار الطائف كله، وقال عمرو بن أُميّة الثَّقفِي ـ وأسلم بعد ذلك، ولم يكن عند العرب أدهى منه ـ لا يخرج إلى محمد أحدٌ إذا دعَا أَحدٌ من أَصْحَابه إلى البراز، ودعوه يُقيم ما أَقام، وأَقْبَلَ خالد بن الوليد ونادى: مَنْ يُبَارز؟ فلم يَطْلُع إليه أَحد، ثم عاد فلم ينزل إليه أحد، ثم عَادَ فَلَمْ ينزل إِليه أَحد، فنادى عَبْدُ

---

(١) المغازي للواقدي ٩٢٥/٣.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٨٨) وعبد الرزاق (٢٠٩٨٩) والبيهقي في السنن الكبرى ١٥٦/٤ وفي الدلائل ٢٩٧/٦، ٤٩٧/٧.

ياليلْ: لا يَنْزِل إِليك أَحد، ولكِنَّا نُقِيم في حِصْنِنَا، خبأْنا فيه ما يصلحنا سنين، فإِذا أَقمت حتى يذهب هذا الطعام خرجنا إِليك بأَسيافِنا جميعاً حتى نموت عن آخرنا.

فقاتلهم رسول الله - ﷺ - بالرمي عليهم وهم يقاتلونه بالرمي من وراء الحصْن، فلم يخرج إِليه أَحد، وكثرت الجراحات له من ثقيف بالنَّبل، وقُتِلَ جَمَاعَةٌ من المسلمين.

ذكر بعثه منادياً ينادي: من نزل من العبيد فهو حر

قال ابن إِسحاق في رواية يونس بن بكير: حدثني عبد اللّه بن المكرم الثقفِي، ومحمد بن عمر عن شيخوخه قالوا: نادى منادي رسول الله - ﷺ - «أَيما عبد نزل من الحِصْنِ وخرج إِلينا فهو حُرٌّ» فخرج من الحِصْنِ بضعة عشر رجلاً: المُنْبعِث، وكان اسمه المضطجع فسمّاه رسول الله - ﷺ - المنبعث حين أَسلم، وكان عبْداً لعثمان بن عامر بن مُعَتِّب، وكان جواداً رُومِيًّا، والأَزْرَق بن عُقْبة بن الأَزرق وكان عبداً لكَلدة - بفتح الكاف وسكون اللام، وبالدال المهملة - الثقفي ثم صَار حليفاً في بني أُمية، ووِرْدَان وكان عبْداً لعبد اللّه بن ربيعة الثَّقفي، ويُحَنَّس - بضم التّحْتِية وفتح الحاء المهملة والنون المشدَّدَة وبالسين المهملة - النَّبَّال وكان عبداً ليسار بن مالك الثَّقَفِي، وأَسلم سَيِّدُه بعد، فرَدّ رسولُ الله - ﷺ - إِليه ولاءَه، وإِبراهيم بن جابر، وكان عبداً لخَرَشة - بفتح الخاء المعجمة والراء والشين المعجمة الثَّقفي، وَيَسَار، وكان عَبْداً لعثمان بن عبد اللّه. وأَبو بَكْرة نُفَيْع - بضم النون وفتح الفاء وسكون التحتية - بن مَسْرُوح - بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء وبالحاء المهملة - وكان عبداً للحارث بن كلَدة، وإِنَّما كُنِّيَ بأَبي بَكْرَة لأَنه نزل في بَكْرَةٍ من الحصن، ونافع أَبو السايب وكان عَبْداً لِغَيْلاَن بن سلمة، فأَسلم غَيْلاَن بعد، فردَّ رسولُ الله - ﷺ - ولاءَه إِليه، ونافع بن مسروح، ومرزوق غلام لعثمان بن عبد اللّه.

وروى الإِمام أَحمد عن ابن عبّاس - رضي الله عنهما - قال: قالَ رسولُ الله - ﷺ - يوم الطّائف «مَنْ خرج إِليْنَا من الْعَبِيدِ فهو حُرٌ» فخرج عبيد من العبيد فيهم أَبو بكرة، فأَعتقهم رسولُ الله - ﷺ -(١).

وروى الشيخان عن أَبي عثمان النَّهْدِي قال: سمعتُ سعداً - وهو أَوَّلُ من رمى بسهم في سبيل الله - وأَبا بكرة - وكان قد تَسَوَّر حصن الطائف قالا: سمعنا رسول الله - ﷺ - يقول: «من ادعى إِلى غير أَبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام»(٢). وفي روايةٍ نزل إِلى النَّبِي - ﷺ - ثلاثة

(١) أخرجه احمد ٢٤٨/١ وابن سعد ١١٥/١/٢، وانظر المجمع ٢٤٥/٤ والبداية ٣٤٧/٤.
(٢) أخرجه البخاري ٥٤/١٢ (٦٧٦٦)، ومسلم ٨٠/١ (١١٥/٦٣).

وعشرون من الطائف ـ فشق ذلك على أَهل الطَّائف مشقةً شديدةً، واغتاظُوا على غِلْمَانهم ـ فأَعتقهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ ودفع رسولُ الله ـ ﷺ ـ كلَّ رجل منهم إلى رجلٍ من المسلمين يمونه ويحمله فكان أَبو بَكرة إلى عمرو بن سعيد بن العاص، وكان الأَزرق، إلى خالد بن سعيد بن العاص، وكان ورْدَان إلى أَبان بن سعيد بن العاص، وكان يُحَنَّس النَّبال إلى عثمان بن عَفّان، وكان يَسَار بن مالك إلى سعد بن عبادة، وكان إبراهيم بن جابر إلى أسيد بن الحضير، وأمرهم رسول الله ـ ﷺ ـ أَن يُقْرِئُوهم القرآن، ويعلموهم السنن، فلما أَسْلَمَتْ ثقيف تكلمت أشرافهم في هؤلاءِ المعتقين، منهم الحارث بن كلدة يردونهم إلى الرِّق، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أُولئِكَ عُتقاءُ الله، لا سبيلَ إِلَيْهم»(١).

ذكر رميه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حصن الطائف بالمنجنيق

قال محمد بن عمر: قالوا: وَشَاوَرَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ أَصْحابَه، فَقَال له سَلْمَانُ الْفارِسي ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله أَرى أَنْ تَنْصِب الْمَنْجَنِيقَ على حصنهم، فإِنَّا كُنّا بأَرض فارسَ نَنْصِب المنجنيقات على الحُصُون. وتُنْصَب علينا، فَنُصِيبُ مِنْ عَدُوِّنا وَيُصِيبُ مِنَّا بالمنجنيق، وإن لم يكن منجنيق طَالَ الثَّواء، فأَمَرَه رسول الله ـ ﷺ ـ فعمل منجنيقاً بيده، فنصبه على حصن الطائف، وهو أول منجنيق رُمِيَ به في الإسلام.

وروى ابن سعد عن مكحول ـ رحمه الله تعالى ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ نَصب المنجنيق على أَهْل الطَّائِفِ أَربعين يوماً، ويُقَال: قدِمَ بِه يزيد بن زَمعةَ بن الأَسود وبِدبَّابتين، ويُقَالُ: الطُّفَيل بن عمرو، ويُقَالُ: خالد بن سعيد قَدِمَ من جُرش بمنجنيق وَبدبَّابتين، وَنَثَر رسُولُ الله ـ ﷺ ـ الحسك، شقتين من حسك من عيدان حول حِصْنِهِم، ودخل المسلمون من تَحْتِ الدَّبابة، وهي من جلود البقَر. وذلك اليوم يُقَالُ له يوم الشَّدْخَةِ لما شُدِخَ فيه من الناس، ثُمَّ زَحفوا بها إلى جِدار الْحِصن ليحفِروه، فَأَرْسَلَتْ ثقيف بسَكَك الحديد المُحْمَاةِ بالنَّار، فحرَّقَت الدَّبَّابة، فخرج المسلمون مِنْ تَحْتِهَا وَقَدْ أُصِيْبَ مِنْهُم مَنْ أُصِيب، فَرَمَتْهُم ثقيف بالنَّبْلِ، فَقُتِلَ مِنهم رِجَالٌ فأَمر رسولُ الله ـ ﷺ ـ بقطع أَعْنابِهِم وَنخيلِهِم وَتَحْرِيقها، قال عروَةُ: أَمر رسولُ الله ـ ﷺ ـ كُلَّ رجلٍ مِنَ المسلمين أَنْ يَقْطَعَ خمس نخلاتٍ وخمس حَبَلات، فقطع المسلمون قَطْعاً ذَريعاً. فَنَادَتْ ثقيف: لِمَ تَقْطَع أَمْوَالَنا؟ إِمَّا أَن تَأْخُذَها إنْ ظَهَرتَ علينَا، وَإِمَّا أَن تَدَعَها لله وللرَّحم فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: فإني أَدعها لله وللرحم فتركها رسولُ الله ـ ﷺ ـ.

وكان رَجلٌ يَقُومُ على الحِصْن فيقول: رُوحوا رعاءَ الشاءِ رُوحوا جَلاً بيبَ مُحَمَّد أَترونَنا نبتئس على أَحْبُل أَصَبْتُمُوها من كُرُومِنَا؟ فَقَال رسُولُ اللّهِ ـ ﷺ ـ «اللَّهُمَّ رَوِّحْ مُرَوِّحاً إلى النَّار».

---

(١) انظر نصب الراية ٣/٢٨١.

قالَ سعد بن أَبي وقَّاص فأَرْميه بِسَهْمٍ فوقع في نحره فهوى من الحصن مَيِّتاً، فَسُرَّ رسولُ الله - ﷺ - بذلك.

ذكر استئذان عيينة بن حصن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في اتيان أهل الطائف يدعوهم إلى الإسلام، وما وقع في ذلك من الآيات

روى أَبو نُعَيم والبيهقي عن عُرْوَةَ بن الزبير - رحمه الله تعالى - قال استأْذن عُيَيْنَةُ ابنُ حصن رسولَ الله - ﷺ - أَن يأْتي أَهْلَ الطائف يُكَلِّمهم لَعَلَّ الله تعالى - أَن يَهْدِيَهُم، فَأَذن له، فَأَتَاهم وَدَخلَ في حِصْنِهم، وَقَالَ بأَبي أَنتم تمسكوا بِمَكَانِكُم فَوَالله لَنَحْنُ بِأَذَل من العبيد، وأَقسم بالله لو حَدَثَ به حدث ليملكن العرب عزًّا ومنعةً، وَإِيَّاكُم أَنْ تُعْطُوا بأَيديكم، وَلا يَتَكاثر عَلَيْكُم قطع هَذا الشَجر، ثم رجع إلى رسول الله - ﷺ - فَقالَ له: «مَا قُلْتَ لَهُمْ يَا عُيَيْنَةَ؟» قَالَ: أَمَرْتُهُم بالإِسلام، وَدَعَوْتُهُم إليه، وحذَّرتهم النَّار، وَدَلَلْتُهم على الْجَنّة، فقَال له رسول الله - ﷺ - «كَذَبْت، بَلْ قُلْتَ لَهُم كذا وَكَذا»[(١)] وقَصَّ عليه قوله، فقال: صَدَقْتَ يا رسول الله، أَتوبُ إلى الله وإليك من ذَلك.

ذكر اشتداد الأمر وحثه - صلى الله عليه وسلم - على الرمي

قال: وعن عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - حَاصَرْنَا قصر الطائف مع رَسُولِ الله - ﷺ - فسمعته يقول: «مَن بلغ بسهم فله دَرَجَة في الجنة» فبلغت يومئذ سِتَّةَ عَشَرَ سَهْماً، وسَمِعْتهُ يقول: «مَنْ رمى بسهم في سَبيل الله فَهُوَ عَدْلُ مُحَرَّر، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً في سَبيل اللّهِ كَانَتْ لَه نوراً يَوْمَ الْقِيَامَة، وأَيّما رَجُل أَعْتَق رَجُلاً مسلماً فإِنَّ الله سُبْحَانَه وتَعَالى جَاعِلٌ كلَّ عظم مِنْ عظامه وقاءَ كل عظم بعظم، وأَيّما آمرأَة مُسْلِمة أَعتقت امرأَةً مُسْلِمَةً فَإِنَّ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ جاعلٌ كُلَّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا وقاءَ كل عظم مِنْ عِظَامِهَا فِي النَّار»[(٢)] رواه يونس بن بكير وأَبو داود والترمذي وصححه النّسَائي.

ذكر نهيه - صلى الله عليه وسلم - عن دخول المخنثين على النساء

روى يونس بن بكير في زيادة المغازي، والشيخان عن أُم سلمة - رضي الله عنها - قَالَت: كان عندي مُخَنَّث - وهو في عُرْفِ السَّلَف: الذي لاَ هَمَّ له إلى النِّسَاءِ لا غير ذلك. كما سيأْتي:

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ١٥٧/٥.

(٢) اخرجه أبو داود (٣٩٦٥) وأحمد ٣٨٤/٤ والنسائي ١٠٤/٧، والحاكم ٥٠/٣ واحمد ١١٣/٤، والبيهقي في الدلائل ١٥٩/٥، وفي السنن ٢٧٢/١٠.

فقال لعبد اللّه أخي: إن فتح الله عليكم الطائِفَ غداً فإني أَدُلُّكَ على آبنه غَيْلاَن فإِنَّها تُقْبِل بأَربعٍ وتُدْبر بثمان. فَسَمِعَ رسول الله - ﷺ - قوله. فقال: «لا أَرَى هَذَا يعلم ما ها هنا لا تُدْخِلَنَّ هؤلاءِ عليكن» وكانوا يرونه من غير أُولي الأرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ، قال ابن جُرَيْج: اسمه هِيت. قال ابن إسحاق: كان مع رسول الله - ﷺ - مولى لخالته فَاخِتَةَ بنت عمرو بن عايد مُخَنَّث يُقَال له مَاتِع يدخل على نسَاءِ رسولِ الله - ﷺ - ويكون في بيته وَلا يَرَى رسولُ اللّهِ - ﷺ - أنه يفطِنُ لشيءٍ مِنْ أُمور النِّسَاء مِمَّا يفطنُ الرِّجَالُ إليه، وَلا يَرَى أَن له في ذلك إرباً، فسمعه وهو يقولُ لخالد بن الوليد: يا خالد إن فتح رسولُ الله - ﷺ - الطَّائِفَ فلا تُفْلَتَنَّ مِنْكَ بَادِيَة بنتُ غَيلان؛ فإِنَّهَا تُقْبِل بأَرْبَع وتُدْبِرُ بثمان. فَقَالَ رسولُ الله - ﷺ - حين سمعَ هذا منه «لا أَرى الخبيث يفطن لما أَسمع» ثم قال لنسائه «لا تدخلنه عليكن» فَحُجِبَ عن بيت رسولِ الله - ﷺ -[1].

ذكر منام رسول الله صلى الله عليه وسلم الدال على عدم فتح الطائف حينئذ وإذنه بالرجوع واشتداد الرجوع على الناس قبل الفتح

قال ابن إسحاق: وبلغني أنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال لأَبي بكر: «إِنِّي رأَيتُ أَني أُهْدِيَتْ لي قَعْبَةٌ مَمْلُوءَة زُبْداً فَنَقَرَها ديك، فَهَرَاق مَا فيها» فقال أبو بكر: ما أَظُن أن تُدرك منهم يومك هذا ما تريد، فقال رسولُ الله - ﷺ - «وَأَنَا لا أَرَى ذَلِكَ».

وروى محمد بن عمر عن أَبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لمَّا مضت خمس عشرة من حصار الطَّائف، استشار رسولُ اللّهِ - ﷺ - نوفلَ بن معاوية الديلي - رضي الله عنه - فقال: «يَا نَوْفَل مَا تَرَى في الْمقَامِ عَلَيْهِم» قال: يا رسولَ الله ثعلبٌ في جُحْرٍ إِنْ أَقمتَ عليه أَخذته، وإن تركته لم يضرك.

قال ابن إسحاق: ثم إِنَّ خَوْلَةَ بِنْتَ حَكيم السُّلمية، وهي امرأة عثمان بن مظعون، قالت: يا رسولَ الله، اعطني، إن فتح الله عليك الطائف - حُلِيّ بَادِيَةَ بنت غيلان، أَو حُلِيَّ الْفَارِعَة بنت عَقِيل - وكانتا من أَحلى نساءِ ثقيف - فروى: أَن رسولَ الله - ﷺ - قال لها: «وإِنْ كَانَ لَمْ يُؤْذَن لَنَا في ثَقِيْفٍ يَا خَوْلة؟» فخرجت خولة، فذكرت ذلك لعمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - فدخل على رسولِ اللّهِ - ﷺ - فقال: يا رسولَ الله ما حَدِيثٌ حَدَّثَتْنِيه خَوْلَةُ؟» زَعَمَتْ أَنك قلته؟ قال «قد قلته» قال «أَوما أُذِنَ فيهم» قال: «لا» قال: أَفلا أُوذِن الناسَ بالرّحيل؟ قال: «بلى» فأَذَّن عمرُ بالرَّحيل.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢٤، ٤٣٢٥)، ومسلم ١٧١٥/٣ (٣٢)، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٢٤/٨، وفي الدلائل ١٦١/٥.

وروى الشيخان عن ابن عمرو أو ابن عمر ـ رضي الله عنهم ـ قال: لمّا حاصر رسولُ الله ـ ﷺ ـ الطائف ولم ينل منهم شيئاً قال «إنَّا قَافِلُون غَداً إنْ شَاءَ الله تعالى» فثقُلَ عليهم، وقالُوا: أَنذهب ولا نفتح؟ وفي لفظ فقالُوا: لا نبرح أو نفتحها، فقال: «اغْدُوا عَلى الْقِتال» فغدوا فقاتَلُوا قتالاً شديداً، فأَصابهم جِرَاح، فقال: «إنا قَافِلُون غَداً إنْ شَاءَ الله تعالى» قال: فأَعْجَبهم، فضحك رسول الله ـ ﷺ ـ قال عروة ـ رحمه الله تعالى ـ كما رواه البيهقي ـ وأَمر رسولُ الله ـ ﷺ ـ الناسَ أَن لا يُسَرِّحُوا ظَهْرَهُم، فلما أَصبَحُوا، ارْتَحَلَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ وأَصحابه ودَعَا حين ركب قَافِلاً وقال: «اللَّهُمَّ اهْدِهِمْ واكْفِنَا مؤنتهم»(١).

وروى الترمذي ـ وحسنه عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قالَ يا رسولَ الله أَحرقتنا نارُ ثقيف، فاَدع الله ـ تعالى ـ عليهم فقال: «اللَّهمَّ اهْدِ ثَقِيفاً وأْت بهم»(٢).

قال ابن إِسحاق في رواية يونس وحدثني عبد اللّه بن أَبي بكر، وعبد اللّه بن المكرم عمن أَدركوا من أَهل العلم: أَنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ حاصر أَهل الطائف ثلاثين ليلة أَو قريباً من ذلك ثم انصرف عنهم ولم يؤذن فيهم، فقدم وفدهم في رمضان فأَسلموا، قلت: وسيأْتي بيان ذلك في الوفود إِن شاءَ الله تعالى. قال ابن إِسحاق في رواية زياد: «وحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة، وقيل: عشرين يوماً وقيل: بضع عشرة ليلة» قال ابن حزم: وهو الصحيح بلا شك.

وروى الإِمام أحمد، ومسلم عن أَنس أَنهم حاصروا الطائف أَربعين ليلة واستغربه في البداية.

قال محمد بن عمر: فقالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ لأَصحابه حين أَرادوا أَن يرتحلوا: «قُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَه لاَ شَرِيكَ لَه، صَدَقَ وَعْدَه وَنَصرَ عَبْدَه، وأَعَزَّ جُنْدَه، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَه» فلما ارتحلوا واستقبلوا قال: «قُولُوا آيبُونَ، إِنْ شَاءَ الله تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُون».

ذكر من استشهد من المسلمين بالطائف وهم اثنا عشر رجلاً

سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية.

وعُرْفُطَة ـ بضمّ العين المهملة، وسكونِ الرّاءِ، وضمّ الفاء، وبالطّاءِ المهملة ـ ابن حُبَاب ـ بضمّ الحاءِ المهملة، وتخفيف الموحدة.

ويزيد بن زَمْعَة ـ بفتح الزّاي ـ وسكونِ الميم ـ ابن الأَسود ـ جمح به فرسه إِلى حِصْنِ الطَّائِف فقتلوه.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢٥) ومسلم في الجهاد باب غزوة الطائف (٨٢)، والبيهقي في الدلائل ١٦٩/٥.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٩٤٢) وأحمد ٣٤٣/٣ وابن سعد ١١٥/١/٢ وابن أبي شيبة ٢٠١/١٢، ٥٠٨/١٤ وانظر البداية ٣٥٠/٤، ٣٥٢.

وعبد الله بن أَبي بكر الصِّديق - رضي الله عنهما - رُمي بسهمٍ فلم يزَلْ جريحاً حتَّى مات بالمدينة بَعْدَ رسولِ الله - ﷺ - وهو غيرُ شهيدٍ عِنْدَ الشَّافعية لأَنه تُوُفي بعد آنقضاءِ الحرب بمدَّة مديدة.

وعبد اللّه بن أَبي أُمية بن المغيرة المخزومي، رمي في الحصن.

وعبد اللّه بن عامر بن ربيعة.

والسَّائب بن الحارث بن قيس السّهمي، وأَخوه عبْدُ الله بن الحارث بن قيس.

وجُلَيْحَة - بضمِّ الجيم، وفتح اللاَّم، وسكون التَّحتية، وبالحاء المهملة، ابن عبد اللّه.

وثابت بن الْجَذَع - بفتح الجيم والذَّال المعجمة وبالعين المهملة، وآسمه ثَعْلَبَة السَّلَمي - بفتح السِّين، واللاَّم.

والحارث بن سَهْل بن أَبي صَعْصَعَة.

والمنذر بن عبد اللّه بن نوفل.

وذكر في العيون هنا: رُقَيْم بن ثابت بن ثعلبة مع ذكره له فيمن استشهد بحنين، تبع هناك ابن إِسحاق، وهنا ابن سعد.

ذكر مسير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الطائف إلى الجعرانة

قالوا: خرج رسولُ الله - ﷺ - من الطائف فأَخذ على دحْنا، ثُمَّ على قرْن المنازل، ثم على نَخْلَة، ثم خرج إِلى الجِعْرَانة وهو على عشَرَة أَميالٍ من مكَّة، قال سراقَةُ بنُ جُعْشُم رضي الله عنه: لقيتُ رسولَ الله - ﷺ - وهو منحدر من الطَّائف إِلى الجِعرانة فتخلصت إِليه - والنَّاسُ يمضون أَمامه أَرسالاً - فوقفت في مِقْنَب من خيل الأَنصار، فجعلوا يقرعونني بالرِّمَاح ويقولون: إِليك إِليك، ما أَنت؟ وأَنكروني، حتَّى إِذا دنوت وعرفت أَنَّ رسولَ الله - ﷺ - يسمعُ صوتي أَخذت الكتابَ الَّذي كتبه لي أَبو بكر فجعلته بين إِصبعين من أَصابعي، ثم رفعتُ يدي به وناديت: أَنا سراقة بن جُعْشُم، وهذا كتابي، فقالَ رسولُ الله - ﷺ -: «هَذَا يوم وَفَاءٍ وَبِرّ، ادْنوه فَأُدْنِيتُ منه، فكأَنِّي أَنْظُرُ إِلى سَاقِ رَسُولِ الله - ﷺ - في غرزه كأَنها الجمارة، فلمَّا انتهيتُ إِليه سلمتُ وسُقْتُ الصَّدَقة إِليه، وما ذكرت شيئاً أَسأَله عنه إِلا أَنِّي قلتُ: يا رسولَ الله أَرأَيت الضالة من الإِبل تغشى حياضي وقد ملأْتُها لإِبلي هل لي من أَجرٍ إِنْ سقيتُهَا؟ قال رسول الله - ﷺ - «نَعَمْ في كُلِّ ذات كبد حَرَّى أَجْر» رواه قال محمد بن عمر: وقد كان رسولُ الله - ﷺ - كَتَبَ لِسُرَاقَةَ كِتابَ مُوَادَعةٍ سأَل سراقة أَياه، فأَمر به فكتب له أَبو بكر، أَو عامر بن فهيرة، وتقدم بيان ذلك في أَبواب الهجرة إِلى المدينة.

وروى محمد بن عمر عن أَبي رُهْم الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: بينا رسولُ الله ـ ﷺ ـ يسير وأَنا إِلى جنبه، وعليّ نعلان غليظان، إِذ زحَمَتْ ناقتي نَاقَة رسولِ الله ـ ﷺ ـ ويقع حرفُ نعلي على ساقِ رسولِ اللّهِ ـ ﷺ ـ فأَوجعته، فقال رسولُ اللّهِ ـ ﷺ ـ «أَوْجَعْتَنِي أَخِّر رجلكَ» وقرع رجلي بالسوط فأَخذني ما تقدم من أَمري وما تأَخر، وخشيت أن ينزل فيَّ قرآنٌ لعظم ما صنعت، فلمَّا أَصبحنا بالجعرانة، خرجتُ أَرعى الظَّهْر وما هو يومي، فرقاً أَن يأْتي رسول الله ـ ﷺ ـ ورسول الله يَطْلُبُنِي، فلمَّا رَوَّحْت الرِّكاب سأَلتُ: فقيل لي طَلَبَك رسولُ الله ـ ﷺ ـ فقلتُ: إِحداهن والله، فجئتُ وأَنا أَترقب، فقال «إِنَّكَ أَوْجَعْتَنِي بِرِجْلِك، فَقَرَعْتُكَ بالسَّوط فَأَوْجَعْتُكَ، فَخُذْ هَذِه الْغنَم عِوَضاً عَن ضَرْبِي» قال أَبُو رهم: فَرِضَاهُ عنِّي كان أَحبَّ إِليَّ من الدُّنيا وما فيها.

وقال ابن إِسحاق في رواية سلمة: حدَّثني عبد اللّه بن أبي بكر أن رجلاً ممن شهد حنيناً قال والله إِني لأَسير إِلى جنب رسول الله ـ ﷺ ـ على ناقة لي وفي رجلي نعلٌ غليظة إِذْ زحَمَتْ ناقتي نَاقَةَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ ويقع حرفُ نعلي على ساق رسول الله ـ ﷺ ـ فأَوجعته فقرع قدمي بالسَّوط، وقال: «أَوْجَعْتَنِي فَتَأَخَّرْ عَنِّي» فانصرفت، فلمَّا كان من الغد إِذَا رسولُ اللهِا ـ ﷺ ـ يلتمسني، فقلت: هذا والله لِمَا كنت أَصبت من رِجْل رسولِ الله ـ ﷺ ـ بالأَمس، قال فجئته وأَنا أَترقب فقال «إِنَّكَ أَصَبْتَ رِجْلي بالأَمسِ فَأَوْجَعْتَنِي فَقَرَعْتُ قَدَمَك بِالسَّوْط فَدَعَوْتُك لأُعَوِّضَكَ مِنْها» فأَعطاني ثمانين نعجة بالضربة التي ضربني.

قال ابن إِسحاق وغيره: ونزلَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ الجِعرانة فيمن معه، ومعه سَبْيُ هوازن ستَّةَ آلاف من الذَّراري والنساءِ، ومن الإِبل والشاء ما لا ندري عدته. وذكر محمد بن عمر، وابن سعد، أَن السَّبْيَ كان ستَّةَ آلاف رأْس. والإِبل أَربعةً وعشرين أَلف بعير، والغنم لا يُدْري عِدَّتُها وقال ابن سعد: أَكثر من أَربعين أَلفاً، وأَربعة آلاف أَوقية فضة، فاستأْنى رسولُ الله ـ ﷺ ـ بالسَّبي لكي يقدم عليه وفدهم.

قدوم وفد هوازن ورد السبي إليهم

قال ابن إِسحاق في رواية يُونس بن بكير عن ابن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنَّا مع رسولِ الله ـ ﷺ ـ بحُنَيْن، فلمَّا أَصاب من هوازن ما أَصاب من أَموالهم وسباياهم أَدركه وَفْدُ هَوَازِن بالجِعْرَانة، وهم أَربعة عشر رجلاً، ورأسهم زُهير بن صُرَد، وفيهم أَبُو بُرْقان عمّ رسول الله ـ ﷺ ـ من الرَّضاعة وقد أَسلموا ـ فقالوا: يا رسولَ الله إِنَّا أَصلٌ وعشيرة، وقد أَصابنا من البلاء ما لم يَخْفَ عليك فامنن علينا منَّ الله عليك.

وقام خطيبُهم زُهير بن صُرَد فقال: يا رسولَ الله إِن ما في الحظائر من السَّبايا عمَّاتُك وخالاتُك وحواضِنُك اللاتي كن يكفلنك. ولو أَنا مَلَحْنَا ـ وقيل: منحنا ـ للحرث بن أَبي

شِمْر، أَو للنُّعمان بن المنذر ثم أَصابنا منهما مثل الذي أَصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما، وأَنت يا رسولَ الله خيرُ المكفولين، ثم أَنشأَ يقول: فذكر بعض الشعر الآتي:

أَخبرنا الأَئمة المسندون، أبو فارس عبد العزيز. الحافظ عمر بن فهد الهاشمي العلوي بقراءَتي عليه بالمسجد الحرام، وأَبو الفتح جمال الدين بن الإِمام أبو الفتح علاء الدين القلقشندي. قرأَه عليه وأَنا أَسمع بمنزله بحارة بهاء الدِّين من القاهرة، وأَبو الفضل عبد الرحيم بن الإِمام محبّ الدين بن الأَوجاقي في إِجازة خاصَّة ـ الشَّافعيُّون رحمهم اللّهُ تعالى.

قال الأَول: أَخبرنا المشايخ الأَربعة قاضي القضاة شهاب الدِّين أَبو جعفر محمد بن شهاب الدِّين أَحمد بن عمر بن الضِّياء القرشي الأُموي الشهير بابن العجمي، وابن أَمير الدَّولة محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الغفور الحلبيان، وقاضي المسلمين عِز الدِّين أَبو محمد عبد الرحيم بن ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفُرَات الحنفي، والأَصيلة أُم محمد سارة بنت عمر بن عبد العزيز بن جماعة المصريان مكاتبةً في كل منهم، قالُوا: أَنبأَنا مسندُ الدُّنيا صلاح الدِّين محمد بن أحمد بن إِبراهيم بن أبي عمر الصَّالحي ـ زاد ابن الفرات وسارّةُ فقالا: والنجم أَحمد بن النجم إِسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي عمر، البهاء حسن بن أَحمد بن هلال بن الهبل، وزين الدين أبو حفص عمر بن حسن بن يزيد بن أُمية المراغي، وزاد ابن الفرات فقال: وأَم محمد ستُّ العرب ابنةُ محمد بن علي بن البخاري، قالوا: أَخبرنا رحَّالةُ الدُّنيا فخر الدِّين أَبو الحسن علي بن أَحمد بن عبد الواحد بن البخاري، قالت حفيدتهُ: حضوراً ـ وقال الآخرون: أَجازة، قال في رواية حفيدته: أَنبأَنا أَبو جعفر محمد بن نصر الصيدلاني، وقال في روايةِ الآخرين: أَنبأَنا أَبو القاسم عبد الواحد بن القاسم الصَّيدلاني، وأَم هانئ عفيفة ابنة أَحمد الأَصبهانية، وقال شيخنا الثاني: أَخبرنا المسند الرحالة زين الدِّين أَبو زيد عبد الرحمٰن القِباني إِجازة مكاتبة وأَم الحسن فاطمة ابنة الخليل بن أَحمد وقريبتهما أُم أَحمد عائشة بنت علي بن أَحمد الحنبليتان ـ إِجازة، إِنْ لم يكنْ سماعاً، قالوا: أَخبرنا أَبو الحزم محمد بن محمد القلانسي قال الأُولون إِجازةً، وقالت الأَخيرة قراءَةً وأَنا حاضرة، أَنبأَتنا المسنِدَةُ مؤنسة خاتون ابنة الملِكِ العادل أبي بكر بن أَيوب قراءةً عليها وأَنا أَسمع: أَنبأَنا أَبو الفخر سعد بن سعيد بن رَوْح. وأَبو سعد أَحمد بن محمد بن أَبي نصر، وأُم هانئ عفيفة بنت أَحمد بن عبد اللّه الفارقاني، وأُم حبيبة عائشة بنت معمر بن الفاخر، ـ إِجازة ـ وقال شيخنا الثالث أَخبرنا شهابُ الواسطي ـ قراءَةً عليه وأَنا أَسمع ـ قال: أَخبرنا مسند الوقت، الصدر أَبو الفتح الميدومي عن أَبي العباس أَحمد بن عبد الدَّايم بن يحيى بن محمود أَخبره ـ إِن لم يكن سماعاً فإِجازة ـ قالوا: أَخبرتنا أُم إِبراهيم فاطمة بنت عبد اللّه بن أَحمد

الْجُوْزَدَانِية، زاد يحيى بن محمود ومحمد بن أَحمد بن المظفَر - حضوراً - قالوا: أَخبرنا أَبو بكر محمد بن عبد اللّه بن المظفَّر ريذة الضَّبِّي قال: أَخبرنا الحافظ أَبو القاسم سليمان بن أَحمد بن أَيوب اللخمي الطبراني قال: حدثنا عبيد اللّه بن رُمَاحِس القيْسِي برمادة الرمْلة سنة أَربع وسبعين ومائتين قال: حدثنا أَبو عمر، وزياد بن طارق، وكان قد أَتت عليه مائة وعشرون سنة قال: سمعت أبا جَرْوَل زُهَيْر بن صُرد الجُشَمي - رضي الله عنه - يقولُ: لما أَسَرنا رسولُ الله - ﷺ - يوم حُنَين ويوم هوازن وذهب يُفَرِّق السَّبْيَ والشاء أَتيته وأَنشأْت أَقول هذا الشعر.

اَمْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللّهِ فِي كَرَمٍ ... فَإِنَّكَ الْمَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ[1]
اَمْنُنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ ... مُشَتَّتٌ شَمْلُهَا فِي دَهْرِهَا غِيَرُ
أَبْقَتْ لَنَا الدَّهْرُ هَتَّافاً عَلَى حَزَنٍ ... عَلَى قُلُوبِهِمُ الْغَمَّاءُ وَالْغِمَرُ
إِنْ لَمْ تَدَارَكْهَا[2] نَعْمَاءُ تَنْشُرُهَا ... يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْماً حِينَ يُخْتَبَرُ
اَمْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا ... إِذْ فُوكَ مَمْلُوَةٌ[3] مِنْ مَحْضِهَا الدُّرَرُ
إِذْ أَنْتَ طِفْلٌ صَغِيرٌ كُنْتَ تَرْضَعُهَا ... وَإِذْ يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ
لاَ تَجْعَلَنَّا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ ... وَاَسْتَبْقِ مِنَّا فَإِنَّا مَعْشَرٌ زُهُرُ
إِنَّا لَنَشْكُرُ لِلنُّعْمَا[4] إِذَا كُفِرَتْ ... وَعِنْدَنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مُدَّخَرُ
فَأَلْبِسِ الْعَفْوَ مَنْ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهُ ... مِنْ أُمَّهَاتِكَ إِنَّ الْعَفْوَ مُشْتَهِرُ
يَا خَيْرَ مَن مَرَحَتْ كُمْتُ الْجِيَادِ بِهِ ... عِنْدَ الْهِيَاجِ إِذَا مَا اَسْتُوقِدَ الشَّرَرُ
إِنَّا نُؤَمِّلُ عَفْواً مِنْكَ تُلْبِسُهُ ... هَادِي الْبَرِيَّةِ إِنْ تَعْفُوا وَتَنْتَصِرُ
فَاَعْفُ عَفَا اللّهُ عَمَّا أَنْتَ رَاهِبُهُ ... يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يُهْدَى لَكَ الظَّفَرُ

فلمَّا سمع رسولُ الله - ﷺ - هذا الشِّعر قال: «مَا كَانَ لي وَلِبَنِي عبدِ المُطَّلِب فَهُوَ لَكُمْ»[1] وقالت قريش: ما كان لنا فهو لِلِه ولرسُولِه. هذا حديثٌ جيِّد الإسناد عالٍ جدًّا، رواه الضِّياءُ المقدس في صحيحه ورجع الحافظ ابن حجر أَنه حديثٌ حسن. وبسط الكَلاَمَ عليه في بُستان الميزان.

قال ابن إِسحاق: فقالَ رسولُ الله - ﷺ - «نِسَاؤُكُم وَأَبْنَاؤُكُم أَحب إِليكم أَمْ أَمْوَالُكُمْ؟»[2].

وفي الصَّحيح عن المسْوَر بن مَخْرَمة - رضي اللّهُ عنهما - ومروان بن الحكم: فقالَ رسولُ الله - ﷺ - «فيمن ترون؟ وأَحَبُّ الحديث إِليَّ أَصْدَقُهُ، فاَختاروا إِحدى الطَّائِفتَين، إِمَّا

(١) تقدم.
(٢) أخرجه البيهقي في السنن ٦/٣٣٦، ٩/٧٥، وفي الدلائل ٥/١٩٥ والبداية ٤/٣٥٣.

السَّبْي، وَإِمَّا الْمَال وَقَدْ كُنْتُ إِسْتَأْنَيْتُ بِكُم» وكان رسولُ اللّهِ - ﷺ - آنتظرهُم بِضع عَشَرَة ليلة حين قفل من الطَّائف، فلمَّا تبيَّن لهم أنَّ رسولَ الله - ﷺ - غير رادٌّ عليهم إلا إحدى الطَّائفتين قالوا: يا رسول الله خيَّرْتَنَا بين أَحسابنا وأَموالنا؟ بل إبناؤنا ونساؤنا أَحبُّ إِلينا، ولا نتكلم في شاة ولا بعير، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبني عَبْدِ المُطَّلِب فهو لَكُم، وإِذَا أَنَا صَلَّيْتُ بالنَّاسِ فَأَظْهِرُوا إِسلامكم، وقولوا: إِنا إِخوانكم في الدِّين، وَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللّهِ - ﷺ - إِلَى المُسْلِمِين وَبِالمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولُ اللّهِ - ﷺ - فإِنِّي سَأُعْطِيكُم ذَلك، وَأَسْأَل لَكُم النّاس» وعلمهم رسولِ اللّهِ - ﷺ - التَشهُّدَ، وكيف يكلِّمون النَّاس. فلمَّا صلَّى رسُولُ اللّهِ - ﷺ - بالنَّاس الظُّهْرَ قاموا فاستأْذنُوا رسولَ اللّهِ - ﷺ - في الكلام، فأَذِن لهم، فتكلَّم خطباؤُهم بما أَمرهُم به رسولُ اللّهِ - ﷺ - فأَصابوا القولَ فأَبلغوا فيه ورَغِبُوا إِليهم في رَدِّ سبيهم، فقام رسولُ اللّهِ - ﷺ - حين فرغوا ليشفع لهم. وفي الصحيح عن المِسْوَر ومروان: أَنَّ رسولَ اللّهِ - ﷺ - قام في المسلمين فَحَمِدَ اللّه وأَثنى عليه بما هو أَهله، ثمَّ قال: «أَمَّا بَعْد فإِنَّ إِخْوَانَكُم قدْ جاءُونا تائبين، وإِني قد رأَيت أَن أَرد عليهم سبيهم، فمن أَحَبَّ أَن يطيب ذلك فليفعل، ومن أَحب منكم أَن يكون على حَظِه حتى نعطيه إِيّاه من أَول فيء يفِيئُه اللّه علينا فليفعل» فقال الناس قد طبنا ذلك يا رسول الله، فقال لهم رسول الله - ﷺ -: «إنا لا ندري من أَذِنَ منكم ممن لم يَأْذَن، فارجعوا حتى يَرْفع إِلينا عرفاؤكم أَمْرَكُم»(١) فرجع الناس [فكلمهم] عرفاؤهم.

قال ابن إِسحاق: وقال رسولُ الله - ﷺ - «أَمَّا مَا كانَ لِي وَلِبَنِي عَبْد المُطَّلِبِ فَهُوَ لكُم» فقال المهاجرون وما كان لنا فهو للّهِ ولرسوله، وقالت الأَنصار: وما كان لنا فهو للّهِ ولِرَسُوله. فقال الأَقرعُ بنُ حابس: أَمَّا أَنا وبنو تميم فلا. وقال عَيينَةُ بن حِصْن: أَمَّا أنا وبنو فَزَارَة فلا. وقال العبَّاسُ بن مِرْدَاس: أَمَّا أَنا وبَنُوا سُلَيمْ فَلاَ. فقالت بَنُو سُلَيْم: ما كان لنا فهو لِرسولِ اللّهِ - ﷺ -، فقال العبّاسُ بن مِرْدَاس: وهَنْتُمُوني، فقال رسولُ الله - ﷺ - «من كان عنده منهن شيءٌ فطابت نفسه أَن يردّه فسبيلَ ذلك، ومن أَمسك منكم بحقه فله بكل إِنسان ستُّ فرائض من أَول فيء يَفيئه الله فردّ المسلمون إِلى الناس نساءَهم وأَبناءَهم، ولم يتخلف منهم أَحدٌ غير عُيَيْنَة بن حِصْن فإِنَّه أَخذ عجوزاً فأَبى أَن يردّها كما سيأْتي».

قال محمد بن عمر ومحمد بن سعد: وكسى رسول الله - ﷺ - السبي قُبْطية، قال ابن عقبة كساهم ثياب المُعَقَّدِ.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٧/٧ (٤٣١٨، ٤٣١٩).

ذكر دعائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على من أبى أن يرد شيئاً من السبي أن يخيس

روى أبو نعيم عن عطية السّعدي ـ رضي الله عنه ـ أنّه كان ممن كلّم رسول الله ـ ﷺ ـ في سَبْي هَوازِن، وكلّم رسول الله ـ ﷺ ـ أصحابه، فردّوا عليهم سبيهم إلاّ رجلاً واحداً، فقالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «اللَّهُمَّ أَخِسْ سَهْمَه» فكان يمرُّ بالجارية فيدع ذلك حتّى مرّ بعجوز، فقال آخذ هذه فإنها أُمُّ حي فيفدونها عليه. فكَبَّر عطية وقال: خذها.

خُذْهَا وَاللّـهِ مَا فُوهَا بِبَارِدِ وَلاَ ثُـدِيُّـهَـا بِـنَـاهِـدِ
وَلاَ زَوْجُـهَـا بِـوَاجِـدِ عَجُوزٌ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا لَهَا أَحَدُ

فلما رأى أنّه لا يعرضُ لها أحدٌ تركها.

وذكر ابن إسحاق ومحمد بن عمر واللفظ له: أَنَّ عُيَيْنَة بن حِصن حين أَبى أَن يَرُدَّ حَظّه من السَّبي خيَّرُوه في ذلك، فنظر إلى عجوزِ كبيرة، فقال: هذه أمّ الحيّ، لعلهم أَن يُغْلُوا فِدَاءَها، فإنَّه عسى أَن يكون لها في الحيِّ نسب، فجاءَ ابنها إلى عُيَيْنَة فقال: هل لك في مائة من الإبل؟ فقال عُيَيْنَة: لا، فرجع عنه وتركه ساعة فقالت العجوز: ما أربك فِيَّ، بعد مائة ناقة، أتركه فما أسرع أَن يتركني بغير فداء، فلمّا سمعها عُيَيْنَةُ قال: ما رأَيتُ كاليوم خُدعة، قال: ثم مرَّ عليه ابنُها فقال له عُيَيْنَة: هل لك في العجوز لما دعوتني إليه؟ قال ابنها: لا أَزيدُك على خمسين. قال عيينة: لا أَفعل، قال: فلبث ساعةً ثم مر به أخرى وهو يعرض عنه فقال له عيينة: هل لك في العجوز بالّذي بذلْتَ لي؟ قال الفتى: لا أَزيدك على خمسٍ وعشرين فريضةً هذا الّذي أَقوى عليه، قال عيينة: لا أَفعل والله، بعد مائة فريضةٍ خمس وعشرون!! فلمّا تخوَّف عُيَيْنَةُ أَن يتفرّق الناس ويرتحلوا، جاءَ عُيَيْنَة فقال: هل لك إلى ما دعوتني إليه إنْ شئت؟ فقال الفتى: هل لك في عشر فائض أُعطيكها، قال عُيَيْنَة: والله لا أفعل، قال الفتى:

والله ما ثديها بناهد ولا بطنها بوالد، ولا فوها ببارد، ولا صاحبها بواجد، فأَخذتها من بين من ترى، قال عيَيْنَةُ: خذها لاَ بَارك الله لك فيها، فقال الفتى: إنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قد كَسَا السَّبي فأخْطَأَها من بينهم بالكسوة، فهل أَنت كاسيها ثوباً؟ فقال: لا والله ما ذلك لها عندي، قال: لا وتفعل، فما فارقه حتّى أَخذ منه سَمل ثوب، ثم ولّى الفتى وهو يقولُ: والله إنَّك لغير بصيرٍ بالفُرض.

وذكر محمد بن إسحاق انَّه ردها بستٍّ فرائض.

وروى البيهقي عن الإمام الشّافعي ـ رضي الله عنه ـ أنَّه ردَّها بلا شيء.

ذكر قسمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أموال هوازن بعد أن رد عليهم سبيهم

روى ابنُ إسحاق في رواية يونس عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أَن رسولَ اللّهِ ـ ﷺ ـ لَمَّا فرغ من ردِّ سبايا هوازن، ركب بعيره وتبعه الناس يقولون: يا رسولَ الله، اقسم علينا فيئنا حتَّى اضطرُّوه إِلى شجرةٍ فانتزعت رِدَاءه، فقال: «يا أَيُّهَا النَّاس، رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائي، فوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كانَ لَكُمْ عِنْدِي عدد شجر تهامة نعَما لقسمته عليكم ثم ما أَلْفَيْتمُونِي بخيلاً ولا كذَّاباً»، ثم قام رسول الله ـ ﷺ ـ إِلى جنب بعيره، فأَخذ مِنْ سنَامِه وَبَرَةً فجَعَلَها بَيْن إِصبعيه فقال: «أَيُّهَا النَّاس وَاللَّهِ مَا لِي مِنْ فَيْئِكُم وَلاَ هَذِه الْوَبَرَةُ إِلاَّ الخُمُس، والْخُمُس مَردُودٌ عَلَيْكُم، فَأَدُّوا الْخِيَاطَ والمَخِيط وَإِيَّاكُم والغلول فإِن الغُلول عَارٌ وَشَنارٌ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَة» فجاءَ رجلٌ من الأَنصار بِكُبَّةٍ خَيْطٍ من خيوط شعْر، فقال: يا رسولَ الله، أَخذتُ هذه الْوَبَرَة لأَخيطَ بها برذعة بعير لي دَبِر، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «أَمَّا حَقِّي مِنْها فَهُوَ لَكَ» فقال الرجل: أَمَا إِذ بَلَغ الأَمرُ فيها هذا فلا حاجة لي بها، فرمى بها من يده(١).

وروى عبد الرَّزاق في جامعه عن زيد بن أَسلم عن أَبيه: أَن عقيل بن أَبي طالب ـ رضي الله عنه ـ دَخَلَ يَوْمَ حُنَيْن عَلَى امرأَته فاطمة بنت شيبة وسيفه ملطَّخ دَماً، فقال: دُونَكِ هذه الإِبرة تخيطين بها ثيابك فَدَفَعَها إِليها، فسمع مناديَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ من أَخذ شَيْئاً فليرُده حتى الْخِيَاط والْمَخِيط، فرجع عَقيل وقال: ما أَجد إِبْرَتَكَ إِلاَّ ذهبت منك، فأَخذها فأَلقاها في المغنم.

وعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: صلَّى بِنَا رسولُ الله ـ ﷺ ـ يوم حُنَيْن إِلى جنب بعيرٍ من المغانم فلمّا سَلَّم تناول وبرَة بين أُنملتين وفي روايةٍ فجعلها بين إِصبعيه ثمَّ قال: «أَيُّهَا النَّاس، إِنَّ هَذِه مِنْ مَغَانِمِكُم، وَلَيْسَ لِي فيها إِلا نَصِيبِي مَعَكُم، الخُمُس، والخُمس مَرْدُودٌ عَلَيْكُم فأَدُّوا الْخَيْط والمَخِيط، وأَكثر من ذلك وأَصغر، وَلا تَغلوا فإِنه عَارٌ وَنَارٌ وَشَنَار عَلى أَهْلِهِ في الدُّنْيَا والآخرة» رواه الإِمام أَحمد وابن ماجة.

وروى عبد الرَّزاق والْبُخَارِي عَنْ جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ أَنَّه بينما هو مع رسول الله ـ ﷺ ـ وَمَعَهُ النَّاس مقفلة من حُنَين عَلِقَت الأَعرابُ برسولِ اللّه ـ ﷺ ـ يسأَلونه، حتى آضطّروه إِلى سَمُرةٍ فخطفت رداءَه، فوقَفَ رسُولُ الله ـ ﷺ ـ ثم قال: «اعْطُونِي رِدائي فَلَوْ كَانَ لِي عدد هذه العِضَاه نَعَماً لَقَسَمْتُه عَلَيْكُم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذَّاباً ولا جباناً»(٢).

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣٣٧/٦.
(٢) أخرجه البخاري (٢٨٢١)، وأحمد ٨٢/٤ والطبراني في الكبير ١٣٥/٢، وانظر البداية والنهاية ٣٥٤/٤.

وعن أَنس قال: كنت أمشي مع رسول الله - ﷺ - وعليه بُرْدٌ نَجْرَانِيّ غليظ الحاشية، فأَدركه أَعرابيّ فجذبه جذبةً شديدة ثم قال: مرْ لي من مال الله الذي عِنْدك، فالتفت إِليه رسولُ الله - ﷺ - وهو يَضْحك، ثم أَمَرَ له بعطاءٍ ورداءٍ.

قالوا: وجُمعت الغنائم بين يَدَي رسول الله - ﷺ - فجاءَه أَبو سفيان بن حرب وقال: يا رسولَ الله أَصبحْتَ أَكثر قريشٍ مالاً، فتبسَّم رسول الله - ﷺ -..

ذكر إعطائه - صلى الله عليه وسلم - المؤلفة قلوبهم قبل غيرهم

قال ابن إِسحاق: أَعطى رسولُ الله - ﷺ - المؤلفة قلوبهم، وكانوا أَشرافاً من أَشراف العرب، يَتأَلفهم ويتأَلف بهم قومهم.

قال محمد بن عمر، وابن سعد: بدأَ رسولُ الله - ﷺ - بالأَموال فقسمها، وأَعطى المؤلفةَ قلوبهم أَوَّلَ الناس، قلت: فمنهم من أَعطاه مائة بعير وأَكثر، ومنهم من أَعطاه خمسين، وجميع ذلك يزيد على الخمسين، وقد ذكرهم أَبو الفرج ابن الجوزي في التَّلْقيح، وابن طاهر في مبهماته، والحافظ في الفتح، والبرهان الحلبي في النور، وهو أَحسنهم سياقاً وأَكثرهم عدداً، وعند كلٍّ منهم ما ليس عند الآخر، ولم يتعرض أَحدٌ منهم لما أَعطى كلَّ واحد، وقد تعرض محمد بن عمر، وابن سعد، وابن إِسحاق لبعض ذلك كما سأُنبّه عليه وهم: أُبَيٌّ - بضم الهمزة، وتشديد التحتية وهو الأَخْنس - بالخاءِ المعجمة والنون والسين المهملة، بن شريق - بالشين المعجمة والقاف.

أُحَيْحَةَ - بمهملتين مصغر - بن أُميّة.

أَسِيد - بفتح أَوله وكسر السين المهملة - بن جارية. بالجيم والتحتية - الثقفيّ، أَعطاه مائة.

الأَقْرَع - بالقاف والراءِ - ابن حابس - بالحاءِ المهملة وبالموحدة والسين المهملة - التميمِي، أَعطاه مائة.

جُبَيْر - بالجيم والموحّدة مصغر - بن مُطْعِم - بضم الميم وسكون الطاءِ وكسر العين المهملتين.

الْجِدّ - بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة - بن قيْس الهميّ، كذا أَورده التلقيح، ولم يذكره الحافظ في الفتح ولا في الإِصابة، وإِنما ذكره فيهما الْجِدّ بن قيس الأَنصاريّ، ولم يتعرض لكونه من المؤلفة ولم يذكر في النور أَنه سَهْميّ أَو أَنْصاري، فإِن صَح أَنه سهمي فهو وارد على الإِصابة.

الحارث بن الحرث بن كَلَدَة - بفتح الكاف واللام وبالدال المهملة. أَعاطه مائة.

الحارث بن هشام بن المُغيرة المخزوميّ، أَعطاه مائة.

حَاطِب بن عبد العُزى العامري.

حرْمَلة بن هَوْذَة - بفتح الهاءِ وسكون الواو وبالذال المعجمة بن ربيعة بن عمرو بن عامر العامريّ.

حَكيم - بوزن أَمِيْر - بن حِزَام - بكسر الحاءِ المهملة، وبالزاي - بن خُوَيْلد، أعطاه مائة، ثمّ سأله مائة أُخرى، فأَعطاه أَياها.

روى الشيخان وغيرهما ومحمد بن عمر - واللفظ له - عن حكيم بن حِزَام - رضي الله عنه - قال: سأَلت رسول الله - ﷺ - بحُنَيْن مائة من الإِبل فأَعطانيها ثم سأَلته مائة من الإِبل فأَعطانيها ثم قال رسولُ الله - ﷺ - «يا حكيم إِنّ هَذَا الْمَالَ حُلْوَةٌ خَضِرَة، فمَنْ أَخَذَه بسخاوةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَه فيه، وَمَنْ أَخَذَه بِإِشْرافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ له فيه، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلْ وَلاَ يَشْبَع، والْيَدُ الْعُلْيَا خيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلى، وَآبْدَأْ بِمَنْ تعُول» فقال: والذي بَعَثَكَ بالحق لا أَرزأُ أَحداً بعدك شيئاً، فكان عُمَرُ بن الخطاب يدعوه إِلى عطائه فَيَأْبَى، أَن يأْخذه، فيَقول عمر: أَيُّهَا الناس أُشْهِدُكُمْ على حَكِيم بن حِزام؛ أَدعوه إِلى عطائه فيأَبى أَن يأْخذه(١).

قال ابن أَبي الزناد: أَخذ حكيم المائة الأُولى فقط وترك الباقي.

حَكيم بن طَلِيق - بوزن أَمير - ابن سُفيان.

حُوَيْطِب - بضم المهملة، وفتح الواو، وسكون التحتية، وكسر الطاءِ المهملة وبالموحدة - ابن عبد العُزّى الْقُرشي الْعَامِرِيّ، أَعطاه مائة.

خالد بن أَسِيد - بوزن أَمير - ابن أَبي العيص بن أُميّة.

خالد بن قيس السهميّ.

خالد بن هَوْذَة - بفتح الهاءِ وبالذال المعجمة - ابن ربيعة بن عامر العامري.

خلف بن هشام، نقله في النور عن بعض مشايخه عن الصغاني، ثم قال في النور: أَنا لا أعرفه في الصحابة قلت: لم يذكره الذّهبيّ في التَّجريد، ولا الحافظ في الإِصابة، فإِن صَحّ فهو وارِدٌ عليه.

وذكر في العيون: رقيم بن ثابت بن ثعلبة، وتقدم أَنه آستشهد بِحُنين والله أَعلم.

زهير بن أَبِي أُميّة بن المغيرة أَخو أُم المؤمنين أُمّ سَلَمَة.

زيد الخيل بن مهلهل الطائي، عزاه في الفتح لتلقيح ابن الجوزي، ولم أَجده في نسختين.

السّائِب بن أَبي السائب.

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٢).

صيفي بن عائِذ - بهمزة بعد الألف فذال معجمة - المخزومي.

سعيد بن يَرْبُوع بن عَنْكَثَة - بفتح العين المهملة - وسكون النون وفتح الكاف، والثاءِ المثلثة، أَعطاه خمسين.

سفْيان - بالحركات الثلاث في سينه وبسكون الفاء وبالتحتية - بن عبد الأَسد المخزوميّ.

سَهل بن عَمْرو بن عبد شمس العامريّ وأَخوه سُهيل بن عمرو، أَعطاه مائة.

شَيبَة بن عثمان القرشي العَبْدَرِيّ.

صخر بن حرب أَبو سفيان، أَعطاه مائةً من الإِبل وأَربعين أُوقية فضة.

صَفْوان بن أُميّة الْجُمحيّ، أَعطاه مائة، وروى البخاريّ عن صَفْوان قال: ما زال رسولُ الله - ﷺ - يُعطيني من غنائِم حُنَيْن وهو أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِليَّ حتى ما خلق الله - تعالى - شَيْئاً هو أَحبُّ إِليّ منه. وفي صحيح مسلم أنه - ﷺ - أَعطاه مائة من الغنم، ثم مائة، ثم مائة[1]، قال محمد بن عمر: يقال إنّ صفوان طاف مع رسول الله - ﷺ - يتصفّح الغنائِم إِذ مرّ بِشِعْبِ مملوءٍ إِبلاً مِمّا أَفاءَ الله به على رسوله - ﷺ - فيه غنم وإِبل ورعاؤها مملوء، فأُعْجِبَ صفوانُ وجعل ينظر إِليه، فقالَ رسولُ الله - ﷺ -: «أَعْجَبَكَ هَذَا الشّعب يَا أَبَا وهْب؟» قال: نعم. قال: «هو لك بما فيه» فقال صفوان: أَشهد أَنك رسولُ الله - ﷺ - ما طابت بهذا نَفْسُ أَحدٍ قط إِلا نبي.

طليق بن سفيان والد حكيم السابق.

العباس بن مِرْداس - بكسر الميم وسكون الراء وبالدال المهملة. قال ابن أَسحاق: أَعطاه أَباعِرَ، وقال محمد بن عمر وابن سعد: أَربعاً من الإِبل فسَخِطَها.

وروى الإِمام أَحمد، ومسلم، والبيهقي عن رافع بن خُديج - رضي الله عنه - أَن رسولَ الله - ﷺ - أَعطى المؤلفة قلوبهم من سَبْيِ حُنيْن كل رجل منهم مائة من الإِبل، فذكر الحديث فيه[2]: وأَعطى العباس بن مِرْداس دون المائة، نقص من المائة ولم يبلغ به أُولئك، فأَنشأَ العباس بن مِرْدَاس يقول:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعَبَـ ـيْـدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعِ
فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلاَ حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا تُدْرَإٍ فَلَمْ أُعْطَ شَيْئاً وَلَمْ أُمْنَعِ

---

(١) مسلم ٧٣٧/٢.

(٢) أخرجه مسلم ٧٣٧/٢ (١٠٦٠/١٣٧).

وَمَا كُنْتُ دُونَ آمْرِئٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لاَ يُرْفَعِ

فأَتَمَّ له رسُول الله - ﷺ - المائة، ورواه البيهقي[1] عن ابن إسحاق رحمه الله بلفظه: فقال العباس بن مِرْداس يعاتبُ رسولَ الله - ﷺ -:

كَانَتْ نِهَاباً تَلاَفَيْتُهَا بِكَرِّي عَلَى الْمُهْرِ فِي الأَجْرَعِ
وَإِيْقَاظِيَ الْقَوْمَ أَنْ يَرْقُدُوا إِذا أَهْجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعِ
فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبُ الْعُبَيْـ ـدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعِ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا تُدْرَإٍ فَلَمْ أُعْطَ شَيْئاً وَلَمْ أُمْنَعِ
وَإِلاَّ أَفَائِلَ أُعْطِيتُهَا عَدِيدَ قَوَائِمِهَا الأَرْبَعِ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلاَ حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ آمْرِئٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لاَ يُرْفَعِ

فبلغ رسول الله - ﷺ - فدعاه وقال: «أَنْتَ القَائلُ فأَصبحَ نهْبِي، وَنَهْبُ العُبَيْدِ بَيْنَ الأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةَ؟» فقَالَ أَبو بكر الصديق: - رضي اللَّهُ عَنْهُ - بأَبِي أَنت وأُمِّي لم يقل كذلك، ولا والله ما أَنت بشاعر، وما ينبغي لك، وما أَنت براوية. قال: «فَكَيْفَ قالَ»؟ فأَنشده أَبو بكر - رضي الله عنه - فقال النبيُّ - ﷺ - «اقْطَعُوا عَنِّي لسَانَه» ففزع منها ناسٌ، وقالوا: أمر بالْعَبّاس بنِ مِرْدَاسٍ أَنْ يمثّل به، وإنما أَراد رسولُ الله - ﷺ - بقوله: «اقْطَعُوا عَنِّي لسَانه» أَي يقطعوه بالعَطِيّةِ من الشاءِ والغنم.

عبد الرحمن بن يربوع الثَّقفي.

عثمان بن وهب المخزوميّ أَعطاه خمسين.

عديّ بن قيس بن حُذافة السَّهميّ أَعطاه خمسين.

عِكرمة بنُ عامِرِ الْعَبْدَرِيّ.

عكرمة بن أَبي جهل.

عمرو بن هِشَام، نقله في النور عن بعض مشايخه عن ابن التين.

علقمة بن عُلاَثة - بضمِّ العين والتخفيف، وبالثاءِ المثلثة - بن عوف - بالفاءِ عمرو بن الأَهتم - بالفوقية.

عَمْرُو بن بَعْكَك - بموحدة، فعين مهملة، فكافين، وزن جَعْفَر، أَبو السَّنَابل - جمع سُنبلة عَمْرو بن مِرْدَاس السُّلَميّ أَخو عباس.

---

(٢) البيهقي في الدلائل ٥/١٨١.

عُمَيْر - بضم أَوله، وفتْح الميم، وسكون التحتية - بن وَدَقَة - بفتح الواو والدّال المهملة.

عُمَير بن وَهْبِ الْجُمَحِيّ، أَعْطَاهُ خَمْسِين.

العَلاَء بن جَارِيَة - بالجيم والتحتية - الثَّقَفِيّ أَعطاه خمسين. وقال ابن إِسحاق: مائة.

عُيَيْنَة - بضم العين المهملة، وكسرها، وفتح التحتية الأُولى - بن حصْنٍ - بكسر الحاءِ، وبالصّاد المهملتين وبالنون - الفَزارِيّ، أَعطاه مائة.

قَيْس بن عَدِيٍّ السَّهْمِيّ، أَعطاه مائة كذا ذكره ابن إِسحاق، ومحمد بن عمر. وقال بعضُهم: صوابه عَدِيُّ بنُ قَيْسٍ - على العكس - وقَالَ الحَافِظُ: هُمَا وَاحِدٌ فانْقَلَب، أَمْ اثْنَان؟ قلت: وَهُو الظّن؛ لاتّفاقِ ابن إِسحاق والوَاقِدِيّ عَلى ذَلك.

قَيْس بنُ مَخْرَمَة - بفتح الميم، وسُكون الخَاءِ المُعْجَمَةِ، وَفَتْحِ الراء، والميمَ - ابن المُطَّلِبَ بن عبد مَنافٍ.

كَعْب بن الأَخْنَسِ نقله في النُور عَنْ بعض مشايخه، ثم قَالَ: وَلا أَعْرِفُه أَنَا. قلت: لاَ ذَكَرْته فِي التّجرِيدِ، وَلاَ في الإِصَابَةِ.

لَبِيد - بوزْنِ أَمِيرٍ - بن رَبِيعة العَامِرِيّ.

مَالِك بن عَوْفٍ بالفاءِ - النّصْرِي بِالنُّونِ، والصّاد المُهْملَة - رأْسُ هَوَازِنَ، أَعْطَاهُ مائةً.

مَخْرَمَة - بَفَتْحِ الميم، وَالرّاءِ، وسُكُون الخَاءِ المُعْجَمَةِ بينهما، - بن نوفل الزهريّ، أَعطاه خمسين.

مطيع بن الأَسود القرشيّ العدويّ.

معاوية بن أَبي سفيان.

أَبو سفيان صخر بن حرب، أَعطاه مائة من الإِبل وأَربعين أُوقية فضلة.

المغيرة بن الحارث أَبو سفيان القرشي الهاشمي.

النُّضَير - بالضاد المعجمة والتصغير - بن الحرث بن علقمة، أَعطاه مائة من الإِبل.

نوفل بن معاوية الكنانيّ.

هشام بن عمرو القرشيّ العامريّ أَعطاه خمسين.

هشام بن الوليد المخزوميّ.

يزيد بن أَبي سفيان صخر بن حرب أَعطاه مائة بعير وأَربعين أُوقية.

أَبو الجهم بن حُذَيْفة بن غانم القرشيّ العدويّ.

أَبو السنابل، اسمه عمرو، تقدم.

فهؤلاءِ بضع وخمسون رجلاً لعلك لا تجدهم مجموعين محرّرين هكذا في كتاب غير هذا الكتاب والله الموفّق للصواب.

وروى البخاري عن أَبي موسى الأَشعري[1] ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت عند رسول الله ـ ﷺ ـ وهو نازل بالجِعرّانة بين مكة والمدينة ـ ومعه بلال ـ فأَتى رسولَ الله ـ ﷺ ـ أَعرابيٌ فقال: أَلا تُنْجِزُني ما وعدتني؟ فقال له: «أَبْشِرْ» فقال: قد أَكثرت عليّ من البشر. فأَقبل على أَبي موسى وبلال كهيئة الغَضْبان فقال: «ردَّ البُشْرَى فاقبلا أَنتما، قالا قبلنا» ثم دعا بقدح فَغَسل يَدَيْه ووجهه، ومجَّ فيه، ثم قال: «اشربا منه وأَفْرِغا على وجوهكما ونحوركما، وأَبْشِرا» فأَخذا الْقدح ففعلا، فنادت أُم سلمة من وراء السِّتر: أَنْ أَفْضِلا لأُمكما، فأَفضلا منه طائفة.

قالوا: ثم أَمر رسولُ الله ـ ﷺ ـ زيد بن ثابت بإِحضار الناس والغنائم، ثم فَضَّها على الناس فكانت سهامهم، لكل رجل أَربع من الإِبل أَو أَربعون شاة، فإِن كان فارساً أَخذ اثنتي عشرة من الإِبل أَو عشرين ومائة شاة، وإِن كان معه أَكثر من فرس واحد لم يسهم له.

ذكر بيان الحكمة في إعطائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ اقواماً من غنائم حنين ومنعه آخرين

قال ابن إِسحاق: حدثني محمد بن إِبراهيم بن الحارث التَّيْميّ، أَنّ قَائِلاً قال لرسول الله ـ ﷺ ـ من أَصحابه، قال محمد بن عمر: هو سعد بن أَبي وَقّاص: يا رسول الله، أَعطيْتَ عُيَيْنَة بنَ حصن، والأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مائة، وتركْتَ جُعَيْلَ بْنَ سُراقة الضَّمْريّ؟! فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ «أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ محَمَّدٍ بِيَدِهِ لَجُعَيْلُ بْنُ سُرَاقَةَ خَيْرٌ مِنْ طِلاَعِ الأَرض كلهم مِثْلُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَالأَقْرَعِ بْنِ حَابِس، وَلَكِنِّي تَأَلَّفتهُمَا لِيُسْلِمَا، وَوَكَلْتُ جُعَيْلَ بْن سُرَاقَةَ إِلَى إِسْلاَمِهِ».

وروى البخاريُّ عن سعد بْنِ أَبي وقّاص ـ رضي الله عنه ـ قال: أَعطى رسولُ الله ـ ﷺ ـ رهْطاً وأَنا جالس فترك منهم رجلاً هو أَعجبهم إِليّ، فقمتُ فقلتُ: مالك عن فلان والله إِني لأَراه مُؤْمِناً؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «أَو مُسْلِماً» ذكر ذلك ثلاثاً، وأَجابه بمثل ذلك، ثم قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ «إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وغيره أَحَبُّ إِليّ منه خَشْيَةَ أَن يَكُبّه الله ـ تعالى ـ في النّار على وجهه»[2].

---

(١) سيأتي في شرح الغريب أن الصواب بين مكة والطائف.

(٢) البخاري ٣/٣٩٩ (١٤٧٨).

وروى البخاريّ عن عمرو بن تَغْلِب قال: أَعطى رسولُ الله - ﷺ - قوماً ومنع آخرين فكأنهم عَتِبوا عليه فقال: «إني أُعْطِي أَقْوَاماً أَخافُ هَلَعَهُم وَجزَعَهُم، وَأَكِلُ أَقْوَاماً إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ - تعالى - في قُلُوبهم مِنَ الْخَير والْغِنَى، مِنْهُم عَمْرو بن تَغْلَبِ»(١).

قال عمرو: فما أَحْببت أَنَّ لي بكلمة رسولِ الله - ﷺ - حُمْرُ النَّعَم.

ذكر عتب جماعة من الأنصار على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أعطى قريشاً ولم يعط الأنصار شيئاً وجمعه إياهم واستعطافه لهم

روى ابن إِسحاق، والإِمام أَحمد عن أَبي سعيد الْخُدْرِي، والإِمام أَحمد، والشيخان من طريق أَنس بْنِ مالك، والشيخان عن عبد اللّه بن يزيد بن عاصم - رضي الله عنهم - أَنَّ رسولَ الله - ﷺ - أَصاب غنائِم حُنَيْن، وقسم للمتأَلّفين من قُرَيش وسائِر العرب ما قسم، وفي رواية: طَفِقَ يُعْطي رَجُلاً المائة من الإِبل، ولم يكن في الأَنْصَارِ منها شَيءٌ قليلٌ ولا كثير، فوَجَدَ هذا الحيُّ من الأَنصار في أَنفسهم، حتى كثر فيهم الْقَالَة حتّى قال قائلهم: يغفِرُ الله - تعالى - لرسول الله - ﷺ - إِنّ هذا لَهُوَ الْعَجَب يُعْطي قريشاً، وفي لفظِ الطّلقاءَ والْمُهَاجِرِين، ويتركنا وسُيُوفُنَا تقطر من دمائهم، إِذا كانت شديدة فنحن ندعى ويُعْطى الغنيمةَ غيرنا ودِدْنَا أَنّا نعلم ممن كان هذا، فإِن كان مِنْ أَمر الله تعالى صَبَرْنا، وإِن كان من رأْي رسول الله - ﷺ - استعتبناه(٢).

وفي حديث أَبي سعيد: فقال رَجُلٌ من الأَنصار لأَصحابه: لقد كنت أَحدثكم أَن لو استقامت الأُمور لقد آثر عليكم. فَرَدُّوا عليه ردًّا عنيفاً. قال أَنس: فحُدِّثَ رسول الله - ﷺ - بمقالتهم، وقال أَبو سعيد: فمشى سَعْدُ بْنَ عبادة إِلى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله: إِنَّ هذا الْحَيَّ قد وَجَدُوا عليك في أَنْفُسِهِم. قال: «فيم» قال: فيما كان من قَسْمِك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْد»؟ قال: ما أَنا إِلا امرؤ من قومي، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، وفي لفظ في هذه القُبّة، فإِذا آجتمعوا فأَعلمني»، فخرجَ سعدٌ يصرخ فيهم حتّى جَمَعَهم في تلك الحظيرة.

وقال أَنس: فأَرسل إِلى الأَنصار فجمعهم في قُبّة من أدم ولم يَدْعُ غيرهم، فجاءَ رِجَالٌ من المهاجرين فأذن لهم فيهم، فدخلوا، وجاءَ آخرون فردهم، حتى إِذا لم يبق أَحد من الأَنصار إِلاّ اجتمع له. أَتاه فقال يا رسول الله: قد اجتمع لك هذا الحيّ من الأَنصار حيث أَمرتني أَن

(١) أَخرجه البخاري ٦/٢٨٨ (٣١٤٥).

(٢) أَخرجه البخاري من حديث أنس (٣١٤٧).

أَجْمَعَهُم، فخرج رسولُ الله - ﷺ - فقال: «هَلْ مِنْكُم أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُم»؟ قالوا: لا يا رسول الله إلا ابن أُخْتِنَا، قال: «ابن أُختِ القوم منهم» فقام رسولُ الله - ﷺ - خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «يا مَعْشَر الأَنْصَار أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُم الله - تعالى - وَعَالَةً فَأَغْناكُم الله، وأَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُم، وفي رواية مُتَفرِّقِين فَأَلَّفكُم الله؟ - قالوا: بَلى يَا رَسُولَ الله؛ الله ورسوله أَمَنُّ وَأَفْضل.

وفي رواية قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «أَلاَ تُجِيبُونَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَار؟» قالوا: وَمَا نَقُولُ يَا رَسُولَ الله؟ وَمَاذَا نُجِيبُكَ؟ الْمَنُّ للّهِ - تعالى - وَلِرَسُولِه - ﷺ -: «وَالله لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُم وصُدِّقْتُم، جِئْتَنَا طَرِيداً فَآوَيْنَاك، وعَائلاً فَآسَيْنَاكَ، وَخَائِفاً فَأَمَّنَّاك، وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ، وَمُكَذَّباً فَصَدَّقْنَاكَ» فَقَالُوا: الْمَنُّ لله - تعالى - وَرَسُولِه، فقال: «وَمَا حَديثٌ بَلَغَنِي عَنْكُم؟» فَسَكَتُوا، فَقَالَ: «مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُم»؟ فقال فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ: أَمَّا رُؤَسَاؤُنَا فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئاً، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُم قَالُوا يَغْفِرُ الله - تعالى - لِرَسُولِه - ﷺ - يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَتْرُكنا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِم!! فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ - ﷺ - «إِنّي لأُعْطِي رِجَالاً حَدِيثي عَهْدٍ بِكُفْرٍ لِأَتَأَلَّفَهُمْ بِذَلِكَ»[1].

وفي روايةٍ إِنَّ قُرَيْشاً حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيّة وَمُصِيبَة، وَإِني أَرَدْتُ أَنْ أَجْبُرَهُمْ وَأَتأَلَّفَهُم، أَوَجَدْتُم يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُم في لَعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْماً أَسْلَمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى مَا قَسَمَ الله - تعالى - لَكُمْ مِنَ الإِسْلاَم، أَفَلاَ تَرْضَوْن يَا مَعْشَر الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ إِلى رِحَالِهِم بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللّهِ - ﷺ - إِلَى رِحَالِكُم تَحُوزُونَه إِلى بُيُوتِكُم، فَوَاللّهِ لَمَنْ تَنقَلِبُون بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِه، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيدَهِ لَوْ أَنَّ النَّاسَ سَلَكُوا شِعْباً وسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْباً لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنصار.

وفي رِوَايَةٍ لوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً وسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْباً - أَنْتُم الشِّعَارُ وَالنَّاسُ دِثَار، الأَنصار كَرِشِي وعَيْبَتِيّ، ولولا أَنَّها الْهِجْرَةُ لكنتُ آمْرَأً من الأَنصار، اللهمّ آرْحَم الأَنْصَارَ، وأَبناءَ الأَنصارِ فبكى القوم حتى أَخضلوا لحاهم، وقالوا: رضِينا بالله ورسولِهِ حَظًّا وقسْماً.

وذكر محمد بن عمر أَنّ رسول الله - ﷺ - أَراد حين إِذ دعاهم أَن يكتب بالبحرين لهم خاصة بعده دون الناس، وهي يومئذ أَفضل ما فتح عليه من الأَرض، فقالوا: لا حاجة لنا بالدنيا بعلك، فقال رسول الله - ﷺ - «إِنكم سَتجِدُون بعدي أَثَرَةً شديدةً، فاصبروا حتى تلقوني على الحَوْضِ» وكان حَسان بن ثابت - رضي الله عنه - قال قَبْلَ جَمْع النبي - ﷺ - الأَنصار.

(١) أخرجه البخاري (٣١٤٦، ٣١٤٧، ٣٥٢٨، ٣٧٧٨، ٣٧٩٣، ٤٣٣١، ٤٣٣٢، ٤٣٣٣، ٤٣٣٤).

زَادَ الهُمُومَ فَمَاءُ الْعَيْنِ مُنْحَدِرٌ سَحّاً إذَا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دِرَرُ
وَجْداً بِشَمَّاءَ إذْ شَمَّاءُ بَهْكَنَةٌ هَيْفَاءُ لاَ ذَنَنٌ فِيهَا وَلاَ خَوَرُ
دَعْ عَنْكَ شَمَّاءَ إذْ كَانَتْ مَوَدَّتُهَا نَزْراً وَشَرُّ وِصَالِ الوَاصِلِ النَّزِرُ
وَآئْتِ الرَّسُولَ فَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْتَمنٍ لِلْمُؤْمِنِينَ إذَا مَا عُدِّدَ البَشَرُ
عَلاَمَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهْيَ نَازِحَةٌ قُدَّامَ قَوْمٍ هُمُوا آوَوْا وَهُمْ نَصَرُوا
سَمَّاهُمُ اللّهُ أَنْصَاراً بِنَصْرِهِمُ دِينَ الهُدَى وَعَوَانُ الحَرْبِ تَسْتَعِرُ
وَسَارَعُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْتَرَضُوا لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَافُوا وَمَا ضَجِرُوا
وَالنَّاسُ إِلْبٌ عَلَيْنَا فِيكَ لَيْسَ لَنَا إلاَّ السُّيُوفُ وَأَطْرَافُ القَنَا وَزَرُ
نُجَالِدُ النَّاسَ لاَ نُبْقِي عَلَى أَحَدٍ وَلا نُضَيِّعُ مَا تُوحِي بِهِ السُّوَرُ
وَلاَ تَهِرُّ جُنَاةُ الحَرْبِ نَادِيَنَا وَنَحْنُ حِينَ تَلَظَّى نَارُهَا سُعُرُ
كَمَا رَدَدْنَا بِبَدْرٍ - دُونَ مَا طَلَبُوا - أَهْلُ النِّفَاقِ فَفِينَا يَنْزِلُ الظَّفَرُ
وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ أُحُدٍ إذْ حَزَّبَتْ بَطَراً أَحْزَابَهَا مُضَرُ
فَمَا وَنَيْنَا وَمَا خِمْنَا وَمَا خَبَرُوا مِنَّا عِثَاراً وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ عَثَرُوا

ذكر اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق والنفاق على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في القسمة العادلة، وما وقع في ذلك من الآيات

روى الشيخان والبيهقي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: لما قسم رسول الله - ﷺ - لنا هوازن يوم حُنَيْن آثر أُناساً مِن أَشراف العَرَب، قالَ رجلٌ مِن الأَنصار: هذه قِسْمَةٌ ما عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فيها وَجْهَ اللّهِ، فقلت: والله لأُخبِرَنّ رسول الله - ﷺ - فأَخبرته، فتغيّرَ وجهُهُ حتى صار كالصرّف وقال: «فمن يعدل إذا لم يعدل اللّهُ ورسولُه؛ رَحْمَةُ الله على موسى قد أُوذِي بأَكثر من هذا فصبر»(١).

والرجلُ المُبْهَمُ: قال محمد بن عمر هو مُعَتِّب بن قُشَيْر.

قصة أُخرى: روى ابن إسحاق عن ابن عمرو، والإمام والشيخان عن جابر، والشيخان والبيهقي عن أَبي سعيد - رضي الله عنهم - أن رسول الله - ﷺ - بَيْنَا هُوَ يقسم غنائم هوازن إذ قام إليه رجلٌ - قال ابن عمر وأَبو سعيد: من تميم يقالُ له ذو الخُوَيْصِرَة، فوقف عليه وهو يعطي الناسَ فقال: يا محمد قد رأَيتُ مَا صَنَعْتَ في هذا اليوم، فقال رسول الله - ﷺ -: «أَجل، فَكَيْفَ رَأَيْت؟» قال: لم أَرَكَ عَدَلْتَ، اعدل. فغضب رسولُ الله - ﷺ - وقال: «شقِيتُ إن لم

---

(١) البخاري (١١٣٨) ومسلم ٧٣٩/٢ (١٤٠).

أَعْدِل، ويحكَ إِذا لَمْ يَكُن الْعَدْلُ عِنْدِي فَعِنْدَ مَنْ يَكُون؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دَعْنِي أَقْتُل هَذَا الْـمُنَافِق، فَقَالَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ «مَعَاذ الله أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُل أَصْحَابِي، دَعُوه فَإِنّه سَيَكُون له شيعَةٌ يَتَعَمَّقُون في الدِّين حَتَّى يَخرُجُوا مَنْهُ كَمَا يَخْرجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي النَّصْلِ فَلاَ يُوجَدُ فيه شَيءٌ، ثُمَّ في الْقِدْحِ فَلاَ يُوجَدُ فيه شيءٌ، ثُمَّ فِي الْفُوقِ فَلاَ يُوجَدُ فيه شيءٌ، وفي لفظ ثم يُنْظَرُ إِلى رِصَافِه فلا يوجَدُ فِيه شَيْءٌ ثم يُنْظَرُ إِلى نصِيبِهِ وهو قِدْحه، فلا يُوجَدُ فيه شيءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ أَلى قُذَذِه فلا يُوجَدُ فيه شيءٌ، قد سبق الْفَرْثَ والدَّم يحقر أَحدُكم صَلاَتَه مع صَلاَتِهِم وَصِيَامَه مَعَ صِيَامِهِم» ولفظ رواية جابر: «إِنَّ هذا وأَصحابه يقرؤون القرآن لا يُجاوِزُ حَنَاجرهم يمرقون منه كما يمرقُ السَّهم من الرَّمِيّة، آيَتُهُم أَن فيهم رَجُلاً أَسْود، إِحْدَى عَضُدَيْه مِثْل ثَدْى الْمَرْأَة، أَوْ مِثل الْبَضْعَة تَدَرْدَر، يخرجون على حين فُرقَة من الناس» وفي رواية «على حين فُرقَة».

قال أَبو سعيد: فأَشهد أَني سمعتُ هذا من رسول الله ـ ﷺ ـ وأَشهدُ أَن عليَّ بن أَبي طالب قاتلهم وأَنا معه، وأَمر بذلك الرجُلَ فالتُمِسَ حتَّى أُتي به، حتَّى نظرتُ إِليه على نَعْتِ رسولِ الله ـ ﷺ ـ الَّذِي نعت.

ذكر قدوم مالك بن عوف على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن يذكر معه

قالوا: وقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ لوفد هوازن: «مَا فَعَلَ مَالِكُ بْنُ عَوْف» قالوا يا رسول الله: هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف. فقالَ رسولُ اللّهِ ـ ﷺ ـ «أَخْبِرُوه أَنَّه إِن أَتَانِي مُسْلِماً رَدَدْتُ عَلَيْهِ أَهْلَه وَمَالَه، وَأَعْطَيْتُه مائةً مِنَ الأبِل» وكان رسولُ الله ـ ﷺ ـ أَمَرَ بِحَبْسِ أَهْلِ مَالِكٍ بمكة عند عمتهم أُم عبد اللّه بنت أَبي أُمية، فقال الوفد: يا رسول الله ـ أُولَئِكَ سادتنا وأَحبنا إِلينا، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ «إِنَّمَا أُرِيدُ بِهِمْ الْخَيْر» فوقف مال مالك فلم يجر فيه السهام، فلما بلغ مالكاً ما فعل رسولُ الله ـ ﷺ ـ في قومه وما وعده رسول الله ـ ﷺ ـ وأَن أَهله وماله موفور وقد خاف مالك ثقيفاً على نفسه أَن يعلموا أَن رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال له ما قال، فيحبسونه، فأَمر راحلته فقُدِّمَت له حتى وضعت لديه بدَحْنَا، وأَمر بفرس له فَأُتِيَ به ليلاً فخرج من الحصن فجلس على فرسه ليلاً، فركضه حتى أَتى دَحْنَا فركب بعيره حتى لحق برسول الله ـ ﷺ ـ فأَدركه بالجعرانة ـ أَو بمكة ـ فردّ عليه رسول الله ـ ﷺ ـ أَهله وماله، وأَعطاه مائة من الإِبل وأَسلم فحسن إِسلامه، فقال مالك حين أَسلم:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلاَ سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ   فِي النَّاسِ كُلِّهِمُ بِمِثْلِ مُحَمَّدِ
أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اجْتُدِي   وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فِي غَدِ

وَإِذَا الـكَـتِـيـبَـةُ عَـرَّدَتْ أَنْـيَـابُـهَـا بِـالسَّـمْـهَـرِيِّ وَضَـرْبِ كُـلِّ مُـهَـنَّـدِ
فَـكَـأَنَّـهُ لَـيْـثٌ عَـلَـى أَشْـبَـالِـهِ وَسْـطَ الـهَـبَـاءَةِ خَـادِرٌ فـي مَـرْصَـدِ

فاستعمله رسول الله ـ ﷺ ـ على من أَسلم من قومه، ومن تلك القبائل من هوازن وفَهْم وسَلِمَة وثُمَالة. وكان قد ضَوَى إِليه قومٌ مسلمون، واعتقد له لواءٍ، فكان يقاتل بهم من كان على الشِّرك ويغير بهم على ثقيف فيقاتلهم بهم؛ ولا يخرج لثقيف سَرْح إِلا أَغار عليه، وقد رجع حين رجع ـ وقد سرح الناس مواشيهم، وأَمنوا فيما يرون حين انصرف رسولُ الله ـ ﷺ ـ عنهم، وكان لا يقدر على سَرْح إِلا أَخذه، ولا على رَجل إِلاَّ قتله، وكان يَبعثُ إِلى رسولِ الله ـ ﷺ ـ بالخُمس مما يغنم، مرة مائة بعيرٍ، ومرةً أَلفَ شاة، ولقد أَغار على سرح لأَهل الطائف فاستاق لهم أَلف شاةٍ في غداةٍ واحدة.

ذكر مجيء أم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبيه وأخيه من الرضاعة

روى أَبو داود، وأَبو يعلى، والبيهقي، عن أَبي الطفيل ـ رضي الله عنه ـ قال: كنتُ غلاماً أَحمل نضو البعير ورأَيت رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقيم بالْجِعْرانة وآمرأَة بدوية، فلمّا دنت من النبي ـ ﷺ ـ بسط لها رِدَاءَه فجلست عليه، فقلت: من هذه؟ فقالوا: أُمّه التي أَرضعته.

وروى أَبو داود في المراسيل عن عمر بن السائب ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كان رسولُ الله ـ ﷺ ـ جالساً يوماً، فجاءَ أَبوه من الرّضَاعة فوضع له بعْضَ ثوبه فَقَعَدَ عليه، ثمّ أَقبلت أُمه فوضع لها شِقّ ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم جاءَ أَخوه من الرّضاعة فَقَامَ رسول الله ـ ﷺ ـ وأَجلسه بين يديه.

ذكر رجوع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة

قال محمد بن عمر وابن سعد: انتهى رسول الله ـ ﷺ ـ إِلى الْجِعْرَانة ليلة الخميس لخمسٍ ليالٍ خلون من ذي القعدة، فأَقام بالْجِعْرَانَةِ ثلاث عشرة ليلة، وأَمر ببقايا السبي فحبس بمجنّة بناحية مرّ الظهران. قال في البداية والظاهر أنه ـ ﷺ ـ إِنما اشتبقَى بعض المغنم ليتأَلّف به من يلقاه من الأَعراب بين مكة والمدينة: فلما أَراد الانصراف إِلى المدينة خرج ليلة الأَربعاءِ لِثْنَتَي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلاً، فأَحرم بعمرة من المسجد الأَقصى الذي تحت الوادي بالعدوة القصوى، ودخل مكة فطاف وسعى ماشياً، وحلق ورجع إِلى الْجِعْرَانة من ليلته، وكأَنه كان بَائِتاً بها، وآستخلف عتّاب ـ بالمهملة وتشديد الفوقية وبالموحدة ـ ابن أَسِيد بالدّال ـ كأمير ـ على مكة ـ وكان عمره حينئذ نيفاً وعشرين سنة ـ وخلف معه مُعَاذ بن جبل ـ زاد محمد بن عمر والحاكم: وأَبا موسى الأَشعري ـ رضي الله عنهم يَعَلِّمَان الناسَ القرآن

والفقه في الدين، وذكر عروة بنُ عُقبة أَن رسول الله ـ ﷺ ـ خلف عَتّاباً ومعاذاً بمكة قبل خروجه إلى هَوازن، ثم خلّفهما حين رجع إلى المدينة.

قال ابن هشام: وبلغني عن زيد بن أسلم ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: لَمّا آستعمل رسولُ الله ـ ﷺ ـ عتَّاباً على مكة رَزقَه كلّ يوم درهماً، فقام فخطب الناس فقال: «أَيها الناس، أَجاع الله كبد من جاع على درهم!! فقد رزقني رسولُ الله ـ ﷺ ـ درهماً كلّ يوم، فليست لي حاجة إلى أحد».

قلتُ: ترجمتهُ وبعض محاسنه في تراجم الإمراءِ.

قال محمد بن عمر وابن سعد: فلما فرغ رسول الله ـ ﷺ ـ من أَمره غدا يوم الخميس راجعاً إلى المدينة، فسلك في وادي الْجِعْرَانة، حتى خرج على سَرَف، ثم أَخذ في الطريق إلى مَرِّ الظَّهْرَان، ثم إلى المدينة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي القعْدة ـ فيما زعمه ـ أَبو عمرو المدني.

قال أَبو عمرو: وكانت مدة غيبته ـ ﷺ ـ من حين خرج من المدينة إلى مكة فافتتحها، وواقع هوازن، وحارب أَهل الطائف إلى أن رجع إلى المدينة شهرين وستة عشر يوماً.

ذكر بعض ما قيل من الشعر في هذه الغزوة

قال بُجَيْر بنُ زُهير بن أَبي سُلْمى ـ بضم أَوائل الثلاثة ـ رضي الله عنه ـ يذكر حنيناً والطائف:

كَانَتْ عُلالَةُ يَوْمَ بَطْنِ حُنَيْنٍ وَغَدَاةَ أَوْطَاسٍ وَيَوْمَ الْأَبْرَقِ
جَمَعَتْ بِإِغْوَاءِ هَوَازِنُ جَمْعَهَا فَتَبَدَّدُوا كَالطَّائِرِ الْمُتَمَزِّقِ
لَمْ يَمْنَعُوا مِنَّا مَقَاماً وَاحِداً إِلاَّ جِدَارَهُمُ وَبَطْنَ الْخَنْدَقِ
وَلَقَدْ تَعَرَّضْنَا لِكَيْمَا يَخْرُجُوا فَتَحَصَّنُوا مِنَّا بِبَابٍ مُغْلَقِ
تَرْتَدُّ حَسْرَانَا إِلَى رَجْرَاجَةٍ شَهْبَاءَ تَلْمَعُ بِالْمَنَايَا فَيْلَقِ
مَلْمُومَةٍ خَضْرَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا حِصْنَاً لَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقِ
مَشْيَ الضِّرَاءِ عَلَى الْهِرَاسِ كَأَنَّنَا قُدُرٌ تَفَرَّقُ فِي الْقِيَادِ وَتَلْتَقِي
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ إِذَا مَا آسْتَحْصَنَتْ كَالنِّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَقْرِقِ
جُدُلٌ تَمَسُّ فُضُولُهُنَّ نِعَالَنَا مِنْ نَسْجِ دَاوُدٍ وَآلِ مُحَرِّقِ

وقال كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في مسير رسولِ الله ـ ﷺ ـ إلى الطائف.

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبٍ وَخَيْبَرَ ثُمَّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا
نُخَيِّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ دَوْساً أَوْ ثَقِيفَا

فَلَسْتُ بِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنَّا أُلُوفَا
وَنَنْتَزِعُ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ ... وَتُصْبِحُ دُورُكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا
وَيَأْتِيكُم لَنَا سَرَعَانُ خَيْلٍ ... يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعاً كَثِيفَا
إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ ... لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَا
بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتٌ ... يُزِرْنَ الْمُصْطَلِينَ بِهَا الْحُتُوفَا
كَأَمْثَالِ الْعَقَائِقِ أَخْلَفَتْهَا ... قُيُونُ الْهِنْدِ لَمْ تَضْرِبْ كَتِيفَا
تَخَالُ جَدِيَّةَ الأَبْطَالِ فِيهَا ... غَدَاةَ الزَّحْفِ جَادِيًّا مَدُوفَا
أَجِدَّهُمُ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحٌ ... مِنَ الأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفَا
يُخَبِّرُهُمْ بِأَنَّا قَدْ جَمَعْنَا ... عِتَاقَ الْخَيْلِ وَالنُّجُبَ الطُّرُوفَا
وَأَنَّا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْفٍ ... يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمُ صُفُوفَا
رَئِيسُهُمُ النَّبِيُّ وَكَانَ صُلْباً ... نَقِيَّ الْقَلْبِ مُصْطَبِراً عَزُوفَا
رَشِيدَ الأَمْرِ ذَا حُكْمٍ وَعِلْمٍ ... وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نَزِقاً خَفِيفَا
نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبًّا ... هُوَ الرَّحْمنُ كَانَ بِنَا رَؤُوفَا
فَإِنْ تُلْقُوا إِلَيْنَا السِّلْمَ نَقْبَلْ ... وَنَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضُداً وَرِيفَا
وَإِنْ تَأْبَوْا نُجَاهِدْكُمْ وَنَصْبِرْ ... وَلاَ يَكُ أَمْرُنَا رَعِشاً ضَعِيفَا
نُجَالِدُ مَا بَقِينَا أَوْ تُنِيبُوا ... إِلَى الإِسْلاَمِ إِذْعَاناً مُضِيفَا
نُجَاهِدُ لاَ نُبَالِي مَنْ لَقِينَا ... أَأَهْلَكْنَا التِّلاَدَ أَمِ الطَّرِيفَا
وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ أَلَبُوا عَلَيْنَا ... صَمِيمَ الْجِذْمِ مِنْهُمْ وَالْحَلِيفَا
أَتَوْنَا لا يَرَوْنَ لَهُمْ كِفَاءً ... فَجَدَّعْنَا الْمَسَامِعَ وَالأُنُوفَا
بِكُلِّ مُهَنَّدٍ لَيْنٍ صَقِيلٍ ... نَسُوقُهُمُ بِهَا سَوْقاً عَنِيفَا
لأَمْرِ اللّهِ وَالإِسْلاَمِ حَتَّى ... يَقُومَ الدِّينُ مُعْتَدِلاً حَنِيفَا
وَتُنْسَى اللاَّتُ وَالْعُزَّى وَوَدًّا ... وَنَسْلُبُهَا الْقَلاَئِدَ وَالشُّنُوفَا
فَأَمْسَوْا قَدْ أَقَرُّوا وَاطْمَأَنُّوا ... وَمَنْ لاَ يَمْتَنِعْ يَقْبَلْ خُسُوفَا

تنبيهات

الأول: الطائف بلد كثير الأعناب والنخيل على ثلاث مراحل من مكة من جهة المشرق، قال في القاموس: سُمِّي بذلك لأنه طاف بها في الطوفان، أَو لأَن جبريل - ﷺ - طاف بها على البيت، أَو لأَنها كانت بالشام فنقلها الله تعالى إلى الحجاز بدعوة إبراهيم - ﷺ - أَو لأَن رجلاً من الصدف أَصاب دَمًا بحضرموت فَفَرَّ إلى وَج، وحالف مسعودَ

بْنَ مُعَتِّب، وكان معه مال عظيم، فقال: هل لكم أَن أَبني لكم طرفاً عليكم يكون لكم رِدْءًا من العرب؟ فقالوا: نعم. فبناه بماله وهو الحائط المطيف به.

الثاني: اقتضت حكمة الله تعالى - تأْخير فتح الطائف في ذلك العام لئلاّ يستأْصلوا أَهله قتلاً، لأَنه تقدّم في باب سفره إلى الطائف أَنه - ﷺ - لَمّا خرج إلى الطائف دعاهم إلى الله - تعالى - وأَن يؤْوه حتى يبلِّغَ رسالة ربه تبارك وتعالى، وذلك بعد موت عمه أَبي طالب فردُّوا عليه ردًّا عنيفاً، وكذّبُوه ورموه بالحجارة حتَّى أَدموا رِجْلَيْه، فرجع رسولُ الله - ﷺ - مَهْمُوماً فلم يستفق من همومه إلا عند قرن الثعالب[1] فإذا هو بغمامة وإذ فيها جبريل - ﷺ - ومعه مَلَكُ الجبال - ﷺ - فناداه ملك الْجِبَال، فقال: يَا مُحَمَّد إنّ الله - تعالى - يُقْرِئُكَ السَّلام، وقد سَمِعَ قولة قومك وما ردُّوا عليك فإن شِئْتَ أَن أُطبق عليهم الأَخشبين فَعَلْت»، فقال رسولُ الله - ﷺ - «بل أَستأْني بِهِم لَعَلَّ اللّهَ عزّ وجلّ أَن يُخرِجَ مِنْ أَصْلابِهِم مَنْ يَعْبُدُ الله - تعالى - وَحدَه لاَ يُشْرِك بِهِ شَيْئاً» فناسب قوله: بل أَسْتأْني بهم أَن لا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم، وإن يُؤَخِّرَ الفتح ليقدموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام القابل كما سيأْتي في الوفود.

الثالث: لما منع الله سبحانه وتعالى - الجيشَ غنائم مكة فلم يغنموا منها ذهباً ولا فضة ولا متاعاً ولا سَبْياً ولا أَرْضاً، وكانوا قد فتحوها بأَنجاب الخيل والرِّكاب، وهم عشرة آلاف وفيهم حاجة إلى ما يحتاجه الجيش من أَسباب القوة، حرّك الله - سبحانه وتعالى - قلوبَ المشركين في هوازن لحربهم، وقذف في قلبِ كبيرهم مالك بن عوف إخراج أَموالهم وَنِعَمِهِم وشابّهم وشِيْبِهِم معهم نزلاً وكرامة وضيافة لحرب الله - تعالى - وجنده، وَتَمّم تقديره تعالى بأَن أَطمعهم في الظّفر، وأَلاح لهم مبادئ النصر ليقضي اللّهُ أَمراً كَانَ مَفْعُولاً. ولو لم يكن يقذفُ الله - تعالى - في قلب رئيسهم مالِكِ بْنِ عَوْف أَن سَوْقهم معهم هو الصواب لكان الرأْي ما أَشار به دُرَيد، فخالفه فكان ذلك سبباً لتصييرهم غنيمة للمسلمين، فلما أَنزل الله تعالى نصره على رسوله وأَوليائه وُردّت الغنائم لأَهلها وجرت فيها سهام الله - تعالى - ورسوله، قيل لا حاجة لنا في دمائكم ولا في نسائكم وذراريكم، فأَوحى اللّهُ - تعالى - إلى قلوبهم التوبة فجاءُوا مسلمين. فقيل من شكران إسلامكم وإتيانكم أَن تُرَدّ عليكم نساؤكم وأَبناؤكم وسبيكم و ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ واللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال ٧٠].

الرابع: اقتضت حكمة الله - تعالى - أَن غنائم الكفار لما حصلت قُسِّمَت على من لم يتمكن الإيمان من قلبه من الطبع البشري من محبة المال، فَقَسّمَهُ فيهم لتطْمئن قلوبهم،

(١) وقَرْن المنازل، وهو قرن الثعالب: ميقاتُ أهل نجد تلقاء مكة، على يوم وليلة. مراصد الإطلاع ١٠٨٢/٣.

وتجتمع على محبته، لأَنها جُبِلَتْ على حُبِّ من أَحْسَن إِليها، ومنع أَهل الجهاد من كبار المجاهدين ورؤساءِ الأَنصار مع ظهور استحقاقهم لجميعها، لأَنه لَوْ قسم ذلك فيهم لكان مقصوراً عليهم بخلاف قسمه على المؤلفة لأَن فيه استجلاب قلوب أَتباعهم الذين كانوا يرضون إِذا رضي رئيسهم، فلما كان ذلك العطاءُ سبباً لدخولهم في الإِسلام ولتقوية قَلْبِ من دخل إِليه قبلُ، تبعهم مَنْ دُونَهُم في الدخول، فكان ذلك مصلحةً عظيمة.

الخامس: ما وقع في قصة الأَنصار، اعتذر رؤساؤهم بأَن ذلك من بعض أَتباعهم وأَحداثهم، ولَمَّا شرح لهم رسولُ الله - ﷺ - ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنعوا رجعوا مذعنين، وعلموا أَن الغنيمة العظيمة: ما حصل لهم من عَوْدِ رسول الله - ﷺ - إِلى بلادهم. فسلوا عن الشاة والبعير والسبايا بما حَازُوه من الفوز العظيم ومجاوره النبي الكريم حيًّا ومَيِّتاً؛ وهذا دأْب الحكيم يعطي كُلّ أَحدٍ ما يناسبه.

السادس: رتَّبَ رسولُ الله - ﷺ - ما مَنّ الله - تعالى - به على الأَنصار على يديه من النِّعَم ترتيباً بالغاً، فبدأَ بنعمة الإِيمان الّتي لا يُوازنها شيء من أُمُورِ الدُّنْيَا، وثَنّى بنعمة الإِيمان وهي أَعظم من نِعْمَةِ المال، لأَن الأَموال قد تُبْذَلُ في تحصيلها وقد لا تحصل، فقد كانت الأَنصار في غاية التَّنافُر والتقاطع لما وقع بينهم من حرب بُعَاث وغيرها، فزال ذلك بالإِسلام كما قال تعالى: ﴿**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**﴾ [الأنفال ١٠٣].

السابع: قوله - ﷺ - «لَوْلا الْهِجْرَةُ لكنتُ آمْرأً من الأَنصار». قال الخطابي: أَراد بهذا الكلام: تأْليفَ الأَنصار واستطابةَ نفوسهم والثناءَ عليهم في دينهم، حتى رضي أَن يكون واحداً منهم لولا ما منعه من الهجرة التي لا يجوز تبديلها ونسبةُ الإِنسان تقع على وجوه: الولادة والاعتقادية والبلادية والصناعية، ولا شك أَنه لم يُرِدْ الانتقال عن نسب آبائه لأَنه ممتنع قطعاً، وأَما الاعتقادي فلا معنى للانتقال عنه فلم يبق إِلا الْقِسْمانِ الأَخيران، كانت المدينةُ دار الأَنصار والهجرة إِليها أَمْراً واجباً، أَي لولا أَن النسبة الهجرية لا يسعني تركها لانتسبت إِلى داركم.

وقال القرطبي: معناه لتسميت باسمكم وانتسبت إِليكم لما كانوا يتناسبُون بالْحِلْفِ، لكن خُصوصية الهجرةِ وترتيبها سبقت فمنعت ما سوى ذلك، وهي أَعلى وأَشرف فلا تبدل بغيرها.

الثامن: قوله - ﷺ - «لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنصار» أو «شِعْبَ الأَنْصَارِ» أَراد رسولُ الله - ﷺ - بهذا أَو ما بعده التنبيه على جزيل ما حصل للأَنصار من ثواب النُّصْرَة والقناعة بالله

ورسوله عن الدنيا، ومَنْ هذا وصْفُه فحقُّه أَنْ يُسْلَكَ طَرِيقُه وَيُتَّبَع حالهُ. قال الخطابي: لما كانت العاداتُ أَن المرءَ يكونُ في نزوله وآرتحاله مع قَوْمه ـ وأَرض الحجاز كثيرة الأَودية والشِّعَاب ـ فإِذا تفرقت في السفر الطرقُ سَلَكَ كُلُّ قَوْمٍ منهم وَادِياً وشِعْباً، فأَراد أَنه مع الأَنصار قال: ويحتمل أَن يريد بالوادي المذهب، كما يقال فلان في وادٍ وأَنا في واد.

التاسع: في شرح غريب ما سبق:

الفَلُّ ـ بفتح الفاءِ وتشديد اللّام: القَوْمُ المنهزمون.

رمّوا ـ بتشديد الميم المضمومة.

عُقيل ـ بضم العين.

السرْح ـ بفتح السين المهملة، وسكون الراءِ: المال السائِم.

خَيَابِر ـ لغةٌ في خيبر، وتقدم ذلك في غزوتها.

فدَك ـ بفتح الفاءِ والدال المهملة ـ مكان، قال ابن سعد: على ستة أَميال من المدينة.

أَرضنا هوازن: دخل أَرضهم قَهْراً.

لم يُعَرِّج عليه: لم يمل.

عُرُشُ ـ بضم العين والراءِ والشين المعجمة: جمع عريش.. بيوت مكة سُمّيت بذلك لأَنها كانت عيداناً تنصب ويُظلَّل عليها.

عارض ـ بالعين المهملة والضاد المعجمة بينهما راءٌ مكسورة.

هرقت ـ بهاءِ مهملة فراءِ فقاف مفتوحات.

الهَدَرُ: الباطل الذي لا يُؤْخذ بثأْره.

يظعن ـ بالظاء المعجمة المشالة: يرحل.

نخلة ـ بلفظ واحدة النخل بالخاءِ المعجمة: موضع على ليلة من مكة.

قَرْن ـ بفتح القاف وسكون الرّاءِ، وغلّطُوا مَنْ فتحها، وهو قرْنُ الثّعَالب والمنازل يبعد عن مكة نحو مرحلتين.

المليح ـ بالحاءِ المهملة والتصغير واد بالطائف.

بحرة ـ بفتح الموحدة وسكون الحاءِ المهملة. وبالراءِ.

الرِّعَاء ـ براءِ مكسورة، فعين مهملة، فأَلف ممدودة: جمع راع.

لِيّة: تقدم.

أَقاد من القاتل: قتله بمقتوله.

الضيقة: ضد الواسعة.

نَخِب - بفتح النون وكسر الخاءِ المعجمة، وقيل بسكونها، فموحدة: واد بالطائف قيل بينه وبينه ساعة.

الصادرة - بصاد ودال مهملتين بينهما ألف فراءٌ فتاءٌ موضع.

أَبو رِغال - بكسر الراءِ وبالغين المعجمة واللام.

الغُصْن - بضم الغين المعجمة: واحد الأَغصان، وهي أَطراف الشجر، والمراد به هنا قضيب من ذهب.

شرح غريب ذكر محاصرته - صلى الله عليه وسلم - الطائف وذكر بعثه - صلى الله عليه وسلم - منادياً ينادي: من نزل من العبيد فهو حر وذكر رميه - صلى الله عليه وسلم - حصن الطائف بالمنجنيق

رِجْلُ جراد - بكسر الراءِ وإِسكان الجيم وهو الجراد الكثير، وتقدم بزيادة في غريب أَلفاظ غزوة حنين.

السَّارية: الأَسطوانة.

النّقيض - بفتح النون وكسر القاف، وسكون التحتية وبالضاد المعجمة: الصوت.

عبد ياليل - بتحتيتين وكسر اللام الأُولى.

مُعَتِّب - بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الفوقية المشددة وبالموحدة.

النَّبّال - بفتح النون وتشديد الموحدة وباللام.

البَكْرة - بفتح الموحدة: وبالكاف وتسكن آلة يستقى عليها.

الغيظ - بالظاءِ المعجمة المشالة: الغضب.

يمونه: يقوم بأَمره.

المنجنيق - بفتح الميم وقد تكسر، يؤنث وهو أَكثر، ويذكر، فيقال: هي المنجنيق، وعلى التذكير: هو المنجنيق: ويقال: الْمَنْجَنُوق ومنجليق، وهو معرب، وأَول من عمله قبل الإِسلام إِبليس حين أَرادوا رَمْيَ سيدنا إِبراهيم - ﷺ - وهو أَوّل منجنيق رُمي به في الإِسلام، أَما في الجاهلية فيذكر أَن جُذَيْمَةَ - بضم الجيم، وفتح الذال المعجمة وسكون التحتية ابن مالك المعروف بالأَبرش أَول من رمى بها، وهو من ملوك الطوائف.

الثواء - بفتح الثاءِ المثلثة: الإِقامة.

ابن زمْعَةَ ـ بفتح الزاي والميم وبسكونها، فعين مهملة.

الدّبابة ـ بالدال المهملة: فموحدة مشددة، وبعد الألف موحدة فتاء تأنيث: آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرّجال فيندَفِعونَ بِهَا إلى الأَسوار لينقبوها.

جُرَش ـ بضم الجيم وفتح الراءِ وبالشين المعجمة: من مخاليف اليمن من جهة مكة.

الْحَسَك ـ بحاءٍ فسين مهملتين فكاف مفتوحات: نبات تَعْلق ثمرته بصوف الغنم وورقه كورق الرجلة وأَدْوَره وعند ورقه شوك ملوز صلب ذو ثلاث شعب.

والشّدَخَةُ ـ بفتح الشين المعجمة وسكون الدال المهملة، وفتح الخاءِ المعجمة فتاء تأْنيث، والشدخ: كسر الشّيء.

الْحَبَلاَت ـ بحاءٍ مهملة، فباءٍ فلام مفتوحات فأَلف فتاء جمع حَبَلَة بفتحات وربما سكنت الباءُ: الأَصل أَو القضيب من شجر الأَعناب.

النّفر: ما دون العشرة من الرجال.

الذريع ـ بالذال المعجمة: السريع.

الجلابيب ـ بالجيم [فالام فأَلف] فموحدة فتحتية فموحدة ـ وزن دنانير ـ الغُرَبَاء.

يدعها الله ـ بفتح الدال: يتركها.

تبتئس: تحزن.

أَحْبُل ـ بفتح أَوله وسكون الحاءِ المهملة وضم الموحدة: جمع حَبَلة ـ بفتح الحاءِ والموحدة: شجر العنب.

تسوّر حصن الطائف: صعد إِلى أَعلاه ثم تدلى منه.

ثالث ثلاثة وعشرين بنصب ثالث.

شرح غريب ذكر اشتداد الأمر وما يذكر معه

عبسة بفتح العين المهملة والموحدة والسين المهملة.

عَدْل ـ بفتح العين وسكون الدال المهملة ـ مثل الأَجر.

المُحَرر: المعتق.

المُخَنَّث ـ بضم الميم، وفتح الخاءِ المعجمة، والنون المشددة ـ وكسرها أَفصح، وفتحها أَشهر ـ فمثلثة: وهو مَنْ فيه انخناث أَي تَكَسُّر وَتَثَنٍّ كالنساءِ.

غَيلان بن سلمة ـ بفتح الغين المعجمة، أَسلم بعد فتح الطّائف.

تُقْبِلُ بأربع: أَي من العُكَن ـ بضم العين المهملة جمع عكة وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن، سِمَناً، والمراد أَطراف العُكَن التي في بطنها.

تدبر بثمان في جنبيها لم يقل ثمانية، والأَطراف مذكرة لأَنه لم يذكرها كما يقال هذا الثوب سَبْعٌ في ثمان أَي سبعة أَذرع في ثمانية أَشبار، فلما لم يذكر أَشبار أَنث لتأْنيث الأَذرع التي قبلها، قال الدماميني في المصابيح: أَحسن من هذا أَنه جعل كُلاًّ من الأَطراف عكنة تسمية للجزءِ باسم الكل، فأَنث بهذا الاعتبار.

من غير أُولِي الْإِرْبة: الحاجة إِلى النكاح.

جريج ـ بضم الجيم وفتح الراءِ وسكون التحتية وبالجيم.

هيت: بهاءٍ وياءٍ تحتية ففوقية، وضبطه ابن دَرَستَوَيْهِ بهاءٍ مكسورة فنون ساكنة فموحدة، وزعم أَن ما سواه تصحيف.

عائِذ ـ بالهمز والذّال المعجمة.

ماتع ـ بميم فأَلف ففوقية فعين مهملة.

أُرى ـ بضم أَوله: أَظن.

فلا تفلتن ـ تُطْلَقَنَّ ـ بالبناءِ للمفعول فيهما.

بَادِيَة ـ بموحدة فأَلف فدال مهملة مكسورة فتحتية، وقيل: بالنون بدل التحتية ـ أَسْلَمَتْ.

الخَبِيث: خلاف الطّيِّب.

شرح غريب ذكر منام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدال على عدم فتح الطائف وما يذكر معه

أُهْدِيَتْ ـ بالبناءِ للمفعول.

الْقَعْبَة: كالقصعة(١).

هَرَاق ـ بفتح الهاءِ.

الدِّيْلي ـ بكسر الدال المهملة وسكون التحتية.

الْجُحْر ـ بضم الجيم وسكون الحاء المهملة.

---

(١) القعب: القدح الضخم الغليظ الجافي، انظر اللسان (قعب).

خوله: بالخاءِ المعجمة.

حكيم - وزن أَمير.

مظعون - بالظاءِ المعجمة المشالة -.

حُلِيّ - بضم الحاءِ المهملة وكسر اللام.

الْفَارِعَة - بالفاءِ وكسر الرّاءِ.

عقيل - بوزن أَمير.

زَعَمَتْ - بزاي فعين مهملة فميم فتاء: تحدثت بما لا يوثق به.

أُوْذن الناس: أَعلمهم بالرحيل.

قافلون: راجعون إِلى المدينة.

اغدوا على الْقتال، سيروا أَول النهار لأَجلِ القتال.

سَرَّح الظهر: أَرسله.

آيبون: راجعون.

الأَحزاب: أَهل الخندق الذين تحزبوا على رسول الله - ﷺ - من قريش وغيرهم، أَو أَحزاب الكفر.

جَمَحَ به فرسه: أَسرع به نحو عَدُوِّه.

شرح غريب ذكر مسير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الطائف وما يذكر معه

/قوله - دَحْنَا - بفتح الدال وسكون الحاءِ المهملتين وبالنون، وبالقصر والمد: أَرض بين الطائف والجعرانة.

الجِعرانة - بكسر الجيم وسكون العين المهملة وقد تكسر وتشدد الراء.

سُرَاقَة - بضم السين المهملة.

جُعْشُم - بضم الجيم وسكون العين المهملة وضم الشين المعجمة.

الْمِقْنَب - بكسر الميم وسكون القاف وفتح النون وبالموحدة، جماعة الخيل والفرسان، وقيل: هي دون المائة.

إِليك إِليك - اسم فعل أَمر: معناه تنَحَّ وابْعد.

الغَرْز - بفتح الغين المعجمة وسكون الراءِ والزاي، رِكاب الإِبل.

الجُمارة ـ بضم الجيم: قَلْبُ النَّخْلة.

الضالة من الإِبل: الضائِعة.

تغشى: تأْتي.

كَبِد حَرّى: بتشديد الراء: تأْنيث حَرّان، وهما للمبالغة من الحرّ، يريد أَنها لشدة حرها قد عَطِشتْ ويَبِسَتْ من العطش، والمعنى أَن في سَقْيِ كُلِّ ذِي كبِدٍ حَرّى أَجراً.

أَبو رهم ـ بضم الراءِ وسكون الهاءِ «الغفاري» بكسر الغين المعجمة.

الفَرَق ـ بفتحتين: الخوف.

رَوّحْت ـ بفتح الراءِ والواو المشددة والحاءِ المهملة.

الركاب: الإِبل.

أَترقب: أَنتظر.

السبي: ما غنم من النساءِ والأَولاد.

الذراري: الأَولاد.

أستأَني بهم: انتظر مجيئهم.

زهير ـ بضم الزاي وفتح الهاءِ وسكون التحتية.

صُرَد ـ بضم الصاد المهملة وفتح الراءِ وبالدال المهملة، وهو مَصروفٌ وليس مَعْدُولاً.

أَبو بَرْقَان ـ بفتح الموحدة وسكون الراءِ وبالقاف والنون، وهو عمه ـ ﷺ ـ من الرضاعة.

إِنا أَصْلٌ وعشيرة ـ بعين مهملة مفتوحة فشين مكسورة فتحتية فراء: بنو الأَب الأَدنون أَو القبيلة، والجمع: عشائر.

الحظائر ـ بالظاءِ المعجمة المشالة: جمع حظيرة وهو الزرب الذي يصنع للإِبل والغنم ليكنها، وكان السبي في حظائر مثلها.

عماتك وخالاتك: أَي من الرضاع.

حواضنك: يعني اللاتي أَرضعن رسول الله ـ ﷺ ـ وحضنه من بني سعد هوازن.

مَلَحْنَا ـ بفتح الميم واللام وسكون الحاءِ المهملة: أَرضعْنا، والملح: الرضاع.

الحارث بن أَبي شمر: ملك الشام من العرب.

النعمان بن المنذر: ملك العراق من العرب.

عَائِدَيْهِمَا: فضلهما ونيلهما وشفقتهما.

الأَوجاقي(١).

الهبل(٢): ابن يزيد بالزاي والدال المهملة وزن أَمير.

أَمينة ـ بوزن عظيمة.

عفيفة بعين مهملة وفائين وزن عظيمة.

الصيدلاني(٣) بفتح الصاد المهملة وسكون التحتية وبالدال المهملة وبالنون.

القِبابي ـ بكسر القاف وتخفيف الموحدة وبعد الأَلف موحدة أُخرى.

مؤنسة رَوح ـ بفتح الراءِ.

الفارقاني: بالفاءِ وسكون الراءِ وفاء أُخرى.

مَعْمَر ـ بفتح الميمين بينهما عين مهملة ساكنة.

الفاخر ـ بالفاءِ والخاءِ المعجمة.

الجُوْزداني ـ بجيم مضمومة فواو ساكنة فزاي فدال مهملة فأَلف فنون.

رِيذَة ـ بكسر الراءِ وسكون التحتية وفتح الذال المعجمة فتاء تأْنيث.

الضّبّي ـ بفتح الضاد وبالموحدة المشددة.

رُماحس ـ بضم الراءِ وتخفيف الميم وبعد الأَلف حاء فسين مهملتين. قال في النور: الذي يظهر أَنه غير منصرف للعلمية والعجمة وليس فيما يظهر من أَسماء العربية.

الْقَيْسيّ. بالقاف المفتوحة والتحتية الساكنة.

رَمَادَة الرملة ـ بفتح الراءِ: قرية بقربها.

---

(١) ١٢٧- (محمد) بن محمد بن أحمد بن عز الدين المحب أبو عبد الله القاهري الشافعي والد الرضى محمد وعبد الرحيم وأحمد المذكورين، ويعرف بابن الاوجاقي. ولد سنة سبعين وسبعمائة أو التي قبلها بالدرب المعروف بوالده في خط باب اليانسية خارج باب زويلة من القاهرة ونشأبها فأخذ الفقه عن البلقيني والملقن وغيرهما. الضوء اللامع ٥٤٩/٩/٥٠.

(٢) الحسن بن أَحمد بن هلال بن سعد بن فضل الله الصرخدي ثم الصالحي المعروف بابن هبل الطحان ولد سنة ثلاث وثمانين وستمائة وسمع من الفخر بن البخاري ومن التقي الواسطي وأجازا لَهُ وسمع بنفسه من التقي سليمان وأخيه وفاطمة بنت سليمان والدمشقي وعثمان الحمصي وعيسى المغاري وغيرهم وحدث بالكثير ورحل إليه الناس وتوفي في صفر، الشذرات ٢٦١/٦، ٢٦٢.

(٣) الصَّيْدَلاني [بفتح الصاد المهملة، وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين، وفتح الدال المهملة، وبعدها اللام ألف، والنون..هذه النسبة لمن يبيع الأدوية والعقاقير.] واشتهر بهذه النسبة جماعة كثيرة، منهم: الأنساب ٥٧٣/٣.

زياد بن طارق [بالزاي المكسورة والياءِ التحتية والأَلف الممدودة] والدال المهملة.

أَبو جَرْوَل ـ بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الواو ولام.

زهير ـ بالزاي والتصغير.

الجُشَمي ـ بضم الجيم وفتح الشين المعجمة.

امنن ـ بهمزة مضمومة فميم ساكنة فنون مضمومة وأُخرى ساكنة؛ أَي أَحسن إِلينا من غير طلب ثواب ولا جزاء.

المرء ـ بفتح الميم وبالراء والهمز: الرَّجُل، وأَل هنا لاستغراق أَفراد الجنس، أَي أَنت المرءُ الجامع للصفات المحمودة المتفرقة في الرجال.

البيضة هنا: الأَهل والعشيرة.

الغِيَرُ ـ بكسر الغين المعجمة: تغيير الحال وانتقالها عن الصلاح إِلى الفساد.

هتّافاً ـ بفتح الهاء وبالفوقية وبالفاء: أَي ذا هتف؛ أَي صوت.

الغمّاء ـ بفتح الغين المعجمة وتشديد الميم.

الحزن: سمي بذلك لأَنه يغطي السرور.

الغمر ـ بغين معجمة مفتوحة وتكسر، فميم فراء: الحِقْدُ.

يختبرُ بالبناء للمفعول.

ترضعها ـ بضم الفوقية.

إِذ: حرف تعليل.

فوك: فمك.

المحض ـ بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وبالضاد المعجمة الساقطة؛ اللبن الخالص.

الدرر ـ بكسر الدال المهملة وفتح الرّاء الأُولى: جمع درة؛ وهي كثرة اللبن وسيلانه.

يزينك ـ بتحتية مفتوحة فزاي مكسورة فتحتية فنون.

تذر: تترك.

ولا تجعلنّا ـ بفوقية مفتوحة فجيم ساكنة فعين فلام مفتوحة فنون مشدّدة فأَلف.

شالت نعامته: أَي هلكت والنعامة باطن القدم، وشالت: ارتفعت، ومن هلك ارتفعت رجلاه وسكن رأْسه فظهرت نعامة قدمه.

استبق: بسين مهملة فمثناة فتحتية موحدة فقاف.

زهر بضم الزاي والهاء.

نعماء ـ بنون مفتوحة فعين ساكنة فميم فألف ممدودة: النعمة.

كُفِرت ـ بضم الكاف وكسر الفاء وفتح الراء.

مُدَّخر ـ بميم مضمومة فدال مشددة فخاء معجمة مفتوحتين، أَصله مذتخر، فلما أَرادوا الإِدغام ليخف النطق قلبوا التاءَ إِلى ما يقاربها من الحروف، وهي الدال المهملة لأَنهما في مخرج واحد فصارت متخر مدخر، والأَكثر أَن تقلب الذال المعجمة دالاً مهملة ثم تدغم فيها فتصير دالاً مشددة.

فَأَبِس ـ بفتح الهمزة وكسر الموحدة.

مُشْتهِر ـ بميم مضمومة فشين معجمة ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة فهاء مكسورة فراء: ظاهر.

مَرَحَت ـ بفتح الميم والراء والحاء المهملة: نشطت وخَفت.

الكُمْت ـ بضم الكاف وسكون الميم ومثناة فوقية جمع كميت، وهو من الخيل. يستوي فيه المذكّر والمؤنث من الكُمْتَة وهي حُمْرَةٌ خالطتها قنوة، قال الخليل: إِنما صُغِّر لأَنه بين السواد والحمرة كأَنه لم يخلص له واحدة منهما فأَرادوه بالتصغير لأَنه منها قريب.

الجياد تقدم تفسيره.

الهِيَاج ـ بكسر الهاء وتخفيف التحتية وبالجيم: القتال.

استوقد بالبناء للمفعول.

الشرر: تقدم تفسيره.

نؤمِّل: نرجو.

تُلْبِسه ـ بضم الفوقية وسكون اللام وكسر الموحدة.

راهبة ـ بالموحدة خائفة.

يُهْدى ـ بالبناء للمفعول.

الظفر: الفوز.

المِسْوَر ـ بكسر الميم وسكون السين المهملة وفتح الواو.

مَخْرمة ـ بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الراء.

البِضع - في العدد بكسر الموحدة، وبعض العرب يفتحه: من الثلاثة إلى التسعة، يقال بضع رجال وبضع نسوة ومن ثلاثة عشر إلى تسعة عشر بضعة مع المذكر وبضع مع المؤنث.

قَفَلَ - بفتح القاف والفاء: رجع.

الأَحْسَاب: جمع حَسَب بفتحتين: الشرف. قال الأَزهري: له ولآبائه من الحساب. وهو عد المناقب لأَنهم كانوا إذا تفاخروا عدّ كل واحد مناقِبَه ومناقب آبائه.

العرفاء - جمع عريف وهو مدبر أَمر القوم والقائم بأَمر ساستهم.

يُفِيء اللّهُ علينا - بضم التَّحتيّة وكسر الفاء، وهمز آخره.

سُلَيم - بضم أَوله وفتح اللام.

وَهَنْتُمُوني: ضَعَّفْتُمُوني.

فَسَبِيلُ ذلك - بفتح اللام على أَنه مفعول بفعلٍ مُقَدَّرٍ وبضمها على أَنه خبر مبتدأ محذوف.

الفرائِض - جمع فريضة، وهو البعير المأْخوذ في الزكاة، سُمِّي فريضة لأَنه فرضٌ، على ربِّ المال، ثُمَّ اتسع فيه حتى سُمِّي البعير فريضة.

المُعَقَّد - بضم الميم وفتح العين وتشديد القاف، وهو ضَرْبٌ من برود هجر.

شرح غريب ذكر دعائه - صلى الله عليه وسلم - على من أبى أن يرد شيئاً من السبي أن يخيس سهمه

قال في الصحاح: خاست الجيفة أَي أَرْوَحَت، ومنه قيل خاس البيع والطعام كأَنه كَسَدَ حتى فَسَد.

السهم هنا: النصيب.

قُبْطية - بضم القاف: ثِيابٌ بيضٌ رقاق من كتان وقطن.

هل لك في كذا [هل تريد كذا].

بناهد - بنون فأَلف فهاء فدال: يقال نَهَد الثَّدْى: كَعَب.

بِوَاجِدٍ - من الوجد وهو الحزن: أَي لا يحزن زوجها عليها لأَنها عجوز كبيرة.

الدر: اللبن.

المالد: القربة هنا.

الشَّمَل - بفتح السين المهملة والميم وباللام: الخَلِق - بفتح الخاء وكسر اللام.

الفُرَص - بضم الفاء وفتح الراء وبالصاد المهملة جمع فرصة؛ وهي اسم من تفارضَ القَومُ الماءَ القليل لكل منهم نوبة وأَطلق على النُّهْزَة - بضم النون وسكون الهاء وبالزاي.

شرح غريب - ذكر قسمه - صلى الله عليه وسلم - أموال هوازن

انتزعت رداءَه: اقتلعته.

تِهامَة - بكسر الفوقية: ما انخفض من الأَرض.

النَّعَم - بفتح النون والعين: المال الراعي، وأَكثر ما يقع على الإِبل.

أَلفيتموني: وجدتموني.

السَّنام: أَعلى ظهر البعير.

الوَبَرَة: واحدة الوَبَر.

الخِياط والْمخَيط: الإِبرة.

الشَّنَار - بفتح الشين المعجمة وبالنون: أَقبح العار.

الكبة من الشَّعَرِ ونحوه - بضم الكاف وتشديد الموحدة.

عُبادة - بضم العين المهملة وتخفيف الموحدة.

الأَنملة - بتثليث الهمزة مع تثليث الميم: العقد من الأَصابع أَو رؤوسها.

علَقت به الأَعراب: لزموه وجبذوا أثوابه.

اضطروه إِلى شجرة: أَلجأوه إِليها وأَحوجوه.

السَّمُرة - بفتح السين وضَمِّ الميم من شجر الطلح.

العِضَاة - ككتاب: شجر الشوك كالطلح والعوسج، والهاء أَصلية، الواحدة عَضَة بالهاء والتاء، والأَصل عِضَهة كعِنَبة.

برد نجراني - منسوب إِلى نَجْرَان - بفتح النون وسكون الجيم وبالنون: إِقليم معروف.

جَذَبه - بفتح الجيم وبالذال المعجمة: شده إِلى نفسه: أَي سحبه إِليه.

شرح غريب ذكر إعطائه - صلى الله عليه وسلم - المؤلفة قلوبهم وقول العباس بن مرداس

كانت: أَي الإِبل والماشية.

النهاب بكسر النون وبالهاء وبعد الأَلف موحدة جمع نهب - وهو ما ينهب ويغنم.

تلافيتها: تركتها.

الكَرّ - بفتح الكاف وتشديد الراء: عَوْد الفارس للقتال.

المُهْر ـ بضم الميم وسكون الهاءِ: ولد الخيل.

الأَجْرع ـ بفتح أَوله وسكون الجيم وفتح الراء وبالعين المهملة: المكان السهل.

الإِيقاظ: مصدر أَيْقَظَه من نومه إِذا نبَّهه.

القَوم ـ بالفتح مفعول.

هجع هنا: نام.

العُبَيْد ـ بلفظ تصغير عبد ـ اسم فرسه.

ذو تُدْرأ ـ بضم الفوقية وسكون الدال المهملة وبالراء وبالهمز، أَي ذو دَفْع من قولك درأَه إِذا دفعه.

الأَفائل ـ جمع أَفَأَل ـ بفتح أَوله وسكون الفاء وبالهمز وهي الصغار من الإِبل.

عديد قوائمها الأَربع ـ بعين فدالين مهملات بينهما تحتية كالعدد اسمان للعَدِّ. وهو الإِحصاء.

وما كان حصن: والد عُيَيْنَة.

ولا حابس: والد الأَقرع.

يفوقان ـ بتحتية ففاء فواو فقاف، يعلوان شرفاً.

شيخي: يعني أَباه مرداس، ومن قال شيخيّ تثنية شيخ فيعني أَباه وجدّه، ويروى يفوقان مرداس.

بين مكة والمدينة كذا في الصحيح. والصواب بين مكة والطائف، وبه جزم النووي.

أَلا تنجز لي ما وعدتني من غنيمة حنين، وكان ذلك وعداً خاصاً به.

أَبشر ـ بقطع الهمزة أي بقرب القسمة، أَو بالثواب الجزيل على الصبر.

فأَقبلا بفتح الموحدة.

مجّ فيه: بميم مفتوحة فجيم مشددة: رمى.

وأَفرغا بقطع الهمزة وكسر الراء: صُبَّا.

أَفضِلا ـ بقطع الهمزة وكسر الضاد المعجمة.

لأُمكما: تعني نفسها.

طائفة: بقية.

شرح غريب ذكر بيان الحكمة في عطائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقواماً

جُعَيل ـ بالتصغير.

سُرَاقة ـ بضم السين.

طِلاع الأَرض ـ بكسر الطاء: ما ملأَها حتى يطلع عنها ويسيل.

الرّهْط ـ بفتح الراء وسكون الهاء وفتحها. ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة، أو منها إِلى الأَربعين.

مَالَكَ عن فلان: [ما صرفك عنه].

تغْلِب ـ بفتح الفوقية وسكون الغين المعجمة وكسر الموحدة لا ينصرف.

الهلع: أَشد الجزع.

الجزع كالتعب: ضد الصبر.

حمر النَّعَم [خيارها].

شرح غريب ذكر عتب جماعة من الأنصار على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

سَائِرُ الناس ـ هنا باقيهم، ويكون بمعنى جميعهم كما ذكره الجوهري وابن الجواليقي وابن بَرِّيّ، وغلط مَنْ غَلَّطَ الجوهري، وآستشهد له قال ابن وَلّاد: سائر توافق بقية: نحو أَخذت من المال وتركت سائره لأَن المتروك بمنزلة البقية وتُفَارِقُها من حيث أَن السائر ـ لما كَثُر والبقية لِمَا قل: لهذا نقول: أَخذت من الكتاب بقيته وتركْتَ سائِره، ولا نقول تركت بقيته.

وَجَدُوا ـ بفتح الواو والجيم: حزنوا. وفي رواية وُجُدٌ بضم الواو والجيم جمع واجد، ووجد عليه في نفسه: غضب.

القالة: الكلام الرديء.

يغفر الله لرسوله ـ ﷺ ـ قالوه توطئةً وتمهيداً لِمَا يرد بعده من العِتاب لقوله تعالى: ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُم﴾[التوبة ٤٣] الطُّلَقَاء بضم الطاء المهملة وفتح اللام وبالقاف والمد: جَمْع طليق، فعيل بمعنى مفعول ـ منقول وهم مَنْ مَنَّ عليهم رسول الله ـ ﷺ ـ يوم فتح مكة ولم يأسرهم وَلَمْ يقتلهم.

وسيوفنا تَقْطُر مِنْ دِمائهم: جملةٌ في محَلِّ النَّصْب على الحال مقررة لجهة الإِشكال، وهو من باب عرضت النَّاقة على الحوض.

إِذا كانت شدِيدَة ـ بالرفع والنَّصْبِ.

استعتبناه: طلبنا منه العُتْبى ـ بضم العين وسكون التاء وفتح الباء: طلب الرضى.

فحُدِّث ـ بضم الحاء وكسر الدال مَبْنِياً للمفعول؛ أَي أُخْبِرَ بمقالتهم.

أَين أَنت من ذلك.

الحظيرة ـ بالحاء المهملة والظاء المعجمة المشالة، يشبه الزرب للماشية والإِبل.

في قُبَّةٍ من أَدم ـ بفتح الهمزة المقصورة والدال المهملة: جِلْد بلا دَبْغ.

فجاءَ رَجُلٌ من المهاجرين.

ضُلاَّلاً بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام الأَولى: أَي بالشِّرك.

عالة ـ بعين مهملة فلام مخففة: فُقَرَاءَ لا مَالَ لكم.

الله ورسوله أَمَنُّ: من المنة وهي النعمة.

الْمَخْذُول: الذي تَرَك قومُه نصرَه.

حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيةٍ ومصيبة من نحو قتل أَقاربهم وفتح بلادهم.

أَجْبُرُهم ـ بفتح الهمزة وسكون الجيم وضم الموحدة: من الجبر عند الكسر. وفي رِوَاية أُجِيزُهم ـ بضم الهمْزةِ وكسر الجيم بعدها تحتية ساكنة فزاي: من الجائزة.

اللُّعَاعَة ـ بضم اللام وبعينين مهملتين، بقلة خضراء ناعمة شبّه بها زهرة الدنيا ونعيمها في قِلَّةِ بَقَائِها.

القِسْم ـ بكسر القاف: الحَظُّ والنَّصيب.

الرحْلُ هنا: منزل الرَّجل ومسكنه وبيته الذي فيه أَثاثه، ذكَّرَهُم رسولُ الله ـ ﷺ ـ ما غفلوا عنه مِنْ عظم ما اختصُّوا به منه بالنسبة إِلى ما اختصَّ به غيرهم مِنْ عرَضِ الدُّنْيَا الْفَانية.

الشاة والبعير اسما جِنْس يقع كُلٌّ منهما على الذكر والأُنثى.

يَحُوزُونَه ـ بالحاء المهملة.

الشِّعْبُ ـ بكسر الشين المعجمة وسكون العين: الطريق في الْجَبَل.

الوادي: المكان المنخفض، وقيل: الذي فيه ماء، والمراد بلدهم.

لَوْ سَلَكَ الأَنْصَارُ وَادِيا أَوْ شعْباً لسلكتُ وادي الأَنْصَار أَو شعبهم، أَشَارَ ـ ﷺ ـ بذلك إِلى ترجيحهم بحسن الجِوَارِ والوفاء بالعهد لا وجوب متابعته إِياهم إِذ هو ـ ﷺ ـ المتبوع المطاع لا التّابع المطيع، فَمَا أَكْثَر تَوَاضُعَه ـ ﷺ ـ.

الشِّعَار ـ بكَسْر الشين المعجمة: الثوب الذي يلي الجسد.

الدثار ـ بكسر الدال المهملة وبالثاء الْمُثَلّثة المفتوحة: ما يُجْعَلُ فوق الشِّعار؛ أَي أَن الأَنصار بطانته وخاصّتُه وأَنهم أَحَقُّ به وأَقرب إِليه من غيرهم، وهو تشبيه بليغ.

أَخْضَلُوا لِحَاهم ـ بفتح أَوله وسكون الخاء وفتح الضاد المعجمتين: بَلُّوهَا بالدموع.

أَثَرَة ـ بفتح الهمزة والثاء المثلثة، وبضم الهمزة وسكون المثلثة وبفتحتين، ويجوز كسر أَوله مع إِسكان ثانيه، أَي يستأْثر عليكم بمالكم فيه اشتراك في الاستحقاق.

فَاْصْبِرُوا حَتّى تلقوني على الحوض يوم القيامة فيحصل لكم الانتصاف مِمّنْ ظلمكم على الثواب الجزيل على الصبر.

شرح غريب شعر حسان ـ رضي الله عنه

السَّح ـ بفتح السين وتشديد الحاء المهملتين: الصَّب، يُقَال: سَحّ المطرُ إِذا صَبَّ.

حَفَلَتْه ـ بفتح الحاء المهملة والفاء واللام وسكون الفوقية: أَي جمَعَتْه، ومنه المحفل وهو مجتمع الناس.

العَبْرَة ـ بفتح العين المهملة وسكون الموحّدة: الدمع.

درَر ـ بدال مهملة ورائين: سائلة.

الوجد: الحزن.

شَمَّاء ـ بشين معجمة مفتوحة فميم مشددة [فأَلف] فهمز: اسم امرأَة.

البَهْكَنَة ـ بفتح الموحدة وسكون الهاء وفتح الكاف وبالنون: المرأَة ذات الشباب غضة، وقال في الإِملاء كثيرة اللّحم.

هَيْفاء: ضامرة الخاصرة، ومن روى قوله لا دَنَن بالدال المهملة فمعناه: تطامن الصَّدْر وغوْره؛ ومن رواه بالمعجمة فمعناه: الْقَذِر بالقاف المفتوحة والذال المعجمة المكسورة، ومنه الذنين وهو ما يسيل من الأَنف، وَمَنْ رواه لا أَذَنُ فمعناه: [الذي يسيل منخراه جميعاً].

الخور ـ بفتح الخاء المعجمة والواو وبالراء: الضعف.

دع: أترك.

النزر: القليل.

علام ـ حذفت أَلف ما الاستفهامية لدخول حرف الجر عليها.

نازحة بالنون والزاي والحاء المهملة: بعيدة.

الحرب العوان: هي التي قوتل فيها مَرّةً بعد مَرّة.

تستعر: تَلْتَهِبُ وتَشْتَعِل.

اعترفوا: صبروا.

النائبات: ما ينوب الإِنسان وما ينزل به من المهمات والحوادث.

وما خَاموا ـ بالخاء المعجمة ما جبنوا وما ضجروا؛ أَي ما أصابهم حرج ولا ضيق.

الناس أَلب ـ بهمزة مفتوحة فلام ساكنة فموحدة؛ أي مجتمعون على التدبير للعَدْوِ من حيث لا نَعْلم.

الْقَنَا ـ بالقاف والنون: الرماح.

الْوَزَر ـ بفتح الواو والزاي: الملجأ.

نُجَالِد الناس: نقاتلهم.

تُوحي ـ بمثناة فوقية مضمومة فواو ساكنة فحاء مهملة مفتوحة فتحتية من الْوَحْي.

لا تهرُ ـ بفوقية مفتوحة فهاء مكسورة فراء: لا تَكْره.

جُنَاة الحرب ـ بجيم مضمومة فنون فأَلف فتاء تأَنيث: جمع جَانٍ.

النّادِي ـ بالنون: المجلس.

تلظّى ـ بفوقية فلام فظاء معجمة مفتوحات فتحتية. تلتهب وتضطرم؛ وهو من لَظَى من أَسماء النار لا ينصرف للعلمية والتأنيث.

نُشعر: نُوقِد الحربَ ونُشْعِلُها.

النعف ـ بفتح النون وسكون العين وبالفاء: أَسفل الجبل.

حَزَّبَتْ ـ بفتح الحاء المهملة وتشديد الزاي: أَجمعت وأَعان بعضها بعضاً.

ما وَنَيْنا ـ بواو مفتوحة فنون فتحتية ساكنة فنون ما فترنا.

وما خمنًّا: تقدم.

شرح غريب ذكر اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق وما يذكر معه

قوله: الشقاق ـ بكسر الشِّين: الخلاف والمعاندة.

الصِّرف ـ بكسر الصاد، وهو هنا صبغ يصبغ به الأَديم.

معَتِّب ـ بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الفوقية المشددة وبالموحدة.

قُشَير ـ بقاف وشين معجمة وبالتّصْغير.

ذو الْخُوَيصِرَة ـ بالخاء المعجمة تصغير خاصرة.

أَجل: كنعم وزنا ومعنى.

شقيت ـ بشين معجمة مفتوحة فقاف مكسورة فتحتيّة فتاء، روي ضمّها وفتحها.

معاذ الله: أي أَعوذ بالله معاذاً، يقال: مَعَاذَ الله ومعاذة الله وعوذ الله وعياذة الله بمعنى واحد؛ أَي أَستجير بالله.

شِيعةُ الرّجُلِ ـ بشين معجمة مكسورة فمثناة تحتية فعين مهملة: أَتباعه.

يتعمقون: يتبعون أَقْصَاه، وَعَمُقَ الشّيءُ بَعُدَ قعره؛ وهو بعين مهملة.

الرَّمِيّة ـ براء مفتوحة فميم مكسورة فتحتية مشددة فتاء تأنيث: الصيْد: الذي ترميه فتصيده وينفذ فيه سَهْمك، وقيل: هي كل دَابّةٍ مَرمية.

النّصْل ـ حديدة السهم.

القِدْح ـ بكسر القاف: السهم، قَبْلَ أَن يُراش ويركب نصله.

الفُوق ـ بضم الفاء يذكر ويؤنث: طرف السهم الذي يباشر الوتر.

الرّصاف ـ بكسر الراء وبالصاد المهملة والفاء عَقَب بفتحتين ـ يُلْوى على مدخل النّصل في السهم.

النَّضِيّ ـ بفتح النون وكَسْر الضاد المعجمة الساقطة: نصل السّهم، وقيل: هو السّهْم قبل أَن يُنْحَت إِذا كان قِدْحاً. قَالَ أَبو موسى المديني وابن الأَثير: وهو أَولى، لأَنه قد جاءَ في الحديث ذكر النّصْل بعد النّضِيّ، وقيل: هو من السهم ما بين الريش والنّصْل قالوا سمي نَضِيّاً لكثرة البري والنحت، فكأَنه جُعِلَ نضواً أَي هزيلاً.

القذذ ـ بفتح القاف وفتح الذال المعجمة وآخره [ذال] أُخرى: ريش السهم واحدتها قذذة.

الفَرْثُ: ما يوجد في كرش ذي الكرش.

الْحَنَاجر ـ جمع حنجرة: الحلقوم.

يَمْرُقُون من الدِّين يجوزونه ويخرقُونَه ويتعدونه كما يخرق السهم الشّيءَ المرمي به ويخرج منه.

آيتهم: علامتهم.

العضد بتثليث العين كرَجُل ـ ويسكن وكَبِد وحَمَل، وبضمتين ويسكن: ما بين المرفق إلى الكتف.

الثدي ـ بمثلثة مفتوحة فدال مهملة ساكنة.

البَضعة ـ بفتح الموحدة: القطعة.

تَدَرْدَر ـ بفتح الفوقية والدال المهملة، وسكون الراء وبالدال المهملة آخره [راء] ترجرج. مضارعٌ مرفوع حذفت منه التاء.

يخرجون على حين ـ بالحاء والنون.

فُرقة ـ بضم الفاء: أَي افتراق من المسلمين، وروي على خير بالمعجمة والراء، فرقة بالكسر: وهو علي وأَصحابه.

شرح غريب ذكر قدوم مالك بن عوف ـ رضي الله عنه ـ

الموفور: الكثير.

دُحْنَا ـ بضم الدال وتفتح وسكون الحاء المهملتين، بالقصر والمد: أَرض بين الطائِف والْجِعْرَانة.

ركضه: استحثه الجري.

العطاء الجزيل: العطاء الكثير.

إذا اجْتُدِي ـ بضم أَوله وسكون الجيم وضم الفوقية وكسر الدال المهملة: أَي طلبت منه العطية.

الكتيبة ـ بالفوقية: الطائفة المجتمعة من الجيش.

عردت ـ بعين مهملة فراء فدال مهملة مفتوحات فتاء: اعْوَجَّت.

أَنيابها ـ جمع ناب: السِّنّ خلف الرباعية، مؤنث.

السَّمْهَرِي ـ بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتح الهاء وبالراء: الرماح المنسوبة إِلى سَمْهَر: قرية بالهند.

المهنّد: السيف المطبوع من حديد الهند.

الليث: الأَسد.

الأَشبال: جمع شبل وهو: ولد الأَسد.

الهباءَة: الغيرة، ويروى المباءَة، بفتح الميم والموحدة والهمز: منزل القوم في كل موضع.

الخَادِر: الداخل في خدره، والخدر هنا غابة الأَسد.

المرصد: الموضع الذي يرصد منه ويترقب.

فَهْم ـ بفتح الفاء وسكون الهاء.

سَلِمة ـ بكسر اللام.

ثُمَالة ـ بضم الثاء المثلثة.

قد ضوى: [أَي انضم].

اعتقد لواء: عقده.

السرح: [المالُ يسام في المرعى من الأَنعام].

شرح غريب ذكر رجوع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة

قوله مَجَنَّة ـ بفتح الميم والجيم والنون المشدّدة.

مَرّ ـ بفتح الميم وتشديد الراء مضاف إِلى الظَّهْرَان تثنية ظهر الحيوان: موضع على مرحلة من مكة.

سَرِف ـ بفتح السين المهملة وكسر الراء وبالفاء: موضع.

شرح غريب شعر بجير

بُجَير ـ بموحدة مضمومة فجيم مفتوحة فتحتية ساكنة فراء.

زُهير بالتَّصغير ابن أَبي سُلْمَى ـ بضم السين المهملة وسكون الّلام وفتح الميم.

العُلاَلَة: بضم العين المهملة «من العَلل»؛ وهو الشُّرْب بعد الشرب، وأَراد به هنا معنى التكرار. وقال في الإِملاءِ وفي الروضة: العُلالَة جرى بعد جَرْي؛ أَي قتال بعد قتال؛ يُريد أَن هوازن جَمَعَتْ جَمْعَهَا علالة في ذلك اليوم، وحَذْف التنوين من علالة ضَرُورَةٌ وأَضمر في كانت اسمها وهو ضمير القصة.

يوم ـ بالخفض في عِدّةٍ نسخ صحيحة من السيرة، وجاز على هذا في علالة النصب خبر كان، ويكون اسمها عائداً على شيءٍ تقدم ذكره، ويجوز الرفع في علالة مع إِضافتها إِلى اليوم على أَن تكون كان تامَّة مكتفيةً باسم واحد، ويجوز أَن تجعل آسْماً على المصدر مثل بَرَّة وفجار، وبنصْب يَوْماً على الظرف.

أَوطَاس: اسم موضع يأْتي ذِكْره في السَّرايا.

الأَبْرَق: موضع، وأَصله الجبل الذي فيه أَلوان من الحجارة والرمل.

الإِغواء ـ بالغين المعجمة: من الغي الذي هو خلاف الرُّشد.

حَسْرَاناً: يعني الذين أَعيوا منا من الحسير وقد يجوز أَن يكون الحَسْرَى هنا الذين لا درع لهم.

الرجْرَاجَة ـ بفتح الراء وسكون الجيم الأُولى: الكتيبة التي يَمُوجُ بَعْضُها في بعض.

المنايا ـ جمع مَنِيَّة: وهي الموت.

الفَيْلَق ـ بفتح الفاء وسكون التحتية وفتح اللام وبالقاف: الجيش الكثير الشديد.

ملمومة: مجتمعة.

خضراء: يعني من لون السلاح.

حضْن ـ بفتح الحاء المهملة والضَّاد المعجمة وبالنون: اسم جبل.

الضِّرَاء ـ بكسر الضاد المعجمة الساقطة وبالراء: الأُسود الضارية.

الهَراس ـ بفتح الهاء والراء والسين المهملة: نَبَات به شوك.

قُدُر ـ بضم أَوله والدال المهملة وتسكن وبالراء، فمن رواه بالقاف عنى خيلاً تجعَلُ أَرجلها في موضع أَيديها إِذا مشت، ومن رواه بالفاء عنى الوعول، واحدها فادر.

القياد ـ بقاف مكسورة فتحتية فأَلف فدال مهملة.

السابغة بالغين المعجمة: الدرع الكاملة.

استحصنت: احتمت بالحصن.

النِّهْي ـ بكسر النون وسكون الهاء: الغدير من الماء.

المترقرق: المتحرك.

جُدُل ـ بضم الجيم والدال المهملة وباللام: جمع جدلاء: وهي: الدرع الجيدة النسج.

فضولهن: ما انجرّ منهن.

مُحَرِّق: لقب عمرو بن هند ملك الحيرة.

شرح غريب شعر كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ

تِهامة: ما انخفض من أَرض الحجاز.

الريب: الشك.

أَجممنا: بالجيم: أرحنا.

الحاضن: المرأَة التي تحضن ولدها.

ساحة الدار: وسطها، ويقال فناؤها.

العروش بالشين المعجمة: وهي هنا سقف بيوت مكة.

وَجّ ـ بفتح الواو وتشديد الجيم: اسم موضع.

الخَلُوف ـ بضم الخاء المعجمة واللام وبالفاء: الغائِبون، وفي غير هذا الموضع بمعنى الحاضرين، وهو من الأَضداد.

السَّرَعَان ـ بفتح السين والراء وبالعين المهملات: المتقدمون.

الكثيف ـ بالثاء المثلثة: الملتف؛ ومن رواه كشيفاً بالشين المعجمة. فمعناه [مكشوف، أَو منكشف، والكشف: رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه].

الرّجيف ـ براء مفتوحة فجيم مكسورة فتحتية ففاء: الصوت الشديد مع زلزال مأْخوذ من الرجفة، ومن رواه: وجيفاً بالواو والباقي كما تقدم: عنى سريعاً يسمع صوت سرعته.

قَوَاضِب ـ بالقاف والضاد المعجمة والموحدة: السيوف القاطعة.

المرهفات: جمع مرهف وهو السيف المرقق الحواشي القاطع.

المصطلون: المبشرون لها.

العقائق ـ جمع عقيقة: وهي شعاع البرق هنا.

الْقُيُون ـ بالقاف: جمع قَيْن؛ وهو الحداد.

الكتيف ـ بالفوقية ـ جمع كتيفة: وهي صفائح الحديد تضرب للأَبواب وغيرها.

تخال ـ بالخاء المعجمة: تظن.

الجَدِيّة ـ بفتح الجيم وكسر الدال وتشديد التحتية: الطريقة من الدم.

الجَادِيّ ـ بالجيم والدال المهملة المكسورة: الزعفران.

مَدُوفا ـ بالدال المهملة وتُعْجم: مختلطاً.

أَجدهم ـ بفتح الهمزة وفتح وكسر الجيم وتشديد الدال المهملة؛ أَي:

العريف هنا ـ بمعنى عارف.

النُّجُب: جمع نجيب؛ وهو العتيق الكريم من الخيل.

الطُّروف ـ بضم الطاء المهملة: جمع طِرْف. وهو الكريم من الخيل أَيضاً.

الرَّوْع: الفزع.

الزَّحْف: دُنُوّ الناس بعضهم من بعض.

العَزُوف ـ بالعين المهملة والزاي وبالفاء: الصابر.

النَّزِق ـ بفتح النون وكسر الزاي: الخفيف الطائش.

الرِّيْف ـ بكسر الراءِ وبالفاءِ: الموضع الخصب الذي على الماءِ.

الرَّعِش: المتقلب غير الثابت.

الإِذْعَان ـ بكسر أَوله وبالذال المعجمة: الانقياد.

المُضِيف ـ بضم الميم وكسر الضاد المعجمة وبالفاءِ وهو هنا: المشفق الخائف، يُقال أَضاف من الأَمر إِذا أَشفق منه وخاف.

التَّالِد ـ بالفوقية وكسر اللام وبالدال المهملة: المال القديم.

الطريف ـ بفتح الطاءِ المهملة وبالفاءِ: المال المحدث.

باءَ: رجع.

أَلَّبوا ـ بتشديد اللام، وبالموحدة جمعوا.

الصميم ـ مفعُول أَلبوا: وهو خلاصة الشيء.

الجَذْم ـ بجيم مفتوحة وذال معجمة ساكنة: الأَصل.

الجَذع ـ بالجيم والذال المعجمتين: القطع، وأَكثر ما يُستَعْمل في الأُنُوف، ويقال في المسامع صلمتا، فلما جمعهما، أَعمل فيهما فعلاً واحداً.

لَيْن: مخفف لَيِّن بتشديد التحتية.

عنيف ـ بفتح العين وكسر النون وسكون التحتية وبالفاءِ: ليس برقيق.

الشُّنوف بضم الشين المعجمة والنون جمع شَنْف: وهو القرط الذي يكون في الأُذن.

الخُسُوف: الذّل.

الباب الثلاثون

في غزوة تبوك

ويقَال إنها غَزْوَة العُسْرة والفاضحة: اخْتُلِفَ في سَبَبِها؛ فقيل إنَّ جماعةً من الأَنباط الذين يَقْدَمون بالزيت من الشام إلى المدينة ذكروا للمسلمين أن الرُّومَ جمعوا جُمُوعاً كثيرة بالشام، وأَن هِرَقل قد رزق أَصحابه لسنة، وأَجْلَبَت معهم لخمٍ وجُذَام وعَامِلَة وغَسَّان وغيرهم من متنصّرة العرب، وجاءَت مقدّمتهم إلى البَلْقاءِ ولم يكن لذلك حقيقة، ولَمَّا بلغ رسول الله - ﷺ - ذلك ندَب الناس إلى الخروج - نقله محمد بن عمر ومحمد بن سعد.

وروى الطبراني بسند ضعيف عن عمران بن حُصَيْن - رضي الله عنهما قال: كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل/: إن هذا الرجل الذي قد خرج يَدّعي النُّبُوة هلك وأَصابتهم سنون فهلكت أَموالهم. فإن كنت تريد أَن تلحق دينك فالآن، فبعث رَجُلاً من عظمائهم وَجَهّز معه أَربعين أَلْفاً فبلغ ذلك رسولَ الله - ﷺ - فأَمر بالجهاد(١).

وقيل: إنَّ اليهود قالوا لرسولِ الله - ﷺ - يا أَبا القاسم إنْ كنتَ صَادِقاً فالحق بالشام فإنَّها أَرض الأَنبياء، فغزا تبوك لا يريدُ إلاَّ الشام. فَلَمّا بَلَغ، تبوكَ أَنزل الله تعالى الآيات من سورة بني إسرائيل: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وإِذاً لاَ يَلْبَثُونَ خِلاَفَكَ إلاَّ قَلِيلاً﴾[الإسراء ٧٦] رواه ابن أَبي حاتم، وأَبو سعد، النَّيْسَابوري، والبيهقي بإسنادٍ حسن.

وقيل: إن الله سبحانه وتعالى لما منع المشركين من قربات المسجد الحرام في الحج وغيره قالت قريش: لتُقْطَعَنّ عنا المتاجر والأَسواق وليَذْهَبَنّ ما كُنّا نصيبُ مِنْها، فعوَّضهم الله تعالى - عن ذلك بالأَمر بقتال أَهل الكتاب حتَّى يسلموا أَو يُعطُوا الجزية عن يَدٍ وهم صاغرون كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُم عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُم اللّهُ مِنْ فَضْلِه إن شَاءَ إِنَّ الله عَلِيمٌ حكيم، قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الذين أُوتُوا الْكِتَاب حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرون﴾[التوبة ٢٨، ٢٩] وقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الذِين آمنوا قَاتِلُوا الَّذين يَلُونَكم من الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُم غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمتَّقِين﴾[التوبة ١٢٣] وعزم رسولُ الله - ﷺ - على قتال الروم، لأَنَّهم أَقرب الناس إليه، وأَولى الناس بالدَّعوة إلى الحق لقربهم إلى الإِسلام رواه ابن مردويه عن ابن عباس وابن أَبي شيبة وابن المنذر عن مجاهد، وابن جرير عن سعيد بن جُبير.

---

(١) انظر المجمع ١٩٤/٦ وقال فيه العباس بن الفضل الأنصاري وهو ضعيف.

ذكر عزمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على قتال الروم وبيان ذلك للناس

لَمَّا عزم رسولُ الله ـ ﷺ ـ على قتال الروم عَامَ تبوك، وكان ذلك في زَمَانِ عُسْرَةٍ مِنَ الناس وشدَّةٍ من الحرّ وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس، يُحِبُّون الْمُقَام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على تلك الحال من الزمان الذي هم عليه، وبيّن ـ ﷺ ـ للناس مَقْصِده، وكان ـ ﷺ ـ قلّ أن يخرج في غزوة إلا كنَّى عنها وَوَرَّى بغيرها إلاَّ ما كان من غزوة تبوك، فإنه بَيَّنَها للناس لبعد الشُّقَّةِ وشِدة الزمان وكثرة العدو الذي يَصْمُدُ له، ليتأَهَّبَ الناس لذلك أُهْبَته، فأَمَرَ النَّاسَ بالْجِهَاز، وَدَعَا مَنْ حوله من أَحياءِ العرب للخروج معه، فأَوْعَبَ مَعَه بشر كثير، وبَعَثَ إِلى مكة، وتخلَّف آخرون، فعاتب الله ـ تعالى ـ من تخلَّف منهم لغير عذر من المنافقين والمقصرين، ووبَّخهم وبيَّن أَمرهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِين آمنوا مَا لَكُم إِذَا قِيلَ لَكُم آنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيا من الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إلاَّ قَلِيلٌ، إلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبكُم عَذَاباً أَليماً ويَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ولا تَضُرُّوهُ شَيْئاً واللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾ [التوبة ٣٨، ٣٩] ثم قال تعالى ﴿انفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً وجَاهِدُوا بِأَمْوالكم وأَنْفُسِكُمْ فِي سَبيل اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُون. لَوْ كَانَ عَرَضاً قريباً وسَفراً قَاصِداً لاتَّبَعُوكَ ولَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِم الشُّقَّةُ وسَيَحْلِفُون بالله لَوِ آسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُم وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُون﴾ [التوبة ٤١، ٤٢] إلى آخر الآيات.

وروى ابنُ شيبة، والبخاري، وابن سعد عن كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ قلَّما يريد غزوة يغزوها إلا وَرَّى بغيرها، حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله ـ ﷺ ـ في قيظ شديد، واستقبل سفراً بعيداً، وغُزَّى وعدداً كثيراً فجلَّى للمسلمين أَمرهم ليتأهبوا أُهبة غزوهم، وأَخبرهم بوجهه الذي يريده(١).

ذكر حثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على النفقة والحملان في سبيل الله تبارك وتعالى

في حديث عمران بن حُصَيْن ـ رضي الله عنهما ـ عند الطَّبراني أَن النَّبي ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ كان يجلس كُلَّ يوم على المنبر فيدعو فيقول: «اللَّهُمَّ أَن تَهْلِك هذه الْعِصَابة لَنْ تُعْبَدَ في الأَرْض. فلم يكن للناس قوة(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٨).

(٢) أخرجه مسلم ١٣٨٣/٣، ١٣٨٤ واحمد ٣٢/١.

قال محمد بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ حَضَّ رسول الله ـ ﷺ ـ على الصَّدَقَات فجاءُوا بصدقات كثيرة، فكان أَول من جاءَ أَبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ جاءَ بماله كله أَربعة آلاف درهم فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «هل أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ شيئاً؟»(١) فقال: أَبقيتُ لهم اللّهَ ورسولَه. وجاءَ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بِنِصْفِ مَالِهِ، فَقَالَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «هل أَبْقَيْتَ لأَهلك شيئاً؟» قال: نعم مثل ما جئت به، وحمل العباس، وطلحة بن عبيد اللّه، وسعد بن عبادة ـ رضي الله عنهم ـ وحمل عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ مائتي أُوقية إِلى رسول الله ـ ﷺ ـ وتصدّق عاصم بن عدي ـ رضي الله عنه ـ بسبعين وَسْقاً من تمر، وجهَّزَ عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ثلث ذلك الجيش حتى أَنه كان يقال: ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شُنُق أَسْقِيَتهم.

قلت: كان ذلك الجيش زيادةً على ثلاثين أَلفاً، فيكون ـ رضي الله عنه ـ جهز عشرة آلاف.

وذكر أَبو عمرو في الدرر، وتبعه في الإِشارة: أَن عثمان حمل على تسعمائة بعير ومائة فرس بجهازها، وقال ابن إِسحاق ـ رحمه الله تعالى ـ أَنفق عثمان في ذلك الجيش نفقة عظيمة لم يُنْفِق أَحدٌ مِثْلَهَا.

ونقل ابن هشام عَمَّنْ يثق به: أَن عثمان ـ رضي الله عنه ـ أَنفق في جيش العسرة أَلف دينار قُلْتُ غير الإِبل والزاد وما يتعلق بذلك. قال: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «اللهم ارضَ عن عثمان فإِني عنه راض». وروى الإِمام أَحمد، والترمذي وحَسَّنه، والبيهقي عن عبد الرحمن بن سَمُرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاءَ عثمان إِلى رسول ـ ﷺ ـ بأَلف دينار في كُمِّه حين جهّز رسولُ الله ـ ﷺ ـ جَيْشَ العُسْرة، فصَبَّها في حِجْرِ النبي ـ ﷺ ـ فجعل النبيُّ ـ ﷺ ـ يُقَلِّبها بيده ويقول: «ما ضَرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم»(٢) يرددها مراراً.

وروى عبد اللّه بن الإِمام أَحمد في زوائِد المسند، والترمذي، والبيهقي عن عبد الرحمن بن خُبَاب ـ بالمعجمة وموحدتين ـ رضي الله عنه ـ قال: خطب رسول الله ـ ﷺ ـ فحثّ عَلَى جيش العُسْرة، فقال عثمان ـ رضي الله عنه ـ عَلَيَّ مائَةُ بعير بِأَحْلاَسِهَا وَأَقْتَابِها، ثُمَّ نزل مِرْقاة أُخرى من المنبر فَحَثَّ فَقال عثمان ـ رضي الله عنه ـ: عَلَيَّ مائة أُخرى بِأَحْلاَسِهَا وَأَقْتَابِهَا ثم نزل مرقاة أُخرى فحث فقال عثمان ـ رضي الله عنه ـ: عليّ مائة أُخرى

(١) الواقدي في المغازي ٩٩١/٣.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٠١) والحاكم ١٠٢/٣ وابن أبي عاصم ٥٨٧/٢ (٥٩٢) والبيهقي في الدلائل ٢١٥/٥، وانظر البداية والنهاية ٤/٥.

بأحلاسها وأقتابها.، فرأيتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول بيده - هكذا - يحركها كالمتعجب «ما على عثمان ما عمل بعد هذا اليوم» أو قال: - بعدها -[١].

وروى الطيالسيّ، والإمام أحمد، والنسائيّ عن الأحنف بن قيس - رحمه الله تعالى - قال: سمعتُ عثمان - رضي الله عنه - يقول لسعد بن أبي وَقاص وعليّ والزُّبَير وطلحة: أَنْشُدُكم الله، هل تعلمون أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: «مَنْ جهّز جَيْشَ العُسْرة غفر الله له» فجهزتهم حتى مَا يَفْقِدُون خِطَاماً وَلا عِقالاً؟ قالوا: اللهم نعم[٢].

ويأتي في تَرْجمةِ عثمان - رضي الله عنه - أحاديث كثيرة في ذلك.

قال محمد بن عمر - رحمه الله: وحمل رجالٌ، وقَوَّى ناسٌ دون هؤلاءِ مَنْ هم أضعف منهم، حتى إن الرَّجُلَ ليأتي بالبعير إلى الرجل والرجلين فيقول: هذا البعير بَيْنَنَا نعتقبه، ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيها بعض من يخرج حتى أن كان النساء يَبْعَثْنَ بما يَقْدِرن عليه، وحمل كعبُ بن عجرة واثلةَ بنَ الأسقع، وروى أبو داود، ومحمد بن عمر عن واثلة بن الأسقع، - رضي الله عنه - قال: نادى منادي رسول الله - ﷺ - في غزوة تبوك، فخرجت إلى أهلي - وقد خرج أَوّل أَصْحَابه - فطفت في المدينة أُنادي: أَلا من يحمل رَجُلاً وله سهمه؟ فإذا شيخٌ من الأنصار - سمّاه محمد بن عمر: كعب بن عجرة - فقال: سهمه على أن تَحْمِلَهُ عقبة وطعامه معنا؟ فقلت: نعم، فقال: سِرْ على بركة الله تعالى، فخرجتُ مع خير صاحب حتى أفاءَ الله علينا.

قال محمد بن عمر: بعثه رسول الله - ﷺ - مع خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِرِ دُومَة. قال: فأصابني قلائص - قال محمد بن عمر: ستة - فسقتهن حتى أتيته بهن، فخرج فقعد على حقيبة من حقائب إبله ثم قال: سقهن مقبلات. فسقتهن، ثم قال: سقهن مدبرات، فقال: ما أرى قلائصك إلا كراماً، فقلتُ: إنما هي غنيمتك التي شرطتُ لك، قَالَ: خُذْ قلائصك يا ابن أخي، فغير سهمك أَردنا.

ذكر بعض ما دار بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين بعض المنافقين وتثبيطهم الناس عن الخروج معه

روى ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نُعَيْم في المعرفة عن ابن عباس وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن جابر بن عبد اللّه - رضي الله عنهم - وابن عقبة، ومحمد بن إسحاق،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٠٠) وأحمد ٧٥/٤ وابن سعد ٥٥/٧، وأبو نعيم في الحلية ٩٩/١، والدولابي في الكنى ١٧/٢، والبخاري في التاريخ ٢٤٧/٥.

(٢) أخرجه البيهقي ١٦٧/٦ أو الدارقطني ٢٠٠/٤ والنسائي في الاحباس باب (٤) والبيهقي في الدلائل ٢١٥/٥.

ومحمد بن عمر - رحمهم الله تعالى - عن شيوخهم[1] زاد ابن عقبة: أن الجَدّ بن قيس أتى رسول الله - ﷺ - وهو في المسجد معه نَفَرٌ، فقال: يا رسول الله ائذن لي في القُعُود، فإني ذو ضَيْعَة وعِلَّة فيها عذر لي، فقالَ رسول الله - ﷺ - «تجهّز فإنَّكَ مُوسِر»، ثم اتفقوا فقال رسول الله - ﷺ -: «تجهز تجهز فإنك موسر، لَعَلَّكَ تُحْقِبُ من بنات بني الأصفر؟» قال الجَدُّ: أَو تأْذن لي وَلاَ تَفْتِنِّي، فوالله لقد عرف قومي ما أَحد أَشد عُجْباً بالنساءِ منّي، وإني أَخشى إِنْ رأَيت نساءَ بني الأَصفر أَلاَّ أَصبر عنهن، فأَعرض عنه رسول الله - ﷺ - وقال: «قد أَذِنَّا لك» زاد محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - فجاءَه ابنُه عبدُ اللّه بن الجَدِّ - وكان بَدْرِيًّا - وهو أَخو معاذ بن جبل لأُمه، فقال لأَبيه: لِم تردّ على رسول الله - ﷺ - مقالته فوالله ما في بني سَلَمة أَحد أَكثر مالاً منك؛ فلا تخرج ولا تحمل؟! فقال: يا بنيّ ما لي وللخروج في الريح والحرّ الشديد والعُسرة إلى بني الأَصفر، فوالله ما آمن - خوفاً - من بني الأَصفر وأَنا في منزلي، أَفأَذهب إليهم أَغزوهم؟! إني والله يا بني عالم بالدوائر، فأَغْلَظ له ابنه وقال: لا والله ولكنه النفاق، والله لينزلن على رسول الله - ﷺ - فيك قرآن يُقْرأُ به، فرفع نعله فضرب به وَجْهَ ولدِه، فانصرف ابنُهُ ولم يكلمه، وأَنزل الله تعالى: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ٱئْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكَافِرِينَ﴾** [التوبة ٤٩] أي إن كان إنما خشي الفتنة من نساءِ بني الأَصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله - ﷺ - والرغبة بنفسه عن نفسه، يقول: وإن جهنم لَمِنْ ورائه.

وجعل الجَدُّ وغيره من المنافقين يُثَبِّطُون المسلمين عن الخروج؛ قال الجَدُّ لِجبَّار بن صخر ومن معه من بني سَلِمة: لا تنفروا في الحر؛ زَهَادَة في الجهاد، وشكًّا في الحق، وإرجَافاً برسول الله - ﷺ - فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم **﴿وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ. فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [التوبة ٨١، ٨٢].

وروى ابن هشام - رحمه الله تعالى - عن عبد اللّه بن حارثة - رضي الله تعالى عنه - قال: بلغ رَسُولَ الله - ﷺ - أَنَّ نَاساً من المنافقين يَجْتَمِعُونَ في بيت سُوَيلم اليهودي يثبّطون الناس عن رسول الله - ﷺ - في غزوة تَبُوك، فبعث إليهم رسولُ الله - ﷺ - طلحةَ بنَ عُبَيْد اللّه - رضي الله عنه - في نفرٍ من أَصحابه، وأَمره أَن يحرق عليهم بيت سُويلم اليهودي ففعل طلحةُ، واَقتحم الضَّحَّاكُ بْنُ خَلِيفَة من ظَهْرِ البيت فَانكَسَرَتْ رجلهُ واَقتحم أَصحابُه فَأَفْلَتُوا.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن ٣٣/٩ وفي الدلائل ٢٢٥/٥ وانظر الدر المنثور ٢٤٨/٣.

وجاءَ أَهل مسجد الضِّرار إِلى رسول الله - ﷺ - وهو يتجهّز إِلى تبوك فقالوا: يا رسول الله قد بنينا مسجداً لذي الْعِلَّةِ والحاجة والليلة المطيرة، ونُحِبُّ أَن تأْتينا فَتُصَلِّيَ فيه، فقال لهم رسول الله - ﷺ - «إِنّا في شغل السَّفَر، وإِذا آنصرفت سيكون».

ذكر خبر المخلفين والمعذرين والبكائين

قال ابن عقبة - رحمه الله تعالى -: وتخلَّف المنافقون، وحَدَّثوا أنفسهم أَن رسول الله - ﷺ - لا يرجع إِليهم أَبداً، فاعتذروا. وتخلَّف رجالٌ من المسلمين بأَمرٍ كان لهم فيه عذرٌ، منهم السقيم والمعسر.

قال محمد بن عمر: وجاءَ ناس من المنافقين إِلى رسول الله - ﷺ - ليستأْذنوه في القعود من غير علة، فأَذن لهم - وكانوا بضعة وثمانين رجلاً.

وروى ابن مردويه عن جابر بن عبد اللّه - رضي الله عنهما - استدار برسول الله - ﷺ - رِجالٌ من المنافقين حين أَذِنَ للجَدّ بن قيس يستأْذنون يقولون: يا رسول الله ائذن لنا فأَنا لا نستطيع أَن نغزو في الحرّ، فأَذن لهم، وأَعرض عنهم(١).

وجاءَ المعذِّرون من الأَعراب فاعتذروا إِليه فلم يَعْذِرهم الله، قال ابن إِسحاق: وهم نفر من بني غفار، قال محمد بن عمر، كانوا اثنين وثمانين رجلاً، منهم؛ خُفاف ابن أَيماء.

وروى ابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عنه - وابن جرير عن محمد بن كعب القرظي وابنُ إِسحاق، وابنُ المنذر، وأَبو الشيخ عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد اللّه بن أَبي بكر، وعاصم بن محمد بن عمر بن قتادة وغيرهم: أَن عصابة من أَصحاب رسول الله - ﷺ - جاءُوه يستحملونه، وكلهم مُعْسِر ذو حاجة لا يحب التخلف عن رسول الله - ﷺ - فقال رسول الله - ﷺ - «لا أَجدُ ما أَحمِلُكُم عليه تَولَّوا وأَعينهم تفيض من الدمع حَزَناً أَلاَّ يجدوا ما ينفقون»، وهم سبعة، واختلفوا في أَسمائهم، فالذي اتفقوا عليه سالم بن عمير من بني عمرو بن عوف الأَوسي وعُلْبَة - بضم العين المهملة وسكون اللام وبالموحدة - بن زيد - وأَبو ليلى عبد الرحمن بن كعب. وهَرِمي - ويقال بإِسقاط التحتية - ابن عبد اللّه - وهو بها - والذي اتفق عليه القرظي، وابن إِسحاق، وتبعهم ابن سعد، وابن حزم، وأَبو عمرو، والسهيلي ولم يذكر الأَخير، والواقدي. عِرْباض - بكسر العين المهملة وسكون الراء وبالضاد المعجمة بن سارية بالمهملة وبالتحتية، وجزم بذلك ابن حزم، وأَبو عمرو، ورواه أَبو نعيم عن ابن عباس، والذي اتفق عليه القرظي وابن عقبة وابن إِسحاق. عبد اللّه بن مُغَفَّل - بميم

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٣١٨/٥، والدر المنثور ٢٦٨/٣.

مضمومة فغين معجمة ففاء مشددة مفتوحتين ـ المزني، وفي حديث ابن عباس: عبد اللّه بن مغفل فيهم، وروى ابن سعد ويعقوب بن سفيان وابن أبي حاتم عن ابن مُغَفَّل قال: إني لأَجِدُ الرهط الذين ذكر الله تعالى: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ [التوبة ٩٢] الآية. والذين اتفق عليهم القرظي وابن عمر: سلمة بن صخر، ولفظ القرظي سلمان، والذي اتفق عليه القرظي وابن عقبة: عمرو بن عَنَمة بفتح العين المهملة والنون ـ ابن عدي ـ وعبد اللّه بن عمرو المزني ـ حكاه ابن إسحاق قولاً بدلاً عن ابن مُغَفَّل، وانفرد القرظي بذِكر عبد الرحمن بن زيد أَبي عبلة من بني حارثة، وبذكر هرمي بن عمرو من بني مازن.

قال محمد بن عمر: ويقال إن عمرو بن عوف منهم.

قال ابن سعد: وفي بعض الروايات من يقول فيهم: معقل ـ بالعين المهملة والقاف ابن يسار، وذكر فيهم الحاكم حرمى بن مبارك بن النجار كذا في المورد ولم أر له ذكراً في كتب الصحابة التي وقفت عليها.

وذَكر ابن عائذ فيهم: مهديٌّ بن عبد الرحمن، كذا في العيون، ولم أر له ذكراً فيما وقفت عليه من كتب الصحابة، وذكر فيهم محمدُ بن كعب: سَالم بنَ عمرو الواقفي، قال ابن سعد: وبعضهم يقول: البكاءُون بنو مُقرِّن السبعة، وهم من مزينة انتهى، وهم: النعمان، وسُوَيد، ومَعْقِل، وعَقِيل، وسنان وعبد الرحمن والسابع لم يسم، قيل اسمه عبد اللّه، وقيل النعمان، وقيل ضرار، وقيل [...] وحكى ابن فتحون ـ قولاً ـ أَن بني مُقَرِّن عشرة فيتعين ذكر السبعة منهم.

وذكر ابن إسحاق في رواية يونس وابن عمر: أَن عبلة بن زيد لما فقد ما يحمله ولم يجد عند رسول الله ـ ﷺ ـ ما يحمله خَرَجَ من الليل فصلّى من ليلته ما شاءَ الله تعالى، ثم بكى وقال: اللهم إنك أَمرتنا بالجهاد ورَغَّبتَ فيه، واني أَتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أَصابني بها في مال أَو جسد أَو عرض، ثم أَصبح مع الناس، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «أَين المتصدق هذه الليلة» فلم يقم أَحد، ثم قال: «أَين المتصدق فليقم» فقام إِليه فأَخبره، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أَبشر، فوالذي نفسي بيده لقد كُتِبتْ في الزكاة المتقبلة».

قال ابن إسحاق ومحمد بن عمر: لما خرج البكاءُون من عند رسول الله ـ ﷺ ـ وقد أَعلمهم أَنه لا يجد ما يحملهم عليه لقي يامينُ بنُ عمرو النضريُّ أَبا ليلى وعبد اللّه بن مُغَفَّل وهما يبكيان، فقال: ما يُبْكِيكُمَا؟، قالا: جئنا رسول الله ـ ﷺ ـ ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج، ونحن نكره أَن تفوتنا غزوة مع رسول الله ـ ﷺ ـ فأَعطاهما ناضحاً له، وزوّد كلَّ واحد منهما صاعين من تمر، زاد محمد بن عمر:

وحمل العباس بن عبد المطلب منهم رجلين، وحمل عثمان بن عفان منهم ثلاثة نفر بعد الذي جهّز من الجيش.

ذكر حديث أبي موسى في حلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه لا يحملهم ثم حملهم

روى الشيخان عن أَبي موسى الأَشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: أَتيت رسول الله ـ ﷺ ـ في نَفَرٍ من الأَشعريين ليحملنا، وفي رواية: أَرسلني أَصحابي إلى رسول الله ـ ﷺ ـ أَسأَله لهم الحُمْلان، فقلت: يا رسول الله إن أَصحابي أَرسلوني لتحملهم، فقال: «والله لا أَحملكم على شيءٍ، وما عندي ما أَحملكم عليه» ووافقته وهو غضبان ولا أَشعر، فرجعت حزيناً من منع رسول الله ـ ﷺ ـ ومن مخافة أَن يكون رسول الله ـ ﷺ ـ وجد في نفسه، فرجعت إلى أَصحابي فأَخبرتهم بالذي قال رسول الله ـ ﷺ ـ ثم جيءَ رسول الله ـ ﷺ ـ بنَهْب إبل فلم أَلبث إلاَّ سُوَيعة إذ سمعتُ بلالاً ينادي: أَين عبد الله بن قيس؟ فأَجبته، فقال: أَجب رسول الله ـ ﷺ ـ يَدعوك، فلما أَتيت رسولَ الله ﷺ قال: «خذ هذين القرينين وهذين القرينين وهذين القرينين» لستة أَبعرة آبتاعهن حينئذ من سعد، وفي رواية: فأَمر لنا بخمس ذَوْد غُرَّ الذُّرى، فقال «انطلق بهن إلى أَصحابك فَقُلْ إن الله ـ أَو قال: إن رسول الله ـ ﷺ ـ يحملكم على هؤلاءِ فاركبوا» قال أَبو موسى فانطلقت إلى أَصحابي فقلت: إن رسول الله ـ ﷺ ـ يحملكم على هؤلاءِ، ولكن والله لا أَدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ـ ﷺ ـ حين سأَلته لكم ومنعه في أَوّل مرّة، ثم إعطائه إياي بعد ذلك؛ لا تظنوا إني حدثتكم شيئاً لم يقله، فقالوا لي والله إنك عندنا لَمُصَدَّق ولنفعلن ما أَحببتَ فانطلَقَ أَبو موسى بنفرٍ منهم حتى أَتوا الذين سمعوا مقالة رسول الله ـ ﷺ ـ مِنْ مَنْعِهِ إيَّاهم ثم إعطائه بعد ذلك فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أَبو موسى، قال أَبو موسى؛ ثم قلنا: تغفلنا رسول الله ـ ﷺ ـ يمينَه، والله لا يبارك لنا، فرجعنا فقلنا له، فقال «ما أَنا حملتكم ولكن الله حملكم» قال: «إني والله لا أَحلف على يمين فأَرى غيرها خيراً منها إلا أَتيت التي هي خير وتحللتها» فقال: «كفَّرتُ عن يميني»(١).

ذكر مجيء المعذرين من الأعراب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليأذن لهم فلم يعذرهم

قال محمد بن عمر، وابن سعد: وهما اثنان وثمانون رجلاً من بني غِفار، وأَنزل الله

(١) أخرجه البخاري ٦٠١/١١ (٦٧١٨)، ومسلم ١٢٦٩/٣ (١٦٤٩/٧).

ـ تبارك وتعالى ـ في ذلك كله ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ القَاعِدِينَ. رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِم فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ. لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمِ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ العَظِيمُ. وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ. إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة ٨٦: ٩٣].

ذكر من تخلف عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو صحيح الإيمان غير شاك

قال ابن إسحاق ومحمد بن عمر رحمه الله تعالى: وكان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله ـ ﷺ ـ حتى تخلفوا عنه من غير شك ولا ارتياب منهم: كعب بن مالك، وهلال بن أُمية، وأَبو خيثمة، وأبو ذر الغفاري. وكانوا نفر صدق لا يتهمون في إسلامهم ـ انتهى ـ وسيأتي أَن أَبا خيثمة، وأَبا ذر لحقا برسول الله ـ ﷺ ـ وستأتي قصة الثلاثة.

ذكر من استخلفه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أهله، ومن استخلفه على المدينة

قال ابن إسحاق: وخلَّف رسولُ الله ـ ﷺ ـ عليَّ بن أَبي طالب ـ رضي الله عنه ـ على أَهله، وأَمره بالإقامة فيهم، فأَرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقالاً له، وتخفُّفاً منه، فلما قالوا ذلك أَخذ عليٌّ سلاحه وخرج حتى لحق برسول الله ـ ﷺ ـ وهو نازل بالجُرْف، فأَخبره بما قالوا، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «كذبوا، ولكني خلَّفتك لما تَرَكْتُ ورائي، فارجع فاخْلُفْني في أَهلي وأَهلك، أَفلا ترضى يا علي أَن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلاَّ أَنَّه لا نَبيَّ بعدي» فرجع عليٌّ إلى المدينة ـ وهذا الحديث رواه الشيخان(١)، وله طرق تأْتي في ترجمة سيدنا علي ـ رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه البخاري ٧١/٧ (٣٧٠٦) ومسلم ١٨٧٠/٤ (٣٠/٢٤٠٤).

واستخلف رسول الله ـ ﷺ ـ على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال: وذكر الدَّرَاوَرْدِيّ: أنه استخلف عام تَبُوك سِبَاعَ بن عُرْفُطَة، زاد محمد بن عمر ـ بعد حكاية ما تقدم ـ ويقال ابن أُم مكتوم، وقال: والثابت عندنا محمد بن مسلمة، ولم يتخلف عنه في غزوة غيرها، وقيل: علي بن أَبي طالب، قال أَبو عمرو وتبعه ابن دحية: وهو الأثبت، قلت: ورواه عبد الرزاق في المصنف بسند صحيح عن سعد بن أَبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ ولفظه: أَن رسول الله ـ ﷺ ـ لما خرج إلى تَبُوك استخلف على المدينة عليَّ بن أَبي طالب، وذكر الحديث.

وأَمر رسول الله ـ ﷺ ـ كلَّ بطن من الأَنصار والقبائل من العرب أَن يتخذوا لواءً وراية، وأَمر رسول الله ـ ﷺ ـ جيشه من الاستكثار من النعال، وقال «إن الرجل لا يزال راكباً ما دام مُنْتَعِلاً»(١) وأَمر أَبا بكر ـ رضي الله عنه ـ أَن يصلي بمن تقدمه ـ ﷺ ـ.

ذكر خروج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأين عسكر؟ وخروج عبد الله بن أبي معه مكراً ومكيدة، ورجوعه أخزاه الله تعالى

قالوا: خرج رسولُ الله ـ ﷺ ـ في رجب سنة تسع فعسكر ـ ﷺ ـ في ثَنِية الوَداع ومعه زيادة على ثلاثين أَلفاً، قال ابن إسحاق، ومحمد بن عمر، وابن سعد، ورواه محمد بن عمر ونقله ابن الأَمين عن زيد بن ثابت، وروى الحاكم في الإكليل عن معاذ بن جبل قال: خرجنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين أَلفاً، ونقل الحاكم في الإكليل عن أَبي زرعة قال: كانوا بتبوك سبعين أَلفاً، وجمع بين الكلامين بأَن من قال: ثلاثين ألفاً لم يَعُدّ التابع. ومن قال سبعين أَلفاً عدَّ التابع والمتبوع. وكانت الخيل عشرة آلاف فرس، وقيل بزيادة ألفين.

وروى عبد الرزاق وابن سعد عن كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: خرج رسول الله ـ ﷺ ـ إلى تبوك يوم الخميس، وكانت آخر غزوة غزاها، وكان يستحب أَن يخرج يوم الخميس، وعسكرَ عبدُ اللّه بن أُبيّ معه على حِدَة، عسكره أَسفل منه نحو ذُباب، قال ابن إسحاق، ومحمد بن عمر، وابن سعد: وكان فيما يزعمون ليس بأَقل العسكرين. قال ابن حزم: وهذا باطل، لم يتخلف عن رسول الله ـ ﷺ ـ إلا ما بين السبعين إلى الثمانين فقط، فأَقام ابن أُبيّ ما أَقام رسول الله ـ ﷺ ـ فلما سار رسول الله ـ ﷺ ـ نحو تبوك تخلف ابن أُبيّ راجعاً إلى المدينة فيمن تخلف من المنافقين، وقال: يغزو محمد بن الأَصفر مع جهد الحال والحرّ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب اللباس (٦٦).

والبلد البعيد إلى ما لا طاقة له به، يحسب محمدٌ أَن قتال بني الأَصفر معه اللعب، والله لكأَني أَنظر إلى أُصحابه مقرنين في الحبال؛ إِرْجَافاً برسول الله - ﷺ - وبأَصحابه.

قال عبد اللّه بن محمد بن عقيل بن أَبي طالب: خرج المسلمون في غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير واحد. رواه البيهقي، وخرج مع رسول الله - ﷺ - ناس من المنافقين لم يخرجوا إلا رجاءَ الغنيمة.

ولما رحل رسول الله - ﷺ - من ثنية الوداع عقد الأَلوية والرايات، فدفع لواءَه الأَعظم إلى أَبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ورايته العظمى إلى الزُّبَيْر بن العوام، ودفع راية الأَوس إلى أُسَيْد بن الحُضَيْر، وراية الخزرج إلى أَبي دُجَانة، ويقال إلى الحُباب بن المنذر، وأَمر كل بطن من الأَنصار أَن يتخذ لواءً، ورأَى رسول الله - ﷺ - برأْس الثنية عبداً متسلحاً، فقال العبدُ: أُقاتل معك يا رسول الله فقال رسول الله - ﷺ - «ارجع إلى سيلك لا تُقْتَلْ معي فتدخل النار»، ونادى منادي رسول الله - ﷺ - لا يخرج معنا إلا مُقْوٍ فخرج رجل على بَكْرٍ صَعْبٍ فَصَرَعه بالسُّوَيْدَاء، فقال الناس: الشهيد الشهيد فبعث رسولُ الله - ﷺ - منادياً: لا يدخل الجنة عاصٍ.

وكان دليله - ﷺ - إلى تَبُوك علقمة بن الفَغْوَاء الخزاعي - رضي الله عنه -.

ذكر تخلف أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - لما عجز بعيره، وما وقع في ذلك من الآيات

وروى ابن إسحاق عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: لما سار رسول الله - ﷺ - إلى تبوك جعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلَّف فلان، فيقول «دعوه فإن يك فيه خيرٌ فَسيُلْحِقُهُ الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أَراحكم الله تعالى منه» حتى قيل: يا رسول الله، تخلف أَبو ذَرٌّ وأَبطأَ به بعيره، فقال رسول الله - ﷺ -: «فإن يك فيه خَيرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللّه بكم، وإن يك غير ذلك فقد أَراحكم الله تعالى منه»(١) وتلَوّمَ أَبو ذر على بعيره، فلما أَبطأَ عليه أَخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع رسول الله - ﷺ - ماشياً، قال محمد بن عمر: قالوا: وكان أَبو ذَرّ الغفاري يقول: أَبْطَأْتُ على رسول الله - ﷺ - في غزوة تَبُوك من أَجل بعيري.

وكان نِضْواً أَعجف، فقلت أَعلفه أَيّاماً ثم أَلحق برسول الله - ﷺ - فعلفته أياماً، ثم

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٥/٢٢١.

خرجت فلما كنت بذي المروة أذمّ بي فَتَلَوّمتُ عليه يوماً فلم أر به حركة، فأخذت متاعي فحملته. قال ابن مسعود: وأدرك رسول الله - ﷺ - في بعض منازله، قال محمد بن عمر: قال أبو ذَر: فطلعت على رسول الله - ﷺ - نصف النهار وقد أخذ مِنّي العطش، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده، فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ أَبَا ذَرٍّ» فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذرّ، فقال رسول الله ﷺ: «رحم اللهُ أَبا ذرٍّ، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده» فكان كذلك كما سيأتي في المعجزات في أبواب إخباره - ﷺ - بأحوال رجال، فلما قدم أبو ذرّ على رسول الله - ﷺ - أخبره خَبَرَه، فقال «قد غفر الله لك يا أَبا ذَرّ بكل خطوة ذنباً إلى أن بلغتني»(١) ووضع متاعه عن ظهره، ثم استقى فأُتي بإناءٍ من ماءٍ فشربه.

قصة أبي خيثمة - رضي الله عنه -

روى الطبراني عن أَبي خيثمة - رضي الله عنه - وابن إسحاق، ومحمد بن عمر عن شيوخهما قالوا: لمَّا سار رسول الله - ﷺ - أيّاماً دخل أَبو خيثمة على أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه، وقد رشت كل منهما عريشها وبَرّدَت له فيه ماء، وهيأت له فيه طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال: سبحان الله! رسول الله - ﷺ - قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الضِّحّ والريح والحر يحمل سلاحه على عنقه وأَبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ، وامرأة حسنة، في ماله مقيم؟!! ما هذا بالنَّصَف! ثم قال: والله لا أَدْخلُ عريشَ واحدةٍ منكما حتى ألحق برسول الله - ﷺ - فَهَيِّئا لي زاداً، فَفَعَلَتَا، ثم قَدَّم نَاضِحه فَارْتحَلَه، ثم خرج في طلب رسول الله - ﷺ - حتى أدركه حين نزل تَبُوك، وقد كان أَدرك أَبا خيثمة عُمَيْرُ بن وهب الجُمَحي في الطَّريق يَطْلُبُ رسولَ الله - ﷺ - فَتَرَافَقَا حتَّى إذا دَنَوا من تَبُوكَ قال أَبو خَيْثَمَة لعُمَيْر بن وَهْب: إنَّ لي ذنباً فلا عليك أَن تَخَلَّفَ عني حتى آتي رسول الله - ﷺ - ففعل، حتى إذا دنا من رسول الله - ﷺ - قال الناسُ: هذا راكب على الطريق مقبِل، فقال رسول الله - ﷺ - «كُنْ أَبَا خَيْثَمة» فقال رجلٌ: هو والله يا رسول الله أَبو خَيْثمة، فقال رسول الله - ﷺ -: «أَوْلى لَكَ يا أَبا خَيْثَمَة» ثم أَخبر رسول الله - ﷺ - الخبر، فقال له رسول الله - ﷺ -: خيراً، ودعا له بخير، قال ابن هشام: وقال أَبو خيثمة في ذلك:

لَـمَّـا رَأَيْـتُ النَّاسَ فـي الـدِّينِ نَـافَقُـوا ... أَتَـيْـتُ الَّـتِـي كَـانَـتْ أَعَـفَّ وَأَكْـرَمَـا

---

(١) أخرجه مسلم في التوبة باب ٩ (٥٣) والطبراني في الكبير ٣٨/٦، ٤٣/١٩، ٨٥ والبيهقي في الدلائل ٢٢٣/٥، ٢٢٦، وانظر البداية لابن كثير ٨/٥ والطبري ٤٣/١١.

وَبَايَعْتُ بِالْيُمْنَى يَدِي لِمُحَمَّدٍ فَلَمْ أَكْتَسِبْ إِثْماً وَلَمْ أَغْشَ مَحْرَمَا
تَرَكْتُ خَضِيباً في العَرِيشِ وَصِرْمَةً صَفَايَا كِرَاماً بُسْرُهَا قَدْ تَحَمَّمَا
وَكُنْتُ إِذَا شَكَّ الْمُنَافِقُ أَسْمَحَتْ إِلَى الدِينِ نَفْسِي شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَّمَا

ذكر إخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما قاله جماعة من المنافقين الذين خرجوا معه

قال محمد بن إسحاق، ومحمد بن عمر ـ رحمهم الله تعالى ـ كان رهط من المنافقين يسيرون مع رسول الله ـ ﷺ ـ لم يخرجوا إلا رجاءَ الغنيمة منهم: وَدِيعَة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف.

والجُلاَس بن سويد بن الصامت.

ومُخَشِّنُ بالنون ـ قال أبو عمرو وابن هشام مَخْشِي بالتحتية ـ ابن حُمَيِّر من أَشجع، حليف لبني سلمة، زاد محمد بن عمر: وثعلبة بن حاطب.

فقال بعضهم لبعض، عند محمد بن عمر: فقال ثعلبة بن حاطب: أتحسبون جلاد بني الأَصفر كجلاد العرب بعضهم بعضاً، لكأَني بكم غدا مقرنين في الحبال؛ إرْجافاً برسول الله ـ ﷺ ـ وإرهاباً للمؤمنين.

وقال الجُلاَس بن عمرو، وكان زوج أم عُمَيْر، وكان ابنها عُمَيْرٌ يتيماً في حِجْره: والله لئن كان محمد صادقاً لنحن شَرٌّ من الحمير، فقال عُمَيْر: فأَنت شرٌّ من الحمير، ورسول الله ـ ﷺ ـ صادق وأَنت الكاذب، فقال مُخَشِّنُ بن حُمَيِّر: والله لَوَدِدْتُ أن أُقَاضيَ على أَن يُضْرَب كُلُّ رجل مِنّا مائة جلدة، وإننا نَنْفَلِت أَن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه!!.

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لعمّار بن ياسر ـ: «أَدرك القوم فإنهم قد آحترقوا، فاسأَلهم عما قالوا، فإن أَنكروا فقل بَلى قلتم كذا وكذا»(١) فانطلق عَمّار إليهم فقال لهم ذلك، فأَتوا رسول الله ـ ﷺ ـ يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت ورسول الله ـ ﷺ ـ على ناقته وقد أخذ وديعة بن ثابت بِحَقَبِهَا ورجلاه تسفيان الحجارة وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فأَنزل الله تعالى: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ، لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾** [التوبة ٦٥، ٦٦] وحلف الجُلاَس ما قال من ذلك شيئاً، فأَنزل الله سبحانه وتعالى: **﴿يَحْلِفُون بِاللَّهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَم يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ الله وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾** [التوبة ٧٤].

---

(١) انظر المغازي للواقدي ١٠٠٣/٣، والدر المنثور للسيوطي ٢٥٤/٣.

وقال مُخَشّنٌ: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي، فسمَّاه رسول الله - ﷺ - عبد الرحمن أو عبد الله، وكان الذي عُفِيَ عنه في هذه الآية، وسأل الله تعالى أن يُقْتَل شَهيداً ولا يُعلم بمكانه، فقتل يوم اليمامة، ولم يعرف له أثر.

ذكر نزوله - صلى الله عليه وسلم - بذي المروة، وما وقع في ذلك من الآيات

روى الطبراني عن عبد اللّه بن سلام - رضي الله عنه -: أن رسول الله - ﷺ - لما مرّ بالخليجة في سفره إلى تبوك قال له أصحابه: المبرك يا رسول الله الظل والماء - وكان فيها دَوْمٌ وماء، فقال «إنها أرض زَرْع نَفرٍ»، دعوها فإنها مأمورةٌ - يعني ناقته - فأقبلت حتى بركت تحت الدومة التي كانت في مسجد ذي المروة[١].

ذكر مروره - صلى الله عليه وسلم - بوادي القرى

قال أبو حميد الساعدي - رضي الله عنه - خرجنا مع رسول الله - ﷺ - عام تبوك حتى جئنا وادي القُرَى، فإذا امرأة في حديقة لها، فقال رسول - ﷺ - لأصحابه «آخْرُصُوا» فَخَرَصَ القَوْمُ وخَرَص رسول الله - ﷺ - عشرة أَوْسُق، وقال رسول الله - ﷺ - للمرأة «احفظي ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاءَ الله تعالى» ولما أقبل رسول الله - ﷺ - من غزوة تبوك إلى وادي القُرَى قال للمرأة «كم جاءَت حديقتك؟» قالت: عشرة أَوْسُق خَرْصَ رسول الله - ﷺ -[٢] رواه ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، ومسلم.

قال محمد بن عمر: ولما نزل رسول الله - ﷺ - وادي القرى أهدى له بنو عَريض اليهودي هَرِيسةً فأكلها وأطعمهم أربعين وَسْقاً، فهي جارية عليهم إلى يوم القيامة قال محمد بن عمر: فهي جارية عليهم إلى الساعة.

ذكر نزوله - صلى الله عليه وسلم - بالحجر، وما وقع في ذلك من الآيات

روى الإمام مالك، وأحمد، والشيخان عن عبد اللّه بن عمر، والإمام أحمد عن جابر بن عبد اللّه، الإمام أحمد بسند حسن عن أبي كبشة الأنماري، وابن إسحاق عن رواية ابن يونس عن الزهري، والإمام أحمد عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنهم: أن رسول الله - ﷺ - لما مرّ بالحِجْر تقنع بردائه وهو على الرحل، فاتضع راحلته حتى خَلّف أبيات ثمود، ولما نزل هناك سارع النّاسُ إلى أهل الحِجْر يدخلون عليهم، واستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا ونصبوا القُدُور باللحم، فبلغ ذلك رسول الله - ﷺ - فنودي في الناس: الصلاة جامعة، فلما اجتمعوا قال رسول الله - ﷺ - «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٩٦/٦، وقال فيه راو لم يسم.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٥٤٠/١٤، ومسلم ١٧٨٥/٤ (١١)، وأحمد ٤٢٤/٥ والبيهقي ٢٢/٤ وفي الدلائل ٢٣٩/٤.

تكونوا باكين أَن يصيبكم ما أَصابهم، ولا تشربوا من مائها ولا تتوضئوا منه للصلاة، واعلفوا العجين الإِبل» ثم ارتحل بهم حتى نزل على العين التي كانت تشرب منها الناقة، وقال: «لا تسألوا الآيات. فقد سألها قومُ صالح؛ سألوا نبيّهم أَن تُبعث آية، فبعث الله تبارك وتعالى لهم الناقة، فكانت تَرِدُ هذا الفجّ وتصدر من هذا الفج، فَعَتَوْا عن أَمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب مياههم يوماً، ويشربون لبنها يوماً، فعقروها فأَخذتهم صيحة أَهْمَدَ الله تعالى مَنْ تحت أَديم السماءِ منهم إِلا رجلاً واحداً كان في حرم الله تعالى، قيل: مَنْ هُوَ يا رسول الله؟ قال «أبو رِغال» فلما خرج من الحرم أَصابه ما أَصاب قومه، ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم» فناداه رجل منهم: تعجب منهم، فقال رسول الله - ﷺ -: «أَلا أُنبئكم بأَعجب من ذلك؟ رجل من أَنفسكم فينبئكم بما كان قبلكم وما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا؛ فإِن الله تعالى لا يعبأ بعذابكم شيئاً، وسيأتي الله بقوم لا يدفعون عن أَنفسهم بشيء، وإِنها ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقومن أَحد، ومن كان له بعير فليوثق عقاله، ولا يخرجن أَحد منكم إِلا ومعه صاحب له»؛ ففعل الناس ما أَمرهم به رسول الله - ﷺ - إِلا رجلين من بني ساعدة، خرج أَحدهما لحاجته والآخر في طلب بعيره، فأَما الذي خرج لحاجته فإِنه خنق على مذهبه - أَي موضعه - وأَما الذي خرج في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلي طيِء اللذين يقال لأَحدهما أَجا ويقال للآخر سلمى، فأَخبر بذلك رسول الله - ﷺ - فقال: أَلم أَنهكم عن أَن يخرج منكم أَحد إِلا ومعه صاحبه ثم دعا للذي أُصيب على مذهبه فشفي، وأَما الآخر فإِن طيئاً أَهدته لرسول الله - ﷺ - حين رجع إِلى المدينة[1].

ذكر استسقائه - صلى الله عليه وسلم - ربه حين شكوا إليه العطش، وما وقع في ذلك من الآيات

روى البيهقي عن عبد اللّه بن محمد بن عَقِيل بن أَبي طالب رحمه الله تعالى - قال: خرج المسلمون إِلى تبوك في حر شديد فأَصابهم يوم عطش حتى جعلوا ينحرون إِبلهم ليعصروا أَكراشها ويشربوا ماءَها، فكان ذلك عُسْرة في الماء، وعُسْرة في النفقة، وعُسْرة في الظهر[2] وروى الإِمام أحمد وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وابن إِسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال عمر: خرجنا إِلى تبوك في يوم قيظ شديد، فنزلنا منزلاً وأَصابنا فيه عطش حتى ظننا أَن رقابنا ستنقطع حتى أَن كان الرجل يذهب يلتمس

(١) أخرجه البخاري ١٢٥/٨ (٤٤١٩) ومسلم ٢٢٨٦/٤ (٣٨، ٢٩٨٠/٣٩)، وأحمد ٩/٢، ٥٨، ٧٢، ٧٤، ١١٣، ١٣٧، والبيهقي في الدلائل ٢٣٣/٥، وفي السنن ٤٥١/٢ والحميدي (٦٥٣) وعبد الرزاق (١٦٢٥) والطبراني في الكبير ٤٥٧/١٢ وانظر الدر المنثور ١٠٤/٤.

(٢) البيهقي في الدلائل ٢٢٧/٥.

الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع حتى أن كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فَرْثَه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله عزّ وجل قد عوّدك في الدعاء خيراً، فادع الله تعالى لنا، قال «أتحب ذلك؟» قال نعم فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت، فملئوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر(١)، وروى ابن أبي حاتم عن ابن حَزرَة - رحمه الله تعالى - قال: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار في غزوة تبوك.

ونزلوا الحجر فأمرهم رسول الله - ﷺ -: أن لا يحملوا من مائها شيئاً ثم ارتحل، ثم نزل منزلاً آخر وليس معهم ماء، فشكوا ذلك إلى رسول الله - ﷺ - فقام فصلى ركعتين، ثم دعا فأرسل الله سبحانه وتعالى سحابةً فأمطرت عليهم حتى استقوا منها، فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يُتَّهَم بالنفاق: ويحك قد ترى ما دعا رسول الله - ﷺ - فأمطر الله علينا السماءَ، فقال: إنما أمطرنا بنوء كذا وكذا، فأنزل الله تعالى: ﴿وتَجعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة ٨٢] ذكر ابن إسحاق أن هذه القصة كانت بالحِجْر، وروي عن محمود بن لبيد عن رجال من قومه قال: كان رجل من المنافقين معروفٌ نفاقه يسير مع رسول الله - ﷺ - حيثما سار، فلما كان من أمر الحِجْر ما كان، ودعا رسول الله - ﷺ - حين دعا فأرسل الله تعالى السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، قالوا أقبلنا عليه نقول ويحك، هل بعد هذا شيء؟ قال: سحابة مارة(٢).

ذكر إضلال ناقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما وقع في ذلك من الآيات

قال محمد بن إسحاق، ومحمد بن عمر - رحمه الله تعالى: ثم إن رسول الله - ﷺ - سار حتى إذا كان ببعض الطريق متوجهاً إلى تبوك فأصبح في منزل فضَلَّت ناقةُ رسولِ الله - ﷺ - قال محمد بن عمر: هي القصواء - فخرج أصحابه في طلبها وعند رسول الله - ﷺ - عمارة بن حزم، وكان عقبياً بدرياً، قتل يوم اليمامة شهيداً، وكان في رحله زيد بن اللُّصَيْت، أحد بني قينقاع، كان يهودياً فأسلم فنافق وكان فيه خبث اليهود وغشهم، وكان مظاهراً لأهل النفاق، فقال زيد وهو في رحل عُمَارة بن حزم، وعُمارة عند رسول الله - ﷺ -: محمد يزعم أنه نبي وهو يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته!! فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده: «أن منافقاً قال هذا محمد يزعم أنه نبي ويخبركم بأمر السماء ولا يدري أين ناقته، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله تعالى، وقد دلني الله عز وجل عليها، وهي في

(١) أخرجه البيهقي ٣٥٧/٩ والدلائل ٢٣١/٥ وابن خزيمة (١٠١) وابن حبان ذكره الهيثمي في الموارد (١٧٠٧) وانظر المجمع ١٩٥/٦.

(٢) المغازي (١٠٠٩/٣).

الوادي في شعب كذا وكذا - لشعب أشار لهم إليه حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها» فذهبوا فجاءوا بها. قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - الذي جاء بها الحارث بن خزيمة الأشهلي، فرجع عمارة إلى رحله فقال: والله، العجب لشيء حدثناه رسول الله - ﷺ - آنفاً عن مقالة قائل أخبرها الله تعالى عنه، قال كذا وكذا للذي قال زيد، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة - قال محمد بن عمر: وهو عمرو بن حزم أخو عمارة - ولم يحضر رسول الله - ﷺ - زيدٌ - والله - قائل هذه المقالة، قبل أنْ تطلع علينا، فأقبل عُمارة على زيد يجأ في عنقه، ويقول: يا عباد الله، إن في رحلي لَدَاهِيَةٌ وما أشعر، أخرج يا عدو الله من رحلي فلا تصحبني. قال ابن إسحاق: زعم بعض الناس أن زيداً تاب بعد ذلك، وقال بعض الناس: لم يزل متهماً بشرٍّ حتى هلك.

ذكر اقتدائه - صلى الله عليه وسلم - بعبد الرحمن بن عوف في صلاة الصبح

روى ابن سعد بسند صحيح عن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - قال: كنا فيما بين الحِجْر وتبوك ذهب رسول الله - ﷺ - لحاجته وكان إذا ذهب أبعد، وتبعته بماء بعد الفجر وفي رواية قبل الفجر فأسفر الناس بصلاتهم، وهي صلاة الفجر حتى خافوا الشمس، فقدموا عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - فصلى بهم فحملت مع رسول الله - ﷺ - أداوة فيها ماء، وعليه جبة رومية من صوف، فلما فرغ صببت عليه فغسل وجهه، ثم أراد أن يغسل ذراعيه فضاق كم الجبة فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلهما، فأهويت لأنزع خفيه، فقال: «دعهما فإنني أدخلتهما طاهرتين» فمسح عليهما، فانتهينا إلى عبد الرحمن بن عوف، وقد ركع ركعة، فسبّح الناس لعبد الرحمن بن عوف حين رأوا رسول الله - ﷺ - حتى كادوا يُفْتَنُون، فجعل عبد الرحمن يريد أن ينكص وراءه، فأشار إليه رسول الله - ﷺ - أن أثبتْ، فصلى رسول الله - ﷺ - خلف عبد الرحمن بن عوف ركعة، فلما سلم عبد الرحمن تواثب الناس، وقام رسول الله - ﷺ - يقضي الركعة الباقية ثم سلم بعد فراغه منها، ثم قال: «أحسنتم، أو - قد أصبتم - فغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها - إنه لم يُتَوَفَّ نبيٌّ حتى يؤمَّه رجل صالح من أمته» ورواه مسلم بنحوه(١).

ذكر حكومته - صلى الله عليه وسلم - في رجل عض آخر فانتزع ثنيته

عن يَعْلي بن أُميّة - رضي الله عنه - أُتِيَ رسول الله - ﷺ - بأجير له قد نازَعَ رجلاً من العسكر فعضه ذلك الرجل فانتزع الأجير يده من فم العاضّ فانتزع ثنيته. فلزمه العاضُّ فبلغ به رسول الله - ﷺ - وقمت مع أجيري لأنظر ما يصنع، فأتى بهما رسول الله - ﷺ - فقال

(١) المغازي للواقدي ٣/١٠١٢.

«أيعمد أَحدكم فَيَعَضُّ أَخاه كما يَعَضُّ الفحل» فأَبطل رسول الله ـ ﷺ ـ ما أَصاب من ثنيته، وقال «أَفَيَدَعُ يَدَه في فيك تقضمها كأَنها في فم فحل يقضمها؟»(١) رواه البخاري وغيره.

ذكر إردافه ـ صلى الله عليه وسلم ـ سهيل بن بيضاء

عن سهيل بن بيضاء ـ رضي الله عنه ـ أَن رسول الله ـ ﷺ ـ أَردفه على رَحْله في غزوة تبوك، قال سهيل ورفع رسول الله ـ ﷺ ـ صوته «يا سهيل» كل ذلك يقول سهيل: يا لبيك يا رسول الله ـ ثلاث مرات ـ حتى عرف الناس أَن رسول الله ـ ﷺ ـ يريدهم فانثنى عليه مَن أَمامه ولحقه مَنْ خَلْفَه مِنَ الناس، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من شهد أَن لا إِله إِلا الله وحده لا شريك له حرّمه الله على النار»(٢) رواه الإِمام أَحمد والطبراني ومحمد بن عمر.

ما ذكر أن حية عظيمة عارضت الناس في مسيرهم إن صح الخبر

ذكر محمد بن عمر، وأَقرّه أَبو نعيم في الدلائل، وابن كثير في البداية، وشيخنا في الخصائص الكبرى قال: عارض الناس في مسيرهم حَيّةٌ ـ ذُكِر مِنْ عظمها وخَلْقِها فانصاع الناس عنها، فأَقبلت حتى واقفت رسول الله ـ ﷺ ـ وهو على راحلته طويلاً والناس ينظرون إِليها، ثم التوت حتى اعتذلت الطريق، فقامت قائمة فأَقبل الناس حتى لحقوا برسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: «هل تَدْرُون مَنْ هذا؟» قالوا: الله ورسوله أَعلم. قال هذا أَحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا إِلي يستمِعون القرآن، فرأَى عليه من الحق ـ حين أَلَمّ به رسول الله ـ ـ ﷺ ـ أَن يسلم عليه، وها هو يقرئكم السلام، فَسَلِّمُوا عليه فقال الناس جميعاً: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته(٣).

ذكر نزوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتبوك وما وقع في ذلك من الآيات

روى الإِمام مالك، وابن إِسحاق، ومسلم عن مُعَاذ بن جبل والإِمام أَحمد برجال الصحيح عن حذيفة ـ رضي الله عنهما ـ قال معاذ: إِنه خرج مع رسول الله ـ ﷺ ـ عام تبوك قال: فكان يجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء، قال: فأَخر الصلاة يوماً ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً، ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاءَ جميعاً، ثم قال: «إِنكم ستأتون غداً إِن شاءَ الله تعالى ـ عين تَبُوك، وإِنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءَها فلا يمسّ من مائها شيئاً حتى آتي» وفي حديث حذيفة «بلغ رسول الله ـ ﷺ ـ أَنَّ في الماء قِلّة، فأَمر منادياً ينادي في الناس أَن لا يسبقني إِلى الماء أَحد»، قال فجئناها وقد سبق إِليها رجلان

(١) أَخرجه البخاري (٤٤١٧).
(٢) أَخرجه احمد ٣١٨/٥، ٢٣٦، ٣١٨، وآبن حبان ذكره الهيثمي في الموارد، وانظر المجمع ٢٥٢/٦.
(٣) المغازي للواقدي ١٠١٥/٣.

والعين مثل الشراك تَبِضّ بشيء من مائها، فسألهما رسول الله - ﷺ - «هل مَسَسْتُمَا من مائها شيئاً» قالا: نعم. فسبّهما وقال لهما «ما شاءَ الله أَن يقول، ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شَنّ، ثم غسل رسول الله - ﷺ - فيه وجهه ويديه ومضمض ثم أَعاده فيها، فجرت العين بماء كثير. ولفظ ابن إِسحاق فانخرق الماء حتى كان يقول من سمعه: إِنّ له حِسًّا كحس الصواعق وذلك الماء فوارة تبوك. انتهى، فاستسقى الناس، ثم قال رسول الله - ﷺ -: «يا معاذ يوشك أَن طالت بك حياة أَن ترى ما ها هنا مُلِيءَ جناناً».

وروى البيهقي وإِبو نعيم عن عروة أَن النبي - ﷺ - حين نزل تبوك - وكان في زمان قلّ ماؤها فيه فاغترف غرفة بيده من ماء فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأَت. فهي كذلك حتى الساعة(١).

وروى الخطيب في كتاب الرواة عن الإِمام مالك عن جابر - رضي الله عنه - قال: انتهى رسول الله - ﷺ - إِلى تبوك وعينها تبضّ بماء يسير مثل الشراك فشكونا العطش، فأَمرهم فجعلوا فيها ما دفعها إِليهم فجاشت بالماء، فقال رسول الله - ﷺ - لِمُعَاذ: «يُوشِكُ يَا مُعَاذ إِنْ طالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَن تَرى مَا هَا هُنَا قَدْ مُلِيءَ جناناً»(٢).

ذكر نومه - صلى الله عليه وسلم - حتى طلعت الشمس قبل وصوله إلى تبوك

روى البيهقي عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: خرجنا مع رسول الله - ﷺ - في غزوة تبوك، فلما كان منها على ليلة استرقد رسول الله - ﷺ - فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رُمْح قال «أَلم أَقُلْ لك يَا بِلالُ اكْلأ لَنا الْفَجْر» فقال يا رسول الله ذهب بي النومُ، وذهب بي مثل الذي ذهب بك، قال: فانتقل رسولُ الله - ﷺ - من منزله غير بعيد، ثم صلى، وسار مسرعاً بقية يومه وليلته فأَصبح بِتَبُوك.

ذكر نزوله - صلى الله عليه وسلم - تبوك واتخاذه مسجداً

قال شيوخ محمد بن عمر: لما انتهى رسول الله - ﷺ - إِلى تبوك وضع حجراً قبلة مسجد تبوك وأَومأَ بيده إِلى الحجر وما يليه ثم صلى بالناس الظهر، ثم أَقبل عليهم فقال: «ما ها هنا شام، وما ها هنا يمن».

---

(١) البيهقي في الدلائل ٥/٢٢٦.

(٢) أخرجه مسلم ٤/ ١٧٨٤- ١٧٨٥ حديث (٧٠٦/١٠) وأحمد ٥/٢٣٨ وابن حبان ذكره الهيثمي في الموارد (٥٤٩)، والبيهقي في الدلائل ٥/٢٣٦ وابن خزيمة (٩٦٨) ومالك في الموطأ ١٤٤، وانظر كنز العمال (٣٥٣٩٨).

وروى الإمام أَحمد: خطب رسول الله ـ ﷺ ـ عام تبوك وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال:

«أَلا أُخبركم بخير الناس وشر الناس، إِن من خير الناس رجلاً يحمل في سبيل الله على ظهر فرسه أَو على ظهر بعيره أَو على قدميه حتى يأْتيه الموت. وإِن من شر الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله لا يرعوي إِلى شيء منه»(١).

وروى البيهقي عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ أَن رسول الله ـ ﷺ ـ لما أَصبح بتبوك حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أَهله، ثم قال: «أَيها الناس أَما بعد فإِن أَصدق الحديث كتاب الله، وأَوثق العُرَى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إِبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأَشرف الحديث ذكر الله، وأَحسن القصص القرآن، هذا وخير الأُمور عوازمها، وشر الأُمور محدثاتها وأَحسن الهدى هدى الأَنبياء، وأَشرف الموت قتل الشهداء، وأَعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأَعمال ما نفع وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قلّ وكفى خير مما كثُر وأَلْهَى، وشرُّ المعذرة حين يَحْضُر الموت، وشر النَّدامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إِلا دُبراً، ومنهم من لا يذكر الله إِلا هُجْراً، ومن أَعظم الخطايا اللسان الكذاب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل، وخير ما وَقرَ في القلوب اليقين، والارتياب من الكفر، والنِّياحة من أَعمال الجاهلية، والغلول من جُثَى جهنم، والسُّكُرْكَة من النار، والشعر من إِبليس، والخمر جماع الإِثم، والنِّساء حِبَالة الشيطان، والشَّباب شُعْبَة من الجنون، وشرّ المكاسب كَسْبُ الرِّبا، وشر المأْكل مال اليتيم، والسعيد من وُعِظَ بغيره، والشقي من شَقي في بَطْن أُمه، وإِنما يصير أحدكم إِلى موضع أَربعة أَذرع، والأَمر إِلى الآخرة، وملاك العمل خواتمه، وشر الرؤيا رؤيا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأَكل لحمه من معصية الله عز وجل، وحرمة ماله كحرمة دَمِه، ومن يَتَأَلَّ على الله يكَذِّبه، ومن يَغْفِرْ يُغْفَرْ له، ومن يَعْفُ يَعْفُ الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأْجره الله، ومن يصبر على الرَّزِيّة يعوضه الله، ومن يبتغ السُّمعة يُسمِّع الله به، ومن يصبر يضعِّف الله له، ومن يعص الله يعذبه الله. اللهم اغفر لي ولأُمتي ـ قالها ثلاثاً ـ استغفر الله لي ولكم»(٢).

وذكر ابن عائذ ـ رحمه الله تعالى ـ أَن رسول الله ـ ﷺ ـ نزل تبوك في زمان قلّ ماؤها

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣٧/٣، ٥٨، ٤١٤، والحاكم ٦٧/٢ والنسائي ١٢/٦.

(٢) البيهقي ٢٤١/٥ قال الحافظ ابن كثير في البداية ١٣/٥، ١٤ هذا حديث غريب، وفيه نكارة، وفي إسناده ضعيف.

فيه، فاغترف رسول الله - ﷺ - غرفة بيده من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت حتى امتلأت، فهي كذلك حتى الساعة.

ذكر من استعمله - صلى الله عليه وسلم - على الحرس بتبوك

قال شيوخ محمد بن عمر: استعمل رسول الله - ﷺ - على حرسه بتبوك من يوم قدم إلى أن رحل منها عَبّاد - بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة - ابن بشر - بكسر الموحدة - رضي الله عنه - فكان عَبّاد يطوف في أَصحابه على العسكر، فغدا على رسول الله - ﷺ - يوماً فقال: يا رسول الله، ما زلنا نسمع صوت تكبيرٍ من ورائنا حتى أَصبحنا، فولَّيْتَ أَحَدَنا يطوف على الحرس، قال رسول الله - ﷺ - «ما فَعَلتُ، ولكن عسى أَن يكون بعض المسلمين انتدب» فقال سِلْكَان - بكسر السين المهملة وسكون اللام - ابن سلامة: يا رسول الله، خرجتُ في عشرة من المسلمين على خيلنا فكنا نحرس الحرس فقال رسول الله - ﷺ - «رحم الله حرس الحرس في سبيل الله، ولكم قيراط من الأَجر على كل من حرستم من الناس جميعاً أَو دابة».

ذكر أكله - صلى الله عليه وسلم - من جبن أهداه له أهل الكتاب بتبوك

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: أُتيَ رسول الله - ﷺ - بجبنة في تبوك فدعا بالسكين فسمّى وقطع(١)، رواه أَبو داود.

ذكر دعائه - صلى الله عليه وسلم - على غلام مر بينه وبين القبلة وهو في الصلاة

روى الإِمام أَحمد، وأَبو داود عن يزيد بن نِمْرَان - بكسر النون وسكون الميم - قال: رأَيت رجلاً بتبوك مقعداً، فقال: مررت بين يدي رسول الله - ﷺ - وأَنا على حمار، وهو يصلي - فقال «اللهم اقطع أَثره» فما مشيت عليها بعدها. وروى أَيضاً عن سعيد بن غزوان - بفتح المعجمة وسكون الزاي - عن أَبيه أَنه نزل بتبوك وهو حاج فإِذا رجل مقعد قال: سأُحدثك حديثاً فلا تحدث به ما سمعت أَنّي حي، إِن رسول الله - ﷺ - نزل بتبوك إِلى نخلة فقال: «هذه قبلتنا»، ثم صلى إِليها، فأَقبلت وأَنا غلام أَسعى حتى مررت بينه وبينها، فقال: «قطع صلاتنا قطع الله أَثره» فما قمت عليها إِلى يومي هذا(٢).

---

(١) الطبراني في الكبير ١١/٣٠٣.

(٢) أخرجه أبو داود (٧٠١) و(٧٠٥)، وأحمد ٤/٦٤، والبيهقي في السنن ٢/٢٧٥، والدلائل ٥/٢٣٤ والبداية ٥/١٤، والبخاري في التاريخ ٨/٣٦٦.

ذكر الآية في التمر والأقط الذي جاء بهما بلال بتبوك

روى محمد بن عمر(١) عن شيوخه قالوا: قال رجل من بني سعد هُذَيْم: جئت رسول الله - ﷺ - وهو جالس بتبُوك في نفرٍ فقال «يا بلال أَطعمنا». فبسط بلالٌ نِطْعاً ثم جعل يخرج من حميت له فأَخرج خرجات بيده من تمر معجون بسمن وأَقط، فقال رسول الله - ﷺ -: «كلوا» فأَكلنا حتى شبعنا، فقلت: يا رسول الله، إِن كنتُ لآكل هذا وحدي، فقال رسول الله - ﷺ - «الكافر يأكل في سبعة أَمعاء والمؤمن يأَكل في معاء واحد»، ثم جئت في الغد متحيناً لغدائه لأَزداد في الإِسلام يقيناً، فإِذا عشرة نفرٍ حوله فقال: «هات أَطعمنا يا بلال»فجعل يُخْرِج مِن جراب تمراً بكفه قبضةً قبضة فقال: «أَخْرج ولا تَخْش من ذي العرش إِقلالاً» فجاءَ بالجراب ونشره. فقال: فحزرته مُدَّيْنِ، فوضع رسول الله - ﷺ - يده على التَّمْر وقال: «كلوا باسم الله»فأَكل القوم وأَكلت معهم، وأَكلت حتى ما أَجد له مسلكاً. قال: وبقي على النطع مثل الذي جاءَ به بلال كأَنا لم نأَكل منه تمرة واحدة. قال: ثم غَدَوْتُ من الغد وعاد نَفَرٌ فكانوا عشرة أَو يزيدون رَجُلاً أَوْ رَجُلين. فقال رسول الله - ﷺ - «يا بلال أَطعمنا» فجاءَ بلال بذلك الجراب بعينه؛ أَعرفه، فنثره، ووضع رسولُ الله - ﷺ - يده عليه وقال: «**كلوا باسم الله**» **فأَكلنا** حتى نهلنا ثم رجع مثل الذي صُبّ ففعل ذلك ثلاثة أَيام.

قصة أُخرى: روى محمد بن عمر، وأَبو نعيم، وابن عساكر عن عِرْبَاض بن سَارِية - رضي الله عنه - قال: كنت أَلزم بَابَ رسول الله - ﷺ - في الحضر والسفر، فرأَيتنا ليلة ونحن بتبوك وذهبنا لحاجة فرجعنا إِلى منزل رسول الله - ﷺ - وقد تعشى ومن مَعَه من أَضيافه، ورسولُ الله - ﷺ - يريد أَن يدخل قبته - ومعه زوجته أُم سلمة - فلما طلعتُ عليه قال: أَين كنت منذ الليلة؟ فأَخبرته، فطلع جِعَال بن سُراقة وعبد الله بن مُغَفَّل المُزنيّ فكُنَّا ثلاثة كلنا جائع إنما نغشى بَاب رسول الله - ﷺ - فدخل رسول الله - ﷺ - البيت فطلب شيئاً نأْكله فلم يجده، فخرج إِلينا فنادى: «يا بلال هل من عشاء لهؤلاءِ النفر» فقال: والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جُرُبَنا وحُمُتنا، قال: «انظر عسى أَن تجد شيئاً»، فأَخذ الْجُرُبَ ينفضها جِرَاباً جِرَاباً، فتقع التمرة والتمرتان حتى رأَيت في يده سبع تمرات، ثم دعا بصحفةٍ فوضع التمر فيها، ثم وضع يده على التَّمرات، وسمّى الله - تعالى - فقال: «كُلُوا باسْم الله» فأَكلنا، فحصيت أَربعاً وخمسين تَمْرة، أَعُدُّهَا عَدًّا ونواها في يدي الأُخرى، وصاحباي يَصْنَعَان مثل ما أَصنع، وشبعنا، فأَكل كل واحد منَّا خمسين تمرة، ورفعنا أَيدينا فإِذا التمرات السبع كما هي. فقال: «يَا بِلاَل ارْفَعْهَا فإِنَّه لا يَأْكُلُ منها أَحدٌ إِلاَّ نهل شبعاً» فلما أَصبح رسول الله - ﷺ - صلى صلاة الصبح

(١) المغازي للواقدي ١٠١٧/٣.

ثم انصرف إلى فناء قُبّته فجلس وجلسنا حوله، فقرأ من «المؤمنون» عشراً فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «هَلْ لَكُم فِي الغَدَاءِ؟» قال عِرْبَاض: فجعلت أَقول في نفسي أَي غداء، فدعا بلالاً بالتمرات، فوضع يده عليهن في الصحفة، ثم قال: «كلوا بسم الله فأَكلنا ـ فوالذي بعثه بالحق ـ حتى شبعنا وإنا لعشرة، ثم رفعوا أَيديهم منها شبعاً وإذا التمرات كما هي، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «لولا أَني أَستحي من ربي لأَكلنا من هذا التمر حتى نردَ المدينة عن آخرنا»، وطلع عليهم غلام من أَهل البدو فأَخذ رسول الله ـ ﷺ ـ التّمرات فدفعها إليه فَولى الغلام يلوكهن(١).

ذكر طوافه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الناس بتبوك

قال شيوخ محمد بن عمر: كان رجلٌ من بني عذرة يقال له عَدِي يقول: جئت رسولَ الله ـ ﷺ ـ بتبوك فرأَيته على ناقة حمراء يطوف على الناس، يقول «يا أَيها الناس، يد الله فوق يد المعطي ويد المُعْطِي الوسطى، ويد المُعْطي السُّفْلَى، أَيها الناس فتغنوا ولو بِحَزْمِ الحطب اللهم هل بلغت» ثلاثاً فقلت: يا رسول الله إن امرأَتيّ اقتتلتا، فرميتُ إحداهما فرمِي في رميتي ـ يريد أَنها ماتت ـ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «تعقلها ولا ترثها» فجلس رسول الله ـ ﷺ ـ في موضع مسجده بتَبُوك فنظر نحو اليمين، ورفع يده يشير إلى أَهل اليمن فقال «الإيمان يمانٍ» ونظر نحو الشرق فأَشار بيده إن الجفاءَ وغلظ القلوب في الفدادين أَهلِ الوبر من نحو المشرق حيث يُطْلِع الشيطانُ قرنيه(٢).

ذكر إخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بموت عظيم من المنافقين لما هبت ريح شديدة

قال محمد بن عمر رحمه الله تعالى: وهاجت ريح شديدة بتبوك فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «هذا لموت منافق عظيم النفاق»(٣) فقدموا المدينة فوجدوا منافقاً عظيم النفاق قد مات.

وروى محمد بن عمر عن شيوخه، قالوا: «قدم على رسول الله ـ ﷺ ـ نفرٌ من سعد هُذَيم فقالوا: يا رسول الله، إنا قدِمنا إليك وتركنا أَهلنا على بئر لنا قليل ماؤها، وهذا القيظ، ونحن نخاف إن تفرقنا أَن نُقْتَطع؛ لأَن الإسلام لم يَفْشُ حولنا بعْدُ، فَادع الله تعالى لنا في مائها؛ فإنا إنْ رَوينا به فلا قوم أَعز منّا لا يَعْبُر بنا أَحد مخالف لديننا. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ إبغُوا لي

---

(١) المغازي للواقدي ١٠١٧/٣.
(٢) المغازي ١٠١٧/٣.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣٤١/٣.

حصيات فتناول بعضهم ثلاث حصيات فدفعهن إلى رسول الله - ﷺ - ففركهن بيده ثم قال: «اذهبوا بهذه الحصيات إلى بئركم فاطرحوها واحدة واحدةً وسموا الله تعالى»[١] فانصرف القوم من عند رسول الله - ﷺ - ففعلوا ذلك، فجاشت بئرهم بالرواءِ، ونَفَوْا مَن قاربهم من أَهل الشرك ووطِئوهم فما انصرف رسول الله - ﷺ - إلى المدينة حتى أوطئوا من حولهم غلبة ودانوا عليه بالإِسلام.

ذكر قوله - صلى الله عليه وسلم - بتبوك أُعطيت خمساً ما أعطيهن أحد قبلي

روى محمد بن عمر عن عبد اللّه بن عمر - رضي الله عنهما - قال: كنا مع رسول الله - ﷺ - بتَبُوك، فقام من الليل يصلي، وهو كثير التهجد من الليل ولا يقوم إِلا استاك - فقام ليلةً فلما فرغ أَقبل على من كان عنده فقال: «أُعطيت الليلة خمساً ما أُعْطِيهُنَّ أَحَدٌ قبلي: بُعِثْتُ إِلى الناسِ كافة - وكان النبيُّ يُبْعثُ إِلى قومِهِ - وجُعِلَت لِيَ الأَرضُ مَسْجداً وطَهُوراً، أَينما أَدركتني الصلاة تيمَّمْتُ وصلَّيْتُ، وكان من قبلي لم يُعْطوا ذلك، وكانوا لا يصلُّون إِلا في الكنائس والبيَع وأُحِلَّت لِيَ الغنائِم آكلها، وكان من قبلي يحرمونها، والخامسة هي ما هي، هي ما هي، هي ما هي،» ثلاثاً - قالوا: يا رسول الله، وما هي؟ قال: «قيل لي سَلْ فكُلُّ نبي قد سأل، فهي لكم ولمن شهد أَنْ لا إِله إِلا الله»[٢].

ذكر صلاته - صلى الله عليه وسلم - على معاوية بن معاوية المزني في اليوم الذي مات فيه بالمدينة

روى الطبراني - في الكبير والأَوسط - من طريق نوح بن عمر الطبراني في الكبير - من طريق صدقة بن أَبي سهيل عن معاوية بن أَبي سفيان، وابن سعد والبيهقي من طريق العلاء أَبو محمد الثقفي، وابن سعد وابن أَبي يعلي والبيهقي عن طريق عطاء بن أَبي ميمونة كلاهما عن أَنس - رضي الله عنهم - قالوا كنّا مع رسول الله - ﷺ - بتبوك، قال أَنس: فطلعت الشمس بضياءٍ وشعاع ونور لم أَرها طلعت بمثلهم فيما مضى فأَتى جبريل رسول الله - ﷺ - فقال رسول الله - ﷺ -: «يا جبريل مالي أَرى الشمس اليوم طلعت بضياءٍ وشعاع ونور لم أَرها طلعت بمثلهم فيما مضى» قال: «ذلك معاوية بن معاوية المزني مات بالمدينة اليوم، فبعث الله تعالى سبعين أَلف ملك يصلون عليه، فهل لك في الصلاة عليه؟ قال: «نعم»، فخرج رسول الله - ﷺ - يمشي، فقال جبريل بيده هكذا يفرج له عن الجبال والآكام، ومع جبريل سبعون

---

(١) المغازي للواقدي ١٠٣٤/٣.

(٢) المصدر السابق.

أَلف ملك، فصلّى رسول الله - ﷺ - وصفّ الملائكة خلفه صفّين، فلما فرغ رسول الله - ﷺ - قال لجبريل «بِمَ بلغ هذه المنزلة» قال: «بحبه ﴿قل هو الله أَحد﴾ يقرؤها قائماً أَو قاعداً، أَو راكباً أَو ماشياً وعلى كل حال» قال الحافظ في لسان الميزان في ترجمة محبوب بن هلال: هذا الحديث علم من أَعلام النبوة، وله طرق يقوي بعضها ببعض، وقال في فتح الباري، في باب الصفوف على الجنازة: إنه خبر قوي بالنظر إلى مجموع طرقه، وقال في اللسان في ترجمة نوح بن عمر طريقة أَقوى طرق الحديث - انتهى. وأَورد الحديث النووي في الأَذكار في باب «الذكر في الطريق» فعلم من ذلك ردّ قول من يقول: إن الحديث موضوع لا أَصل له(١).

ذكر ارساله - صلى الله عليه وسلم - دحية إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام وقدوم [رسول] هرقل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما وقع في ذلك من الآيات

لمّا وصل رسول الله - ﷺ - تبوك كان هرقل بحمص، ولم يكن يهم بالذي بلغ رسول الله - ﷺ - عنه من جمعه، ولا حدثته نفسه بذلك.

وروى الحارث بن أبي أُسامة عن بكر بن عبد اللّه المزني - رحمه الله تعالى - قال: قال رسول الله - ﷺ - «من يذهب بهذا الكتاب إلى قيصر وله الجنة»؟ فقال رجل: وإن لم يقبل؟ قال: «وإن لم يقبل» فانطلق الرجل فأَتاه بالكتاب، فقرأَه فقال: اذهب إلى نبيكم فأَخبره أَني متّبعُه، ولكن لا أُريد أَن أَدع ملكي، وبعث معه بدنانير إلى رسول الله - ﷺ - فرجع فأَخبره، فقال رسول الله - ﷺ - «كذب» وقسم الدنانير(٢).

وروى الإمام أَحمد. وأَبو يعلى بسند حسن لا بأْس به عن سعيد بن أَبي راشد قال: لقيت التّنوخي رسول هِرَقْل إلى رسول الله - ﷺ - بحمص، وكان جاراً لي شَيْخاً كبيراً قد بلغ المائة أَو قَرُبَ، فقلت: أَلا تحدثني عن رسالة رسول الله - ﷺ - إلى هِرَقْل؟ فقال: بلى، قدم رسولُ الله - ﷺ - تَبُوكَ، فبعث دَحْيَة الكلبي إلى هِرَقل، فلما أَن جاءَ كتاب رسول الله - ﷺ - دعا قِسِّيسِي الروم وبَطَارِقتها، ثم أَغلق عليه وعليهم الدار فقال: قد نزل هذا الرجل حيث رأَيتم، وقد أَرسل يدعوني إلى ثلاث خصال: أَن أَتبعه على دينه، أَو أَن أُعطيه مَالَنَا على أَرضنا والأَرض أَرضنا، أَو نلقي إليه الحرب. والله لقد عرفتم فيما تقرأُون من الكتب ليأْخذن

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٤/٤.

(٢) انظر الطبراني في الكبير ٤٤٢/١٢ والمجمع ٣٠٦/٥.

أرضنا فهلم فلنتبعه على دينه، أَو نعطه مالنا على أَرضنا، فنَخَرُوا نَخْرَة رجلٍ واحد حتى خرجوا من بَرَانِسِهم وقالوا: تدعونا أَن نذر النصرانية أَوْ نكون عبيداً لأَعرابي جاءَ من الحجاز؟ فلما ظن أَنهم إِذا خرجوا من عنده أَفسدوا عليه الروم رَقَّاهم ولم يكد وقال: إِنما قلت ذلك لأَعلم صلابتكم على أَمركم، ثم دعا رجلاً من عرب تُجيب كان على نصارى العرب قال. ادع لي رجلاً حافظاً للحديث عربيّ اللسان أَبعثه إِلى هذا الرجل بجواب كتابه، فجاءَني فدفع إِليَّ هِرَقل كتاباً، فقال: اذهب بكتابي هذا إِلى هذا الرجل، فما سمعته من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصال هل يذكر صحيفته التي كتب بشيء؟ وانظر إِذا قرأَ كتابي هذا هل يذكر الليل؟ وانظر في ظهره هل فيه شيء يَرِيبُك؟ قال: فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوكاً فإِذا هو جالس بين ظهري أَصحابه مُحْتَبِياً على الماءِ، فقلت: أَين صاحبكم؟ قيل ها هو ذا، قال فأَقبلت أَمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي فوضعه في حجره ثم قال: «ممن أَنت؟» فقلت: أَنا أَخو تَنُوخ، فقال: «هل لك في الإِسلام. الحنيفية ملة أَبيك إِبراهيم؟» فقلت: إِني رسول قوم وعلى دين قوم [لا أَرجع عنه] حتى أَرجع إِليهم. فضحك وقال ﴿**إِنك لا تهدي من أَحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أَعلم بالمهتدين**﴾ [القصص ٥٦] يا أَخا تَنُوخ، إِني كتبت بكتاب إِلى كِسْرى فمزقه، واللّهُ مُمَزِّقُه ومُمَزِّقُ ملكه، وكتبت إِلى النجاشي بصحيفة فمزقها، والله مُمَزِّقُه ومُمَزِّقُ ملكه. وكتبت إِلى صاحبك بصحيفة فأَمسكها فلن يزال الناس يجدون منه بأْساً ما دام في العيش خير قلت: هذه إِحدى الثلاث التي أَوصاني بها صاحبي، فأَخذت سهماً من جعبتي فكتبتها في جفن سيفي، ثم ناول الصحيفة رجلاً عن يساره، قلت: من صاحب كتابكم الذي يقرأُ لكم؟ قالوا: معاوية. فإِذا في كتاب صاحبي: تدعوني إِلى جنة عرضها السماوات والأَرض أُعدت للمتقين، فأَين النار؟ فقال رسول الله - ﷺ - «سبحان الله أَين النهار إِذا جاءَ الليل» قال: فأَخذت سهماً من جُعْبتي فكتبته في جفن سيفي، فلم فرغ من قراءَة كتابي قال: «إِن لك حقاً، وإِنك لرسول، فلو وجدتُ عندنا جائزة جوزناك بها، إِنا سَفْرٌ مرملون» قال قتادة فناداه رجل من طائفة الناس قال: أَنا أُجوزه ففتح رحله فإِذا هو بحلة صفورية فوضعها في حجري، قُلت من صاحب الجائزة؟ قيل لي: عثمان، ثم قال رسول الله - ﷺ -: «أَيكم يُنْزِلُ هذا الرجل؟» فقال فتىً من الأَنصار: أَنا، فقام الأَنصاري وقمت معه حتى إِذا خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله - ﷺ - فقال: «تعال يا أَخا تَنُوخ» فأَقبلت أَهوى حتى كنت قائماً في مجلسي الذي كنت بين يديه، فحل حبوته عن ظهره وقال: «ها هنا امضِ لما أُمِرتَ له، فَجُلْتُ في ظهره فإِذا أَنا بخاتم النبوة في موضع غضروف الكتف مثل المحجمة الضخمة»[(١)].

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ١٦/٥ «هذا حديث غريب وإِسناده لا بأس به، تفرد به الإِمام أَحمد».

قال محمد بن عمر: فانصرف الرجل إلى هِرَقل فذكر ذلك له. فدعا قومه إلى التصديق بالنبي - ﷺ - فأبو حتى خافهم على ملكه، وهو في موضعه بحمص لم يتحرك ولم يزحف، وكان الذي خبر النبي - ﷺ - من تعبئة أَصحابه ودنوه إلى وادي الشام لم يرد ذلك ولا همّ به.

وذكر السهيلي رحمه الله تعالى: أَن هرقل أَهدى لرسول الله - ﷺ - هدية - فقبل رسول الله - ﷺ - هديته وفرقها على المسلمين.

ثم إن هرقل أَمر منادياً ينادي: أَلا إن هِرَقْل قد آمن بمحمد واتبعه، فدخلت الأَجناد في سلاحها وطافت بقصره تريد قتله، فأَرسل إليهم: إني أَردت أَن أَختبر صلابتكم في دينكم، فقد رضيت عنكم، فرضوا عنه. ثم كتب إلى رسول الله - ﷺ - كتاباً مع دحية يقول فيه: إني مَعَكم ولكنني مغلوب على أَمري، فلما قرأ رسول الله - ﷺ - كتابه قال: «كذب عدو الله، وليس بمسلم بل هو على نصرانيته».

ذكر صلاته - صلى الله عليه وسلم - على ذي البجادين رضي الله عنه

روى ابن إسحاق، وابن مندة عن ابن مسعود - رضي الله عنه - ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا: كان عبد اللّه ذو البجادين من مُزَيْنة، مات أَبوه وهو صغير فلم يورّثه شيئاً، وكان عمه مَيِّلاً فأَخذه فكفله حتى كان قد أَيْسَرَ، وكانت له إبل وغنم ورقيق، فلما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه من عَمِّه، حتى مضت السنون والمشاهد كلُّها، فانصرف رسول الله - ﷺ - من فتح مكة راجعاً إلى المدينة، فقال عبد اللّه ذو البجادين لعمه: يا عم قد انتظرتُ إسلامك فلا أَراك تريد محمداً، فائذن لي في الإسلام، فقال: والله لئن اتبعتَ محمداً لا تركتُ بيدك شيئاً كنتُ أَعطيتكه إلا انتزعته منك حتى ثوبيك، فقال: وأَنا والله متبعٌ محمداً ومسلمٌ وتاركٌ عبادة الحجر والوثن، وهذا ما بيدي فخذه، فأَخذ كلَّ ما أَعطاه حتى جرّده من إزاره، فجاءَ أُمَّه فقطعت بجاداً لها باثنين فائتزر بواحد وارتدى بالآخر، ثم أَقبل إلى المدينة فاضطجع في المسجد، ثم صلى مع رسول الله - ﷺ - الصبح، وكان رسول الله - ﷺ - يتصفح الناس إذا انصرف من الصبح، فنظر إليه فأَنكره، فقال «من أنت؟» فانتسب له، فقال: «أَنت عبد اللّه ذو البجادين» ثم قال: «أنزل مني قريباً» فكان يكون في أضيافه ويعلمه القرآن، حتى قرأ قرآناً كثيراً، وكان رجلاً صيِّتاً فكان يقوم في المسجد فيرفع صوته في القراءَة، فقال عمر: يا رسول الله أَلا تسمع هذا الأَعرابي يرفع صوته بالقرآن حتى قد منع الناس القراءَة؟ فقال رسول الله - ﷺ - «دعه يا عمر: فإنه قد خرج مهاجراً إلى الله تعالى وإلى رسوله» فلما خرج رسولُ الله - ﷺ - إلى تبوك قال: يا رسول الله. ادع الله تعالى لي بالشهادة، فقال: أَبلغني بلحاءَ سَمُرة فأَبلغه بلحاءَ سمرة، فربطها رسول الله - ﷺ -

على عضده، وقال: «اللهم إني أُحرم دَمَه على الكُفَّار» فقال: يا رسول الله، ليس هذا أَردتُ فقال رسول الله - ﷺ - «إنك إذا خرجتَ غازياً في سبيل الله فأَخذتك الحمى فقتلتك فأَنت شهيد. وإذا وقصتك دابَّتُكَ فأَنت شهيد لا تبالي بأَية كان» فلما نزلوا تبوكَ أَقاموا بها أَياماً، ثم توفي عبدُ اللّه ذو البجادين، فكان بلال بن الحارث المزني يقول: حضرتُ رسول الله - ﷺ - ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفاً بها، وإذا رسول الله - ﷺ - في القبر، وإذا أَبو بكر وعمر يدليانه إلى رسول الله - ﷺ - وهو يقول: «أَدنيا لي أَخاكما» فلما هيأَه لشِقّه في اللحد قال: «اللهم إني قد أَمْسَيْتُ عنه راضياً فارْضَ عنه» فقال ابن مسعود: يا ليتني كنت صَاحِبَ اللحد[1].

وروى الطبراني برجالٍ وُثِّقُوا، وأَبو نُعيم عن محمد بن حمزة بن عمرو الأَسلمي عن أَبيه عن جده - رضي الله عنه - قال: خرج رسول الله - ﷺ - إلى غزوة تبوك، وكنت على خدمته ذلك، فنظرت إلى نِحْي السمن قد قل ما فيه، وهيأْت للنبي - ﷺ - طعاماً فوضعت النحي في الشمس، ونمت فانتبهت بخرير النحي، فقمتُ فأَخذت رأْسه بيدي. فقال رسول الله - ﷺ - ورآني: «لو تركته لسال الوادي سمناً»[2].

ذكر مصالحته - صلى الله عليه وسلم - ملك أيلة وأهل جربا وأذرح وهو مقيم بتبوك قبل رجوعه

لما بعث رسول الله - ﷺ - خالد بن الوليد إلى أَكيدر بدومة - كما سيأْتي بيان ذلك في السرايا - أَشفق ملك أَيلة يُحَنَّة بن رُؤْبَة أَن يبعث إليه رسول الله - ﷺ - كما بعث إلى أُكَيْدَر، فقدم على النبي - ﷺ - وقدم معه أَهل جَرْبَا وأَذْرُح ومقنا وأَهدى لرسول الله - ﷺ - بغلة.

قال أَبو حميد المساعدي - رضي الله عنه - قدم على رسول الله - ﷺ - فأَهدى إلى رسول الله - ﷺ - بغلة بيضاءَ، وكساهُ رسول الله - ﷺ - بُرْداً وكتب له رسول الله - ﷺ - ببحرهم. رواه ابن أَبي شيبة والبخاري.

روى محمد بن عمر عن جابر - رضي الله عنه - قال: رأَيت يُحَنَّة بن رُؤْبَة يوم أُتِي به رسول الله - ﷺ - وعليه صليب من ذهب، وهو معقود الناصية فلما رأَى رسولَ الله - ﷺ - كفَّرَ وأَومأَ برأْسه فأَومأَ إليه رسولُ الله - ﷺ - بيده أَنِ ارْفَع رأْسَكَ، وصالحه يومئذ، وكساه

---

(١) المغازي للواقدي ١٠١٤/٣.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (١٥٥).

بُرداً يمنية فاشتراه بعد ذلك أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار وأمر له بمنزل عند بلال انتهى.

قالوا: وقطع رسول الله - ﷺ - الجزية جزيَة معلومة ثلاثمائة دينار كل سنة، وكانوا ثلاثمائة رجل، وكتب لهم بذلك كتاباً فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب أَمَنةً من الله تعالى ومحمد النبي رسول الله ليُحَنَّة بن رُؤْبَة وأَهل أَيلة لسُفُنهم وسائرهم السارح في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة رسوله - ﷺ - ولمن كان معهم من أَهل الشام، وأَهل اليمن، وأَهل البحر، ومن أَحدث حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيِّبٌ لمن أَخذه من الناس، وإنه لا يَحِلّ أَن يُمْنَعُوا ماءٍ يردُونه ولا طريقاً يردونه من بر أَو بحر. هذا كتاب جُهيْم بن الصَّلْت وشُرَحْبِيل بن حَسَنَة بإذن رسول الله - ﷺ -(١).

وكتب رسول الله - ﷺ - لأَهل أَذْرُح كتاباً قال محمد بن عمر: نسخت كتابهم فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب محمد النبي - ﷺ - لأَهل أَذْرُح وجَرْبا، إنهم آمنون بأَمان الله وأَمان محمد، وأَن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين، ومن لجأَ من المسلمين من المخافة والتعزير إذا خشوا على المسلمين فهم آمنون، حتى يحدث إليهم محمد - ﷺ - قبل خروجه» قالوا: وأَتى أَهل جَرْبَا وأَذْرُح بجزيتهم بتبوك فأَخذها.

وصالح رسول الله - ﷺ - أَهل مَقْنَا على ربع ثمارهم وربع غُزولهم.

وروى ابن أَبي شيبة، والإمام أَحمد، ومسلم عن أَبي حميد الساعدي - رضي الله عنه - قال: جاء ابن العلماء صاحب أَيلة إلى رسول الله - ﷺ - بكتاب وأَهدى له بغلة بيضاءَ، فكتب له رسول الله - ﷺ - وأَهدى له بُرداً(٢).

ذكر مشاورته - صلى الله عليه وسلم - أصحابه في مجاوزة تبوك إلى نحو دمشق

قال محمد بن عمر - رحمه الله تعالى: شاوَرَ رسول الله - ﷺ - أَصحابه في التقدم، فقال عمر بن الخَطاب: يا رسول الله، إن كنت أُمِرت بالمسير فسِرْ، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «لو أُمِرْتُ بالمسير لما آستشرتكم فيه» فقال: يا رسول الله إن للروم جموعاً كثيرة، وليس بها

(١) المغازي للواقدي ١٠٣٢/٣.

(٢) أخرجه مسلم ١٠١١/٣ (١٣٩٢/٥٠٣).

أَحد من أَهل الإِسلام، وقد دَنَوْنَا منهم، وقد أَفزعهم دنُوُّك، فلو رجعنا هذه النسنة حتى ترى أَو يحدث الله لك أَمراً.

وروى البيهقي وغيره بسند جيد عن عبد الرحمن بن غنم: أَن اليهود أَتوا رسول الله - ﷺ - يوماً فقالوا: يا أَبا القاسم، إِن كنت صادقاً أَنك نبيٌ فالحَقْ بالشام؛ فإِن الشام أَرض المحشر وأَرض الأَنبياءِ، فصدَّق ما قالوا، فغزا غزوة تبُوك لا يريد إِلا الشام، فلما بلغ تبوك أَنزل الله تعالى آيات من سورة بني إِسرائيل بعدما ختمت السورة ﴿**وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَ يَلْبَثُونَ خِلاَفَكَ إِلاَّ قَلِيلاً سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً**﴾ [الإسراء ٧٦، ٧٧] فأَمره الله تعالى بالرجوع إِلى المدينة وقال: فيها مَحْيَاك ومَمَاتُك ومنها تبعث. فرجع رسولُ الله - ﷺ - فأَمره جبريلُ فقال: آسأَل ربَّك عزَّ وجلَّ؛ فإِن لكل نبيٍّ مسأَلة - وكان جبريل له ناصحاً، وكان رسولُ الله - ﷺ - له مطيعاً، قال: «**فما تأْمرني أَن أَسأَل**» قال: ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً**﴾ [الإسراء ٨٠][(١)] فهؤلاءِ الآيات أُنزلت عليه في مرجعه من تبوك.

وفي هذه الغزوة قال - ﷺ - ما رواه عكرمة عن أَبيه أَو عن عمه عن جده - رضي الله عنه -: أَن رسول الله - ﷺ - قال في غزوة تبوك: «إِذا وَقَعَ الطَّاعُونُ بِأَرْض وَأَنْتُمْ بِهَا فلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا، وَإِذَا كُنْتُم بِغَيْرِهَا فَلا تقدموا عليها»[(٢)] رواه الإمام أَحمد والطبراني من طرق قال في بذل الطاعون يشبه - والله أَعلم - أَن يكون السبب في ذلك أَن الشام كانت قديم الزمان ولم تزل معروفة بكثرة الطواعين، فلما قدم النبي - ﷺ - تبوك غازياً الشام لعله بلغه أَن الطَّاعُونَ في الجهة التي كان يَقْصِدُهَا، فكان ذلك من أَسباب رجوعه من غير قتال - والله أَعلم. انتهى.

قلت: قد ذكر جماعة أَن طاعون شيرويه أَحد ملوك الفرس، كان في أَيام النبي - ﷺ - وأَنه كان بالمدائن.

ذكر إرادة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الانصراف من تبوك إلى المدينة، وما وقع في ذلك من الآيات، وقدر إقامته - صلى الله عليه وسلم - بتبوك

روى مسلم عن أَبي هريرة. وإِسحاق بن راهويه، وأَبو يعلى، وأَبو نعيم، وابن عساكر عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - ومحمد بن عمر عن شيوخه قال شيوخ ابن عمر: ولـمّا

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٥٤/٥.

(٢) أحمد ١٧٥/١، ٤١٦/٣، ٣٧٣/٥، والطبراني في الكبير ٩٠/١ وانظر المجمع ٣١٥/٢ والدولابي في الكنى ١/ ١٠٠، والطحاوي في المعاني ٣٠٦/٤.

أَجمع رسول الله ـ ﷺ ـ السير من تبوك أَرْمَل النَّاسُ إرمَالاً، فشخص على ذلك من الحال. انتهى.

قال أَبو هريرة: فقالوا: يا رسول الله لو أَذنت لنا فننحر نواضحنا فأَكلنا وادَّهنَّا؟ قال شيوخ محمد بن عمر: فلقيهم عمر بن الخطاب وهم على نحرها فأَمرهم أَن يمسكوا عن نحرها، ثم دخل على رسول الله ـ ﷺ ـ في خيمة له ثم اتفقوا فقال يا رسول الله أأَذنت للناس في نحر حَمُولتهم يأْكلونها؟ قال شيوخ محمد: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «شكَوْا إِلَّي ما بلغ منهم الجوع فأَذنت لهم ينحرُ الرُّفْقَةُ البعيرَ والبعيرين ويتعاقبون فيما فضل منهم فإِنهم قافلون إِلى أَهليهم» ـ انتهى. فقال عمر: يا رسول الله لا تفعل، فإِن يك في الناس فضل من الظَّهْر يكن خَيْراً، فالظهر اليوم رقاق انتهى. ولكن يا رسول الله ادع بفضل أَزْوَادِهِمْ، ثم اَجمعها، وآدع الله تعالى فيها بالبركة لَعَلَّ الله تعالى أَن يجعل فيها البركة. زاد شيوخ محمد كما فَعَلْتَ في منصرفنا من الحديبية حين أَرملنا؛ فإن الله تعالى مستجيب لك انتهى؛ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «نعم» فدعا بنطع فَبُسِط ـ قال شيوخ محمد: بالأَنطاع فبسطت ـ ونادى منادي رسول الله ـ ﷺ ـ: من كان عنده فضلٌ من زاد فليأْت به ـ انتهى فجعل الرجل يأْتي بكف ذرة؛ ويجيء الآخر بكفّ تمر؛ ويجيء الآخر بكسرة. وقال شيوخ محمد: وجعل الرجل يأْتي بالدقيق أَو التمر أَو القبضة من الدقيق والسويق والتمر والكسر فيوضع كل صنف من ذلك على حدة وكل ذلك قليل وكان جميع ما جاءوا به من السويق والدقيق والتمر ثلاثة أَفراق حزراً ـ والفرق ثلثة آصع. انتهى قال: فحزأْنا ما جاءُوا به فوجدوه سبعة وعشرين صاعاً. قال شيوخ محمد: ثم قام رسول الله ـ ﷺ ـ فتوضأَ وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى أَن يبارك فيه. قال عمر: فجلس رسول الله ـ ﷺ ـ إِلى جنبه فدعا فيه بالبركة، ثم قال: «أَيها الناس خذوا ولا تنتهبوا» فأَخذوه في الجُرُب والغرائر، حتى جعل الرجل يعقد قميصه فيأْخذ فيه، قال أَبو هريرة ـ رضي الله عنه وما تركوا في العسكر وعاءً إِلا ملئوه، وأَكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة. قال شيوخ محمد بن عمر: قال بعض من الصحابة: لقد طرحتُ كسرة يومئذ من خبز وقبضه من تمر، ولقد رأَيت الأَنطاع تفيض، وجئت بجرابين فملأْت أَحدهما سويقاً والآخر خبزاً، وأَخذت في ثوبي دقيقاً كفاني إِلى المدينة ـ قال: فأَخذوا حتى صدروا. وإِنه نحو ما كانوا يحرزون ـ قالوا كلهم: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أَشهد أَن لا إِلٰه إِلا الله وأَنِّي رسول الله، لا يأْتي بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة» وفي لفظ (لا يأْتي بها عبد محق إِلا وقاهُ الله حر النار)[1]، وقال جابر بن عبد اللّه رضي الله عنهما كما رواه ابن سعد أَقام رسول الله ـ ﷺ ـ بتبوك عشرين ليلة يقصر الصلاة

(١) المغازي للواقدي ١٠٣٨/٣.

وعلى ذلك جرى محمد بن عمر وابن حزم وغيرهم، وقال ابن عقبة، وابن إسحاق: بضع عشرة ليلة. والله أعلم.

ذكر بعض آيات وقعت في رجوع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من تبوك إلى المدينة

روى محمد بن عمر، وأبو نعيم عن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ قال: بينا نحن نسير مع رسول الله ـ ﷺ ـ في الجيش ليلاً وهو قافِل وأنا معه إذ خفق خفقة ـ وهو على راحلته فمال على شقه فدنوتُ منه فدَعَمْته فانْتَبَه، فقال: «من هذا؟» فقلت: أبو قتادة يا رسول الله، خِفتُ أن تسقط فدَعَمْتُك، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «حفظك الله كما حفظت رسوله» ثم سار غير كثير ثم فعل مثل ذلك هذا فدعمته فانتبه فقال: يا أبا قتادة، هل لك في التعريس؟» فقلت: ما شئت يا رسول الله، فقال: «انظر من خلفك» فنظرت فإذا رجلان أو ثلاثة، فقال «آدعهم» فقلت: أجيبوا رسول الله ـ ﷺ ـ فجاءُوا فعرسنا ـ ونحن خمسة ـ برسول الله ـ ﷺ ـ ومعي إداوةٌ فيها ماء وركوة لي أشرب فيها، فنمنا فما آنتبهنا إلا بحرِّ الشمس، فقلنا: إنَّا للّه فاتنا الصبحُ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لنَغِيْظن الشَّيْطَان كَمَا غَاظَنَا» فتوضا من ماءِ الإداوة ففضل فضلة فقال: «يا أبا قَتَادَة احْتَفِظ بِمَا فِي الإِدَاوَةِ والرَّكْوة؛ فإن لهما شأْناً» وصلى ـ ﷺ ـ بنا الفجرَ بعد طلوع الشمس، فقرأ بالمائدة، فلما آنصرف من الصلاة قال: «أما إنَّهُم لو أَطاعوا أبا بكر وعمر لرَشدوا» وذلك أن أبا بكر وعمر أرادا أن ينزلا بالجيش على الماءِ فأبوا ذلك عليهما، فنزلوا على غير ماء بفلاةٌ من الأرض، فركب رسول الله ـ ﷺ ـ فلحق الجيش عند زوال الشمس ونحن معه. وقد كادت أعناق الخيل والرجال والركاب تَقَطَّع عَطَشاً، فدعا رسول الله ـ ﷺ ـ بالرّكوة فأفرغ ما في الإداوَة فيها. ووضع أصابعه عليها فنبع الماءُ من بين أصابعه، وأقبل الناس فآستَقَوْا وفاض الماءُ حتى رووا، ورووا خيلهم، وركابهم، وكان في العسكر اثنا عشر ألف بعير، والناس ثلاثون ألفاً، والخيل اثنا عشر ألف فرس، فذلك قول رسول الله ـ ﷺ ـ «احتفظ بالرَّكْوة والإداوة».

قال ابن إسحاق، ومحمد بن عمر: قالوا: وأقبل رسولُ الله ـ ﷺ ـ قافلاً حتى إذا كان بين تَبُوك وواد يقال له: وادي الناقة ـ وقال ابن إسحاق: يقال له وادي المُشَقق ـ وكان فيه وشل يخرج منه في أسفله قَدْر ما يَرْوِي الراكبين أو الثلاثة، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «من سبقنا إلى ذلك الوَشَل فلا يستقين منه شيئاً حتى نأْتيه» فسبقه إليه أربعة من المنافقين: مُعَتِّب بن قُشَير، والحارث بن يزيد الطائيّ حليفٌ في بني عمرو بن عوف، ووَدِيعة بن ثابت، وزيد بن اللُّصَيْت، فلما أتاه رسول الله ـ ﷺ ـ وقف عليه فلم ير فيه شيئاً. فقال «من سبقنا إلى هذا الماء؟» فقيل يا رسول الله فلان وفلان، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ألم أنهكم؟» فلعنهم ودعا

عليهم، ثم نزل ووضع يده تحت الوَشَل، ثم مسحه بإصبعيه حتى اجتمع منه في كفه ماءٌ قليلٌ، ثم نضحه به، ثم مسحه بيده، ثم دعا بما شاءَ الله أن يدعو، فانخرق منه الماء - قال مُعاذُ بنُ جبل: والذي نفسي بيده لقد سمعتُ له من شدّة انخراقه مثل الصواعق - فشرب الناس ما شاءُوا، واستقوا ما شاءُوا، ثم قال رسول الله - ﷺ - للناس «لئين بقيتم. أو من بقي منكم» - لتسْمَعُن بهذا الوادي وهو أخصب مما بين يديه ومما خلفه»[١] قال سلمة بن سلامة بن وَقْش: قلت لوديعة بن ثابت: ويلك أبعد ما ترى شيء؟ أَمَا تَعْتَبر؟ قال: قد كان يُفْعَل بهذا مثل هذا قبل هذا، ثم سار رسول الله - ﷺ -.

وروى محمد بن عمر، وأبو نعيم عن جماعة من أهل المغازي قال: بينا رسول الله - ﷺ - يسير منحدراً إلى المدينة، وهو في قيظ شديد، عَطِشَ العسكر بعد المرتين الأوليين عطشاً شديداً حتى لا يوجد للشَّفةِ ماء قليل ولا كثير، فَشَكَوْا ذلك لرسول الله - ﷺ - فأرسل أُسَيْد بن الحُضير في يوم صائِف، وهو متلثم، فقال رسول الله - ﷺ - «عسى أن تجد لنا ماءً» فخرج أُسَيد وهو فيما بين تبوك والحجر في كل وجه فيجد رَاوِيةً من ماءٍ مع امرأة من بَلِيّ، فكلَّمها أُسَيد، وأخبرها خبر رسول الله - ﷺ - فقالت: فهذا الماء، فانطلِقْ به إلى رسول الله - ﷺ - وقد وَصَفَت له الماءَ وبينه وبين الطريق هُنَيْهَة، فلما جاءَ أُسَيد بالماءِ دعا فيه رسولُ الله - ﷺ - ودعا فيه بالبركة، ثم قال: «هلم أَسْقيتكم» فلم يبق معهم سقاء إلا ملئوه، ثم دعا بركابهم وخيولهم، فسقوها حتى نهلت، ويقال إنه - ﷺ - أمر بما جاءَ به أُسَيْد فصبه في قعب عظيم من عِسَاسِ أهل البادية فأدخل رسول الله - ﷺ - فيه يده، وغسل وجهه ويديه ورجليه، ثم صلى ركعتين، ثم رفع يديه مَدا، ثم انصرف وإن القعب ليفور، فقال رسول الله - ﷺ - للناس «رِدوا» فاتسع الماءُ وانبسط الناس حتى يُصَنَّف عليه المائة والمائتان فارتووا، وإن القَعْبَ ليَجيشُ بالرَّوَاءِ، ثم راح رسول الله - ﷺ - مبرداً مترويا[٢].

وروى الطبراني بسند صححه الشيخ وحسنه الحافظ - خلافاً لمن ضعَّفه - عن فَضالة ابن عبيد - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - غزا غزوة تَبُوك فجهد الظهر جهداً شديداً فَشَكَوْا ذلك إليه، ورآهم يزجون ظهرهم، فوقف في مضيق والناس يمرون فيه، فنفخ فيها وقال: «اللهم احمل عليها في سبيلك فإنك تحمل على القوي والضعيف والرطب واليابس في البر والبحر» فاستمرت فما دخلنا المدينة إلا وهي تنازعنا أزمتها[٣].

---

(١) المغازي للواقدي ١٠٣٩/٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الطبراني في الكبير ٣٠١/١١ وابن حبان ذكره الهيثمي في الموارد (١٧٠٦) وانظر المجمع ١٩٣/٦ والبيهقي في الدلائل ١٥٥/٦، وابن كثير في البداية ١٨٦/٦.

ذكر إرادة بعض المنافقين الفتك برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة العقبة التي بين تبوك والمدينة وأطلع الله تعالى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ذلك

روى الإمام أحمد عن أبي الطّفيل، والبيهقي عن حُذيفة، وابن سعد عن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنهم ـ وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك والبيهقي عن عروة، والبيهقي عن ابن إسحاق. ومحمد بن عمر عن شيوخه ـ رحمهم الله تعالى ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ لما كان ببعض الطريق مكر به ناسٌ من المنافقين وائتمروا بينهُم أن يطرحوه من عَقَبَةٍ في الطريق. وفي رواية كانوا قد أجمعوا أن يقتلوا رسول الله ـ ﷺ ـ فجعلوا يلتمسون غِرته، فلما أراد رسول الله ـ ﷺ ـ أن يسلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه، وقالوا: إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي، فأخبر الله تعالى رسوله بمكرهم، فلما بلغ رسول الله ـ ﷺ ـ تلك العقبة نادى مناديه للناس: إن رسول الله ـ ﷺ ـ أخذ العقبة فلا يأخذها أحد، واسلكوا بطن الوادي، فإنه أسهل لكم وأوسع، فسلك الناس بطن الوادي الاّ النفر الذين مكروا برسول الله ـ ﷺ ـ لما سمعوا ذلك استعدوا وتلثموا، وسلك رسول الله ـ ﷺ ـ العقبة، وأمر عمَّار بنَ ياسر أن يأْخذ بزمام الناقة ويقودها وأمر حذيفة بن اليمان أن يسوق من خلفه، فبينا رسول الله ـ ﷺ ـ يسير من العقبة إذ سمع حسَّ القوم قد غَشوْه، فنفَّروا ناقة رسولِ الله ـ ﷺ ـ حتى سقط بعض متاعه وكان حمزة بن عمرو الأسلمي لحق برسول الله ـ ﷺ ـ بالعقبة، وكانت ليلة مظلمة، قال حمزة: فَنُوِّرَ لي في أصابعي الخمس، فأضاءَت حتى جمعتُ ما سقط من السوط والحبل وأشباههما، فغضب رسولُ الله ـ ﷺ ـ وأمر حذيفة أن يردهم، فرجع حذيفة إليهم، وقد رأى غضبَ رسول الله ـ ﷺ ـ ومعه محجن فجعل يضربُ وجوه رواحلهم وقال: إليكم إليكم يا أعداءَ الله تعالى، فعَلِم القومُ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قد اطَّلَع على مكرهم، فانحطوا من العقبة مُسرعين حتى خالطوا الناس، وأقبل حذيفة حتى أتى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: اضرب الراحلة يا حذيفة، وامش أنت يا عمار، فأسرعوا حتى استوى بأعلاها، وخرج رسول الله ـ ﷺ ـ من العقبة ينتظر الناس وقال لحذيفة: هل عرفت أحداً مِنَ الركب، الذين رددْتهم؟ قال: يا رسول الله قد عرفت رواحلهم، وكان القوم متلثمين فلم أُبصرهم من أجل ظلمة الليل. قال: «هل عَلِمْتم مَا كان من شأنهم وما أرادوا»؟ قالوا: لا والله يا رسول الله. قال: «فَإِنهُمْ مَكرُوا لِيسيرُوا مَعي فإذا طلعْتُ الْعَقَبَةَ زَحَمُونِي فَطَرَحُوني منها ـ أن شاءَ الله تعالى ـ قدْ أَخْبرني بأسماءهم وأسماء آبائهم وسأخبركم بهم إن شاءَ الله تعالى» قالوا: أفلاَ تأْمر بهم يا رسول الله إذا جاءَ الناس أن تُضْرَب أعناقهم؟ قال: أكره أن يتحدث الناس ويقولوا: إن محمداً قد وضع يده في أصحابه فسماهم لهما ثم قال: «اكتماهم» فانْطلقْ إذا أصبحت فاجمعهم لي، فلما أصبح رسولُ الله ـ ﷺ ـ قال

له أُسَيد بن الحُضير: يا رسول الله، ما منعك البارحة من سلوك الوادي؟ فقد كان أَسهل من العقبة؟ فقال: «أتدري يَا أَبَا يَحْي أَتدْري مَا أَرَاد بي الْمُنافِقُون وَمَا هَمّوا بِه»؟ قالوا: نتبعه من العقبة، فإذا أَظْلَمَ عَلَيهِ الليلُ قطعوا أَنساع راحِلتي ونخَسُوهَا حتى يطرحوني عن راحلتي فقال أُسَيد: يا رسول الله، قد اجتمع الناس ونزلوا، فمُرْ كُلَّ بطن أَن يقتل الرَّجُلَ الذي همَّ بهذا، فيكون الرجل من عشيرته هو الذي يقتله، وإن أَحْبَبْتَ ـ والذي بعثك بالحق ـ فنبئني بأَسمائهم فلا أَبرح حتى آتيك بُرؤُوسِهم. قال «يا أُسَيْدُ إِنِّي أَكْرَه أَنْ يَقُولَ النَّاسُ إِنَّ مُحَمَّداً قَاتَلَ بقَوْمٍ حَتَّى إذا أَظهره الله تعالى بهم أَقبل عليهم يَقْتُلُهم».

وفي رواية «إِنِّي أَكْرَه أَنْ يقول النَّاسُ إِنَّ مُحَمَّداً لما انقضت الحربُ بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أَصحابه» فقال: يا رسول الله، فهؤلاء ليسوا بأَصحاب، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أَليس يظهرون شهادة أَن لا إِلٰه إِلا الله؟» قال: بلى [ولا شهادة لهم] قال: «أليس يظهرون أَني رسول الله؟» قال: بلى. ولا شهادة لهم، قال: «فقد نُهيتُ عن قتل أُولئك»[١].

وقال ابن إِسحاق في رواية يونس بن بكير: فلما أَصبح رسول الله ـ ﷺ ـ قال لحذيفة: «ادْعُ عبد اللّه» قال البيهقي[٢]: أَظن ابن سعد بن أَبي سرح، وفي الأَصل: عبد اللّه بن أَبي سعد بن أَبي سرح، لم يعرف له إِسلام كما نبه إِليه في زاد المعاد، قال ابن إِسحاق: وأَبا حاضر الأَعرابي، وعامراً وأَبا عمر، والجُلاس بن سُوَيد بن الصامت وهو الذي قال: لا ننتهي حتى نَرْمِيَ محمداً من العقبة، ولئن كان محمد وأَصحابه خيراً منا إنا إذاً لَغَنَم وهو الراعي، ولا عقْل لنا وهو العاقل، وأَمره أَن يدعوا مُجَمع بن جارية، وفلَيْح التيمي وهو الذي سرق طيب الكعبة وارتد عن الإِسلام، وانطلق هارباً في الأَرض فلا يُدْرَى أَين ذهب، وأَمره أَن يدعوَ حُصَين بن نُمَيْر الذي أَغار على تمر الصدقة فسرقه، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ «ويحك، ما حملك على هذا؟» قال: حملني عليه أَني ظننت أَن الله تعالى لم يطلعك عليه أَما إذا أَطلعك عليه فإني أَشهد اليوم أَنك لرسول الله، فإني لم أُؤمن بك قط قبل الساعة، فأَقاله رسول الله ـ ﷺ ـ وعفا عنه بقوله الذي قاله، وأَمر رسول الله ـ ﷺ ـ حُذَيْفة أَن يأْتيه بطعمة بن أَبيرق، وعبد اللّه بن عُيَيْنة، وهو الذي قال لأَصحابه: اشهدوا هذه الليلة تسلموا الدهر كله، فوالله ما لكم أَمرٌ دون أَن تقتلوا هذا الرجل، فدعاه رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «ويحك ما كان ينفعك من قتلي لو أَني قتلت يا عدو الله؟» فقال عدو الله: يا نبي الله، والله ما تزال بخير ما أَعطاك الله تعالى النصر على

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٥/٢٥٧، وانظر المغازي للواقدي ٣/١٠٤٣، ١٠٤٤، والدر المنثور ٣/٢٥٩ وابن كثير في البداية ٥/١٩.

(٢) البيهقي في الدلائل ٥/٢٥٨.

عدوك، فإنما نحن بالله وبك فتركه رسول الله - ﷺ - وقال لحذيفة «ادع مُرَّة بن الربيع» وهو الذي ضرب بيده على عاتق عبد الله بن أُبَيّ ثم قال: تمطى، أو قال: تمططي والنعيم كائن لنا بعده، نقتل الواحد المفرد فيكون الناس عامة بقتله مطمئنين، فدعاه رسول الله - ﷺ - فقال: «ويحك، ما حملك على أن تقول الذي قلت؟» فقال: يا رسول الله إن كنت قلت شيئاً من ذلك فإنك العالم به، وما قلت شيئاً من ذلك.

فجمعهم رسول الله - ﷺ - وهم اثنا عشر رجلاً الذين حاربوا الله تعالى ورسوله، وأرادوا قتله، فأخبرهم رسول الله - ﷺ - بقولهم ومنطقهم وسرهم وعلانيتهم، وأطلع الله نبيه - ﷺ - على ذلك يعلمه، وذلك قوله عز وجل: ﴿وهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ [التوبة ٧٤] ومات الاثنا عشر منافقين محاربين الله تعالى ورسوله.

قال حُذَيفة - كما رواه البيهقي: ودعا عليهم رسول الله - ﷺ - فقال: «اللهم ارمهم بالدُّبَيْلَة» قلنا: يا رسول الله. وما الدّبَيْلة؟ قال: «شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك»(١).

وروى مسلم عنه: أن رسول الله - ﷺ - قال: «في أصحابي اثنا عشر رجلاً منافقاً لا يدخلون الجنة حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخياط، ثمانية يكفيهم الدُّبَيْلَة، سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم»(٢).

قال البيهقي: وروينا عن حُذيفة - رضي الله عنه - أنهم كانوا أربعة عشر - أو خمسة عشر(٣).

ذكر قوله - صلى الله عليه وسلم - إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً إلا كانوا معكم

روى البخاري وابن سعد عن أنس، وابن سعد عن جابر رضي الله عنهما أن رسول الله - ﷺ - لما رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال: «إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قَطَعْتُم وادياً إلاّ كانوا معكم» فقالوا: يا رسول الله، وهم في المدينة؟ قال: «وهم بالمدينة حبسهم العذر»(٤).

---

(١) أنظر المصدر السابق.

(٢) اخرجه مسلم في صفات المنافقين (٩)، وأحمد ٣٩٠/٥ والبيهقي في الدلائل ٢٦١/٥ وفي السنن ١٩٨/٨ وانظر البداية ٢٠/٥.

(٣) انظر الدلائل المصدر السابق.

(٤) أخرجه البخاري ٤٦/٦ في الجهاد باب من حبسه العذر عن الغزو وفي المغازي (٤٤٢٣) وأبو داود (٢٥٠٨) وأحمد ١٠٣/٣، ١٠٦، ١٨٢، ٣٠٠ وابن ماجه ٩٢٣/٢ (٢٧٦٤) والبيهقي في الدلائل ٢٦٧/٥.

ذكر قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أشرف على المدينة «هذه طابة»

روى الإمام أحمد والشيخان عن أبي حميد الساعدي، وعبد الرزاق وابن أبي شيبة في مصنفيهما، والإمام أحمد والبخاري عن أنس والإمام أحمد ومسلم عن جابر، وابن أبي شيبة في مسنده عن أبي قتادة ـ رضي الله عنهم ـ قالوا: أقبلنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ من غزوة تبوك حتى أشرفنا على المدينة قال: «هذه طابة ـ وزاد ابن أبي شيبة: أسكننيها ربّي ـ تنفي خبث أهلها كما ينفي الكير خبث الحديد» انتهى. فلما رأى أحداً قال «هذا أُحد جبل يُحبّنا ونحبه، ألا أُخبرُكم بخير دور الأنصار» قلنا بلى يا رسول الله، قال «خير دور الأنصار بنو النجار، ثم دار بني عبد الأشهل، ثم دار بني ساعدة» فقال أبو أُسيد: ألم تر أن رسول الله ـ ﷺ ـ خيرَّ دور الأنصار فَجَعَلنا آخرها داراً؟ فأدرك سعد رسولَ الله ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله خيرّت دور الأنصار فجعلتنا آخرها داراً. فقال: «أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار؟»[1].

ذكر ملاقاة النساء والصبيان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

روى البخاري وأبو داود والترمذي عن السائب بن يزيد ـ رضي الله عنه ـ قال: أذكر أني خرجت مع الصبيان نتلقى رسولَ الله ـ ﷺ ـ إلى ثنية الوداع مقدمه من تبوك[2].

وروى البيهقي عن ابن عائشة ـ رحمه الله تعالى ـ قال: لما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن:

طَـلَـعَ الـبَـدْرُ عَـلَـيْنَا ... مِـنْ ثَـنِـيَّـاتِ الـوَدَاعْ
وَجَـبَ الـشُّـكْـرُ عَـلَـيْنَا ... مَـا دَعَـا لِـلّـه دَاعْ[3]

وروى الطبراني، والبيهقي عن خريم بن أوس بن لأم ـ رضي الله عنه ـ قال: هاجرت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ منصرفه من تبوك فسمعت العباس ابن عبد المطلب يقول: يا رسول الله إني أُريد أن أمتدحك؟ فقال رسول الله ﷺ «قل لا يفضض الله فاك» فقال:

مِنْ قَبلِهَا طِبْتَ في الظِّلاَلِ وفي ... مُسْتَودَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الوَرَقْ
ثـمَّ هَـبَـطْـت الـبـلادَ لا بَـشَـرٌ ... أَنْـتَ ولاَ نُـطْـفَـةٌ وَلا عَـلَـقْ
بَلْ نُطْفَـةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وقَدْ ... أَلْـجَـمَ نَـسْـراً وأَهْـلَـهُ الـغَـرَقْ
تُـنْـقَـلَ مِـنْ صَـالِـبٍ إِلَـى رَحِـمٍ ... إذا مَـضَـى عَـالَـمٌ مَـضَـى طَـبَـقْ

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٥/٨ (٤٤٢٢)، ومسلم في الحج (٥٠٣) والبيهقي في الدلائل ٢٦٦/٥ وفي السنن ٣٧٢/٦، وانظر الكنز (٣٤٩٩٣) وابن عساكر كما في التهذيب ٢٢٦/٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٩١/٦ (٣٠٨٢)، وأبو داود ٩٠/٣ (٢٧٧٩).

(٣) البيهقي في الدلائل ٢٦٦/٥٠ وابن كثير في البداية ٣٣/٥.

وَرَدتٌ نَارَ الـخَـلِـيـلِ مُكْـتَـتِـمـاً ... فـي صُلْـبِـهِ أَنْـتَ كَـيْـفَ يَـحْـتَـرِقُ
حَتَّى آحتَوَى بَيْتَكَ المُهَيْمِنُ مِنْ ... حـنْـدِقٍ عَـلْـيَـاءَ تَحْـتَـهَـا الـنُّـطُـقْ
وَأَنْـتَ لَـمَّـا وُلِـدتَّ أَشْـرَقَـتِ الأَرْ ... ضُ فَـضَـاءَتْ بِـنُـورِكَ الأُفُـقْ
فَـنَـحـنُ فـي ذَلِـكَ الـضِّـيَـاءِ وَفِـي ... الـنـنُّـورِ وَسُبُـلِ الرَّشَـادِ نَـخْـتَـرِقْ

ولما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة بدأ بالمسجد بركعتين، ثم جلس للناس كما في حديث كعب بن مالك. قال ابن مسعود: ولما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة قال: «الحمد لله الذي رزقنا في سفرنا هذا أَجراً وحسنة»(١) وكان قدومه ـ ﷺ ـ المدينة في رمضان وكان المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله ـ ﷺ ـ بخبِّرون عنه أَخبار السوء، ويقولون: إن محمداً وأَصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا. فبلغهم تكذيب حديثهم وعافية رسول الله ـ ﷺ ـ وأَصحابه، فساءَهم ذلك، فأَنزل الله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [التوبة ٥٠].

ذكر بيع المسلمين أسلحتهم وقولهم: قد انقطع الجهاد

قال ابن سعد: وجعل المسلمون يبيعون أَسلحتهم ويقولون: قد انقطع الجهاد فبلغ ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ فنهاهم وقال: «لا تزال عصابة من أُمتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدَّجَّال»(٢).

ذكر أمر مسجد الضرار عند رجوع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غزوة تبوك

روى ابن إِسحاق عن أَبي رُهْم كُلْثُوم بن الحصين الغِفَارِي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أَبي حاتم، وابن مردويه من طريق آخر. والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ وابن أَبي حاتم وابن مروديه عن طريق آخر عن ابن عباس، وابن المنذر عن سعيد بن جبير ومحمد بن عمر عن يزيد بن رومان ـ رحمه الله تعالى ـ أَن بني عمرو بن عوف بنوا مسجداً فبعثوا إِلى رسول الله ـ ﷺ ـ يأتيهم فيصلي فيه، فلما رأَى ذلك ناسٌ من بني غَنْم بن عوف فقالوا: نبني نحن أَيضاً مسجداً كما بنوا، فقال لهم أَبو عامر الفاسق قبل خروجه إِلى الشام: ابنوا مسجدكم واستمدوا فيه بما استطعتم من قوة وسلاح فإِني ذاهب إِلى قيصر ملك الروم فآتِي بجيش من الروم فأُخرِج محمَّداً وأَصْحَابَه، فكانوا يرصدون قدوم أَبي عامر الفاسق، وكان خرج من المدينة محارباً لله تعالى ولرسوله ـ ﷺ ـ فلما فرغوا من مسجدهم أَرادوا أَن يُصَلِّي فيه رسول الله ـ ﷺ ـ ليروج لهم ما أَرادوه من الفساد والكفر والعناد، فعصم الله تبارك وتعالى

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٦٧/٥، ٢٦٨، وابن كثير في البداية ٢٧/٥، ٢٨.
(٢) أخرجه ابن سعد ٢/ ١ (١٢٠).

رسولَه - ﷺ - رسولَه - ﷺ - من الصلاة فيه، فأَتى جماعة منهم لرسول الله - ﷺ - وهو يتوجه إِلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله إِنا بَنَيْنَا مسجداً لذي العِلَّة والحاجة والليلة المطيرة، وإِنا نحب أن تأْتينا فتصلي لنا فيه قال: «إِني على جَنَاح سَفرٍ وحال شغل، وإِذا قدمنا إِن شاءَ الله صَلَّينا لكم فيه»(١) فلما رجع رسول الله - ﷺ - من غزوة تبوك ونزل بذي أَوان - مكان بينه وبين المدينة ساعة - أَنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿والَّذِين اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وكُفْراً﴾ [التوبة ١٠٧] الآية.

روى البيهقي في الدلائل عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - في قوله تعالى: ﴿والَّذين اتخذوا مَسْجِداً ضِرَاراً﴾ هم أُناس من الأَنصار، ابتنوا مسجداً، فقال لهم أَبو عامر: ابنوا مسجدكم واستمدوا ما استطعتم من قوة ومن سلاح فإِني ذاهب إِلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند من الروم فأُخرج محمداً وأَصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أَتوا النبي - ﷺ - فقالوا: فرغنا من بناء مسجدنا [ونحن نحب] أَن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة، فأَنزل الله عز وجل: ﴿لاَ تَقُمْ فِـيه أَبَداً لَـمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَـى التَّقْوَى مِنْ أَوَّل يَوْم﴾ - يعني مسجد قباء - ﴿أَحقُّ أَن تقُومَ فـيه فيه رجَالٌ﴾ إِلى قوله: ﴿إِلَـى جُرُف هار فانْهار بِهِ فِـي نارِ جَهَنَّـم واللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْم الظَّالِـمِين﴾[التوبة ١٠٩] قال الحافظ بن حجر: والجمهور على أَن المسجد المراد به الذي أُسس على التقوى مسجد قباء، وقيل هو مسجد المدينة. قال: والحق أَن كلاً منها أُسس على التقوى.

وقوله تعالى - في بقية الآية ﴿فـيه رجَالٌ يُحبُّون أَن يـتطهروا﴾ يؤكد أَن المسجد مسجدُ قباء.

قال الداودي وغيره: ليس هذا اختلاف، فإِن كلا منهما أُسس على التقوى، وكذا قال السهيلي وزاد أَن قوله: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْم﴾ يقتضي مسجد قباء، لأن تأسيسه كان مِنْ أَول يوم وصل النبي - ﷺ - بدار الهجرة.

وروى ابن أَبي شيبة، وابن هشام عن عروة عن أَبيه قال: كان موضع مسجد قباء لامرأَة يقال لها ليَّه كانت تربط حماراً لها فيه، فأَبتنى سعد بن خيثمة مسجداً، فقال أَهل مسجد الضرار: نحن نصلي في مربط حمار لَيَّه؟ لا لعمر الله، لكنا نبني مسجداً فنصلي فيه، وكان أَبو عامر بريءَ من الله ورسوله، ولحق بعد ذلك بالشام فتنصر فمات بها، فأَنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً﴾ [التوبة ١٠٩]. قال ابن النجار: هذا المسجد بناه المنافقون مضاهياً لمسجد قُباء، وكانوا مجتمعين فيه يعيبون النبي - ﷺ - ويستهزئون به،

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل.

وقال ابن عطية: رُوي عن ابن عمر أنه قال: المراد بالمسجد الذي أُسس على التقوى هو مسجد رسول الله - ﷺ - والمراد بقوله ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ﴾ وهو مسجد قُبَاء، وأَن البنيان الذي أُسس على شفا جرف هار فهو مسجد الضِّرَار بالإجماع.

قال ابن إسحاق، وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خِذَامُ بن خالد من بني عبيد بن زيد، ومُعتِّبُ بن قشَيْر من بني ضبيعة بن زيد، وأَبو حبيبة بن الأَزعر من بني ضبيعة بن زيد، وعَبَّادُ بن حُنَيْف أَخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف، وجَارية بن عامر، وابناه مُجَمِّع بن جارية وزيد بن جارية، ونُفَيْل بن الحرث من بني ضبيعة، وبَحْزَج بن عثمان من بني ضبيعة، ووديعة بن ثابت من بني أُمية بن عبد المنذر.

وقال بعضهم: إن رجالاً من بني عمرو بن عوف وكان أَبو عامر المعروف بالراهب - وسماه النبي - ﷺ - بالفاسق - منهم، فدعا رسول الله - ﷺ - مالك بن الدُّخْشُم أَخا بني سالم بن عوف، ومعن بن عَدِيّ وأَخاه عاصم بن عَدِي - زاد البغوي: وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة، زاد الذهبي في التجريد: سويد بن عباس الأَنصاري - فقال: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أَهله فَهدِّمُوه وحرِّقُوه» فخرجوا مسرعين حتى أَتوا بني سالم بن عوف، فقال مالك لرفيقيه: أَنظِراني حتى أَخرج إليكما، فدخل إلى أَهله وأَخذ سعفاً من النخيل فأَشْعَلَ فيه ناراً، ثم خرجوا يشتدون حتى أَتوا المسجد بين المغرب والعشاء، وفيه أَهله وحرقوه وهدموه حتى وضعوه بالأَرض وتفرق عنه أَصحابه، فلما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة عرض على عاصم بن عدي المسجد يتخذه دَاراً، فقال عاصم يا رسول الله: ما كنت لأَتخذ مسجداً - قد أَنزل الله فيه ما أَنزل - داراً، ولكن أَعطه ثابت بن أَقْرَم فإنه لا منزل له، فأَعطاه رسول الله - ﷺ - ثابت بن أَقرم. فلم يولد في ذلك البيت مولود قط. ولم ينعق فيه حمام قط ولم تحضن فيه دجاجة قط.

وروى ابن المنذر عن سعيد بن جبير، وابن المنذر وابن أَبي حاتم، وأَبو الشيخ عن قتادة، وابن المنذر عن ابن جريج - رحمهم الله تعالى - قالوا: ذكر لنا أَنه حُفِرَ في مسجد الضِّرار بقعة فأَبصروا الدخان يخرج منها.

***

ذكر ملاقاة الذين تخلفوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

قال ابن عقبة: لما دنا رسول الله - ﷺ - من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا عنه، وقال رسول الله - ﷺ -: لأَصحابه «لا تكلموا رجُلاً منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم»(١) فأَعرض

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٨٠/٥.

عنهم رسول الله - ﷺ - والمؤمنون حتى أن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه، وحتى إن المرأة لتعرض عن زوجها، فمكثوا كذلك أياماً حتى ركب الذين تخلفوا، وجعلوا يعتذرون إلى رسول الله - ﷺ - بالجهد والأسقام، ويحلفون له فرحمهم وبايعهم واستغفر لهم.

ذكر حديث كعب بن مالك وأصحابه - رضي الله عنهم -

روى ابن إسحاق، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، والإمام أحمد، والشيخان عن كعب بن مالك - رضي الله عنه - قال: لم أتخلف عن رسول الله - ﷺ - في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك؛ غير أني كنت تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب الله أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله - ﷺ - يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله - ﷺ - ليلة العقبة حين تواثقْنَا على الإسلام، وما أُحِبُّ أَنَّ لي بها مَشْهَدَ بدر، وإن كانت بدر أذكر - وفي رواية: وإن كانت بدر أكثر ذكراً في الناس منها. كان من خبري أَنِّي لم أكن قَطُّ أقوى ولا أيسر منِّي حين تخلَّفْتُ عنه في تلك الغزوة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله - ﷺ - يريد غزوة إلا وَرَّى بغيرها، وكان يقول: «الحرب خدعة» حتى كانت تلك الغزوة؛ غزاها رسول الله - ﷺ - في حَرٍّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً وعدداً كثيراً، فجلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أُهْبَةَ غزوهم - وفي لفظ أُهْبَةَ عدوهم - فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله - ﷺ - كثيرون - وعند مسلم يزيدون على عشرة آلاف[1].

وروى الحاكم في الإكليل عن معاذ - رضي الله عنه - قال: خرجنا مع رسول الله - ﷺ - إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً[2]، وقال أبو زُرْعَة الرازي: لا يجمعهم كتابٌ حافظ - قال الزهري: يريد الديوان، قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلاَّ ظن أَنْ سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله تعالى.

وغزا رسول الله - ﷺ - تلك الغزوة حين طابت الثمار والغلال في قيظ شديد، في حال الخريف والناس خارفون في نخليهم، وتجهَّزَ رسول الله - ﷺ - وتجهَّزَ المسلمون معه، فخرج في يوم الخميس وكان يُحِبُّ إذا خرج في سفر جهاد أو غيره أن يخرج يوم الخميس، فطفِقت أغدوا لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، وفي رواية: وأنا أقدر شيئاً في نفسي على الجهاد وخفة الجهاد، وأنا في ذلك أصبو إلى الظلال

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣/٨ (٤٤١٨) ومسلم ٤/ ٢١٢٠- ٢١٢٨ (٥٣)، والبيهقي في الدلائل ٢٧٣/٥، والمغازي للواقدي ٩٩٧/٣ والبداية ٢٣/٥.

(٢) انظر البداية ٢٣/٥.

والثمار، ولم يزل يتمادى بي الحاذ حتى اشتد بالناس الجِدُّ، فأَصبح رسول الله - ﷺ - غادياً والمسلمون معه يوم الخميس، ولم أَقض من جهازي شيئاً، فقلت: أَتجهز بعده بيوم أَو يومين، ثم أَلحقهم، فغدوتُ بعد أَن فَصَلُوا لأَتجهز فرجعت ولم أَقْض شيئاً. فلم يزل ذلك يُتَمَادى بي حتى أَمعن القوم وأَسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أَنْ أَرتحل فأَدركهم - وليتني فعلت -!! فلم يُقْدَر لي ذلك، فكنت إِذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله - ﷺ - فطفت فيهم أَحزنني أَني لا أَرى إِلاَّ رجُلاً مغموصاً عليه بالنفاق، أَو رجُلاً مِمَّن عذَّر اللّهُ - تعالى - من الضعفاء - وعند عبد الرزاق: وكان جميع من تخلَّف عن رسول الله - ﷺ - بضعة وثمانين رجُلاً - ولم يذكُرني رسول الله - ﷺ - حتى بلغ تبوك. فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «مَا فَعَلَ كَعْبُ ابْنُ مَالِك؟» فقال رجُلٌ من بني سَلِمة، وفي رواية من قومي - قال محمد بن عمر: هو عبد اللّه بن أَنيس السَّلَمي - بفتح اللام - لا الجهني: يا رسول الله حبسه بُرْدَاه ونَظَرُه في عِطْفَيه. فقال معاذ بن جبل - قال محمد بن عمر: وهو أَثبت، ويقال: أَبو قتادة: بئس ما قلت! والله يا رسول الله ما علمتُ عليه إِلا خيراً. فسكت رسول الله - ﷺ -.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أَن رسول الله - ﷺ - توجه قافلاً حضرني همي، وطفقت أَعد عُذْراً لرسول الله - ﷺ - وأَهيئ الكلام، وأَقول: بماذا أَخرج من سخطه - ﷺ - غداً، واستعنت على ذلك بكل ذي رأْي من أَهلي، فلما قيل إِن رسول الله - ﷺ - قد أَطلَّ قادماً زاح عني الباطل، وعرفت أَني لم أَخرج منه أَبداً بشيء فيه كذب، فأَجمعت صدقه، وعرفت أَنه لا ينجيني منه إِلا الصدق، وأَصبح رسول الله - ﷺ - قادماً، قال ابن سعد: في رمضان، قال كعب: وكان إِذا قدم من سفر لا يقدم إِلا في الضحى فيبدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم يدخل على فاطمة ثم على أَزواجه، فبدأ بالمسجد فركعهما، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءَه المُخلَّفُون فطفقوا يعتذرون إِليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله - ﷺ - علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إِلى الله تعالى، فجئته، فلما سلمت عليه، تبسم تبسُّم المغْضَب، فقال: «تعال» فجئت أَمشي حتى جلست بين يديه - وعند ابن عائذ: فأَعرض عنه رسول الله - ﷺ - فقال: يا نبي الله، لم تعرض عني؟ فوالله ما نافقت، ولا ارتبت، ولا بدَّلت - قال كعب: فقال لي: «ما خلَّفَك؟ أَلم تكن قد ٱبْتَعْتَ ظَهْرَك؟» فقلت: بلى إِني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أَهل الدنيا لرأَيت أَن سأُخرج من سخطِه بعُذر، ولقد أُعطيتُ جَدَلاً، ولكني - والله - لقد علمت لئن حدَّثْتُك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله تعالى أن يُسْخِطَكَ علي، ولئن حَدَّثْتُك اليوم حديث صِدْقٍ تجِدُ عليَّ فيه، إِني لأَرجو فيه عَفْوَ الله عني، لا والله ما كان لي من عُذْر، والله ما كنت قط أَقوى ولا أَيسر مني حين تخلفت عنك. فقال رسول الله - ﷺ - «أَمَّا هذا فقد صَدَق، فقم

حتى يَقْضِي اللّهُ تعالى فيك ما يشاء» فَقُمت، فمضيت وثار رجال من بني سَلمة فاتبعوني، فقالوا: ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزْت أَن لا تكون آعتذرت إِلى رسول الله - ﷺ - بما اعتذر به إليه المخلَّفون، قد كان كافيك ذَنْبَكَ استغفارُ رسول الله - ﷺ - لك. فوالله ما زالوا يُؤَنِّبُوني، حتى أَردت أن أَرجع فأُكَذِّبَ نفسي، فقلت: ما كنت لأَجمع أَمرين: أَتخلف عن رسول الله - ﷺ - وأَكذبه، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أَحد؟ قالوا: نعم رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هُمَا؟ قالونا: مُرَارةُ بنُ الربيع العَمْري، وهلال بن أُميَّة الواقفي.

وعند ابن أَبي حاتم من مرسل الحسن أَن سبب تخلف الأَول أَنه كان له حائط حين زها، فقال في نفسه: قد غزوت قبلها فلو أَقمت عامي هذا؟! فلما تذكر ذنبه قال: اللهم أُشهدك أَني قد تصدقت به في سبيلك. وأَن الثاني كان له أَهل تفرقوا ثم اجتمعوا فقال: لو أَقمت هذا العام عندهم. فلما تذكر قال: اللهم لك على أَن لا أَرجع إِلى أَهلي ولا مالي.

قال كعب: فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أُسْوَة، فمضيت حين ذكروهما لي. ونهى رسول الله - ﷺ - المسلمين عن كلامنا أَيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فَاجْتَنَبَنَا الناسُ وتغيروا لنا - وعند ابن أَبي شيبة. فطفقنا نغدو في الناس لا يكلمنا أَحد، ولا يسلم علينا أَحد، ولا يرد علينا سلاماً، وعند عبد الرزاق وتنكر لنا الناس حتى ما هم بالذي نعرف وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هي بالتي نعرف انتهى. ما من شيء أَهم إِلي مِنْ أَن أَموت فلا يصلي عليَّ رسولُ الله - ﷺ - أو يموت فأَكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أَحد ولا يصلى عليَّ - حتى تنكرت في نَفسِي الأَرضُ حتى ما هي التي أَعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأَما صاحباي فاستكانا، وقعدا في بيتهما يبكيان، وأَما أَنا فكنت أَشبَّ القوم وأَجْلَدَهم، فكنت أَخرج فأَشهد الصلاة مع المسلمين، وأَطوف الأَسواق فلا يكلمني أَحد، ولا يرد عَلَيَّ سَلاماً وآتي رسُولَ الله - ﷺ - وهو في مجلسه بعد الصَّلاة فأُسلم عليه وأَقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه برد السلام عليَّ أَم لا؟ ثم أُصلي قريباً منه فأُسارقه النظر، فإِذا أَقبلتُ على صلاتي أَقبل عليَّ، فإِذا التفت نحوه أَعرض عني. حتى إِذا طال عليَّ ذلك من جفوة الناس مشيتُ حتى تسوَّرْتُ جدار حائط أَبي قتادة، وهو ابن عمي: أَي أَنه من بني سلمة وليس هو ابن عمه أَخو أَبيه الأَقرب، قال كعب: وهو أَحب الناس إِلي، فسلمت عليه فوالله ما رد عليَّ، فقلت له: يا أَبا قتادة، أَنشُدُك بالله، هل تَعْلَمُنِي أُحبُّ الله ورسوله؟ فسكت، فعُدْتُ له فَنَشَدْتُه فسكت [فعدت له فنشدته] فلم يكلمني، حتى إِذا كان في الثالثة أَو الرابعة قال: الله ورسوله أَعلم. ففاضت عَيْنَاي، وتوليت حتى تسورت الجدارَ، قال فبينما أَنا أَمشي في سوق المدينة إِذا بنَبَطِي من

أَنباط الشام ممن قدِم بالطعام يبيعُه بالمدينة يقول: مَنْ يَدُلُّ على كعب بن مالك؟ فَطَفِق الناسُ يشيرون له، حتى إذا جاءَني دفع إلي كتاباً من مَلكِ غَسَّان، وعند ابن أَبي شيبة: مِن بعض من بالشام كتب إلي كتاباً في سرقة حرير فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بَلَغني أن صاحبك قد جفاك فأقصاك ولم يجعَلْكَ الله بدارِ هوان ولا مَضْيَعَة، فإن تكُ متحولاً فالحق بنا نواسيك. فقلت: لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، قد طمع في أهل الكفر، فتيممتُ بها التَّنُّور فسجرته بها.

وعند ابن عائذ: أنه شكا قدره إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وقال: ما زال إعراضك عني حتى رَغِبَ فيَّ أهلُ الشرك، قال كعب: حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله ـ ﷺ ـ يأتيني. قال محمد بن عمر: وهو خزيمة بن ثابت، وهو الرسولُ إلى مُرَارة وهلاك بذلك. قال كعب: فقال: إن رسول الله ـ ﷺ ـ يأْمرك أن تعتزل امرأتك: أي عمرة بنت حمير ابن صخر بن أمية الأنصارية أو خيرة ـ بفتح الخاء المعجمة فالتحتانية ـ فقلت: أُطَلِّقها أو ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تَقْرَبْهَا، وأرسَلَ إلى صاحبي مثل ذلك. فقلت لامرأتي الحَقي بأَهْلك، فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال كعب: وَجَاءَتْ امرأة هلال بن أمية، أي خولة بنت عاصم لرسول الله ـ ﷺ ـ فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخٌ ضائِعٌ ليس له خادم ـ وعند ابن أبي شيبة: إنه شيخ قد ضَعُفَ بصره ـ انتهى. فهل تكره أن أَخْدُمَه؟ قال: «لا، ولكنْ لا يَقْرَبْكِ» قالت: إنه والله ما به حركةٌ إلى شيء!! والله ما زال يبكي منذ كان من أَمره ما كان إلى يومه هذا. قال كعب: فقال لي بَعْض أَهْلي: لو استأْذنت رسولَ الله ـ ﷺ ـ في امرأَتك كما أَذن لهلال بن أُمية أَن تخدمه، فقلت: والله لا أَستأْذن فيها رسولَ الله ـ ﷺ ـ وما يُدْرِيني ما يقولُ رسول الله ـ ﷺ ـ إذا استأْذنته فيها، وأَنا رجل شاب، فلبثتُ بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كَمَلَتْ لنا خمسون ليلةً من حين نهى رسولُ الله ـ ﷺ ـ عن كلامنا.

وعند عبد الرزاق: وكانت تَوْبَتُنَا نَزَلَتْ على النبي ـ ﷺ ـ ثلث الليل ـ فقالت أُم سلمة: يا نبي الله أَلا نُبَشِّر كعب بن مالك؟ قال: إذاً يحطمكم الناس ويمنعونكم النوم سائر الليلة قال: وكانت أُم سلمة تجيئه في ثاني عشرة بأمري فَلَمَّا صلَّيْتُ الفجرَ صُبْحَ خمْسين ليلة وأَنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أَنا جالس على الحال الذي ذكره الله تعالى قد ضاقت عليَّ نفسي وضاقت عَلَيَّ الأَرضُ بما رحبت، سمعتُ صوتاً صارخاً أَوفى على جبل سَلْع يقول بأَعلى صوته: يا كَعْب بنَ مالك، أَبْشِر ـ وعند محمد بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ أَن الذي أَوفى على سَلْع أَبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فصاح: قد تاب الله ـ تعالى ـ على كَعْب، يا كعب: أَبشر. وعند ابن عقبة أَن رجلين سَعَيَا يريدان كعْباً يبشرانه، فسبق أَحدهما، فارتقى المسبوقُ على سَلْع فصاح يا كعب، أَبْشِر بتوبة الله ـ تعالى ـ وقد أَنزل الله ـ تعالى ـ عز وجل فيكم القرآن، وزعموا أَن اللذين سعيا أَبو بكر وعمر، قال كعب: فخررت ساجداً أَبكي فرحاً بالتوبة،

وعرفت أن قد جاءَ فرج، وآذن رسولُ الله ـ ﷺ ـ بتوبة الله ـ تعالى ـ علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهبَ الناسُ يبشروننا، وذهب قِبَل صاحبيَّ مبشرون، ورَكَضَ إليَّ رجلٌ على فرس ـ وعند محمد بن عمر: هو الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ قال كعب: وسعى ساعٍ من أَسْلَم حتى أَوفى على الجبل وعند محمد بن عمر: أنه حمزة بن عمرو الأَسلميّ: قال كعب: وكان الصوتُ أَسرع من الفرس، فلما جاءَني الذي سمعتُ صوته، وهو حمزة الأَسلمي يبشرني، نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أَملكُ غيرهما يومئذ. واستعرت ثوبين من أَبي قتادة ـ كما عند محمد بن عمر ـ فلبستهما. قال: وكان الذي بَشَّر هلال بن أُمية بتوبته سعيد بن زيد، فما ظننت أَنه يرفع رأْسه حتى تخرج نفسه، أَي من الجهد، فقدْ كان آمتنع عن الطعام حتى كان يواصل الأَيام صِيَاماً لا يَفْتُرُ عن البكاءِ، وكان الذي بشر مرارة بن الربيع بتوبته سِلكان بن سلامة أَو سلامة بن وقش.

قال كعب: وآنطلقت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فتلقاني الناسُ فوْجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة، يقولون: لِتَهْنِكَ توْبةُ الله ـ تعالى ـ عليك. قال كعب: حتى دَخَلتُ المسجد، فإذا برسول الله ـ ﷺ ـ جالس حوله الناس، فقام إليَّ طلحةُ بنُ عُبَيْد اللّه يُهَرْوِلُ حتى صافحني وهنأني. والله ما قام إلى رجلٌ من المهاجرين غيرُه ولا أَنساها لطلحة. قال كعب: فَلمَّا سَلَّمْتُ على رسول الله ـ ﷺ ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يَبْرُق وجهه من السرور [أَبْشِر بِخَيْرِ يَوْمٍ مرَّ عَليْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ] فقلت: يا رسول الله، إمِنْ عندك أَم من عند الله؟ قال: «لا بل من عند الله، إنكم صدقتم الله فصدقكم الله» وكان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا سُرَّ اسْتَنَار وَجْهُه كأَنه قطعة قمَر، وكنا نعرف ذلك: منه، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يديه قُلْتُ: يا رسول الله، إنَّ مِنْ تَوْبَتي أَن أَنْخلِعَ مِنْ مَالِي كُلِّه صَدَقةً إلى الله ـ تعالى ـ وإلى رسوله ـ ﷺ ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فهو خيرٌ لَكَ» قلت: نصفه؟ قال «لا» قلت: ثلثه؟ قال: «نعم» قلت: فإني أَمسك سهمي الذي بخيبر، وقلت: يا رسول الله إنما نَجَّانِي الله ـ تعالى ـ بالصدق وإنَّ مِنْ تويتي أَلا أُحدث إلاَّ صِدْقاً ما بقيت، فوالله ما أَعلم أَحداً من المسلمين أَبْلاه الله ـ تعالى ـ في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ أَحسن مما أَبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ إلى يومي هذا كذباً، واني لأَرجوا أَن يحفظني الله ـ تعالى ـ فيما بقيت، فأَنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ على رسوله ـ ﷺ ـ: ﴿**لَقَدْ تَابَ اللّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصارِ**﴾ إلى قوله: ﴿**وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة ١١٧، ١١٩] فوالله ما أَنعم الله عليَّ من نعمة ـ بعد أَنْ هَدَاني للإسلام ـ أَعظم في نفسي من صدقي لِرسول الله ـ ﷺ ـ أَن لا أَكون كذبته فَأَهْلِكَ كما هلك الذين كذبوا، فإن الله تعالى قال في الذين كذبوا حين أَنزل الوحي شرَّ ما قال لأَحد، فقال تبارك وتعالى: ﴿**سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إذا**

﴿انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾ [التوبة ٩٥، ٩٦].

قال كعب: وكنا قد تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله - ﷺ - حين حلفوا له فبايعهم وآستغفر لهم، وأرجأ رسول الله - ﷺ - أمرنا حتى قضى الله سبحانه وتعالى فيه بذلك قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ [التوبة ١١٨] وليس الذي ذكر الله مما خُلِّفْنَا عن الْغَزْو وإنما تحليفه إيَّانَا وَإِرْجَاؤُه أمرنا عمن حلَف له واعتذر إليه، فقبل منه.

وروى ابن عساكر عن كعب بن مالك - رضي الله عنه - قال: لما نزلت توبتي قبّلتُ يدَ رسول الله - ﷺ -.

ذكر أقوام تخلفوا من غير عذر

روى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما. والبيهقي عن سعيد بن المسيب رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿وآخَرُونَ آعْتَرَفُوا بذنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً﴾ [التوبة ١٠٢] قال ابن عباس كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله - ﷺ - في غزوة تبوك منهم: أبو لُبابة، وسمى قتادة منهم: جَد بن قيس وجذام بن أوس. رواه ابن أبي حاتم.

فلما قفل رسول الله - ﷺ - أوثق سبعةٌ منهم أنفسهم بسواري المسجد، وكان ممرّ رسول الله - ﷺ - إذا رجع من السمجد عليهم، فلما رآهم رسول الله - ﷺ - قال: «من هؤلاء الموثقون أنفسهم» قالوا: هذا أبو لُبَابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله، فعاهدوا الله ألَا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم فترضى عنهم وتعذرهم، وقد اعترفوا بذنوبهم، فقال رسول الله - ﷺ - «وأنا أُقسم بالله لا أُطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله تعالى هو الذي يطلقهم؛ رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين»(١) فلما بلغهم ذلك قالوا: ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله تبارك وتعالى هو الذي يطلقنا، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم﴾ [التوبة ١٠٢] وعسى من الله واجب؛ ﴿إنه هو التواب الرحيم﴾ [البقرة ٣٧] فلما نزلت أرسل رسول الله - ﷺ - إليهم فأطلقهم وعذرهم. قال ابن المسيب: فأرسل رسول الله - ﷺ - إلى أبي لبابة ليطلقه، فأبى أن يطلقه أحدٌ إلا رسول الله - ﷺ - فجاءه رسول الله - ﷺ - فأطلقه بيده، فجاءُوا بأموالهم فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا، فقال رسول الله - ﷺ -: «مَا أُمِرْتُ أَنْ آخُذَ أَمْوَالَكُم» فأنزل الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: آستغفر لهم ﴿إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة ١٠٣]

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٥/٢٧٢.

يقول: رحمة لهم فأَخذ منهم الصدقة، واستغفر لهم وكان ثلاثة نفر منهم لم يوثقوا أَنفسهم بالسواري فأُرْجِئُوا سَنةً لا يدرون يعذبون أَو يتاب عليهم، فأَنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة ١١٤] إلى آخر الآية. وقوله: ﴿وعلى الثلاثة الَّذِين خُلِّفُوا﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة ١١٨] يعني آستقاموا فأَنزل الله تَبَارَك ـ وتعالى ـ في شأْن هذه الغزوة كثيراً من سورة براءَة تقدم كثير من ذلك في محالِّه.

قال البيهقي: وزعم ابن إِسحاق أَن ارتباط أَبي لبابة كان في وقعة بني قريظة، وقد روينا عن ابن عباس وسعيد بن المسيب ما دلَّ على أَن ارتباطه كان بتخلفه في غزوة تبوك.

تنبيهات

الأول: تَبُوك ـ بفتح الفوقية وضم الموحدة وهي أَقصى أَثر رسول الله ـ ﷺ ـ وهي في طرف الشام من جهة القبلة، وبينها وبين المدينة المشرفة اثنتا عشرة مرحلة. قال في النور: وكذا قالوا، وقد سرناها مع الحجيج في اثنتي عشرة مرحلة، وبينها وبين دمشق إِحدى عشرة مرحلة. والمشهور ترك صرفها للعلمية والتأْنيث. وفي حديث كعب السابق: ولم يذكرني رسول الله ـ ﷺ ـ حتى بلغ تبوكاً كذا في جميع النسخ في صحيح البخاري وأَكثر نسخ صحيح مسلم تغليباً للموضع، وكذا قال النووي والحافظ وجَمْعٌ. قال في التقريب: وهو سَهْوٌ لأَن علَّة منعه كونه على مثال الفعل «تَقُول» فالمذكر والمؤنث في ذلك سواءٌ.

قال في الروض تبعاً لابن قتيبة: سُمِّيت الغزوة بعين تبوك، وهي العين التي أَمر رسول الله ـ ﷺ ـ أَلا يمسوا من مائِها شيئاً فسبق إِليها رجلان، وهي تبض بشيء من ماء فجعلا يدخلا فيها سهمين ليكثر ماؤها، فسبهما رسول الله ـ ﷺ ـ وقال لهما رسول الله ـ ﷺ ـ: ما زلتما تَبُوكانها منذ اليوم، فلذلك سُمِّيت العين تبوك. البوكُ كالنَّقْشِ والْحَفْرِ في الشيء، ويقال: منه باك الحمارُ الأَتانَ يَبُوكها إِذا نزا عَليهَا. قال الحافظ: وقعت تسمِيتها بذلك في الأَحاديث الصحيحة «إِنكم ستأْتون غداً عين تبوك». رواه مالك ومسلم. قلت: صريح الحديث دالّ على أَن تبوك اسم على ذلك الموضع الذي فيه العين المذكورة. والنبي ـ ﷺ ـ قال هذا القول قَبْلَ أَن يَصلِ تَبُوك بيوم. وذكرها في المحكم في الثلاثي الصحيح، وذكرها ابن قتيبة والجوهري وابن الأَثير وغيرهم في الْمُعتَل في بوك.

الثانـي: وقع في الصحيح ذكرها بعد حجة الوَداع. قال الحافظ: وهو خطأٌ، ولا خلاف أَنه قبلها ولا أُظن ذلك إِلا من النُّسَّاخ، فإِن غزوة تبُوك كانت في رجب سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف. وعند ابن عائِذ من حديث ابن عباس: أَنها كانت بعد الطائف بسِّتِة أَشهر،

وليس مخالفاً لِقَوْل من قال إنها في رجب إذا حذفنا الكسور لأَنه ـ ﷺ ـ قد دخل المدينة من رجوعه إلى الطَّائف في ذي الحجة.

الثالث: قول أَبي موسى: إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «خُذْ هَذَيْنِ القَرِينَيْنِ وَهَذَيْن القرينَين، أَي الجملين المشْدُودَيْن أَحدهما إلى الآخر» لستة أَبعرة، لعله قال: هذين القرينين ثلاثاً، فذكر الرواة مرتين اختصاراً. ولأَبي ذرٍّ عن الحموي والمُستملي: وهاتين القرينتين وهاتين القرينتين، أَي الناقتين. وفي رواية في بَابِ قدوم الأَشعريين وأَهل اليمن في الصحيح: فأَمر لنا بخمس ذَوْد. وفي باب الاستثناء في الأَيمان بثلاثة ذوْد. والرواية الأُولى تجمع بين الروايات، فلعل رواية الثلاثة باعتبار ثلاثة أَزواج، ورواية الخمس باعتبار أَن أَحد الأَزواج كان قرينه تبَعاً فاعتدَّ به تارةً ولم يعتد به أُخرى، ويمكن أَن يجمع بينهما بأَنه أَمر لهم بثلاثة ذَوْد أَوَّلاً ثم زادهم اثنين؛ فإن لفظ زهدم أَحد رواة الحديث: ثم أُتِيَ بنهب ذَوْد غُر الذُّرَى فَأَعْطانا خمس ذَوْد فوقعت في رواية زهدم جملةُ ما أَعطاهم، ورواية غيلان: مبدأ ما أَمر لهم به ولم يذكر الزيادة، وأَمَّا رواية: خذ هذين القرينين ثلاث مرار، وفي رواية: ستة أَبعرة، فعلى ما تقدم أَن تكون السادسة كانت تبعاً فلم تكون ذودتها موصوفة بذلك، قال الحافظ في رواية: ستة أَبعرة إما أَن يحمله على تعدد القصة أَو زاداهم على الخمس واحداً.

الرابع: في رواية أَبي موسى قال: أُتيَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ بنَهْب إبل فأَمر لنا بخمس ذود. وفي رواية بعد قوله «خذ هذين القرينين» ابتاعهن من سعد ولم ينبه الحافظ على الجمع بين الروايتين فيحتمل ـ والله أَعلم ـ أَن يكون ما جاءَ من النهب أَعطاه لسعد ثم اشتراه منه لأَجل الأَشعريين، ويحتمل على التعدد.

الخامس: قال الحافظ: إنما غلظ الأَمر على كعب وصاحبيه وهوجروا؛ لأَنهم تركوا الواجب عليهم من غير عذر لأَن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم النفير ولحق اللوم بكل فرد؛ أَي لو تخلف قال ابن بطال: إنما اشتد الغضب على من تخلف وإن كان الجهاد فرض كفاية لكنه في حق الأَنصار خاصة فرض عين لأَنهم بايعوا على ذلك، ومصداق ذلك قولهم وهم يحفرون الخندق:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَداً

وكأَنْ تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة لأَنها كالنُّكثِ لبيعتهم/ قاله ابن بطال: قال السهيلي: ولا أَعرف له وجهاً غير الذي قاله ابن بطال. قال الحافظ: قد ذكرت وجهاً غير الذي ذكره، ولعله أَقْعَد ويؤيده قوله سبحانه وتعالى: ﴿**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ**﴾ الآية. وعند الشافعية: أَن الجهاد كان فرض عين في

زمنه - ﷺ - فعلى هذا فيتوجه العتاب على كل من تخلف مطلقاً.

السادس: قول أَبي قتادة لـم سأَله كعبٌ: اللّه ورسوله أَعلم. قال القاضي: لعل أَبا قتادة لم يقصد بهذا تكليمه؛ لأَنه منهى عن كلامه. وإِنما قال ذلك لنفسه لـمَّا ناشده، فقال أَبو قتادة مظهراً لاعتقاده لا ليُسْمِعُه.

السابع: قول كعب: قال لي بعض أَهلي. قال في النور: الظن أَن القائل له من بعض أَهله امرأَة، وذلك أَن النساءَ لـم يدخلن في النهي؛ لأَن في الحديث «ونهى المسلمين عن خطابنا» وهذا الخطاب لا يدخل فيه النساءُ، وأَيضاً فإِن امرأَته ليست داخلة في النهي، فدل على أَن المراد الرجال، وقال الحافظ: لعل القائل بعض ولده أَو من النساء، ولـم يقع النهي عن كلام الثلاثة للنساء اللائي في بيوتهن أَو أَن الذي كلمه كان منافقاً أَو الذي يخدمه. ولـم يدخل في النهي.

الثامن: قال في النور: لعل الحكمة في هجران كعب وصاحبيه خمسين ليلة أَنها كانت مدة غيبته - ﷺ - لأَنه خرج في رجب على ما قاله ابن إِسحاق، وقدم في رمضان، وقال بعضهم: في شعبان، وتقدم أَنه أَقام في تَبُوك بضعة عشر يوماً، ويقال عشرين، هذا ما ظهر لي وأَنت من روائها للبحث والتنقيب.

التاسع: دَلَّ صنْعُ كَعْبٍ بكتابِ ملك غسَّان على قوة إِيمانه ومحبتِهِ لله - تبارك وتعالى - ورسوله - ﷺ - وإِلا فمن صار في مثل حاله من الهجر والإِعراض قد يَضْعُف عن احتمال ذلك، وتحمله الرغبةُ في الجاه والمال على هجران مَنْ هجره، ولا سيما مع أَنه مِنَ المَلِكِ الذي استدعاه إِليه؛ لأَنه لا يكرهه على فراق دينه لكن لما احتمل عنده أَنه لا يأْمن من الافتتان حسم المادة وأَحرق الكتاب ومنع الجواب، هذا مع كونه من البشر الذين طبعَت نفوسهم على الرغبة ولا سيما مع الاستدعاء والحثّ على الوصول إِلى المقصود من الجاه والمال، ولا سيما والذي استدعاه قريبه، ومع ذلك فغلب عليه دينه، وقوى عنده يقينه، ورجح ما فيه من التّكْرِ والتعذيب على ما دُعِي إِليه من الراحة والتنعيم حُبًّا في الله تعالى ورسوله - ﷺ - كما قال - ﷺ - «وأَن يكون الله ورسوله أَحب إِليه مما سواهما».

العاشر: قال بعضهم: سبب قيام طلح لكعب رضي الله عنهما - أَن رسول الله - ﷺ - كان آخى بينهما لـمَّا آخى بين المهاجرين والأَنصار، والذي ذكره أَهل المغازي: أَن رسول الله - ﷺ - كان أَخا الزبير لكن كان الزبير أَخا طلحة في أَخوة المهاجرين فهو أَخو أَخيه.

الحادي عشر: استشكل إِطلاق قوله - ﷺ - «أَبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أُمك» بيوم إِسلامه، فإِنه مرّ عليه بعد أَن ولدته أُمه، وهو خير ما مر فقيل هو مستثنى تقديراً، وإِن لـم ينطق به لعدم خفائه، قال الحافظ: «والأَحسن في الجواب أَن يوم توبته يُكْمّل يوم إِسلامه

فيوم إسلامه بداية سعادته ويوم توبته مكمل لها، فهو خير من جميع أيامه، وإن كان يوم إسلامه خيرها فيوم توبته المضاف إلى إسلامه خير يوم من يوم إسلامه المجرد عنها».

الثاني عشر: في بيان غريب ما سبق:

العُسْرة ـ بمهملتين الأُولى مضمومة والثانية ساكنة، مأْخوذ من قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ**﴾ [التوبة ١٢٠] أي الشدة والضيق.

الأَنباط: نسبه إلى استنباط الماء واستخراجه، وهؤلاءِ كانوا في ذلك الوقت أَهل الفلاحة، ويقال: إن النبط ينسبون إلى نبيط بن هانب بن أُميم بن لاوذ بن سام بن نوح.

الروم ـ جيل من الناس معروف كالعرب والفرس، وهم الذين يسميهم أَهل بلادنا الفرنج، من ولد روم بن عيص بن إسحاق، غلب عليهم اسم أَبيهم فصار كالاسم للقبيلة، وإن شئت قلت: هو جمع رومي منسوباً إلى الروم بن عيص.

هِرَقْل ـ بكسر الهاء وفتح الراء وبالقاف هذا هو المشهور، ويقال بكسر الهاءِ والقاف وسكون الراء، وهو اسم علم له، ولقبه قيصر، وهو أَعجمي تكلمت به العرب.

أُجْلِيَت ـ بالجيم، والبناء للمفعول.

لَخْم نائب الفاعل بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة.

جُدام ـ بضم الجيم وبالدال المهملة.

البلقاء ـ بفتح الموحدة وسكون اللام وبالقاف والمدّ.

حُصَيْن ـ والد عمران ـ بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وسكون التحتية وبالنون.

السنون جمع سَنة ـ بفتح السين المهملة، وهو الجَدْب ضد الخِصْب.

يستفزونك: يزعجونك ويقتلونك. والأَرض هنا أَرض المدينة.

قُرْبَان المسجد ـ بضم القاف وكسرها فراء ساكنة فأَلف فنون: الدنو منه.

لتقطعن: بضم الفوقية. والمتاجر نائب الفاعل.

عن يد: قهر وإذلال.

صاغرون: ذليلون مهانون.

زمان عسرة: شدة.

الجَدْب ـ بفتح الجيم وسكون الدال المهملة وبالموحدة: القحط.

المُقَام ـ بضم الميم وفتحها: الإقامة وعدم السفر.

الشُّخُوص ـ بضم الشين والخاء والمعجمتين: الذهاب، يقال شخص من بلد إلى بلد شخوصاً إذا ذهب.

الشُّقَّة ـ بضم الشين المعجمة وتشديد القاف: وهو هنا السّفر البعيد.

الجِهَاز ـ بكسر الجيم وفتحها ما يحتاجه المسافر في قطع المسافة.

أَوْعَب معه: خرجوا بأجمعهم.

آنْفِرُوا: أَسرعوا.

آثَّاقلْتُمْ إِلى الأَرض: اضطجعتم واطمأْننتم، وأَصله آتَثاقَلْتُم.

متاع الحياة الدنيا: المتاع كل شيء ينتفع به ثم يفنى، وأُضيف إلى الحياة الدنيا إشارة إلى عدم بقائه.

خِفَافاً: جمع خفيف.

وثِقَالاً: جمع ثقيل، أَي شباناً وشيوخاً، أَو ركباناً ومشاة وأَغنياء وفقراء، وقيل غير ذلك.

عَرَضاً قريباً ـ بفتح العين والراء: ناحية قريبة.

وَسفَراً قاصداً: قريباً أَو غير شاق.

الشُّقَّة ـ بضم الشين المعجمة المشددة هي في الأَصل السّفر البعيد، والمراد هنا الناحية التي ندبوا إليها.

وَرَّى بغيرها: سترها، وكنى عنها وأَوهم أَنه يريد غيرها، وأَصله من الورى، أَي أَلقى البيان وراءَ ظهره.

شرح غريب حثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على النفقة والحملان

الحُمْلاَن ـ بضم الحاء المهملة وسكون الميم: أَي الشيء الذي يركبون عليه ويحملهم.

العِصَابة ـ بكسر العين المهملة ـ هنا: الجماعة من الناس.

الأَحلاس: جمع حِلْس ـ بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وبالسين المهملة: كساء يكون تحت البرذعة.

المِرْقاة والمرقى والمرتقى: موضع الرُّقي ـ بفتح الميم وكسرها.

يقول بيده هكذا: تقدم في شرح غريب غَزْوة الفتح.

الطَّيَالسي ـ بفتح الطاء المهملة وكسر اللام.

الخِطام ـ بكسر الخاء المعجمة: كل ما يقاد به البعير.

العِقال ـ بكسر العين المهملة وبالقاف والألف واللام، يقال عقلت البعير أَعقِلة ـ بالكسر: ثنيت ضبعه أَي خُفَّه مع ذراعه فشددتهما معاً في وسط الذراع بحبل.

الاحْتساب: آدّخار أَجر العمل وأَن يحسبه العامل في حسناته.

شرح غريب بعض ما دار بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين بعض المنافقين

الجَد بن قيس ـ بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة.

النَّفر ـ بفتح النون والفاء: جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة أَو إلى سبعة.

الضَّبْعَة ـ بفتح الضاد المعجمة وسكون التحتية: واحدة الضّباع.

تُحْقِبُ: تُرْدِف خلفك.

بنات بني الأَصفر: يعني الروم، قال في الإملاء، يقال إنهم من أَولاد عيص بن إسحاق، وكان فيما يقال مصفر اللون، وأَما الروم القديمة فهم بزنان.

لِجِلاَد ـ بكسر اللام وبكسر الجيم: الضراب بالسيوف.

الدوائر: جمع دائرة، وهي النائبة التي تنزل بالإنسان فتهلكه.

محيطة بالكافرين: مُهْلِكَتُهم وجامعتهم.

ثبَّطه عن أَمره: عوقه عنه.

جَبَّار ـ بفتح الجيم وتشديد الموحدة.

صخر ـ بفتح الصاد المهملة وبالخاء المعجمة وبالراء.

الإرجاف: الخوض في الأَخبار الكاذبة في الفتنة ليضطرب الناس.

عبد اللّه بن حارثة بالحاء المهملة وبالثاء المثلثة.

سُوَيْلم ـ بسين مهملة مضمومة فواو فتحتية ساكنة فلام مكسورة فميم.

اقتحم: أَلقى نفسه.

مسجد الضِرار ـ بكسر الضاد المعجمة، وفي الأَصل فِعَال من الضَّر ـ بفتح المعجمة: أَي مجازي من أَضره بمثل فعله.

على جناح سفر: أَي نريده.

شرح غريب خبر المخلفين والمعذرين والبكائين

المعَذِّرُون ـ جمع معذر بتشديد الذال المعجمة، وقد يكون صادقاً، وقد يكون كاذباً. فالصادق أَصله المعتذر ولكن التاءَ قلبت ذالاً فأدغمت في الذال، والكاذب معذر على أَصله وهو المعرض المقصر الذي يتعلل بغير عذر صحيح.

القُرَظي بضم القاف وفتح الراء وبالظاء المعجمة المشالة.

هَرمي ـ بفتح الهاء وكسر الراء ويقال هَرِم.

عُلْبة ـ بضم العين المهملة وسكون اللام وبالموحدة وتاء تأْنيث.

عِربَاض ـ بكسر العين المهملة وسكون الراء وبالموحدة وبالضاد المعجمة.

سارِية ـ بالسين المهملة وكسر الراء وبالتحتية.

حُمام ـ والد عمرو ـ بضم الحاء المهملة والتخفيف.

الجَمُوح ـ بفتح الجيم وضم الميم وبالحاء المهملة.

عَنَمَة: والد عمر بفتح العين المهملة والنون والميم.

مُغَفَّل: والد عبد اللّه ـ بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء المفتوحة وباللام.

مَعْقِلُ بن يسَار ـ بفتح الميم وسكون المهملة وكسر القاف، وأَبوه بالتحتية والمهملة.

بنو مُقرِّن ـ بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء المكسورة.

ابن يامين ـ كذا في نسخة من السيرة الهشامية، والعيون «ابن يامين» وصوابه «يامين» بإِسقاط ابن.

النَّضْري ـ بفتح النون وسكون الضاد المعجمة.

الناضح ـ بنون وبعد الأَلف ضاد معجمة فحاء مهملة، وهو من الإِبل الذي يستقي عليه الماء.

شرح غريب حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ وما بعده

لا أَشعر: لا أَعلم.

وجد عليه: حزن.

جيءَ ـ بالبناء للمفعول: أُتِيَ بضم الهمزة.

نَهْب إِبل: بتنوين الموحدة واللام.

الَبث: آمكث.

شُوَيعة: تصغير ساعة من الزمان.

القرينين: الجملين المشدودين أَحدهما إِلى الآخر، وقيل النظيرين المتساويين، وفي رواية: هاتين القرينتين: أَي الناقتين.

بخمس ذود ـ بفتح الذال المعجمة وسكون الواو وبالدال المهملة: ما بين الستة إِلى التسعة من الإِبل، وهي مؤنثة.

غُرّ ـ بضم الغين والراء.

الذُّرى ـ بضم الذال المعجمة وفتح الراء: جمع ذروة، وهي أَعلى كل شيء: أَي بيض الأَسنمة.

الجُرُف ـ بضم الجيم والراء وبالفاء على ثلاثة أَميال من المدينة إِلى جهة الشام.

سِبَاع ـ بكسر السين المهملة وتخفيف الموحدة.

عُرْفُطة ـ بضم العين المهملة وسكون الراء وضم الفاء وبالطاء المهملة.

شرح غريب ذكر خروج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قوله: عسكر ـ بعين فسين مهملة فكاف فراء: جمع.

ثنية الوداع ـ تقدم الكلام عليها مبسوطاً في أَبواب دخوله ـ ﷺ ـ المدينة.

على حِدَة ـ بكسر الحاء وفتح الدال المهملتين: أَي منفرداً وحده بعسكره لم يختلط بعسكر النبي ـ ﷺ ـ.

ذُباب ـ بذال معجمة وزن كتاب وغراب ـ لغتان: جبل بقرب المدينة.

مقرنين: مجعولين قرناً باليدين.

السويداء ـ تصغير سوداء: موضع على ليلتين من المدينة.

الفغواء ـ بفتح الفاء وسكون الغين المعجمة وبالواو.

الخُزاعي ـ بضم الخاء المعجمة ـ وبالزاي.

أُسَيْد ـ بضم أَوله وفتح ثانيه وسكون ثالثه وبالدال المهملة.

وحُضير ـ بالحاء المهملة والضاد المعجمة كذلك.

دُجَانة ـ بضم الدال المهملة وتخفيف الجيم وبالنون.

شرح غريب قصة تخلف أبي ذر وأبي خيثمة ـ رضي الله عنهما وإخباره صلى الله عليه وسلم ـ بما قاله جماعة من المنافقين

نِضْو ـ بنون مكسورة فضاد معجمة فواو: الدابة التي اهتزلتها الأَسفار، وأَذهبت لحمها.

أَعجف: ضعيف.

أَذَمّ بي ـ بفتح أَوله والذال المعجمة وتشديد الميم: حَبَسَني.

التَّلَوُّم ـ بفتح الفوقية واللام وتشديد الواو وبالميم: الانتظار والمكث.

أَبطأَ ـ بهمز أَوله وآخره.

يتّبع ـ بالتخفيف والتشديد.

أَثَر رسول الله ـ ﷺ ـ بفتح الهمزة والثاء المثلثة، وبكسر الهمزة وسكون الثاء، وحكى بتثليث الهمزة.

يمشي وحده، وكذا الباقي: أَي منفرداً.

كن أَبا ذر ـ بلفظ الأَمر، ومعناه الدعاء، كما تقول اسلَمْ؛ أَي سلمك الله.

العريش ـ بفتح العين وكسر الراء: كل ما استظل به.

الحائط: البستان من النخيل إِذا كان عليه حائط.

الضِّحّ بكسر الضاد المعجمة وتشديد الحاء المهملة، قال في الإِملاء: الشمس، وفي النهاية هو ضوء الشمس إِذا استمكن من الأَرض وهو كالقمر، وهذا أَصل الحديث ومعناه، وهو أَشبه مما فسره به الهروي فقال: أَراد كثرة الخيل والجيش، يقال: حافلان بالضح والريح، أَي لما طلعت عليه الشمس وهبَّت عليه الريح يعنون المال الكثير.

النّصَف ـ بفتح النون والصاد المهملة وبالفاء.

أَن تَخَلَّف عني ـ بحذف إِحدى التاءَين وتشديد اللام المفتوحة.

أَولى لك ـ قال في الإِملاء: كلمة فيها معنى التهديد، وهي اسم سمي به الفعل، ومعناها فيما قاله المفسرون دين من الهلكة.

الرهط: ما دون العشرة من الرجال.

وَدِيعَة ـ بفتح الواو وكسر الدال وبالعين المهملة.

ثابت ـ بالثاء المثلثة وبالموحدة والفوقية.

الجُلاَس ـ بضم الجيم والتخفيف وآخره سين مهملة.

مَخْشِي ـ بفتح الميم وسكون الخاء وكسر الشين المعجمتين بعدها ياء كياء النسبة.

ابن حُمَيِّر: بضم الحاء المهملة وفتح الميم المخففة وتشديد التحتية.

فليأت ـ بهمزة مفتوحة قبل تاء التأْنيث الساكنة.

أُقَاضَى ـ بضم الهمزة وفتح الضاد المعجمة بالبناء للمفعول.

حقب الناقة: عجزها.

فتسفان التراب: ترفعانه.

عُفِيَ عنه: بالبناء للمفعول.

ولا يُعْلَم مكانه: كذلك.

اليمامة ـ بفتح التحتية: بلد باليمن.

شرح غريب ذكر نزوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمروة ونزوله بوادي القرى

ذي المروة بلفظ أخت الصفا من أعمال المدينة على ثمانية بُرُد منها الخليجة.

الدوم ـ بفتح الدال المهملة: جمع دومة كذلك وهي ضخام الشجر، وقيل هو شجر المُقل.

وادي القُرى ـ بضم القاف وفتح الراء: جمع قرية.

الحديقة: كل ما أَحاط به البناء من البساتين، ويقال للقطعة من النخل حديقة وإن لم تكن محاطاً بها.

الخَرْص ـ بفتح الخاءِ المعجمة وسكون الراء وبالصاد المهملة، وهو هنا الحزر الذي حزر ما على النخل من الرطب تمراً.

الوَسْق ـ بفتح الواو وكسرها: ستون صاعاً.

بنو العريض ـ بفتح العين المهملة وكسر الراء وبالضاد المعجمة.

شرح غريب ذكر نزوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالحجر

[الحِجْر] بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم وبالراء: اسم ديار ثمود، بين المدينة والشام.

أَبو كبشة ـ بفتح الكاف وسكون الموحدة وبالشين المعجمة.

الأَنماري بفتح أَوله وبالنون.

أَبو حُمَيد ـ بضم الحاء المهملة وسكون التحتية وبالدال المهملة.

تَقَنَّعَ بردائه ـ بفتحات والنون مشددة: أَي ستر رأسه.

أَوضع راحلته ـ بالضاد المعجمة والعين المهملة: أَسرع بها.

ثمود ـ إن أُريد به اسم القبيلة لم ينصرف للعلمية والتأْنيث المعنوي، وإن أُريد به اسم الأَب انصرف.

أَن يصيبكم ـ بفتح الهمزة مفعول له، أَي كراهة الإِصابة.

أَهريقوها: صبوا ما فيها.

الفَجّ ـ بفتح الفاء وتشديد الجيم: الطريق الواسع، والجمع فجاج بكسر الفاء.

تصدر: ترجع بعد ورود مياههم.

﴿عَتَوْا عن أَمر ربهم﴾: جاوزوا الحد في التكبر والتجبر وركوب البهتان.

أَهْمدهُ الله تعالى: أهلكه.

أَبو رِغَال ـ بكسر الراء وبالغين المعجمة واللام.

من أَنفسكم: منكم.

لا يعبأ بعذابكم: ما يصنع به، أَو ما يبالي به.

خُنِقَ ـ بضم الخاء المعجمة وبالنون والبناء للمفعول.

مَذْهَبه ـ بفتح الميم والهاء وسكون الذال المعجمة بينهما: وهو الموضع الذي يتغوط فيه.

جبلي طيّىء: هما أَجَأ بفتح الهمزة والجيم وهمز آخره، وبالقصر، وسلمى ـ بفتح السين المهملة وسكون اللام وبالقصر.

شرح غريب استسقائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين شكوا إليه العطش وأخباره باضلال ناقته، وما بعد ذلك

قوله: القَيْظ ـ بفتح القاف وسكون التحتية وبالظاء المعجمة المشالة: شدة الحر.

الفَرْث ـ بفتح الفاء وسكون الراء وبالثاء المثلثة: السِرجين في الكرش.

أَبو حرزة الأَنصاري ـ بفتح الحاء المهملة وسكون الراء بعدها زاي فتاء تأنيث.

النَّوء ـ بفتح النون وبالهمز: مصدر نأَى النجم ينوء نوءاً، والمراد سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق، وكانوا يعتقدون أَنه لا بد عند ذلك من مطر أَو ريح فمنهم من يجعله للطالع. لأنه ناءَ ومنهم من ينسبه للمُغارب، فنفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك، ونهى عنه، وكفر من اعتقد أَن النجم فاعل ذلك، ومن جعله دليلاً فهو جاهل بمعنى الدلالة، قال في النهاية: ومن أَسند ذلك للعادة التي يجوز إِنخرامها فقد كرهه قوم وجوّزَه قوم.

القصواء: كحمراء.

عقبياً: شهد بيعة العقبة.

اللصَيت: والد زيد، تصغيراً لصْت بتثليث اللام وسكون الصاد وبالفوقية: وهو اللص في لغة طيء.

قينقاع: تقدم في غزوتها.

الشعب ـ بكسر الشين وسكون العين المهملة: ما انفرج بين الجبلين.

الزِمام ـ بكسر الزاي: المقود الذي تقاد به الدابة.

آنِفاً ـ بفتح أَوله وكسر النون وبالفاء «والمد والقصر»: قريباً.

يجأ في عنقه: يطعن.

الإِدَاوة ـ بكسر أَوله: المطهرة.

نكص على عقبيه نكوصاً، أَي من باب قعد: رجع، قال ابن فارس: والنكوص الإِحجام عن الشيء.

تواثب الناس: قاموا.

الغبطة: أَن تحب أَن يكون لك مثل ما أَعجبك من أَمر أَخيك دون أَن يُسْلَبه.

الفحل: الذكر من الحيوان، والمراد هنا ذكر الإِبل.

في في فحل ـ في الأُولى حرف جر، والثانية اسم للفم.

يقضمها ـ بفتح الضاد المعجمة وضمها: أَي يعضها، والقضم في الأَصل الأَكل بأَطراف الأَسنان، فاستعير هنا للعضّ.

انصاع الناس عنها ـ بكسر أَوله وسكون النون وبالصاد والعين المهملتين: تفرقوا مسرعين.

شرح غريب ذكر نزوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقرب تبوك وغريب نزوله بتبوك، وما بعد ذلك

قوله الشراك: للنعل ـ بكسر الشين المعجمة: سيرها الذي على ظهر القدم.

تَبِض: بفتح الفوقية وكسر الموحدة وبالضاد المعجمة وتهمل: تسيل.

الشّن بفتح الشين: القربة الخلق.

الجنان ـ بكسر الجيم جمع جَنة بفتحها، سميت بذلك لجنها أَي سترها الأَرض بالشجر.

جاش الماء: ارتفع وجرى.

استرقد: رقد، أَي نام.

قِيدَ رُمح ـ بكسر القاف وبالدال المهملة: قَدْره.

اكْلأُلَنَا: احفظنا وارصد لنا الصبح.

أَوثق: أَحكم.

العُرَى ـ بضم العين المهملة: وفتح الراء: جمع عروة وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَقَدْ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة ٢٥٦] تأنيث الأَوثق أَي المحكمة، قال الزجاج: معناه فقد عقد لنفسه عقداً وثيقاً.

كلمة التقوى: لا إِله إِلا الله محمد رسول الله.

المِلل ـ بكسر الميم: جمع مِلَّة.

السُّنَّن: جمع سُنّة، وهي الطريقة.

خير الأُمور عوازمها: فرائضها التي عزم الله تعالى عليك بفعلها. والمعنى ذوات عزمها التي فيها عزم، وقيل؛ هي ما وكدت رأيك وعزمك عليه ووفيت بعهد الله فيه، والعزم: الجد والصبر.

لا يأتي الجمعة إِلا دَبْراً ـ بفتح الذال المعجمة وضمها وسكون الموحدة وضمها منصوب على الظرف: أَي بعد ما يفوت وقتها.

إِلا هجراً ـ بفتح الهاء وسكون الجيم: يريد الترك له والإِعراض عنه.

وقر الشيء: تمكن وثبت.

الارتياب: الشك.

جثى جهنم ـ بضم الجيم وفتح الثاء المثلثة: جمع جثوة بتثليث الجيم وسكون الثاء المثلثة، وهي الشيء المجموع.

السُّكُرْكَةُ بضم السين المهملة والكاف الأُولى وسكون الراء نوع من الخمور، يتخذ من الذرة.

حِبالة الشيطان ـ بكسر الحاء المهملة والجمع حبائل ـ بفتح الحاء: أَي مصيدته التي يصيد بها.

الشباب شعبة من الجنون: الشُّعبة - بضم الشين وسكون العين المهملة: الطائفة. من الشيء والقطعة منه، وإنما جعل الشباب شعبة منه لأَن الشباب يزيل العقل وكذلك الشباب قد يسرع إلى قلة العقل لما فيه من كثرة الميل إلى الشهوات والإقدام على المضار.

من يَتَأَلَّ على الله يكذبه - بفتح أوله. وبعد الفوقية همزة فلام مشددة: أَي من حكم عليه ويحلف؛ كقولك: فلان في الجنة وفلان في النار.

لا يرعوي بشيء منه: لا ينفك لا ينزجر، من رعا يرعو إذا كف عن الأُمور، وقد ارعوى عن القبيح يرعوي ارعواءً.

سعد هُذَيم - بإضافة سعد إلى هُذَيم - بضم الهاء - وفتح الذال المعجمة وسكون التحتية وبالميم.

النطع: المتخذ من الأَديم معروف، وفيه أَربع لغات: فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها، والجمع أَنطاع ونطوع.

الحميت - بفتح الحاءَ المهملة وكسر الميم وسكون التحتية وبالفوقية: زق السمن.

الأَقِط ككتف - ويسكن، مثلث الهمزة: شيء يتخذ من اللبن المخض، قال ابن الأَعرابي: من أَلبان الغنم خاصة.

الأَمعاء: جمع مِعاً بالقصر مثل عنب وأَعناب، وبالمد جمعه أَمعية مثل حمار وأَحمرة: وهو المصران، قوله: يأكل في معاء واحد: مثل ضُرِب لزهد المؤمن وحرص الكافر، وهو خاص في رجل بعينه كان يأكل كثيراً، فأَسلم كما في هذه القصة.

تحيّنًا لفدائه: طلبنا حينه وهو وقته.

الجِرَاب - بالكسر: وعاء من جلد، وقد يفتح، ومنعه ابن السكيت، وعزاه الجوهري للعامة، والجمع جُرُب مثل كتاب وكُتب وأَجربة.

نثره نثراً - من بابي قتل وضرب: رمي به متفرقاً.

تهجّد: قام، وصلى، والأخير المراد هنا.

بعثت إلى الناس كافة: تقدم الكلام عليه في الأَسماء الشريفة في حرف الكاف.

هل لك: [أَي هل تريد].

الآكام: جمع أَكم مثل جبل وجبال، وهو وأَكَمات جمع أَكمة، مثل قصبة وقصبات وجمع آكام أُكُم ككتب وجمعه آكام كأَعناق: تل، وقيل شرفة كالرابية، وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غلظ وربما لم يغلظ.

شرح غريب ذكر إرساله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دحية إلى هرقل

دِحيه ـ بكسر الدال المهملة وفتحها.

التَّنُوخي ـ بفتح الفوقية وضم النون المخففة وبالخاء المعجمة.

قِسيسي الروم بكسر القاف: جمع قسيس كذلك حذفت النون للإضافة، وهو عالم النصارى، ويجمع بالواو والنون تغليباً لجانب الاسمية، والقَس ـ بالفتح لغة فيه وجمعه قسوس مثل فلس وفلوس.

البَطَارِقة ـ بفتح الموحدة وكسر الراء: جمع بِطريق ـ بكسر الموحدة، وهو كالقائد من العرب.

نَخَرُوا ـ بالخاء المعجمة: تكلموا وكأنه كلام مع غضب ونفور، ونَخَرَ الحمار ونحره ـ ينخُر بالضم ـ بخياشيمه.

رقاهم: من الرُّقي ـ بضم الراء وهو الصعود.

لم يكد: لم يقرب.

تَجيب ـ بفتح الفوقية وهو أكثر، وبضمها: قبيلة من كندة.

يَريبَك ـ بفتح التحتية وتضم: ما تشك فيه.

كِسْرى ـ بفتح الكاف وكسرها: وهو أفصح، وهو لقب من يملك من ملوك الفرس مزقَ الكتابَ يمزِقه ـ بالكسر ـ شقه، ومزَّقه مشدداً، ومَزَّقهم اللّهُ كلَّ مُمَزَّق: أهلكهم.

خرقت الثوب: قطعته، وخرَّقته بالتشديد تخريقاً مبالغة.

البأْس: القوة.

الجَعْبة للنشاب ـ بفتح الجيم والجمع جِعاب مثل كَلبة وكِلاب، وجَعْبات مثل سَجْدات.

سَفْرٌ ـ بفتح السين المهملة وسكون الفاء: جمع مسافر كراكب ورَكْب.

مرملون: بالراء: فرغ زادنا.

الحُلَّة ـ بضم الحاء المهملة: برد من برود اليمن لا يكون إلا ثوبين من جنس واحد.

صفورية ـ بصاد مهملة مضمومة ففاء فراء فمثناة تحتية مشددة: جنس من النبات فكأن الحُلَّة صبغت به.

أَهوى: أَقصد.

الغُضروف ـ بضم الغين ـ وسكون الضاد الساقطة المعجمتين: رأْس لوح الكتف.

المِحْجَمَة والمحجم ـ بالكسر: قارورة الحجام.

الضخمة: العظيمة.

شرح غريب ذكر صلاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ذي البجادين ـ رضي الله عنه ـ وما بعده

مَيَّلاً: بميم فتحتية مشددة فلام مفتوحات فألف: ذا مال.

لتتوق نفسه إلى كذا ـ بمثناتين فوقيتين فواو فقاف: تشتاق.

البجَاد ـ بكسر الموحدة فالجيم والدال المهملة؛ الكساء الغليظ الجافي.

يتصفح الناس: ينظر في صفحات وجوههم وهي جلدة بشرتها.

لِحَاءُ شجر ـ بكسر اللام وبالحاء المهملة والمد والقصر: ما على العود من قشر، ولَحَوْت العودَ لَحواً من باب قال، ولحيته لحياً من باب باع: قشرته.

سمُرة ـ بفتح السين المهملة وضم الميم، ويجوز إسكانها.

وَقَصَتْه دابته وقصا من باب وعد: رمت به فدقت عنقه، فالعنق موقوصة.

النِّحي ـ بكسر النون وسكون الحاء المهملة والتحتية: سقاء السمن، والجمع أَنحاء. مثل حِمْلٍ وأَحْمَالٍ، ونِحاء أيضاً مثل بئر وبئار.

الخرير ـ بالخاء المعجمة: صوت الماء، واستعير هنا للسمن.

شرح غريب ذكر مصالحته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ملك أيلة وغريب ما بعده

قوله: أُكَيْدر ـ تصغير أكدر.

دومة بضم الدال المهملة وفتحها وسكون الواو فيهما.

أَشفق: بفتح أوله وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء وبالقاف: خاف.

أَيلة ـ بفتح الهمزة وإسكان التحتية: مدينة بالشام على النصف ما بين مصر ومكة على ساحل البحر.

يُحَنَّة ـ بضم التحتية وفتح الحاء المهملة والنون المشددة وتاء تأْنيث، ويقال: يُحَنّا بالأَلف بدل التاء، ولم أَعلم له إسلاماً، وكأنه مات على شركه.

رُؤبة ـ بضم الراء وسكون الهمزة وبالموحدة.

جَرْبا ـ بجيم مفتوحة فراء ساكنة فموحدة، تقصر وتمد: بلد بالشام تلقاءَ السراة.

أَذْرُح ـ بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الراء وبالحاء المهملة: مدينة بالشام، قيل هي فلسطين، قال في القاموس: بجنب جَرْباً، وغلطه من قال بينهما ثلاثة أَيام.

مقنا: قرية قرب أَيلة.

البحر ـ هنا بلدهم وأَرضهم.

الأَمَنَة ـ بفتح الهمزة والميم والنون فتاء تأْنيث: الأَمان لسفنهم وسائرهم.

يُمْنعوا ـ بالبناء للمفعول.

جُهَيْم ـ بضم الجيم وفتح الهاء وسكون التحتية.

الصَّلْت ـ بفتح الصاد المهملة وسكون اللام وبالفوقية.

شُرَحْبِيل ـ بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملة وكسر الموحدة.

حسنة: ضد سيئة.

وافية: كاملة تامة.

شَخص: رجع.

النواضح ـ بفتح النون وكسر الضاد المعجمة: جمع ناضح، وهو البعير الذي يستقى عليه الماء، ثم استعمل في كل بعير.

الحَمولة ـ بفتح الحاء المهملة: الإِبل التي تحمل.

رقاق: ضعاف.

الحديبية: تقدم في غروتها.

أَرْمَلنا ـ بالراء: أُنفِد زادُنا، وأَصله من الرمل كأَنهم لصقوا بالرمل.

أَفراق ـ بالفاء والقاف: جمع فَرَق بفتح الفاء والراء وتسكن: مكيال يسع ستة عشر رطلاً، وهي اثنا عشر مُدًّا وثلاثة آصع.

آصُع ـ بفتح أَوله وضم الصاد المهملة جمع صاع: مكيال، وهو أَربع أَمداد، وهي خمسة أَرطال وثلث بالبغدادي.

صدروا: رجعوا، والصدر الانصراف عن الورد وكل شيء.

شرح غريب ذكر بعض آيات وقعت في رجوع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من تبوك

قوله: قَافِل ـ بالقاف والفاء المكسورة: راجع.

خَفَق ـ بفتح الخاء المعجمة والفاء والقاف: أَخذته سِنَة من النّعاس فمال برأْسه دون سائر جسده.

دَعَمْتُه ـ بفتح الدال والعين المهملتين وسكون الميم: أَسندته لئلا يميل.

التعريس: النزول ليلاً.

الفلاة: البرية التي لا ماءَ بها.

المُشَقَّق ـ بضم الميم وفتح الشين المعجمة فقافين الأُولى مفتوحة: اسم ماء أَو واد.

الوشل: بفتح الواو والشين المعجمة وباللام: الماء القليل، ووشل الماء وشلا إِذا قَطَّر وفي الإِملاء: الوشل حجارة جبل يقطر منه الماء قليلاً، والوشل أَيضاً القليل من الماء.

سبَقَنا ـ بفتح الموحدة.

مُعَتب ـ بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الفوقية وبالموحدة.

قشير ـ بالقاف والشين المعجمة.

نَضَحَه ـ بالضاد المعجمة وبالحاء المهملة: رشه.

امرأَة من بَلِيّ بموحدة وكسر اللام وتشديد التحتية.

هُنَيْهَة ـ بضم الهاء وفتح النون وسكون التحتية وفتح الهاء وبتاء تأْنيث: أَي قليل من الزمان.

نهلت: رويت.

القعب ـ بفتح القاف وسكون العين المهملة وبالموحدة: قدح من خشب.

العِسَاس ـ بعين فسين فأَلف فسين مهملات وزن سهام، والأَعساس وزن أَقفال: جمع عُس ـ بضم العين وتشديد السين: وهو القدح الكبير.

يجيش: يفور.

الرِوَاء ـ ككتاب جمعه رَيَّان وريَّا.

فَضالى ـ بفتح الفاءِ ـ وبالضاد المعجمة المخففة.

يزجون ظهرهم ـ بالزاي والجيم: يعوقون.

فاستمرت: قويت وسارت.

شرح غريب ذكر إرادة بعض المنافقين الفتك برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قوله: الفتك: القتل غفلة.

يلتمسون: يطلبون.

غِرته ـ بكسر الغين المعجمة: غفلته.

إِليكم إِليكم: اسما فِعل بمعنى تنحُّوا.

سرح: بفتح السين المهملة وسكون الراءِ وبالحاءِ المهملة.

أَبو حاضر: ضد غائب.

الجُلاس ـ بضم الجيم وبالسين المهملة والتخفيف.

مُجَمِّع ـ بالجيم بلفظ اسم الفاعل.

جَارِية: والد مُجَمِّع ـ بالجيم والتحتية.

مليح: تصغير ملح.

حُصَين ـ بضم الحاءِ وفتح الصاد المهملة.

نُمَيْر ـ بوزنه.

أَقاله عثرته: جبر زلته وسميت الزلة عثرة لأَنها سقوط في الإِثم.

طُعْمَة ـ بضم الطاءِ المهملة وسكون العين المهملة.

أبيرق تصغير أَبرق.

عُيَيْنَة ـ والد عبد اللّه بلفظ تصغير عَيْن.

مُرَّة بن الربيع ـ بلفظ ضد حلوة.

الدُّبَيْلَة ـ بضم الدال المهملة وفتح الموحدة وسكون التحتية: خراج أَو دُمَّلٌ كبير يظهر في الجوف تقتل صاحبها غالباً.

نِيَاط القَلب ـ بكسر النون: عرق علق به القلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه.

شرح غريب أمر مسجد الضرار

قوله: أَبو رُهْم ـ بضم الراءِ وسكون الهاءِ.

كُلْثُوم ـ بضم الكاف ـ وبالثاءِ المثلثة.

الحُصَين ـ بلفظ تصغير حصن.

الغِفَاري ـ بكسر الغين المعجمة.

ابن عوف ـ بالفاءِ.

بني غنم ـ بفتح الغين المعجمة وسكون النون.

يرصدون قدومه: ينتظرونه.

العلة: المرض.

جناح سفر: أَي مفارقة الأَوطان.

ذو أَوان ـ بفتح الهمزة وتخفيف الواو وبالنون: موضع قريب من المدينة.

الدُّخْشُم ـ بضم الدال المهملة وسكون الخاءِ وضم الشين المعجمتين وبالميم، ويقال بالنون بدلها، ويقال كذلك بالتصغير.

أَنْظِرني ـ بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الظاءِ المعجمة المُشالة: أَي أَخّرْني ولا تعجلني، هكذا الرواية، ويصح أَن يقرأ بضم الهمزة أَن انتظرني.

السُّعُف ـ بضم السين والعين المهملتين وبالفاءِ: أَغصَان النخل ما دامت بالخوص، فإِن زال الخوص عنها قيل جريدة، الواحدة سعفة.

شرح غريب ذكر حديث كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ

لم يعاتِب ـ بكسر الفوقية، ولم يُعَاتب اللّهُ تعالى أَحداً، وفي رواية لم يعاتب بفتح الفوقية.

العِيرُ ـ بكسر العين، الإِبل التي تحمل الميرة.

حين تواثقنا ـ بفوقية وثاءٍ مثلثة فقاف: تعاهدنا وتعاقدنا.

وإِن كانت بَدْرٌ أَذكر: أَعظم ذكراً.

وَرَّى بغيرها ـ بفتح الواو والراءِ المشددة: أَي أَوهم غيرها، والتورية، أَن يذكر لفظاً يحتمل معنيين أَحدهما أَقرب من الآخر فيوهم إِرادة القريب وهو يريد البعيد.

المفازة ـ بفتح الميم والفاءِ وبالزاي: الفلاة التي لا ماءَ فيها.

فَجَلَّى ـ بالجيم واللام المشددة، ويجوز تخفيفها: أَوْضَحَ.

الأُهُبة ـ بضم الهمزة والهاء: ما يحتاج إِليه في السّفر والحرب.

كتابٌ ـ بالتنوين ـ حافظ: كذلك، وفي مسلم بالإِضافة.

الديوان: بكسر الدال المهملة وتُفْتح.

يتغيب: يستخفي.

خارفون ـ بالخاءِ المعجمة: يقيمون في الحيطان وقت اختراف الثمار، وهو الخريف هنا.

طفِقَت ـ بكسر الفاءِ أَفصح من فتحها: أَخذت وشرعت.

أَغدو ـ بالغين المعجمة.

يَتَمادى ـ بتحتية ففوقية فميم مفتوحات فأَلف فدال مهملة.

الحاذ ـ بحاءٍ مهملة وبعد الأَلف ذال معجمة: الحال وزنا ومعنى.

الجِدُّ ـ بكسر الجيم والرفع فاعل وهو الجهدُ في الشيء والمبالغة فيه، وفي رواية: حتى اشتدَّ الناسُ الجدَّ وضبطوا الناس بالرفع على أنه فاعل، والجد بالنصب على نزع الخافض.

أو نعت لمصدر محذوف أَي اشتد الناس الاشتداد الجدّ.

أَصبو: بصاد مهملة فباءٍ موحدة: أَميل.

جَهازي ـ بفتح الجيم وكسرها.

غدوت ـ بالغين المعجمة.

فصَلوا ـ بصاد مهملة: خرجوا.

تفارط ـ بالفاءِ فالراءِ والطاءِ المهملتين: فات وسبق.

يُقْدَر ـ بالبناء للمفعول.

أني لا أَرى ـ بفتح همزة إِن، وهي وصلتها فاعل أَحزنني خلافاً لمن قال للتعليل.

مغموصاً ـ بفتح الميم وسكون الغين المعجمة بعدها ميم أُخرى مضمومة فواو فصاد مهملة؛ متهماً أَي يظن به النفاق.

بني سَلِمة ـ بكسر اللام.

السَّلَمي بفتحتين.

بُرْدَاه: تثنية برد.

عِطْفَيْه ـ بكسر العين المهملة تثنية عطف: أَي جانبه، كناية عن كونه معجباً في نفسه ذا زهو وتكبر، أَو يكنى به عن مسيرته لتعجبه، والقريب الرداء وسُمِّي عطفاً لوقوعه على عطف الرجل.

قافلاً: راجعاً.

قد أَظل ـ بالظاءِ المشالة المعجمة: دنا.

زاح ـ بالزاي والحاء المهملة: زال.

أَجمعت صدقه: جزمت به وعقدت عليه قصدي.

بضعة ـ بكسر الموحدة وسكون الضاد المعجمة: ما بين الثلاث إِلى التسع على المشهور.

بدأ ـ بفتح الهمزة.

المخلفون: الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم عن غزوة تبوك.

وَوَكَل ـ بفتحات مع التخفيف.

المغضَب ـ بفتح الضاد المعجمة.

خلَّفَك بتشديد اللام المفتوحة.

آبتعت ظهرك: شريته.

أَن ـ بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة.

سأُخرج ـ بالضم.

جَدَلاً ـ بفتح الجيم والدال المهملة: فصاحة وقوة كلام بحيث أَخرج من عُهْدَةِ ما نسب إِلي مما يُقْبَل ولا يُرَد.

يُوشِكَنْ ـ بضم التحتية وكسر الشين المعجمة: يسرعنْ.

تجد ـ بكسر الجيم: تغضب.

أَمَّا هذا ـ بفتح الهمزة وتشديد الميم.

ثار رجال: وثبوا.

سَلِمة ـ بكسر اللام.

عَجَزْتَ ـ بفتح الجيم أَفصح من كسرها.

كافيك: خبر كان.

ذَنْبَك: مفعول كافيك.

استغفار: اسم كان، وذكر بعضهم أَن ذنبك منصوب بنزع الخافض، أَي من ذنبك.

يُؤَنِّبُونَني بهمزة مفتوحة فنون مشددة فموحدة مضمومة ونونين: يلومونني لوماً عنيفاً.

مُرَارَةُ ـ بضم الميم وتخفيف الراءَين.

الرَّبيع ـ بفتح الراءِ.

العَمْرِي ـ بفتح العين المهملة وسكون الميم، نسبة إِلى بني عمرو بن عوف.

الواقفي، بتقديم القاف على الفاءِ نسبة إِلى بني واقف بن امرئ القيس بن مالك بن أَوس.

أُسوَة ـ بكسر الهمزة وضمها.

أَيها الثلاثة ـ بالرفع، ومحله النصب على الاختصاص، أَي خصوصاً، الثلاثة، كقولهم اللهم اغفر لنا أَيتها العصابة، وقال أَبو سعيد السيرافي: إِنه مفعول فعل محذوف أَي أَريد الثلاثة أَي أَخص الثلاثة، وخالفه الجمهور وقالوا: إِنه منادى، والثلاثة صفة له، وإِنما أَوجبوا ذلك لأَنه في الأَصل كان كذلك فنقل إِلى الاختصاص، وكل ما نقل من باب إِلى باب فإِعرابه بحسب أَصله كأَفعال التعجب.

آجْتَنَبَنَا [بهمزة وصل وجيم ساكنة وفوقية مفتوحة ونون وباءٍ ونون مفتوحات: بعد عنا].

الناس: فاعل اجتنب.

استكان: رجع.

أَجْلَدهم: أَقواهم.

أَطوف: أَدور.

أُسارقه ـ بالسين المهملة والقاف ـ النظر: أَنظر إِليه في خفية.

جفوة الناس ـ بفتح الجيم وسكون الفاء: إِعراضهم.

تَسَوَّرْتُ: علوت.

أَنْشُدك ـ بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة: أَسأَلك.

فنشدته ـ بفتح المعجمة: سأَلته به.

نبطِي ـ بفتح النون والموحدة وكسر الطاء: فلاح، وكان نصرانياً، ولم يُسم.

من أَنْبَاط الشام ـ بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الموحدة.

يُشِيرُون ـ بضم أَوله.

غَسَّان ـ بفتح الغين وتشديد السين المهملة.

جَبَلَة بن الأَيهم، وهو الحرث بن أَبي شمر.

السَرَقَة ـ بسين مهملة فراء فقاف مفتوحات فهاء تأْنيث: الأَبيض من الحرير، أَو الحرير عامة.

دار هوان: [ذلة ومهانة].

مَضْيعة ـ بفتح الميم وسكون الضاد المعجمة، وفتح التحتية وبكسر الضاد وسكون التحتية: أَي حيث يضيع حقك.

متحوَّلاً ـ بالحاء المهملة وفتح الواو مكان تتحول فيه بفتح الحاء المهملة.

تُواسيك ـ بضم النون وكسر السين المهملة من المواساة.

تيمّمت: قصدت.

التَّنُّور ـ بفتح الفوقية: الذي يخبز فيه.

سَجَرْتُه ـ بسين مهملة مفتوحة: أَو قدته.

وأَرْسَلَ إِلَّى صَاحِبَيَّ ـ بتشديد التحتية.

آلْحَقِي بأَهلِكِ ـ بفتح الحاء.

حتى كمَلت ـ بفتح الميم.

ضَاقتْ عَلَيَّ نفسي [ضد اتسعت، كناية عن ما يعانيه من الشدة والحزن وضيق الصدر].

ضَاقت عَلَيَّ الأَرْضُ بما رَحُبَتْ: أَي بما هي عَلَيْه من السّعة.

صَارِخٌ ـ بالخاء المعجمة.

أَوفى ـ بالفاءِ مقصوراً: صعد.

سلْع ـ بفتح السين المهملة وسكون اللام.

يا كعبَ بْنَ مالك ـ بفتح كعب وابن، وضم كعب وفتح ابن وضمها.

أَبْشرْ ـ بهمزة.

قد جاءَ فرج ـ بالجيم.

آذن بالمد: أَعْلَم.

وَذَهَب قِبَلَ ـ بكسر القاف وفتح الموحدة: جهة.

صاحبيّ: مُرَارَةُ وهلال.

رَكَضَ إِليّ ـ بتشديد التحتيَة: اسْتَحَثَّ.

ثوْبَيَّ: تثنية ثوب.

فَوْجاً فَوْجاً: جماعة جماعة.

لتهْنِكَ: بكسر النون.

تَوْبَةُ اللّه ـ بالرفع.

فقام إِليّ ـ بتشديد التحتية.

يُهَرْوِل: يسير بين المشي والعَدْو.

ولا أَنساها لطلحة: أَي هذه الخصلة، وهي بشارته إِياي بالتوبة، أَي لا أَزال أَذكر إِحسانه إِلي بذلك وكنت رهين مسرته.

يَبْرُق - بفتح أوله.

إذا سُرَّ - بضم السين وتشديد الراءِ، مبنياً للمفعول.

كأنه قطعة قَمر: تقدم الكلام عليه في الصفات النبوية.

أنْ أنْخلعَ: أُخرج من مالي صَدَقة. قال الزركشي والحافظ والبرماوي هي مصدر، فيجوز انتصابه بأنْخَلِع؛ لأن معنى انخلع أتصدق، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال، وتعقب ذلك الشيخ بدر الدين الدماميني: بأنا لا نسلم أن الصدقة مصدر وإنما هي اسم لما يتصدق به على الفقراء، فعلى هذا نصبها على الحال من مالي.

ما بقيت - بكسر القاف.

أَبْلاه الله - بالموحدة الساكنة: أنعم الله عليه.

أَحسن مما أَبْلاَني: أنعم عليَّ، وفيه نفي الأفضلية لا نفي المساواة، لأنه شاركه في ذلك هلال بن أُمَيَّة.

أَن لا أكون كَذَبْته - بتخفيف الذال وسكون الموحدة، ولا زائدة كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ﴾ [الأعراف ١٢] أي حدَّثته حديث كذب.

فأَهْلِكَ بكسر اللام وفتح الكاف.

شرّ ما قال لأَحد: أي قال قولاً شراً - ما قال بالإضافة، أي شر القول الكائن لأحد من الناس.

أَرْجَأَ أَمْرَنَا - بالجيم والهمزة: أَخَّرَ.

مما خُلِّفْنا - بضم الخاءِ المعجمة وكسر اللام المشددة - وسكون الفاء.

إرجاؤه: تأْخيره وتركه.

شرح غريب ذكر أقوام تخلفوا من غير عذر

أَبو لُبَابَة - بضم اللام وتخفيف الموحدة الأُولى.

جَدّ بن قَيْس - بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة.

جذام بن أَوْس...

قَفل - بفتح القاف والفاءِ واللام: رَجَعَ.

تم الجزءُ الثاني من كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد يتلوه الجزءُ الثالث «جماع أبواب سراياه» أحسن الله تعالى عاقبتنا آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين آمين، والحمد لله رب العالمين - على يد الفقير الراجي عفو الله علي بن إبراهيم الباجي غفر الله له ولوالديه ولمشايخه آمين.

فهرس الجزء الخامس
من
سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد